



SCRCHD
SALEM HANZA SERAFI CHAIR
FOR RESEARCH OF CORONARY
HEART DISEASE

مؤسسة
الممداد
للتراث والثقافة والفنون



جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس
FACULTÉ DE MÉDECINE, DE PHARMACIE ET DE MÉDECINE DENTAIRE
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES
كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان
FACULTÉ DE MÉDECINE, DE PHARMACIE ET DE MÉDECINE DENTAIRE



لجنة التراث
Heritage Committee

التراث الطبي العربي المخطوط

بين الإحياء والدراسة والممارسة المهنية

أوراق المؤتمر الدولي العاشر لفاس حول تاريخ الطب

كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس
26-27-28 أكتوبر 2022



تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



المؤتمر الدولي لفاس حول تاريخ الطب

التراث الطبي العربي المخطوط بين الإحياء والدراسة والممارسة المهنية

كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس
26-27-28 أكتوبر 2022



"المؤتمر في علم الطب" - القرن الخامس



الفهرس

- 1 تقديم السيد عميد كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس
- 2 تقديم السيد الأمين العام لمؤسسة المداد للتراث والثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية
- 3 تقديم السيد المدير السابق لمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المدير الحالي لمكتب تنسيق التعريب بالرباط
- 4 تقديم السيد رئيس لجنة التراث بكلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

- 6 المعادن الطبية في المخطوطات المغربية والأندلسية". د. خلاف الغالي (المملكة المغربية)
- نصوص طبية مغربية وأندلسية في دمشق العثمانية: مخطوطات عبد الواحد ابن دلاج المغربي وابن جاني الأندلسي". د. بلال الداهية (المملكة المغربية)
- 23 الخدمات الطبية العسكرية وتأسيس المستشفيات في الدولة العثمانية. دة. أماني جعفر الغازي (السعودية)
- 41 كليات الطب في ضوء كتاب هدية الحب في علم الطب للإمام نجد الدين أحمد النسفي. د. نائل أحمد (تركيا)
- 56 الأروزة في المخطوط الطبي العربي: الأدوية العارضة في الوجه وما يتعلق منها بطب العيون بشكل خاص من خلال مخطوط أرجوزة ابن طفيل الطبية. د. عمر مستعين (المملكة المغربية)
- 64 المخطوطات العربية في طب الأطفال ووجود الباحثين المعاصرين في تحقيقها وخدمتها. د. محمد مرزوك (المملكة المغربية)
- 109 ابن البيطار الأندلسي عبقرى الصيدلة وعلم النبات من خلال مخطوطة كتابه (جامع الأدوية والأغذية). دة. سهام بلغيتي علوي (المملكة المغربية)
- 125

المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط

- 133 المخطوطات الطبية العربية الإسلامية تراث حضاري متميز. د. محمد زين العابدين الحسيني (المملكة المغربية)
- 147 المخطوط الطبي العربي من التشقيف إلى المثاقفة. د. شريف علي الأنصاري (مصر)
- 159 أهمية خوارج النص في المخطوط التراثي الطبي العربي. وكيفية التعامل معها. د. حميد لحمر (المملكة المغربية)
- 168 التعرف الآلي على أحرف المخطوطات الطبية. د. عز الدين غازي (المملكة المغربية)

المحور الثالث: دراسات ببلوغرافية وتعريفية

- 188 تاريخ الكوديكولوجيا في أوروبا. د. محمود سام الشيخ (إيطاليا)
- 201 الطب العربي من خلال المخطوطات المحفوظة بالخزانات والمكتبات المغربية. د. محمد براص (المملكة المغربية)
- 218 المخطوطات الطبية بالمكتبات المغربية- مكتبة آل سعود أمهودجا. د. طارق يشي (المملكة المغربية)

المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها

- تحقيق لفصول المتعلقة بجراحة الفم والفكين من مخطوط (التصريف لمن عجز عن التأليف) لأبي القاسم الزهراوي- دراسة علمية وتطبيقية. د. سعد الصقلي الحسيني (المملكة المغربية)
- 234 الأعشاب الطبية والدواء وتركيبه في مخطوطة فاكهة ابن السبيل. د. عبد الله علي سعيد السعدي (سلطنة عمان)
- 254 تشغيل النصوص في الدرس الطبي المعاصر. د. البشير بنجلون (المملكة المغربية)
- 267 إسهام المخطوط العربي الإسلامي في الطب الوقائي والتداوي بالأعشاب كتاب. "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" لأبي عمرو محمد بن منظور (889هـ) دراسة وتحقيق". د. نور الدين لرجي (المملكة المغربية)
- 277

المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي.

- أهمية تحقيق مخطوط الكليات في الطب لابن رشد من خلال دراسة محمد عابد الجابري. دة. فائزة بوكيلي (المملكة المغربية) 288
- جهود مَرَكزِ تحَقِيقِ التَّراثِ العَرَبِيِّ بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا في تحقيق النصوص الطبية من التراث العربي. أنس عطية الفقي (مصر) 294
- تحقيق عمدة الطبيب لأوفي بن ابي بكر. د. أحمد البراء (موريتانيا) 311
- جهود المستشرق الألماني (ألبرت ديتريش، Albert Dietrich) في تحقيق المخطوطات الطبية (دياسقوريدوس في هيولى الطب). دة. سماح سعيد عبد القادر باحويرث. (السعودية) 320
- الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية، إشكالية الكتابة والبناء عند أحمد بن الحاج. د. احمد إشراقان (المملكة المغربية) 332

المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي

- المخطوط والدرس الجامعي بالمغرب محاولة في الرصد والتقييم. د. محمد مزيان (المملكة المغربية) 344
- مخطوطة الأجوبة الطبية لعبد القادر ابن شقرون المكتاسي قراءة في المنجز الطبي بالمغرب خلال القرن 18 م. د. عبد المجيد بوكاري (المملكة المغربية) 355
- جوانب من التراث الطبي المخطوط بالصحراء من خلال مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي. د. محمد الصافي (المملكة المغربية) 367
- الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي من خلال المعيار الجديد للمهدي الوزاني. دة. فاطمة الزهراء مداني بنجلون. (المملكة المغربية) 389
- الكتاب المخطوط المسمى "علامة السعادة في الاغذية المعتادة" للطبيب أبي الحسن علي ابن حسن المراكشي. د. عبد الحميد بيطاري (المملكة المغربية) 405
- "مجموع المنافع في علم الطب النافع" مؤلفه محمد بن أحمد البعقلي السوسي المتوفى أواسط ق11 هـ. د. أحمد الفلوسي (المملكة المغربية) 414



تقديم السيد عميد كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس

الأستاذ طارق مقلبي حسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه لمن دواعي الاعتزاز والفخر أن نحتفي اليوم بصدور هذا الكتاب الذي يشكل إضافة علمية قيمة، ويبرز جانباً مشرقاً من مسيرة الطب في الحضارة الإسلامية. فهذا الإصدار لا يعد مجرد عمل أكاديمي توثيقي، بل هو ثمرة جهد جماعي مشترك يجمع بين الأصالة العلمية وروح التعاون المثمر بين المؤسسات.

لقد جاء هذا العمل ليؤكد أن كلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس تولي أهمية بالغة لإحياء التراث العلمي والطبي الإسلامي، وتبسيط الضوء على دوره الرائد في الجمع بين التأصيل النظري والممارسة العملية، وهو نموذج علمي متكامل ما زال يحمل دروساً وعبراً للأجيال المعاصرة.

وإنني بهذه المناسبة أود أن أعبر عن بالغ الشكر والتقدير إلى لجنة التراث التي بذلت جهوداً كبيرة في الإعداد والإنجاز، فكانت وراء إخراج هذا العمل في أبهى صورة علمية. كما أتوجه بخالص الامتنان إلى السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله على دعمه الكريم ومساندته المستمرة لكل المبادرات العلمية والثقافية الهادفة.

ولا يفوتني أيضاً أن أنوه بروح التعاون العلمي والثقافي البناء الذي جمع كليتنا بمؤسسة المداد للثقافة والفنون بالملكة العربية السعودية، مع توجيه أسامي عبارات الشكر والعرفان إلى أمينها العام السيد المهندس أنس صبري على دعمه الكبير ومساهمته الفاعلة في إنجاح هذا المشروع العلمي المشترك.

إننا في كلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس نعتبر هذا الإصدار محطة مضيئة في مسار التعاون الأكاديمي، ونأمل أن يشكل منطلقاً لمشاريع أخرى رائدة تسهم في صون تراثنا العلمي وإشعاعه على الساحة العربية والإسلامية.

والله ولي التوفيق.



تقديم السيد الأمين العام لمؤسسة المداد للتراث والثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية

المهندس أنس صيرفي

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني ويشرفني، بصفتي الأمين العام لمؤسسة المداد للتراث والثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية، أن أقدم هذا الكتاب الذي يأتي ثمرةً للتعاون العلمي والثقافي المثمر بين مؤسسة المداد وكلية الطب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس، في المملكة المغربية.

لقد اجتمع في هذا العمل المبارك جهد علمي رصين ورؤية ثقافية رائدة، فكان نتاجاً لتلاقي خبرات أكاديمية متخصصة مع اهتمام مؤسسي متواصل بخدمة الثقافة والمعرفة، بما يسهم في إغناء المكتبة العربية والإسلامية بمرجع علمي موثوق حول التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية.

يمثل هذا الكتاب لبنة جديدة في بناء صرح التعاون العلمي بين مؤسساتنا العربية، حيث يجسد قيم الشراكة والتكامل في البحث العلمي وإحياء التراث، ويبرز الدور الريادي للحضارة الإسلامية في تأسيس منهج طبي متكامل جمع بين المعرفة النظرية والممارسة العملية، وفق معايير علمية وأخلاقية سبقت عصرها.

إننا في مؤسسة المداد نعتز بهذه المبادرة المشتركة التي لم تكتفِ بتسليط الضوء على صفحات مشرقة من تاريخنا العلمي، بل تسعى أيضاً إلى إلهام الأجيال الجديدة من الباحثين والأطباء ليستمدوا من هذا الإرث قوة تدفعهم إلى الإبداع والتجديد في خدمة الإنسانية.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل في كلية الطب بفاس، وإلى جميع الباحثين والمساهمين في إنجاز هذا العمل، راجياً أن يكون مرجعاً نافعاً ومصدر إلهام للأجيال القادمة، وأن يحقق الأهداف السامية التي اجتمعنا من أجلها.

والله ولي التوفيق.



تقديم السيد المدير السابق لمعهد المخطوطات العربية
بالقاهرة، المدير الحالي لمكتب تنسيق التعريب بالرباط

الدكتور مراد الريفي

إن أفراد الدورة العاشرة لمؤتمر تاريخ الطب المنظم سنويا برحاب كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس، لموضوع "التراث الطبي العربي المخطوط بين الإحياء والدراسة والممارسة المهنية"، لخير شاهد على نضج مسيرة هذا المؤتمر المتميز على الصعيدين الدولي والعربي. فخلال مسيرتها التنظيمية، رسخت لجنة التراث القائمة على تنظيم هذا الحدث العلمي الكبير، تقاليد منهجية أصبحت ساطعة أمام القاصي والداني، فحواها أن مداخل الإحاطة بتاريخ الطب هي متنوعة ومتكاملة، تتجاوز النظرة الضيقة إلى مفهوم التاريخ باعتباره استعراضا زمنيا خطيا ل ذخيرة التأليف في ميدان الطب، نحو تنوع تجليات وأوعية هذا التاريخ واستدعاء دراستها بما استجد من أدوات العصر المعرفية.

ولعل اختيار الكتاب العربي المخطوط المتناول للعلوم الطبية، ليكون موضوع هذه الدورة، يضمن في حد ذاته تميزها كمحطة بارزة في مسيرة المؤتمر، إذ أن المخطوط العربي يحفظ لنا سجلا ضخما من المراسلات والأرجوزات والمقابلات والمتون والتأليف الوصفية والرسوم التوضيحية، تبين أن الحضارة العربية صاحبة القدر المعلى في التأليف والترجمة والبحث الطبي عبر التاريخ. وعلى صعيد آخر، ينضج المخطوط العربي بيئة تفكيرية نقاشية وحوارية حول المسائل والقضايا الطبية تتجلى في الحواشي والتعليقات والشروحات، التي كان تلازم المتون شاهدة على غنى تفاعل طالبي العلم بحسب مقاماتهم العلمية مع ما يستجد من إشكاليات ومواقف بحثية. كما يمكن المخطوط الطبي من استنباط مدى الإقبال عليه من طلاب العلم، إذ كان لقرون، أعز ما يطلب في المكتبات السلطانية والخاصة، يبذل من أجله الغالي والنفيس لمنزلته في علاج الأمراض والوقاية من الآفات، وهو ما أظهرته الدراسات المتجهة إلى التملكات والقيود باعتبارها خوارج نصوص تعبر عن حركة تجارية ووقفية ترصد مكانة هذا الكتاب التراثي الرفيعة.

لكن مكمّن التميز المركزي يكمن في اختيار ثلاث مسارات للتطرح العلمي لهذا التراث، وهي الإحياء والدراسة والممارسة. وقد جاءت الأرضية العلمية للمؤتمر واضحة في بسطها لمدى ترابط وتكامل هذه المسارات، حيث حرصت اللجنة العلمية على اكتمال قوام المحاور الست التي تم تحديدها على أساس إنجاح تكامل معرفي حقيقي بين الأوراق العلمية المشاركة. وبالفعل، فإن إحياء التراث الطبي جاء طرحه في المؤتمر من منطلق استدعاء الإشراقات العلمية التي ما زالت قادرة على سقي شجرة المعرفة الطبية المعاصرة. أما دراسة المخطوط الطبي فالقصد منها توسيع دائرة التحقيق والنشر النقدي ليطال المؤلفات غير المطروقة التي لم تصلها يد، والتي ما زالت تنتظر من ينتشلها من كهفها الرديم في المكتبات التراثية الغميسة، أو على الأقل استكشاف مظان بطون الكتب المخطوطة المجهولة أو الفريدة غير المعروفة.

أما إخضاع جماع هذا الجني المبارك للممارسة المهنية، فذلك هو التحدي المؤسس الذي درج على رفعه المؤتمر بكل اقتدار، إذ حرصت لجنة التراث على تبيان الهدف الرئيس من هذه المحطة العلمية، وهو بناء الجسور بين عناصر التاريخ المدروس وما استجد في الممارسة المهنية. وهو ما لاحظناه بكل ارتياح عند افتتاح المؤتمر، من أطاريح علمية مؤلفة باللغة العربية، استدعت التراث الطبي في تغذية البحث العلمي من أوجه مختلفة، وما تابعتها من أوراق علمية بينت مجالات هذا التجسير وقدمت النماذج والأمثلة الناجحة والممارسات الفضلى في مجاله.

فكل الشكر للجنة التراث وللقائمين على هذا المؤتمر، وكل الاعتزاز بانضمام معهد المخطوطات العربية إلى بقية الشركاء الفاعلين في إنجاز هذا المؤتمر الذي أصبح محطة لا مناص عنها عند كوكبة من كبار الباحثين في مجال التاريخ الطبي.



تقديم السيد رئيس لجنة التراث
بكلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس

الأستاذ سيدي عادل الإبراهيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

يطيب لي في هذه المناسبة العلمية المميّزة أن أقدم هذا الإصدار الجديد الذي يندرج ضمن سلسلة من الأنشطة التي دأبت لجنة التراث بكلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس على تنظيمها، وفاءً لرسالتها في صون التراث الطبي الإسلامي وتثمينه علمياً وثقافياً.

لقد شكّلت لجنة التراث، منذ تأسيسها، فضاءً علمياً حيّاً يحتضن البحث والتأمل والنقاش حول إرثنا الطبي الراخر، من خلال ما نظمته من مؤتمرات علمية وندوات فكرية ولقاءات أكاديمية ومعارض تراثية، كان لها الأثر البالغ في تعزيز الوعي بأهمية الطب في الحضارة الإسلامية ودوره في بناء الجسور بين الماضي والحاضر.

ويأتي هذا الإصدار ثمرةً من ثمار هذا الجهد المتواصل، إذ يضم بين دفتيه أوراق المؤتمر العاشر حول المخطوط الطبي، الذي مثل محطة علمية بارزة في مسار اللجنة، سواء من حيث تنوع المواضيع أو عمق الدراسات التي تناولت جوانب متعددة من المخطوط الطبي العربي والإسلامي، منهجاً ومضموناً وتحقيقاً.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعتر عن عميق الشكر والتقدير للسيد عميد الكلية على دعمه الدائم وتشجيعه اللامحدود لأنشطة اللجنة، كما أتوجّه بوافر الامتنان إلى السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله على عنايته المستمرة بالمشاريع العلمية والثقافية الهادفة.

وإنّ ما يضيفي على هذا الإصدار طابعاً متميزاً هو التعاون المثمر والبناء مع مؤسسة المداد للتراث والثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية، في شخص أمينها العام المهندس أنس صيرفي، الذي أسهم بعباء كريم وجهد صادق في دعم هذا العمل العلمي المشترك الذي يجسد روح التكامل بين مؤسساتنا الثقافية العربية.

نأمل أن يكون هذا الإصدار لبنة جديدة في صرح التعاون الأكاديمي العربي، ومصدر إلهام لكل الباحثين الساعين إلى إحياء تراثنا الطبي الأصيل، وتقديمه للأجيال في أبهى صورة علمية وإنسانية.

والله وليّ التوفيق.

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسستها في التراث

المعادن الطبية في المخطوطات المغربية والأندلسية

أ.د. خلاف الغالبي،

جامعة المولى إسماعيل (مكناس - المغرب).



المخلص

يعود استخدام الإنسان للمواد المعدنية والصخرية في المجال الطبي إلى ماض بعيد. وقد ساهمت كثير من المصادر التراثية العربية الإسلامية في التعريف بالمنافع الطبية لمجموعة من المعادن، سواء تلك التي اعتنت بدراسة المعادن وخصائصها (علم المعادن) أو تلك التي اهتمت بجدد الأدوية ووصف مركباتها (الطب والصيدلة).

لقد سعيننا في هذه الورقة البحثية، اعتماداً على مجموعة من المخطوطات الطبية المغربية والأندلسية، ككتاب "الأمراض البوائية" لابن هيدور التادلي وكتاب "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام" لمحمد بن علي بن فرج الفهري وكتاب "مجموع المنافع في علم الطب النافع" للبعقلي السوسي وكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي وكتاب "جامع أسرار الطب" لابن زهر...، إلى جرد عدد من المعادن المستخدمة في العلاجات الطبية (مفردة أو مركبة) والوقوف على المجالات الطبية التي توصف هذه الأدوية في علاجها (طب العيون؛ طب الأسنان؛ أمراض القلب؛ طب المسالك البولية؛ الأمراض الجلدية...) مع ذكر طرق استخدام الأدوية الموصوفة وأشكالها (مراهم؛ أقراص...). كما تطرقنا إلى إشكالية عدم الوعي بالتطبيقات الطبية للمعادن في الحضارة العربية الإسلامية لدى بعض المؤرخين الغربيين المعاصرين المشتغلين بالتأريخ لتطور استخدام المعادن في الوصفات العلاجية الطبية.

الكلمات المفتاحية: المعادن - المغرب - الأندلس - العلاجات الطبية - الأضرار.

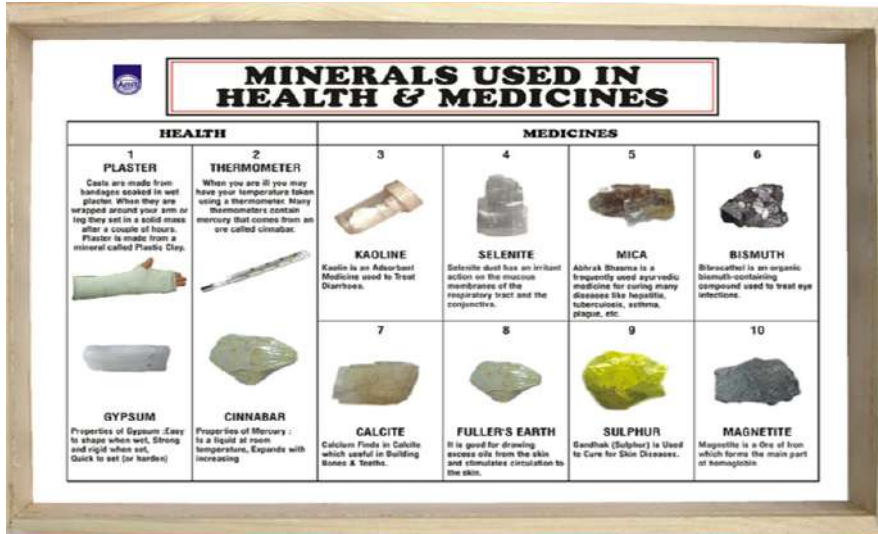
مدخل

عرفت التقاليد الطبية لعدد من المجتمعات القديمة، استخدام المواد المعدنية والصخرية (الجيولوجية)، ضمن ترسانتها الطبية والصيدلية: فقد سجلت مجموعة من البرديات الطبية استخدام المصريين القدامى للدهنج والجبس والكحل؛ وحفظت الألواح الطينية أخباراً عن استعمال البابليين والسومريين لعقاقير تضم مكونات جيولوجية؛ كما نقلت الكتابات الطبية المبكرة، حضور استخدام أنواع من المعادن والأحجار، في التقاليد الطبية الهندية والصينية واليونانية¹؛ بالإضافة إلى ما نقلته الأشعار لدى الشعوب العربية قبل الإسلام بهذا الخصوص. ولا يزال استخدام المعادن حاضراً بشكل قوي في الطب والصيدلة حتى اليوم (الصورة1).

ذكر المعادن ذات المنافع الطبية في كتب التراث المعدني الإسلامي.

تعددت الكتب والرسائل، التي اهتمت بدراسة خواص المعادن وصفاتها، وتنوعت مع هذا التعدد درجات حضور الخصائص والمنافع الطبية للمعادن، في هذه المصادر (الجدول 1).

1. «Geology as Medicine and Medics as Geologists». P: 1.



الصورة 1: معادن تستخدم في المجال الطبي والصحي.

الجدول 1: ذكر المعادن ذات المنافع الطبية في عدد من كتب التراث المعدي العربي الإسلامي.			
المؤلف	الكتاب	عدد المعادن المذكورة	عدد المعادن ذات المنافع الطبية
إخوان الصفا	رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا	أكثر من 40 معدن	8 معادن
البيروني	الجماهر في معرفة الجواهر	حوالي 50 معدن	5 معادن
التيفاشي	أزهار الأفكار في منافع الأحجار	25 معدن	23 معدن
ابن الألفاني	نخب الذخائر في أحوال الجواهر	في حدود 26 معدن	10 معادن
الدمشقي	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر	أكثر من 90 معدن	14 معدن
القزويني	عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات	140 معدن	جلها
الغساني	نزهة الأبصار في خواص الأحجار	60 معدن	جلها
ابن الورد	خريدة العجائب وفريدة الغرائب	41 حجرا وجوهر	19 حجر وجوهر

فهناك من المؤلفين من لم يهتم بالمسألة، وكان حضورها لديه استثناء يؤكد القاعدة؛ ومنهم من أشار إليها إشارات قليلة، لكونها مسألة ماثلة في كتب الطب وتندرج ضمن اهتمامات الحكماء؛ ومنهم من كان اهتمامهم كبيرا بهذه المنافع، لدرجة أنهم جعلوها الخاصية الأساس للحديث عن المعادن؛ ومنهم من توسط، دون أن يعتمد ذلك كخاصية قارة في تحديد هوية المعدن؛ ومنهم من درس المعادن من خلال مجموعة من المواضيع والخصائص، وجعل الخواص والمنافع الطبية عنصرا قارا في الحديث، وركنا هاما من أركان دراسة مختلف المعادن.

الخصائص والمنافع الطبية للمعادن والجواهر والأحجار في كتب الطب والصيدلة.

يعجز بحث من حجم بحثنا هذا، عن حصر كتب الطب والصيدلة التي اعتنت بالحديث عن المنافع الطبية للمعادن. فقد خصصت هذه الكتب مئات من الصفحات، للحديث عن الأدوية المعدنية النافعة صحياً بمفردها (الأدوية المفردة)، أو المركبات والمستحضرات الطبية التي تحتوي على مكونات معدنية في تركيبها (الأدوية المركبة): فكتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" مثلاً، يضم وصفاً لأكثر من 1400 عقار بين معدني ونباتي وحيواني²؛ كما يضم أكثر من 2330 مادة، جمع فيها ابن البيطار كل ما ذكره سابقوه من اليونان ومن المسلمين عن الأدوية، وزاد عليها 300 دواء لم يشر إليها أحد من قبله³.

عموماً، قسم المؤلفون المسلمون الأدوية المفردة أو البسيطة (مفردات الأدوية) بحسب أصولها إلى ثلاثة أقسام: نباتية أو حيوانية أو معدنية. وقد كانت مفردات الأدوية تذكر، إما مرتبة غالباً بأسمائها بحسب الحروف الأبجدية، كما هي الحال في الكتاب الثاني من (القانون في الطب) لابن سينا؛ وإما مرتبة بحسب حروف المعاجم، كما في كتاب (الصيدنة في الطب) للبيروني وكتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار وكتاب (الحاوي في الطب) للرازي. كما كانت العقاقير تقسم في بعض الأحيان، إلى مجموعات بحسب مفعولها وفوائدها: فهذه أدوية مسهلة وهذه مقبئة وتلك مسكنة وهذه مدرة للبول، كما في كتاب (فردوس الحكمة) لابن ربن وكتاب (الأدوية المفردة) لابن الصلت؛ أما المجوسي فقد نحا نحواً آخر، فقسم المفردات إلى مجموعات بحسب طبيعتها ورتبها في كل مجموعة بأسمائها، مع نبذة مختصرة عن أحودها ومنافعها⁴.

المعادن الطبية في المخطوط المغربي والأندلسي

تعددت المواد المعدنية التي وصفها الأطباء والصيادلة المغاربة والأندلسيون لعلاج كثير من الأمراض، سواء بشكل منفرد (أدوية مفردة) أو مضافة إلى عناصر أخرى معدنية أو نباتية أو حيوانية (أدوية مركبة). ويبين الجدول 2، أمثلة من هذه المعادن، التي ورد ذكرها في المخطوطات الطبية المغربية والأندلسية.

الجدول 2: أمثلة من المعادن المستخدمة في العلاجات، الوارد ذكرها في المخطوطات الطبية المغربية والأندلسية.		
عنوان المخطوط وصاحبه	عدد الأدوية المعدنية المفردة المذكورة	أمثلة عنها
الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار	حوالي 50 معدن وحجر	الذهب - الفضة - حجر الدر - الباقوت - العقيق - الجزع - السبج - الطين المختوم - الطين الأرمني - النفط - الكبريت - الماس - الكلس - النحاس - الطاليقون - الزنجار - التنكار - الرصاص القلعي - الدهنج - البسد - الزرنخ...
مختصر في منافع المفردات وخواصها (من المقالة الأولى حتى الرابعة) لأبي القاسم الزهراوي	حوالي 44 معدن وحجر	إقليميا الذهب - إقليميا الفضة - أسفيداج - ذهب - رصاص - بازهر - إثم - توبال الحديد - زبرجد - زمرد - زبيق - مركت - مغرة - طباشير - كبريت - مغنطيس - ياقوت - شب - زنجفر - نفط - ملح الطعام - عقيق...
المستعيني في الأدوية المفردة لابن بكلاش الإسرائيلي	حوالي 80 معدن وحجر	أسفيداج - أسرنج - أرانبوس - بورق - جيسن - زرنخ - زاج - زجاج - زبرجد - لازورد - حجر المغنيسيا - حديد - حجر الشاذنج - الطلق - المغنطيس - قيشورا - الباقوت - السبادج - الماس - الحلزون - طفل - طين أخضر - طين مختوم موميا - مرقشيثا - مرداسنج - نفط - نشادر - نحاس - قصدير - تنكار - توتيا...

2 "الصناعات الدوائية الأندلسية"، عبد الحميد السامرائي، مجلة (سر من رأى)، المجلد: 4، العدد: 11، السنة: 4، 2008، ص: 135-153، ص: 148.

3 "تاريخ الفكر الأندلسي"، أنخل بالينثيا، ترجمة: حسين مؤنس، الطبعة 2، 2008، ص: 799، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ص: 537.

4 "الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب"، إشراف د. محمد كامل حسين، 472 ص، ص: 333-334.

الاستخدامات المعدنية في العلاجات الطبية.

يجدر التنويه إلى أن تدبير الأدوية وصناعتها، قد اتخذ أشكالاً متعددة، حيث نجد: المراهم والضمادات والذرور والسعوط والأقراص والقطرات والأكحال والحقن والطلاءات والشيف (الشكل 1).

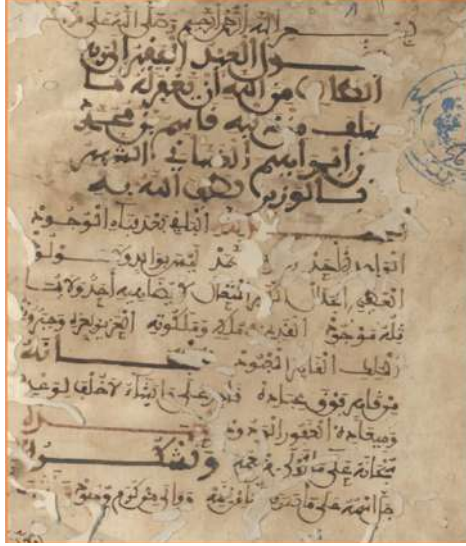


الشكل 1: أشكال مختلفة من الأدوية في صورها الحديثة.

أمثلة عن الأدوية المعدنية المفردة والمركبة في المخطوط المغربي والأندلسي.

في الفقرات الموالية سنقوم بعرض مجموعة من الأدوية والوصفات الطبية المستخدمة لعلاج العديد من الأمراض، والتي وردت في المخطوطات الطبية المغربية والأندلسية التي تمكننا من الوصول إليها والاطلاع عليها، خصوصا تلك المحفوظة في الخزنة الملكية (الخزانة الحسنية) وفي الخزنة الوطنية بالعاصمة المغربية الرباط؛ وكذا في مكتبة الإسكوريال بالعاصمة الإسبانية مدريد. وسيكون عرضنا عرضاً مقتضباً، دون تفصيل هذه الوصفات ومقادير المواد المستخدمة في هذه الأدوية والمركبات.

■ مخطوط "الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون" للغساني الوزير (الصورة 2):



الصورة 2: مقتطف من مخطوط "الروض المكنون" بالخرانة الملكية بالرباط.

وصف الغساني في شرحه لرجز ابن عزرون أدوية مركبة لعلاج بعض أنواع الحمى، نذكر منها:

- أقراص من الطباشير، نافعة من الحميات المحرقة والالتهاب والعطش⁵؛
- ضماد يحمل على المعدة والصدر، من مكوناته الطباشير⁶.

■ مخطوط "التجارب الطبية" لابن محمد السوسي (الصورة 3):

أجرى الطبيب ابن محمد السوسي مجموعة من التجارب لتحضير عقاقير وأدوية لعلاج ومداواة عدد من الأمراض. وقد قام بوصف هذه التجارب في كتابه الموسوم "التجارب الطبية"، نذكر منا على سبيل المثال لا الحصر التجارب الآتية:

- تجارب وقعت في النمش العارض في الوجه والكلف والبثر والقروح باستعمال الزبيق⁷؛
- تجربة علاج عجيب لمداواة القروح في وجه الصبيان والرجال والنساء، باستعمال الإسفيداج⁸؛
- صفة تجربة تذهب باللحم الزائد في الأنف والرايحة الكريهة منه، باستخدام فتائل من النحاس المحروق⁹؛
- تجارب جربتها في علل الفم وصحت عنده: أولها في اللثة المتكئة والحفر، وذلك باستخدام الزرنينخ الأصفر والشب البيماني...، يستاك به¹⁰.

5 "الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 0041.

6 "الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 0085.

7 "التجارب الطبية". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 108.

8 "التجارب الطبية". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 108.

9 "التجارب الطبية". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 08ب.

10 "التجارب الطبية". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 08ب + الصورة رقم 109.



الصورة 3: مقتطف من مخطوط "التجاريب الطبية" بالخزانة الملكية بالرباط.

■ مخطوط "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام" لمحمد بن علي بن فرج الفهري (الصورة 4):

- وصف محمد بن علي بن فرج (المشهور بـ "سيدي فرج") عددا من الأدوية المعدنية المفردة وكذا المركبة التي تدخل المعادن في تركيبها، نكتفي من ذلك بالأمثلة الآتية:
- أسفيداج الرصاص: يملأ القروح ملطفا وينفع (يقلع) اللحم الزائد في القروح قلعا رقيقا.. ملينا إذا وقع في القيح والطين أو في المرهم؛
 - كلس: يقطع نرف الدم من الجراحات وإذا غسل بالماء مرات نفع من حرق النار؛



الصورة 4: مقتطف من مخطوط "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام" بالخزانة الملكية بالرباط.

- مرهم يتكون من أخلاط مرداسنج وراتينج وشمع وزيت عتيق + زنجار... يستعمل في الجراحات القدية والحديثة ويتصرف في علل كثيرة وينفع اللدفة والعضة ويوضع على الجراحات ويذهب باللحم السخيف.. ولعرق النسا والنقرس وهماً الجراحات العميقة ويقوي العصب ويمنع الدم المنبج ويلين الأعضاء الملتوية.

■ مخطوط "مجموع المنافع في الطب النافع" لمحمد بن أحمد البعقلي (الصورة 5).



الصورة 5: مقتطف من مخطوط "مجموع المنافع في الطب النافع" بالخزانة الملكية بالرباط.

- من الأدوية المعدنية المفردة والمركبة التي وصفها البعقلي في كتاب "مجموع المنافع" نذكر:
- خليط فيه ملح وشب: مفيد ومجرب لقتل العلقه¹¹؛
- 7 أحجار لعلاج الدمايل¹²؛
- مركب لعلاج رائحة الفم: يؤخذ ملح مسحوق ويخلط بالقطران ثم يحك الفم بذلك حكا قويا¹³.

■ مخطوط "جامع أسرار الطب" للوزير أبي العلاء بن زهر (الصورة 6):

- لعلاج أنواع مختلفة من الأمراض، وصف ابن زهر في كتاب "جامع أسرار الطب"، عددا من بين الأدوية المعدنية، نذكر منها ما يلي:
- دواء يقلع البياض من العين: وهو عبارة عن كحل من مكوناته الرصاص¹⁴؛
- علاج لحم ينبت في العين يمنع الرؤية بالحديد عن طريق الاكتحال¹⁵؛

11 "مجموع المنافع في الطب النافع". الخزانة الملكية. الرباط. ص: 131.

12 "مجموع المنافع في الطب النافع". الخزانة الملكية. الرباط. ص: 132.

13 "مجموع المنافع في الطب النافع". الخزانة الملكية. الرباط. ص: 162.

14 "جامع أسرار الطب". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 148.

15 "جامع أسرار الطب". الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 148.



الصورة 6: مقتطف من مخطوط "جامع أسرار الطب" بالخزانة الملكية بالرباط.

- علاج يبيض الأسنان ويقطع الدم من اللثة واسترخائها: وهو عبارة عن سواك مركب فيه ملح أندراي¹⁶؛
- مرهم لعلاج الأورام: خليط فيه قير وزفت وشمع...¹⁷.

■ مخطوط "المستعيني في الأدوية المفردة" لابن بكلاش الإسرائيلي (الصورتان 7 و8):



الصورة 7: مقتطف من مخطوط "المستعيني في الأدوية المفردة" بالخزانة الوطنية بالرباط.

ألف ابن بكلاش كتابه "المستعيني في الأدوية المفردة"، للمستعين بالله أحمد بن يوسف الهودي، ذكر فيه الأدوية المفردة النباتية والحيوانية والمعدنية، مرتبة حسب ترتيب حروف المعجم، وضع لها جداول التزم فيها بالنسبة كل دواء منها بذكر طبيعتها (اليبوسة والبرودة والحرارة والرطوبة)؛ وتسمياتها بلغات مختلفة؛ بالإضافة إلى منافعها وخواصها ووجوه استعمالها (الصورة 8).

وقد وصف ابن بكلاش من بين هذه الأدوية حوالي 80 معدن وحجر، تستخدم في العلاجات الطبية (الجدول 1): كالأسرب الذي

16 - "جامع أسرار الطب"، الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 149.

17 - "جامع أسرار الطب"، الخزانة الملكية. الرباط. الصورة رقم 176.



الصورة 8: مقتطف من مخطوط "المستعيني في الأدوية المفردة" بالخزانة الوطنية بالرباط.

يجف البلة من العين ويجعل في المراهم ويبرأ الجراحات والقروح التي تكون في المقعدة والأورام التي تكون في أعين الناس والحيوان؛ والإسفيداج الذي يرأ الأورام الحارة ويردع مادتها ويحلل وينفش ويملا القروح لحما نقياً ويقلع اللحم الزائد من القروح قلعا رقيقا ويدملها.. والإسرج الذي ينفع القروح ويلرق الجروحات ويذهب اللحم العفن (الصورة 8).

■ مخطوط "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهراوي (الصورة 9):

سبقت الإشارة إلى أن الزهراوي قد أورد في مختصره في منافع المفردات وخواصها (من المقالة الأولى حتى الرابعة) حوالي 44 معدن وحجر تستخدم في العلاجات الطبية (الجدول 1). في حين وصف بتفصيل في كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" العديد من العلاجات التي تستخدم فيها المعادن المفردة أو تدخل ضمن مركباتها، نذكر منها:

- علاج العراف الذي يكون من انتفاخ الشرايين، بواسطة خليط من شبة ونورة وزاج¹⁸ أو بواسطة مركب فيه الشب البنياني وطلاء فيه طين أرمني¹⁹؛
- علاج وجع الأذن بتقطير النفط²⁰؛
- علاج أورام الأذن بخبث الحديد المسحوق بالخل²¹؛
- علاج الأذن بضاد من الحلزون والمغرة²²؛
- علاج أحد أنواع أمراض الجفنين بتقطير الزعفران والشب الأبيض مع الفصد أو الحمامة²³.

18 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 100 ب.

19 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 101 أ.

20 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 107 أ.

21 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 110 ب.

22 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 110 ب-111 أ.

23 "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültüphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 112 أ.



الصورة 9: مقتطف من مخطوط "التصريف لمن عجز عن التأليف".

المجالات الطبية للاستخدامات العلاجية للمعادن والأحجار

نخلص من هذا العرض المختصر والسريع، إلى أن الفوائد الطبية للمعادن والأحجار في المخطوط المغربي والأندلسي تغطي عدة تخصصات طبية: كطب العيون (أو ما يعرف في التراث العربي الإسلامي بالكحالة) وطب الأسنان وطب باطن وطب الجهاز الدوري وطب المسالك البولية وأمراض الكلى والأمراض الجلدية وطب وبائي وطب تجميلي وطب نفسي بالإضافة إلى مقاومة السموم وعلاج لدغ العقارب ولسع الحياة ونهش الهوام وعلاج النقرس وأوجاع المفاصل...

في أعمار العقاقير المفردة والأدوية والمركبة

مما يستحق التنويه بخصوص عناية الأطباء والصiadلة المسلمون بالأدوية المعدنية، اهتمامهم بأعمار (مدة صلاحية) العقاقير مفردة كانت أو مركبة، ومن ذلك ما ذكره الزهراوي في كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، حيث قال: إن أعمار الأدوية المفردة المعدنية تختلف بحسب شرفها كالياقوت والذهب وحجر الماس والزمرّد فهذه تبقى ولا تفسد في المئين من السنين والألوف. وأما الفضة والنحاس والحديد فتستحيل وتفسد في المدة اليسيرة من الزمن وبقاها أقل من بقاء الياقوت والذهب كثيراً. وأما الأملاح المنعقدة في الماء المالح في البحيرات فإنها أقل بقاء من المَحْتَفَرّة في المعادن تحت الأرض.. وأما الزرانيخ فتبقى فوق الخمسين سنة وأكثر لا تتغير ولا تفسد.. وأما الزنجار فتتقص قوته في أقل من عام واحد. والإسفيداج يبقى نحو ثلاثة أعوام أو خمسة ثم يستحيل إلى الترابية. وأما المرتك فيبقى السنين الكثيرة لا يتغير، وقد بقي عندي أكثر من عشرين سنة ولم يحدث فيه حادث ولست أشك في أنه يبقى كثيراً. والرصاص يبقى السنين الكثيرة حتى إنهم قالوا يبقى بقاء الذهب...



الصورة 10: مقتطف من مخطوط "رسالة في أعمار الأدوية المفردة والمركبة"
موقع الدكتور يوسف زيدان للتراث والمخطوطات www.ziedan.com

وقد خصص أبو موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله الأندلسي الرندي، رسالة خاصة، للحديث عن أعمار الأدوية المفردة والمركبة (الصورة 10)، مما يفيد بوعي الأطباء والصيادلة المغاربة والأندلسيين بقيمة الموضوع وأهميته.

الأضرار الصحية للمعادن

كما أن للمعادن منافع طبية وفوائد صحية، فإن منها ما يؤثر على صحة الإنسان ويحدث أمراضا في الأبدان. وتتمثل تأثيرات المعادن على الصحة، أحد شقي الجيولوجيا الطبية (Medical Geology)، التي تعترف اهتماما لافتا من الأوساط العلمية في الآونة الأخيرة، لدرجة أنها أصبحت تحتبر اختصاصا جديدا وواعدة في مجال علوم الأرض.

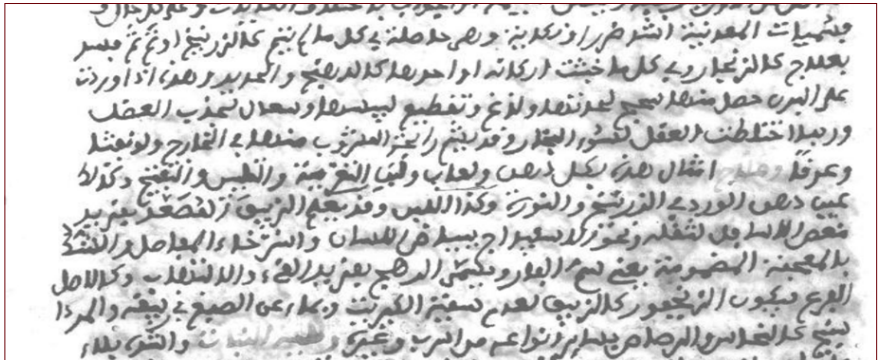
من ذلك ما ذكره الزهراوي في "التصريف لمن عجز عن التأليف" من كون رائحة الكباريت والزرائخ قد تتسبب في الطرش ناهيك عن أضرارها المتمثلة في الدوي والطنين في الأذن²⁴.

وقد ألف موسى ابن ميمون الطبيب المشهور رسالة في علاج السموم وذكر الأدوية النافعة منها ومن النهوش (الصورة 11) ذكر فيها السموم المعدنية كالمركت والزنجار والزرنج. كما وصف لهل عدة علاجات تدخل فيها المواد المعدنية: كالباذر مفردا؛ والزمرد مفردا؛ والباذر+الزمرد؛ والفضة+الكبريت؛ والنقط الأبيض؛ والبورق+الطنرون (على شكل أنفحة)؛ وكذا القيء بالطنرون والماء الحار.

24 - "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة Millet Genel Kültürhanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238. ص: 105 ب.



الصورة 11: مقتطف من مخطوط "الرسالة في علاج السموم المخالطة لبدن الإنسان" لأبي عمران موسى بن ميمون الإسرائيلي. مكتبة دير الإسكوريال همدريد.



الصورة 12: مقتطف من مخطوط "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة". مكتبة دير الإسكوريال همدريد.

وقد تطرق سيدي عبد الله بن عزوز المراكشي في كتابه "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة" إلى سمية المعادن وعلاجاتها (الصورة 12).

ما أدخله الأطباء المسلمون في المادة الطبية.

لقد شكلت الأدوية المعدنية نسبة لا يستهان بها من الأدوية البسيطة الموصوفة في كتب الطب والصيدلة العربية الإسلامية في مختلف المراحل وفي مختلف المواقع.

وقد أدخل الأطباء في الغرب الإسلامي كثيرا من مفردات الأدوية في مادتهم الطبية وأوردوها في كتبهم محلاة بأوصافها وقوة مفعولها، من خلال تقصيصهم لما كان يستعمله أهالي البلاد التي كانوا على اتصال بها وكان يجهلها أهل العلم في ذلك الزمان؛ أو لكشفهم الجديد عنها، فقد أورد ابن البيطار 300 دواء مفرد لم يذكره ديسقوريدس ولا المؤلفون قبله²⁵. ومن الأدوية المفردة التي أدخلها المسلمون عموما في المادة الطبية نذكر: الطباشير والزنجفر والباذهر والياقوت والزمرد والزبرجد والبسد (المرجان) وحجر النار (حجر التورة)²⁶.

الاستعمالات الطبية للمعادن بين التراث المعدني والطبي بالمغرب والأندلس وبين التأريخ المعاصر للعلوم.

لقد بينت الفقرات السابقة، حجم حضور المعادن في الطب والصيدلة المغربية والأندلسية، في الوصفات الطبية وفي المواد والعقاقير الصيدلانية، حيث استخدمت في صناعة وتدبير العديد من الأدوية والعلاجات، سواء بشكل منفرد أو عبر خلطها بمواد أخرى حيوانية أو نباتية أو بهما معا.

وتتأرجح الكتابات المعاصرة لتأريخ تطور التطبيقات الطبية للمعادن، بين مجموعة مواقف يمكن حصر أبرزها في ثلاثة مواقف هي: موقف يتجاهل حضور هذا الموضوع في التراث العربي الإسلامي؛ وموقف يقصر الإسهام العربي الإسلامي في هذا المجال على نقل المعارف القديمة من خلال ترجمة الإنجازات العلمية للحضارات السابقة (اليونانية على وجه الخصوص) ويختصر ما قام به المَعْدُنُون والأطباء والصيادلة المسلمون في دور ساعي البريد دوماً إبداع ودوماً تجديد وموقف ثالث يشير على استحياء إلى إسهام العلم الإسلامي وإبداعه وسبقه في الكشف عن الفوائد الصحية والمنافع الطبية والعلاجية للعديد من المعادن مع التركيز على إبراز الجانب القومي أو الطائفي لهؤلاء المبدعين من علماء المسلمين كالحديث عن القومية الفارسية للرازي أو عن المذهبية الشيعية للبيروني...

وقد اقتصرنا في بيان جزء من هذه المواقف، على ما كتبه الطيبية البرتغالية ماري دو ساميرو باروزو (Maria Do Sameiro Barroso) عن تاريخ الاستعمال الطبي لحجر الباذهر، النافع في مقاومة وعلاج التسممات المختلفة²⁷. وما كتبه الطبيب والمؤرخ الفرنسي جان-جوزيه بوتاريك (Jean-José Boutaric)، حول التطبيقات الطبية لمعدن المغناطيس منذ العهود القديمة إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي²⁸. مع مقارنة أهم ما توصلنا إليه، مع بعض ما أطلعنا عليه من نصوص، في كتب المعادن وكتب الطب والصيدلة عند المسلمين، بخصوص هذين الحجر والمعدن.

■ حجر الباذهر (أو البازهر Bezoar)

ولغته فارسية من "باد" أو "باك" و"زهر" ومعناها روح السم (أي المضاد للسم) أو مظهر الجسد من السم، وتمثل دراسته فضلا

25 "الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب". إشراف د. محمد كامل حسين. 472 ص. ص: 349-350.

26 "الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب". إشراف د. محمد كامل حسين. 472 ص. ص: 350-353.

27 193 pp: Oporto - The Tavora Sequeira Pinto Collection - A Princely Antidote, 208.

28 « 255 pp: Les applications médicales de l'aimant de l'Antiquité au XIX siècle ».

هاما من فصول تاريخ علم السموم (Toxicology). وقد استخدم الأطباء المغاربة والأندلسيين البازهر مبكرا، وتحدث عنه كثير من علمائهم وأطبائهم كالتيفاشي وابن زهر وابن ميمون... كما فرقوا بين ما أصله معدني وما أصله حيواني. وتوجد معادن (مناجم) النوع المعدني في الترخوم بين جزيرة ابن عمرو والموصل وترخوم أرمينية حسبما وقف عليه التيفاشي. وهو نافع من لدغة العقرب فقط وفعاليتها سريعة (يوم وليلة على الأكثر) إذا استخدم طلاء لعلاج مواضع الضرب أو السقوط المتورمة، التي يتغير لونها بالزرق والسواد، كما جرب ذلك التيفاشي غير مرة²⁹؛ أما النوع الحيواني، فهو المطلوب، وهو نافع من السم، قاتلا كان أو غير قاتل، سواء أكان من حيوان أو من نبات أو من جماد³⁰.

لقد دخل استخدام البازهر الحيواني إلى الطب الغربي، خلال القرن الثاني عشر الميلادي عبر البوابة الأندلسية، حيث تعود أولى الإشارات بخصوص استعماله في مقاومة السموم إلى الطبيب الأندلسي المسلم ابن زهر، في حدود 1140م؛ إضافة إلى ما نقله الطبيب اليهودي القرطبي موسى بن ميمون (Maimonides) عن ابن زهر، من أن التجربة قد أثبتت فعالية كل من: بذر الأترج والزمرد والبازهر الحيواني، في مقاومة مختلف السموم الحيوانية والمعدنية والنباتية³¹.

واستخدم البازهر في أوروبا كمضاد للزرنخ (السم الذي كان استخدامه شائعا في الأوساط الأوربية) على نطاق واسع خلال القرن السادس عشر الميلادي، وقد بلغت قيمته حينها أزيد من عشرة أضعاف وزنه ذهبيا، فقد كان عنصرا نادرا وباهض الثمن. وقد دفعت الصعوبة البالغة في الحصول عليه، إلى إنتاج عدد من البازهرات المزيفة الخطيرة على الصحة، والتي تحتوي على مواد عالية السمية بما في ذلك: الزنجفر والزنبق والإمهد. ولعل هذه الأسباب هي التي كانت وراء أقول نجم استخدام البازهر عند نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وتوقف استعماله بداية من سنة 1800م³². وهذه حقيقة أكدها التيفاشي في كتابه "أزهار الأفكار" الذي انتهى من تصنيفه، حسب أرجح الأقوال، عام 1242م حين قال عن البازهر الحيواني: إن المعمول المدلس منه أكثر من الخالص³³. وما يؤكد ذلك، ما رواه والد التيفاشي الذي ذكر مجلسا في قصر ملك المغرب يعقوب المنصور الموحد (توفي سنة 580 هـ/ 1184م) بمراكش، حضره مع طلبة العلم والقاضي والعدول ومقدمي الأطباء ورؤساء العلماء في مختلف الفنون، فطلب خادم الملك الخاص من مقدمي الأطباء والجوهرين، أن يقوموا بمعايرة مجموعة تزيد على مائتي حجر من أحجار البازهر الحيواني بالمحنة والاختبار، فما صح منها عُزل وحُفظ وما لم يصح كُسر وسُحق، ثم يُرد من الصحيح منها عشرة أحجار إلى الملك، ويوزع الباقي على أمناء السوق ومشايخ المناطق داخل المدينة وخارجها، قصد تيسير الوصول إليها على من اضطر إلى شيء منها، قريبا كان أم بعيدا بلديا أم غريبا، وذلك ابتغاء الثنوبة من الله، وأُمتحتن الأحجار، بأن حضرت الأفاعي وأطلقت على الديكة بعد إطعامها حكاكنها، فلم يصح منها إلا أقل من ستين حجر، وسُحق الأحجار المزيفة وفُعل بالباقي ما أمر به الملك³⁴.

لقد عرف استخدام البازهر الحيواني كترياق مضاد للسموم وكعلاج شامل، انتشارا واسعا على المستوى العالمي؛ لكن يُنظر إليه حاليا على أنه دواء تاريخي باهض الثمن ولا فائدة³⁵؛ بيد أنه يستطيع أيضا أن يفعل فعل المواد المازئة (adsorbents) أو فعل عوامل الربط الخلابة (chelating agents)، فقد بينت دراسات مخبرية حديثة أجريت على أحجار البازهر، أن غمرها في محلول يتكون بالأساس من الزرنخ، يؤدي إلى إزالة السم من المحلول، حيث يتفاعل البازهر بطريقة فعالة وبشكل مختلف مع مكونين سامين من مكونات الزرنخ هما: الأرسينيت (الزرنخيت Arsenate) والأرسينيت (الزرنخيت Arsenite)³⁶. وهو ما يتوافق مع إشارة التيفاشي بخصوص خاصية جذب السموم فيه، حيث يقول: "ومن خواصه أنه إذا سُحق ونثر على مواضع النھوش وغيرها جذب السم إلى خارج وأبطل فعله"³⁷.

29 " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ص: 118.

30 " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ص: 125-126.

31 "The Bezoar Stone: A Princely Antidote, The Tavora Sequeira Pinto Collection - Oporto", p: 80.

32 "208-Bezoar stones, magic, science and art", pp: 193.

33 " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ص: 138.

34 " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ص: 140-141.

35 "The Bezoar Stone: A Princely Antidote, The Tavora Sequeira Pinto Collection - Oporto", p: 77.

36 "The Bezoar Stone: A Princely Antidote, The Tavora Sequeira Pinto Collection - Oporto", p: 94.

37 " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ص: 126.

■ معدن المغناطيس

في دراسته القيمة حول التطبيقات الطبية للمغناطيس من العهود القديمة وإلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، يعرض جان-جوزيه بوتاريك، إلى الإشارات الطبية لمعدن المغناطيس في التراث الإغريقي اليوناني والبيزنطي من قبيل: وصف إبقراط هذا المعدن لعلاج عسر الهضم وتحسين خصوبة النساء؛ وحديث ثيوفراستس عن خاصيته العجيبة (إن صحت) المتمثلة في تسهيل الولادة؛ وذكر بليناس لاستعمال الخماهن (الهيماتيت) على وجه الخصوص في طب العيون على شكل مساحيق، وفي علاج الحروق على شكل ذرور (غبار)؛ ووصف ديسقوريدس له ممزوجاً بماء وعسل لعلاج المزاج الغليظ (السيء)، أو كمخدر من خلال ذر مسحوقه على المواضع التي يراد قطعها أو حرقها؛ وتأكيد جالينوس على خواصه المنظفة، وأنه قد ينفع لطرد المزاج السيء من جسم الإنسان؛ وإشارة إيتيوس الأمدي إلى خاصيته في كبح آلام التهاب مفاصل اليدين والرجلين عند إمساكه باليدين؛ ووصف مارسيل الإمبريقي للمغناطيس كعلاج من صداع الرأس. بعد ذلك ينص على أن كتابات العصر الوسيط، قد اكتفت بتكرار نفس الأوهام بخصوص الاستخدامات الطبية لمعدن المغناطيس. وأن الطب العربي لم يشر إلا إلى أمور قليلة جداً عنها.

إذا كانت الكتابات الأوربية في العصر الوسيط (ألبير الكبير مثلاً)، لم تأت بجديد فيما يخص المنافع الصحية للمغناطيس، وإذا كانت مصادر التراث المعدني والطبي المغربي والأندلسي، قد استمرت في ترديد الخصائص الطبية القديمة للمغناطيس من قبيل: التخفيف من آلام الأيدي والأرجل والحد من أوجاع التهابات مفاصلهما؛ وتسهيل ولادة النساء عند الطلق. فلا بد من التنويه إلى أن هذا التراث³⁸، قد نقل لنا عدداً من الاستخدامات الطبية، التي لم تكن معروفة في السابق أهمها:

- فاعلية المغناطيس في علاج النقرس، يقول ابن الجزار: إن المغناطيس ينفع من النقرس في اليدين والرجلين إذا أمسك في اليد وينفع من الكزاز³⁹. بينما لم تعرف أوروبا استخدام المغناطيس لعلاج النقرس والتخفيف من آلام الأطراف إلا في القرن الثامن عشر الميلادي⁴⁰. وقد استخدم الطبيب البلجيكي بيدلر (Beydler) المغناطيس في علاج الإصابات بالتهاب المفاصل سنة 1841م⁴¹؛
- نفع المغناطيس في التخلص من برادة الحديد والسموم التي يخالطها الحديد وعلاج الجراح الناتجة عن حديد مسموم، يقول التيفاشي بخصوص المغناطيس: ومن شرب من سُحَاقَةِ الحديد أو بعض السموم التي يخالطها الحديد أو جُرَحَ بحديد مسموم، ثم سحق هذا الحجر وذيب ببعض اللبن أو بماء فاتر، وسقي المسموم بالحديد فإنه يُفرِّغه من معدته بالقيء حتى لا يبقى منه شيء البتة، ويبطل فعل السم ويُخَلِّص منه⁴²؛
- إخراج قطع الزجاج وقطع المعادن المنكسرة داخل جسم الإنسان، يقول التيفاشي متحدثاً عن معدن المغناطيس: وإذا سُحِقَ وطلي به مع لبن جارية، أخرج الأُرْجَةُ والنُّصُول من اللحم وأبرأ جراحها⁴³. وقد لجأ الطبيب جيمس طومسون (James Thompson) سنة 1876م إلى هذه الفكرة، بهدف استخراج الإبر المنغرس في اللحم، من خلال تطبيق المغناطيس لعدة أيام على الموضع الذي انغrust فيه الإبرة⁴⁴.

خاتمة: في الحاجة إلى تأريخ الإنتاج العلمي والفكري لرموز حضارتنا.

نؤكد في الأخير، على الحاجة الماسة إلى تأريخ الإنتاج العلمي والفكري الهائل (الضائع أو المجهل) لرموز حضارتنا، مساهمة منا في المساعدة على بناء نهضة علمية مستقبلية، إذ بقودة الأسلاف الصالحة تعلق همم الأجيال الحالية والمقبلة، كي تستأنف هذه الأمة دورها الحضاري وتساهم في بناء مستقبل الإنسانية، إلى جانب غيرها من الشعوب ولا تكون عالة على الأمم، أينما توجهها لا تأت

38 نخص بالذكر في هذا المقام، كتب التيفاشي والزهاوي وابن الجزار.

39 "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار". ص: 155. انظر أيضاً كتاب "الاعتماد في الأدوية المفردة" لابن الجزار القيرواني.

40 "Les applications médicales de l'aimant de l'Antiquité au XIX siècle", p: 259.

41 "Les applications médicales de l'aimant de l'Antiquité au XIX siècle", p: 260.

42 "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار". ص: 155.

43 "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار". ص: 155.

44 "Les applications médicales de l'aimant de l'Antiquité au XIX siècle", p: 260.

بخير. والواجب يقضي أن يقوم المسلمون بدورهم الكامل في إعادة توجيه بوصلة العلم، بعد أن بدأ يتيه عن الطريق الصحيح في ظل الريادة الغربية الحالية، إذ لا مستقبل للإنسانية بلا نهضة علمية وأخلاقية في الوقت نفسه.

لائحة المصادر.

المصادر العربية.

كتب مطبوعة:

- ابن البيطار (1992): "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية". دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط: 1. 4 مجلدات.
- "ابن البيطار" الجامع لمفردات الأدوية والأغذية". موقع الوراق. المكتبة التراثية. <http://www.alwaraq.net>
- ابن سينا أبو علي الحسين (1999): "القانون في الطب". حاشية محمد أمين الضناوي. منشورات: محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط: 1. 3 أجزاء.
- ابن الوردي سراج الدين عمر بن المظفر (2014): "خريدة العجائب وفريدة الغرائب". تحقيق: حماد الله ولد السالم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: 1. 302 ص.
- إخوان الصفا (1995): "رسائل إخوان الصفا وعلان الوفاق". إعداد وتحقيق: عارف تامر. منشورات عويدات. بيروت-باريس. ط: 1. 5 مجلدات. الطبعة 1.
- إخوان الصفا: "رسائل إخوان الصفا". موقع الوراق. المكتبة التراثية. <http://www.alwaraq.net/Core/waraq/> coverpage?bookid=69
- أدخل بالينثيا (2008): "تاريخ الفكر الأندلسي". ترجمة: حسين مؤنس. الطبعة 2. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. مصر. 799 ص.
- البيروني أبو الريحان (2010): "الجماهر في معرفة الجواهر". ويليهِ "إعلام الأمجاد بأحوال الجماد". عبد الرؤوف المناوي. ويليهِ "نخب الذخائر في أحوال الجواهر". محمد بن إبراهيم ابن الأكفاني. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. الطبعة 1. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 384 ص.
- البيروني أبو الريحان (1950م/1370هـ): "كتاب الصيدنة في الطب". تصحيح ومقدمة وحواشي: عباس زرياب. مركز نشر دانشكاهي. طهران. إيران. 808 ص.
- التيفاني أحمد بن يوسف (2010): "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار". تحقيق وتعليق وشرح: محمد يوسف حسن ومحمود بسيوني خفاجي. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ط: 2. 327 ص.
- حسين محمد كامل (؟؟؟؟): "الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب". 472 ص.
- الدمشقي شمس الدين (1865): "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر". مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية. بطرسبورغ. 385 ص.
- الرازي أبو بكر محمد بن زكريا (2000): "الحاوي في الطب". مراجعة وتصحيح: محمد محمد إسماعيل. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: 1. 7 مجلدات. 3945 ص.
- السامرائي عبد الحميد (2008): "الصناعات الدوائية الأندلسية". مجلة (سر من رأى). المجلد: 4. العدد: 11. السنة: 4. ص-ص: 153-135.
- الغساني شمس الدين محمد بن أحمد بن صفر (2012): "نزهة الأبصار في خواص الأحجار". تحقيق: أحمد عبد الباسط حامد وأحمد عبد الستار. ط: 2. سلسلة رسائل تراثية. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. 136 ص.
- القزويني زكريا (2006): "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات". مكتبة الأمانة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. ط: 2. 405 ص.

مخطوطات:

- ابن محمد السوسي: "التجارب الطبية". مخطوط. الخزانة الملكية. الرباط.
- ابن بكلارش الإسرائيلي: "المستعيني في الأدوية المفردة". مخطوط. الخزانة الوطنية. الرباط.

- ابن الجزار القيرواني: "الاعتماد في الأدوية المفردة". مخطوط. الخزانة الوطنية. الرباط.
- ابن زهر أبو العلاء: "جامع أسرار الطب". مخطوط. الخزانة الملكية. الرباط.
- ابن عزوز أبو محمد بن عبد الله المراكشي: "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة". مخطوط. الخزانة الوطنية. الرباط.
- ابن عزوز أبو محمد بن عبد الله المراكشي: "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب والطبائع والحكمة". مخطوط. مكتبة دير الإسكوريال. مدريد.
- ابن فرج محمد بن علي الفهري: "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام". مخطوط الخزانة الملكية. الرباط.
- ابن ميمون أبو عمران موسى القرطبي الإسرائيلي: "الرسالة في علاج السموم المخالطة لبدن الإنسان". مخطوط. مكتبة دير الإسكوريال. مدريد.
- البعقلي محمد بن أحمد: "مجموع المنافع في الطب النافع". مخطوط. الخزانة الملكية. الرباط.
- الرندي أبو موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله الأندلسي: "رسالة في أعمار الأدوية المفردة والمركبة". مخطوط. موقع الدكتور يوسف زيدان للتراث والمخطوطات www.ziedan.com.
- الزهراوي أبو القاسم خلف بن عباس: "التصريف لمن عجز عن التأليف". المقالة 1 والمقالة 2. مخطوطة 2 Millet Genel Kültürphanesi. قسم Resid ef. رقم: 1238.
- الزهراوي أبو القاسم خلف بن عباس: "مختصر في منافع المفردات وخواصها". مخطوط. المكتبة الوطنية. الرباط.
- الغساني الوزير: "الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون". مخطوط. الخزانة الملكية. الرباط.

المصادر الأعجمية:

- BOISLEVE Jacques B. (2010): "Les métaux toxiques". 10 p. www.sante-vivante.fr.
- BOUTARIC Jean-José (1994): "Les applications médicales de l'aimant de l'Antiquité au XIX siècle". Jean-José BOUTARIC. Dans (Histoire Des Sciences Médicales). Tome XXVIII. N° 3. pp: 255263-.
- CHEVEAU Loïc (2015): "Alerte à la toxicité de l'aluminium". Sciences & Avenir.
- https://www.sciencesetavenir.fr/sante/alerte-a-la-toxicite-de-l-aluminium_28665;
- 11 th keel Meeting. Book of Abstracts. <https://www.keel.ac.uk>.
- DO SAMEIRO BARROSO Maria (2014): "The Bezoar Stone: A Princely Antidote, The Tavora Sequeira Pinto Collection – Oporto". Actamed-hist Adriat. 12(1). 7798-.
- DUFFIN Christopher J (2013): "Geology as Medecine and Medics as Geologists". In "A History of Geology and Medecine". Duffin, C.J., Moody, R. T. J. & Gardner-Thorpe, C. (eds). Geological Society. London. Special Publications, 375. Pp :16-.
- DUFFIN Christopher J (2013): "Bezoar stones, magic, science and art". In "A History of Geology and Medecine". Duffin CJ, Moody RTJ, Thorpes C (eds). Geological Society of London. Special Publication 375. pp: 193208-.
- PILETTE Jean (2009): "Aluminium & vaccins". Nouvelle édition. 162p.
- www.fichier-PDF.fr.



المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

نصوص طبية مغربية وأندلسية في دمشق العثمانية: مخطوطات عبد الواحد ابن دلاج المغربي وابن جاني الأندلسي

ذ. بلال الداهية

أستاذًا للتعليم الثانوي التأهيلي لمادة التاريخ والجغرافيا
باحث في التاريخ/ تطوان

تقديم

عرف العصر الحديث الكثير من الهجرات من غرب العالم الإسلامي نحو مشرقه، وكان المهاجرون على كثرتهم ذوي أصول وغايات وأهداف مختلفة من هجراتهم هذه، فكان فيهم التاجر والصانع والفلاح والعسكري وطالب العلم والعالم... وشكلت طبقة العلماء شريحة مهمة من المهاجرين ذوي الأصول المغربية والأندلسية، وقد قويت هذه الهجرات بعد سقوط الأندلس ونهاية دولة الإسلام فيها، فنتجت عنه هجرة طبقة مهمة من العلماء نحو المشرق المملوكي أولاً ثم العثماني ثانياً.

وكانت فئة الأطباء من أكثر فئات العلماء المهاجرين إلى المشرق العثماني، فقد كانت الدولة العثمانية بحاجة إلى خبرتهم، خاصة الأطباء الأندلسيين، فإنهم كانوا على صلة بالغرب الأوروبي وكان بعضهم على دراية ببؤادر التقدم والنهضة الطبية في أوروبا في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وإنه لمن دواعي سروري أن أشارك بهذه الورقة المختصرة في هذا المؤتمر العلمي الحافل حول مساهمة الأطباء الأندلسيين والمغاربة في تطور الطب في الدولة العثمانية، وحول آثار اثنين منهم ممن عاشوا في مدينة دمشق، إحدى أكبر حواضر الدولة العثمانية يومها، وتراثهما المخطوط أعني عبد الواحد ابن دلاج المغربي وشعبان بن إسحاق ابن جاني الأندلسي.

وسنحاول في نهاية الورقة الافتتاح على إشكالية مهمة: إلى أي حد ساهمت الهجرة الأندلسية في تعريف العثمانيين بالطب الأوروبي؟ وما مصير هذا التعرف؟ وهل تأخرت معرفة العثمانيين بالطب الأوروبي فعلاً إلى نهاية القرن الثامن عشر مع بداية الطباعة الرسمية والترجمة من اللغات الأوروبية وإرسال البعثات الطلابية نحو أوروبا؟ أم أن احتكاك العثمانيين بالطب الأوروبي هو سابق على ذلك؟

الأطباء الأندلسيون والمغاربة في الدولة العثمانية

لا نصادف الكثير من الأسماء البارزة في مجال الطب في الدولة العثمانية من المهاجرين المغاربة أو الأندلسيين قبل عام 898 هـ/ 1492م تاريخ سقوط دولة بني الأحمر في الأندلس، وهو التاريخ الذي ستعرف البلاد المشرقية انطلاقاً منه ووصولاً إلى مطلع القرن السابع عشر الميلادي تدفق الكثير من المهاجرين خصوصاً من غرناطة، وسرغان ما ظهر بينهم أو بين أبنائهم الكثير من الأطباء البارعين الذين بلغوا شأنًا كبيراً حتى في قصور السلاطين والأمراء.

كان عبد السلام المهتدي (كان حيا سنة 918 هـ/ 1512م)، واسمه الأصلي إلياس بن إبراهيم، أول الأطباء الأندلسيين ذوي الصيت في الدولة العثمانية، وقد خلف رسالة لا تزال مخطوطة عنوانها "مِجَنَّة الطاعون والوباء" ألفه بطلب من السلطان بايزيد الثاني بمناسبة وقوع زلزال في اسطنبول خشي السلطان أن يتبعه انتشار الوباء بسبب تعفن الجثث، وقد جعله في مقدمة وأربعة أبواب: الأول عن الورم الوبائي، والثاني عن أعراض مرض الطاعون، والثالث في تدابير الوقاية منه، ثم الرابع في العلاج من هذا المرض.

أقدم ما بين أيدينا اليوم من نسخ هذا المخطوط توجد ضمن مقتنيات مكتبة قطر الوطنية¹، وتعود إلى عام 996 هـ/ 1588م وقد كتبها ناسخها في ولاية بودين العثمانية. وتوجد من الرسالة نسخة أخرى في تشستر بيتي في العاصمة الأيرلندية دبلن رقم 3676 ضمن مجموع²، وأخرى في خزانة أسعد أفندي في اسطنبول رقم 2483 ضمن مجموع أيضا.

أسلوب المهتدي في رسالته تقليدي، واعتماده بالأساس على مؤلفات أبقراط وجالينوس وابن سينا وغيرهم من الأطباء القدماء، ولكنه يصرح في المقدمة بأن الكلام النظري في الطب أقل أهمية بقدر ما تهتم التجارب، وهذا هو مذهب أغلب أطباء النصارى في زمانه كما يقول، وعليه فإنه يقدم في رسالته الكثير من النصائح التي جربها في حياته وتمكن من خلالها من علاج حالات من مرض الطاعون³. وقد بقيت هذه النصائح تحظى بالاهتمام والعناية إلى وقت جد متأخر من عمر الدولة العثمانية، حيث نجد السيد أحمد العمري الدمشقي يترجم هذه الرسالة إلى التركية العثمانية عام 1894م بمناسبة وقوع وباء "الهواء الأصفر" أي "الكوليرا" ويهديها إلى السلطان عبد الحميد الثاني تحت عنوان "التوقيفات الحميدية في دفع الأمراض الوبائية"⁴.

في عام 899 للهجرة/ 1493م خرج طبيب أندلسي يهودي آخر من غرناطة يدعى يوسف ابن هامون وخلف في اسطنبول ولدا كان أمهر منه في الطب هو موسى بن يوسف ابن هامون (هامون زاده) وقد جعله السلطان سليمان القانوني طبيبا له واصطحبه إلى وقعة موهاج Mohács المشهورة عام 1526م مع لايشو الثاني Lajos II ملك المجر. وله تأليف كثيرة في الطب وفي صناعة الساعات والفلك جلها بالعربية. وكان يلقب ب"جالينوس الإسرائيلي" أو "موشي غالينو" Moisés Galeno بالإسبانية، وكان عارفا بها كمعرفته بالعربية والعربية والتركية والفارسية.

عثرنا قبل مدة على واجهة مخطوط "رسالة في الحُمَام" 5 لبدر محمد بن محمد الدين القوصوني الطبيب المملوكي ثم العثماني الكبير⁶، وهي رسالة لطيفة في فوائد الاستحمام وأهميته الطبية، وعليها إضافة خارجة عن النص، قد تكون بخط داود الأنطاكي صاحب "التذكرة" في الطب. يحيي فيها حادثة فريدة وقعت بين ابن القوصوني وابن هامون.

في عام 955 للهجرة/ 1548م أصيب سليمان القانوني بمرض النقرس - وهو نفس المرض الذي سبب فيه لاحقا وموت به - فاستدعى ابن القوصوني إليه من مصر إلى اسطنبول فوقع جدال بينه وبين ابن هامون في علاج المرض، فحرب علاج اليهودي أولا فلم ينفذ، وجرب علاج القوصوني فنفذ، وشفي السلطان من وعكته. فكانت النتيجة أن أقصى ابن هامون من بلاطه وعين ابن القوصوني "حكيمباشي" أي رئيسا للأطباء، وصار لا يفارقه ساعة، ولا يتناول شيئا حتى يعرضه عليه. إلا أنه حسب هذا النص "كان متضجرا من منصبه، يود الخلاص منه، استأذن في الحج مرارا فلم يؤذن له"⁷. ونال هذا الطبيب عند السلطان سليم الثاني أيضا منزلة عظيمة كمنزلته عند أبيه، وحج في زمانه مع عمه ومع الوزير سليمان باشا الخادم. وكانت وفاته عام 976 للهجرة في دار السعادة، أما ابن هامون فتوفي قبله عام 961/ 1554م في دولة سليمان القانوني. أما عطائي فيقول: إن السبب في غضب السلطان على ابن هامون أنه حينما أصيب بالنقرس استدعاه

1 انظر الملحق 1

2 انظر الملحق 2

3 مجنة الطاعون والوباء: 6

4 Scholars of Andalusian Origin and their Contribution to Ottoman Science. P. 16

5 انظر الملحق 3

6 أسرة "القوصوني" أسرة مصرية مملوكية من "أولاد الناس" أي أولاد الأمراء، وربما تكون منسوبة إلى أمير يدعى "قوصون"، وهو - مثلا - اسم سيف الدين قوصون المتغلب على السلطنة بعد الناصر محمد بن قلاوون. وكان أول من عرف منها عبد الوهاب بن صدقة القوصوني المتوفى عام 835 للهجرة، ثم ولده شمس الدين محمد الذي صار رئيس الأطباء بمصر، وسقطت دولة الأمراء في أيامه وآلت مصر إلى الدولة العثمانية وتوفي بعد الفتح العثماني بعشر سنين، وخلفه ولده بدر الدين محمد بن محمد القوصوني وكان أبوه وسماه العثمانيون "قيسوني زاده".

7 رسالة في الحمام: 1.

فلما قدم وضع يده على قدم السلطان فزال عنه الألم فوراً، فلما كان من الغد تجدد الألم من جديد، فلما حضر ابن هامون وأراد أن يضع يده على قدم السلطان من جديد أوقفه ابن القوصوني وطلب منه أن يغسل يديه قبل أن يضعها على القدم، وبالفعل فإنه بعد أن غسل يده ووضعها على قدم السلطان لم يسكن ألمه كما حدث في المرة الأولى، فكشف ابن القوصوني للحاضرين أن ابن هامون كان يدهن يده بالأفيون ليسكن به الألم مؤقتاً. فاندعمت ثقة السلطان فيه وعزله من منصبه وقرب ابن القوصوني بدله.⁸

رغم فقدانه منصبه في آخر حياته فإن ابن هامون خلف عدداً مهماً من المؤلفات الطبية التي يعتبر أكثرها اليوم في حكم المفقود، بعضها عبارة عن شروح ومختصرات: كـ "اختصار كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير" لعلي بن ريان الطبري، و"اختصار كتاب النهج الواضح لأمين الدولة أبي الحسن بن زغال السامري"، و"مختصر مقالة أبي الحجاج يوسف الإسرائيلي في الأغذية اللطيفة والكثيفة"، و"مختصر مقالة ابن البودي في وجع المفاصل"، و"مختصر مقالة ابن ميمون في البواسير"، ومختصر مقالة ابن ميمون في السموم والتحرر من الأدوية القتالة".

ولكن التجديد عند ابن هامون يظهر أكثر في ثلاثة أعمال خاصة: الأول عنوانه "مقالة في بساتين حلب وفواكهها ومنافعها"، والثاني عنوانه "مقالة في هواء حلب"، يشرح في كلتا الرسلتين خواص هواء حلب والقرى المحيطة بها، وما تحتويه بساتين هذه القرى من أجنة الفواكه، وما يناسب الصحة منها، وما يفيد في علاج بعض الأمراض، وفي الرسلتين تحسين لمناخ حلب ومائها على العموم مبني على التجربة الشخصية.

أما النص الثالث فعنوانه "رسالة في طبائع الأدوية واستعمالها" وهو الوحيد من بين هذه المؤلفات المكتوب بالتركية العثمانية لا بالعربية، ويعتمد ابن هامون فيه على كتابات ابن رشد وعلى نصوص بعض الأطباء الأوروبيين الذين عاشوا في نهاية العصر الوسيط وبداية عصر النهضة كـ "أرنولدو دي بيانوبا" Arnoldo de Villanova، وقد أتى فيه بتقسيم جديد للأدوية حيث جعلها نوعين: الأدوية الصديقة، والأدوية العدو. وقد انتقد الكثير من الأطباء العثمانيين هذا التقسيم، ووصفوه بـ "الدخيل" و"الغير سليم". ويعتبر ابن هامون أن الكثير من الأطباء يخطئون حينما يركبون الأدوية والعقاقير من مواد تختلف طبيعتها كيميائياً، وبالتالي فإن أول ما يجب على الصيدي أن يعرفه هو خواص المواد وتركيبها.⁹

في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي وفد على الدولة العثمانية أيضاً محمد بن أبي العاص الأندلسي، وهو طبيب من الأندلسيين الأواخر استقر في تونس ثم في اسطنبول، وآخر معلوماتنا عنه أنه امتحن التجارة في القاهرة واستقر في الديار المصرية. وقد خلف هذا الطبيب بعض الآثار، عثرنا منها على رسالتين: إحداها في "معرفة دلائل النبض" 10 حيث يعرف معنى النبض وبعض الأمور التي يمكن الاستدلال عليها من خلاله. في حين جعل عنوان الثانية "رسالة في تحقيق الوباء" 11 وهي رسالة كتبها بطلب من شيخ الإسلام أسعد أفندي في خصائص الطاعون وأساليب مكافحته.

وإذا كانت هذه الأسماء كلها قد أفادت الطب في الدولة العثمانية، فإن نصيب بلاد الشام من الأطباء المغاربة والأندلسيين سيكون أيضاً مهماً، وذا أثر بالغ، ومن جملة هؤلاء الأطباء عبد الواحد ابن دلاج المغربي وابن جاني الأندلسي.

عبد الواحد ابن دلاج المغربي

لا توفر لنا المصادر التاريخية الكثير من المعلومات حول شخصية ابن دلاج، فكل ما نعرفه عنه أن أصله من المغرب وأن اسمه أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد ابن دلاج المغربي، وأنه مالكي المذهب، نزل مدينة دمشق واستقر بها. تتلمذ ابن دلاج على المؤرخ الدمشقي الكبير شمس الدين ابن طولون الصالحي وأخذ عنه علم الحديث، ثم نبغ في الفقه المالكي، وتولى التدريس في مدرسة الكلاسة بجوار الجامع الأموي. ونظراً لبراعته في الطب فقد ولي في آخر الأمر النظارة على البيمارستان النوري أكبر وأهم

8 Scholars of Andalusian Origin and their Contribution to Ottoman Science. P. 22

9 التراث العلمي العثماني: 199 – 195 / 2.

10 انظر الملحق 4

11 انظر الملحق 5

بیمارستانات دمشق في زمانه، توفي سنة 944 هـ/ 1537م.

وقد ترك ابن دلاج الكثير من الأعمال الطبية التي لا تزال كلها مخطوطة، ومنها:

■ عقود الجمان فيما يلزم من ولي البیمارستان 13

رسالة عثرنا على نسخة منها في الخزانة الوطنية الألمانية في برلين رقم 134 Glaser ضمن مجموع، وعدد أوراقها عشرة بخط ممتاز، من الورقة 125 إلى 134 ب.

ألف ابن دلاج هذه الرسالة بناء على طلب الشريف حسين بن محمد ناظر البیمارستان المنصوري في القاهرة، في تحديد بعض القواعد العامة لعلم الطب وبعض الأمراض التي لا علاج لها، وقد قسمها إلى بابين.

يتعلق الباب الأول بما يجب على الطبيب أن يعرفه، ويتعلق فصله الأول بأنواع الأمراض وهي في رأيه نوعان: ما يمكن شفاؤه، وما يستحيل شفاؤه. فمن آداب الطبيب أن يعمل جهده الكامل في معالجة النوع الأول، أما النوع الثاني فيرى ابن دلاج أنه من واجب الطبيب أن يخبر المصاب بالمرض أنه لا أمل من علاجه، وألا يجتهد في التجربة في جسد المريض "فإنه يرتكب مفاسد كثيرة منها ظهور كذبه عند الناس، وعدم الوثوق بقوله وفعله، ومنها تضییع زمنه وتعبه من غير نتيجة، ومنها تعذيب المريض بمقاساة ألم الأدوية، ومنها تضییع المال من غير نفع، بل ربما أدى علاج المرض الميؤوس الشفاء إذا كان غير قتال إلى حدوث مرض قتال، ومنها تكذيب العامة هذه الصناعة..." 14.

أما الفصل الثاني فهو في الأمراض المعدية، ويعتبر ابن دلاج أنه من آداب الطبيب أن يعرف الأمراض التي تنتقل بالعدوى، وبالتالي يجب عليه أن ينصح بعزل المصابين بها وعدم إدخالهم إلى البیمارستان حتى لا يتسببوا في المزيد من تفشي العدوى بين نزلائه. ومن النقاط المهمة التي أشار إليها في هذا الفصل ظهور شرب القهوة في زمانه وتصنيفها إلى بنية وقشرية، وهو وإن كان لم يقر بضرر تسببه فإنه نهى الذين يعانون من مشاكل جنسية عن ملازمة شربها بشكل دائم. 15.

أما الباب الثاني فهو بمثابة مختصر للأمراض المعروفة التي تصيب جزءاً محدداً من الجسم من الرأس إلى القدم، وفيه عشرة فصول: الأول في أمراض الرأس والعين، والثاني في أمراض الأذن والأنف واللسان والأسنان، والثالث في أمراض الحلق والعنق، والرابع في أمراض الصدر والرئة، والخامس في أمراض القلب، والسادس في أمراض الكبد، والسابع في أمراض المرارة والطحال والكلية والمثانة، والثامن في أمراض الأمعاء والمعدة، والتاسع في أمراض الجهاز التناسلي الذكري والأنثوي، والعاشر والأخير في أمراض الجلد والأعضاء الظاهرة من الجسد.

■ تحفة المحب في صناعة الطب 16

مؤلف طبي متكامل بابن دلاج عثرنا على نسخة منه في خزانة نور عثمانية في اسطنبول ضمن مجموع رقم 3470 في 64 ورقة كثيرة الهوامش، والنسخة من تحرير السيد مراد بن عبد الغني في مدينة دمياط المصرية عام 1002 هـ.

يتضمن هذا المخطوط الطبي خمس "مقالات":

- المقالة الأولى: فيها أربعة أبواب: الأول في معنى الطب وموضوعه وفضله وأصله، والثاني في حد المزاج وعدده، والثالث في علامة المزاج المعتدل وعلامة غيره من الأزجة، والرابع في معرفة الامتلاء وعلامته.

12	الكواكب السائرة: 2 / 145.
13	انظر الملحق 6
14	عقود الجمان: 126
15	نفسه: 127.
16	انظر الملحق 7

- المقالة الثانية: في حفظ الصحة لمزاج البدن كله. وتضم خمسة أبواب: الأول في تدبير الهواء والفصول الأربعة والثاني في تدبير السكون والحركة، والثالث في تدبير الطعام والشراب، والرابع في تدبير النوم واليقظة، والخامس في تدبير الاستفرغات الطبيعية واحتقانها وهو يتعلق بمفاهيم الفصد والقيء والاحتقان والجماع والحمام والتبول والبراز والعرق والحيض ومنافع وأضرار كل واحدة منها.
- المقالة الثالثة: في حفظ صحة مزاج كل عضو على حدة. وفيه أربعة أبواب: الأول يتعلق بحفظ الرأس والشعر والدماغ والبصر والسمع. والثاني في حفظ الشم والفم وعناصره والصدر والرئة والمعدة وفمها وعلاج ما يصعب من أمراضها. والثالث في حفظ صحة الكبد والطحال والقلب والنفس والمرارة. والرابع في حفظ صحة الأمعاء والكلى والمثانة والجهاز التناسلي والمؤخرة وعلاج مشكلة البواسير.
- المقالة الرابعة: في علاج الأمراض جملة. وفيه ثلاثة أبواب: الأول في تعريف المرض وأسبابه والأحوال المتعلقة به، والثاني في وصايا الحكماء والأطباء الأقدمين وأهمية الحمية في محاربة الأمراض. والثالث في أصول العلاج وعلاج العلل الدموية والصفراوية والبلغمية والسوداوية.
- المقالة الخامسة: في الأدوية المركبة، ويضم ستة أبواب: الأول في المغالي، والثاني في المنقوعات والمطابخ، والثالث في الأشربة، والرابع في المسهلات، والخامس في المجاورة، والسادس في السفوفات والحبوب والحقن.

رغم المعلومات الطبية الغزيرة التي يقدمها فإن "تحفة المحب" لا يخرج عن الإطار التقليدي، وقليل ما يتحم التجربة في فصوله بقدر ما يكثر من النقل عن إبقراط وجالينوس وابن سينا وغيرهم من أطباء العصور القديمة والوسطى.

■ كفاية المتراض في علمي الأبوال والأنباض 17

أرجوزة في 114 بيتا نظمها عبد الواحد المغربي في علم النبض وفي أحوال المسالك البولية، ودلالات البول وخصائصه على الأمراض أو على الصحة. وقد عثرنا منها على نسختين كلتاهما في خزانة نور عثمانية في اسطنبول: الأولى ضمن المجموع السابق 3470 من الورقة 65 إلى 69. والثانية ضمن مجموع رقم 3602 من الورقة 23 إلى 28.

مطلع هذه المنظومة:

بسم الله الرحمن الرحيم	رب يسر يا كريم
قال الفقير وهو عبد الواحد	المرتجي في فضل الكريم الماجد
الحمد لله الحكيم الباري	ثم صلاته على المختار
وأله وصحبه ذي القرب	ما عدل النسيم حر القلب
وبعد فالنبض دليل صادق	يعرفه من الأطباء الحاذق
وبعده في الرتبة القادورة	أحوالها معلومة مشهورة
وقد عفت رسوم هذين ولمن	أجد طبيا فيها له قدم
فرمت أن أنظم في هذين	أرجوزة شبيهة اللجتين

وآخرها:

والفرق بين سائر الأبوال	وغيرها من مائع سيال
أن جميع المايعات كلما	قربتها ازدادت صفاء محكما
والبول قالوا بخلاف ذاكا	فافهم مقالي واشكرن مولانا
وأن أن أختم من نظمته	بحمد مولانا تعالى ذاته
مصليا على النبي التهامي	مدى الدهور ومدى الأيام.

■ ضوء السراج في معرفة ما يدل عليه الصوت والعين من القوى والضعف والمزاج 18

أصغر مؤلفات ابن دلاج، وهي رسالة صغيرة في الاستدلال على صحة أو مرض الشخص من صوته ومن حالة عينه. وقفنا عليها هي الأخرى ضمن مجموع نور عثمانية نفسه رقم 3470.

يصنف المؤلف أنواع الأصوات البشرية وأشكال العيون وفق نظرية الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، مؤكداً أنه لا أحد من الأطباء قبله سبقه إلى التأليف في هذا الباب، ويخلص في النهاية إلى مجموعة من العلل التي يدل عليها الصوت وشكل العين وذلك في قوله: "أعلم أن اضطراب الكلام وعدم انتظامه يدل على آفة بالدماغ، وكذلك التردد في بعض الحروف الباردة كالتاء والغين والراء ونحوها يدل على آفة بالدماغ باردة رطبة، وكذلك عدم الكلام، أو إخفاؤه من غير مقتضى يدلان على فكر فاسد، وتقطع الكلام والصوت والتنحنح وعدم الإتيان بالكلام متصلاً طلباً للنسيم يدل على آفة بالصدر، والتنهد والتأوه يدلان على غم وهم بالقلب، وخفاء الصوت يدل على آفة بالكبد، لا سيما إذا حصل ورم بالجفن الأسفل من العين، وكثرة المد في الكلام يدل على برد في العصب والظهر ونحو ذلك، وقصر الممدود يدل على يبس في البدن، وغور العين مع عدم الحدة يدل غالباً على حصول استفراف، وورم الجفن الأسفل يدل على ضعف الكبد، والأعلى على ضعف الدماغ والمعدة، وجحوظ العين وحمرتها على ورم في الدماغ أو في بعض أعضائه، وصفرتها للغاية تدل على علة في المرارة".

■ الروض المأنوس في ترياق الماثروديطوس 19

من نوادير مؤلفات عبد الواحد المغربي، كتبه قطعاً في دمشق كما ورد في النص، ولم أقف منه إلا على نسخة وحيدة ضمن مخطوطات مكتبة غوتا بجامعة أرفورت في ألمانيا، رقم Or. A 2016 ويقع في ثلاثة وعشرين صفحة بخط مقروء.

تتعلق هذه الرسالة بموضوع شغل بال الأطباء في الأزمنة السالفة، أعني الترياق الذي اخترعه الملك ميثريديس السادس الملقب بـ"أوباتور" Mithridates VI Eupator ملك مملكة بونتس Pontus القديمة في شمال الأناضول على البحر الأسود والذي كان يُعتقد أنه ابتكر ترياقاً مضاداً لكافة أنواع السموم، فقد كان هذا الملك في حروب متواصلة مع الرومان، وكان أعداؤه الداخليون من الكثرة بحيث لم يكن يأمن على حياته، وقد أنهىها في آخر المطاف منتحراً. وقد تكلم الكثير من الأطباء المسلمين عنه كابن سينا في "القانون". أما ابن دلاج فالفريد هنا في تأليفه أنه إلى جانب تقديم الخلطة التي ينجز منها هذا الترياق المزعم فإن كتابه يحتوي ترجمة من كتاب أجنبي لا نعلم هل هو باليونانية أو اللاتينية. وهي واحدة من أقدم الترجمات الطبية العربية في العصر الحديث كله وفي الدولة العثمانية على العموم.

سبب تأليف هذه الرسالة حسب ما يذكر المؤلف هو كثرة "الجهلة" 20 حسب تعبيره الذين لم يقدرُوا هذا الترياق حق قدره وبالغوا في التطفل عليه وعلى طريقة تركيبه وعلى خصائصه ومنافعه وأضراره إفراطاً وتفریطاً، وابن دلاج يقر في البداية بأن هذا الترياق مثله مثل غيره من الأدوية والترياقات المركبة ينفع المريض ويضر الشخص السليم، وينبغي استعماله لدفع السموم وليس لعلاج بعض الأمراض التي لا علاقة لها به.

تتكون الرسالة من ثمانية فصول: الأول في معرفة مزاج ترياق الماثروديطوس ودرجته، والثاني في منافعه والمقدار الذي يجب أن يستعمل منه لدفع الآلام والسموم، والثالث في بعض مفردات المواد المكونة للترياق وخصائصها، وفي هذا الباب استطرادات كثيرة حيث نجد المغربي يذكر بعض مستجدات عصره كالقهوة التي يصفها بأنها تنفع بعض الناس وتضر البعض الآخر حسب أمزجتهم، ويذكر الأفيون وحشيش القنب ويعتبرهما من المواد الضارة ومن جملة السموم التي قد تنفع المزاج فور تناولها ثم تضره بعد ذلك، والباب الرابع في مكونات هذا الترياق مع تصنيفها إلى حارة وباردة. والباب الخامس في تفسير سبب تعقيد وكثرة مكونات هذا الترياق. أما الباب السادس فيخص المقدار والكمية المحددة من كل مفرداته المكونة له. والسابع في بعض المكونات البديلة في حالة

18 انظر الملحق 9

19 انظر الملحق 10

20 الروض المأنوس: 2.

عدم توفر بعضها، ويقر المؤلف في هذا الباب أن بعض المواد التي استعملها الملك ميثريدات هي مفقودة أو نادرة في زمانه، وبالتالي يقترح بعض المكونات لتعويضها. والباب الثامن والأخير في كيفية خلط هذا الترياق ومزج مكوناته مع بعضها البعض.

شعبان بن إسحاق ابن جاني وكتابه "الرسالة الدامغة لمن ينكر خواص التابغة"

لا توجد أية ترجمة فيما بين أيدينا من كتب التراجم لهذا الرجل، كل ما نعرفه عنه أنه يهودي الديانة، وأنه عاش في دمشق في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وبداية السابع عشر. وقد وقع جدل كبير حول أصله، فكان موريتس شتاينشنايدر Moritz Steinschneider سنة 1897 قد اعتبره دمشقياً من طائفة القرائين 21، وكانت القرينة التي بنى عليها اعتقاده هذا أن نص رسالته "الرسالة الدامغة لمن ينكر خواص التابغة" في نسخته العبرية الموجودة في برلين هي بخط دانيال بن موسى بن اشعيا فيروز اليهودي، واسم "شعبان" النسخة العربية من الاسم العبري "اشعيا". وبالتالي فإن المحرر هو حفيد المؤلف.

لكن صامويل بوسنانسكي Samuel Poznanski اعتماداً على وثائق أنساب عائلة فيروز اليهودية الدمشقية المنتمية إلى طائفة القرائين تأكد من أن ابن جاني ليس هو شعبان المذكور، إذ لا يوجد اسم جاني ولا إسحاق في الشجرة، ثم أثبت أن ابن جاني هو من يهود الأندلس المهاجرين إلى دمشق، وأن لقب ابن جاني في الحقيقة هو تحريف لـ "الجاني" نسبة إلى حاضرة جيان الأندلسية 22.

تتعلق الرسالة بموضوع طبي من مواضيع ذلك العصر، وهو موضوع التبغ، وإضافة إلى النص العبري من الرسالة الدامغة، فإن ابن جاني حرر لها مقابلاً عربياً، وتوجد نسخة منه في الخزنة الظاهرية في دمشق ضمن مجموع مكون من حوالي 200 صفحة رقمه 7136، والفريد في هذه النسخة الوحيدة من هذا المخطوط أنها من نسخ العلامة الصوفي الكبير عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي. وهو موضوع سنعود إليه لاحقاً.

تعد "الرسالة الدامغة" واحدة من أقدم الترجمات العربية من اللغات الأوروبية الحديثة لمؤلف متعلق بالطب والصيدلة، إلا أن الرسالة ليست كلها ترجمة لعمل الصيدي والطبيب الإسباني نيكولاس مونارديس Nicolas Monardes، بل هي ترجمة لفقرات فقط مع التعليق عليها، ذلك أن ابن جاني كان يختلف مع العالم الإسباني في الكثير من التفاصيل حول موضوع التبغ هذا. والأرجح أن الترجمة تمت نقلاً عن كتاب "التاريخ الطبي للأشياء التي تجلب من همدنا الغربية" Historia Medicinal de la cosas que se traen de nuestras Indias Occidentales، وهو فوق كونه ألف بالإسبانية وطبع في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، فإنه ترجم إلى لغات أوروبية أخرى منها اللاتينية والفرنسية.

يقول ابن جاني إن سبب تأليف رسالته هذه هو ملاحظته إقبال الكثير من الرجال وحتى النساء على شرب دخان التبغ دون أن يكونوا على دراية هل هو نافع للصحة أم مضر بها، فالرجال يركزون على تحصيل "النشوة" من عملية التدخين، في حين تقبل النساء على تعاطي الدخان 23 في البلاد الشرقية عموماً في فترة الحمل، ويذكر ابن جاني أن اسم النبات يختلف بين المشاركة والمغاربة، فإنه يسمى في البلاد العثمانية بـ "طباقو" بينما عند المغاربة يسمى "التابغة".

يعتبر ابن جاني من المدافعين بشدة عن التدخين، ونبات التبغ بالنسبة له "دواء"، ولكنه حسب تعبيره لم يجد أي ذكر له في المؤلفات القديمة، ولا انبرى أحد معاصريه للكتابة عنه، إلى أن عثر على ما يسميه "رسالة أفرنجية لطبيب حاذق من المتأخرين في بلاد إسبانيا اسمه مونارديس يذكر فيها هذا النبات وماهيته وكيفيته، وصرفت العنان إلى ترجمة هذه الرسالة للسان العربي وبالله اعتمد ومنه التوفيق تبارك وتعالى" 24.

ثم يتبع قائلاً في ترجمة النص الإسباني: "قال مونارديس الطبيب المغرب في بلد إسبانيا: إن النبات المعروف الآن بطباق هو من الأدوية القديمة المستعملة في بلاد الهند الجديد، وكان هذا الدواء يستعملون منه في جراحاتهم، مشهور بينهم عموماً، وخصوصاً

21 Die handschriften-Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin. 107.

22 Besperchungen. Die handschriften-Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin. 186 – 191.

23 الرسالة الدامغة: 142 ب.

24 نفسه: 142 ب

جراحات السيوف... وكان هذا العلاج سرا مستورا محفوظا بينهم لا يكشفونه لأحد من الخارج، وإذا وقع في مبالكهم واقعة غريبة تحتاج إلى تأمل قوي لدفعها، كان الكبار من المدبرين في تلك البلاد يشربون الدخان من هذا الدواء ويستنشقونه أيضا من المنخرين ليجفف الرطوبة الزائدة التي في المعدة والدماغ، فإن رطوبة المعدة تورث الكسل والنسيان، وشرب دخان هذه الحشيشة يجفف رطوبة المعدة والدماغ ويسخنهما أيضا ويزيل البلادة والكسل ويزيد في القوة الحافظة... وفي تاريخ ثمان وثمانين وتسعمائة وقع الفتح من الهند الجديد لملك إسبانيا، فوجدنا هذا الدواء وجربتها مرارا كثيرة، فإن فيها خواصا لطيفة ومنافع عجيبة، مما لا يوجد في سائر الأدوية، خصوصا إذا استعملت من خارج، أعني في الضمادات والأطبية... قال المؤلف: إن هذا النبات كان يسمى بين الهنديين نسبلاطه، وسمي في بلدنا باسم جزيرة معروفة بطباقو لكثرة نباته فيها.²⁵

من الفوائد الطبية الكبرى لنبات التبغ حسب مونارديس أنه يساهم في علاج مشاكل المعدة ولمرض الشقيقة، وقد انتقده ابن جاني في ذلك انتقادا خفيفا، وجعل هذا النفع مشروطا بضرورة تنقية المعدة، ومنها أيضا نفعه في علاج من يحلق رأسه ويتركه مكشوفًا في فصل الشتاء فيصاب بنزلات البرد أو بالتهاب الحلق وألم الرقبة، والطريقة تكون بأخذ ورقه الطري ودقه في جرن رخام ثم عصره والمسح به على موضع الألم ثم يضمد بورق التبغ بعد تسخينه.

ويذكر مونارديس أيضا أنه جرب علاج السعال القوي المزمن بأوراق التبغ بتسخينها ووضعها على الصدر فنفعت أعظم النفع في علاج المصابين به، إذ يساعد على إخراج البلغم الفاسدة من أفواههم، وانتقد ابن جاني هذه الطريقة أيضا معتبرا أنها يجب أن تتم بعد العلاج بأدوية أخرى مدة أسبوع. كما أنه ينفع في علاج القولنج الريحي وأمراض الرحم، وقد وافقه ابن جاني على ذلك. هذا فضلا عن مناعته في تسكين الأوجاع، خصوصا أوجاع الأسنان، وفي معالجة الجروح المسمومة، وهي في نظره أعظم فوائده.

الأبعاد التاريخية لنص الرسالة: لماذا نسخ عبد الغني النابلسي "الرسالة الدامغة"؟

يبدو أن النابلسي كان يصدد جمع النصوص المتعلقة بفوائد التبغ بعد عقود من زمن ابن جاني، ليتسنى له تأليف كتابه "الصلح بين الإخوان في حكم إبادة الدخان"، وهو من أوائل النصوص في العالم الإسلامي التي أبحاث تدخين التبغ مشيرة إلى منافعه للبدن، وربما كانت هذه الإبادة في سياق الصراع بين النابلسي وبين جماعة قاضي زاده السلفية المحافظة، بل إن النابلسي يقول إن السبق في هذا المجال هو للأطباء الأوروبيين لأنهم أدركوا من المسلمين بالطب وأولى بالاتباع في المسائل العلمية، وهذا في حد ذاته من جهة يعكس الوعي الكبير لدى النابلسي بالتفوق الأوروبي في العلوم، وهو وعي نادر يومها في ظل استمرار اعتقاد التفوق الإسلامي على "الأخر"، ومن جهة أخرى فإننا نعتقد أن الأطباء الأوروبيين الذين يقصدهم النابلسي إنما يعني بهم بالدرجة الأولى هذه الرسالة التي لا شك أنه طالعها بالتفصيل ما دام قد نسخها بخط يده.

وإننا إذ نرى الفائدة العظيمة لنص النابلسي الذي كتب في عام 1092 هـ/ 1681 م لا نجد بأسا في إيراد كاملا هنا. ومما جاء فيه: "ثم إن هذه الكيفية المذكورة بعد اختفائها من الزمان الماضي حدثت وتجددت باطلاع بعض الأطباء عليها من الكفار في بلاد الفرنج، لأن لهم حقًا في علم الطب ومعرفة خواص الأشياء أكثر من ما للمسلمين في ذلك، لأن علومهم الدينية على قواعد ملة الكفر غير مدونة، بل يرجعون فيها إلى ما تقوله رهبانهم من التحليل والتحرير وغير ذلك، فهم في غيبة عنه، فهذا السبب كثر اشتغالهم في علوم الأوائل كالتنجيم والهندسة والمساحة وغير ذلك، فلهم مهارة في سياسة الطبيعة الإنسانية، وإلهيم المرجع في ذلك إن عرفنا صدقهم في شيء من ذلك بقرائن الأحوال والتحرير، ويقبل قولهم فيه لأنه من قبيل المعاملات لا الديانات".²⁶

بدايات "النهضة" الطبية في بلاد الشام وانفتاح الأطباء على ترجمة المؤلفات الطبية الحديثة

إلى وقت قريب جدا، كان الاعتقاد السائد أن الطب الأوروبي الحديث لم يدخل إلى العالم الإسلامي إطلاقا إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، وخصوصا مع كلوت بيك الذي قدم للطلاب المصريين محاضراته في الطب والتشريح في ثلاثينيات القرن المذكور.

25 نفسه: 143.

26 الصلح بين الإخوان: 4.

لكن الحقيقة أن العالم الإسلامي عرف الطب العصري مبكراً مع ابن جاني الأندلسي واضع أساس ترجمة الطب الأوربي الحديث في الدولة العثمانية وبلاد الشام، ولم يتأخر الوقت كثيراً بعده حتى ظهر طبيب حليبي شامي آخر هو صالح أفندي بن نصر الله الحلبي المعروف بـ"ابن سلوم" المتوفى عام 1081 للهجرة/ 1670م والذي كان رئيساً للأطباء في دار السعادة.

خلف ابن سلوم عدة مؤلفات مهمة جداً في فهم "صراع" كان موجوداً في اسطنبول بين الطب التقليدي والطب الجديد العصري الداخل من أوروبا. 27

1. "غاية الإتيان في تدبير بدن الإنسان": كتبه بالعربية، وقد طبع مؤخرًا وقد جعله المؤلف في أربع مقالات: الأولى: في عموميات يحتاج إليها كل مزاوول لعملية تركيب الأدوية. والثانية في "الأقرباذين الجامع" أي الصيدلة. والثالثة في الأمراض الخاصة بكل عضو. والرابعة والأخيرة في الأمراض العامة التي لا يختص بها عضو معين. وجمع فيه بين آراء الأطباء القدماء والأطباء الأوروبيين المعاصرين له. ونص فيه على ضرورة تشريح الجثث لمعرفة سبب الوفاة. وهذا الكتاب ترجم إلى اللغة العثمانية الطبيب مصطفى بن محمد حياتي زاده في منتصف القرن 12 للهجرة/ 18م.

2. "غاية البيان في تدبير بدن الإنسان": هو مختلف عن الكتاب الأول (خلط البغدادي بينهما في معجمه)، وقد كتبه مؤلفه بالعثمانية في الأصل، وترجمه إلى العربية حليبي آخر هو محمد بن شريف الحلبي الباني في أول القرن الثالث عشر / التاسع عشر الميلادي. وهناك بعض النسخ الأخرى التي ترجمها السيد محمد الغزي الدمشقي. وجعله المؤلف في مقدمة في مفهوم الطب، ثم أربع مقالات: الأولى في الأسباب الضرورية لحفظ صحة الإنسان كالهواء النقي والماء والنوم. والثانية في المفردات والمركبات الخاصة بالأطعمة والأدوية على ترتيب المعجم. وأما الثالثة والرابعة فهما نفسهما الموجودتان في "غاية الإتيان".

3. "الطب الكيميائي الجديد" 28: ترجمة لأعمال الطبيب والصيدلي السويسري فيليبس ثيوفراستوس فون هوفنهايم المعروف بلقب باراكليسوس Paracelsus، المتوفى في حاضرة زالتسبورغ Salzburg من إمبراطورية النمسا سنة 1541م، وأستاذ الطب والكيمياء في جامعة بازل Basel. ويعد هذا الكتاب الخطوة الأولى نحو صناعة الأدوية انطلاقاً من المركبات الكيميائية. وقد جعله ابن سلوم في مقدمة ذات دلالة تاريخية خطيرة تفيد بداية تحول الكيمياء من مفهومها السحري القديم القائم على الإكسير وتحويل المعادن كما كانت عند جابر بن حيان أو مسلمة المجرطي إلى علم جديد يبحث في المادة وعناصرها. ثم في ست مقالات: الأولى في النظريات الفلسفية/ الطبية/ الكيميائية القديمة والجديدة. حيث يعلن ابن سلوم نقلاً عن باراكليسوس القطيعة مع النظرية الكلاسيكية التي بدأت مع إبقراط ثم جالينوس القائمة على الأخلاط الأربعة: الصفراء والسوداء والبلغم والدم، وهي مقابلة لنظرية العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار) والطباع الأربعة (الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة) التي سادت في الكيمياء التقليدية. وينتصر لنظرية جديدة هي نظرية "الإشارات" التي مفادها باختصار أن كل شيء في العالم معرض للفساد والاختلال، وأن بدن الإنسان بقوة إلهية معرض للفساد على شكل مرض، مما يستدعي البحث في الطبيعة عن علاج، ولا يوجد مرض أو فساد يصيب البدن إلا وله في الطبيعة ما يعالجه ويقضي عليه. والثانية في تركيب بدن الإنسان وأسباب الأمراض وسبل تشخيصها. والثالثة يستفيض فيها في شرح نظرية الإشارات المذكورة وأهمية الكيمياء في خدمة الطب. والرابعة تتضمن العمليات الأساسية لصناعة الصيدلة انطلاقاً من الكيمياء وهي: السحق والحل والحرق والتكليس والتعفين والتخمير والغسل والنقع والطبخ والتصفية والتقطير والتصفيد والعقد والحفظ والتزبية. والمقالتان الخامسة والسادسة في التقطير وأساليبه والتفاعلات الكيميائية الناتجة عنه وكيفية استخراج "أرواح" المواد عن طريقه. ومن هذا الكتاب عدد هائل من النسخ الخفية في مختلف خزانات العالم.

4. "الكيمياء الملكية": ترجمة إلى العربية لكتاب بنفس العنوان باللاتينية Basilea Chymica للكيميائي والطبيب الألماني أوزفالد كرويلوس Oswald Crollius وهو قسيم باراكليسوس في مهاجمة الطب التقليدي وضرورة تطوير الطب بما له صلة بالكيمياء أساساً. وقد دحض مثله مثل سابقه نظرية العناصر الأربعة، وعوضها بـ"التركيب الثلاثي" التي كانت مقصودة عند هرمس الحكيم في "مثلثه": وتضم الملح الذي يفيد الذوبان ومقاومة الاحتراق والتبخر. ثم الرُثْبُ الذي يمثل الانصهار والتصدع، وأخيراً الكبريت الذي

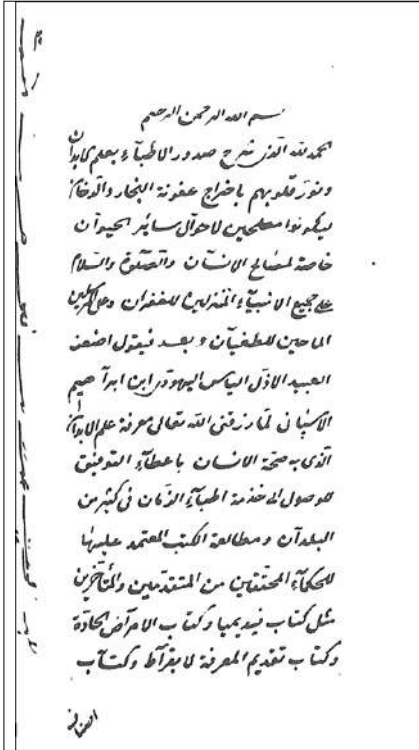
27 تفاصيل ذلك في: التراث العلمي العثماني: 2/ 413 - 420.

28 طبع هذا الكتاب في حلب سنة 1997 بعناية كمال شحادة وأُحِق به أيضاً كتاب "الكيمياء الملكية" التالي. انظر الملحق 11.

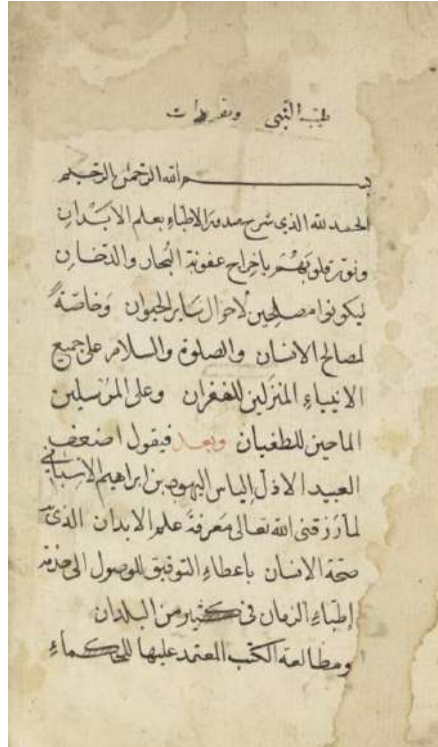
يمثل قابلية الاحتراق بسرعة. إلا أنه استمر على النهج التقليدي في ربط بدن الإنسان وصحته بحالة الكواكب. وقد جعل ابن سلوم الكتاب في مقدمة صغيرة ومقالتيْن: الأولى في العلاج الكلي حيث صاغ كرويلْيوس نظرية جديدة تقول بأن هناك أربعة أمراض كبرى هي أصل الأمراض الأخرى (الفكرة الآن متجاوزة) هي: الصرع والاستسقاء وأمراض المفاصل والجذام. ويعتقد أن ملح الصوديوم والبوتاسيوم هو الأقدر على إيجاد حل لهذه الأمراض. مع اقتراح مركبات أخرى. أما الثانية ففي العلاجات الجزئية وفيه وصفات لجل الأمراض "الفرعية" أو "الجزئية" - كما يسميها - المعروفة.

5. لابن سلوم ترجمة من الإسبانية لرسالة غابرييل ميركادو في "الحميات الردية" وهي خاصة بظهور مرض الزهري أو السيفيليس في أوروبا وطرق مكافحته. 29.

6. وهو من الأوائل أيضا الذين ألفوا في داء الاسقربوط أو داء الحفر ووسائل علاجه مترجما رسالة الطبيب الألماني سينارتوس إلى العربية تحت عنوان "رسالة في بيان الاسقربوط". 30.



الملحق 2: مخطوط مجلة الطاعون والوباء/ نسخة آيرلندا.



الملحق 1: مخطوط مجلة الطاعون والوباء لعبد السلام المهدي الأندلسي/ نسخة قطر.



الملحق 3: النص الملحق بواجهة "مقالة في الحمام" حول الخلاف بين ابن همام الأندلسي وابن القوصوني.



الملحق 4: مخطوط "في معرفة دلائل النُبض" لمحمد ابن أبي العاص الأندلسي/ باريس.



الملحق 5: رسالة في تحقيق الوباء لابن أبي العاص أيضا/ باريس.

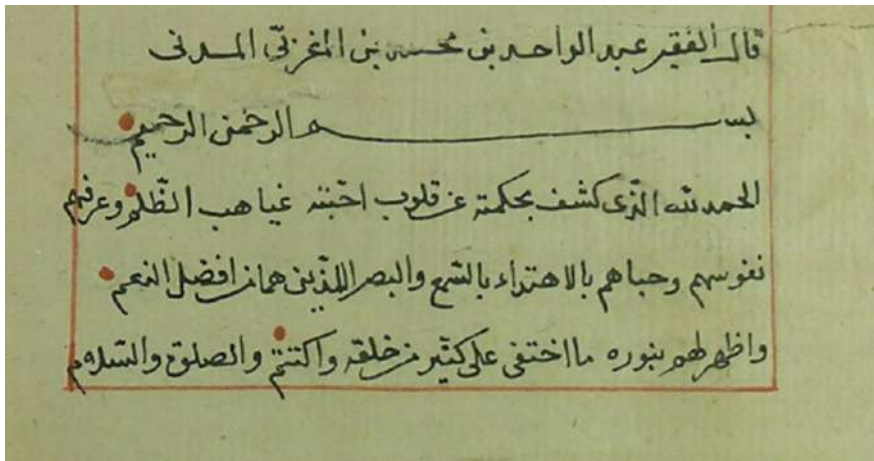
بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
المحمدية الذي نور بحكمته بصاير احبابه واظهر بفضله الادوية التي
اودع فيها الشفاء بلاديه والمها من اختاره لعلاج الامراض
التي يمكن بروها بقضايه والصلاه والسلام على سيدنا محمد
افضل رسله وابنيائه وعلي اله واصحابه والمهتدين بهدائه
وبعد فقد سالت مولانا الامير الامجد والسيد الجليل الاوحد
سلالة السلف الكرام وفريد الدهر في الضبط والارقام مولانا السيد
الشريف حسين ابن محمد ناظر البيمارستان المنصوري سقى الله
تعالى صنم واجقه وابل الرضوان واسكننا واباه والمسلمين فراديين
الجنات بجاه محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان ان اجعل
رساله لطيفه تشمل على ذكر غالب الامراض التي لا يمكن بروها
والتي قد تدور ويتعدى الى اكثر من اثنين ضررها فاجبت سؤاليه
بعد الاستحار واجبا من الله ثوابا ورتبتها فضولا وابوابا **وسميتها**
عقد الجمان فيما يلزم من ولي البيمارستان وعلي الله الكريم اعتيادي
والله تنويضي واسنادي **الباب الاول في ذكر ما يلزم**
الطبيب معرفته وفيه فصلان **الفصل الاول** في تقسيم
الاسقام وذكر جمل من اقوال الحكماء الكرام **الفصل الثاني**
في ذكر الامراض المعديه والنصائح الموفيه **الفصل الاول**
في التقسيم ليعلم ان الامراض تنقسم الى قسمين قسم منها يمكن بروه

الملحق 6: مخطوط عقود الجمان فيما يلزم من ولي البيمارستان لابن دلاج المغربي/ برلين.

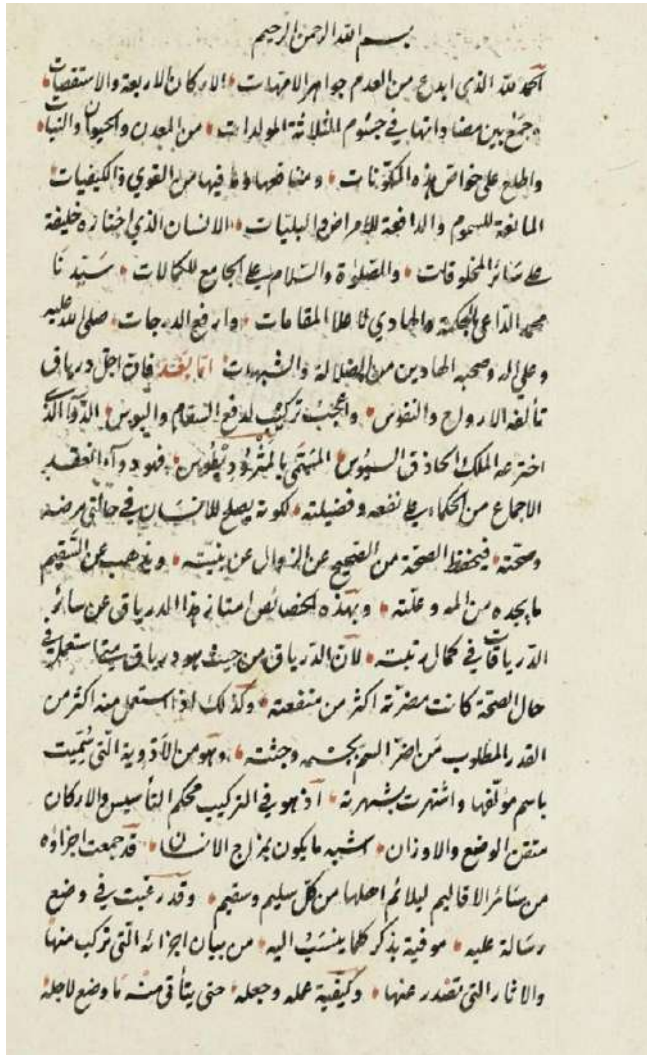


الملحق 8: كفاية المرتاض في علمي الأبواب والأنباض/ اسطنبول.

الملحق 7: تحفة المحب في صناعة الطب لابن دلاج/ اسطنبول.



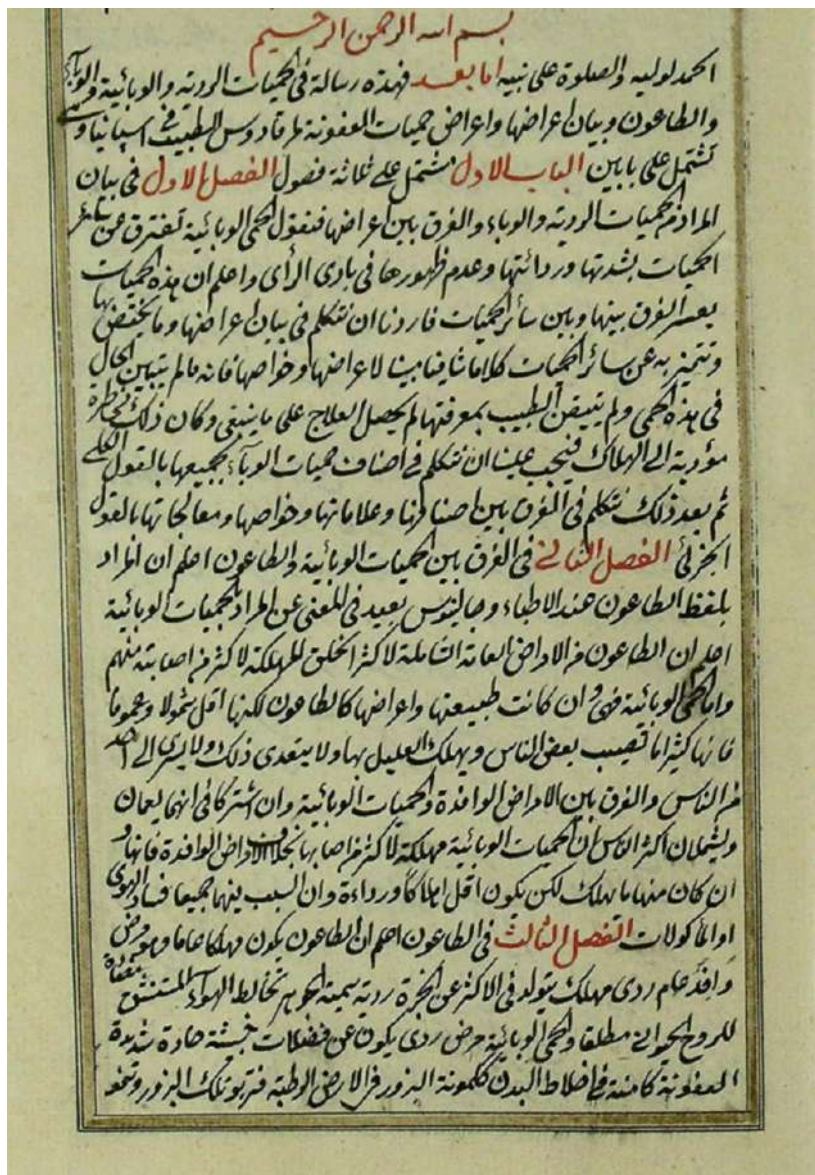
الملحق 9: ضوء السراج في معرفة ما يدل عليه الصوت والعين من القوى والضعف والمزاج/ اسطنبول.



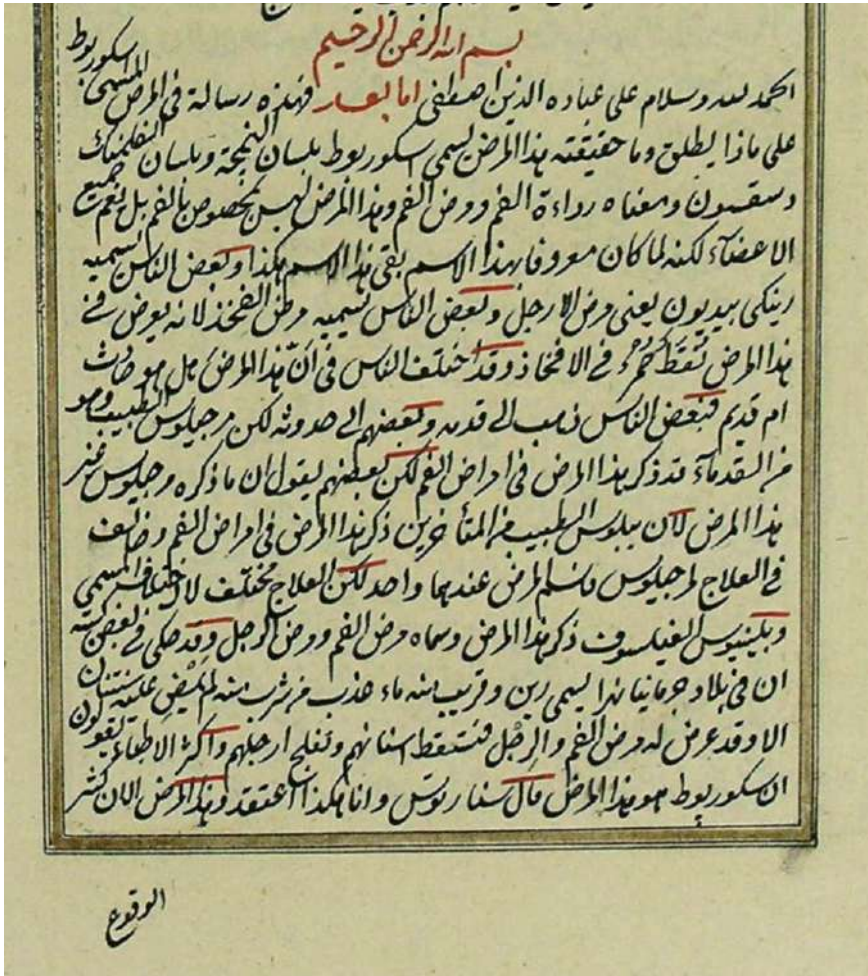
الملحق 10: الروض المانوس في ترياق المثروديطوس / إرفورت.

وبعد فهد الكتاب الطب الحديث الكيمياء الذي اخترعه بطليموس
يشغل على مقدمه ومقالات المقدمة في تعريف الكيمياء وبيان
الحاصل اليها والفرص منها فتقول الكيمياء لغة يوناني اصله
فميا ومعناه التحليل والفرق وبمعنى الناس يطلق
عليه الصناعة الهرمسية وقال قوم يطلق كسر الهمزة
واول فرادته هو من التلث المصري وعلمه الكهنه
وبعد ذلك شاع الى ان وصل الى اليونان وصنعوا في ذلك
وما كتبوا ورسلا يلام انتقل الى الاسلامين واقوافه
كتبا كثيره ومسايل عديده والمقصود من ذلك اصلاح المصطلح
وتغييرها من الفاء الى اللام كقلب الحما الى الحاسي
فضه والفضه ذهباً الى ان جابر الكوس الحراني فغير الغرض
وصناعة الكيمياء فجعله من اقسام صناعة الطب وسماه
اسماً غريباً باللاتينية ومعناه جميع المختلفات وتفريقها وهذا
الاسم مخصوص بصناعة الطب الكيمياء وان قل شئت
كيمياء الطب او الكيمياء الطبية وقد يطلق الكيمياء على الحكمه
والسرار

الملحق 11: الطب الكيمياء الجديد / ترجمة ابن سلوم / آيا صوفيا / اسطنبول.



الملحق 12: رسالة في الحميات الوبائية / ابن سلوم / اسطنبول.



الملحق 12: رسالة في الاسقمريوط / ابن سلوم / اسطنبول.

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

الخدمات الطبية العسكرية وتأسيس المستشفيات في الدولة العثمانية

د. أماني جعفر الغازي
التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم تاريخ
المملكة العربية السعودية

تقديم

إن من أهم الأهداف الرئيسة للخدمات الطبية العسكرية، هو القيام بتخفيف الآلام الناتجة عن الحروب؛ وذلك بمعالجة الجرحى من أجل إبقائهم على قيد الحياة، وهذه الميزة التي تتميز بها موجودة أساساً في طبيعة مهنة الطب، وتقوم -في الوقت ذاته- بالحفاظ على صحة الجنود وعلى استمرارها بصورة سليمة لأجل الانتصار في الحروب؛ فهي بذلك تخدم هدفاً عسكرياً، كما أن تقديم الخدمات الصحية للمجتمع تعتبر من العناصر الرئيسة للخدمات الطبية التي تُقدّم في السلم والحرب.

ويجب بيان أن هذه الخدمات تُقدّم للعسكريين وفق بيانات مفصلة من قِبل الإدارة العسكرية التي تقوم بإعداد قوائم للخدمات الصحية.

ونلاحظ أن أعداد الموتي بسبب الأمراض المعدية يفوق دائماً نظائرهم في الاشتباكات في أغلب الحروب التي وقعت على مرّ التاريخ؛ ويعود سبب ذلك إلى وجود مجموعة مزدحمة من العسكر في ظروف سلبية، إضافة إلى السلبيات التي تفرضها الحروب نفسها، وإذا نظرنا إلى تاريخ الطب العسكري التركي بصورة عامة فإننا نرى وقوع السلبيات التي تفرضها الحروب بصورة متكررة، وقيام الخدمات الصحية العسكرية بأعمالها بعد انتهاء الحرب في الوقت الذي كان من المفترض فيه أن تقوم بالإرشادات الصحية قبل الحرب.

هدف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تقييم الخدمات الطبية للعسكر في التاريخ التركي بصفة عامة وفي التاريخ العثماني بصفة خاصة، ممّا يوضح -في مضمونه- اهتمام الدولة العثمانية ببناء الجندي العثماني والاهتمام بصحته، وتطبيب جراحه في ساحة المعركة.

موضوع الدراسة:

إلقاء الضوء على الخدمات الطبية التي قدمتها الدولة العثمانية للجنود في ساحة المعركة.

النقاط التي ستعرض لها الدراسة :

1. الخدمات الطبية العسكرية في بداية العهد العثماني.
2. تطور الخدمات الطبية العسكرية العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي.
3. الخدمات الطبية العسكرية خلال حرب القرم .
4. الخدمات الطبية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الاستقرائي؛ وذلك باستقراء مصادر عثمانية وتركية أصيلة، وتحليلها واستنتاج المعلومات منها.

حدود الدراسة الزمانية والمكانية:

تطور الخدمات الطبية العسكرية خلال حرب القرم حتى الحرب العالمية الأولى.

تمهيد:

نظرة عامة على تطور الخدمات الصحية الطبية العسكرية في التاريخ التركي:

انتشر الأتراك في العصور القديمة على بقعةٍ واسعةٍ من الأرض شملت الشرق الأقصى وأراضي القوقاز، والآناسول، والبلقان، وأوروبا الوسطى، كما انتشروا بين الحين والآخر على حدود الصين، وآسيا الوسطى، والهند، وإيران، والدولة الرومانية والبيزنطية؛ ونظرًا لهذه المساحة الجغرافية الواسعة، وللعلاقات الوثيقة بين الأتراك والأجناس الأخرى التي حولها فقد تعيّن عليه الاهتمام بجميع مناحي الحياة؛ ومن ضمنها الخدمات المصاحبة للجيش التركي .

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أهمية مداواة الجرحى من العسكر خلال الحروب عند الأتراك، وكذلك عند الأقوام القديمة التي عاشت في الآناسول، كما أن هنالك معلومات تفيد بعدم القيام بهجمات عسكرية على أماكن التداوي الصحية خلال الحروب، وتعتبر هذه من أروع صور الالتزام الأخلاقي ناحية الجيوش المتحاربة، وتوجد صورة تبين تداوي أحد الجرحى من الجنود، نُقشت على مزهريّة يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد(1).

وعلى الرغم من أن الجيوش التركية قد لعبت دورًا كبيرًا في فنون القتال على مرّ التاريخ، لكنه لا توجد وثائق مكتوبة كافية عن طبيعة الخدمات الصحية أثناء الحروب.

ومع ذلك فإنه طبّقًا للتراث الشعبي التركي، كان هناك أشخاص يطلق عليهم "حكّماء القوم" يرافقون قادة الجيش في الحروب، ويقومون بقراءة ملاحم الحروب العالمية على العساكر؛ للرفع من روحهم المعنوية، كما كانوا يقومون بمداواة الجرحى من الجنود.

وتوجد إشارات في تلك المصادر تبين مشاركة النساء في الحروب، وقيامهن بالتعاون مع الرجال في معالجة الجرحى، وتزويد الجيش بالمستلزمات الخفيفة(2).

وقد أدرك الأتراك مدى أهمية الخدمات الصحية في الحروب؛ فعملوا على بناء صحة ومتانة الوحدات العسكرية التي تشارك في

المعارك؛ فقد قام السلاجقة بتأسيس أول مستشفى متجول يرافق الجيش خلال الحرب، وكان يتكون من المواد الطبية والخيام وغير ذلك من المستلزمات الصحية المنقولة على متن 40 جملًا، وكانت هذه المستشفيات المتجولة أو المتنقلة تسير خلف الجيش بمسافة معينة، وتقوم بتقديم الخدمات الطبية للجند المصابين بالمرض أو الجروح أثناء المعارك(3).

الخدمات الطبية في بداية العهد العثماني:

وبعد تأسيس الدولة العثمانية في الأناضول عام 698هـ/ 1298م وفي السنوات الأولى كان المتطوعون من الخيالة يقومون بغارات عسكرية على الحدود البيزنطية، ويفتحون المدن، وينشرون الإسلام ثم قامت الدولة بتشكيل جيش نظامي مؤلف من فرسان الساهية وألحقت بعد ذلك وحدات الدوشيرمة(4) زمن السلطان أورخان (725 - 764 هـ / 1324 - 1362 م)، والتي كانت النواة لفرقة الانكشارية، ولكن لا توجد معلومات وافية حول كيفية سير الأمور الصحية في هذه الفرقة التي تعتبر أكبر قوة مشاة عسكرية، ولكن توجد معلومة تفيد بأنه جرى تأسيس وحدات مساعدة بداخل الوحدات المقاتلة أطلقت عليها "الصنوف العسكرية"، ويستطيعون القيام بالخدمات الطبية والعمليات الجراحية ثم أصبح يتواجد طبيب واحد وجراح واحد ومضمد واحد للقيام بالمرضى في فرقة الجيش الانكشارية، ويتقاضون رواتبهم من الدولة، ويطلق على هذا الصنف العسكري "يا يا باشيلر" بمعنى رؤساء المشاة، ويتعلمون مهنة الطب خصيصًا للعمل في المستشفيات المتجولة لأجل معالجة المرضى والجرحى من الجنود، كما يقومون بإحضار العقاقير الطبية معهم(5).

وقد قامت الدولة العثمانية بتأمين الأطباء للجيش عن طريقتين:
الطريقة الأولى: الأطباء الذين نشأوا في مدارس الطب في العصر السلجوقي.
والطريقة الثانية: الأطباء الذين تعلموا عن طريق معلم المهنة.

ثم بدأ السلطان بايزيد الأول (792 - 806هـ / 1389 - 1402م) بتشديد المستشفيات؛ حيث بدأها باسم "دار شفاء يلديريم بايزيد"، في بورصة بجوار جامعها مباشرة، ووقفية تأسسها تدل على ذلك فأصبحت هذه المستشفى بمرور الوقت محلًا لتعاقب أجيال من الأطباء في الجيش العثماني(6).

وقد أدى توسع رقعة الدولة العثمانية فيما بعد إلى ازدياد المشاكل الصحية؛ مما أدى إلى زيادة الحاجة إلى تسقيع منظم للمؤسسات الصحية، فتأسس منصب رئيس الأطباء (حكيم باشي*) في زمن السلطان بايزيد الثاني (886 - 918 هـ / 1481 - 1512م)، وقد اقتصرت وظيفة رئيس الأطباء في البداية على معالجة السلطان وأفراد أسرته، ثم توسعت هذه الوظيفة فشملت اختبار الأطباء وتعيينهم في الجيش، وفي الأماكن الأخرى، وعزلهم إذا اقتضى الأمر، إضافة إلى الأعمال الإدارية في المستشفيات.

كما كان رئيس الأطباء يرافق السلطان في حملاته العسكرية، وتروي المصادر التاريخية أن أول رئيس لأطباء هو محي الدين محمد (910هـ - 1504م).

وفي كتاب "السجل العثماني" ذكر أن الطبيب الشيخ يوسف سنان الدين (773 - 835 هـ / 1371 - 1431 م هو أول رئيس للأطباء في العصر العثماني. (7)

وعلى أية حال فإن تأسيس المهنة جاء مبكرًا جدًا بالنسبة للتاريخ العثماني؛ وذلك نظرًا لما فرضته الحاجة العسكرية والتوسعية للدولة العثمانية، وما صحب هذا التوسع من ضرورة وجود هذا المنصب؛ لذا تميل الدراسة إلى رأي كتاب السجل العثماني.

ثم ازداد اهتمام الدولة العثمانية بالأطباء، وبخاصة أطباء البلاط العثماني في عهد السلطان محمد الفاتح 558 - 886 هـ / 1451 - 1481م؛ حيث قام السلطان نفسه بتشكيل فريق طبي من أشهر أطباء ذلك العصر، وكان مؤلفًا من ثمانية أطباء رافقوه في معاركه (ثلاثة منهم أتراك؛ وهم: آلطوني زادة، وأخي جلب 840 - 931 هـ / 1436 - 1524 م، وبشير جلبلي، وأربعة منهم فرس؛ وهم: أحمد قطب الدين 903 هـ - / 1497م، وشكر الله شيرواني 865 هـ - 1460م، وخواجه عبد الله، وعبد الحميد جلبلي (لاري)، ويعقوب باشا

المنتسب إلى يهود إيطاليا 829 - 886هـ / 1425 - 1481م. (8)

وقد قام السلطان محمد الفاتح ببناء مدرسة ضخمة بمثابة كلية طب ضمن جامعته الذي شيّده عام 875هـ / 1470م في استانبول، وفي الوقت نفسه أولى اهتمامًا كبيرًا بالطبابة العسكرية؛ حيث قام عقب فتح القسطنطينية بتوزيع غنائم الحرب بما فيها المواد القيمة المستخرجة من خزانات آياصوفيا أولاً إلى الأطباء والكحالين (أطباء العيون)، والجراحين الذين يعملون في الجيش، ثم إلى بقية أنفار الجيش والعسكر. (9)

الاهتمام بالناحية الصحية في ذروة تقدم الدولة العثمانية:

لقد انتشر في عهده كثيرٌ من دور الشفاء؛ حيث وضع لها نظامًا مثاليًا في غاية الدقة والروعة، وقد عهد إلى طبيبٍ أو طبيين بدارٍ شفاءٍ واحدة، يعاونهم كَحالٍ وجراحٍ، وصيدي، وجماعة من الخدم والبوليين، واهتم بدقائق الأمور حتى أن الأدوية لا تُصرف للمريض إلا بعد التدقيق فيها، والطباخ الذي يعمل في المشفى يكون على درايةٍ بطهي الأطعمة وصنوفها التي توافق طبيعة المرض، وكل العلاج والأدوية كانت بالمجان دون تمييز (10)، وقد أكد علي أهمية الطب في وصيته التي تركها من بعده. (11)

الاهتمام بالناحية الصحية في ذروة تقدم الدولة العثمانية:

ثم ازداد الاهتمام بالناحية الصحية العسكرية في عهد السلطان سليم الأول 918-926 هـ / 1512-1520 م؛ نظرًا لكثرة المعارك في عهده؛ حيث أمر بإجراء الفحص الطبي على أفراد عسكره عند الخروج إلى حملة جالديران عام 920 هـ - 1514 م، وهذا العمل لا فُتِّ للنظر في تاريخ الطب العسكري التركي في العصر العثماني؛ حيث لاحظ السلطان -الذي كان علي رأس الجيش بنفسه- وفاة بعض من جنوده عند الوصول إلى سيواس (12)؛ وذلك بسبب شدة برد الشتاء والقحط؛ فأمر بإجراء الفحص الطبي على جميع أنفار الجيش، كما قرر أن يعود أربعون ألفًا من جنوده إلى استانبول بسبب عدم تحملهم الظروف المناخية الصعبة، واستمر السلطان مع خمسمئة من الخيالة، وثمانين ألفًا من المشاة، وقد أكد السلطان سليم الأول بقراره هذا على صحة وسلامة الجيش التي هي مفتاح الانتصارات في الحروب، كما أنه منع بهذا القرار موت العديد من الجنود لأسباب صحية لا علاقة لها بالقتال في ساحة المعركة. (13)

ودخل الجيش العثماني مرحلة الازدهار، والانتصارات العظيمة في عهد السلطان سليمان القانوني 926 - 974هـ / 1520 - 1566 م؛ حيث أنشأ عام 963 هـ / 1555م المجمع المعماري الضخم الذي عُرف بإسم مجمع السليمانية، والذي احتوى بداخله مدرسة للطب، إضافة إلى المسجد والملاحقات المعمارية الأخرى، كما شكل دائرة صحية منظمة داخل فرقة الإنكشارية، وبدأ في هذا العهد الكادر الصحي المتكون من الأطباء والجراحين الذين يتقاضون رواتبهم من الدولة، بصورة منتظمة في الدائرة التي يقيم فيها قائد الفرقة الإنكشاري. (14)

وتشير الوثائق التاريخية أن في عهد السلطان مراد الثالث 983 1003- هـ / 1574 - 1596 م كان يوجد 36156 جنديًا إنكشاريًا و 38 طبيبًا وجراحًا في الجيش العثماني، وكانوا يتقاضون الرواتب من الدولة، وبحلول عام 997هـ / 1588م، واستنادًا على هذه المعلومات يمكن القول بأنه كان هنالك طبيب أو جراح واحد لكل 1000 جنديٍّ من العسكر. (15)

وعندما بدأ السلطان مراد الرابع 1032 1049- هـ / 1623 - 1640م حصار بغداد في جمادى الثاني 1047 هـ / 16 نوفمبر 1637م أمر بتشديد خيام المستشفى العسكري المتجول أو المتنقل بجانب خيمته الخاصة، وأمر بالاعتناء والاهتمام بمعالجة الجرحى من الجنود، وكان السلطان يزور الجرحى بين حينٍ وآخر لرفع معنوياتهم. (16)

وقد تم تعيين أشهر أطباء العصر العثماني في منصب رئيس الأطباء في الجيش العثماني في مختلف عهود الدولة، ويمكن أن نذكر منهم -على سبيل المثال لا الحصر- الطبيب الشاعر والكاتب عياشي شعبان شفاءي 1117 هـ / 1705م الذي كان يعمل مدرسًا بمدرسة طب السليمانية، وطبيبًا في البلاط العثماني، وهو صاحب مؤلفات عديدة في الطب، وكذلك جُورَك زاده حافظ حسن أفندي

1216 هـ / ١٨٠١م الذي كان هو الآخر يعمل مدرساً في مدرسة طب السلمانية، كما كان رئيساً للأطباء، وصاحب مؤلفات طبية عديدة، وقد عُيِّن رئيساً للأطباء في الجيش العثماني عام 1181 هـ / ١٧٦٨م خلال الحرب التركية - الروسية (17).

تطور الخدمات الطبية العسكرية العثمانية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وما بعده:

لقد تابع العثمانيون تطور الطب العسكري في أوروبا عن كثب؛ والذي تم بشكل سريع تحت تأثير حركة النهضة العلمية؛ وبالتالي فإن العثمانيين قد عملوا على تطوير الطب العسكري العثماني، ومنها -على سبيل المثال- قيام رئيس الأطباء مصطفى بهجت أفندي 1188-1259 هـ / ١٧٧4 - ١٨٣٤م؛ الذي يُعد من أهم الأعلام في تاريخ الطب العسكري العثماني في القرن 13 هـ / 19م؛ حيث قام بتطوير أسلوب تعليم الطب الحديث في الدولة العثمانية، كما قام بتأسيس مدارس الطب والمستشفيات لتنشئة الأطباء العسكريين، وبعد أن عُيِّنه السلطان سليم الثالث 1203-1222 هـ / 1789 - ١٨٠7م رئيساً للأطباء عام 1218 هـ / ١٨٠٣م واصل وظيفته حتى عام 1222 هـ / ١٨٠٧م؛ حيث أنشأ في عام 1220 هـ / ١٨٠٥م مدرسة الطب الحديثة، والمستشفى التعليمية في منطقة قاسم باشا في استانبول من أجل تدريب الأطباء والجراحين، وقد واصلت هذه المدرسة مهامها حتى أُلغيت حريقاً في رجب 1238 هـ / يوليو ١٨٢٢م (18).

ومن أعماله -أيضاً- بعد أن عُيِّنه السلطان محمود الثاني 1223-1255 هـ / ١٨٠٨-١٨٣٩م رئيساً للأطباء للمرة الثانية 1239-1250 هـ / ١٨٢٣ - ١٨٣٤م، وتم تأسيس مدرسة الطب الحديثة في جمادى الثاني 1243 هـ / ١٤ مارس ١٨٢٧م؛ والتي عُرفت باسم "طب خانة عامرة"، وقد تضمن الخطاب الذي عرضه الطبيب مصطفى بهجت أفندي علي السلطان -في جمادى الأولى 1242 هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨٢٦م- معلومات تطرق فيها إلى هدف مدرسة الطب، وأصول التعليم فيها، وإلى وضع الطب العسكري في ذلك العهد وأهميته، وكيفية التعليم الطبي.

وبعد إلغاء الجيش الانكشاري سنة 1242 هـ / 1826م أصبح يُعرف الجيش العثماني باسم "العساكر المحمدية المنصورة"، وهنا أصبحت مهمة علاج الجنود -في هذا الجيش، والوحدات العسكرية الأخرى في الدولة العثمانية- تتم حسب المناهج الطبية الحديثة في الحرب وفي السلم، وكان الأطباء الخريجون من مدرسة (طب خانة عامرة) مزودين بالمعلومات الطبية القديمة والحديثة على حد سواء، كما كانوا مُلزمين بتعلم إحدى اللغات الأجنبية، وتقبل هذه المدرسة الطلبة المهرة الذين لديهم الاستعداد لدراسة الطب من أفراد العساكر المحمدية المنصورة ومن خارجها، وكانت المدرسة تدفع راتباً صغيراً لطلابها خلال الدراسة، وكان هناك قسم من خزيجها يقوم بالعمل في الطب العام، وقسم آخر يقوم بالجراحة وذلك بحسب كفاءتهم.

إن العثمانيين الذين كانوا يقاتلون في جبهاتٍ مختلفة كانوا دوماً بحاجةٍ إلى أطباء وجراحين أكفاء وقت الحرب والسلم، ومدرسة الطب تنشئ جراحين مهرة يستطيعون القيام بعمليات جراحية سريعة على الجرحى في ميدان المعركة؛ ولأجل سد حاجة الجيش بشكل مؤقت تم اختيار ثلاثين جراحاً من جراحي استانبول؛ لأجل إتمام تعليمهم في مكانٍ مخصصٍ لهم في مدرسة الطب، ثم يتم اختيار عشرين متفوقاً، ويتم تعيينهم في الجيش العثماني براتب ٧٥ قرشاً، ويستمر الجراحون الآخرون في أماكنهم بالمدرسة بغرض تعليمهم، ورفع مستواهم (19).

وبهذه الصورة، ولأجل سد متطلبات الجيش الجديد، والوحدات العسكرية الأخرى من الأطباء والجراحين، تم تعيين الدفعة الأولى من الخريجين من مدرسة (الطب خانة العامرة) من الأطباء والجراحين في الوحدات العسكرية المرابطة في القلاع والثغور، ثم بدأ تعيين الدفقات التالية -من خريجي مدرسة الطب خانة العامرة- في المستشفيات العسكرية التي تأسست خصيصاً (للعساكر المنصورة المحمدية)؛ وفي الحقيقة أن إنشاء المستشفيات العسكرية الحديثة في الدولة العثمانية يرجع تاريخه إلى سنة 1213 هـ / ١٧٩٨م؛ حيث تأسست في هذا العام (مستشفى لاوند) في منطقة لاوند، ومستشفى (طوب طاشي) في منطقة أسكدار، ثم افتتحت بعد هذا التاريخ مستشفيات عسكرية عديدة تراوحت مساحتها ما بين الصغيرة والكبيرة على الجانبين الأوروبي والأناضولي في استانبول (20)، وهذه المستشفيات هي كالتالي:

اسم المستشفى	سنة التأسيس
مستشفى الترسانة	1219هـ / 1804م
مستشفى الجبانة الحربية	1223هـ / 1808م
مستشفى الطوبخانة	1244هـ / 1828م
مستشفى الطابور الثالث	1248هـ / 1832م
مستشفى المابين	1250هـ / 1834م
المستشفى العسكري الخاص	1250هـ / 1834م
مستشفى باب سر عسكري	1250هـ / 1834م
مستشفى همبرخانة	1250هـ / 1835م
مستشفى مالتبة	1252هـ / 1836م
مستشفى طوب قابو	1252هـ / 1836م
مستشفى بهاربا	1253هـ / 1837م
مستشفى اليمان الكبير	1253هـ / 1837م
مستشفى طوب طاشي الخزي	1254هـ / 1838م
مستشفى صاري بير	1254هـ / 1938م
مستشفى أخير قابو	1256هـ / 1840م
مستشفى استنية	1256هـ / 1840م
مستشفى رامي	1256هـ / 1840م
مستشفى طرابيا	1258هـ / 1842م
مستشفى حيدر باشا	1261هـ / 1845م
مستشفى جموش صويي	1264/1847م
مستشفى كولخانة في دميز قابو	1265هـ / 1848م
مستشفى قوله لي	1265هـ / 1848م
مستشفى بكربكي	1265هـ / 1848م
مستشفى ايليك خانه	1265هـ / 1848م
مستشفى زيتون بروني	1265هـ / 1848م
مستشفى حركة	1265هـ / 1848م
مستشفى بلديز	1265هـ / 1848م

وكل تلك المستشفيات في استانبول وضواحيها.(21)

وتشير صحيفة "تقويم الوقائع" في عدها الرابع والتسعين سنة 1250هـ / 1834م إلى الأوامر السلطانية الصادرة بخصوص إنشاء المستشفيات العسكرية في الألوية، والأقضية، والقرى الواقعة في أيلات الأناضول والرومي، إضافة إلى المستشفيات الخاصة بالفقراء والعجزة.(22)

وتؤيد هذه الإشارات إلى أن فتح المستشفيات العسكرية في الدولة العثمانية جاء بشكلٍ منظمٍ في الفترة الواقعة قبل سنة

1250هـ / ١٨٣٤م؛ والتي تأسست في أغلب الأحيان في المواقع التي تحدث فيها الحروب والتمردات ضد الدولة، فكان قسم من تلك المستشفيات يُغلق بعد انتهاء المعارك، والقسم الآخر يقدم خدماته عقب انتهاء المعارك، وقد أدّت المستشفيات العسكرية دورها حتى وقوع الانقلاب الدستوري، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1327هـ / ١٩٠9م، وعلى الرغم من التغييرات المستمرة التي طرأت عليها إلا أنها ظلت مرتبطة بمناطق الجيش العثماني. (23)

وبالعودة قليلاً لما أسلفنا ذكره نجد أن الدولة العثمانية قد استمرت في تطوير تعليم الطب العسكري الحديث؛ حيث بدأت منذ عام 1243هـ / ١٨٢٧م بتعديلاتٍ جديدةٍ على مدرسة (الطب خانه العامة)؛ فغيّرت إسمها، وبدأت بمواصلة التعليم بإسمها الجديد الموسوم بـ "مكتب طبه عدليه شاهانه" في مكانها الجديد في منطقة غلطة سراي بإستانبول، وقد تحققت هذه التنظيمات الجديدة في المدرسة الطبية بفضل الطبيب Carl Emrocs Bernard كارل امبرويس برنارد الذي استضافته الدولة من فيينا، وتعلم الطب فيها، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الطب يُعلّم وفق مبادئ تعليم الطب الحديث، وقد تخرجت أول دفعةٍ من (مكتب طبه عدليه شاهانه) في شوال 1259هـ / يوم ٢٠ سبتمبر ١٨٤٣م تحت رعاية السلطان عبد المجيد 1255-1277هـ / 1839-1861م. (24)

وقد مارست مستشفيات الطب العسكري الحديثة عملها في بعض أراضي الدولة العثمانية بحسب التنظيمات الحديثة في تعليم الطب العسكري مع متابعة التطورات الحاصلة في الطب، والجراحة، والطب العسكري في جميع أرجاء العالم، وقد قام الأطباء العسكريون الذين درسوا في مدارس الطب بعد تحديثات عام 1243هـ / ١٨٢٧م بعرض تجاربهم الميدانية الأولى بمهارةٍ في حرب القرم التي وقعت بين العثمانيين والروس عام 1270هـ / ١٨٥٣م.

خدمات الطبابة العسكرية ومسوائها خلال حرب القرم 1270-1273هـ / 1853-1856م:

لقد افتُتحت مستشفيات ميدانية بين حاميات الجيش العثماني، وتم تعيين الجراحين في كُتائب الجيش، وتعيين الأطباء في الأفواج، وكان هؤلاء الجراحون والأطباء من خريجي المدرسة الطبية، كما تم تعيين الدكتور اللواء محمد علي باشا في منصب رئيس أطباء الجيش، وعلى الرغم من تطور الخدمات الصحية في الجيش العثماني، إلا أنه لم يكن هنالك خطة صحية واضحة في حالة الحروب، كما كانت هنالك نواقص كثيرة في المواد الصحية الأساسية والضرورية لسير عمليات العلاج (25)؛ ويعود السبب الرئيس في ذلك إلى عدم تشكيل البنية التحتية للطبابة العسكرية داخل الجيش العثماني على غرار ما هو موجود في الجيوش الأوروبية؛ فعلى الرغم من هذا التطور الكبير الذي كانت عليه إلا أنه كان يشوبها بعض النقص؛ فمثلاً كان الأطباء بالكاد يستطيعون معالجة المرضى والجرحى؛ لأنهم لم يأخذوا قسماً وافراً من التعليم بخصوص تطبيق المناهج الطبية الحديثة في وقت الحروب، في الوقت الذي كان فيه الأطباء العسكريون في أوروبا يستخدمون المواد المضادة للجراثيم وكذلك المورفين (26) أثناء العمليات الجراحية في الحروب منذ عام 1246هـ / ١٨٣٠م، وهذا ما كان يجهله الأطباء العسكريون في الجيش العثماني؛ فقد كانت معلوماتهم محدودة للغاية عن تلك التطبيقات. (27)

ومن أهم نواقص الخدمات الطبية العسكرية -أيضاً- عدم إعداد السجل الصحي للجنود، في الوقت الذي كانت فيه الإحصائيات والسجلات الصحية الأخرى يتم إعدادها بشكلٍ منظمٍ في الجيوش الأوروبية؛ فمن الواضح أنه لم يكن قد تبلور بعد مفهوم تنظيم السجلات الصحية في ذهن أصحاب القرار في الجيش العثماني، ولهذا السبب لا توجد مراجع تفيد بعدد المرضى والجرحى، والموتى بصورةٍ صحيحةٍ أثناء الحرب؛ فمثلاً في الوقت الذي توجد فيه مجلدات كثيرة تتضمن معلومات حول عدد المرضى والجرحى، والموتى في الجيوش الأوروبية خلال حرب القرم؛ فإن المعلومات التحريية عن الموضوع ذاته في الجيش العثماني كانت ضئيلة جداً. (28)

وعلى سبيل المثال فإنه في الدراسة التي أُجريت حول حرب القرم، كُتب عدد الموتى في الجيوش الأوروبية مع الجيش العثماني في جدولٍ واحدٍ، إلا أننا نلاحظ أن القسم المخصص للجيش العثماني -في الجدول المذكور- بقي خالياً؛ ولهذا السبب نحن لا نعرف شيئاً من هذه المعلومات سوى مراجعة المصادر الأجنبية. (29)

وعلى ذلك فإن الأعداد كانت واضحةً في الجنود الروس والأوروبيين بينما كانت غير واضحة تماماً، وغير مكتملةٍ في الجيش

العثماني، على الرغم من أن كثيرًا من المتوفين في تلك الحرب كان بسبب الأمراض المعدية مثل وباء التيفوئيد، بالإضافة إلى الذين ماتوا في ساحات القتال (30) مثلهم مثل جنود الجيوش الروس والأوروبيين، وأغلب الجنود الجرحى الذين كان يتم نقلهم إلى المراكز الصحية الكائنة خلف ساحة القتال كانوا يتوفون في تلك المراكز. (31)

ويتبين من تلك المعلومات ظهور الوباء في جميع الجيوش المشاركة في الحرب اعتبارًا من بداية الحرب؛ حيث أدى ذلك إلى موت عدد كبير من العسكر، ولم يتم أي تدخل طبي بشأن ذلك الوباء، وخاصةً الذي يصاحبه الحمى، والمعروف باسم "التيفوئيد" (32).

وقد تم تخصيص قسلة (ثكنة عسكرية) السليمية في استانبول للجنود الإنكليز الذين جاءوا إلى غاليبولي (33) -أولًا- ثم استانبول، وتأسس في ذلك الحين مستشفى حيدر باشا على غرار المستشفيات الحديثة؛ وذلك لمعالجة المرضى من الجنود الإنكليز، والجرحى الراجعين من حرب القرم، ولكن بسبب عدم كفاية هذا المستشفى أمام العدد الكبير والمستمر من المرضى والجرحى؛ قامت الدولة العثمانية باستخدام بعض المباني الأخرى كمستشفى لسد متطلبات المعالجة، ونذكر من هذه المباني: قصر قاواق في منطقة السليمية، وقسلة الخيالة في منطقة قوله لي، وسفنتين حربيتين مرابطين في خليج القرن الذهبي في استانبول، بالإضافة إلى استخدام مستشفى سانت جورج الإنكليزي الكائن في منطقة أوغلي بك باستانبول، كما استخدمت قسلة السليمية في استانبول كمستشفى حربي، وذلك بعد خروج الجنود الانكليز منها وذهابهم إلى القرم. (34)

ثم دخلت الدولة العثمانية في حروب عديدة مثل الحرب العثمانية - الروسية - 1294 1295 هـ / 1877 - 1878 م، والحرب التركية - اليونانية 1315 هـ / 1897 م، وحرب طرابلس الغرب - 1329 1331 هـ / 1911 - 1912 م، وحرب البلقان 1331 1332 هـ / 1912 - 1913 م، لكن الحرب الأهم كانت الحرب العالمية الأولى 1332 1336 هـ / 1914 - 1918 م، وهي التحدي الرئيس بالنسبة للخدمات الطبية العسكرية؛ نظرًا لكثرة الجبهات المفتوحة على الدولة العثمانية.

الخدمات الطبية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى 1332-1333 هـ / 1914 - 1918 م:

من الثابت تاريخيًا أن الجيش العثماني كان واحدًا من أفضل الجيوش التي شاركت في الحرب العالمية الأولى من حيث التجهيزات، والبنية الصحية العسكرية مع بعض النواقص؛ ولهذا السبب يُعدّ نموذجًا حسنًا من حيث فهم المرحلة التي وصلت إليها الخدمات الطبية العسكرية في بداية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي.

وبالنسبة للوضع الصحي العام في العالم؛ فعند نشوب الحرب العالمية الأولى؛ كانت صحة ووقاية الإنسان العثماني، وكذلك الحيوانات -من الأوبئة والأمراض-، وكذلك الجيوش العثمانية تحت مسؤولية الإدارة الصحية والبيطرية كما هو الحال في الجيوش الحديثة، وكانت الوظيفة الأولى لهذه الإدارة هو تأمين الخدمات الصحية للجرحى والمرضى.

ويدخل في هذه الخدمات أيضًا الوقاية الصحية للجنود والدواب، وإسكانهم، وتغذيتهم، وكسوتهم، ويقدم هذه الخدمات بصورة عامة طبيب، وجراح، وصيدي، وطبيب أسنان، وكيميائي، وبيطري، وبعض الممرضين (35).

وكانت أعلى سلطة للإدارة الصحية في الجيش العثماني هي رئاسة دائرة الصحة التابعة لنظارة الحربية، وتعتبر من أهم المبادئ الرئيسية للجيش؛ حيث تنظر في زيادة الكادر الصحي عند دخول الجيش إلى الحرب عما تكون عليه في وقت السلم؛ فعند اندلاع الحرب العالمية الأولى قام الجيش العثماني بتنفيذ الخطط من أجل توسيع البنية الصحية العسكرية؛ فتم تعيين مفتش على كل جيش من الجيوش العثمانية المقاتلة في جبهات الحرب برتبة فريق طبيب، وتعيين رئيس أطباء على كل فيلق برتبة عميد طبيب، وتعيين رئيس أطباء على كل كتيبة برتبة عقيد طبيب، وتعيين طبيب على كل فوج برتبة مقدم طبيب، وتعيين طبيب على كل فرقة برتبة ملازم أول طبيب (36).

وعادة وقت السلم في الجيش العثماني يكون الكشف على الجنود في مستوصفات في كل قطائع الجيش، وتندرج تحت المستشفيات العسكرية، ولكن في وقت الحروب كان يتم ما يلي:-

أولاً: تأسيس وحدات صحية في جميع الجيوش، والفيالق، والأفواج؛ لأجل تقديم الخدمات الصحية.

ثانياً: تشكيل المستشفيات المتجولة (المتنقلة) والمستشفيات الثابتة (مثل تشكيل المستشفيات الحربية الوضعية، ومستشفيات الهلال الأحمر داخل البلاد) في أرض القتال.

وكانت الوظيفة الأساسية للوحدات الصحية هي تقديم الخدمات الصحية للجرحى في وقت الحروب، وكانوا ينقلون الجرحى إلى الخط الخلفي من جبهة القتال؛ حيث يتم إسعاف أولي لهم في "أكواخ الجرحى"، ثم يتم نقلهم إلى الوحدات الصحية الموجودة في الفرقة العسكرية؛ حيث يتم معالجتهم، وإجراء عمليات جراحية لهم إذا اقتضى الأمر. (37)

التنظيم الطبي:

وهذا النظام الطبي يوافق أنظمة الخدمات الطبية العسكرية الحديثة؛ وحيث أن الجيش العثماني بوحداته الصحية وبكادره الطبي كان يمتاز بتقديم الخدمات الصحية على الوجه الأكمل، وكان رئيس الأطباء في الفرقة العسكرية هو المتحكم في جميع أفراد الفريق الطبي بمن فيه من موظفين وممرضين وأطباء في الفرقة، وكان يتمتع بتوظيف، وتعيين، ونقل، وجزاء أفراد الفريق الطبي، وله ارتباط بقائد الفرقة، ويراسل الدائرة الصحية العسكرية؛ التي بدورها تقوم بإعداد تقارير يومية في جميع الوحدات الطبية العسكرية، وإرسالها إلى رئاسة الأطباء في الفيالق وكافة الدوائر الصحية العسكرية.

إضافة إلى ذلك تأسست صيدليات في الفرق العسكرية، وكانت هذه الصيدليات تصرف مخصصات لها ضمن صلاحيات رئيس الأطباء؛ حيث كانت الأدوية، وأدوات ومواد المعالجة تُطلب من الرئيس الثاني للدائرة الصحية، وتُجلب هذه الأدوية والمواد من صيدليات المستشفيات العسكرية القريبة، وهذا المفهوم يشكل أساس بنية الخدمات الطبية في الجيوش العثمانية؛ فعلى الرغم من الظروف القاسية والسلبية للحروب يتبين تأمين الخدمات الصحية المنتمرة خلال الحرب العالمية الأولى، وقد أيد هذا المفهوم المقدم الطبيب هوفمان في كتابه الموسوم بـ "الخدمات الصحية" الذي ألفه عقب الحرب العالمية الأولى، وترجمه إلى التركية المقدم الطبيب حسني بك. (38)

وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى لم يكن هنالك عدد كافٍ من الأطباء العسكريين لسدّ طلبات الخدمة الصحية خلال الحرب؛ فقامت الدولة بتخصيص جميع المستشفيات الموجودة في داخل حدود الدولة، والقريبة من جبهات القتال للخدمات الطبية العسكرية، وألحقتها تحت قيادة الفيالق العسكرية الموجودة في نفس تلك المناطق الموجودة فيها المستشفيات.

إضافةً إلى ذلك أصدرت الدولة قانون "مكلفية الأطباء" والذي ينص على التجنيد الإلزامي لجميع الأطباء، وأطباء الأسنان، والصيدالة؛ أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ إلى 45 سنة، وقد كان هؤلاء يتلقون تعليمًا لفترة وجيزة في مدرسة طب كلاً من مستشفى السريريات، ثم يتم إرسالهم إلى جبهات القتال، ولكن على الرغم من ذلك الإجراء إلى أنه ظل هذا العدد من الكادر الطبي غير كافٍ لسدّ متطلبات الناحية الطبية أثناء الحرب؛ فتقرر إرسال طلاب المدرسة الطبية أيضًا إلى جبهات القتال (39).

وقد أوضحت الإحصائيات أنه يوجد في الجيش العثماني في بداية الحرب العالمية الأولى 1202 طبيبًا، ومن ضمنهم 9 أطباء من الأصل اليوناني، و17 طبيبًا من الأصل الأرمني، و3 أطباء من الأصل اليهودي، لكنهم جميعًا من رعايا الدولة العثمانية؛ ولأجل سدّ متطلبات الخدمات الطبية العسكرية من الأطباء دخل 1.283 طبيبًا مدنيًا إلى الجيش برتبة ضباط احتياط، وكان منهم 528 منهم من الأصل التركي، و331 من الأصل اليوناني، و229 من الأصل الأرمني، و116 من الأصل اليهودي، و79 من الكاثوليك المارونيين، وجميعهم من رعايا الدولة العثمانية، ولكن على الرغم من ذلك لم تنتهِ الحاجة إلى الأطباء طوال الحرب العالمية الأولى، وقد تُوفي 13% من الأطباء العسكريين خلال الحرب بأسبابٍ مختلفةٍ وبخاصة من الأمراض المعدية. (40)

وإضافةً إلى القيام بسدّ حاجة الجيش العثماني من الأطباء والصيدالة، قامت الدولة كذلك بسدّ حاجة الجيش من الموظفين الصحيين فدعت جميع الموظفين الصحيين العاملين في مستشفيات استانبول وفي جمعيات الهلال الأحمر إلى الالتحاق بالخدمة

العسكرية، وفي الوقت ذاته قام الجيش العثماني بالوقوف ضد الأمراض المنتشرة والمعدية خلال الحرب العالمية الأولى، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور توفيق صاغلام في كتابه الموسوم بـ "الخدمات الصحية للجيش الثالث خلال الحرب العظمى". (41)

وقد قام الجيش العثماني بتشكيل نظام الرقابة والتفتيش لمنع انتشار الأمراض المعدية؛ حيث تأسست المحطات الصحية التي تحتوي على أفران التنظيف، وإزالة التلوث؛ وذلك في الأماكن التي كان يتم فيها تبادل الجنود الذاهبين إلى جبهات القتال مع الجنود الراجعين من الجبهات. وبعد أن اخترعت صناديق الضباب. (42)

وفي أواسط عام 1335هـ / 1916م بدأ الجيش العثماني يستخدم هذه الصناديق بدلاً من أفران التنظيف، وقد أدى الاهتمام بالنظافة في الأماكن التي يتجمع فيها العسكر إلى عدم إنتشار الأمراض السارية والمعدية بين الجنود. (43)

وإذا اختصرنا بصورة عامة تلك المعايير التي قام بتطبيقها الجيش العثماني خلال فترة الحروب التي خاضتها الدولة -وبالأخص الحرب العالمية الأولى- في مواضع الصحة، والتغذية، والملبس، نجد أن الجيش العثماني قد قام باتباع الخطوات الآتية في هذه المجال:

1. منع الازدحام في المعسكرات، والثكنات العسكرية الأخرى، والمحافظة علي النظافة العامة بإزالة الرطوبة من الردهات، وتأمين الهواء النقي والمشمس.
2. تأمين الوسط الصحي في حمامات المعسكرات والثكنات العسكرية، والقيام بطلاء الجدران بصورة مستمرة، وزيادة استهلاك الماء، وعمل التنظيفات المستمرة إضافةً إلى تأمين النعال المناسبة لاستخدامها من قبل الجنود داخل الردهات.
3. القيام بغسل ملابس الجنود، والأغطية، والمفروشات، وغلي الملابس الداخلية للجنود بالماء الساخن لمدة نصف ساعة على الأقل.
4. تأمين استحمام الجنود بصورة منتظمة بالماء الساخن والصابون، إضافةً إلى غسل أيديهم، وأرجلهم، وأفواههم، وأنوفهم صباحاً ومساءً تحت رقابة الضباط.
5. تنظيم أوقات الطعام للجنود، كما يجب أن تكون المأكولات مسخنة على النار؛ كي لا تكون حاملة او ناقلة للأمراض المعدية كالكوليرا.
6. إصلاح المباني التي يكون مستوى النظافة فيها متدنياً؛ كالاسطبلات، والحمامات، والمراحيض، والأماكن التي تُدبح فيها المواشي، وأماكن غسل الملابس الكاثنة بجوار المنابع، والآبار، والأنهار، وشبكات المياه؛ والتي تكون مصدر الشرب للجنود؛ كي لا تختلط المياه الفاسدة بالمياه العذبة، هذا بالإضافة إلى تجفيف المستنقعات الكاثنة بالمناطق المجاورة؛ وذلك لمنع انتقال الرياح الفاسدة.
7. العمل على تخفيف الازدحام الناتج عن إسكان الجنود في البيوت، والخانات، وكذلك تخفيف الازدحام في الأسواق القريبة من معسكرات الجيوش والفيالق.

وعلى الرغم من كل هذه التدابير، نستطيع القول بأن عدد ضحايا الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى نتيجة الأمراض السارية والمعدية يُقارب عدد الضحايا جراء الجروح، والصرعى في ميدان المعركة.

الخاتمة

يمكن القول بأن الخدمات الطبية العسكرية ليست إحدى خدمات الدعم للجيش فحسب، إنما هي إحدى العوامل المؤثرة التي تحدد نتائج الحروب بشكل مباشر؛ وبناءً على ذلك يستوجب تشكيل نظام الطبابة العسكرية المناسب على أساس التطورات الحربية منذ فترة السلم، كما يجب كذلك تخطيط المتطلبات من المواد والأدوات الصحية منذ وقت السلم بحسب أسوأ الاحتمالات المتوقعة في حالة الحروب.

لكننا نلاحظ أن خدمات الطبابة العسكرية في الجيش العثماني لم تكن بالمستوى المطلوب في جميع الحروب، وبصفة خاصة في الحروب التي وقعت بعد تطبيق نظام الطب الحديث عام 1243هـ / 1827م، ونشاهد أنه خلال وعقب كل حرب يقوم الجيش

العثماني بمناقشة السلبيات، والنواقص الموجودة في خدمات الطبابة العسكرية، ويقوم بعمل التحسينات عليها.

ولكن لم تكن تلك التحسينات بشكلٍ يلبي متطلبات التطورات التي حصلت في علم الطب، والطب العسكري؛ ولهذا السبب كانت النواقص والسلبيات تتكرر دومًا في الحروب التي كانت تقع فيما بعد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العثمانية:

- Ataç, A. 2000. Osmanlı Devletinde Askeri Sağlık Hizmetleri, Osmanlı Devletinde Sağlık Hizmetleri Sempozyumu Kitabı. Eds.: Ak B, Ataç A. Ankara. Ajans-Türk Matbaası, s. 253
- Ataç, A. 199614 .1997/ Mart 1827'de Açılan Tıp Okulunun Açılışı İle İlgili Dört Belge, Yeni Tıp Tarihi Araştırmaları 23-. İstanbul, s. 242257-
- Ataç, A., Uçar M, Yiğitler. 2006. Osmanlı Hasta ve Yaralı Askerlere Yardım Cemiyetinin 187778- Osmanlı Rus Savaşında Yürüttüğü Sağlık Hizmetleri. VIII. Türk Tıp Tarihi Kongre Kitabı. İstanbul. s. 347366-
- Ataç, A., Uçar M. 2006. 1912 Yılında Yayınlanan Bir Belge Işığında Osmanlı Hilal-i Ahmer Cemiyeti'nin Balkan Savaşında Yürüttüğü Sağlık Hizmetleri. VIII. Türk Tıp Tarihi Kongre Kitabı. İstanbul. s. 367375-
- Akgün Seçil Karal, Uluğtekin Murat. 2000. Hilal-i Ahmer'den Kızılay'a. Ankara. Beyda Basımevi.
- Bayat, A. H. 1997. Tıp Tarihimizde Hekimbaşı Hayatizâdeler. Tıp Tarihi Araştırmaları. 6: s.109118-
- Bayat, A. H. 1982. Osmanlı Devletinde Hekimbaşı Kurumu ve Hekimbâşılar. Gevher Nesibe Bilim Haftası ve Tıp Günleri Bildirileri. Kayseri. s. 610616-.
- Danişment İsmail Hami. 1955. Osmanlı Tarihi Kronolojisi, 4. Cilt. İstanbul. Türkiye Basımevi.
- Erdem, Günyüz. 2010. Birinci Dünya Savaşı Yıllarında Sağlık Hizmetleri. Genelkurmay Başkanlığı, Erzurum Mareşal Çakmak Asker Hastanesi, Seferde Sağlık Hizmetleri Sempozyum Kitabı. s. 1025-
- Erkanî Harbiyeyi Umumiye Riyaseti. Hidamatı Sıhhiyede Harb Tecrübeleri. 1922. Harbi Umumiden Alınan Bazı Malumat ve Tecrübeler. İstanbul. 6. Matbaa-i Askeriye.
- Frik, F. 1981. Türkiye'de Sağlık Hizmetlerinde Alman İlaçları, Türk - Alman Tıbbi İlişkileri Sempozyum Bildirileri. İstanbul. s. 79
- Gencer, A.İ. 1977. İstanbul Tersanesinde Açılan İlk Tıp Mektebi, İ.Ü. Edebiyat Fak. Tarih Dergisi.; sayı: 31, s. 301310-
- Genelkurmay Başkanlığı. 1979. Balkan Harbi. Genelkurmay Askeri Tarih ve Stratejik Etüt Başkanlığı, Askeri Tarih Yayınları, Ankara.
- Genelkurmay Başkanlığı. 1993. Birinci Dünya Harbinde Kafkas Cephesi 3 ncü Ordu Harekatı, Cilt II. Ankara. Genelkurmay Basımevi.
- Genelkurmay Başkanlığı. 1980. Osmanlı Devri Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi. Cilt V, Kitap 3. Ankara. Genelkurmay Basımevi.
- Hoffman, W. 1920. Sıhhiye Hidamatı. Çeviren; Hüseyin Hüsnü. İstanbul. Askeri Matbaa.
- Karatepe, Münir, Kutlubay, Rauf. I. 2006. Dünya Savaşı Yıllarında Kayseri'de Sağlık Çalışmaları. IX. Türk Tıp Tarihi Kongresi Bildiri Kitabı. Ankara. Nobel Yayın, s. 350353-.
- Kavur, EŞ. 1973. Askeri Hekimliğinin Sıhhiye Hizmetlerinde Bir Etüd. Dirim Dergisi; 4: s.193195-
- Noyan, Abdülkadir. 1956. Son Harplerde Salgın Hastalıklarla Savaşlarımız. Ankara. Son Havadis Matbaası.

- Özbay, Kemal. 1976. Türk Asker Hekimliği Tarihi ve Asker Hastaneleri Tarihi, Cilt: I. İstanbul. Yörük Basımevi.
- Özcan, Ahmet. 1994. Osmanlılarda Askeri Teşkilat. Osmanlı Ansiklopedisi, Cilt: 4. İstanbul.
- Özdemir, Hikmet. 2005. Salgın Hastalıklardan Ölümler; 1914-1918-. Ankara. Türk Tarih Kurumu.
- Raynora, MS, Cliff AD. 2004. The geographical spread of cholera in the Crimean War: epidemic transmission in the camp systems of the British Army of the East, 1854–55. Journal of Historical Geography; 30: s. 32–69
- Sağlam, Tevfik. 1941. Büyük Harpte 3. Orduda Sıhhi Hizmet. İstanbul Askeri Matbaası.
- Süer, H. Hikmet. 1920. 1877-1878- Osmanlı-Rus Harbi Rumeli Cephesi. Ankara. Genelkurmay Basımevi, 1993, Matbaa.
- Terzioğlu, Ahmet. 1999. Yeni Arşiv Kaynakları Işığında Gülhane ve Türk Tıbbının Gelişmesine Katkıları, Gülhane ve Cumhuriyetin Kuruluş Döneminde Türk Tıbbına Katkıları Sempozyumu Bildirileri. İstanbul, s. 14.
- Terzioğlu, Ahmet. 1995. Yeni Bulunan Kaynaklar Işığında Dr.K.A. Bernard ve Mekteb-i Tıbbiye-i Şahane. V. Türk-Avusturya Tıbbi İlişkileri Sempozyumu Bildirileri. İstanbul, s. 7891-.
- Turan, Osman. 1995. Türk Cihan Hakimiyeti Mefkûresi Tarihi. İstanbul. Cilt 1, Boğaziçi Yayınları.
- Ünver, A. Süheyl. 1943. Tıp Tarihi, I ve II nci Kısımlar. İstanbul.
- Zeydan, Corci. 1913. Medeniyeti İslamiye Tarihi. Cilt: III. İstanbul. İkdam Matbaası.

ثانياً: المراجع العربية:

- أوزتونا، يلمازا. 1990م. تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، تركيا: مؤسسة فيصل للتمويل.
- أوغلي، أكمل الدين إحسان. 1999م. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي، الطبعة الأولى، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
- س. موستراس. 1423هـ/ 2002م. المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحات، الطبعة الأولى، لبنان: دار ابن حزم.
- الشرقاوي، أحمد الشرقاوي؛ وآخرون. 1439هـ/ 2018م. جغرافية الممالك العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار البشر للثقافة والنشر.
- الصلابي، علي محمد محمد الصلابي. 1420هـ/ 1999م. الدولة العثمانية عوامل النهوض، وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، لبنان: دار البيارق.
- الغازي، أماني جعفر. 1438/3/17هـ/ 2019/12/16م. ضريبة الغلمان في عيون المستشرقين، بحث منشور في جامعة القصيم، بحوث مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، ج 2.

الهوامش:

- (1) Turan, O. Türk Cihan Hakimiyeti Mefkûresi Tarihi. İstanbul. Cilt 1, Boğaziçi Yayınları, 1995. S. 45.
- (2) Ünver S. Tıp Tarihi, I ve II nci Kısımlar. İstanbul. 1943, s. 172-173.
- (3) Zeydan C. Medeniyeti İslamiye Tarihi. Cilt: III. İstanbul. İkdam Matbaası, 1913, s. 375.
- (4) دوشمة: كلمة تركية تكتب بزيادة الفاء "دوشمة" ولكن الأصح لغوياً أن تكتب بدونها، وجاءت الكلمة بمعنى الإسقاط الحامل لحملها، أو السقوط في الهاوية، كما تطلق على كلمة دأشر بمعنى الذي لا أهل له أو لا يرجع إليه في شؤونه، وقد أطلقت على الانكشافية؛ للتحقير من شأنهم، وتشويه نظام إسلامي قائم على التجنيد الإجباري؛ وهو

- نظام إسلامي لا يخالف الشرع أبداً، ولكن التشويه لمجرد أن يشوهوا جنوداً فتحوا مدناً، وأوصلوا الإسلام إلى مناطق جديدة.
- أماني جعفر الغازي: ضريبة الغلمان في عيون المستشرقين، بحث منشور في جامعة القصيم، بحوث مؤتمر الاستشراق، ماله وما عليه 173/1438 هـ/16/12/2019م، ص 1179-1180.
- (5) Özbay K. Türk Asker Hekimliği Tarihi ve Asker Hastaneleri Tarihi, Cilt: I. İstanbul. Yörük Basımevi, 1976, s. 23-55.
- (6) Bayat AH. Osmanlı Devletinde Hekimbaşılık Kurumu ve Hekimbaşılar. Gevher Nesibe Bilim Haftası ve Tıp Günleri Bildirileri. Kayseri. 1982, s. 610-616.
- *حكيم باشي: هو أحد رجال الـ (بيرون) داخل تشكيلات السراي العثماني، وهو رئيس الأطباء في السراي، ورئيس الأطباء المسلمين وغير المسلمين في كافة أنحاء الدولة العثمانية، ورئيس الكحالين والجراحين؛ فهو المسئول عن تعيينهم، وترقيتهم، والتفتيش عليهم، وعزلهم. وغير ذلك، وكان يطلق على الحكيمباشي أيضاً اسم (رئيس الأطباء)، ويخاطب باللقاب تدل على معاني الطب والتداوي، ويحصل رئيس الأطباء على أعلى الرتب مثل رتبة الدفترارية، وقضاء العسكر، والوزارة، وفي أوائل القرن السابع عشر كان يعمل تحت إمرة الحكيمباشي 21 طبيباً مسلماً، وما يزيد على 41 طبيباً يهودياً، أما هو فكان يحصل على راتب يومي قدره 500 أقة.
- *أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي، الطبعة الأولى، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م، ص 484، 485. ولزيد من المعلومات انظر: الطب في العصر العثماني، المرجع نفسه.
- (7) Bayat Ah. Osmanlı Devletinde Hekimbaskilik Kurumu ve Hekimbaskilar Gevher Nesibe للمزيد عن أخبار الحرمين في العصر العثماني أنظر: يلمازا أوزنونا: تاريخ الدول العثمانية، الطبعة الأولى، تركيا: مؤسسة فيصل للتعليم، 1990م، ص 533-532.
- (8) لم تتوفر للدراسة جمع تواريخ الأطباء.
- (9) Özcan A. Osmanlılarda Askeri Teşkilat. Osmanlı Ansiklopedisi, Cilt:4. İstanbul. 1994, s. 77
- (10) علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، لبنان: دار البيارق 1420هـ/1999م، ص 228.
- (11) لمراجعة وطنية السلطان محمد الفاتح انظر: علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص 262-237.
- (12) سيواس: مدينة في تركيا الأسوية الأناضول على نهر قزل إرماق، يوجد شمالاً طربزون، وشرقاً أرضروم، وجنوبها الشرقي حلب، وجنوباً أطنه، وغرباً أنقرة، انظر: أحمد الشرقاوي وآخرون: جغرافية الممالك العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، 1439هـ/2018م، 139، وانظر: س. موستراس: المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحات الطبعة الأولى، لبنان: دار ابن حزم، 1423هـ/2002م، ص 317.
- (13) Ataç A. Osmanlı Devletinde Askeri Sağlık Hizmetleri. Osmanlı Devletinde Sağlık Hizmetleri Sempozyumu Kitabı. Eds.:Ak B,Ataç A.Aнкара. Ajans-Türk Matbaası, 2000, s. 253.
- (14) Ünver S. Tıp Tarihi, I ve II nci Kısımlar. İstanbul. 1943, s. 172-173
- (15) Gencer A.İ. İstanbul Tersanesinde Açılan İlk Tıp Mektebi, İ.Ü. Edebiyat Fak. Tarih Dergisi. 1977; sayı: 31, s. 301-310.
- (16) Terzioğlu A. Yeni Arşiv Kaynakları Işığında Gülhane ve Türk Tıbbının Gelişmesine Katkıları, Gülhane ve Cumhuriyetin Kuruluş Döneminde Türk Tıbbına Katkıları Sempozyumu Bildirileri. İstanbul. 1999, s. 14.
- (17) Ataç A. 14 Mart 1827'de Açılan Tıp Okulunun Açılışı İle İlgili Dört Belge, Yeni Tıp Tarihi Araştırmaları 2-3. İstanbul. 1996/1997, s. 242-257.
- (18) Terzioğlu A. Yeni Bulunan Kaynaklar Işığında Dr. K. A. Bernard ve Mekteb-i Tibbiye-i Şahane. V.

- Türk-Avusturya Tıbbi İlişkileri Simpozyumu Bildirileri. İstanbul. 1995, s. 78-91.
- (19) Frik F. Türkiye'de Sağlık Hizmetlerinde Alman İlaçları, Türk – Alman Tıbbi İlişkileri Sempozyum Bildirileri. İstanbul. 1981, s. 79.
- (20) Raynora MS, Cliff AD. The geographical spread of cholera in the Crimean War: epidemic transmission in the camp systems of the British Army of the East, 1854–55. Journal of Historical Geography. 2004; 30: 32–69.
- (21) Süer H.H. 1877-1878 Osmanlı-Rus Harbi Rumeli Cephesi. Ankara. Genelkurmay Basımevi, 1993, s.23.
- (22) Ataç A, Uçar M, Yiğitler C. Osmanlı Hasta ve Yaralı Askerlere Yardım Cemiyetinin 1877-78, Osmanlı Rus Savaşında Yürüttüğü Sağlık Hizmetleri. VIII. Türk Tıp Tarihi Kongre Kitabı İstanbul. 2006, s. 347-366
- (23) Akgün SK, Uluğtekin M. Hilal-i Ahmer'denbn Kızılay'a. Ankara. Beyda Basımevi, 2000, s. 97-106.
- وقد جاءت على النحو التالي:
- منطقة الجيش الأول: أدرنة، وقارا اغاج، وقريق كليسة وديماطوقا، وجسر مصطفی باشا، وده ده اغاج وجومولجينة، وقريجا على، وشومنو، وروسجوق، وايسلمية، وطرنوفا، وفيدين، وبيلونة، وطولجي.
- منطقة الجيش الثاني: مستشفيات عسكرية في كل من: ماناسطير، وسالونيك، وسالونيك دنيز وايشكودرا، وناسليج، واسكوب، وازمير، والحميدية، وازمير بوجها، والبوسنة، والكيلان، وايشتيب، وايستولجه، وكوبرولو، وقوزانا، وقوصوه، وبيريشتينة، وميرتوفيجة، ومورا، ويني شهر، وموستار، ونيس، وناردا، والاسونيا، وبيراوازا، وبادكوريجه، وسراز، وسانيجه، وسرفيجه واوسطورومجا، ويانيا، ويني بازار، ودابرة، وطاشليجه.
- منطقة الجيش الثالث: مستشفيات عسكرية في كل من ارزنجان، وارضروم، وخربوط، وقارص، وسيواس، ودياربكر، ووان، وطرايزون.
- منطقة الجيش الرابع: توجد مستشفيات عسكرية في كل من: الشام (دمشق)، وبيروت، وحلب، وحمص، وصيدا.
- منطقة الجيش السادس: توجد مستشفيات عسكرية في كل من : صنعاء، والحديدة، والعسير، وابها، والطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وطرابلس الغرب، وبنغازي، وكريت قندية، ورسمو، وحانيا، والإسكندرية، وجدة .
- (24) Ataç A, Uçar M. 1912 Yılında Yayımlanan Bir Belge Işığında Osmanlı Hilal-i Ahmer Cemiyeti'nin Balkan Savaşında Yürüttüğü Sağlık Hizmetleri. VIII. Türk Tıp Tarihi Kongre Kitabı. İstanbul. 2006, s. 367-375.
- (25) Danişment İ.H. Osmanlı Tarihi Kronolojisi, 4. Cilt. İstanbul. Türkiye Basımevi, 1955, s. 388–389.
- (26) وهي مادة شبه كلوية مخدرة، ومسكنة للألام والجروح، وستخرج من نبات الأفيون، وتصنع منه الأدوية.
- (27) Genelkurmay Başkanlığı. Birinci Dünya Harbinde Kafkas Cephesi 3 ncü Ordu Harekatı, Cilt II. Ankara. Genelkurmay Basımevi, 1993, s.730-732.
- (28) Genelkurmay Başkanlığı. Osmanlı Devri Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi. Cilt V, Kitap 3. Ankara. Genelkurmay Basımevi, 1980, s. 545-560.
- (29) Hoffman W. Sıhhiye Hıdamatı. Çeviren; Hüseyin Hüsni. İstanbul. Askeri Matbaa, 1920.
- (30) Kavur EŞ. Askeri Hekimliğın Sıhhiye Hizmetlerinde Bir Etüd. Dirim Dergisi. 1973; 4:s.193-195.
- (31) Erdem G. Birinci Dünya Savaşı Yıllarında Sağlık Hizmetleri. Genelkurmay Başkanlığı, Erzurum Mareşal Çakmak Asker Hastanesi, Seferde Sağlık Hizmetleri Sempozyum Kitabı. 2010, s.10-25.
- (32) Erkanı Harbiyeyi Umumiye Riyaseti. Hıdamatı Sıhhiyede Harb Tecrübeleri, Harbi Umumiden Alınan Bazı Malumat ve Tecrübeler. İstanbul. 6. Matbaa-i Askeriye, 1922, s. 58.

- (33) غالبيولي: أول مدينة في أوروبا فتحها العثمانيون، وأصبحت مركزاً لحملاتهم ضد البلقان.
- (34) Erkanı Harbiyeyi Umumiye Riyaseti. Hidamati Sıhhiyede Harb Tecrübeleri, Harbi Umumiden Alınan Bazı Malumat ve Tecrübeler. İstanbul.
- (35) Erkanı Harbiyeyi Umumiye Riyaseti. Hidamati Sıhhiyede Harb Tecrübeleri, Harbi Umumiden Alınan Bazı Malumat ve Tecrübeler. İstanbul.
- (36) Noyan A. Son Harplerde Salgın Hastalıklarla Savaşlarım. Ankara. Son Havadis Matbaası, 1956, s. 9.
- (37) Sağlam T. Büyük Harpte 3. Orduda Sıhhi Hizmet. İstanbul Askeri Matbaası. 1941, s. 51.
- (38) Karatepe M, Kutlubay R. I. Dünya Savaşı Yıllarında Kayseri’de Sağlık Çalışmaları. IX. Türk Tıp Tarihi Kongresi Bildiri Kitabı. Ankara. Nobel Yayın, 2006, s. 350-353.
- (39) Ataç A. Osmanlı Devletinde Askeri Sağlık Hizmetleri. Osmanlı Devletinde Sağlık Hizmetleri Sempozyumu Kitabı. Eds.: Ak B, Ataç A. Ankara. Ajans-Türk Matbaası, 2000, s. 271.
- (40) Erdem G. Birinci Dünya Savaşı Yıllarında Sağlık Hizmetleri. Genelkurmay Başkanlığı, Erzurum Mareşal Çakmak Asker Hastanesi, Seferde Sağlık Hizmetleri Sempozyum Kitabı. 2010, s.10-25.
- (41) Genelkurmay Başkanlığı Osmanlı Devri Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi. Cilt V, Kitap 3. Ankara. Genelkurmay Basımevi, 1980, s.545-560
- (42) لم تجد الباحثة تفسيراً لهذه الكلمة، ولكن من الواضح أنها غسالات ملابس تعمل يدوياً.
- (43) Özcan A. Osmanlılarda Askeri Teskilat. Osmanlı Ansiklopedisi, Cilt: 4. İstanbul. 1994, s.

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث



المياه الكونية: استكشاف علم الكونيات والطب في مؤلفات أبي حفص النسفي (461-537هـ/1067-1142م)

نائل احمد
تركي

ملخص المقال:

يهدف هذا المقال إلى الخوض في علم الكونيات وأسس الفهم الطبي كما وردت في كتاب أبي حفص النسفي الموسوم بـ "مطالع النجوم ومجمع العلوم". ينصب التركيز الأساسي على فهم أهمية الماء باعتباره المادة الأولية في الكون وعلاقته بالعناصر الأربعة والأخلاق الأربعة. كما يستكشف المقال أيضًا القضايا التدوينية مثل خلفية المؤلف، وتوثيق المخطوطة بالنسبة لأعمال المؤلف الأخرى، وسياقها التاريخي. وعلاوة على ذلك، يبحث المقال في كيفية دمج أبو حفص النسفي هذه الأفكار الكونية والطبية في إطار قرآني مستمدًا من تفسيره التيسير في التفسير.

مقدمة

من مساحات الكون الشاسعة إلى التعقيدات المعقدة للجسم البشري، كان فهم نسيج الوجود ذاته مسعىً دائمًا للعلماء عبر الحضارات. ويقدم كتاب "مطالع النجوم ومجمع العلوم" لأبي حفص النسفي استكشافًا عميقًا للدور التأسيسي للماء باعتباره المادة الأولية في سياق علم الكون والطب. فالماء، في مفهوم النسفي، ليس مجرد كيان مادي أو عنصري، بل هو حجر الزاوية في النظام الكوني وجوهر الحياة البشرية.

وتسعى هذه المقالة إلى سبر أغوار رؤى النسفي من خلال تسليط عدسة مكبرة على العلاقة التكافلية بين أولية الماء والفهم القديم للعناصر الأربعة والنظرية الطبية للأخلاق الأربعة. وبالإضافة إلى المحتوى النصي، من الضروري أيضًا تناول الجوانب التدوينية - تقييم خلفية المؤلف، والتحقق من صحة المخطوطة، ووضعها في محيطها التاريخي. ومن خلال الكشف عن هذه الروابط، نسعى أيضًا إلى فهم كيفية دمج النسفي بسلاسة هذه الخطابات الكونية والطبية في رؤية إسلامية للعلم، مستلهمين من تفسيره "التيسير في التفسير".

ونحن إذ نشرع في هذه الرحلة الأكاديمية، فإننا لا نهدف فقط إلى كشف النقاب عن البنى النظرية للنسفي فحسب، بل نهدف أيضًا إلى تقدير الآثار الأوسع نطاقًا لأفكاره حول العلاقة بين علم الكونيات والطب والفكر الإسلامي. ومن خلال القيام بذلك، نأمل أن نلقي الضوء على الأهمية الدائمة للماء ككيان كوني وجسدي، كاشفين عن الجسور المعقدة بين السماوات والأرض وروح الإنسانية ذاتها.

علم المخطوطات: المؤلف والنص والمخطوطة والتوثيق

كان نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان النسفي السمرقندي عالماً حنفياً معروفاً في مجالات تفسير القرآن الكريم والأدب والتاريخ. ولد في نسف (أوزبكستان حالياً) في عام 461 هـ/1068 م، وعاد إلى ربه في عام 537 هـ/1142 م. ومن أساتذته المفسر المعروف جاز الله الزمخشري، ومن تلامذته الفقيه الحنفي برهان الدين المرغيناني مؤلف كتاب الهداية. ألف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم بعنوان "التيسير في التفسير" وهو مطبوع الآن في 15 مجلداً. وقد جعل منه كتابه "العقيدة النسفية/العقيدة النسفية" شخصية محورية في التاريخ الفكري الإسلامي، وقد قام سعد الدين التفتازاني بالتعليق عليه فيما بعد، وأصبح من أكثر النصوص المتقدمة التي درست على نطاق واسع في علم الكلام. وهذا النص الأساسي هو في الواقع بداية عمله الموسوعي "مطالع النجوم ومجامع العلوم" الذي يغطي مجموعة من الموضوعات المختلفة من علم الكلام إلى الفقه إلى الطب والتغذية.

والمصدر الأساسي لتحقيقنا هو مخطوطة لهذا النص م فهرسة برقم 1462، وهي موجودة في مكتبة أبو ریحان البيروني للدراسات الشرقية، وهي جزء من أكاديمية العلوم الأوزبكية في طشقند. تتألف هذه المخطوطة من 357 صفحة مقسمة إلى 62 جزءاً. وقد ألى أبو حفص النسفي النص وهو في السبعين من عمره في عام 532 هـ أي قبل وفاته بخمس سنوات فقط.

وتكتسب صحة النص وعلاقته بالمؤلف أهمية قصوى. ومما يؤيد صحة المخطوطة الإشارات الواردة فيها إلى أستاذه القاضي أبي اليسر البردوي، والإشارات إلى مؤلفاته الأخرى، مثل التيسير في التفسير.

وهكذا يمكننا القول بثقة أن هذا النص هو في الواقع من المؤلف المزعوم استناداً إلى ثناء المؤلف على القاضي أبي اليسر البردوي في الكتاب الذي كان أستاذاً أبي حفص النسفي. كما تشير المخطوطة أيضاً إلى مصنف في تفسير القرآن الكريم يسمى "التيسير في التفسير" وينسب إلى أبي حفص النسفي. وقد طبع الكتاب حديثاً في إفرقيّة سنة 2019. وقال في معنى لفظ المُتَصَدِّين في الآية: إِنَّهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَطَعُوا الطَّرِيقَ إِلَى مَكَّةَ لِيَمْنَعُوا النَّاسَ مِنَ الْوُجُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. ثم قال: "ذَا الْقَرْنَيْنِ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ". وَقَدْ ذَكَرْنَا أَسْمَاءَهُمْ فِي كِتَابِ "التَّيْسِيرِ فِي التَّفْسِيرِ". وهذه الإشارة إلى كتاب المؤلف تعطي مصداقية لدعوى تأليفه لهما معاً. بعد إثبات نسبة النص إلى النسفي بشكل قاطع، يمكننا أن نتقل إلى تحليل المضمون الفعلي للنص.

نظريات علم الكونيات

على الرغم من أن المخطوط يغطي مجموعة موسوعية من الموضوعات، إلا أن تركيزنا ينصب على مقدمة الفصل المعنون "كتاب حقائق الحب في علم الطب" الذي يمكن ترجمته بـ "كتاب هدية الحب في علم الطب". تواجه في السطور الافتتاحية التأكيد على أن الماء هو بمثابة المادة الأولية لجميع العناصر والمواد، وهو الجوهر الذي تنشأ منه جميع الأشياء. هذا المفهوم له جينات تمتد إلى العصور القديمة، حتى قبل تعاليم أرسطو وأفلاطون. إن فهم أهمية الماء باعتباره المادة الأولية في أعمال النسفي يتطلب استكشافاً أوسع لسياق الأصول والتكوين. فعلى مر التاريخ، سعت الحضارات على مر التاريخ إلى البحث عن إجابات فيما يتعلق بتكوين الكون والجسم البشري، من الإغريق إلى المصريين والهنود والصينيين. وقد نتج عن هذا البحث صياغة عدد من النظريات المتعلقة بذلك والتي ورثتها الحضارة الإسلامية. تجاوزت هذه الاستفسارات الطب، وتعمقت في علم الوجود والعلوم الطبيعية، بهدف معالجة الأسئلة الأساسية حول أصول الوجود، مثل ماهية كل شيء وما هو موجود بالفعل. ولا عجب أن ينتهي الأمر

ببعض الحضارات إلى عبادة إجاباتها على هذه الأسئلة. والواقع أن هذه الاستكشافات العميقة أدت إلى تبجيل العناصر الطبيعية، مثل النار أو الشمس، باعتبارها مكونات مركزية في أكوانها.

ولكي نفهم مغزى الادعاء بأولية الماء كعنصر وحيد، علينا أن نميز بين الأخطار الأربعة التي تشير إلى تكوين جسم الإنسان وأمرجته وبين العناصر الأربعة التي تشير إلى تكوين الكون ذاته بما في ذلك جسم الإنسان.

وبالعودة إلى الإغريق، إذا بدأنا بما قد يكون أقدم نظرية موثقة تاريخياً عن أصل الكون المادي، فإن أقدم نظرية في علم

الكونيات - دراسة الأصول المادية للكون - تنسب إلى طاليس ميليتوس، وهو فيلسوف من القرن السادس قبل الميلاد. ولكن كما ذكرنا، فإن هذه النظرية ليست حكرًا على الإغريق. فأقدم نظرية في علم الكونيات، وهي دراسة أصول الكون، تسبق حتى أرسطو وأفلاطون. تنص هذه النظرية على أن الماء هو أصل كل شيء. كان طاليس، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، يعتقد أن الماء هو العنصر الأساسي، وبالتالي - جوهر - كل شيء.

ويقول أن الكيان الأساسي هو الماء (ولهذا السبب اقترح أيضًا أن الأرض تطفو على الماء). ويفترض أنه استمد هذا الافتراض من رؤيته أن طبيعة كل شيء حي رطبة، وأن الحرارة نفسها متولدة من الرطوبة وتعتمد عليها في وجودها (وأن الذي يتولد منه الشيء هو دائماً مبدؤه الأول). وقد استمد افتراضه هذا من هذا؛ وكذلك من أن بذور جميع الأشياء ذات طبيعة رطبة، بينما الماء هو المبدأ الأول لطبيعة الأشياء الرطبة.

وقد اعترف أرسطو نفسه بأن طاليس هو أول فيلسوف بحث في أصل العالم المادي ونسب إليه هذه الأفكار. إن هذا المفهوم المبكر للماء كأصل لكل شيء ينبئ بالمصادفة أن ادعاء مؤلفنا الذي يهدف إلى استكشاف دور الماء الأساسي والمبدئي في تكوين الكون وجسم الإنسان.

ولم يتم تطوير النظرية الرباعية للعناصر إلا في وقت لاحق على يد إمبيدوقليس. اشتهر الفيلسوف اليوناني القديم باقتراح مفهوم العناصر الأربعة الكلاسيكية: الأرض والماء والهواء والنار. وغالبًا ما ترتبط هذه الفكرة باسمه. يمكن العثور على أحد المصادر الأساسية لنظرية إمبيدوقليس عن العناصر الأربعة - التي أطلق عليها اسم بانتون ريزوماتا (جذور كل الأشياء) - في عمله "في الطبيعة" (Περὶ φύσεως). ومع ذلك، من المهم أن نلاحظ أنه لم يصلنا سوى أجزاء من كتاباته الأصلية، ومعظم ما نعرفه عن أفكاره يأتي من الفلاسفة والمفسرين اللاحقين. تناقش بعض المصادر المبكرة، على سبيل المثال، مثل كتاب أرسطو "في التوليد والفساد" و"علم الأرصاد الجوية"، أفكار إمبيدوقليس حول "الجذور" الأربعة.

ابتكر أفلاطون في "التيمايوس" استخدام مصطلح "العناصر" الذي نستخدمه اليوم في الكيمياء الحديثة لوصف مكونات الجدول الدوري. وقد تم اقتراح تحوله عن "الجذور" إلى "العناصر" (στοιχεῖα) كوسيلة لتأسيس مفهومه الفريد. والكلمة العربية طاقس (taqs) مشتقة من هذا الأصل اليوناني. لم تتوقف العناصر الأربعة عند أفلاطون في الواقع عند النار والماء والأرض والهواء. بل إن كل واحدة من هذه العناصر كانت في النهاية مكونة من أسطح وأجسام أبسط. فالهرم المنتظم أو رباعي الأوجه يشكل النار، والثماني الأوجه يشكل الهواء، والمكعبات تشكل الأرض، والإيكوسيدرون يشكل الماء. وبناءً على ذلك، كانت الهندسة - الأشكال والأعداد - بالنسبة لأفلاطون هي النسيج الأساسي للكون المادي، وكانت العناصر الأربعة هي أوضح تجلياتها في العالم المحسوس. أما مساهمة أرسطو في هذه النظرية الكونية النامية فقد أضاف عنصرًا خامسًا، الأثير أو الأثير، لتفسير الأجرام السماوية.

لأغراض المقارنة، من حيث الدلالة الدينية، يجب أن نلاحظ أن هناك علاقة بين العناصر الأربعة ومجموعة الآلهة في السياقين الإغريقي والهندي. في الأساطير الإغريقية القديمة، غالبًا ما ارتبطت هذه العناصر بالآلهة والإلهات. على سبيل المثال، ارتبط هاديس، إله العالم السفلي، بعنصر الأرض. وارتبط بوسيدون، إله البحر، بالماء. وارتبط زيوس، إله السماء والرعد، بالهواء، وارتبطت هيسثيا، إلهة الموقد والمنزل، بعنصر النار. في الهندوسية، ترتبط العناصر الأربعة في الهندوسية بالآلهة ومبادئ مختلفة. فالأرض مرتبطة بالآلهة بهومي، والماء مرتبط بفارونا، إله المياه، والهواء مرتبط بفايو، إله الرياح، والنار مرتبطة بأغني، إله النار. إن مدى التأكيد على هذه الارتباطات ليس محور تركيز هذه الورقة، ولكن يمكننا على الأقل أن نعتز بقيمة إشعاعاتها الخلفية.

بينما كان أفلاطون يبحث عن أصولها في الماضي البعيد، سعى أبقراط، الذي ولد قبله بضعة عقود، إلى تطبيقها لصالح الناس. فوضع إطارًا للتطابق بين العناصر الأربعة والأخلاق الأربعة (الدم والبلغم والصفراء والصفراء السوداء) التي يتكون منها جسم الإنسان. وبعد أكثر من قرن من الزمان، قام جالينوس، المولود في برغام (برغاما الحالية، تركيا) بتوسيع النظرية الخلقية وصلفها بشكل كبير. فقد أدخل فئات إضافية، مثل الصفات الحارة والباردة والرطبة والجافة التي ارتبطت بالعناصر. وكان نظامه أكثر تفصيلًا وتعقيدًا، حيث أدرج فكرة الأمزجة و"التكوين الطبيعي" الفريد لكل فرد، والذي يحدده توازن صفاته.

وفي النهاية، أصبح كل شيء في الكون مرتبطًا حول فكرة العناصر الأربعة. وأصبحت هذه العناصر مرتبطة بشكل رمزي بالفصول الأربعة، حيث تمثل الأرض برودة الشتاء وقساوته، والماء يجسد تجدد الربيع، والهواء يتناغم مع دفء الصيف، والنار ترمز إلى التحول والتغير في الخريف. لاحظوا هذا المخطط الذي يربط بين الفصول الأربعة والمراحل الأربعة لحياة الإنسان مع الفصول الأربعة والعناصر الأربعة. كان الهدف من هذا التنظيم هو ربط الجزئي بالكلّي والسعي لتحقيق التوازن بين جميع العناصر المكونة لها.

عنصر	المزاج	الموسم	مراحل الحياة
الدم	الدموي	الربيع	الطفولة
الصفراء الصفراء	الكولي	الصيف	المراهقة
بلغم	بلغمي	خريف	النضج
السوداء الصفراء	كثيب	الشتاء	الشيخوخة

أما على مستوى جسم الإنسان، فستكون هناك حاجة إلى التدخل الطبي في حالة وجود خلل في الأخطاط. فكانوا يعالجون الناس عن طريق إزالة الفائض من إحدى هذه المواد من خلال الحجامة أو يوصون بالعلاج بمادة ذات طبيعة معاكسة. وإذا تم تحديد مشكلة ما مثل الرطوبة الزائدة ودرجة الحرارة الزائدة، كان يجب عندئذٍ استخدام قوة مؤهلة معاكسة لتحقيق التوازن واستعادة التوازن في الجسم. وكما عرضنا في هذا القسم، فإن سياق مناقشة النسفي للكونية يمتد لقرون ويؤثر على مجالات النشاط البشري من اللاهوت إلى الطب.

الماء في القرآن

ولمزيد من التفصيل والتوضيح لمقصد النسفي عندما يحدد الماء كأصل لكل شيء، يمكننا الرجوع إلى تفسيره "التيسير في التفسير".

يؤكد تفسير النسفي في تفسيره "التيسير في التفسير" على أهمية الماء في كل من التسلسل الزمني للخلق وتوليد الحياة في تفسير هذه الآيات القرآنية من سورة الأنبياء (21:30) وسورة هود (11:7). دعونا نستكشف تفسيره بالتفصيل هاتين الآيتين:

1. سورة الأنبياء (21:30): "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ".

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

تفسير النسفي: "وَجَعَلْنَا مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ".

يؤكد النسفي في هذه الآية على دور الماء كعنصر أساسي للحياة. ويوضح أن كل شيء حي على وجه الأرض، كما تدل عليه عبارة "كل شيء حي"، ينشأ من الماء. ويذهب النسفي إلى أبعد من ذلك ليوضح أن الماء ليس فقط مصدر الحياة للمخلوقات الأرضية، بل يلعب أيضًا دورًا حاسمًا في خلق الحياة. ويشير إلى أن "مياه السماء" لها دور فعال في ظهور الحياة على الأرض. يؤكد هذا التفسير على كل من الأولوية الزمنية وأولوية الماء في توليد الحياة.

الأولوية في توليد الحياة: يسلط التفسير الضوء أيضًا على الماء كعنصر أساسي لاستمرار الحياة. الماء ليس فقط مصدرًا للحياة على الأرض بل هو أيضًا الوسيلة المغذية للحياة على الأرض. إنه عنصر أساسي يسهل نمو الكائنات الحية وتطورها. وهكذا، يتم تصوير الماء على أنه العنصر الأساسي الذي لا غنى عنه في توليد الحياة.

2. سورة هود (11:7): "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

شرح النسفي: "خلق العرش والماء قبل خلق السماوات والأرض".

يقدم النسفي في هذه الآية تفسيراً عميقاً يؤكد على أسبقية الماء في قصة الخلق الإلهي. فهو يشير إلى أنه حتى قبل خلق السماوات والأرض، كان عرش الله قد تأسس على الماء. يحمل هذا التفسير آثاراً لاهوتية وكونية عميقة.

الأولوية الزمنية: من خلال ذكر أن العرش كان موضوعاً على الماء، يشير النسفي إلى أن الماء كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض. يؤكد هذا المفهوم على فكرة أن الماء عنصر أساسي وأولي في النظام الإلهي للخلق.

3. سورة النور (24:45): «وَاللَّهُ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾

شرح النسفي: قَالَ فِي شَرْحِهِ الْآخِرِ: إِنَّهُ يَعْمُ "كُلَّ دَابَّةٍ تَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ". وَذَكَرَ عِنْدَ تَفْسِيرِ مَعْنَى الْمَاءِ رَوَايَةً عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ يُعْنِي بِهَ الْمَيِّ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. ثُمَّ يَضِيفُ مَعْنَى آخَرَ فَيَقُولُ: "مِنْ طِينٍ، وَالطِّينُ مِنَ الْمَاءِ لِأَنَّ أَصْلَ التُّرَابِ التُّرَابِيُّ هُوَ الْمَاءُ". وَيَقُولُ أَيْضًا: "لَا يَخْلُو مَخْلُوقٌ مِنْ رَطُوبَةٍ (رُطُوبَةٍ) لِأَنَّ الْحَيَاةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْمَاءِ".

الأرض من الماء: وكل مخلوق يتحرك على الأرض فهو مخلوق من الماء. وبعد أن قدّمنا تقرير الحسن عن الدور المنوي لكل من العنصرين الذكري والأنثوي في عملية التكاثر، نفترض أن هذه الإشارة إلى الماء ترمز إلى المادة الأرضية من الطين أو الطين التي يعود أصلها في النهاية إلى الماء. وتنعكس وجهة النظر هذه الفكرة العميقة أن جوهر تكوين الأرض، أي الطين أو الطين، يستمد نسبه من عنصر الماء الأساسي. بهذه الطريقة، يصوّر الماء على أنه الأصل الأولي الذي تنبثق منه حتى المادة الأرضية ذاتها.

وخلاصة القول، يوضح هذا التفسير التفاعل المعقد للمعاني داخل الآية القرآنية، ويكشف ليس فقط عن تنوع الحياة على الأرض، بل أيضاً عن الترابط العميق بين الماء والطبقة التحتية الأرضية. وهي تبرز قدرة القرآن على تغليف الحقائق العميقة في آياته، وتدعو القارئ إلى التأمل في نسيج الخلق المعقد والدور المتكامل الذي يلعبه الماء في هذه السردية الكونية.

في جميع التفسيرات المذكورة أعلاه، يقدم النسفي منظوراً يؤكد أسبقية الماء في الخلق. فالماء ليس أصل الحياة فحسب، بل هو أيضاً عنصر أساسي كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض. تؤكد هذه الآيات وتفاسيرها على أهمية الماء في الخطة الإلهية وتوليد الحياة، وتصوره على أنه المادة الأساسية والأولية في التسلسل الهرمي للخلق.

الماء في الكون وجسم الإنسان

لنتنقل الآن إلى المخطوط نرى كيف يصف النسفي تنظيم العالم من حيث نشأته وكيفية عمله. فهو يبدأ الفصل الخاص بـ "كتاب هبة البذور/كتاب هداية الحب في الطب/كتاب الطب" على النحو التالي

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

[تركيب الإنسان]

كتاب هديّة الحب في علم الطب

بسم الله الرحمن الرحيم رَبَّنَا سَهِّلْ وَتَمِّمْ بِالْخَيْرِ

قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَمَثِيلَ الْكَوْنِ. فَبِالْكَوْنِ أَرْبَعَةُ مِيَاهٍ: حُلُوٌّ، وَحَامِضٌ، وَمَالِحٌ، وَمِلْحٌ. وَكَذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ حُلُوٌّ فِي النِّعَمِ، وَلَذَائِعٌ فِي الْأَنْفِ، وَمَالِحٌ فِي الْعَيْنِ، وَحَامِضٌ فِي الْأُذُنِ.

قال رضي الله عنه أن الله ركب مثال العالم وفي العالم أربعة مياه: عذب ومُر ومِلح ومُنِن وفي الإنسان كذلك. فالعذب في الفم

والملتفت في الأنف والملح في العينين والمُر في الأذنين.

وَفِي الْإِنْسَانِ أَرْبَعُ طَبَائِعَ: الدَّمُ وَهُوَ حَارٌّ رَطْبٌ شِبْهُ الرَّبِيعِ، وَالصَّفْرَاءُ وَهُوَ حَارٌّ يَابَسٌ شِبْهُ الصَّيْفِ، وَالْكَدِرَةُ السُّودَاءُ وَهِيَ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ شِبْهُ الْخَرِيفِ، وَالْبَلْغَمُ وَهُوَ بَارِدٌ رَطْبٌ شِبْهُ الشِّتَاءِ."

وفيه أربعة طباع وفيه أربعة طباع الدم هو حار رطب وهو على مثال الربيع، والصفراء وهو حار يابس وهو على مثال الصيف، والسوداء وهو بارد يابس وهو على مثال الخريف، والبلغم وهو بارد رطب وهو على مثال الشتاء.

تعتمد الفقرة الافتتاحية للنسفي على المفهوم الخلطي الكلاسيكي لجسم الإنسان، وهي نظرية طورها الأطباء القدماء مثل جالينوس وأبقراط. إلا أن المؤلف يتبع نهجاً فريداً من خلال البدء بمفهوم الماء باعتباره العنصر الأساسي في جسم الإنسان. وعلى النقيض من الأطلاط الأربعة التقليدية (الدم، والبلغم، والصفراء السوداء، والصفراء الصفراء) التي وصفها جالينوس وأبقراط، يقدم المؤلف فكرة أربعة أنواع من "المياه" في الكون ووجودها الموازي في جسم الإنسان. يعمل هذا المنظور المميز على ربط العالم المصغر لجسم الإنسان بالعالم الكلي للكون، مما يعني وجود ترابط عميق بين الإنسان والعالم من حوله. ومن خلال التأكيد على صفات الحلاوة والحلاوة والحموضة والحموضة والإمانة في مختلف أجزاء الجسد، يسد المؤلف الفجوة بين النظرية الخلطية التقليدية والمنظور الكوني الأوسع، ويوضح التوازن المعقد والانسجام داخل الجسد البشري باعتباره صورة مصغرة للنظام الطبيعي الأكبر.

ويمكن أن يُقرأ هذا المقطع على وجهين: إما أن يُفهم منه أن الماء هو أصل الرطوبات في الحقيقة، وإما أن يُفهم منه أن الماء هو الذي يفسر به كل شيء حي. ولعل النسفي لاحظ أن جسم المخلوق يكون حياً عندما يتصف بالرطوبة. فعندما يموت المخلوق يجف اللعب الذي في الفم، وكذلك السائل الذي في العينين والأنف. وحواسنا متصلة ومتميزة بالرطوبة. إذاً يمكن أن يكون النسفي إما أن يكون بياناً عاماً لأصالة الماء أو بياناً خاصاً عن مسارات حواسنا المؤكدة للحياة.

يعمل أبو حفص النسفي ضمن نظام رباعي كما فعل أسلافه. وهو يرى أن هذا النظام مفيد من الناحية التفسيرية لفهم الفصول والرياح، وكذلك الإنسان الذي ينتقل في مراحل الحياة.

"وفي العالم العظيم هناك أربع رياح: الريح الشمالية والريح الجنوبية، والريح الصبا (الريح الشرقية) باردة ورطبة، والدبور (الريح الغربية) حارة ويابسة. يدور الزمان حول الفصول الأربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء والربيع والخريف والشتاء. ويدور الإنسان حول أربع حالات: الطفولة، والشباب، والنضج، والشيخوخة."

وفي العالم الكبير أربع رياح الشمال والجنوب والصبا باردة ورطبة والدبور حارة يابسة. فالزمان يدور على أربعة فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء. والإنسان يدور على أربعة أحوال الصبا والشباب والكهولة والشيخ.

باستخدام لغة مجازية، من خلال وصف جسم الإنسان كمدينة ذات أسوار وبوابات وأنها ورياح، يربط هذا النظام الرباعي بالعناصر والقوى الكونية. وعلى غرار أسلافه، يربط أبو حفص النسفي مراحل مختلفة من حياة الإنسان بالفصول من خلال ربط العناصر والطباع بالفصول. فالعناصر مثل الهواء والنار، على سبيل المثال، مرتبطة بالحلاوة والمرارة.

"في الجسد سبعة أعضاء رئيسية، والعالم العظيم له سبعة أجسام: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد والقمر. فإذا اختفى واحد منها هلك الكون العظيم. وإذا ذهب عضو واحد من الأعضاء الرئيسية فسد الجسم بما في ذلك القلب والكبد والكليتان والرئتان والطحال والمرارة والدماع. القلب حار وجاف. الكبد حار ورطب. المرارة حارة وجافة. الكلى باردة ورطبة. الطحال بارد ورطب. الرئة باردة ورطبة. والدماع حار ورطب."

وفي البدن سبعة أعضاء رئيسية وللعالم الكبرى سبعة ملوك كبرى ملوك زحل والمثلة والمريخ والزهرة وعطارد وقمر لو ذهب واحد منها انتقض العالم الكبير ولو ذهب أحد الأعضاء الرئيسية انتقض البدن وهب القلب والكبدية والرئة والمرارة والمخ

ليس العدد أربعة هو العدد الوحيد ذو الأهمية. فهو يحاذي الكواكب السبعة بسبعة أعضاء، مؤكداً على التفاعل العميق بين الكون الخارجي والتجربة الإنسانية الداخلية. وبشكل عام، هناك علاقة عميقة للغاية بين العالم من حولنا والعالم الذي بداخلنا. يلخص الجدول أدناه مساهمة النسفي في علم الكونيات وعلم الكونيات في عصره.

	عنصر	المزاج	الموسم	السن	المياه	
الدم	الهواء	الدموي	الربيع	الطفولة	الحلو	الشم
الصفراء الصفراء	النار	الكولي	الصيف	المراهقة	مرّة	آذان
بلغم	الماء	بلغمي	خريف	النضج	مالحة	عيون
السوداء الصفراء	التراب	كثيب	الشتاء	الشيخوخة	الحامض	الأنف

علم وظائف الأعضاء عند النسفي وعلاقته بالماء

مع استمرار النص، نرى كيف يوظف النسفي الأفكار وهو يشرح عملية الهضم. ويشرح كيف يتكون الطعام من عناصر أساسية. وعند تناول الطعام، يتفكك الطعام بعد ذلك إلى عناصر، يغذي كل منها أجزاء مختلفة من الجسم.

عملية الهضم

وعندما يتناول الإنسان الطعام، تحمله القوة الجاذبة إلى المعدة، وتمسكه القوة القابضة في مكانه، وتقوم القوة الهاضمة بتفكيكه/طبخه. فالمعدة كالقدر، والكبد كالغطاء، فإذا امتلأت المعدة انطلقت القوة الهاضمة.

وإذا أكل الإنسان الطعام جذبته الرياح الجاذبة إلى المعدة وأقرته الماسكة فيها وأنضجته الهاضمة والمعدة كالقدر والكبد لها كالمغطاة وإذا امتلأت المعدة فانفتحت الهاضمة.

ويصف مادة تشبه البخار من هذه العملية التي تعود لتغذي حواسنا: نور البصر، وسمع الأذن، وشم الأنف. إن هذه المادة الشبيهة بالبخار هي طريقته في شرحه على المستوى الفسيولوجي لكيفية الحاجة إلى الماء للحفاظ على الحياة. لقد قال في وقت سابق أن الإنسان خُلِق بأنواع مختلفة من المياه في هذه الأماكن نفسها. هذه هي الطريقة التي يتم بها حفظ حواس البصر والسمع والشم وتغذيتها.

"يعالج كل فرد في عملية الهضم ألوان الطعام المختلفة كل على حدة، وعندما تنضج في المعدة تتحد في كيان واحد. وإذا نضج الماء في المعدة فلا شيء أدق منه في النضوج، ولا شيء أدق منه. فالكبد تجذبه ويستمر بعضه من جهة الصراط المستقيم إلى الدماغ فيربطه فيقوي البصر والسمع بالأذن وحاسة الشم."

ترى كل واحد بحالها وما نضج في المعدة من ألوان الطعام يتحد فيصير كشيء واحد وإذا نضج ماء في المعدة فما أطف منه جذبه الكبد وواصلت بعضه من جانب السدد إلى الدماغ ليربطه فتزيد في نور البصر وسمع الأذن وشم الأنف

ونرى كيف أن النسفي بهذا يبين كيف أن أولوية الماء تؤثر في الحفاظ على هذه الكليات التي تدعم الحياة. فمن الطعام الذي يتم هضمه، يستطيع جسم الإنسان أن يستخرج من جسم الإنسان البخار الخفي الذي يوجه للحفاظ على الإدراك والرؤية والسمع والشم.

الخاتمة

وختامًا، فإن تأكيد أبو حفص النسفي على أن الماء هو المادة الأولية لا يربط بين عوالم علم الكون والطب واللاهوت فحسب، بل يقدم أيضًا منظورًا فريدًا لأصل الماء. يكشف عمله عن التفاعل المعقد بين جسم الإنسان والكون. تُعد هذه المقالة بمثابة خطوة أولية في استكشاف الرؤى العميقة الموجودة في أعمال أبو حفص النسفي وآثارها المحتملة على فهمنا لأصل الماء. يرث المؤلف نظرية من العصور القديمة ولكنه يدمج مهارة هذه الأفكار الكونية والطبية في إطار قرآني. وهو يسלט الضوء على الأهمية اللاهوتية للماء باعتباره الأصل، مؤكدًا على دوره في خلق الحياة والحفاظ عليها. ويربط هذا المفهوم بين هذه الأفكار الكونية والطبية وبين وجود الله. تعمل هذه الأفكار في جوهرها على إظهار التفاعل العميق بين العلم واللاهوت والكونية في عمل المؤلف. ولاكتساب فهم أعمق للآثار المترتبة على بدائية الماء، قد يستكشف البحث المستقبلي كيفية مناقشة هذا المفهوم في مجموعة أوسع من النصوص الطبية وكيفية تطوره مع مرور الوقت.

المراجع

- "أرسطو، الميتافيزيقا، الكتاب 1، القسم 983 ب." تم الوصول إليه في 13 أكتوبر 2023. <https://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus%3Atext%3A1999.01.0052%3Abook%3D1%3Asection%3D983b>.
- النسفي، أبو حفص عمر. التيسير في التفسير. حرره ماهر أديب حبوش وجمال الفارس. الطبعة الأولى. 15 مجلدًا. إسطنبول: دار اللباب، 2019.
- "مطلع النجوم ومجمع العلوم". مركز أبو رباح بيروني للمخطوطات الشرقية بمعهد طشقند الحكومي للدراسات الشرقية، 765 1364.
- سيمون، بيا دي. "استخدام أفلاطون لمصطلح ستوبيشيون. الأصل والآثار". *Revista Archaia*, May 20, 2020, e03005. https://doi.org/10.14195/249X_30_5-1984.
- "Thales of Miletus | موسوعة الإنترنت للفلسفة." تم الوصول إليه في 13 أكتوبر 2023. <https://iep.utm.edu/thales>.
- "- كتاب التيسير في التفسير أبو حفص النسفي - المكتبة الشاملة." تم الوصول إليه في 16 أكتوبر 2023. <https://shamela.5436#p1/ws/book/2063>.

المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث



الأرجوزة في المخطوط الطبي العربي: الأدوية العارضة في الوجه وما يتعلق منها بطب العيون بشكل خاص من خلال مخطوط أرجوزة ابن طفيل الطبية

عمر مستعين، أسامة بنهار، إسماعيل راموز
كلية الطب والصيدلة بأكادير. جامعة ابن زهر. المغرب

١. طب العيون والبصريات عند العلماء العرب المسلمين



في تاريخ الطب، يشار بالطب العربي الإسلامي إلى الطب الذي تطور في العصر الذهبي للإسلام (من منتصف القرن الثامن لغاية القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي)، وكتب بلغة عربية، والتي كانت لغة التواصل العلمي المشترك والإنتاج الفكري في زمن الحضارة الإسلامية .

نشأ هذا الطب كنتيجة للتفاعل الذي حدث بين الطب التقليدي العربي وتوسع العلوم الإسلامية بتوسع الفتوحات الإسلامية، وكذلك إقبال العلماء المسلمون على ترجمة ودراسة أعمال الأطباء القدامى من إغريق ورومان، أمثال أبقراط وجالينوس. مع بداية العصر العباسي، تطور الطب العربي الإسلامي بعدما بدأ العرب في نقل العلوم الطبية من مصادرها اليونانية مباشرة على أيدي بعض الأطباء الذين أتقنوا اليونانية كحنين بن إسحاق.

انتشرت ممارسة مهنة الطب وبدأ المسلمون في القرن التاسع الميلادي في تطوير نظام طبي يعتمد على التحليل العلمي. ومع الوقت، بدأ الناس يقتنعون بأهمية العلوم الصحية، واجتهد الأطباء في الجمع بين العلوم النظرية والممارسة وإيجاد سبل العلاج. وعرفوا التخصص، فكان منهم الجراحين والفصادين والحجامين وأطباء العيون وأطباء أمراض النساء. فأفرز الإسلام في العصور الوسطى بعض أعظم أطباء التاريخ، الذين طوروا المستشفيات، ومارسوا الجراحة على نطاق واسع، وألفوا الكتب والمصنفات في شتى جوانب الطب، وظلت كتبهم تدرس في المدارس الطبية الإسلامية والغربية لفترات طويلة حتى القرن الثامن عشر، ويرجع لهم الفضل في نهضة الطب الحديث.

ولقد كان طب العيون أحد الفروع المتميزة في الطب العربي الإسلامي، وكان طبيب العيون أو «الكحال» عضواً شرفياً في الدولة العباسية، حيث كان يحتل مكانة مرموقة فأبدع أطب العيون في دراسة العين مع التطبيق العملي وصناعة الأدوية والأدوات الجراحية.

لم يكن هناك طريقة واحدة ثابتة أو مسار معين للتدريب، ولم يكن هنالك حتى تخصص رسمي في مختلف فروع الطب، لكن بعض الأطباء كان أقرب للتخصص في بعض المجالات من خلال الحصول على الكفاءة في علاج بعض الأمراض أو في استخدام بعض الأدوية. وكان من الضروري للطبيب معرفة وفهم أعمال وتراث أسلافه، مثل «تحوير العين» من عمل يوحنا بن ماسويه، الذي يمكن اعتباره أقدم عمل تم تخصيصه في طب وجراحة العيون، يليه «أطروحات العين العشر» لحنين بن المعروف في الغرب لعمله بعنوان الذي يعبر أقدم مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون وأقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه تاريخ البحث العلمي في أمراض العين. ورسالة علي بن عيسى الكحال «رسالة في تشريح العين وأمراضها الظاهرة وأمراضها الباطنة»، وكتابه «تذكرة الكحالين» وكذلك «نور العيون وجامع الفنون» لصلاح الدين بن يوسف.

وقد ملع الأطباء المسلمون في طب وجراحة العيون بالأخص، معتمدين على ما خلفه رائد البصريات «ابن الهيثم» وغيره في هذا المجال من أعمال ظلت مرجعاً في هذا المجال حتى بداية العصر الحديث.

II. المخطوط الطبي في التراث العربي الإسلامي



مخطوطة عن تشريح العين لحنين بن
إسحق من كتابه المسائل في العين،
محفوظة في المكتبة الوطنية في القاهرة،
ومؤرخة منذ عام 1200م

المخطوط لغة: خط الكتاب يخطه: مأخوذ من خط بالقلم، خط الشيء يخطه خطأ. والمخطوط، كتاب مكتوب بالقلم أو غيره. اما مصطلح مخطوط: هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أي وثيقة أخرى، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة.

وقد اطلق العرب على الكتاب المخطوط تسميات مختلفة تختلف باختلاف العصور: الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الكراسة، المجلدة، الكناش، الديوان الكتاب

وإذا كان ظهور لفظ مخطوط مرتبطا بصناعة المطبوع في التراث العربي فاننا نشير الى ان المغاربة استخدموا عبارة (نسخة قلمية) في مقابل كتاب مطبوع قبل ان يجاروا المشاركة الى استعمال لفظ مخطوط

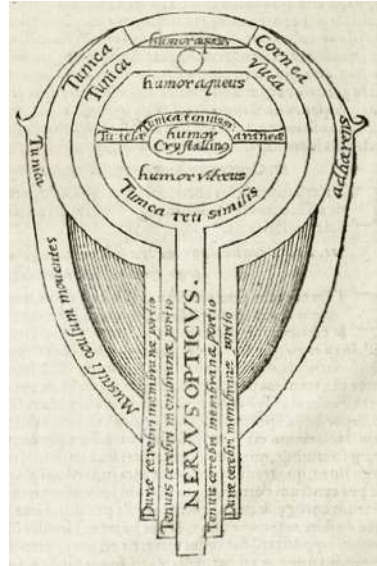
لقد كان مؤلفات اطباء العرب وتجاربهم جسورا عبر عليها الطب الاغريقي الى اوربا مصبوغا بالصيغة العربية التي اضافت اليها واستدركت عليه، وقد اعترف بهذا مؤرخو العلوم ، من المستشرقين وغيرهم وقد ظلت بعض المؤلفات الطبية للمسلمين ككتاب القانون في الطب لابن سينا والحاوي في الطب للرازي والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي، تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر.

يقول نيكلسون ، من كلام طويل : (وما المكتشفات اليوم لتحسب شيئا مذكورا ازاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلا وضاءا في القرون الوسطى المظلمة في اوربا)

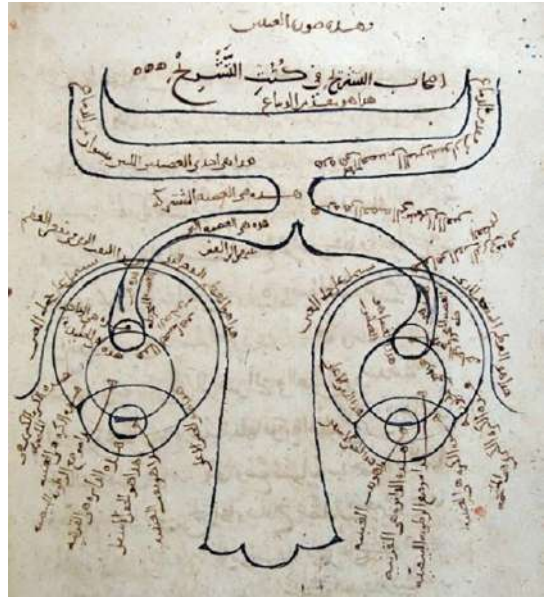
وقال وليم اوزلر : (ان العرب اشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، وبلغت صناعة الطب عندهم حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، مكانة واهمية لانجد لها مثيلا في التاريخ)



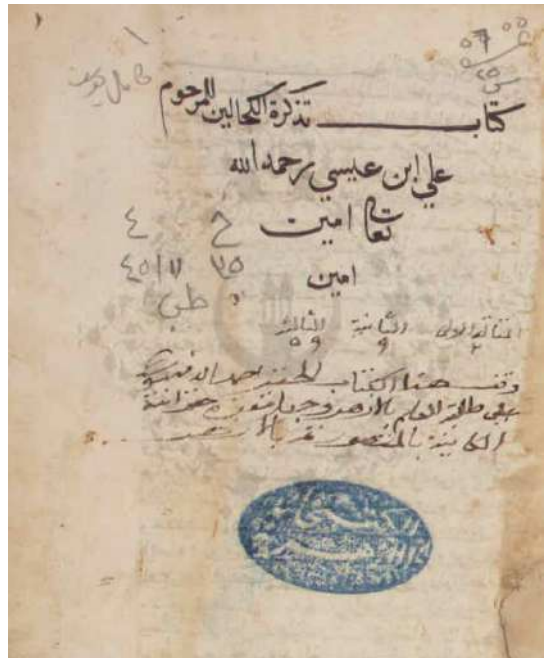
تشرية للعين أجراها كمال الدين الفارسي في القرن الثالث عشر
اعتماداً على أفكار ابن الهيثم



رسم تخطيطي للعين البشرية من النسخة اللاتينية لكتاب
المنظر لأبن الهيثم، طبعة 1572.



نُسخة مخطوطة من كتابه المناظر توضح بنية العين البشرية، يلاحظ تصوير الاتصال البصري. مكتبة مسجد سليمان القانوني، اسطنبول.



الصفحة الأولى من مخطوطة تذكرة الكمالين محفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة

III. ابن طفيل (Abubacer)

ابن طفيل فيلسوف وعالم وطبيب عربي مسلم ورجل دولة وهو من أعظم المفكرين العرب الذين خلفوا الأثر الخالد في عدة ميادين منها: الفلسفة والأدب والرياضيات والفلك والطب وكان من وزراء الموحدين في وقت عظمتهم.

هو أبو بكر محمد بن عبد المالك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، يرجع نسبه إلى قبيلة بني قيس العربية، ولد قرب مدينة غرناطة بالأندلس، وتاريخ ولادته غير معروف، لكن من المحتمل أن يكون ولد في بداية القرن الثاني عشر الميلادي، حيث كان معلماً لابن رشد المولود في تلك الفترة، ويعتبر عالماً من العلماء اللواحق في عصر الحضارة الإسلامية، وكانت له معرفة جيدة وشاملة بمختلف العلوم، خاصة في الطب، والفلسفة، والفلك.

ولد بمدينة وادي آش قرب غرناطة. درس الفلسفة والطب في غرناطة. تنقل "ابن طفيل" في مناصب عدة، فاشتغل في البداية كاتباً في ديوان والي غرناطة، ثم في ديوان الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن حاكم طنجة؛ ثم تولى منصب الوزارة ومنصب الطبيب الخاص للسلطان أبي يعقوب يوسف أمير الموحدين، وكانت له حظوة عظيمة عنده. كان معاصراً لابن رشد وصديقاً له. ويقال إن ابن طفيل كان له تأثير كبير على الخليفة، وقد استغل ذلك في جلب العلماء إلى البلاط، ونذكر منهم بصفة خاصة الفيلسوف والطبيب ابن رشد الذي قدمه ابن طفيل عندما تقدم به السن إلى السلطان ليقوم بشرح كتب أرسطو وليخلفه في عمله كطبيب، وقد ظل ابن طفيل في بلاط السلطان إلى أن توفي بمراكش عام 581هـ/1185م.

إسهاماته العلمية:

في مجال الطب، ذكر "لسان الدين ابن الخطيب" أن ابن طفيل ألف في الطب كتاباً من مجلدين، كما ذكر "ابن أبي أصيبعة" أنه كان بين ابن الطفيل وابن رشد مراجعات ومباحث في "رسم الدواء" جمعها ابن رشد في كتابه "الكليات"، كما كانت لابن طفيل أرجوزة في الطب تتألف من 7700 بيت.

وفي الفلك يقال إن ابن طفيل كانت له آراء مبتكرة في الفلك ونظريات في تركيب الأجرام السماوية وحركاتها، ويقول الباحث "ليون جوتيه" في كتابه عن ابن طفيل: على الرغم من عدم وجود أي شيء مكتوب عن الفلك، باستثناء بعض الفقرات القصيرة في كتاب حي ابن يقظان، فإننا نعرف أن ابن طفيل لم يكن راضياً عن النظام الفلكي الذي وضعه بطليموس، وأنه فكر في نظام جديد.

واستشهد الكاتب على ذلك بما كتبه كل من ابن رشد والبطروجي، فابن رشد في شرحه الأوسط لـ "الآثار العلوية" لأرسطو، انتقد بدوره فرضيات بطليموس عن تكوين الأفلاك وحركاتها، وقال إن ابن طفيل يتوفر في هذا المجال على نظريات رائعة يمكن الاستفادة منها كثيراً، كما أن البطروجي في مقدمة كتابه الشهير عن الفلك، ذكر أن ابن طفيل أوجد نظاماً فلكياً ومبادئ لحركاته، غير تلك المبادئ التي وضعها بطليموس.

ويتساءل الباحث الفرنسي عن احتمال أن تكون فرضيات ابن طفيل تشتمل على بعض العناصر الأساس من الإصلاح الفلكي العظيم الذي جاء به كوبرنيك وجاليلي بعد أربعة قرون.

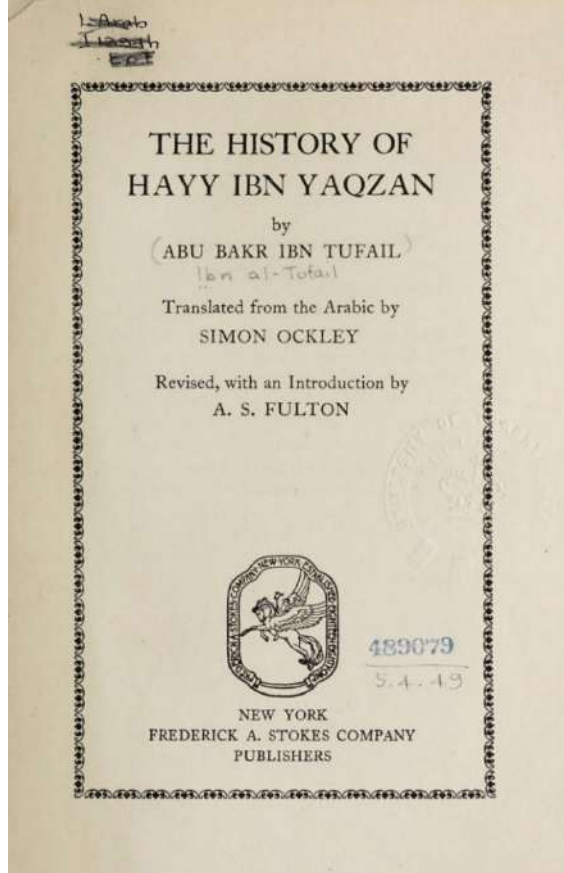
مؤلفاته:

مراجعات ومباحث "التي جرت بين "ابن طفيل" وابن رشد في "رسم الدواء"، جمعها ابن رشد في كتابه "الكليات"، ومن مؤلفات ابن طفيل الشهيرة "أرجوزة في الطب"، وهي توجد في خزنة جامع القرويين بفاس بالمملكة المغربية، وكتاب "رسالة في النفس" في الفلسفة.

من أشهر ما ترك "ابن طفيل" قصة "حي بن يقظان"، وهي قصة فلسفية عرض فيها أفكاره الفلسفية عرضاً قصصياً، محاولاً التوفيق فيها بين الدين والفلسفة، وقد عرفت هذه القصة في الغرب منذ القرن السابع عشر، وترجمت إلى عدة لغات، منها اللاتينية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية.

فكره:

قصة "حي بن يقظان" رغم دلالاتها الإيمانية التأملية في منظومة الخلق والكون من خلال فكر إنسان كان يعيش متفردا في جزيرة نائية منذ أن ألقي به في اليم وهو رضيع، فاهتدى بفطرته إلى مكنونات الخلق وعظمة الخالق من خلال عقله وبصره وسمعه، كما اهتدى ببصيرته إلى الإيمان.



غلاف النسخة الانجليزية من كتاب "حي بن يقظان" ترجمة سيمون اوكلي من عام 170

١٧. الأرجوزة الطبية لابن طفيل :



أرجوزة ابن طفيل المحفوظة بخزانة مكتبة القرويين بفاس

في عهد المرابطين والموحدين حينما كانت الأندلس تابعة بلاد المغرب كانت الرعاية الطبية قوية وكان الأطباء يحرصون على تسجيل ملاحظاتهم وتدوينها وعلى البحث عن الوسائل الميسرة للتلقين فكانوا بسبب ذك يجمعونه بين الصنعة الطبية العملية وبين المضمون النظري المؤدى بأحسن الطرائق التعليمية النافعة.

وفي هذا العصر الذهبي الحضارة الإسلامية ألف العلماء المسلمون المنظومات العلمية في فنون عقلية وعلمية وشرعية مختلفة، وتضمنت منهاج التعليم آنذاك تأليف المنظومات الشعرية في العلوم المختلفة، ليسهل حفظها واسترجاعها وكتابة الشروح والحواشي

والاستطرادات حولها لتفسير ما أوجزته وتسهيل الطريق على الطلاب لفهمها.

وفي علم الطب اشتهرت منظومة الشيخ الرئيس ابن سينا "الأرجوزة الطبية" التي كتبها في أكثر من ألف بيت شعري من بحر الرجز، وترجمت إلى اللغة اللاتينية في القرن الثالث عشر تحت اسم "الأغنية"، فصل فيها ابن سينا في الطب النظري والعملي، ورتب فيها مسائل الطب وربطها بقواعد مصاغة في قالب شعري.

وفي الغرب الإسلامي وغير بعيد عن زمن ابن سينا، نشأ فيلسوف وعالم وطبيب آخر هو ابن طفيل القيسي الأندلسي، الذي توفي 581هـ/1185م.

والظاهر أن شهرة ابن رشد وابن زهر من الناحية الطبية قد تجاوزت شهرة ابن طفيل نظرا لكون هذا الأخير قد استمال الناس بأسلوبه القصصي فيما يتعلق بالفلسفة الإشراقية فشغلهم بكتابه حي بن يقظان وجعلهم ينساقون إليه ويتأملون في رموزه فنسوا بذلك مؤلفاته الطبية التي لم تصل إلى حد الإبداع الموجود في كتاباته الفلسفية.

غير أن المؤرخين لم يهملوا ابن الطفيل في الجانب الطبي فذكروه من بين الأطباء المرموقين ومن أهل الحدق بصناعة الطب والنظر في الجراحات في عصره.

ومن ضمن مؤلفات ابن الطفيل الطبية أرجوزته المحفوظة بخزانة القرويين المسجلة تحت رقم 1969. وقد اعتمد في إخراجها نهجا تعليمياً محضاً، يبدأ بتشخيص المرض وذكر خصائصه وأنواع العلاج مشيراً إلى تجاربه وإلى ما هو متداول معروفاً في عصره كل ذلك في نظم شعري فريد من الرجز السهل الواضح في أكثر من 7700 بيت، مبرزاً في ذلك موسوعيته الطبية وبراعته اللغوية. مما يُلمهم بلا شك من جاء بعده حتى يومنا هذا

وكتب ابن طفيل أرجوزة شعرية في علوم الطب، في نظم طويل، مقسمة إلى سبع مقالات، وكل مقالة مقسمة إلى أبواب عديدة.

- المقالة الأولى: في أمراض الرأس
- المقالة الثانية: في الأدوية العارضة في الوجه:
- المقالة الثالثة: في العلل العارضة في الحلق والصدر وآلة النفس
- المقالة الرابعة: في آلات الغذاء وفي أمراض المعى والبطن
- المقالة الخامسة: في أمراض الكلى والمجاري البولية وأمراض الرحم
- المقالة السادسة: عن أنواع الحميات
- المقالة السابعة: في العلل التي تعترى البدن من الخارج وعلاجها وفي السموم

وعلى كل حال فالكتاب ككل يعتبر صورة للتصور الطبي الذي كان سائداً في عصر ابن طفيل نهج فيه ناظمه نهجا تعليمياً حيث بدأ بتشخيص المرض وذكر خصائصه ثم يتعرض بعد ذلك لأنواع العلاج ويشير في هذا العرض إلى تجاربه وإلى ما هو متداول معروف.

ولقد أثارَت هذه الأبيات من المنظومة اهتمام عدد من الأطباء الذين زاروا خزانة القرويين فأروا فيها دقة في الوصف وتتبعاً لمراحل المرض خصوصاً فيما يتعلق بالتشخيص وذكر العوارض ولم يقتصر الأمر على الذين اطلعوا عليها بل إن بعض البواعت العلمية جعلت بعض الأساتذة في كلية الطب بالرباط يستنسخونها ودرسوها حسب المعطيات العلمية المعاصرة ويوجهون عناية طلبتهم إلى هذا الميدان العلمي التاريخي ليجعلوا من علمائهم السابقين قدوة حسنة تعينهم على البحث المتواصل عساهم بذلك أن يحيوا مجداً غيّر وأن يمنحوا أمتهم فرصة أخرى للازدهار الحضاري وللتقدم العلمي.

٧. تحليل المقالة الثانية من أرجوزة ابن طفيل في مجال طب العيون :

في الأدوية العارضة في الوجه وتشتمل على واحد وسبعين بابا، امتدت هذه المقالة من الوجه الثاني في الورقة 21 إلى آخر الورقة 47. وخصص الجزء الممتد من الباب 18 حتى الباب 46 لأمراض العيون شرحا وتفصيلا:

- الباب 18 في الرمد وعلاجه
- الباب 19 في القروح في العين من الرمد وغيره
- الباب 20 في البياض فالعين
- الباب 21 في الجرب و السبل
- الباب 22 في السقطة و الضربة في العين و الباب 34 في السقط في العين
- الباب 23 في الطرفة
- الباب 24 في الظفرة
- الباب 25 في الدمعة و أقسامها و علاجها
- الباب 26 في السكرية وهو الغشاء
- الباب 27 في الظلمة و ضعف البصر
- الباب 28 في ابتداء نزول الماء في العينين
- الباب 29 في الكمنة وأقسامها و علاجها
- الباب 30 في الإنتشار و أقسامه و علاجه
- الباب 31 في ضيق الحدقة و أقسامها و علاجها
- الباب 32 في السدة في العين وأقسامها و علاجها
- الباب 33 في الوردنينج و علاجه
- الباب 35 في الحول و الإعوجاج
- الباب 36 في الغرب
- الباب 37 في الغدة في العين
- الباب 38 في البردة و التحجر
- الباب 39 في السلاف والحكة في الأجفان
- الباب 40 في جساء الأجفان
- الباب 41 في انتفاخ الأجفان
- الباب 42 في جحوظ العينين
- الباب 43 في الشعيرة في الجفن
- الباب 45 في الشعر الزائد المتقلب
- الباب 46 في انتشار الأشفار

1. الرمد La conjonctivite :

- الباب 18 في الرمد وعلاجه
- الرمد المعروف في العينين
- فيكون لا شك على ضربين
- ضربا يكون حادثا من خارج
- أو سبب من بطل خلط —
- فالسبب الخارج كالدهان
- أو الشمس إذا تنظرها العينان
- يكون من فضول
- تصير في الحجاب بالنزول
- ويعتري الورم في الحجاب
- وما يلي الحجاب من أعصاب
- يستدل في نزول الماده
- في العين من فضل له زياده

يَعْرُضُ مَعَ تَهَرُّدٍ شَنِيعٍ	كَأَنَّمَا يَكُونُ مِنْ نَجِيعٍ
— بَادَ عَلَى الْمَاقِنِ	وَتَظْهَرُ الْعَيْنَانِ حَمْرًاوَيْنِ
— فِيهِ اللَّهْيَبُ كَالرَّمْضَاءِ	وَمِنْ تَكُنْ شَكَاوَاهُ مِنْ صَفْرَاءِ
_____	مَعَ قَلِيلٍ حَمْرَةَ الْعَيْنَيْنِ
_____	فَإِنْ غَدَا الدَّمُ عَلَيْهِ غَالِبٌ
_____ أَوْ	أَمَرَتْ بِالْفَصْدِ مِنَ الْقَيْفَالِ
_____ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي	مِنْ جَانِبِ الدَّاءِ الَّذِي شَكَاهُ
وَأَنْ تَعْلُقَ عَوَائِقُ	سَاعَدَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْفَصْدِ
_____ فِي	كَانَ الْبَدِيلُ مِنْهُ بِالْحِجَامَةِ
_____	فَإِنْ غَدَا الدَّاءُ مِنْ صَفْرَاءِ
أَصْفَرُ مَجْمُوعًا مَعَ الْبَنْفَسِجِ	سَقَيْتِهِ الْمَطْبُوخُ مِنْ هَلِيلِجِ
وَمَا تَرَى مِنْ — نَجِيبٍ	وَلَحْمٍ — أَفْسَتَيْنِ
_____ وَ	وَيَلْزَمُ _____ وَ
وَإِغْمَسَهُمَا فِيهِ عَلَى الْوَلَاءِ	وَاسْكَبْ عَلَى رِجْلَيْهِ سَخْنُ الْمَاءِ
وَلَا يَبْتَاطُ الطَّعَامُ شَابِعٍ	_____
وَأَجْعَلْهُ بَعْدَ خُلْطِهِ عَلَى الْمَكَانِ	مَعَ شَعْرٍ تَسْحَقُهُ مِنْ زَعْفَرَانٍ
إِذَا غَدَا — شَدِيدٍ	وَيَنْفَعُ _____ بَعْدَ الْفَصْدِ
قَدْ بَدَأَ إِلَى _____	شِيَاظِ السَّمَاقِ وَهَذَا ذَكَرَهُ

صَفَةُ شِيَاظِ السَّمَاقِ

هَتَّى يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهُ _____	يَطْبُخُ سَمَاقٌ نَقِيٌّ جَلِيلٌ
_____	_____
_____	_____

أ) عِنْدَ ابْنِ طَفِيلٍ:

- قَسَمَ ابْنُ طَفِيلٍ إِلَى الرَّمْدِ قَسْمَيْنِ حَسَبِ السَّبَبِ :
- نَوْعٌ سَبَبُهُ خَارِجِيٌّ : كَالدَّخَانِ وَتَعَرُّضِ الْعَيْنِ لِشُعَّةِ الشَّمْسِ
 - نَوْعٌ سَبَبُهُ دَاخِلِيٌّ : أَضْرَارُ تَصَيُّبِ الْحِجَابِ وَ مِنْهَا : وَرَمٌ ، فَضُولٌ ، نَجِيعٌ ، دَمٌ ، صَفْرَاءُ
 - ذَكَرَ ابْنُ طَفِيلٍ الْأَعْرَاضَ التَّالِيَةَ :
 - الْإِحْمَرَارُ فِي الْعَيْنَيْنِ
 - نَزُولُ الْمَادِ
 - الْحَرَارَةُ
 - الْإِحْسَاسُ بِثَقَلٍ فِي الْعَيْنَيْنِ

ب) فِي الطَّبِّ الْحَدِيثِ :

الرَّمْدُ : دَاءٌ إِنْتَهَائِيٌّ يَصِيبُ الْعَيْنَ (مَعْجَمُ الْمُعَانِي)
يَعْدُ الرَّمْدُ التَّهَابَ الْمُلْتَحِمَةَ سَبَبًا شَائِعًا جَدًّا لِالاسْتِشَارَةِ. الصُّورُ السَّرِيرِيَّةُ عَدِيدَةٌ وَمُتَعَدِّدَةُ الْأَشْكَالِ وَذَاتُ مَسَبِّبَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ:
مُعْدَبَةٌ (بَكْتِيرِيَّةٌ ، فَيروسِيَّةٌ) ، حَسَاسِيَّةٌ ، مُرْتَبِطَةٌ بِمُتَلَازِمَةِ الْجَفَافِ الْأُولِيَّةِ أَوْ الثَّانَوِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْوَرْدِيَّةِ.

أَعْرَاضُ الرَّمْدِ :

- التَّهَابُ فِي الْعَيْنِ

- احمرار العين
- إفرازات مائية أو سميكة بيضاء، أو خضراء مصفرة.
- الحكة



2. قروح العين : les ulcères cornéens :

الباب 19 في القروح في العين من الرمد وغيره

متى رأيت بترا في العين و لم تكن من امره في —
و ما يكون في السواد يكون كاكافور في المزاد
و احمرًا يكون في البياض فاقصد الى الفصد بلا اعتراض
و اسقه المسهل من دواء و لا تكن في الفصد ذا ابطاء
وليكن الاسهال بالمطبوخ من اصفر الهليلج المزنوخ
اونقع الصبر المجلوب و كلما يصلح من حبوب
و احمه الاغذية المخوفة الحار و المالح والحريفة
واعطه بواذر البقول وما يزيل لهب العليل
و كلما — من الحوامض لتقمع الحر الشديد العارض
فإن بدا اليك غور القرع ولاح منه عظم —
فاجعل له العلاج كل رادع و ما يقوي العين اذ تدافع
مما ذكرنا قبل في المرمود من العلاج الناجع المحمود
وانذر عليين العليل الليلا فانها لاتحمل التكحिला
و اعتمد العلاج بذور و فإنه اصبوب في البثور
و قطر العين بهذا الشياف فانه أيضا بليغ كاف

ويتخذ شياف و عنزروت
و اقليميا و حجر الاكل
تعجن بعد سحقها بالماء
فان عدا في البثر اھتياج
و كندل و صبر منعوت
و المر اجزاء على اعتدال
و اصنعها كالعدس باستواء
القي في نسخته اسفيذاج

(أ) عند ابن طفيل:

ذكر التقسيم كالتالي :

- نوع يصيب السواد في العين

- نوع يصيب البياض في العين

ذكر الأعراض التالية :

- بياض في سواد العين

- احمرار في بياض العين

- حرارة شديدة

(ب) في الطب الحديث :

تُعرف قرحة القرنية بأنها تآكل الطبقة الظهارية مع إصابة السدى المصاحب لها
قرحة، بثرة دب فيها الفساد , آفة تصيب الجلد أو الغشاء المخاطي , يرافقها تكون القيح و نخر الأنسجة المحيطة الناتج عن
إلتهاب فيها

أعراض قروح العين :

- احمرار في العيون

- دموع مستمرة

- رؤية ضبابية

- حكة أو حرقان في العين

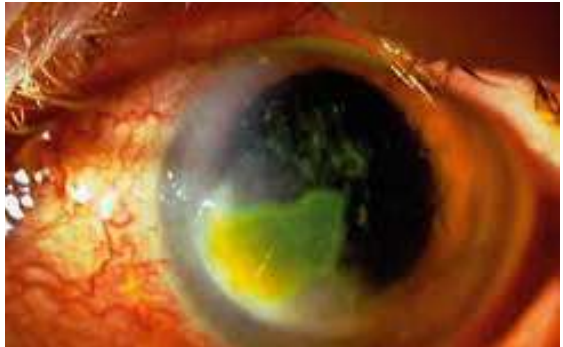
- آلام حادة في العين، خاصة عند النظر مباشرة إلى ضوء قوي

- تورم جفن العين

- انزعاج عام في العين

- ظهور بقعة بيضاء على سطح القرنية

- خروج إفرازات من العين



3. البياض في العين La taie de cornée :

الباب 20 في البياض في العين

إذا _____ في اثر البثور	_____ بياض نذير
وكان _____ رقيقا	فانه يسهل ان _____
دون احتياج فيه للعلاج	و ان يكن _____
وفي العينين له بقاء	الا اذا واضب (الدواء)
_____ ادوية البياض	اذابدا في العين ذا اعتراض
_____ في الساعات والاقوات	بعد بخار الماء من _____
او بعد ان يخرج من حمام	او داخلا فيه على التمام
والماء منه فائق النعمان	يجلو الرقيق منه للعيان
_____ والعسل و الزنجار	و زبد البحر الذي يختار
مجموع كان شئت او فرادى	فكل ذا يشفى اذا تمادى

_____ من خل	حكا بليغا مثلسحق الكحل
وقطر من لبن النساء	وواصل الحكمة على استواء
وثم قطر قطره من شهد	واحمل على الجميع حمل الجهد
واكحل به العينين للبياض	فانه البرء بلا اغتياض
صفة أخرى	
واطل على حديدة هندية	قطران عرعار على السوية
وتحمى في لهيب الجمر	حتى ترى حمراء مثل الجمر
_____ ذلك تجرد الحديد	حتى تراها _____ جديدة
ويسحق الجرد كمثل الكحل	فانه كحل جليل الفعل

اخرى اقوى منها

اويسحق التوفال من نحاس	بالخل عند الشمس في مهراس
سبعة ايام على الولاء	وبعد ذا جففه للهواء
ورده للمسحق كالاكحال	وذره في العين بالتوالي

(أ) عند ابن طفيل:

ذكر أن البياض في العين يكون بعد بثور أي تأكل الطبقة الخارجية للقرنية

• ذكر التقسيم التالي :

- حسب درجة البياض

- حسب السن

• لم يذكر أعراضا سوى البياض في العينين

• ذكر مجموعة من الوصفات العلاجية بالتفصيل

(ب) في الطب الحديث :

البياض في العين هو عبارة عن الندبة التي يتركها أثر الجرح بعد كل آفة تصيب القرنية



4. الجرب و السبل : Pannus cornéen : processus d'angiogenese

الباب 21 في الجرب و السبل

دليل داء السبل	يعرض في العروق و
على البياض	و ضر من أعظم الأمراض
في الشمس	فلا يرى إلا بشق النفس
من دليل الجرب الخشونة	وحمرة في جفنه كمينه
ذاك كما تفعل الطبيعه	بدفعها عن نفسها الرفيعه
فهو يفعل لسائر الاعضاء	إذا احست ضرر الادواء
علاج من يشكو من الداء	الفصد في القيغال بالولاء
وان يديم الفصد في الجين	والشرب من طابخ قلثمون
ولا يدع صاحبه بذى العله	ان يدخل الحمام دون قله
بكل يومين كل ثالث	ولا يكن فيه كثيرا لاهث
ولا يكن من الطعام شابع	لاكن يكون صامغا اوجائع
و يفتح العينين فوق الماء	سخنا
و يفصد القيغال كل شهر	مقلا لدمه في القدر
و يسهل الفضول باستسقاء	فانها البرء لهذا الداء
و بخار البخار و الدخانا	ولا يرى في دهره سكرانا
التمور و الحلواء	و كلما يولد امتلاء
و لا يبيت من الطعام شابع	و تركه الصباح في ترفع
و يدمن التحميل بالشياف	الاحمر المشهور فهو شاف
او بالشياف الاخضر المعروف	و بعد ذا يذكر في التصنيف
فان كفا و الا الجرد	و اللقط مامن ذا و هذا بد

أ) عند ابن طفيل:

الأعراض التي ذكرها ابن طفيل في السبل في العين هي :

- نقص في البصر خاصة عند النظر مباشرة إلى ضوء قوي
- خشونة الجفون
- احمرار العين

ب) في الطب الحديث :

في مجال طب العيون، يشير السبل إلى نمو الأوعية الدموية في القرنية الخارجية. تكون القرنية، في الأشخاص الطبيعيين، عديمة الأوعية الدموية. وقد يؤدي نقص التأكسج الموضعي المزمن (مثل الذي يحدث في حالة الإفراط في استخدام العدسات اللاصقة) أو التهاب القرنية إلى تكون أوعية دموية في القرنية الخارجية أو نمو السبل.



5. السقطة والضربة في العين Traumatismes et contusions oculaire et corps étrangers intra oculaire:

الباب 22 في السقطة و الضربة في العين

لعين انسان فحال صعبه	تنال وقع سقطة او ضربه
كانها تخرج بالفضول	الجفن التحليل
باعتدال	الاسهال
و ماء اجاص	بالسقمونيا مع الجلاب
و يحتجم في الساق باعتدال	ويفصد العليل في القياف
ببالغ الشرط و حصر دايم	و في قفاه توضع المحاجم
مرضعة بنتا من الثديين	اللبن في العينين
سفرجل يصلح في ذا الباب	و يخلط اللبن مع لعاب
بدهن ورد قطفة مبلوله	و احمل على الحدة العلية
من بيضة فانه ذو نجح	من بعد طرب جيد بالمح
و ليضطجع لى القفا العليل	شدها تحليل

الباب 34 في السقط في العين

من شدة للصعد لها و الضغط	قد تالم العين بوقع السقط
بالرفق كي تبصر ما في العين	علاجها ان تقلب الجفنين
و في الأخذ له ذا حذف	فإن بدا اخذته برفق
و اقذف بما في باطن الأجفان	أو بل حبات من الكتان
ليعلق المقسط مع الحبات	و اغمر على الباطن باستنابات
يخرج ما في العين دون كرب	فان كفا او بلاعب الحب
و شدها و حلها في اليوم	تملاً منه العين عند النوم
في العين سال سقطةا منصبا	و ابيض البيض اذا ما صبا
يفصد العليل في	فان أتى الرمد بعد ذلك

(أ) عند ابن طفيل:

أشار ابن طفيل إلى خطورة هذه الحالة و أهمية قلب الجفن لتفقد وتشخيص أي جسم غريب وقع أو سقط في العين.

(ب) في الطب الحديث :

الإصابات في العين متنوعة حسب السبب ميكانيكية أو كيميائية وحسب الكيفية، الفحص التشخيصي يحدد الأنسجة المتضررة في العين و طبيعة الأضرار (جرح ، تمزق ، نزيف ، زيادة الضغط ، انحباس عضلي ، كسر مداري ، وانفصال الشبكية (...))تتنوع درجة الخطورة و الأعراض و كذلك مضاعفاتها .

كما يختلف العلاج و سرعته حسب كل حالة.



6. الطرفة / hémorragie sous conjonctivale / œil rouge :

الباب 23 في الطرفة

فقد يرى في العين نقطه	في العين حمراء عرت من سقطه
الافات	مما ينال العين من عاهات
فيحلب اللبن وهو سخن	فيها من التدين ففيه امن
و دم ريش افراخ الحمام	انفع شيء و دم اليمام
يعصرها في عينه العليلة	فانها منفعه جليله
او الرقيق من بياض البيض	مع لبن من النساء محض
ان شكا بوجع شديد	فلين البطن بلا مزيد
بالسقمونيا مع جلاب	او حقنة صالحة الارطاب
واضرب بمح البيض دهن ورد	واحمله في قطن بمثل الزبد
فانكفا او فأحجم القيظالا	فافصده وأرسل دمه ارسالا

(أ) عند ابن طفيل:

هي عبارة عن نقطة حمراء في العين تسببت فيها سقطة أو سوى ذلك الافات

(ب) في الطب الحديث :

نقطة حمراء تحدث في العين من ضربة أو غيرها (معجم اللغة العربية)

يجب فحص العين جيدا والتأكد من خلو مكوناتها (الصلبة بالخصوص) من أي أذى قبل تشخيص الطرفة التي لا تشكل خطرا و تزول تلقائيا.



7. الظفرة Le pterygion :

الباب 24 في الظفرة

زيادة الملتحم إلى قدام	يعرف بالظفرة في الكلام
يبدأ من أول مار الناظر	ممتدة إلى السواد الدائر
ورمها	الامتلاء
فان بدت رقيقة ابرها	الفصد في القيغال او كفها
و بعدها الاسهال بالقوقايا	فكم راينا قد كفا بلايا
— ان تخرج من حمام	او انكباب فوق ماء حام
وان تكن غليظة فعالج	بكشطها وقطعها من خارج

(أ) عند ابن طفيل:

هي زيادة الملتحمة وامتدادها إلى السواد الدائر و قسمها حسب الحجم :

- رقيقة
- غليظة

(ب) في الطب الحديث :

الظفرة : جليدة بيضاء تغطي العين ناشئة من تاجانِب الذي يلي الأنف , على بياض العين إلى سوادها , وهي تشبه الظفر صلابة و بياضا نبتت في عينه ظفرة (معجم المعاني الجامع)
هو عبارة عن حالة تصيب العين نتيجة نمو أغشية معينة ليفية تغطي مع نموها جزءاً من بياض العين والقرنية.



8. الدمعة Les larmes :

الباب 25 في الدمعة و أقسامها و علاجها

متى رأيت الدمعة تسيل	و لم يلج من خارج دميل
علمت أن ذلك من رطوبة	لعينه من راسه صبيبة
تسيل في العروق فوق	بدا الجبين مدا العرق
و إن عرت في العروق تحت	سالت دموع العين كان وقت
فاجسر إذا رأيتها من فوق	و أقصد من — فصد العرق
او في العروق من قفا الأذنين	إن كان لم ينفعك في الصدغين
واحمل على جبينه لطوخا	مننشفا يقبض اليافوخا
و إن عرت عروقه من تحت	سقيته أيارج في الوقت
— الكية المعروفة	و مسلات غيرها شريفة
و احمل عليها فوخة الرداعة	كلما تشده من ساعه
و حكه من هليلج في الماء	و قطر العين على الولاء

(أ) عند ابن طفيل:

قسم الكاتب الأنواع حسب الأسباب :

- رطوبة
- ارتباط بالعروق

(ب) في الطب الحديث :

الدموع هي الواجهة بين العين والعالم الخارجي. يجب أن يضمن جودة انكسار جيدة ، ودفاع فعال لمضاد للميكروبات ويجب أن يكون قادراً على حماية سطح العين من جميع الهجمات الخارجية. يتكون من الماء والإنزيمات والبروتينات والسكريات والغلوبولين المناعي والدهون ومستقلبات مختلفة وخلايا مقشرة متعددة النوى



9. الغشاء L'héméralopie :

الباب 26 في السكره وهو الغشاء

إن غشاء العين من بخار	يحصل في الدفاع باضطراب
لا يستطيع دفعه الدماغ	فللغشاء عند ذا استبلاغ
لغلط من روحه النفساني	يمنع من أن تبصر العينان
— الذي منه يكون النور	فيعتري من ذلك ذا المحذور
و يبصر الليل بالنهار	بذي ابصار
و ذلك ان الروح في الضياء	يلطف من حرارة الدواء

لقوة الحر الذي في الشمس فينفذ البصر دون لبس
لذا يكون مبصرا نهارا و في الدجى يمتنع الإبصار

و بيض
و ذاك ان روحه النفساني وهو الذي ترى به العينان
يحرك كي يرى على بعيد فيلطف الغلط بالتحديد
حتى يدق بعد ذاك يرى الذي امله ادراكا
فتبتدء علاجه بالحقن لينزل الداء بها في أمن

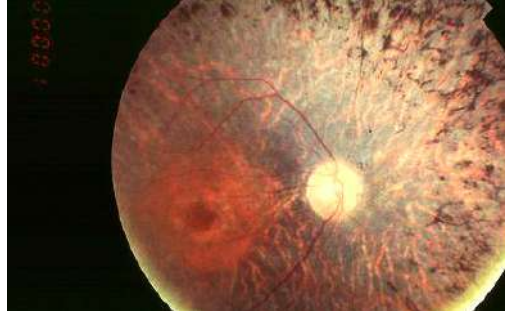
و بعدها الإسهال للكيوموس بالشرب من حبوب جالينوس
ويجلب الغلط الذي في الرأس بالغررات ثم بالعطاس
وواظب العليل بالتعطيس لتبصر الراس من الكيوموس
و عالج العين في الشيفاف فإنه من الغشاء شاف
صفة شيفاف نافع من الغشا
أو خذ له من أرئيس و عل شحم جوف حنظل كالكلحل
رقه مثقال بلا نقصان و خذ الى ذلك بالميزان
من فرييون وزن نصف درهم مع مثله نشادر مضدم
قدرهما كيلا من السكينج يدعك هذا كله بالرستج
مع مرار تيس في المهراس دعكا بليغا زائد القياس
و اعمل مثل عدس شيافا و قطر العين به التطافا
بالماء صصورا من الشراب و دم بلا هجر و لا أغباب

(أ) عند ابن طفيل:

ذكر ابن طفيل الغشاء كالتالي :
مبصرا بالنهار ، قليل الإبصار بالليل
"لذا يكون مبصرا نهارا و في الدجى يمتنع الإبصار"
الدجى : دجى الليل : سواده ، ظلمته (معجم المعاني الجامع)
ثم قسم الأنواع حسب الأسباب :
• غلط في الروح النفساني الذي به يبصر الإنسان
• قوة الحر و ضياء الشمس
• الرطوبة في الليل
• ثم وصف شيفاف بوصفة خاصة

(ب) في الطب الحديث :

غشاء: قلة البصر في الليل (معجم المعاني)
يعني الغشاء صعوبة الرؤية في الظروف المظلمة. قد يكون من الصعب ، أو يستغرق وقتاً أطول ، التكيف مع الرؤية عند الانتقال من مكان جيد الإضاءة إلى الظلام
من أسبابه
• قصر النظر
• الزرق أو دواؤه
• المياه البيضاء
• التهاب الشبكية الصباغي
• نقص فيتامين أ



10. ضعف البصر La diminution de l'acuité visuelle :

الباب 27 في الظلمة و ضعف البصر

يعرض ضعف بصر العينين	إذا بحثت عنه من نوعين
أما من اليبس أو الرطوبة	والحال في هذا و ذا قربه
علامة اليبس للعينين	وقلة الدمع من الباقيين
و لا ترى في أنفه رطوبة	من الداخل أو خارج مجيبة
وقد يزيد عند مس الجوع	و تعب و نصب شنيع
و عندما ينتصف النهار	يزيد حتى يذهب الإبصار
وقد يزيد عقب الإسهال	و من دواء ليس ذا اعتدال
و ما عدا منه من الرطوبة	دليله علامة مصيبة
بأن يزيد الداء بعد الأكل	وعقب النوم لهيج الفضل
فعالج الضعف الذي من يبس	بدهن مرطب للراس
يوضع فوق الراس وليشما	منه العليل دائما منضمّا
و يسعط العليل أيضا دائما	فكل ذي رطوبة ملائم
ومره بالإدمان للحمام	وصب ماء فاتر لا حام
و ليكن العليل فيه صائم	فإنه أجدر ان يلائم
— يشرب الشراب بعد فرج	بعذب ماء بارد كالثلج
حليل ماء صافيا —	
و احمل على اليافوج من بوراد	ولين النساء بالتعاهد
ويطبخ الماء بدار فلفل	و قطر العين به وكحل
او من طبيخ الرح و الشراب	او مماء بسباس بلا أغباب
و افصد له القيفال و الجبين	واستعمل الإسهال و التلبينا
ورمّا كان الأذى في المعدة	فصار للعين بحال شدة
دليله أن لا يرى يدوم	و انه يمضي و لا يضميم
علاجه التام افتقاء المعدة	بكلما يغسلها بشدة
و الأخذ من أيارج تقديرا	ومثله اطريفا لصغيرا
و ياكل الحلنجين الفائق	من سكر بالمصطكى الموافق

(أ) عند ابن طفيل:

ابن طفيل نوعين حسب الأسباب: اليبس أو الرطوبة

ضعف البصر من اليبس:

- اليبس في العينين
- قلة الدمع
- اليبس في الأنف
- ازدياد ضعف البصر مع ازدياد التعب و الجوع أو عند الإسهال

ضعف البصر من الرطوبة :

- ازدياد ضعف البصر بعد الأكل
- ازدياد ضعف البصر بعد النوم

(ب) في الطب الحديث :

ضعف البصر ضعف البصر يمكن أن يكون عارضا أو منذ الولادة له أسباب متعددة إما عضوية أو وظيفية

حسب GLOBAL DATA ON VISUAL IMPAIRMENTS فإن أكثر الأسباب انتشارا لضعف البصر عالميا في عام 2010 هي:
خطأ انكسار (42%)، الساد (33%)، الماء الأزرق (2%)، التنكس البقعي للعين (1%)، العين الحمراء (1%)،
اعتلال الشبكية السكري (1%).



11. نزول الماء في العينين La cataracte :

الباب 28 في ابتداء نزول الماء في العينين

- الماء قد ينزل في العينين واصله يكون من نوعين
- نوع من البرد مع الرطوبة رطوبة قد نزلت مابين
- تبرز في العينين من الدماغ فتجب النور عن البلاغ
- و تمنع الروح من النفوذ من جرمها الموضع المنفوذ
- و منه ما حدوثه من صدمه تواقع الجبهة او من لطمة
- ومنه من اكل غذاء فاسد ياخذ العليل بالتعاهد
- وقد ترى لبعضه ايات تقدمه من قبل بينات
- مثل الصداغ الصعب و الدوار اذا هما زاد على المقدار

وكالخيالات والبعوض و الذباب و شرر الوقود و الدخان
و ربما يعرض للإبصار من الذي يرقى من البخار
من معدة العليل للعينين حتى يرى ذلك في الشقين
وتنقص الأعراض أو تزول اذا خلا من العدا العليل
و يكثر التخيل عند التخمة و كثرة الاكل و طول البشمة
وكان قد حدث ذاك بغثه ولا يرى كدر فيها بته
و تظهر الحدقة الحديد صافية كحالها المعد
و ان يكون قد جاوز الشهرين ولم تكن كدورة في العين
فاعلم يقينا منك ان المعدة فيها بخار فاسد ذو حدة
و ان سقيت الفيرا العليلا وجدته قد فقد التخيل
— الماء في العين الذي يكون من دائها فإنه يبين
— يلزم التحليل — ولا تزال الحال فيها بارد
يبدو لها التخيل دأبا دائم وكلما يمضي تراه لازم
لاسيما اذا مضت سهران وكدرت في ذاتها العينان
فاعلم بن الماء في العينين مستحكما ولا تكن في مين
ويجعل العليل في معدته
وقد يتم لتمام العام او زايدا بعدة ايام
ومن دليل الماء في تمامه او يكثر التخيل مع دوامه
وليس يدري الفرق بين الاسود و الابيض —
وياخذ الضياء في الشمال حتى تزول ظلمة العيان
ويبدأ الماء من الشمال في أكثر الاوقات و الاهوال
و يعتري التخيل عن برسام و ذاك لا يصب بالدوام

علاجه اذا كان من الدماغ نفسه
فافصد اذا كان من الدماغ بالنقص للخلط و الاستفراغ
بحب جالينوس و القوقايا فإنه يقاوم البلياد
او سائر الايارج الكبار أو ينقيع الصبر المختار
و يلزم الغراغر القوية لتخرج البلاغم الردية
ويحذر التفجير والحجامة فإن في تركها سلامة
و يدخل الحمام بالدوام و لا يكر الا على الصيام
ويهجر الاطعمة الغلظاً و ليحتفظ من ضررها احتفظاً
لا سيما السمك فهو بارد مولد خلط رديا فاسد
و يهجر الشراب هجرا قاطع و لا يبت من الطعام شايح
و لتكتحل بداخل الممرار مواظبا في الليل و النهار
من السوام كان او وحوش او سمك او من ذوات الريش
من ايها كان من الممرار و ايها امكن في الاحضار
مجموعة بالماء من بسباس و غسل يخرج بالقياس
لا سيما ان كان من طيور غذاؤها اللحوم كالنصور
و امنعه ما يولد السوداء كان شربا ذاك او غذاء
و يحذر السمك و الألبانا و كل رطب كائن ما كان

(أ) عند ابن طفيل:

قسم ابن طفيل الأنواع حسب الأسباب :

- من برودة مع رطوبة : "نوع من البرد مع الرطوبة"
- من صدمة : "و منه ما حدوثه من صدمة"
- من ظلمة : "توقع الجبهة أو من ظلمة"
- من غداء فاسد : "و منه من أكل غداء فاسد"
- من الدماغ : "تبرز العين من الدماغ "

ثم ذكر الأعراض التالية :

- ضعف البصر: "فتحجب النور عن البلاء"
- الصداع و الدوار :
- "و قد ترى لبعضه آيات تقدمه من قبل بينات مثل الصداع الصعب و الدوار"
- الخيالات :

- "و كالخيالات التي يراها ظاهرة بحالها أشباهها"
- "كالبق والبعوض والذباب و شرر القود و الدخان"
- ارتباط هذه الأعراض بالآكل :
- "و تنقص الأعراض و تزول إذا خلى العدا العليل"
- "و يكثر التخيل عند التخمّة و كثرة الأكل و طول ____"
- ثم ذكر مجموعة من الصفات للعلاج

(ب) في الطب الحديث :

الماء الأبيض : نوع من الأمراض التي تصيب العين يسمى (إظلام عدسة العين) و ذلك نتيجة تجمع سائل أبيض من العين في عدستها (معجم المعاني الجامع) .

عتامة العين : هو مرض يصيب عدسة العين الطبيعية القائمة خلف الحدقة فيعتمها و يفقدها شفافيتها مما يسبب ضعفا في البصر دون وجع أو ألم . نزول الماء في العينين هو التعتيم الجزئي أو الكلي لعدسة العين.

أعراضه هي :

- انخفاض حدة البصر
- الوهج والضياء
- ازدواج الرؤية أحادي أو تعدد الرؤية
- تغير في إدراك اللون

أنواعه هي :

- إعتام عدسة العين المرتبط بالعمر
- إعتام عدسة العين علاجي المنشأ
- إعتام عدسة العين المرضي
- إعتام عدسة الخلقي
- إعتام عدسة العين بعد الصدمة



12. الكمة L'amaurose :

الباب 29 في الكمة وأقسامها و علاجها

من علل العين الكبار الكمة و اصلها قبح شديد المحنة
يحدث من ثلاث اسباب معلومة شديدة صعب
اما عن الرمد او صداع او قرحة غائرة في القاع
و نوعها يكون من ضربين من كبر و صغر في العين
فمنه ماكان صغير و منه ما كان كبير

العلاج

علاجه القصد في القيفال و بعده العلاج بالإسهال
مثاله تنقية الدماغ بقوة النفذ و الاستفرغ
او قطر المر بنزر شهد فانه يجلبها بجد
او بشياف الكندور المذكور من بعد ذا في بابه المسطور
و ضمد العين في داء الكمة بحلبة تزيل منها المحنة
ونزر كتان مع الإكليل مطبوخة تصلح للتحليل
وقطر الكمة باللعب من ذا و ذا دأبا بلا اغباب
و واطب العين بذا العلاج حتى يسيل القيح بالافصاح

أ) عند ابن طفيل:

وصفها ب " قبح شديد المحنة " واضح أنها من المضاعفات ذكر لها 3 أسباب:

- الرمد
- صداع
- قرحة

لم تذكر الأعراض في هذا الباب وذكر العلاج بالتفصيل

ب) في الطب الحديث :

الكمة : ظلمة في البصر بسبب مرض (معجم الرائد) ظلمة في البصر بسبب مرض العصب البصري أو الشبكية أو المخ بدون
تغير ظاهر في شكل العين (معجم الماني الجامع)

كمنة عابرة : فقدان البصر في عين واحدة أو في العينين بشكل مؤقت و من غير ألم

أسبابها :

انسداد الشريان الشبكي

التهاب العصب البصري

الاعتلال العصبي البصري الإقفاري

الجلطة الدماغية



13. الإنتشار Mydriase :

الباب 30 في الإنتشار و أقسامه و علاجه

ينتشر الناظر من أسباب	أربعة محصورة الحساب
من ضربة في العين او صداع	مازال للراس بالاجوع
او لانسحاب الفضل من رطوبه	زائدة في ذاتها صبيبه
او لجفوف عارض من صوم	او لامتناع قاطع للنوم
وقد يكون ذا من الولادة	فلا يرى كالحلقة المعتادة
و قد يرى صاحب هذا الداء	ليس يرى شيئاً من الأشياء
وحده سعة ثقب العين	حتى يكون قدره ضعفين
و ربما يلحق بالبياض	وهو شديد الضر في الأمراض
ليس له برء اذا ما صار	ممكنا و جاوز المقدار
لكنه قد يبرأ اليسير	منه اذا ما حسن التدبير
و لم يكن يحدث عن صداع	او ضربة مؤلمة الاوجاع

العلاج

فقدان الفصد في القيغال	و اخرج الدم على اعتدال
واجعل على نقرته المحاجم	وليكن المص كثيرا دائم
و سقه القوقيا من مرار	و زده من ايارج مختار
و صب ماء لبحر فوق الرأس	و امزج به كلا على قياس
و ان تفت وجود ماء البحر	فاخلط من الملح بماء النهر
و جزء خل و اغسل العينين	ووجهه من حين الصدغين
ويكحل العينين بالمرار	من حيوان المشي او طيار

و ان يكن حدوئه من ضربه قد نالت العين بحال صعبه
فاحمل عليه من دقيق الفول بماء ورد فائق جليل
من بعد أن تفجر القيظالا وترسل الدم له ارسالا
او ضمد العينين بالخطي وورق من هندبا طري
أو بدقيق حنطة الشعير يسقى بماء الهندبا العصير
وزد عليه دهن البنفسج ومن حشيش عشب البابونج

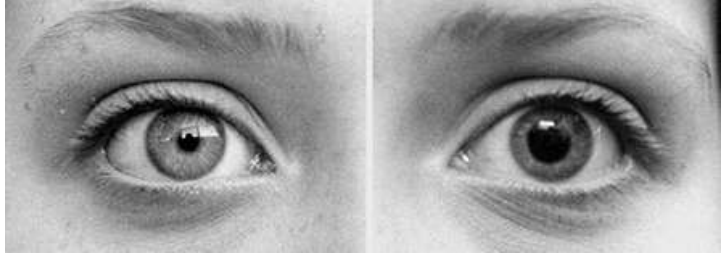
(أ) عند ابن طفيل:

الإنشطار :امتداد , تفرق (قاموس المعاني)

و يقصد به ابن طفيل توسع الحدقة

"فلا يرى كالحلقة المعتادة"

"وحدة سعة ثقب العين حتى يكون قدره ضعفين"



ثم ذكر الأسباب :

- ضربة في العين أو صداع ملازم للرأس
- رطوبة و فضول
- جفاف
- الولادة

ذكر العلاج بما في ذلك الفصد و وصفات علاجية أخرى

(ب) في الطب الحديث :

من أسباب توسع الحدقة :

- مضادات الهيستامين
- مضادات الاكتئاب ثلاثية الحلقا
- أدوية علاج دوام الحركة
- الأدوية المضادة للغثيان
- مضادات التشنج
- الأدوية المستخدمة لعلاج الباركنسون
- إصابات أو أمراض الدماغ
- ارتفاع ضغط العين
- كسر في الجمجمة
- إصابة العين

14. ضيق الحدة Myosis :

الباب 31 في ضيق الحدة و أقسامها و علاجها

الضيق من أمراض ثقب العين يكون من شيئين معروفين
اما من الطبيعة المولود وهذه حال له موجود
لأنه ينظر للبعيد كنظر القريب بالتحديد
لاسيما إن كان من نوعين واما من زيادة صبيبه
فما يكون منه عن نقصان ليس له برء مدى الزمان
وما يكون منه من رطوبه فحاله في برئه قريبه

العلاج

علاجه التقليل للغذاء و اكل ما خف من الأشياء
مما له في طبعه خراف مع خردل و فلفل مضاف
واقصد العليل في القيصال و بعد ذا فمره بالإسهال
بكل ما يستخرج الرطوبة فالنهج في الطبيعة المجيبه
و كحل العين بهذا الكحل فإنه شاف حميد الفعل
حجارة من توتيا خضراء دراهم توزن بالسواء
جميعها أربعة وواحد من غير نقصان و غير ذالك
و من قشيشا وزن درهمين مع بسد ولؤلؤ خلطين
زنة مثقال على التعديل و مثله من عرف زنجبيل
و ثمن المثقال دار الفلفل و فلفلًا بوزنه معدل
يسحق في المهراس باستقصاء وانخله في بالحري كالهباء

(أ) عند ابن طفيل:

قسم الأنواع حسب الأسباب :

- من الطبيعة : "إما من الطبيعة"
- خلل في الرطوبة : نقصان أو زيادة الرطوبة
- "إما النقصان من الرطوبة و إما زيادة صبيبه"

ثم ذكر العرض التالي :

"لأنه ينظر للبعيد كنظر القريب بالتحديد"

و ذكر العلاج حسب الأسباب :

- نقصان في الرطوبة : ليس له علاج
- "فما يكون منه عن نقصان ليس له برء مدى الزمان"
- زيادة في الرطوبة : ذكر العلاج (وصفات)
- "و ما يكون منه من رطوبة فحاله في البرء في البرء قريبه"



(ب) في الطب الحديث :

من أسباب ضيق الحدقة :

- العمر
- التهاب في العينين
- مرض جيني
- متلازمة هورنر
- تناول الأدوية المخدرة الأفيونية
- بعض أدوية علاج ارتفاع الضغط

15. السدة في العين Le glauome :

الباب 32 في السدة في العين وأقسامها و علاجها

يعرض في العصب ذي التجويف في العين ذو اذى مخوف وهو يدعى سدة مخوفة و قد أتت في كتبهم موصوفة دليلها ما يجد العليل من ثقل في العين لا يزول يعرضها في دمة ممره فيجد الثقل و المضرة و من دليل ما يخص السدة او تعصب العين بضغط مده فإن رأيت سعة في الثقب في عينه التي بغير عصب فليس فيها شدة تحقيقا فابحث عليها تجد الطريقا

العلاج

علاجها أن تامر العليلا اذا وثقت في الهدى دليلا او يطبخ الرأس من حملان معمومة من غنم سمان و يفتح العين على بخار ما دام في الرأس حر النار و انفع الاشياء في ذا الداء بخار لحم حمر البيرة ينضح مغموما على تنور بالماء والملح بلا بزوغ و عند ذاك يفتح العليل عينيه للبخار اذ يجول و يلزم العليل ذا التدبيرا فرمما رأى بذاك النورا

(أ) عند ابن طفيل:

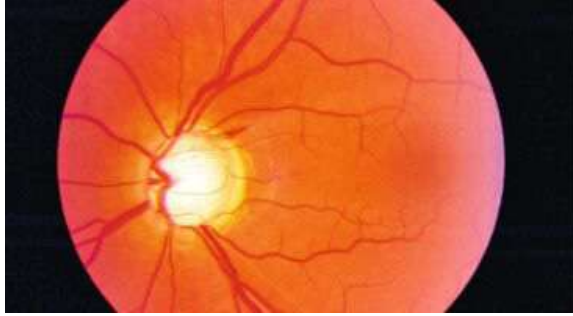
ذكر الكاتب بأن السدة مرض في العين مصدره ضرر في عصب العين "يعرض في العصب ذي التجويف في العين ضرر ذو اذى مخوف" ملاحظة : ذكر الكاتب عصب ذي تجويف , في حين أن الأعصاب هي ناقلات غير مجوفة ولم يذكر وسيلة ملاحظته لهذا العصب ذكر الكاتب الأعراض التالية :

- ثقل في العين (بشكل حاد) و ضرر
- "يعرضها في دفعة بصره فيجد الثقل و المضرة"
- سعة في الحدقة في بعض الحالات
- "فإن رأيت سعة في الثقب في عينه التي بغير عصب"
- تعصب العين بضغط
- "ومن دليل ما يخص السدة أو تعصب العين بضغط مدة"
- ذكرت وصفات للعلاج في هذا الباب

(ب) في الطب الحديث :

المياه الزرقاء أو الجلوكوما مجموعة من أمراض تصيب العصب البصري تؤدي إلى فقدان الخلايا العصبية للشبكية بطريقة مميزة. وبالرغم من أن ارتفاع الضغط داخل العين قد يكون سبباً أساسياً في حدوثه إلا أنه ليس بالضرورة منه الحاد والمزمن و الخلقي و الثانوي .من أعراضه :

- ضغط مرتفع للعين
- تأثير المجال البصري
- انسداد في زاوية التصريف داخل العين
- تأثير النقطة العمياء الفسيولوجية على الشبكية في القرص البصري حيث يمر العصب البصري
- في حالة جلوكوما الزاوية المغلقة الحاد يكون ألم حاد في العين و توسع الحدقة غير مستجيب للضوء



16. الوردنج Le chemosis :

الباب 33 في الوردنج و علاجه

حدث ذا من غلظ الاجفان بالدم اذ يكون ذا غروان
— من مده من الدم دليلها الحمرة مثل العندم
مع ثقل و غلظ كثير و حاله ظاهرة التغيير
فما يكون من دم مرار محترق مثل احتراق النار
واذ قلبت باطن الجفون رأيت فيها اللحم ذا غصون
بعضا على بعض كمثل ورد مركب ان مس بالمورود
سال دم من لحمها في الحين و ذاك من رطوبة الجفون

العلاج

علاجه مثل علاج — بلا خلاف عارض —
و ذاك بالفصد من القيصال فلا تكر للفصد ذا اغفال
وذا علاج ينفع الوردنج مختبر كم مرة قد فرج

شيف نافع لذلك

يؤخذ من اطراف ورد ناظر مما على الاوراق في الاوائر
اربعة معدودة دراهم و زعفران نصفها ملائم
و درهم من سنبل هندي وبزر خشخاش من النقي
زنة نصف السنبل المذكور و مثله صمغ على التقدير

يصنع بعد سحقه شيافاً و تكحل العين به التطافا
من بعد فصد العرق و الإسهال بأصفر الهليلج الجلال

(أ) عند ابن طفيل:

ذكر ابن طفيل الأعراض التالية :

- الحمرة في العينين
 - ثقل وغلظ كثير
 - تغيرات في باطن الجفون (كثرة الشعب الدموية) أو رطوبة الجفون
- ذكر الكاتب الفصد في العلاج



(ب) في الطب الحديث :

تورم في الملتحمة و هو ناتج عن نضح من الشعيرات الدموية منفذة بشكل غير طبيعي و غالبا ما تتضخم العين كثيرا و هو ما يصعب أو يمنع التغميض

17. لحول و الإعوجاج Le strabisme :

الباب 35 في الحول و الإعوجاج

هذا يرى أكثر في الصغار ولا يعرض للكبار
علاجه أن يرقد الليل موسدا و يوقد القنديل
من جانب مخالف للناظر فلست تربيه بشيء آخر
واجعل له قلادة الوانا ليقسم اللحظ لها عيانا
من أبيض و احمر — و اسود و اذكر و انثى
فإنه يرجى هذا الشفاء و قل ما يبرء هذا الداء

(أ) عند ابن طفيل:

ذكر بأن الحول و الإعوجاج يعرض في الصغر و لا يأتي للكبار في السن

"هذا يرى في الصغار و لا يرى يعرض للكبار"

و لم يفسر الأسباب

ثم ذكر العلاج وهو نوع من الترويض للعين

(ب) في الطب الحديث :

حوّل أو حول العيون هو حالة لا يلتقي فيها محوراً الرؤية في كلتا العينين في نقطة واحدة، وقد يظهر الحول عند النظر إلى الأمام أو إلى الجانبين وقد يكون حالة ثابتة مستديمة أو متغيرة في أوقات مختلفة طرق علاج الحول يمكن أن تشمل تركيب نظارات طبية بشكل عام لتعديل وإصلاح حالة مد البصر، وفي بعض الأحيان قد تكون هنالك حاجة إلى عملية جراحية في عضلات العينين إصلاح حول العيون بواسطة عملية جراحية يركز بالأساس على: إضعاف قدرة العضلة على الشدّ وذلك بواسطة إعادتها إلى الوراء على مقلة العين *حسر العضلة وبذلك تعزيز قدرتها على الجذب



18. Le larmoiement : الغرب

الباب 36 في الغرب

الغرب العارض في المآقي من ورم يكون باتفاق
يخرج بين الانف و الخيشوم بمرة ووجع اليم
وربما صار الى الناسور فافسد العظم بلا تاخير
وربما انفجر في التجويف من باطن الانف بلا تحريف
و قد ترى مدته منها _____

العلاج

علاجه التفتيح بالدواء بالرفق و اللطف بلا جفاء
مهرهم من شانه التفتيح مرطب حتى تسيل القيح
و بعد ذا يملا بالشفاف و الصبر المختار و اللسان
و ذا الشفاف جيد جليل مجنب تعضده العقول
يؤخذ من أوراق جلنار و عنزروت فائق مختار
و انهد من مهاني الشب مقدار على سواء حسب
و ربع جزء واحد زنجارا و لا يكر الارض مختارا
يسحق هذا كله كالكلحل و اصنعه قدر عدس بالمثل
وكله بالماء من سماق و قطر الشفاف في المآقي
ثلاث قطرات على التوال في كل يوم واهتيل بالحال

و كل وقت عصر الناصورا
فان رأيت ضره قد بانا
فليس الاكية بالنار
وبعد ذا تعمه تقطيرا
و استيقنته عيانا
فكر له بالمط ذا بدار

(أ) عند ابن طفيل:

معاني الكلمات :

بعينه غرب : إذا كانت تدمع و لا ينقطع دمعها (معجم المعاني)
و قد ذكر الكاتب المآق
المآق : طرف العين مما يلي الأنف .هو مجرى الدمع (معجم المعاني)
"الغرب العارض في المآقي"
الناصور :وهو اتصال غير طبيعي أو ممر بين بين فراغين أجوفين(fistule)

الأعراض المذكورة:

- الدموع بلا توقف
- وجع أليم في حالة الورم

ذكرت الأسباب التالية :

- ورم بين ثلاثف و الخيشوم
- "من ورم يكون باتفاق" "يخرج بين الأنف و الخيشوم"
- الناصور
- "و ربما صار إلى الناصور فأفسد العظم بلا تأخير"
- تدفق زائد :
- "ورما انفجر في التجويف من باطن الأنف بلا تحريف"

(ب) في الطب الحديث :

يُميز بين الحالات التي تكون فيها القنوات الدمعية مسدودة حيث تكون الأسباب متعلقة بذلك كورم او ناسور او اسباب التهابية أو تعفننية و الحالات التي تكون فيها لقنوات الدمعية مفتوحة حيث تكون الاسباب جفاف العين او امراض اخرى تصيب العين.



19. الغدة في العين La dacryocystite :

الباب 37 في الغدة في العين

و قد يزيد اللحم في المآق و تعرف الغدة باتفاق
يكون فيه وجع و حمرة و تمتلئ عروقها ممرة
علاجها يكون بالإسهال و الفصد بعد ذلك القيصال
و كالشياف الفائق _____ مثل علاج الجرب _____
و بعلاج الظفرة القوية فامثل العلاج بالسوية

أ) عند ابن طفيل:

ذكر الأعراض التالية :

وجع و حمرة في المجاري الدمعية مع امتلاء في الغدة
"يكون فيه وجع و حمرة و تمتلئ عروقها ممرة"

ب) في الطب الحديث :

الغدة الدمعية , غدد تفرز الدمع , تقع عند الجزء العلوي من الخارجي من المقلة , لها قنوات عدة تنفتح في باطن الحفن
الأعلى المآق الخارجي للعين (معجم المعاني الجامع)
التهاب كيس الدمع هو عدوى تصيب الكيس الدمعي, وهي ثانوية لانسداد القناة الأنفية الدمعية عند تقاطع الكيس الدمعي
وتسبب الألم والاحمرار والتورم على الجانب الداخلي للجفن السفلي



20. جحوظ العينين L'exophtalmie :

الباب 42 في جحوظ العينين

قد تعتري الجحوظ في العينين من كثرة القيء على ادمان
او من صياح مفرط عظيم او اختناق ضاغط لزوم
أو من صداع ثابت في الراس او كالذي يعرض في النفاس

علاج ذلك

علاجه بحقن حديده جذابة بقوة شديده
لتجذب الاخلاط نحو السفلى من جسمه لقوة في الفعل
و بعدها العصر من القيصال حتى يخف الخلط بالاسهال

و يلزم النوع على قفاه حتى يرى قد دخلت عيناه
ويحذر الحراك و الصياحا و كثرة الكلام و الالاحا
و هجر السكر و الامتلاء و كلما ينفخ الاعضاء
وليقصر على غذاء حامض وماله قوة فعل قابض
و قطر العين بالشياف شياف سماق بليغ كاف
و ضمد العين بدهن الورد يضرب بالبيض و زد في الشهد
ولا تفتقر شدها اياما و لا تؤخر قدها الزاما
و احمل على العين مع المآق ضمد رمان مع السماق
و عدس مقشر و ورد ولزم العين بليغ الشد

(أ) عند ابن طفيل:

الجحاط : خروج مقلة العين و ظهورها
الجحوظ : خروج المقلة و نتوؤها من الحجاج (معجم العرب)
جحوظ العين عبارة عن بروزها إلى الأمام بحيث يلفت انتباه الآخرين وخاصة إذا كان في عين واحدة
ذكر ابن طفيل أسباب جحوظ العين و هي :

- كثرة القيء
- اختناق ضاغط
- صياح مفرط
- صداع في الرأس ثابت

أسباب جحوظ العين :



(ب) في الطب الحديث :

يمكن تمييز الأسباب المتعلقة بأورام (ورم خلف كرة العين) و غيرها من الأسباب

- أمراض الغدة الدرقية
- التهابات العين
- الجروح والإصابات
- أمراض الأنسجة الضامة، مثل الساركويد
- الليمفوما
- الزرق

21. أمراض الأجفان

(أ) البردة و التحجر Le chalazion :

الباب 38 في البردة و التحجر

ويعتري تحجر الاجفان من كثرة السوداء في الإنسان
و تعتري بردة الجفون من خلط سوء باطن كمين

العلاج

علاجها بالترك للغذاء من كل مايزيد في السوداء
و باجتناوب تخم الطعام و الترك للأكل لدى المنام

شياف نافع لها

و يؤخذ مع اللبن و صبر و جزء زعفران
ومن كثيرا مثل جزء واحد على السواء كلها لازائد
يعصر بالجميع من بسابس و اصنع شيافا عنه بالقياس
و حله و اطل به التحجيرا حتى ترى لنفعه تائيرا



(ب) السلاق و الحكمة في الأجفان Eczema des paupieres :

الباب 39 في السلاق و الحكمة في الأجفان

اما السلاق فهو من رطوبه مالهة في حالها صعوبه
دليلها الحمرة في الجفون و دمعها دائمة الشؤون
_____ الاكل مع حدة في دمعها السيل

العلاج

علاجه الاسهال بالهليلج و لحم تمر الهند و البنفسج
و بعد الفصد في القيفال والفصد في الجبين باعتدال
من ذا الضماد يقطع السلاما و ينفع الجفون و الامانا

ضماد يقطع السلاق

يؤخذ جزء عدس مقشور مع حب سماق على تقدير

وورق الورد الزكي الجيد كواحر منها بلا ترديد
و شحم رمان على السواء مقدار ما يصلح بلا جزاء
يعجن بعد السحق بالبيختج و ضمد الجفن من التهيج



ج) جساء الأجفان: La blepharite

الباب 40 في جساء الأجفان

قد يعرض الجساء للأجفان مع وجع تحسه العينان
و حمرة و عسرة انفتاح عند الفضا النوم في الصباح
و شدة اليبس مع الصلابه و قلة الحراك و الاجابه
و يعتريه ——— يعهد في اكثر الأحوال مع تمرد
و اصله يكون من الصفراء محرقة حالته للداء

علاج الجساء

علاجه ادامة الحمام و الانكباب فوق ماء حام
و صبه سخنا على اليافوخ و الدهن بالشريرج في تمريخ
و كمد العين بماء الحلبه في خرق ذات البطاء رطبه
ومره ان يشم دهن الشيرج مواظبا و الدهن من بنفسج
او دهن القرع او النيلوبر او مثل ذا من دهن محسن
و يحمل القيروط مع ———
و اضرب له صفرة بيض نيئه و اختر لهذا بيضة طريه
مع دهن البنفسج الطري واحمل على الاجفان دون لي
ويسعط العليل بالادهان فإنها نفع لهذا الشان
فان كفى هذا و الا القصد في عرقه القيفال فهو الرمد
و سهل العليل بالاشياء مما له التأثير في الصفاء

الباب 44 في القمل في الأجفان

———— واحد رطيب فاسد
القمل في الاجفان نوع واحد يحدته خلط رطيب فاسد
معفى تدفعه الطبيعه لانها عزيزة حفيضة

علاجها تنقية الاشفار و غسلها بماء ملح حار
و الصق على مكانها ميونرج و اسحقه سحقا بالغا بالدستج
أو فاسحق الشب مع الزرنخ و احمل على الاشفار بالنلطينخ
او من شراب الزنبق المسحوق يحمل فوق الشفر كالنطوق
او من شراب الزنبق المسحوق يحمل فوق الشفر كالنطوق
ومره بالدخول في الحمام و غسلها بماء ملح حام
فان كفا و الا فالسهال يريجه و تستقيم الحال



(د) انتفاخ الأجفان : Loedeme palpebrale

الباب 41 في انتفاخ الأجفان

النفخ قد يعرض للجفون من علل معروفة التكوين
اربعة معدودة محصوره مذكورة في كتبهم مشهوره

النوع الأول

أولها مايعتري من ريح فجأة للسام الصحيح
و يبدء ما فله الكبير كعضة الذباباو زنبور
و لون هذا النفخ للبياض و كون في البلغم في الاعراض
_____ هذا على الامر الاعم _____ الشيخ الذي قد انهدم
و ينجلي انتفاخها سريعا و لا تكون ضررها شنيعا

النوع الثاني

و نفخها الثاني يزدن نفخا حتى لعدما يخاف منه الفخا
و ذا يكون في بارد ثقيل و لونه يكون مستحيلا
و ربما تتبعه الدموع و كان فيه وجع فضيع

النوع الثالث

و نوعه الثالث باليقين اكثر نفخا منه في العيون
اذا عمرت فوقه يغور ثم يرى قد رجع التغرير
_____ — فوقه بالاصبع —

النوع الرابع

و نوعه الرابع غير خاف	كانه قد زاد في الاسراف
حتى تعم النفخ في العينين	وينتهي ذاك الى الخدين
مع جساء فيه و الصلابه	و كحمرة في اللون كالكآبه
وليس _____	إذا عمرت فوقه بالاصبع
ولا يحس _____	

العلاج

فعالج الاقل بالطلاء	من صمغه و حضض سواء
وورق _____	
و من كثيرا يعجن الجميع	بالماء فهو نافع بديع
و عالج النوع الذي يليه	بالمرو و الكندر في ترفيهه
من بعد سحق جيد و نخل	حتى يكون بالغاً كالكلحل
مع الكثيراً او مع الافيون	يطلى به دابا على الجفون
بالماء مع كزبرة خضراء	في غدوة دابا و في المساء
و عالج الثالث من انواعه	— يسرع في دفاعه
و فلفل الصمغ مع افيون	وقاقيا و صبر موزون
على السواء كلها موزونه	بصفو ماء الهندباء معجونه
و عالج الرابع من ذا الداء	بذا وزده جزء ما مساء
و اصنع شيافا فاحسن التقدير	هماء حي العالم المشهور
فالكل يحتاج الى الاسهال	بكل ما يصلح باعتدال
فذاك بالقوقايا و الا _____	و الطلي فوق دابه من مارج



ذكر أربعة أنواع حسب درجة الإنتفاخ

الدرجة الأولى :

أرجع سببها إلى الرياح و مثلها بلسعة بعض الحشرات
"أولها ما يعتري من ريح"
"كعضة الذباب أو زنبور"

الدرجة الثانية :

يكون النفخ أكبر حجماً و يصاحبه :

- سيلان الدموع

- وجع شديد

"ونفخها الثاني يزيد نفخاً"

"وربما تتبعه الدموع و كان فيه وجع فظيع"

الدرجة الثالثة :

النفخ يكون أكثر من الدرجة الثانية :

"و نوعه الثالث باليقين أكثر نفخاً منه في العيون"

الدرجة الرابعة :

يعم النفخ العينين و قد يصل إلى باقي الوجه تصحبه حمرة و جساء و صلابة

"كأنه قد زاد في الإسراف"

"حتى تعم النفخ للعينين وينتهي ذاك إلى الخدين"

"مع جساء فيه و صلابة"

وفي الطب الحديث :

هناك أسباب عدة قد تؤدي إلى انتفاخ جفن العين :

• التهاب الهلل التهاب النسيج الخلوي (cellulite)

• الحساسية

• داء غريفز

• التهاب الملتحمة

• شحاذ العين

• عدوى الهربس

• احتباس السوائل

• صدمة أو إصابة مصحوبة غالباً بتغيير في لون العين

هـ) الشعيرة في الأجفان Lorgelet :

الباب 43 في الشعيرة في الجفن

قد يالم الجفن من الشعيرة و قد اتت في كتبهم مسطوره

و شكلها كحبة الشعير ذات نقى ليس بالكثير

علاجها الموم بدهن الورد يصنع منه مرهم كالزند

و اطل به من فوقه ضمادا و اجعل له من شيرج كمادا

او فاطلها بوشق و خل و السكيبينج البليخ الحل

او قطعة من الرياحليون يطلي بقيه البرء باليقين

الشعيرة : التهاب يصيب الغدة الدهنية الموجودة على طرف الجفني بثرة تخرج في أصل حدقة العين أو دمل صغير يتكون في جفن العين وتكون الشعيرة عمومًا مليئة بالقريح وكلما كانت أكثر انتفاخًا وأكبر حجمًا زادت من المعاناة ومن صعوبة التركيز وقلصت القدرة على الرؤية، لأنها تعيق فتح العين بشكل كامل.

"قد يألم الجفن من شعيرة وقد أتت في كتبهم مسطورة"
"وشكلها كحبة الشعير"



(و) الشعر الزائد المتقلب المتقلب : Cils trichiasiques

الباب 45 في الشعر الزائد المتقلب

الشعر الزائد المقلوب يحدث من رطوبة تذوب
عفنة تدفعها الطبيعه عن نفسها العزيرة الرفيعه

العلاج

علاجه تنقية الدماغ بحب قوقيا على استبلاغ
او بحبوب المصطكي المشهورة او حبوب غيرها مذكوره
وواظب الشفر لذي البليه بالدم من ضفادع بريه
او خذ له قليل سوكران و البزار من قطونا بالميزان
ود قطران على السواء و من دم الخفاش كالاجزاء
و اطل به الشفر باشر التنف مجففا فبالجفوف يشف
لانه ان كان رطبا زادا في دائه و مكن الفساد

و كية بابر معقوفه ينفع في المواضع المنتوفه

فان

الباب 46 في انتشار الأشفار

و في انتشار شعر العينين فإنه يكون من نوعين
نوع من الحرارة الشديده وتحدث الثاني من البروده
وهذه من شدة الصفراء و برده من كثرة السوداء
اذا غدت هذه و ذي معفونه و تركت حتى غدت كمينه
و من دليل كونه من حر حرارة و غلظ في الشفر
و حمرة تظهر في الجفون مع وجع وقلة السكون
و من دليل كونه من برد تمكن البياض فوق الجلد
و لا يكون غلظ في الشفر وتظهر العلة عند القر
وقد يكون ذاك من نقصان ما تعتري الشعر في الاجفان

وهو كراء الثعلب المعروف فيسقط الشعر كالمنتوف

علاجه اذا كان من الصفراء

علاج ما كان من الصفراء ينغصها دابا على استقصاء

و الفصد للقيفال و الحجامه لكي تؤول الحال للسلامه

و بعد هذا فاكحل العينين ولتعتمد بالكحل للجفنين

دابا بهذا الكحل فهو نافع ينبت الشعر وهو ناجع

صفة الكحل لذلك

يؤخذ توتيا خضراء وكحل اصبهان بالسواء

و من نوى تمر بليغ السحق جزء بقدر الكحل بعد حرق

و من غبار كندر مجلوب و سنبل جزآن بالتقريب

و قدر نصف الجزء باعتدال من لا ر ورد فائق جلال

يسحق كل واحد فرادي و زدها لسحقها معادا

و كحل الجفنين بالتماد فإنه يذهب بالفساد



المراجع :

- [1] Savage-Smith (2007), Medieval Islamic Medicine, Edinburgh University Press, ISBN ؛ Pormann 0-7486-2066-4.
- [2] ISBN Siraisi, Nancy G. (2001), Medicine and the Italian universities 1250–1600, Leiden: Brill 203, ص. 90-04-11942-6, مؤرشف من الأصل في 05 مارس 2020.
- [3] عفيفي 1977، صفحة 173
- [4] Matthias Tomczak ، "Lecture 11: Science, technology and medicine in the Roman Empire.", Science, Civilization and Society (Lecture series), مؤرشف من الأصل في 27 مارس 2016.
- [5] أثر العرب 1970، صفحة 268
- [6] The American Journal of Islamic Social Sciences 22:2 Mehmet Mahfuz Söylemez, The Jundishapur School: Its History, Structure, and Functions, p.3
- [7] Gail Marlow Taylor, The Physicians of Jundishapur, (University of California, Irvine), p.7

- [8] Tradition and Perspectives of Arab Herbal Medicine: A Review", Evi- Saad, Bashar (01 يناير 2005), dence-Based Complementary and Alternative Medicine, 2 (4): 475-479, doi:10.1093/ecam/neh133, PMID 16322804. PMC 1297506. {{استشهاد بدورية محكمة}}: الوسيط author-name-list parameters تكرر أكثر من مرة (مساعدة)
- [9] عفيفي 1977، صفحة 176
- [10] أثر العرب 1970، صفحة 274
- [11] العقد 1998، صفحة 35
- [12] Shanks, Nigel J. (يناير 1984), "Arabian medicine in the Middle Ages" (PDF), Journal of the Royal Society of Medicine, 77 (1): 60-65, PMC 1439563, PMID 6366229. {{استشهاد بدورية محكمة}}: الوسيط author-name-list parameters تكرر أكثر من مرة (مساعدة)
- [13] Islamic Culture and the Medical Arts: The Art as a Profession", United States National Library of Medicine, 15 April 1998, مؤرشف من الأصل في 9 أبريل 2019.
- [14] Shatzmiller, Mya (1994), Labour in the Medieval Islamic World
- [15] Finger, Stanley (2001), Origins of Neuroscience: A History of Explorations into Brain Function, دار نشر جامعة أكسفورد، ص. 177, ISBN 978-0-19-514694-3, مؤرشف من الأصل في 21 يناير 2020.
- [16] A.C. Brown, Jonathan (2014), Misquoting Muhammad: The Challenge and Choices of Interpreting the Prophet's Legacy, Oneworld Publications, ص. 12, ISBN 978-1780744209, مؤرشف من الأصل في 9 يونيو 2020.
- [17] عفيفي 1977، صفحة 179
- [18] ديفيد س. ليندبرغ (1980), Science in the Middle Ages, دار نشر جامعة شيكاغو، ص. 21, ISBN 0-226-48233-2
- [19] [ليندبرج ، ديفيد سي (1996). نظريات الرؤية من الكندي إلى كبلر. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو. ص 33 - 34
- [20] إستود، بروس ستانفيلد. "عناصر الرؤية: علم الكون الجزئي لنظرية جالينيك البصرية حسب حنين بن إسحاق". معاملات الجمعية الفلسفية الأمريكية 72 الجزء 5 (1982): 1-2.
- [21] Ahmad, Z. (St Thomas' Hospital) (2007), "Al-Zahrawi - The Father of Surgery", ANZ Journal of Surgery, ج. 77, ص. A83, doi:10.1111/j.1445-2197.2007.04130_8.x
- [22] ويل ديورانت: قصة الحضارة
- [23] راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية
- [24] سرد مخطوطات علي بن عيسى الكحال على موقع معهد المخطوطات العربية (تاريخ الولوج: 26 ديسمبر 2015). نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.
- [25] طوقان، قدري حافظ، علماء العرب وما أعطوه للحضارة، دار الكتاب العربي.
- [26] The rainbow bridge: rainbows in art, myth, and science". Raymond L. Lee, Alistair B. Fraser (2001). "Penn State Press. p.142. ISBN 0-271-01977-8. نسخة محفوظة 21 فبراير 2014 على موقع واي باك مشين.
- [27] (د. محمود الديك 2004)
- [28] Hehmyer, Ingrid (8), "Islam's forgotten contributions to medical science", Canadian Medical Association Journal, 176 (10): 1467, doi:10.1503/cmaj.061464 بتاريخ 06 ديسمبر 2011
- [29] Abhandlung über das Licht", J. Baermann (ed. 1882) Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft Vol 36
- [30] BBC NEWS | Science & Environment | The 'first true scientist' نسخة محفوظة 16 أغسطس 2018 على

- [31] موقع واي باك مشين.
In Memoriam: Matthias Schramm Arabic Sciences and Philosophy", (Thiele, Rüdiger (2005), ص. 329-331, doi:10.1017/S0957423905000214
- [32] جامعة كامبريدج، ج. 15، ص. 329-331, doi:10.1017/S0957423905000214
In Memoriam: Matthias Schramm, Historia Mathematica 1928-2005 (أغسطس 2005, Thiele Rüdiger
- [33] ج. 32، ص. 271-274, doi:10.1016/j.hm.2005.05.002
Saunders 1978، صفحة 193.
- [34] حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي، جلال مظهر، ص 6
- [35] موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي، 1980
- [36] Pormann, Peter (2007), Medieval Islamic medicine. Washington, D.C.: Georgetown University Press
ص. 115-138.
- [37] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، اساس البلاغة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٤٠.
- [38] الزبيدي، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي رشيد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١٠، ص ٢٤١.
- [39] النشار، السيد السيد، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٥٠-٦٠
- [41] البدر، ياسر محمد ياسين، معوقات صناعة فهراس المخطوطات، بحث منشور في مجلة دراسات تربوية، العدد ٤١، ٢٠١٨م، ص ١٨٢.
- [42] بنين، احمد شوقي، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، ط ٢، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٤م، ص ١٥.
- [43] مقتطف من: ابراهيم، المواد التي يكتب عليها المخطوط، ص ٧٤.
- [44] هارون، عبد السلام محمد، تحقيق النصوص ونشرها، ط ٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١.
- [45] هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ١٣.
- [46] محمد، مولاي، المخطوط والبحث العلمي دراسة تقييمية لنشاطات مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٩م، ص ١١٩-١١٧.
- [47] فرحان، غالب ياسين واسراء نجم عبد الرضا، ادوات كتابة المخطوطات وطرق حمايتها دراسة في مقتنيات العتبتين الحسينية والعباسية المشرفتين، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد ٣، ٢٠١٨م، ص ٥٩-٦٠
- [48] المنجد، صلاح الدين، قواعد تحقيق المخطوطات، ط ٧، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧.
- [49] المخطوطات وأهميتها في دراسة التاريخ الاسلامي م.م افراح رحيم علي كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ذي قار
- [50] الحلوي، عبد الستار، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٧.
- [51] جواد، سهلة علوان، التوثيق الالكتروني (رقمنة الكتب التراثية) ودورها في حفظ المخطوطات دائرة دار المخطوطات العراقية اغوذجا، بحث منشور في مجلة اداب المستنصرية، العدد ٧٦، ٢٠١٦م، ص ٢١٨.
- [52] محمد ريجان النودي. السنة الثالثة، العدد الثالث (يوليو-سبتمبر 2018) | دراسات و مقالات. المخطوطات الطبية العربية الموجودة في مكتبة جامعة همدرد: دراسة تقييمية
- [53] خلف، الاتلاف البشري للمخطوطات، ص ٢-٢٠
- [54] خلف، الاتلاف البشري للمخطوطات، ص ٢-٢٠
- [55] الطناحي، محمود محمد، مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٦.
- [56] Selin, Helain, المحرر (1997), Encyclopaedia of the history of science, technology and medicine in non-western cultures. Kluwer, Amsterdam, 1997. ص. 930. ISBN 0-7923-4066-3. مؤرشف من الأصل في 26 أغسطس 2016.
- [57] Haque, Amber (2004), "Psychology from Islamic Perspective: Contributions of Early Muslim Schol-

- ars and Challenges to Contemporary Muslim Psychologists", Journal of Religion and Health, 43 (4): 357-377 [361], doi:10.1007/s10943-004-4302-z
- [58] Al-Razi and Islamic medicine in the 9th century", Journal of the Royal Tibi, Selma (أبريل 2006)، Society of Medicine, 99 (4): 206-208, ISSN 0141-0768 مؤرشف من الأصل في 19 أكتوبر 2013، اطلع عليه بتاريخ 06 ديسمبر 2011.
- [59] Bazmee Ansari, A.S. (1976), "Abu Bakr Muhammad Ibn Yahya: Universal scholar and scientist", Islamic Studies, 15 (3): 155-166, مؤرشف من الأصل في 19 أكتوبر 2013، اطلع عليه بتاريخ 06 ديسمبر 2011.
- [60] Goodman, Herman (1953) "Notable contributors to the knowledge of dermatology", Medical Lay , Press: 38
- [61] Marquis, Leslie (1985) "Arabian Contributors to Dermatology", International Journal of Dermatol- , 24 (1): 60-64, doi:10.1111/j.1365-4362.1985.tb05366.x
- [62] Sajadi, Mohammad M. (5) "Ibn Sina and the Clinical Trial", Annals of Internal Medicine, 150 (9): 640-643, ISSN 0003-4819 مؤرشف من الأصل في 19 أكتوبر 2013، اطلع عليه بتاريخ 07 ديسمبر 2011. {استشهاد بدورية محكمة}: ، الوسيط author-name-list parameters تكرر أكثر من مرة (مساعدة)
- [63] Moosavi, Jamal (2009) "The Place of Avicenna in the History of Medicine", Avicenna Journal of , 1 (1), ISSN 2008-2835 Medical Biotechnology, مؤرشف من الأصل في 19 أكتوبر 2013، اطلع عليه بتاريخ 07 ديسمبر 2011. {استشهاد بدورية محكمة}: ، الوسيط غير المعروف |شهر= تم تجاهله (مساعدة)
- [64] Ibn Butlan's Tacuinum sanitatis in medicina. Strassburg, 1531 . 27 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.
- [65] Western Medicine: An Illustrated History. Oxford University Press, (07 مارس 2002)، Loudon, Irvine ISBN 9780199248131 مؤرشف من الأصل في 8 مايو 2016، اطلع عليه بتاريخ 05 سبتمبر 2012.
- [66] Al Jazzar . نسخة محفوظة 23 يونيو 2016 على موقع واي باك مشين.
- [67] Vesalius Official journal of the International Society for the History of Medicine . 03 مايو 2012 على موقع واي باك مشين.
- [68] Algizar a web page in french . نسخة محفوظة 13 أكتوبر 2017 على موقع واي باك مشين.
- [69] Gerrit Bos, Ibn al-Jazzar, Risala fi l-isyan (Treatise on forgetfulness), London, 1995 .
- [70] D. Campbell, Arabian Medicine and Its Influence on the Middle Ages, p. 3 ..
- [71] Albucasis Science museum on Albucasis . نسخة محفوظة 12 يناير 2016 على موقع واي باك مشين.
- [72] عفيفي 1977، صفحة 180
- [73] طوقان -، صفحة 18
- [74] 1st), Omaha, (ط.) Pioreschi, Plinio (2001) A History of Medicine: Byzantine and Islamic medicine , NE: Horatius Press, ص. 394, ISBN 1-888456-04-3 مؤرشف من الأصل في 23 يناير 2019.
- [75] Medical Ethics of Medieval Islam with Special Reference to Al-Ruhāwī's Levey, Martin (1967) " , "Practical Ethics of the Physician", Transactions of the American Philosophical Society, New Series, American Philosophical Society, 57 (3): 1-100, ISSN 0065-9746. JSTOR 1006137
- [76] Abu Bakr Al Razi (Rhazes) and Medical Ethics" (PDF), Ondokuz, (يونيو 2011)، Karaman, Huseyin Mayis University Review of the Faculty of Divinity (30): 77-87, ISSN 1300-3003 مؤرشف من الأصل في 26 أبريل 2012، اطلع عليه بتاريخ 01 ديسمبر 2011
- [77] الجزء الثاني من الأتيس المطرب بروض القرطاس المطبعة الوطنية صفحة 176.
- [78] عن مقدمة كتاب حي بن يقظان بقلم الدكتور جميل صليبا وكامل عيد الطبعة الأولى

- [79] لم يكن الشطر الثاني موزونا فعدلناه بإضافة (والعز) ويمكن أن تعوض بكلمة في وزنها مثل (والعلم) مثلا.
- [80] البيتان المكرران هما. وإن يفتك القصد بالحجامة في أخذ في قفاه باستقامه وإن بدا البلغم في المكان لم يغب ذلك عن العيان
- [81] نبه ابن سينا في كتابه القانون (ح 2 ص 45) أن الورم الذي يكون بالدماغ لا يسمى برساما بالباء وإنما يسمى رساما بالسين لأن الرسام بالباء يكون بالصدر لا بالدماغ ولكن ابن طفيل لم يتقيد بهذا لأنه أطلق الرسام على ورم الدماغ أيضا.
- [82] المقالة الأولى من الورقة الثانية في الترقيم مع أنها الورقة الأولى في الواقع إلى الوجه الثاني من الورقة الحادية والعشرين.
- [83] الوجه الأول من الورقة 37 من المخطوطة المتحدث عنها.
- [84] أخذت المقالة الثانية من المخطوطة ما بين الوجه الثاني في الورقة 21 وبين آخر الورقة 47
- [85] استغرقت المقالة الثالثة من الوجه الأول من الورقة 48 على الوجه الثاني من الورقة 70
- [86] [استغرقت هذه المقالة من الوجه الثاني من الورقة السبعين إلى الوجه الثاني من الورقة الثالثة والثمانين، إلا أنه يلاحظ إقصاء الورقة الحاملة للرقم الواحد والسبعين فهي ليست من المقالة المذكورة وذلك واضح لأنها لا تتناسب مع الموضوع زيادة على أنها كتبت بخط مغاير إلا أنه يلاحظ في وجهها الثاني أنها تتصل بهذا الكتاب من حيث الإشارة إلى إتمام المقالة الثالثة وبداية المقالة الرابعة وبعد مشقة تبين لنا في آخر الورقة نفس العنوان الذي وضع للمقالة الرابعة المتحدث عنها وعلى كل حال فهناك خلط ينبغي أن يعنى به المهتمون بتحقيق هذا الكتاب في المستقبل.
- [87] المخطوطة الوجه الأول من الورقة الثمانين.
- [88] استغرقت هذه المقالة من الوجه الثاني للورقة الثالثة والثمانين إلى الوجه الثاني من 104.
- [89] المخطوطة الوجه الأول من الورقة التسعين.
- [90] المخطوطة الوجه الثاني من الورقة 108 إلى الورقة 125.
- [91] المخطوطة الوجه الثاني من الورقة 113 وقد بدلنا في البيت الثاني كلمة الجسد بالجسم ليستقيم الوزن.
- [92] المخطوطة الوجه الثاني من الورقة 114.
- [93] الأوراق المقصودة ترقم في الكتاب من 117 إلى 124.
- [94] كتاب القانون الجزء الأول صفحة 106.
- [95] المخطوطة، الورقة 125. .
- [96] تستغرق المقالة من الورقة 125 إلى آخر الكتاب..
- [97] محمد بن عبد العزيز الدباغ العدد 239 ذو القعدة 1404/ غشت 1984 مجلة دعوة الحق
- [98] عن موقع <https://www.startimes.com/f.aspx?t=37352014> بتصرف



المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

المخطوطات العربية في طب الأطفال وجهود الباحثين المعاصرين في تحقيقها وخدمتها

د. محمد مرزوك

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة ابن طفيل القنيطرة -
المغرب

مقدمة:

يعد التراث المكتوب لكل أمة عنوان أصالتها، ودليل إسهامها في الحضارة الإنسانية، فإن سنة الله في الاجتماع الإنساني أن نهضة الأمم في مجال العلوم الطبيعية والتجريبية تبنى على تراث أمم أخرى، فيستفيد اللاحق من السابق. فعلم الطب مُودجا عند العرب والمسلمين عرف نهضته وازدهاره بعد استفادة علمائه من تراث اليونان، ومما لا يشكك فيه مُصَنَّف أن نهضة الغرب اليوم في مجال الطب كان جزء منها على ما تركه العرب والمسلمون من علوم في هذا المجال. ولهذا فإن معرفة هذا التراث وتحقيقه وخدمته لها أهداف كثيرة من بينها بيان جهود الحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب.

وهذا البحث الذي وسمته بـ "المخطوطات العربية في طب الأطفال وجهود الباحثين المعاصرين في تحقيقها وخدمتها" يندرج ضمن المحور الرابع المعنون بـ "نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق المخطوط الطبي العربي الإسلامي" ضمن محاور المؤتمر الدولي العاشر لفاس حول تاريخ الطب الذي اختار موضوع هذه السنة "التراث الطبي العربي المخطوط بين الإحياء والدراسة والممارسة المهنية".

إشكالية البحث:

إن طائفة كبيرة من العرب والمسلمين تجهل إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في الكثير من العلوم التجريبية أو الإنسانية والاجتماعية، بل إن عددا كبيرا من الطلاب والأساتذة والباحثين ليست لهم معلومات دقيقة عن هذه المجالات، كما هو الشأن في مجال الطب، بله أن يعرفوا المصنفات في جزء منه كطب الأطفال، وهذا إشكال وجب نفذ الغبار عنه، خاصة في مؤتمر يروم خدمة تاريخ الطب كم هو شأن المؤتمر الدولي العاشر لتاريخ الطب بفاس.

أهداف البحث:

- يروم هذا البحث تحقيق عدة أهداف نذكر منها:
- بيان جهود العلماء العرب والمسلمين في مجال طب الأطفال
- إدراك التكامل بين جهود الحضارات السابقة وجهود الحضارة العربية الإسلامية في مجال طب الأطفال.

- إبراز المستوى المتقدم الذي وصله العلماء العرب والمسلمون في تشخيص وعلاج أمراض الطفولة وتطابقها في كثير من الأحيان مع ما وصل إليه هذا الفن في عصرنا الحاضر.
- تنبيه طلاب الطب والدراسات الصحية والباحثين عموماً في العالم العربي الإسلامي بجهود السابقين في مجل طب الأطفال من أجل منع الاستلاب الثقافي، ومن أجل تشجيعهم على تحقيق هذا التراث وخدمته وإخراجه من رفوف النسيان.

محاور البحث:

سأتناول هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة.

المقدمة: أبن فيها إشكالية البحث وأهدافه وخطته.

تمهيد: أذكر فيه طب الأطفال في الحضارات التي سبقت الحضارة العربية الإسلامية

المحور الأول: أقوم فيه بعرض وتقديم أهم المخطوطات العربية الموجودة أو المفقودة في علم الأجنة وطب الأطفال التي تعد امتداداً وترجمة لجهود أطباء اليونان.

المحور الثاني: المخطوطات العربية في طب الأطفال عند العرب والمسلمين بعدما جعلوه علماً مستقلاً.

المحور الثالث: جهود الباحثين المعاصرين في تحقيق وخدمة المخطوطات العربية المستقلة في طب الأطفال (من خلال دراسة نموذجين)

"رسالة تدبير الصبيان" لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب (-215 313 هـ / 865-925م).

"سياسة الصبيان وتدبيرهم" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار القيرواني (-285 369 هـ / 895-979م).

خاتمة: أعرض فيها خلاصات البحث ونتائجه وتوصياته.

تمهيد: طب الأطفال في الحضارات التي سبقت الإسلام

إن المعلومات قليلة جداً عن طب الأطفال في حضارات بلاد ما بين النهرين، فالمؤرخون يؤكدون أن الطب كان عند الأشوريين والبابليين بادئاً وبسيطاً إلا أنه تضمن معلومات عن طب الأطفال وبعض الأمراض التي تصيبهم، وأكدت بعض الدراسات أن طب الأطفال كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأمراض النسائية، وكانت الرضاعة والآلام الناتجة عن ظهور الأسنان الحليبية واضطرابات المعدة والتشنجات والقىء والبكاء وغيرها، موضوعات متداولة عند أطباء هذا العصر. أما المصريون القدامى فهم -حسب باحثين- أول من مارس الطب على أسس سليمة، بل إن من الدارسين من يرى أن الطب نشأ في هذا العصر، وتخصص بعض الأطباء في نوع معين من الأمراض كأمراض النساء وأمراض العيون وغيرها. ورغم أن طب الأطفال لم يكن تخصصاً مستقلاً بذاته في هذا العهد، إلا أن رعاية الأطفال كانت ثقافة منتشرة عندهم، كالاهتمام بجودة لبن الطفل وكميته وسلامة الثدي وإبعاد الحشرات المؤذية، وأهمية لعب الأطفال ووسائله، والاهتمام بالرياضة البدنية للطفل. واهتم المصريون القدامى بعلاج بعض الأمراض كالنزلات المعوية ومشاكل التبول عند الأطفال (الاحتباس والسلس) وآلام التسنين وشلل الأطفال، والكساح، والختان وغيرها(1).

وقد أخذ اليونانيون معلوماتهم الطبية عن المصريين، وأشهر من كتب في طب الأطفال أبقراط (ت 350 ق.م) الملقب بأبي الطب، وهو الذي أشاع في الناس تعلم الطب بعدما كان خاصاً بالملوك وعلية القوم يتوارثونه أبا عن جد، فاشتد على من يتعلمه جملة شروط أخلاقية هي المعروفة إلى اليوم بقسم أبقراط(2)، وقد ترك أبقراط نحواً من ثلاثين كتاباً في الطب، وألف كتباً تخص طب الأطفال منها: كتاب المولودين لسبعة أشهر، وكتاب المولودين لثمانية أشهر، وكتاب الأجنة، وبعض الفقرات في كتابه الفصول. كما اشتهر من أطباء اليونان جالينوس (ت 200 ق.م) الذي انتدب نفسه لإحياء تراث أبقراط الطبي بعدما أصبح الطب بعده سفسطة وانحمت معالجه وحقائقه، فقام جالينوس بهذه المهمة أحسن قيام، فكان خاتمة الأطباء الكبار المعلمين، وبلغ مبلغاً من الطب لم

1 انظر: تاريخ طب الأطفال عند العرب، محمود الحاج قاسم محمد، دار تهامة، جدة - المملكة العربية السعودية، ط2، 1403 هـ / 1983م، ص: 22-19.

2 عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفى الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ)، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ص: 45.

يبلغه أحد قبله أو يدانيه فضلا عن أن يساويه(3). فألف كتباً كثيرة في الطب، غير أن ما ينتمي منها لطب الأطفال هي: مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة أشهر، وتفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط، ومقالة في أعضاء الجنين المتولد في الرحم هل تتخلق كلها معا أم لا؟، ومقالة في الجنين الذي في الرحم هل هو حيوان أم لا، ومقالة في اللبن(4).

أما طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام فقد كان بدائياً، مبني على تجارب ووصفات متوارثة، وكان الكي بالنار أداة مستعملة بكثرة لعلاج الأمراض، وكانوا يعتقدون أن سبب الأمراض أرواح شريرة وأن علاجها إنما يكون من قبل الكهان والسحرة والمنجمين والمشعوذين، غير أنهم بالمقابل حرصوا حرصاً شديداً على قوة جسم الطفل، فكانوا يختارون من يرضعه من نساء البدو، ويرسلونهم للبادية ليشتد عودهم وتقوى أجسامهم، وهذا ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم عندما أرسله أهله إلى ديار بني سعد فأرضعته حليلة السعدية حتى اشتد عوده(5).

المحور الأول: المخطوطات العربية في علم الأجنة وطب الأطفال التي تعد امتداداً وترجمة لجهود أطباء اليونان:

إن علم الطب من العلوم التجريبية التي تنتقل من حضارة لأخرى، فقد سبقت الإشارة أن أطباء اليونان أخذوه عن المصريين، والمصريون أخذوا معارفهم الطبية من الآشوريين والبابليين، فلا عجب إذن أن يأخذ العرب والمسلمون الطب عن اليونان أولاً ثم يطوروه، فإن ذلك من سنن الله في الاجتماع البشري. وهذا ما وقع فعلاً، فقد كان الأطباء الأولون في الحضارة العربية الإسلامية يأخذون معارفهم من اليونان خاصة من أبقراط وجالينوس، وكان أغلب هؤلاء الأطباء ممن قرههم الخلفاء المسلمون خاصة في العصر العباسي وكان أغلبهم من النصارى أو الصابئة بعضهم أسلم وبعضهم الآخر بقي على دينه لكنهم قدموا خدمات طبية جلية للحضارة العربية الإسلامية. إن طب الأطفال لم يكن تخصصاً لوحده عند اليونان وفي بدايات الطب عند العرب والمسلمين، بل كان مرتبطاً بعلوم أخرى خاصة علم الأجنة والتوليد الذي يدرس كيفية تخلق الجنين في بطن أمه وتطوره وإسقاطه وعدم اكتمال نموه (الخديج) مما جعل أطباء اليونان يقدرونه برسائل ومقالات في تخلق الجنين، والمولودين لسبعة أشهر وثمانية أشهر. ومن أهم الكتب والرسائل العربية الأولى التي احتوت فصولاً في علم الأجنة وطب الأطفال نجد:

مؤلفات يوحنا بن ماسويه (161-234هـ/ 777-857م) في علم الأجنة وعلاج العقم:

ولد يوحنا بن ماسويه في جنديسابور وتلقى تعليمه وتربيته على يد جبرائيل بن بختيشوع، تعلم السريانية والعربية واليونانية، وكان نصرانياً. انتقل إلى بغداد لطلب الحظوة بعدما أخذ الطب في بيمارستان جنديسابور، فتحقق له ذلك في خلافة المأمون، فقد أصبح رئيساً لبيت الحكمة. ليوحنا بن ماسويه كتب كثيرة في فنون الطب وتخصصاته، فله كتاب مستقل في علاج العقم اسمه "كتاب علاج النساء اللواتي لا يحبلن حتى يحبلن" ذكره ابن أبي أصيبغة، كما ذكر أن له كتاباً في خلق الجنين سماه "كتاب الجنين"(6)، وقد يكون كتاباً مستقلاً وقد يكون فقط رسالة، وهو الراجح، لأننا وجدنا الدكتور محمود الحاج قاسم محمد قد عثر على نسخة مخطوطة من هذه الرسالة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم (13212) رقمها في فهرس مخطوطات الطب والصيدلة (694) ضمن مجموع كتب سنة 635هـ - 1237م(7). وحققتها وطبعها مع رسالتين للرازي وابن سينا في كتاب سماه "ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي(8)، وعنون هذه الرسالة بـ "مقالة يحيى بن ماسويه في الجنين وكونه في الرحم". وقد اعتبر المحقق أن هذه الرسالة هي أول ما كتب عند العرب في علم الأجنة.

3 انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبغة، ص: 109.

4 تاريخ طب الأطفال عند العرب، محمود الحاج قاسم محمد، ص: 24.

5 السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1415هـ / 1994م: 102/1.

6 عيون الأنباء، ص: 255.

7 ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، محمود الحاج قاسم محمد، ص: 57.

8 نُشر هذا الكتاب من طرف بيت الحكمة ببغداد، في طبعة أولى سنة 2001م.

كتاب فردوس الحكمة لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (يرجح أنه توفي سنة 247هـ/861م):

مؤلف هذا الكتاب هو علي بن ربن الطبري، هو طبيب وحكيم ولد بطبرستان ونشأ بها، كان نصرانياً ثم أسلم على يد المعتصم العباسي الذي قربه، وأدخله المتوكل ضمن ندمائه، وقد اشتهر عنه قوله: "الطبيب الجاهل مستحث الموت"، له تصانيف أخرى من بينها "إرفاق الحياة"، و"كتاب تحفة الملوك"، و"كتاب كناس الحضرة"، و"كتاب منافع الأطعمة والاشربة والعقاقير"، و"كتاب حفظ الصحة"، و"كتاب في الرقي"، و"كتاب في الحجامه"، و"كتاب في ترتيب الأغذية" (10)، وغيرها. وابن ربن الطبري هو الذي دُرِّس الطب للطبيب الشهير أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الذي سيأتي ذكره في هذا البحث.

أما كتاب "فردوس الحكمة" فإنه أشهر كتب ابن ربن الطبري وأكبرها، فهو "موسوعة طبية" تعد أشهر كتاب عند العرب في وقته جمع فنون الطب والفلسفة وعلم النفس والفلك والحيوان، وهو كتاب مقتبس من كتب الطب اليونانية، وضع فيه المبادئ العامة لعلم الطب، وذكر بعض الأمراض التي تصيب العضلات، وسبل الوقاية من الأمراض، وذكر كل الأمراض التي تصيب الإنسان في كل أعضائه كأمراض الرأس والدماغ والعين والأنف والأذن والفم والأسنان والرئة والصدر والبطن والكبد وأنواع الحمى، قال عنه صاحب عيون الأنباء: "جعله [أي ابن ربن الطبري] سبَّعة أنواع، والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة والمقالات تحتوي على ثلاث مائة وستين باباً (11). والمتصفح لهذا الكتاب يجد أن ابن ربن خصص أجزاء من الكتاب لما يتعلق بالجنين والطفل، فقد جعل الباب الخامس من النوع الثاني للحديث عن الحمل (الحمل) وعلاماته وفق ما ذكره أبقراط، كما خصص الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة لتربية الأطفال وحفظ صحتهم ونقل ذلك من جالينوس (12). ولأهمية الكتاب فقد طبع طبعات كثيرة وتوجد منه نسخ كثيرة، فقد حققه الدكتور محمد زبير الصديقي سنة 1928 م معتمداً على نسخ من مخطوطات توجد إحداها من برلين وأخرى من الموزة البريطانية، ونسخة غوتا ونسخة حكيم جواجه كمال الدين، ثم توالى التحقيقات بعد ذلك، ففي سنة 1996 طبع ونشر من طرف معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت الألمانية، كما حققه عبد الكريم سامي ونشرته دار الكتب العلمية في بيروت، كما نشرته دار ومكتبة بيبليون ببيروت ضمن سلسلة " ذخائر الطب العربي".

مؤلفات حنين بن إسحاق (194 - 260 هـ/810 - 873 م) في طب الأطفال

يعد أبو زيد حنين بن إسحاق العبَّادي من أشهر الأطباء في العصر العباسي، ولد بالهيرة في العراق وسافر إلى البصرة فأخذ العربية عن إمام النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم انتقل إلى بغداد فأخذ الطب فيها عن يوحنا بن ماسويه، كان يجيد العربية وعالماً بدقائقها، ويوجد اليونانية والسريانية والفارسية. ولهذا اختاره الخليفة المأمون رئيساً لديوان الترجمة، فترجم العشرات من كتب اليونان إلى العربية خاصة كتب أبقراط وجالينوس وأقليدس. له عدة مصنفات بين تأليف وترجمة تزيد عن المائة (13)، منها "كتاب المسائل" وهو المدخل لصناعة الطب، وكتاب "العشر مقالات في العين" فصل فيه القول عن طبيعة العين وتركيبها وعصبها وأمراضها وأدويتها، واعتنى كثيراً بجوامع كتب جالينوس. من مؤلفاته مما له ارتباط بطب الأطفال وذكره ابن أبي شيبة نجد (14):

- كتاب فيمن يُولد لثمانية أشهر (على طريق المُسألة والجواب): ألفه لأم ولد المتوكل. وقد حقق الكتاب يوسف حَبِّي وعنون له بـ"كتاب المولودين"، وصدر عن مجمع اللغة السريانية ببغداد في طبعة أولى سنة 1978 م في 96 صفحة.

- لقب ربن يعني الأستاذ أو المعلم يطلق تيجلا للعالم بمن من الفنون كالتب، وهو لقب سرياني كان مستعملاً عن النصارى، وقد وجدت أن ابن أصبعية ذكر هذا اللقب في معرض ترجمته لحنين بن إسحاق الآتي ذكره بعد. عندما كان بعض أصحابه يناديه "وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول لهُ يَا ربن حنين وتفسيره ربن المعلم" انظر: عيون الأنباء، ص: 259.
- الوافي بالوفيات، صالح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفي (المتوفى: 764 هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420/2000 م: 102/21. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 414.
- انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 414. الوافي بالوفيات للصفدي: 102/21. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان: 106/7.
- انظر: فردوس الحكمة في الطب، لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، تحقيق محمد زبير الصديقي، مطبعة آفتاب بربلن، 1928 م، ص: 36 وما بعدها.
- انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (المتوفى: 1396 هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط15، مايو 2002 م: 288-287. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرقي الإربلي (المتوفى: 681 هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1971 م: 218/2.
- عيون الأنباء، ص: 271-274.

- كتاب في اللّين.
- مقالة في كَوْن الجَين (جمع من أقاويل جالينوس وأبقراط).
- مقالة في خلق الإنسان وإنه من مصلحته والتفضل عليه جعل مُحْتَاجاً.

مؤلفات ثابت بن قرة في علم الأجنة وطب الأطفال (ولد سنة 221 هـ وتوفي سنة 288 هـ):

يعد أبو الحسن ثابت بن قرة ممن صنف التصنيف المفيدة في الطب والهندسة والفلسفة وغيرها، له حفيد شهير هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة (ت365هـ) صاحب كتاب شهير في التاريخ كان أعلم بالطب مثل جده. أصل ثابت بن قرة من خزان، نشأ بها وكان يحترف الصيرفة بها، ثم نزل بغداد فكان إليه المنتهى في علوم الأوائل خاصة الطب الذي لم يكن من أمثاله فيه في وقته، له تصنيف كثيرة تربو عن المائة والأربعين في فنون شتى كالطب والهندسة والحساب والفلسفة والعبادات وغيرها ذكرها ابن أصيبغة كلها في كتابه (15)، وكان ابنه إبراهيم من الرؤساء في الطب كذلك. نال رتبة عالية عند المعتضد، فقد كان يجلسه بقربه ووزيره قائم، ومنحه المال والضياع الكثيرة (16).

- ومن المؤلفات التي تركها ثابت بن قرة في مجال طب الأطفال نذكر (17):
- جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.
- رسالة في الجدرى والحصبة.
- مقالة في صفة كَوْن الجنين.

المحور الثاني: المخطوطات العربية في طب الأطفال عند العرب والمسلمين بعدما جعلوه علما مستقلا

مؤلفات أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (257-313 هـ / 865-925 م) في طب الأطفال:

يعد أبو بكر الرازي من أشهر الأطباء العرب والمسلمين بل وفي العالم كله، ذلك أنه جمع علومًا طبية شتى لم يجمعها قبله أحد منذ عهد جالينوس، ولم يكن يكتفي بما درسه نظريًا، بل يعد من أشهر الأطباء الذين كانوا يجرون التجارب على مرضاهم ويعتمدون التجارب السريرية (الإكلينيكية) سبيل المعرفة وعلاج الأمراض، وقد كانت كتب الرازي المرجع لأوروبا في علم الطب - إلى جانب مؤلفات ابن سينا - لأكثر من أربعة قرون منذ 925م، ولذلك خلدت مدرسة الطب في باريس ذكر الرازي فأقامت له نصبًا تذكاريًا في باحة القاعة الكبرى بالمدرسة (18). والرازي وهو أول طبيب عربي تخصص في طب الأطفال وجاء بالجديد في هذا المجال، ولم يكتف بنقل علوم اليونان مثل من سبقه من الأطباء العرب، وظهر ذلك في الاكتشافات ونوعية الكتب والرسائل التي ألفها في طب الأطفال، فجاء بأمور لم يسبقه فيها غيره، فهو إذن يعد أول طبيب أطفال في العالم وفي الحضارة العربية الإسلامية، ومن مؤلفاته في طب الأطفال نذكر:

1. كتاب مختصر في اللين.

2. فصول تهيم طب الأطفال في كتابه "الحاوي": فهذا الكتاب يضم فصولًا وفقرات عن أمراض الأطفال كفصل العناية بالوليد وفصل في مساعدة الطفل على النوم، وهو أول من وصف السنسنة المشقوقة (spina bifida) (وهو خلل في تشكل الجنين حيث لا

15 انظر هذه المؤلفات جميعها في: عبون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص: 298-300.

16 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ / 1993م: 138/21. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت - لبنان، ط1/ 1406هـ - 1986م: 367/3. وفيات الأعيان لابن خلكان: 1/ 313-314.

17 تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 111.

18 شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، المستشرقة الألمانية زيفريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ببيروت ودار الأفاق الجديدة، ط8، 1413هـ / 1993م، ص: 244-246.

يغلق الأنبوب العصبي الجنيني كلياً مما لا يسمح بتشكيل الحبل الشوكي بشكل كلي وعدم تشكل الفقرات في العمود الفقري فتبقى غير مرتبطة بعضها ببعض)، كما وصف اختلاجات الأطفال convulsions والتشنج الصعب(19).

3. كتاب في الجُدري والحَصبة: يعد الرازي أول طبيب فرق بين الجدري والحصبة(20)، فقد كان الأطباء اليونان والعرب قبله يجعلونها مرضاً واحداً، وهو إنجاز يحسب للرازي ويثبت بداية استقلال الطب العربي الإسلامي عن اليونان. توجد نسخة من هذا الكتاب -حسب الدكتور محمود الحاج قاسم- في مكتبة الأوقاف بالموصل طبعتها المدرسة السورية في بيروت سنة 1832م.

4. كتاب المنصوري: وهو كتاب توجد منه نسخة مترجمة إلى الفرنسية مع كتاب لعلي بن عباس وعلي بن سينا سماها المترجم الطبيب بيتر دو كونين (PETER DE KONING) باسم: trois traités d'anatomie arabes، طبعت سنة 1903م، كما طبع لوحده بالكويت في طبعة أولى سنة 1408 هـ - 1987م بتحقيق الدكتور حازم البكري الصديقي، ونشره معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). وقد تحدث الرازي في المقالة الرابعة منه عن "حفظ الجنين" و"تيسير الولادة" و"تدبير الطفل"(21)، فيذكر طرق العناية بالوليد وإرضاعه وفطامه، وعن التشنج والوقاية من كبر الخصية في الأولاد وكبر الثدي في البنات.

5. رسالة تدبير الصبيان: سنفردها بالدراسة في محور لاحق.

فصول من كتاب "المعالجات البقراطية" لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري (ت بعد 366هـ-976م):

كان أحمد بن محمد الطبري طبيباً لركن الدولة، وقد اهتم العلماء كثيراً بكتاب "المعالجات البقراطية" للطبري وأثنوا عليه، وما يهمننا من الكتاب هو قسم الأطفال من هذا الكتاب، فإنه أول مخطوط عربي يصل إلينا يفصل طب الأطفال عن الأمراض النسائية على اعتبار أن نسخة رسالة الرازي المسماة "تدبير الصبيان" من المفقود وإما توجد نسخها المترجمة إلى اللاتينية. كما أن الطبري يذكر أنه لم يأت أحد قبله في علاج الأطفال بعلم شاف، وهو أول من قال بعلاج أمراض الطفل بشكل مستقل عن علاج مرضته(22).

كتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار القيرواني (285هـ-369هـ / 895-980م):

ترك الحديث عن ابن الجزار وكتابه للمحور الآتي.

كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" لعريب بن سعد الكاتب القرطبي (يرجح أنه توفي عام 369 هـ):

ينتسب عريب بن سعد لأسرة بني التركي التي سكنت قرطبة، ولذلك لقب عريب بالقرطبي، كان أديباً شاعراً عالماً بالأدب واللغة، كما أنه طبيب بارع اهتم بمؤلفات الأطباء قبله، ولذلك شغل مناصب إدارية مهمة في الخلافة الأموية بالأندلس، فقد عينه الخليفة الناصر والياً على كورة أسبونة سنة (331هـ/943م) وأصبح كاتب الحكم المستنصر. وقد ألف كتابه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين للخليفة المستنصر بالله، وقد جعله في خمسة وعشرين باباً منها ما اختص بتكوين الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة وكيفية تخلق الجنين ومدة الحمل والوضع والرضاع وغيرها، لكنه خصص ستة فصول من هذا الكتاب لتدبير الصبيان والعناية بهم إلى أن يبلغوا مرحلة البلوغ(23). وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ نور الدين عبد القادر (المدرس السابق بالمدرسة الثانوية للتعليم الفرنسي الإسلامي) والحكيم هنري جاييه (الذي كان يشغل أستاذاً بكلية الطب بالجزائر)، ونشرته مكتبة فراريس بالجزائر سنة 1375هـ / 1956م.

19 تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 112.

20 انظر: تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 218.

21 المنصوري في الطب، أبو بكر بن زكريا الرازي (المتوفى سنة 313هـ)، تحقيق حازم البكري الصديقي، معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، الكويت، ط1، 1407هـ - 1987م، ص: 229-231.

22 انظر فصول هذا الكتاب في: تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 119-122.

23 انظر: العناية بالمهارة والطفلة من خلال كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" لعريب بن سعيد القرطبي، بلشير عمر وخلافي زاهية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، العدد رقم 11، دجنبر 2016، ص: 119-120.

فصول طب الأطفال من كتاب "كامل الصناعة الطبية" المعروف بـ "الكتاب الملكي" لأبي الحسن علي بن العباس الأهوازي "المجوسي" (يرجح أنه توفي سنة 994م):

ولد علي بن العباس بالأهواز وهو مسلم كان أبوه مجوسياً ولذلك لقب بابن المجوسي، انتقل إلى بغداد وتعلم الطب وأصبح من أشهر الأطباء في العهد العباسي، يعد كتابه "الكتاب الملكي" الذي صنفه لعضد الدولة من أشهر الكتب التي لقيت إقبالا عند العرب وفي الغرب، فقد اهتم الغرب كثيرا بهذا الكتاب وترجم للاتينية، وقد سبقت الإشارة أن جزءاً منه طبع مع كتاب المنصوري وكتاب ابن سينا فيما يخص تكوين الأعضاء *anatomie*. توجد نسخة مخطوطة من كتاب كامل الصناعة الطبية بالخزانة العامة بالرباط كتب في أولها معلومات هذه النسخة: حيث توجد تحت رقم ق/2: 332، 333، الأعلام 5: 111. كتبت في القرن التاسع الهجري تقديراً، وهي ناقصة الأول والآخر، يليها دعاء. وقد خصص علي بن العباس الباب العشرين للحديث عن تدبير أبدان الأطفال بالعناية بالمولودين وحفظهم من الأمراض ومعالجتهم منها، كما جعل الباب الثاني والعشرين لتدبير الصبيان الذين تجاوزوا حد الرضاع حتى يبلغوا اثنتي عشرة سنة (24).



الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس الأهوازي بالخزانة العامة بالرباط

كتاب "تدبير الحبال والأطفال وحفظ صحتهم والأمراض العارضة لهم" لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي (ت 380هـ/990م):

سنحدث عن هذا الكتاب لاحقاً إن شاء الله.

فصول جراحة الأطفال في كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهراوي (-404/325هـ - 1013م):

ولد أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي بالزهراء -وهي مدينة قرب قرطبة بالأندلس- سنة 936 م، تعلم الطب وممارسه واختص بالجراحة وعده المؤسس والرائد لعلم الجراحة في العالم حتى سمي "أبو الجراحين"، وكان المرجع الأول لأوروبا في هذا العلم

لقرون كثيرة (25)، يعد كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي يعد موسوعة طبية شاملة ضمت ابتكارات وآراء الزهراوي الطبية والجراحية التي لم يسبقه فيها غيره، ولهذا ترجم هذا الكتاب للغات كثيرة وهو يضم ثلاثين مقالة كل واحدة منها تعتبر كتاباً بمفرده (26)، وقد ضم آراءه في طب وجراحة الأطفال في هذا المؤلف، وله فصل في تدبير الصبيان يشبه إلى حد كبير فصول كتاب ابن الجزار القيرواني مما يرجح أخذه من كتابه أو أن كلا منهما أخذ من كاتب سبقهما (27).

مؤلفات أبي علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا (370-427هـ / 980-1037م) في طب الأطفال

ولد ابن سينا في قرية أفشنه بالقرب من بخارى (أزبكستان حالياً) بعدما عمل أبوه فيها، وكان أبوه من أهل بلخ قبل أن ينتقل إلى أفشنه، حفظ القرآن وهو في عمر العاشرة، وأخذ علوماً أخرى كالفقه والمنطق والرياضيات وبرع فيها إلا أنه بز أقاربه في علم الطب، وألف ما يربو عن المائتي كتاب أجودها في الطب، ولذلك لقب بـ "الشيخ الرئيس" (28) في علم الطب. من مؤلفاته في طب الأطفال نجد (29):

- **فصول في طب الأطفال والعناية بهم في كتابه "القانون":** خصص ابن سينا في هذا الكتاب قسماً سماه "التعليم الأول في التربية" لتربية الأطفال وعلاج أمراضهم، كما تحدث في الجزء الثالث عن الجدري والحصبة وتشنجات الأطفال.
- **أجزاء من أرجوزة ابن سينا في الطب:** خصص ابن سينا في أرجوزته في الطب أجزاء للحديث عن العناية بالأطفال وأمراضهم.
- **رسالة السياسة (في سياسة الرجل ولده):** كاختيار الاسم والمرضعة وتأديب الطفل وتعليمه.

بعد عهد ابن سينا استمر الأطباء في تأليف كتبهم، فباتوا عرضاً على ذكر ما يتعلق بتكون الجنين أو بتدبير الصبيان والعناية بهم في هذه الكتب، كما ظهرت بعض الكتابات عند بعض علماء التربية المسلمين كتبت أصالة لتربية الأطفال غير أنها تحتوي بين الفينة والأخرى على معلومات وآراء في طب الأطفال، ومن ذلك نجد:

مؤلفات أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) في تربية الأطفال: مثل فصول من كتاب "إحياء علوم الدين" ورسالة خاصة بتربية الناشئة سماها "أيها الولد" بعدما سأله أحد تلامذته عن أمور أرد من شيخه شرحها له لتكون نبراساً له طول حياته (30).

مؤلفات ابن قيم الجوزية (751هـ) في تربية الأطفال والعناية بهم: يعد ابن القيم من أكبر علماء التربية المسلمين ومن نجباء الإسلام، له فصول في بعض كتبه عن تربية الناشئة، كما أن له كتاباً مستقلاً في تربية الأطفال سماه "تحفة المودود بأحكام المولود"، جعله سبعة عشر باباً منها ما يتعلق بالطب كباب استحباب التحنيك، وباب ختان المولود، وباب ثقب أذن الذكر والأنثى وباب في تأديب الأولاد وتعليمهم، وباب في أطوار الطفل من حين كونه نطفة إلى وقت دخوله الجنة أو النار (31).

- 25 الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1988م: 1/ 119.
- 26 الزهراوي طبيب وجراح الفم والأسنان وموسوعته الطبية "التصريف لمن عجز عن التأليف"، تحقيق عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1، 1421هـ/2001م، ص: 6.
- 27 الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ص: 124.
- 28 عيون الأنباء، ص: 437.
- 29 تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 132-138.
- 30 انظر رسالة: أيها الولد، محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت لبنان، ط2، 1435هـ/2014م.
- 31 انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق عبد القادر الأرباؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، ط1، 1391هـ - 1971م.

المحور الثالث: جهود الباحثين المعاصرين في تحقيق وخدمة المخطوطات العربية المستقلة في طب الأطفال (من خلال دراسة نموذجين):

لقد سبق ذكر ما ألف من كتب في الحضارة العربية الإسلامية تحتوي فصولاً وأبواباً في طب الأطفال وتربيتهم والعناية بهم، أو كتب ورسائل ومقالات مؤلفة في طب الأطفال وتربيتهم فقط، وسنخصص هذا المحور للحديث عن بعض ما ألف مفرداً بطب الأطفال وما حوته من معلومات، مع بيان جهود الباحثين المعاصرين في خدمة هذه المؤلفات وتقريبها للقراء والباحثين والمهتمين، وسنكتفي بدراسة نموذجين حسب تسلسلها الزمني في التأليف المبني على تاريخ وفاة مؤلفيهما.

أولاً: "رسالة تدبير الصبيان" لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب (257-313هـ/ 865-925م) وجهود الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في تحقيقها

يعتبر كثير من المؤرخين لعلم الطب أن الرازي هو مؤلف أول كتاب في طب الأطفال، وهو ما دفع طبيب الأطفال العراقي الدكتور محمود الحاج قاسم محمد للبحث عن هذه المخطوطة في بداية العقد الثامن من القرن العشرين (1970م) خاصة أن العراق كانت تضم نوادر المخطوطات العربية وكانت تضم كنوزاً من التراث المخطوط العالمي، كما بحث في مكتبات عربية أخرى في الدول العربية والأجنبية غير أنه لم يجد لها أثراً، لكنه سمع أن رسالة الرازي نشرت في "مجلة أمراض الأطفال الأمريكية" في العدد الخامس سنة 1971م، مترجمة من الإيطالية إلى الإنجليزية من طرف صمويل إكس رادبل (SAMMUEL X RADBIL)، فقام الدكتور محمود الحاج قاسم محمد بترجمتها من الإنجليزية إلى العربية بعدما يئس من وجود النسخة العربية الأصلية رغم كثرة ذكرها من قبل المؤرخين. وقد طبعت هذه الرسالة (الترجمة) سنة 1979، ثم أعاد الدكتور محمود طبعها مع رسالة لابن ماسويه في الجنين ورسالة لابن سينا في الأغذية سنة 2001م (32).

ورسالة الرازي في تدبير الصبيان لها أهمية تاريخية خاصة، ذلك أنها أول رسالة تفصل بين طب الأطفال وأمراض النساء والتوليد، ذلك أن أطباء اليونان ومن تبعهم من أطباء العرب قبل الرازي -وأحياناً بعده- كانوا يجعلون طب الأطفال وعلم تطور الجنين والولادة في فصول مجموعة من كتبهم، لكن الرازي جعل طب الأطفال علماً مستقلاً في النظر والتأليف، وقد ألف هذه الرسالة في نحو سنة 900م، وأهمية هذه الرسالة تتجلى كذلك في إظهارها لمستوى التطور الذي عرفه طب الأطفال عند العرب والمسلمين وأنهم لم يعودوا نقلت لعلوم اليونان فقط، بل قد استقلوا بآرائهم في طب الأطفال المكتسبة من الممارسة والتجربة التي كان يعتمدها الرازي وغيره في تأكيد النظريات الطبية أو ضحها. ولمعرفة قيمة الرسالة كذلك يكفي أن نعلم أن أول مؤلف مستقل مطبوع في طب الأطفال في الغرب هو كتاب (De Egitudinum infanyum) لبيكالادوس صدر سنة 1472م اعتمد فيه مؤلفه كلياً على رسالة الرازي. كما أن رسالة الرازي طبعت كذلك على المطبعة سنة 1481م، ثم أعيد طبعها مرات كثيرة، وكانت كتب طب الأطفال في ورثا إلى حدود القرن السابع عشر تنهج طريقة الرازي في رسالته المترجمة للاتينية (33).

وقد جعل الرازي رسالته في أربعة وعشرين باباً، وهذه الأبواب هي (34):

الباب الأول: في القروح التي تعرض في الأطفال.

الباب الثاني: في الجرب في الأطفال.

الباب الثالث: في كبر الرأس في الأطفال (hydrocéphalie).

الباب الرابع: في انتفاخ البطن في الأطفال.

الباب الخامس: في العطاس في الأطفال.

الباب السادس: في السهر عند الأطفال.

الباب السابع: في الصرع عند الأطفال (épilepsie).

الباب الثامن: في المرض المسمى أم الصبيان (التشنجات: convulsions).

32 انظر: ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، ص: 3.

33 ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، ص: 20.

34 انظر رسالة الرازي المترجمة وأبوابها في كتاب: ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، ص: 25-42، كتاب: تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 113-114.

الباب التاسع: في جريان الصديد من أذن الطفل (otites).

الباب العاشر: في جريان السم من الأذن.

الباب الحادي عشر: في أمراض العين في الأطفال.

الباب الثاني عشر: الحَوَل (le strabisme).

الباب الثالث عشر: أمراض الأسنان.

الباب الرابع عشر: تقرحات الفم في الأطفال (les aphtes).

الباب الخامس عشر: في القيء في الأطفال.

الباب السادس عشر: في إسهال الأطفال.

الباب السابع عشر: في إمساك الأطفال.

الباب الثامن عشر: في سعال الأطفال.

الباب التاسع عشر: في الحكة والنفاط في الأطفال.

الباب العشرون: في ديدان الأطفال (oxyures).

الباب الحادي والعشرون: في نتوء السرة في الأطفال.

الباب الثاني والعشرون: في فتق الأطفال.

الباب الثالث والعشرون: في حصى المثانة في الأطفال.

الباب الرابع والعشرون: في شلل الأطفال.

وقد جاء الرزي في هذه الرسالة بأمور جديدة ميزته عن سبقة من الأطباء، ومن هذه الأشياء الجديدة نجد(35) :

- أنه تناول أمراض الأطفال حسب أنواعها وليس حسب أعمار الأطفال كما كان يفعل الأطباء قبله.
- تحدث لأول مرة في أسباب كبر الرأس (hydrocéphalie) عند الطفل وفرق بينها، كما أنه اعتبر صغر الرأس (microcéphalie) الذي يولد مع الطفل لا علاج له، وهو قول صحيح.
- فرق بين الحول الولادي والحول الذي يحدث بعد الولادة.
- حدد بدقة أسباب القيء عند الأطفال وهي زيادة الحليب فوق حاجة الرضيع ورداءة الحليب وضعف الجهاز الهضمي للرضع.
- ميز أسباب الإسهال بين التسنين والبرد وتعفن الحليب.
- ذكر أسباب بروز السرة (الفتق hernie inguinale) عند البكاء أو العصر أو السعال الشديد أو مصادفة، أو بالضرب العمد.
- تحدث مليا عن شلل الأطفال، وميز بين الخَلْقِي وإصابات الولادة.

وعلاوة على ما جاء به الرازي من أمور جديدة في طب الأطفال في رسالة تدبير الصبيان، فإننا نجد في غير هذه الرسالة يميز تمييزاً واضحاً بين الحصبة (بوحمرن: rougeole) وبين الجدري (la variole)، وهو أول من فعل ذلك بشهادة المؤرخين العرب والغربيين(36).

والحقيقة أن الدكتور محمود الحاج قاسم محمد قد قام بجهد كبير في تقريب رسالة الرازي للباحثين العرب ولعموم المهتمين بطب الأطفال، ذلك أنه بذل جهداً في ترجمتها ترجمة سليمة رغم صعوبة ترجمة المصطلحات الطبية اللاتينية إلى العربية، كما قام بدراسة مستوفية لها من خلال فصول قدم بها لهذه الرسالة، فقد ترجم لمؤلف الرسالة أبي بكر الرازي ترجمة وافية، ثم ذكر موجزاً من تاريخ طب الأطفال في الحضارات التي سبقت الحضارة العربية الإسلامية، ثم تحدث عن طب الأطفال في الحضارة الإسلامية وجعل الرازي فاصلاً بين مرحلتين من تاريخ طب الأطفال عند العرب والمسلمين، فذكر أعلام طب الأطفال العرب والمسلمين ومؤلفاتهم في هذا المجال قبل مرحلة الرازي وأعلام ومؤلفات من بعده. ثم ذكر إشارات من تاريخ طب الأطفال بالغرب وأوائل

35 ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، ص: 21-22.

36 انظر أبواب هذا الكتاب ووصفاً دقيقاً لنسخة منه قام بها الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في: تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص: 116-119.

المؤلفات فيه وأثر كتاب الرازي في هذه المؤلفات التي لم تكن سوى نقل منه. ثم ذكر بعد ذلك بعض المؤلفات الغربية الحديثة في طب الأطفال بأمريكا وألمانيا وفرنسا، وهذا عمري منهج جليل في الدراسة العلمية المقارنة بعيدا عن التعصب والهوى والعاطفة غير المنضبطة. ثم عرج على بيان القيمة التاريخية لكتاب الرازي في تدبير الصبيان، وقيمته العلمية (37). فجاءت هذه الدراسة التقديمية للكتاب وافية مفيدة. وكان لتخصص الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في طب الأطفال وممارسته له لأكثر من خمسين سنة، وتأليفه للكثير من الكتب في التراث الطبي العربي الإسلامي، ومشاركته في عشرات المؤتمرات الطبية، فائدة جلية في إعطاء قيمة علمية للكتاب، فهو يعلق على ما جاء في الكتاب المحقق (المترجم) فيذكر صواب ما ذهب إليه الكاتب أو خطئه بناء على ما وصل إليه الطب في عصرنا الحالي. في ولذلك فحري بأطباء العرب والمسلمين وللمشتغلين بالعلوم الصحية عموما الاشتغال على تحقيق تراثنا الطبي والصيدلي من أجل بحوث ودراسات ذات جدوى وجوده.

وتعتبر مؤلفات وتحقيقات الدكتور محمود الحاج قاسم محمد وتحقيقاته مصدرا مهما لكل من يروم البحث في التراث الطبي العربي الإسلامي عموما (38) وفي مجال طب الأطفال بوجه خاص، فمن تحقيقاته في مجال طب الأطفال نجد:

1. كتاب تدبير الصبيان: لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، وهي هذه الرسالة التي نتحدث عنها في هذا المحور، وقد ألفها في حدود سنة 900 م
2. كتاب تدبير الحبال والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي. وأهم ما يجب ذكره حول هذا الكتاب، هو مسألة كون البلدي هو مكتشف مرض (الحمقاء = الجدري = الجدري الكاذب، Chicken pox la varicelle)، قبل أن ينسب ذلك لبعض أطباء الغرب بعد خمسة قرون .
3. مقالة يحيى بن ماسويه في الجنين وكونه في الرحم: لأبي زكريا يوحنا (أو يحيى) بن ماسويه (161 - 243 هـ / 777 - 857 م). لهذه المقالة أهمية تاريخية من حيث كونها أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية.

أما مؤلفات الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في تاريخ طب الأطفال -حسب ما أمديني به وأرسله لي وتأكد عندي- فهي:

1. كتاب تاريخ طب الأطفال عند العرب: صدرت نسخته الأولى سنة 1978، ثم أعيد طبعه سنة 1983 و1989. ولهذا الكتاب أهمية في تاريخ الطب، من حيث كونه أول مؤلف باللغة العربية يؤرخ لتاريخ طب الأطفال عند العرب والمسلمين.
2. طب الأطفال في الحضارة العربية الإسلامية (باللغة الإنجليزية) - فصل في كتاب (العلم في الإسلام) الذي صدر عن منظمة الصحة العالمية (اليونسكو) - المجلد الرابع، الجزء الثاني سنة 2001م.
3. الاضطرابات السلوكية والأمراض العقلية في الأطفال، نشرته دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل -العراق، في طبعة أولى سنة 2022. تحدث فيه في الفصل الأول عن أسباب حدوث الأمراض والاضطرابات السلوكية في الأطفال، وفصل في الفصل الثاني في الاضطرابات السلوكية في الأطفال، كما عُدَّ أمراض الجهاز العصبي والأمراض العقلية في الأطفال في فصل ثالث آخر.

كما أن للدكتور محمود الحاج قاسم محمد جملة من الأبحاث والمقالات التراثية في حقل طب الأطفال تربو على الثلاثين -حسب ما أرسله لي-.

وللدكتور محمود إسهامات في طب الأطفال الحديث، ومن ذلك أنه ألف عدة كتب تخص طب الأطفال الحديث منها:

1. أمراض الطفل المعدية وتلقيحاتها: صدر عن مطبعة جامعة الموصل سنة 1985.
2. الإستئصال (الإستئساخ) بين العلم والدين: صدر مطبعة الزهراء بالموصل سنة 1999. وهو أول كتاب يطبع بالعربية في العراق

37 انظر المقدمة التحقيقية لكتاب رسالة تدبير الصبيان من قبل الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في كتاب: ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، ص: 22-3.

38 للدكتور محمود الحاج قاسم محمد مؤلفات قيمة في التراث الطبي العربي الإسلامي منها: "انتقال الطب العربي إلى الغرب: معابره وتأثيره"، صدر عن دار النفائس في طبعة أولى سنة 1998، وكتاب "الأورام والسرطان وعلاجه في الطب العربي الإسلامي، صدر عن جمعية مكافحة السرطان العراقية فرع الموصل سنة 1429هـ / 2008م بدون طبعة. وكتاب "البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي، صدر عن رابطة التدريسيين الجامعيين في بنينوى ونشرته دار ماشطي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل -العراق في طبعة أولى سنة 1441هـ / 2020م. وكتاب "علم الجراحة عند الأطباء العرب والمسلمين"، صدر عن رابطة التدريسيين الجامعيين بنينوى، ونشرته كذلك دار ماشكي، في طبعة أولى سنة 1443هـ / 2022م. وهناك كتب أخرى للمؤلف لا يسع المجال لذكرها وهي مفيدة وتعد مما لا يسع الباحث جهله في التراث الطبي العربي الإسلامي.

حول هذا الموضوع الجديد.

3. العناية بصحة الطفل وتربيته: طبع في مطبعة الموصل سنة 2005. جمع فيه الدكتور محمود خلاصة ما تراكم لديه من الناحية العلمية، وآخر ما جاء في طب الأطفال.

ثانياً: كتاب "سياسة الصبيان وتديبرهم" لابن الجزار القيرواني (285هـ-369هـ / 895-980م):

الطبيب ابن الجزار هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار، من أسرة عرفت في القيروان بالطب، فقد كان أبوه وعمه ممن برع في الطب واشتغل به. ولد ابن الجزار في حدود سنة 285هـ / 895م، درس الطب على يد طبيب شهير بالقيروان هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، كان ابن القيروان حريصاً على سمته ومروءته فكان يحرس على عدم الزلل وعدم الأكل من الجنائن والأعراس. كان قد وضع في باب داره سقيفة تضم المعجونات والأدوية والأشربة كانت بمثابة صيدلية فيصف ابن الجزار الدواء لمرضاه فيعطيه إياه غلامه دون أن يأخذ منهم شيئاً إن كانوا محتاجين، أو يترك أمر الأجرة لغلامه تنزهاً من ذلك، وكان لا يأخذ الهدايا من أعيان البلد بل كان رحيماً بالفقراء معينا لهم، وتوفي بالقيروان عن عمر زاد عن الثمانين سنة في نحو سنة 369هـ / 980م (39).

لابن الجزار الكثير من المؤلفات في فنون شتى كالطب والتاريخ والأدب والتراجم والفلسفة. فمن مؤلفاته في الطب التي ذكرها ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء نجد (40) :

- زاد المسافر: ذاع صيت هذا الكتاب وانتشر في الشرق والغرب، وترجم لعدة لغات.
- طب الفقراء.
- كتاب في الأدوية المفردة.
- كتاب في الأدوية المركبة (المعروف بالبلغة).
- كتاب العدة لطول المدة (وهو كتاب مطول في الطب).
- قوت المقيم (ذكر ابن أبي أصيبعة أنه في عشرين مجلداً).
- كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها.
- كتاب في العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها.
- رسالة في التحذير من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجها.
- رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه.
- رسالة في النوم واليقظة.
- مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه.
- رسالة في المقعدة وأوجاعها (أمراض المخرج).
- كتاب البلغة في حفظ الصحة.
- كتاب الفصول في سائر العلوم.
- كتاب الأسباب المولدة للوباء في مصر.

والرسالة التي ستدرساها في هذا الموضوع هي المسماة "سياسة الصبيان وتديبرهم" لابن الجزار. وهي رسالة فصل فيها ابن الجزار في أمراض الأطفال التي كانت منتشرة في وقته في القرن الرابع الهجري، وتضم نصائح وآداباً لتربية الطفل وحفظ صحته وعلاجه (41).

وقد جعل ابن الجزار كتابه في اثنين وعشرين باباً، متبعا ترتيباً عجيباً بدءاً من خروج الطفل ومنهجية التعامل مع ظروف

39 انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 481.

40 عيون الأنباء، ص: 482.

41 التربية الصحية في كتاب "سياسة الصبيان وتديبرهم" لابن الجزار القيرواني، علي محمد إدريس، مجلة دراسات تربوية (مجلة كلية التربية)، جامعة الملك سعود، المجلد 3، 1986م، ص: 186.

ولادته، إلى ما يتعلق بالمرضة، ثم إلى ذكر الأمراض التي تعرض للأطفال، وصولاً إلى تربية الأطفال وتحسين أخلاقهم وسلوكهم (42).

وقد حقق هذه الرسالة الدكتور محمد الحبيب الهيلة رحمه الله (توفي في 7 مارس 2019 عن سن 87 سنة)، ونشرت في عدة طبعات لعل أقدمها ما نشرته الدار التونسية للنشر سنة 1968 في 194 صفحة، ثم نشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت في طبعة ثانية سنة 1984م، وأعيد نشره في بفي المجمع التونسي "بيت الحمة" بتونس في طبعة ثالثة سنة 2008م. وقد أجاد الدكتور محمد الهيلة في تحقيقه لهذا الكتاب، فقد اعتمد في الطبعة الأولى على نسخة واحدة هي النسخة الإيطالية من الرسالة، لكنه ظفر بنسخة ثانية من الرسالة في المكتبة الملكية بالرباط، فاعتمد النسختين الإيطالية والمغربية في تحقيقه للرسالة ونشره لها في الطبعة الثانية والثالثة.

إن الدكتور الحبيب الهيلة عرف بإتقانه لفن التحقيق، فقد عمد إلى إخراج نفائس من التراث الإسلامي خاصة ببلاد الغرب الإسلامي في الفقه والتاريخ، نذكر من ذلك تحقيقه لموسوعة البرزلي النوازيلية المسماة "فتاوى البرزلي" وتحقيقه لكتاب الحل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج. كما أن حرص الدكتور الحبيب الهيلة على بيان عطاء أبناء بلده تونس كابن الجزار في مجال الطب دفعه للاهتمام بإخراج هذه الرسالة.

خاتمة

من خلال هذا البحث يمكن الخروج بالخلاصات والنتائج التالية:

لا يوجد ما يكفي من المعلومات عن طب الأطفال في حضارة ما بين النهرين (العراق وما حولها)، فالطب عند الآشوريين والبابليين كان بدائياً بسيطاً، إلا أنه يتضمن معلومات عن طب الأطفال والأمراض التي تصيبهم، وكان طب الأطفال مقترباً بالأمراض النسائية.

يعد المصريون القدماء أول من مارس الطب بأسس سليمة، بل من الدارسين من يرى أن الطب نشأ في هذا العصر، لكن طب الأطفال لم يكن علماً مستقلاً رغم أنه كان هناك حديث عن لبن الموضع والاهتمام بتكوين الطفل وتربيته.

عرف الطب تقدماً كبيراً في عهد اليونان، فقد أخذوا معلوماتهم عن المصريين، لكنهم طوروها وأبدعوا فيها، واشتهر من أطباء اليونان أبقرات (ت 350 ق.م) الذي يلقب بأبي الطب، وقد ألف كتاباً متخصصاً في الطب كانت مرجعاً لكل من جاء بعده، وله فيما يتعلق بنمو الجنين بعض المؤلفات المولودين لسبعة أشهر والمولودين لثمانية أشهر. كما اشتهر من أطباء اليونان كذلك جالينوس الذي أحيى تراث أبقرات بعدما كان يندرس فشرح كتبه وألف كتاباً في علم الأجنة كتولد الجنين لسبعة أشهر.

كان طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام بسيطاً، غير أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على اختيار الممرضات من أجل صحة الطفل، كما كانت لهم عادات في تربية الطفل وتقوية بدنه بأنواع من الرياضة.

بعد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وانتشارها، اهتم خلفاء الدولة بترجمة تراث اليونان في شتى المجالات ومنها الطب، وكانت الدولة العباسية رائدة في هذا المجال، فقد تمت ترجمة كتب الطب لأبقرات وجالينوس وغيرهما إلى العربية، وعرف الطب بداية من منتصف القرن الثالث الهجري وما بعد ازدهار هذه الصناعة، غير أن ما اشتهر من الأطباء العرب كان أغلبهم من النصارى والصابئة الذين يجيدون اللغات العربية واليونانية والسريانية، فاشتهر من الأطباء العرب يوحنا بن ماسويه، وأبو الحسن علي بن سهل بن ربّان الطبري، وحنين بن إسحاق، وثابت بن قرة. وكانت لكل هؤلاء مؤلفات في علم الأجنة والتوليد تتضمن جزءاً من طب الأطفال، لكن طب الأطفال بقي إلى حدود القرن الرابع الهجري غير مستقل عن الأمراض النسائية والتوليد وعلم الأجنة. وجل ما كتبه الأطباء العرب في هذه الفترة يعد إما ترجمة لكتب اليونان مع تطوير وزيادات وشرح.

42 العناية بالطفل عند ابن الجزار القيرواني في خلال كتابه سياسة الصبيان وتدريبهم، تواتية بودالية، مجلة عصور الجديدة، العدد 23 - عدد خاص، صيف (غشت) 1437 هـ / 2016 م، ص: 48.

يعتبر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (257-313هـ/ 865-925م) من أشهر الأطباء العرب والمسلمين، وله منهج في الطب يعتمد التجارب السريرية، وهو أول من أسس لطب الأطفال وجعله علما مستقلا، وجاء فيه بأمر لم يسبقه فيها غيره، كتفريقه لأول مرة بين العصبية والجذري وأنهما مرضان مستقلان، وأول من وصف السنسنة المشقوقة، واختلاجات الأطفال وغيرها. ولهذا يعد الرازي فيصلا في طب الأطفال عند العرب وعند كل الأمم. وقد ألف كتباً جلية في طب الأطفال.

تابع أطباء العرب التأليف في طب الأطفال فجاؤوا بأشياء جديدة فيه خاصة أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري وابن الجزار القيرواني وعريب بن سعد الكاتب وعلي بن العباس الأهوازي (المجوسي) وأحمد بن محمد البلدي والزهرائي وابن سينا وغيرهم. كما ألف بعض علماء التربية المسلمين كابي حامد الغزالي وابن قيم الجوزية كتباً تحتوي كثيراً من طب الأطفال وطرق رعايتهم وتربيتهم.

هناك جهود محموددة لكثير من الباحثين في تحقيق وخدمة التراث العربي الإسلامي في مجال طب الأطفال، وقد بذلت جهود كثيرة في هذا المجال وحقق عدد لا بأس به من مخطوطات طب الأطفال وما يزال البعض الآخر ينتظر نضج الغبار عنه. ومن نماذج خدمة هذه المخطوطات ما قام به الدكتور محمود الحاج قاسم محمد طبيب الأطفال بالعراق الذي ترجم رسالة أبي بكر الرازي المسماة "رسالة تدبير الصبيان"، فقد بحث عن النسخة العربية في الدول العربية والغربية، فلما أعياء البحث وجدها قد نشرت باللغة الإنجليزية مترجمة من الإيطالية فقام بترجمتها للعربية وقدم لهذا الكتاب بتقديم جيد، وقد كانت هذه النسخة مرجعاً كبيراً لتطور طب الأطفال في الغرب إلى حدود القرن السابع عشر الميلادي. كما قام الدكتور محمد الحبيب الهيلة رحمه الله بتحقيق رسالة ابن الجزار القيرواني "سياسة الصبيان وتدبيرهم" بناء على نسخة بإيطاليا، ثم اكتشف نسخة في الخزنة الملكية في الرباط فأعاد نشر الكتاب في نسخة ثانية وثالثة آخرها سنة 2008م.

إن من أكبر نتائج هذا البحث أن طب الأطفال -والطب عموماً- من العلوم التي تأخذها حضارة عن حضارة، فيأخذها اللاحق علم السابق فيطوره ويبدع فيه، فقد أخذ اليونانيون من المصريين الطب، ثم أخذ العرب والمسلمون الطب عن اليونان، ثم أخذ الغرب الطب عن العرب والمسلمين فطوروه، وهذه سنة الله في الاجتماع الإنساني. وإن القول باستقلال الطب الحديث عن تراث العرب هو من الاستكبار وتفندته الأدلة التي ذكرنا في هذا المجال.

إننا يمكن أن نقدم توصيات في هذا المجال وهي على سبيل المثال لا الحصر:

ضرورة تخصيص بعض أطروحات الطب والصيدلة وبعض مشاريع نهاية الدراسة بكلليات العلوم الصحية بأبحاث تروم تحقيق بعض تراث طب الأطفال -والطب عموماً- وبيان جهود علمائنا القدامى في هذا المجال، مع ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين ما كان سائداً وهو باق على صحته، وتصحيح ما ظهر خطؤه. وسبب ذكر هذه التوصية أن للتخصص دوراً كبيراً في معرفة الاصطلاحات وتصحيح الأخطاء العلمية، وإن التجارب أثبتت جدواها. ومن نماذج ذلك أن الأستاذ البشير بنجلون أستاذ علم الجراحة بكلية الطب والصيدلة بفاس قد أشرف على بحث للدكتوراه في الطب أنجزه الدكتور أحمد الرحموني تناول قضية مرض البواسير في دراسة مقارنة ثلاثية: بين ما ورد عند ابن سينا (370-427هـ/ 980-1037م) (في مرض البواسير وعلاجه في كتابه "القانون"، وما جاء به عبد السلام بن محمد بن أحمد العلمي (1246هـ-1830م/ 1323هـ-1905م) في كتابه "البدر المنير في علاج البواسير"، وبين ما وصل إليه الطب الحديث في هذا المجال، وقد سمي البحث بـ "التيسير في فهم وعلاج مرض البواسير: دراسة مقارنة بين ابن سينا وعبد السلام العلمي والطب الحديث".

من الأفضل على كل أهل اختصاص في الطب أن يهتموا بتراثنا العربي الإسلامي في ذلك المجال، وأن يحققوه سواء كان هذا التراث كتباً مستقلة -كما فعل الدكتور محمود الحاج قاسم محمد- أو كان أجزاء من الكتب تخص ذلك المجال، كما يمكن بيان مسألة من تخصص ما بناء على كتاب معين كما فعل طبيب العيون الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود السيد عندما درس طب وجراحة الأسنان من خلال كتاب الزهرائي ووسم كتابه بـ "الزهرائي طبيب وجراح الفم والأسنان وموسوسته الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف"، وكذلك يمكن بيان جهود علمائنا القدامى في الطب بناء على دراسة مقارنة بين كتابين، كما فعل الدكتورين محمد رواس قلعة جي ومحمد ظافر الوفائي عندما أجريا دراسة عن العين وعلاجها، ووسما كتابهما بـ "أمراض العين ومعالجتها من كتابي

المعالجات البقراطية لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري (ت بعد 366هـ-986م) وفردوس الحكمة لعلي بن سهل بن ربن الطبري (ت247هـ-861م)، وغيرهم كثير.

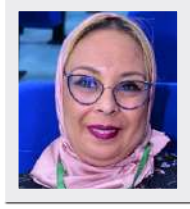
يمكن للمهتمين بطب الأطفال من أساتذة وطلبة الطب والطلبة الممرضين وطلاب التاريخ وعموم الباحثين دراسة مرض معين من أمراض الأطفال بناء على مخطوطات ألفها علماءنا القدامى سواء حققت أم لم تحقق، بدراسة مقارنة بين علمين أو أكثر، أو في حقبة زمنية معينة (القرن الثالث أو الرابع الهجري نموذجاً)، مع مقارنة هذا المرض وعلاجه وفق علم الطب الحديث، ومن موضوعات طب الأطفال التي كتب فيها علماءنا في التراث العربي الإسلامي ونقترحها لتكون موضوع دراسات نذكر:

- الاختلاجات (convulsions) والصرع (épilepsie) عند الأطفال: وقد سبق في هذا البحث بعض من ألف من علمائنا القدامى فيه.
- الحصبة (بوحمرن: rougeole) والجذري (la variole) عند الأطفال.
- السنسنة المشقوقة (spina bifida) عند الأطفال.
- طرق التكفل بالمولود مباشرة بعد وضعه (طب المواليد).
- أنواع الحليب المفيدة للرضيع في حالة تعذر حليب الأم.
- التسنين عند الأطفال.
- التهابات الفم وعلاجها عند الأطفال.

لائحة المصادر والمراجع:

1. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (المتوفى: 1396 هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط15، مايو 2002م.
2. انتقال الطب العربي إلى الغرب؛ وتأثيره، محمود الحاج قاسم محمد، دار النفائس في طبعة أولى سنة 1998.
3. الأورام والسرطان وعلاجه في الطب العربي الإسلامي، محمود الحاج قاسم محمد، صدر عن جمعية مكافحة السرطان العراقية فرع الموصل سنة 1429هـ / 2008م بدون طبعة.
4. أيها الولد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت لبنان، ط2، 1435هـ / 2014م.
5. البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي، محمود الحاج قاسم محمد، رابطة التدريسين الجامعيين في نينوى ودار ماشي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل - العراق، ط1، 1441هـ / 2020م.
6. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ / 1993م.
7. تاريخ طب الأطفال عند العرب، محمود الحاج قاسم محمد، دار تهامة، جدة - المملكة العربية السعودية، ط2، 1403هـ / 1983م.
8. تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، ط1، 1391 - 1971م.
9. التربية الصحية في كتاب "سياسة الصبيان وتدريبهم" لابن الجزار القيرواني، علي محمد إدريس، مجلة دراسات تربوية (مجلة كلية التربية)، جامعة الملك سعود، المجلد 3، 1986م، المملكة العربية السعودية.
10. ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي، محمود الحاج قاسم محمد، بيت الحكمة، بغداد - العراق، ط1، 2001م.
11. الزهراوي طبيب وجراح الفم والأسنان وموسوعته الطبية "التصريف لمن عجز عن التأليف"، تحقيق وشرح عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1، 1421هـ / 2001م.
12. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1415هـ / 1994م.
13. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق

14. - بيروت - لبنان، ط1/ 1406هـ - 1986م.
شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ببيروت ودار الأفاق الجديدة، ط8، 1413هـ/1993م.
15. الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1988م.
16. علم الجراحة عند الأطباء العرب والمسلمين، محمود الحاج قاسم محمد، رابطة التدريسيين الجامعيين بنيون، ودار ماشكي بالموصل، ط1، 1443هـ/2022م.
17. العناية بالطفل عند ابن الجزار القيرواني من خلال كتابه سياسة الصبيان وتدريبهم، تواتية بودالية، مجلة عصور الجديدة، العدد 23 - عدد خاص -، صيف (غشت) 1437هـ/ 2016م، الجزائر.
18. العناية بالمرأة والطفل من خلال كتاب "خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين" لعريب بن سعيد القرطبي، بلبشير عمر وخلافي زاهية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، العدد رقم 11، دجنبر 2016.
19. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ)، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت.
20. فردوس الحكمة في الطب، لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، تحقيق محمد زبير الصديقي، مطبعة آفتاب ببرلين، 1928م.
21. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان: 7/106.
22. المنصوري في الطب، أبو بكر بن زكريا الرازي (المتوفى سنة 313هـ)، تحقيق حازم البكري الصديقي، معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، الكويت، ط1، 1407هـ - 1987م.
23. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764 هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ/ 2000م.
24. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681 هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1971م.



المحور الأول: العلوم الطبية ومؤسساتها في التراث

ابن البيطار الأندلسي عبقرى الصيدلة وعلم النبات من خلال مخطوطات كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)

ذة. سهام بلغيتي علوي

باحثة بسلك الدكتوراه مسلك تاريخ وحضارة
أستاذة التعليم الثانوي تأهيلي- طنجة – أصيلا.

كان تدريس الطب في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى عملاً مشتركاً بين المساجد والمدارس والممارسات. فقد كانت المساجد قبل تأسيس المدارس هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة المصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، أو في بعض الغرف الملحقة، أي بالإضافة إلى كونه مقر للعبادة كانت تلقى فيه الدروس، وتعد في حلقات البحث وتنظم فيه المناظرات العلمية¹، خاصة فيما يتعلق بالطب النبوي، حيث كانت تنشر الأحاديث المرتبطة بالطب مثال: "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل داء"² ويؤكد لنا صاحب روض المعطار محمد بن عبد المنعم الحميري السبتي، الذي كان يقوم بتدريس مختلف العلوم بأحد مساجد سبتة، ومما فيها علم الطب الذي كان آخر محاضراته اليومية التي يلقيها على طلبته، وكان يتابع هذه المحاضرات عدد من أصحاب العلل الزمني شيخوا وكهولا³.

وتعتبر الصيدلة من العلوم اللصيقة بالطب طوال تاريخ العلوم التجريبية، وهو علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها، وله اتصال وثيق بعلمي النباتات والحيوان. لأن معظم الأدوية ذات أصل نباتي أو حيواني، ولها ارتباط قوي بعلم الكيمياء.

وإذا كان علم الطب يشخص المريض ويصف العلاج فهو يحتاج لطب الصيدلة الذي يكمله ويركب له ذلك الدواء ويصنعه، اتجهت دراسة النباتات عند العرب ثلاث جهات: وجهة لغوية تبين أسماء النباتات واشتقاقاتها اللغوية واستعمالاتها الأدبية. ووجهة طبية كما هو الحال في كتب العقاقير التي تبين خصائص كل نبات في العلاج. ووجهة علمية تطبيقية، في كتب الفلاحة وما يتعلق بها.

ولقد اخترنا موضوع النباتات الطبية دون غيره من الموضوعات التي تتعلق بالعلوم الطبية، لأن تعريف الأنواع النباتية التي ورد ذكرها في المصنفات المختلفة يصعب في كثير من الأحيان على القارئ الغير متخصص فهمها. كما أن الباحثين العلميين في مجال النباتات معظمهم لا يدرك أهمية المخطوطات عن النباتات الطبية، ولذلك رأينا أن عرض بعض المخطوطات التي تتعلق بالنباتات الطبية قد تفسح المجال للتعاون المستقبلي بين الباحثين في مجال تحقيق التراث وذوي التخصص في علوم النباتات. ولما كانت أعداد المخطوطات - سواء ما حقق منها أم لم يحقق- تفوق الحصر، فقد رأينا أن نقتصر على مخطوطات « كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »

1 فيلال عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر، الجزائر: 2002، ج: 1، ص: 145

2 بنعبد الله عبد العزيز، تطور الطب والصيدلة بالمغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 27، الرباط، 2003

3 حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ المغرب المسلم حتى القرن 10-9م، دار الرشد الحديثة، 2000، ج: 1، ص: 412

المعروف بمفردات ابن البيطار، عالمُ النباتات الشهير، والمُلَقَّب بـ(مُؤسِّس علم الصيدلة).⁴ كتبه باللغة العربية وتُرجم إلى اللغة التركية، والألمانية، والإغريقية، والفرنسية. والذي ضم خلاصة أبحاثه حيث وضع فيه أسس علم الصيدلة، والجامع بين علم الأعشاب والقواعد العلمية القائمة على التجربة.

المحور الاول : تاريخ علم النباتات وأثر علماءه في تقدم علم الصيدلة:

لقد كان لتقدم وازدهار علم النباتات عند المسلمين أثر كبير في تقدم وازدهار علم الصيدلة، وكانت عنايتهم بها أكثر من علم الحيوان. ولعل ذلك يعود في المقام الأول للعلاقة الوثيقة بين النباتات والطب والصيدلة، حيث كان لا يقل عن تسعة أعشار العقاقير المتداولة في العلاج من النباتات. أو من خلاصات نباتية، حيث كان يطلق على علماء الصيدلة في بعض الأحيان اسم العشابين.

ولقد كان كتاب " الحشائش " أو الأدوية المفردة لديسقوريدس في مجال النباتات من أهم الكتب التي اعتمد عليها علماء المسلمين، بالإضافة إلى بعض مؤلفات جالينوس في علم النبات، وكما نقلوا كتاب الفلاحة لأنطاوليس. والحق أن جهود علماء المسلمين في مجال النباتات لم تقتصر على ترجمة ونقل الكتب القديمة، بل تجاوزتها إلى مرحلة الدراسة والملاحظة والتجربة والتأليف، والغريب أن علماء اللغة هم أول من ألف المعاجم التي ضمنت العديد من النباتات والأشجار.

اهتم بعلم النبات فريق آخر من الأطباء والصيدلة الذين خلفوا لنا العديد من المؤلفات التي تبحث في النباتات والأعشاب الطبية، وما يستخرج منها من أدوية وعقاقير أي من وجهة النظر العلاجية وليس من الناحية الفلاحية. وهذه العناية أفضت في النهاية إلى التعرف على خصائص وصفات جديدة للعديد من النباتات لم تكن معروفة فيما قبل. كما أدت إلى اكتشاف نباتات جديدة عن طريق استخدام أسلوب التطعيم، الذي أكسب بعض النباتات خصائص جديدة عن طريق الجمع بين الطيب والحلاوة والترياق والأدوية المسهلة في بعض الأشجار المطعمة.

كما لعبت الترجمة دورا كبيرا في هذا الإزدهار والتقدم، حيث يمكننا اعتبارها الأساس القوي الذي أقام عليه علماء المسلمين صرحهم الرائع في مجال الطب والصيدلة. لأن بفضل هذه الأخيرة استطاعوا الإطلاع على التراث الثقافي العلمي الطبي والصيدلي لأهالي البلاد المفتوحة. لكن جهود علماء المسلمين لم تتوقف في الواقع عن حد النظر والاجتهاد، بل عمدوا أيضا بفضل ما أكد عليه الإسلام في الحث على العلم والتسامح إزاء الديانات الأخرى، والثقافات إلى التزود بقبسط وافر من علوم الفرس واليونان والهند والمصريين عن طريق نقلها إلى العربية. اتجه المترجمون في القرن الأول من خلافة العباسيين إلى ترجمة الكتب من السريانية إلى اليونانية، ومن السريانية إلى العربية.

المحور الثاني: التعريف بالمؤلف ابن البيطار :

تَزخر الحضارة الإسلامية بشخصيات برزت في شتى مجالات العلوم الطبيعية، ففي رِجَم هذه الحضارة الولود تَمَخَّضت شخصيات كان لها قَصَب السَّبْق في اكتشافات غيّرت مجرى العلوم الطبيعية، وشكَّلت صورة حضارة ظلَّت لقرون عديدة مُنتجة للعلوم، ومُصدِّرة للحضارات الوليدة، وفي هذا الرِّجَم ظهرت إرِهاصات عباقرة في المجال ساهمُوا في إعادة تشكيل الحياة العلمية في عصورهم، وكان لهم الفضل في إنارة الطريق للأجيال التي تبعتها لتَهتدي بِهُدَاهِم، وتقتفي أثرهم؛ فَحَقَّ للحضارة الإسلامية أَنْ تَفخر بِهؤلاء الرجال الذين شكَّلُوا حضارة عريقة ظلَّت تَهْد العالم لقرون ، وسَاهمت في إخراجها من عصور الجَهالة والظلام إلى عصور العِلْم والنور.

ومن بين هؤلاء العباقرة يقف ابن البيطار شامخًا، تَحني له رؤوس العلماء في مجال الصيدلة وعلوم العقاقير الطبية؛ فقد كان له أبادٍ عظام في ازدهار هذا العلم.

تعريفه : هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله ابن أحمد المالقي النباتي (593-646هـ)، المعروف بـ"ابن البيطار"، والملقب

4 عاتف محمد ، ابن البيطار: مؤسس علم الصيدلة، مصر: دار الطائفة 2003، ص: 3 بصرف.

بـ"العشاب". ولد في مدينة "مالقا" (Malaga) الأندلسية، وتوفي في دمشق. وكان والده بيطرياً مشهوراً، لذلك لُقِّبَ بابن البيطار - وهو لقب مشتقٌّ من كلمة عربية تعني ابن البيطري - نسبة إلى عمل والده.

أحب ابن البيطار منذ صغره قضاء وقته في الغابة المجاورة لقريته، فترسَّخ في نفسه منذ الصغر حبُّ الطبيعة، وازداد تقديره لها، فكانت مراقبة (ابن البيطار) للتنوُّع النباتي والحيواني وراء حُبِّه لعلم النباتات؛ فكانت الغابة بمثابة أول مدرسة له في علم النبات، ثم تتلمذ ابن البيطار بعد ذلك على يد عالم اشبيلية أبي العباس أحمد بن محمد بن فرج النباتي المعروف بـ"ابن الرومية" صاحب الشهرة العظيمة في علم النبات، إلا أن ابن البيطار فاق أستاذه، بل امتاز في أبحاثه العلمية والتجريبية والتطبيقية على باقي عشائيه زمانه.

كان ابن البيطار كثير الرحلة إلى بلاد اليونان والروم وجميع بلاد العالم الإسلامي.. كان يجتمع مع علماء تلك البلاد ويدارسهم في أنواع النبات، وخواصه وفوائده، غير مكتفٍ بقراءة الكتب والمصنفات. وكان في ترحاله يدرس النبات في منابته، بل يدرس التربة والحجر الذي ينمو فيه والأرض التي تنبت، والعوامل المختلفة المرتبطة عليه، حتى إذا جمع خبرة طويلة مستندة على الملاحظة الدقيقة، ألف كتابيه المشهورين "المغني في الأدوية المفردة" و"الجامع لمفردات الأدوية والأغذية". ومن يقرأ هذين الكتابين، يجد ابن البيطار يمتاز بعقلية علمية أصيلة تميل إلى التجربة، وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط، وتحري الدقة والأمانة العلمية في النقل. إذ كان لملاحظاته القيمة أثر كبير في تقدم علم الصيدلة أو الفارماكولوجي، ولذلك يقول عنه معاصروه: "إنه الحكيم الأجل، العالم النباتي، وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره". لقد استطاع أن يخرج من دراسته للنبات والأعشاب مستحضرات ومركبات وعقاقير طبية تعدُّ ذخيرة للصيدلة العالمية. وقد شهد له تلميذه النجيب ابن أبي أصيبعة وحكي في مؤلفه عن رحلاته العلمية، حيث يخرِّبنا أنه كان كثير الترحال، فرحل إلى شمال إفريقيا ومراكش والجزائر وتونس ومصر لدراسة النبات، وعندما وصل إلى مصر كان على عرشها الملك الكامل الأيوبي الذي التحق بخدمته وعينه رئيساً على سائر العشابين، (نقيب الصيادلة) ولما توفي الملك الكامل، استبقاه في خدمته ابنه الملك الصالح نجم الدين الذي كان يقيم في دمشق، وبدأ ابن البيطار في دمشق يدرس النبات في الشام وآسيا الصغرى، بصفته طبيباً عشائياً. وهذا ما دعا "رام لاندو" في كتابه "إسهام علماء العرب في الحضارة الأوربية" إلى القول بأن "إسهام ابن البيطار في مجال علم النبات يفوق إنتاج السابقين من ديسقوريدس إلى القرن العاشر الهجري".

أسأذته:

تتلمذ ابن البيطار بعد ذلك على عدة علماء نبات، حيث اطلع على كل ما تُرجم من كتب اليونانيين وعلوم الأوائل من غير العرب، وقد ساعده على ذلك معرفته بعدد من اللغات كالفارسية واليونانية، حيث درس كتب ديسقوريدس Disokurides وجالينوس Galenos وأبقراط وابن سينا والإدريسي وأبي العباس النباتي دراسة مستفيضة حتى أتقنها تماماً وشرح النقاط الغامضة فيها وعلّق على مآثرها.

أبو العباس ابن الرومية النباتي:

كان أعمق أسأذته الثلاثة تأثيراً في ابن البيطار، وكان طبيباً ونباتياً وصيدلاناً بارعاً في اشبيلية، له شهرة عظيمة في علم النبات، ألف كتاب (الرحلة) الذي بقي المرجح الفريد لعدة قرون.

كان يصحب ابن البيطار إلى الريف لمعاينة أنواع النباتات ودراستها، وقد ورث ابن البيطار هذه السمعة الجيدة عن أستاذه، بل إنه فاق أستاذه وامتاز في أبحاثه العلمية والتجريبية والتطبيقية حتى غطى اسمه على باقي عشائيه زمانه.

كما تتلمذ ابن البيطار على يد ابن الحجاج الأشبيلي.

أبو عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الأشبيلي، عالم فلاحه وبيطري اشتهر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. ولد بأشبيلية لأسرة ممتد نسبها إلى بني حجاج من سادة اشبيلية ومن التأثيرين فيها.

عاش ابن حجاج في اشبيلية في قصور الأمراء، حيث تلقى تعليمًا راقياً، فدرس العلوم الدينية والعربية وتميز فيها فكان الفقيه والمحدث في زمنه. كما كان شاعراً وناثراً شهد له به نظراؤه. كما كان يحكم مكانته في قومه أن وقف على لغات الأمم الأخرى فأجاد منها اليونانية والرومانية والنبطية. ويظهر إلمامه بهذه اللغات في كتاباته المتعددة والمراجع التي يرجع إليها. أولى ابن حجاج عناية شديدة بالفلاحة، ولعل ذلك نشأ معه منذ صغره في حدائق وبساتين قصور الأمراء، فأضحى بذلك مدرسة فريدة في علم الفلاحة نقل عنها ابن العوام وكثير من العلماء الذين جاءوا من بعده. ترك ابن حجاج عدداً قليلاً من المؤلفات كان أشهر كتبه المختصر في الفلاحة الذي كان له أثر بالغ في الفلاحة الأندلسية.

وعبد الله بن صالح الكتامي.

وهو صالح بن عبد الله بن حيدر الكتامي الأزهري توفي سنة 991 إحدى وتسعين وتسعمائة. من تصانيفه بستان الفقراء ونزهة القراء رتبة على مائة وخمسة أبواب.

المحور الثالث: التعريف بمنهجية ابن البيطار في البحث وتدوين الوصفات والعلاجات من خلال كتابه

« كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »:

لقد ساهم المناخ العلمي والفكري الذي عاش ابن البيطار في كتفه، في نبوغه العلمي، وهذا ما يبدو في المؤلفات العديدة التي تركها، ومن أهمها: كتاب ميزان الطب، كتاب شرح أدوية ديسقوريدس، كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة، كتاب المغني في الأدوية المفردة، كتاب الجامع في الأدوية المفردة.

ومن الجدير بالذكر أن ابن البيطار قد استفاد من الإسهامات التي قدمها ديسقوريدس، كما سبقت الإشارة وترجمته لكتاب "الحشائش" ونقل منه الكثير في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لكنه لم يكتف فقط بترجمته ونقل نصوصه، ولكنه امتاز بعمق المعرفة والدقة في تناوله، حيث جمع المصادر الهامة لمادة البحث، ولم يكتف بمصدر واحد فقط، بل رجع إلى عدة مصادر، وعقد بعض المقارنات بين ديسقوريدس، وجالينوس، وعلماء العرب السابقين. وقد كان حريصاً على نقل أسماء النباتات بدقة، وأضاف العديد من التعليقات على هوامش كتاب "الحشائش" للزيادة في الإيضاح وتوصل إلى نتائج جديدة.

وقد استفاد ابن البيطار من أبي حنيفة الدينوري الذي كان نباتياً لغوياً، بينما كان ابن البيطار عشاقاً وطبيباً نباتياً، تحدث عن النبات وأوصافه، أصله وساقه وورقه وزهره وثمره، حتى لا يخلط بين نبات نافع وآخر ضار، ثم يقف على ذلك يذكره ما يستخلص منه من عقار مفيد في العلاج، وكيف يؤخذ كدواء ومتى يؤخذ، وكيف يعدّ وكيف يتم تعاطيه ومقدار الجرعة.

كما استفاد ابن البيطار من العالم الطبيب والفيلسوف ابن سينا الذي استقصى نسبة كبيرة من النباتات، والتي كانت معروفة في عصره، فأورد في كتابه "القانون" طائفة كبيرة من النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والعطرية والطحلبية، وبين الأجناس المختلفة من النباتات والأنواع المختلفة من الجنس الواحد وذكر المتشابه وغير المتشابه، وعنى بذكر مواطن النبات والتربة التي ينمو فيها.

ولكن نجد تميز ابن البيطار عن ابن سينا في كثير من المواضع، فبينما نجد ابن سينا يهتم بدراسة النبات ويتناوله تناولاً عاماً من حيث أوصافه الدقيقة التي تميزه عن غيره وذكر منابته، نجد ابن البيطار يركز على الخصائص الطبية وفوائده في العلاج ومداواة الأمراض، ويوجه اهتمامه إلى تفصيل المزايا الطبية.

كما تأثر ابن البيطار بالغافقي النباقي المشهور الذي يعد من أعظم الصيادلة العرب أصالة، حيث أخذ منه أجزاء غير قليلة من كتابه في الأدوية المفردة. كما لا يمكن إغفال تأثر ابن البيطار بكثير من العلماء العرب والمسلمين والصيادلة والعشابين، والذين تظهر

أسماؤهم في مؤلفاته مثل الزهراوي، وابن جرلة، وأبو بكر الرازي، وابن سميح، وثابت بن قرة، وماسرجويه، وابن العوام، الذين كتبوا تراثاً ضخماً... تمكن ابن البيطار من الاستفادة منه وتوظيفه في تأسيس علم الصيدلة وتأصيله عند العرب والمسلمين.

ابن البيطار بين الأسلوب العلمي والنقد المنهجي

يعتبر كتاب "الجامع في الأدوية المفردة". من أهم إصدارات ابن البيطار، حيث أوضح الأهداف التي اختارها فيه، ومنها يتجلى أسلوبه في البحث، وأمانته العلمية عند النقل، واستناده على التجربة كمعيار لصحة الأحكام.

جمع ابن البيطار بين مشاهداته ومعانياته الشخصية وعلوم السابقين الموجودة في الكتب التي نقدتها وفند ما فيها من أخطاء، وامتاز كتاب ابن البيطار بتنظيمه على حروف المعجم ما جعل التعامل مع محتوياته سهلاً. كما ذكر فيه الأدوية الخاطئة التي تستعمل من باب التكرار، وفند وهمها معتمداً على تجاربه ومشاهداته، كما أنه ذكر فيه أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة، إضافة إلى منابت الدواء ومنافعه وتجاربه الشهيرة، وكان يقيد ما كان يجب تقييده منها بالضبط والشكل والنقط تقييداً يضبط نطقها حتى لا يقع الخطأ أو التحريف عند الذين ينسخون أو يطلعون عليه، وذلك لأهمية الدواء وتأثير الخطأ على حياة الناس. كما أنه دون فيه كل الشروح والملاحظات المتعلقة بتخزين النباتات وحفظها وتأثير ذلك على المواد الفعالة والمكونات الغذائية الموجودة فيها. وصف ابن البيطار في موسوعته تلك أكثر من 1400 نوع من أنواع النباتات العلاجية واصفاً طرق استخدامها والأمراض التي تعالجها، كما وصف 200 نوع لم يتعرف إليها أحد من قبله.

وهذا يسهل على الطالب البحث من غير مشقة ولا عناء ولا تعب. واتسم أسلوبه العلمي بالنزعة النقدية، مع التزام الموضوعية والنزاهة العلمية. وذلك يتضح لنا من خلال مناقشته لآراء السابقين عليه من العلماء والأطباء والعشائين. فلقد نقدهم في عدة أمور، وكان نقده بناء، فهو يرفض الآراء التي يثبت أن ناقليها قد انحرف عن سواء السبيل ومنهج العلماء السليم، أو لأنها لم تثبت أمام مقاييسه العلمية التي يعتمد عليها... وهو لا يكتفي برفضها، بل إنه يتجاوز الرفض إلى توجيه النقد الشديد إلى الناقل أو القائل.

كما قام بنقد كتاب "منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان"، وهو الكتاب الذي جمع فيه ابن جرلة (493هـ) الأدوية والأغذية والأشربة، فقام ابن البيطار ونبه بالأخطاء في أسماء الأدوية، وذلك في كتابه الذي رتبها على حروف المعجم، وجعله بعنوان "الإبانة والإعلام بما في منهاج الخل والأوهام". وإذا كان ابن البيطار قد استطاع أن يرسى قواعد المنهج النقدي، فإنه أيضاً قد وضع أسس المنهج العلمي، وحددها في أهداف ستة هي: استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار؛ والمقصود بذلك جمع مادته العلمية الطبية الخاصة بلغاتها المختلفة.. والأمانة العلمية عند النقل، والتحقق من صحة الأدوية، والاعتماد على الملاحظة والمشاهدة، والاختيار وإجراء التجارب اللازمة للأدوية التي استعان بها في علاجه للأمراض، ووصف الأعشاب والنباتات.. كما أنه قام بتحضير الأدوية واستخدام النسبة والكمية في إعداد الكميات اللازمة للعلاج، وحذر من الإفراط في أخذ العلاج أو الابتعاد عن أخذ الكمية المحددة.

ومن خلال المقارنة بين طريقة ابن البيطار والطريقة التي يسير عليها العلماء المحدثون، نجد أنه توجد جوانب مشتركة بين ابن البيطار والعلماء الذين اعتمدوا على المنهج التجريبي الذي يقوم على الملاحظة.. لقد استخدم ابن البيطار "التجربة" وكان يطلق عليها اسم "الاختبار". فقد قام بممارستها عند اختياره للأشباب والنباتات، لكي يستخرج منها العقاقير اللازمة لعلاج الأمراض. وكانت التجربة عنده مرتبطة بالفرض الذي يُعد أبرز صور الإبداع العلمي.

ولم يقتصر ابن البيطار على الاستعانة بالنباتات والأعشاب ذات الأصول النباتية، بل هو قد استعان بذات الأصول الحيوانية، والتي يتخذ منها العقاقير، مثل حديثه عن "ابن عرس"، وأصناف من الطير، وبعض الأرنب البرية، وبعض الحيوانات البحرية.. وهو في كل ذلك يعرض لتشريح بعضها ويعتمد على الوصف والملاحظة الدقيقة، إضافة إلى إجراء التجارب عليها واستخلاص أدوية من بعضها. كما تناول بالوصف والشرح عدداً من الأدوية والعقاقير ذات الأصول المعدنية، والأحجار التي يمكن الاستفادة منها في استخراج مواد فعالة علاجياً، فيذكر الأبار وهو الرصاص ومعدان وأحجار أخرى.

ولم تقتصر جهود ابن البيطار على ذكر مئات الأدوية والعقاقير، وإضافة عشرات من الأصناف ذات الأصول النباتية والحيوانية والمعدنية التي لم تكن معروفة من قبل، ويساهم في تأسيس الصيدلة العربية على أسس علمية وتجريبية، بل هو قد ساهم في استقرار المصطلح الطبي العربي الإسلامي، وأثرى معجمه الذي أصبح من بعده مصدراً ثرياً لكل أطباء أوروبا والغرب.

المحور الرابع : أهم إنجازات ابن البيطار في مجال الصيدلة:

يُعدُّ ابن البيطار رائدًا للعلاج الضوئي الكيميائي، فقد استخدم بذور نبات الخلّة في علاج البهاق (vitiligo)، وكانت إحدى قبائل الأمازيغ (البربر) في المغرب العربي تستخدم هذا العلاج الفريد، وتُطلى عليه باللغة الأمازيغية اسم "استرلال"، وكان ابن البيطار يخلط بذور الخلّة مع عسل النحل، ويُقدّمها للمريض، ثم يجعله يتعرّض للشمس ساعة أو ساعتين حتى يتصبّب عرقاً، وكان يُتابع حالة مرضاه بدقة حتى إنّه ذكر أنّ البقع المصابة تتأثّر، وتظهر بها فقاعات، بينما الجلد السليم لا يتأثّر، ثم تكتسب اللون الطبيعي بالتدريج، وفيما يتعلّق بهذا المرض كان ابن البيطار أوّل من ذكر أنّ الجلد المُصاب يصعبُ علاجه فوق النتوءات العظمية.

علاج السرطان:

اكتشف ابن البيطار أحد أوائل الأدوية العشبية المعالجة للسرطان، وهي عشبة "الهندباء" Dandelion، وقد أثبتت هذه النبتة نجاحها في العلاج لامتلاكها خصائص مضادة للسرطان وعلاج الأورام الخبيثة.



عشبة الهندباء المعالجة للسرطان التي اكتشفها ابن البيطار

الطرخون :

وهو نوع من أنواع الهندباء المزروعة والذي يعرف علمياً باسم Taraxacum officinale وهو من النباتات الهامة في علاج التهابات الكبد والجزء المستخدم من هذا النبات الأوراق التي عادة ما تؤكل مع السلطة وكذلك الجذور.



بعد دراستنا لحياة ابن البيطار، لا يسعنا إلا أن نُعجب بتلك الشخصية العظيمة ذات الأفق الواسع، وتلك الإرادة الصلبة التي جعلت منه عالماً مسلماً أهلاً لأن يُحتذى به من قبل الباحثين وطلاب العلم. لقد أسهم ابن البيطار في تطور الحضارة البشرية من خلال علوم النبات والصيدلة والطب أسهاماً عظيماً بإكتشافاته العلمية الهامة، ومؤلفاته التي تركها خير برهان على تفوقه ونبوغه، مما جعله يرقى إلى مصاف كبار علماء العرب والمسلمين الذين أغنوا المكتبة العربية والعالمية ببحوثهم ودراساتهم القيمة.

بالرغم من أن بعض علماء الغرب يحاولون النيل من علماء المسلمين، وإنكار أبايهم البيضاء في تأسيس العلوم، إلا أننا نرى كتب ابن البيطار شاهدة على عبقريته.. وبصمته العميقة في صفحات التاريخ لا يمكن لأحد طمسها.

المراجع العلمية:

1. الموسوعة العربية العالمية.
2. البخاري - كتاب الطب - باب التدوي بالعسل - حديث رقم - 5251.
3. مقالة: ابن البيطار الأندلسي عالم الصيدلة وشيخ العشابين في الأندلس، المؤلف: د.بركات محمد مراد.
4. كتاب: ابن البيطار الأندلسي أعظم صيدلي في الإسلام، تأليف: علي الجمبلاطي وأبو الفتوح التونسي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
5. كتاب: في الأدوية المفردة تفسير كتاب ديسقوريدوس، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن البيطار المالقي، تحقيق: إبراهيم بن مراد، الناشر: دار الغرب الإسلامي.
6. كتاب: إسهامات علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، المؤلف: الدكتور علي عبد الله الدفاع، الناشر: مؤسسة الرسالة.
7. كتاب: الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، المؤلف: ابن البيطار المالقي الأندلسي، تقديم: محمد عبد الله الغزالي، الناشر: دار الأفاق العربية.
8. مقالة: ابن البيطار .. عبقرية علمية نادرة، الموقع: قصة الإسلام.
9. فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موقع للنشر، الجزائر: 2002، ج: 1.
10. بنعبد الله عبد العزيز، تطور الطب والصيدلة بالمغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 27، الرباط، 2003.
11. حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ المغرب المسلم حتى القرن 10-9م، دار الرشد الحديثة، 2000، ج: 1.

المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط



المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط

المخطوطات الطبية العربية الإسلامية تراث حضاري متميز

محمد زين العابدين الحسيني
باحث في التاريخ والحضارة

تعد المخطوطات الطبية العربية الإسلامية وضمناها المغربية بمثابة ذاكرة حضارية تؤرخ للنهضة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي والعربي لعدة قرون، حيث اتخذت منطلقا لما شهده العالم اليوم من تطورات في العديد من المجالات سواء منها المعمارية أو الفنية أو العلمية وضمناها الطب. وقد لعبت جامعة القرويين وابن يوسف دورا مهما في نشر هذا التراث والمحافظة عليه. ولعل استمرار وجود هذه المخطوطات الطبية يعود إلى أهمية الطب والعناية التي كان يحظى بها سواء على مستوى التدريس أو الممارسة. كما أن وجود العديد منها في المكتبات العلمية، دليل على الاهتمام بها والعودة إليها كمرجعية أساسية للميادين الطبية التي تشهد في الوقت الحاضر تطورات لا تخلو من أهمية. غير أن المشكل في الوقت الراهن يكمن في عدم الاعتراف بهذا التراث الذي يعمل البعض على إنكاره، مقابل الانبهار بما عرفته المجالات العلمية من تطورات، دون التساؤل عن الجذور العربية الإسلامية وضمناها المغربية. في الوقت الذي يتشبث فيه الغربيون بترائهم – على علته – في العديد من الجوانب. بل إن البعض يسعون إلى الانسلاخ من تراثهم العلمي ونبذه بأي شكل من الأشكال. مقابل تقديس تراث تكتنفه العديد من الثغرات والهفوات. ومن ثمة فإن هذه المخطوطات التي يرسم معظمها في رفوف المكتبات تتطلب ضرورة التعريف بها ونفض الغبار عنها. وسبر أغوار محتوياتها كمرجعية أساسية في العديد من العلوم ومن بينها الطب. وهو ما سيتم تناوله من خلال المحاور الرئيسية التالية :

- **مخطوطات تؤكد على أهمية الطب**، باعتباره علما أساسيا للمحافظة على صحة الإنسان واستمراره وهو دافع أساسي للعناية والاهتمام به كعلم أساسي باعتقاد البحث والتجربة.
- **مخطوطات طبية متنوعة**، باعتبار أن بعضها يتناول وصفات علاجية، وبعضها يتضمن أشكالاً ورسوماً سواء بالنسبة للحواس أو الأدوات المستعملة.
- **مخطوطات طبية متميزة**، تتمثل في الإجازات الطبية وكمثال عنها إجازة عبد الله بن صالح الكتامي.... ثم المنظومات الطبية كمنظومة ابن طفيل وابن سينا والأقنوم... وغيرها.

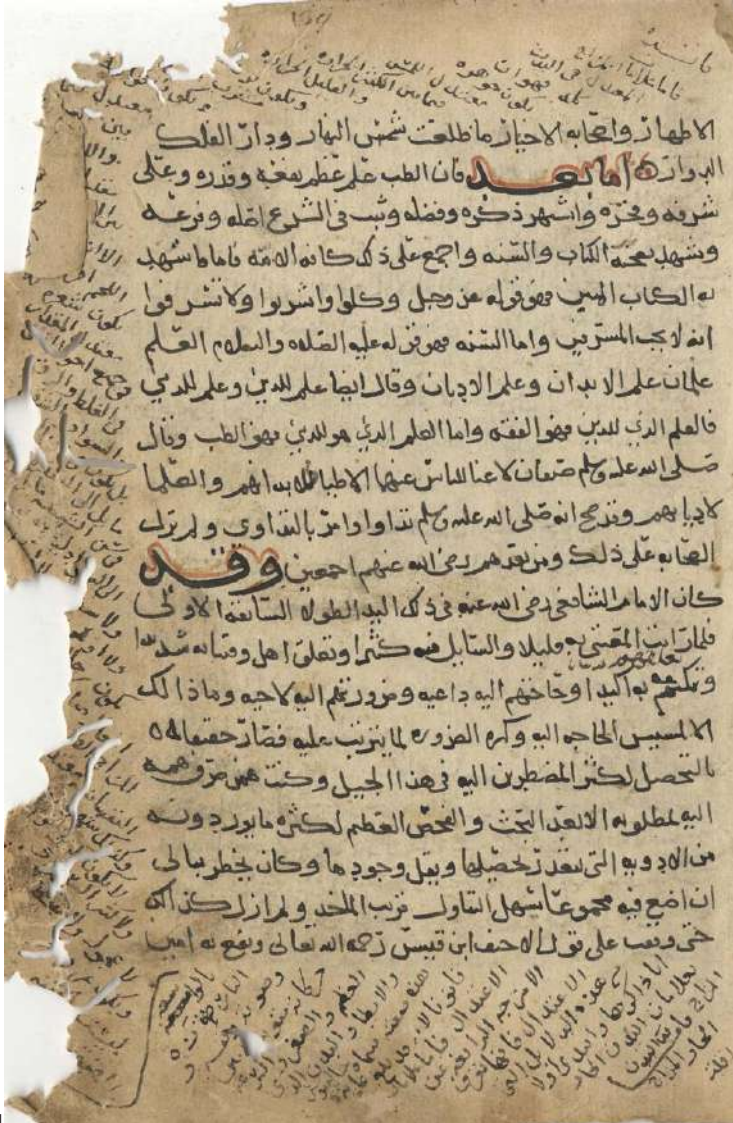
ولعل تقديم هذه الصورة عن المخطوطات الطبية العربية عبر هذه المحاور سيبرهن على أهميتها كتراث حضاري متميز نهلت منه التجارب الحديثة فطوره بشكل كبير، وهو أمر لا ينبغي إنكاره، مثلما لا ينبغي التكرار للمجهودات الطبية التي بذلت من طرف العلماء المسلمين.

مخطوطات تؤكد على أهمية الطب :

تحض العديد من المخطوطات على أهمية الطب كعلم لا محيد عنه بالنسبة للإنسان، وهو الأمر الذي استدعى تدريسه والعناية به من طرف الجميع. وهو ما تؤكد هذه الصفحة من مخطوط : " كتاب مباحث الأذهان في علم الأبدان " حيث يقول في المقدمة :

" أما بعد، فإن الطب علم عظم نفعه وقدره، وعليّ شرفه وفخره وأشهر ذكره وفضله، وثبت في الشرع أصله وفرعه، وشهد

بصحته الكتاب والسنة، وأجمع على ذلك كافة الأمة. فأما ما شهد به الكتاب المبين هو قوله عز وجل: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" وأما السنة فهو قوله عليه الصلاة والسلام: "التعلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان ..."



وكتاب " نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان " لداوود الأنطاكي :

الذي يقول فيه بعد التقديم العام : " وعلم الطب بلا شبهة أحق بهذه الأوصاف، دون غيره، لاحتياج الناس كافة إليه، وتعويد الصحيح والمريض عليه"



و"رسالة في الكي والجراحة"، لأبي القاسم الزهراوي :

التي اعتبر فيها الطب صناعة شريفة بل هي "أشرف الصنائع وأعلاها وأرفعها وأسناها بعد علم الدين والقرآن المجيب. صناعة

الطب التي لا يستغني عنها الملوك والكبراء ولا السوقة والفقراء ..."

وانواعه ما يلجأ اليه المتعلمون ولا يرتفع عن مطالبه السامعون الصغار
بمهاذا، الصناعة الشهيرة التي هي اشرف الصنائع واعلاها وابعدها
واسنها بعد علم الدين والفقه، ان الميسر صناعة الطب التي لا يستغني
عنها الملوك والكبراء ولا السوقة والفقراء، فالعلم من ذلك مبلغ
الطاقة على حسب الادبة والتجربة، وقد كتبت هذا الكتاب ثلاثين
ابواب: الباب الاول في الكيمياء والنار والدواء، والباب الثاني في التشريح والطب
والفصد والجمادات واخراج انسها، ولو احفه وتوابعه من نبات وصور الالة
والقباب الثالث في الجيوش والحلج وعلاج الثوش ونحو ذلك من العجائب
اذ هو صنعة من صناعات بلدنا وبعدها وهو صومعها ذام معدوم البتة حتى

3

وكتاب: "اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم": الذي يقول مؤلفه عن الطب: "وعلم الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان من صحة ومرض ومزاج وأخلاق وغيرها. وفائدته استعمال أسباب الصحة والإعلام بها".

في الطب والصيد والجمادات واخراج انسها، ولو احفه وتوابعه من نبات وصور الالة
والقباب الثالث في الجيوش والحلج وعلاج الثوش ونحو ذلك من العجائب
اذ هو صنعة من صناعات بلدنا وبعدها وهو صومعها ذام معدوم البتة حتى

4

في الطب والصيد والجمادات واخراج انسها، ولو احفه وتوابعه من نبات وصور الالة
والقباب الثالث في الجيوش والحلج وعلاج الثوش ونحو ذلك من العجائب
اذ هو صنعة من صناعات بلدنا وبعدها وهو صومعها ذام معدوم البتة حتى

ومن ثمة فإن أهمية الطب دفعت الجميع إلى العناية به، وخاصة الخلفاء والسلاطين. ويقدم عبد الواحد المراكشي نموذجاً لذلك بقوله: "ومن بين الأطباء الذين برزوا خلال هذه المرحلة: السلطان الموحيدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن، الذي بدأ يعلم الطب، واستظهر الكتاب المعروف بالملكى أو كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن علي ابن العباس المعروف بالمجوسي، وأشرف على إنشاء مارساتني مدينة سلا، ومدينة مراكش. وعمل على جمع الكتب المتعلقة بالطب، وكان يكافئ كل من زوده بهذه الكتب، فقد كافأ يوسف المكنى أبا الحجاج المعروف بالمُراني، بولاية ضخمة لم يكن يحدث بها نفسه".⁵

3 "رسالة في الكي والجراحة"، أبو القاسم الزهراوي . BNF. ARABE 2953. n°1059

4 "اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" مكتبة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، رقم (ms185_M3.html)

5 عبد الواحد المراكشي، "كتاب المعجب..."، ص 167.



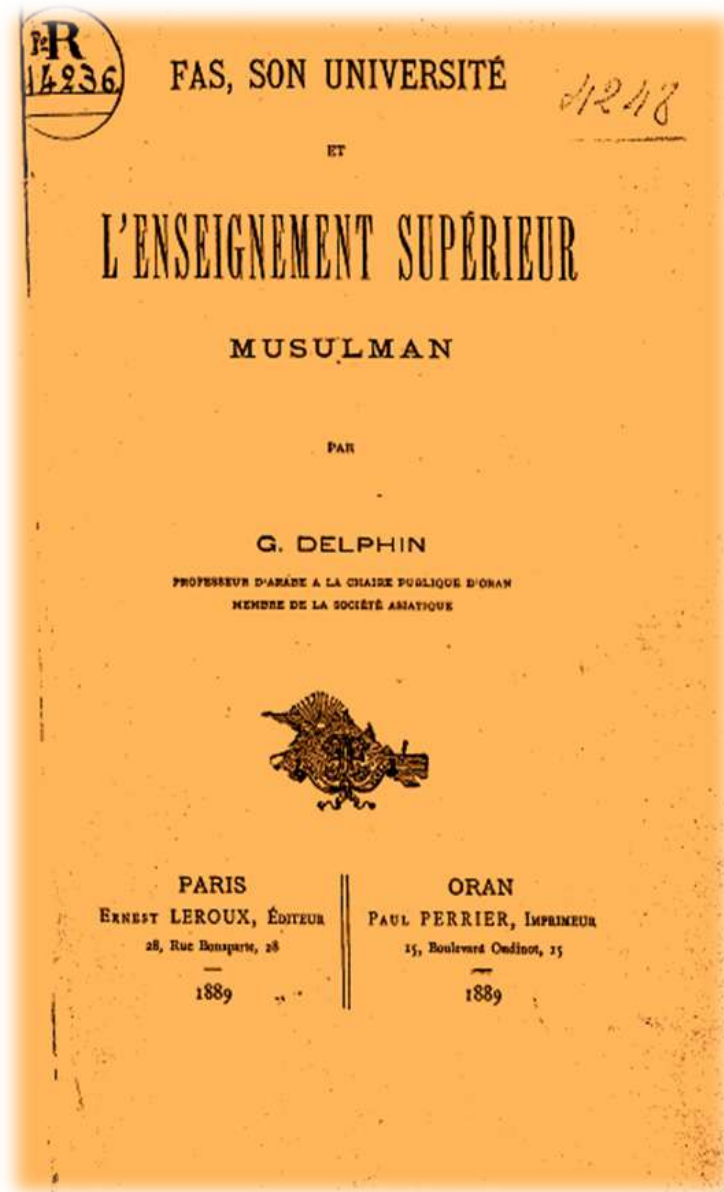
6

إلى جانب تدريس الطب بجامعة القرويين بواسطة العديد من المخطوطات التي ألّفت من طرف أطباء مغاربة أو التي تم استيرادها من العالم الإسلامي. وفي هذا الصدد يقول Lucien LECLERC : " كان الطلبة إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي، يعتنون بجملة من الكتب الطبية مثل زبدة الطب للجرجاني والتذكرة لأنطياكي وكليات ابن رشد، ومفردات ابن البيطار، والشفا لابن سينا، وغيرها "7. ويذكر ديلفان G. Delphin أن الكتب المعتمدة في تدريس الطب بالقرويين هي : " القانون لابن سينا، التذكرة للشيخ داود الأنطياكي، المنظومة لابن سينا، آراء ابن رشد، التذكرة للسويدي، الكامل للرازي، الزبدة للجرجاني، المفردات لابن البيطار، حياة الحيوان للدميري، هدية المقبولات للمراكشي، الأرجوزة لأبي تلموس وحاشية أبو علي، والقليوبي، والعياشي..."8

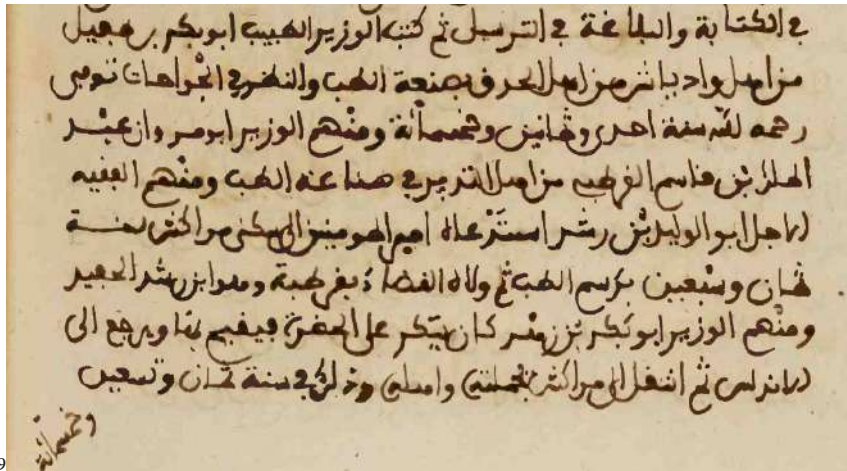
6 علي ابن العباس (المجوسي)، "كامل الصناعة الطبية"، الذي كان السلطان الموحيدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن يحفظه.

7 Lucien LECLERC , Histoire De La Medecine Arabe 1980. p 381

8 G. Delphin ; FES son Université ; L'ENSEGNEMENT SUPERIEUR MUSULMAN ; p 17



ويذكر ابن أبي زرع أسماء أطباء مغاربة ألفوا في مجال الطب، وهو ما تبينه الصفحة التالية من مخطوطه روض القرطاس :



على أن تدريس الطب كان يجمع بين التجربة والقياس، وهو ما يؤكد المخطوط التالي :

”إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد“ وينقسم إلى جزئين نظري وعملي وكان قبل أن يهذب تقتصر فرقة من أميره على التجارب، وفرقة على القياس ومبادئه. بعضها اتفاقات وبعضها الهائل الماهية. ومن الكتب المختصر فيه ”الموجز لابن النفيس“.



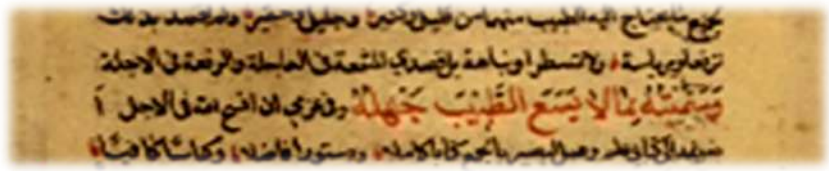
وتبين الصفحة التالية من مخطوط روض القرباس أسماء الأطباء المؤلفين في مجال الطب :

9 علي ابن أبي زرع القاسي ”روض القرباس...“.

10 ”إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد“، مكتبة الملك عبد العزيز دار البيضاء، رقم (ms185_M2.html)



إلى جانب مخطوطات توجيهية مثل هذا المخطوط المعنون بـ "ملا يسع الطبيب جهله"، ويضم العديد من التوجيهيات :



على أنه إذا كانت المخطوطات الطبية تشكل أهمية كبرى في التدريس، ولدى السلاطين المغاربة، فإن هذه المخطوطات تتميز بالتنوع وهو ما سيتم تناوله في المحورين التاليين .

مخطوطات طبية متنوعة :

تتناول بعض المخطوطات وصفات علاجية دون تقديم رسوم أو أشكال، وبعضها يتضمن أشكالاً ورسوماً سواء بالنسبة للحواس أو الأدوات المستعملة.

مخطوطات تقتصر على وصفات علاجية :

من بينها " تلخيص المقالة الأولى من كتاب القوى الطبيعية لجالينوس للفيقيه أبو الوليد محمد ابن رشد ". حيث يتم ذكر وصفات علاجية دون وضع شكل من الأشكال أو رسم، وهو ما توضحه الصفحة الأولى من المخطوط :





13

و "مختصر كتاب جالينوس في الطب" لأبي بكر ابن زهر، الذي يضم وصفات علاجية ضمن جداول، دون رسوم أشكال :

ابن رشد، " كتاب القوى الطبيعية".

13



14

14 "مختصر كتاب جالينوس في الطب" لأبي بكر ابن زهر محبس على جامعة القرويين.





المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط

المخطوط الطبي العربي من التشقيف إلى الثقافة

شريف علي الأنصاري

كبير باحثين بمركز المخطوطات
مكتبة الإسكندرية (مصر)

يعد التراث العربي المخطوط من المميزات المهمة التي تميزت بها الحضارة العربية الإسلامية، في جميع مجالاته العلمية عبر التاريخ، وهو مجال كبير يخرج عن نطاق بحثنا اليوم، ومن ثم أثرت الحديث هنا عن المخطوط الطبي العربي، وكيفية الاستفادة منه بالشكل الأمثل، ومحاولة تحويله من مجرد نص طبي مخطوط إلى محاولة المناقشة والحوار به مع الآخر، خاصة لو كان الآخر متعاطف لفهمه وسر أغواره. هذا من جانب منصفي المستشرقين وهم للأسف قلة قليلة، بينما يسعى جل المستشرقين إلى تشويه ذلك التراث العربي الطبي سواء المخطوط منه أو المطبوع، بحسن نية حيناً وبسوء نية أحياناً كثيرة.

هذا من جانب ومن جانب آخر قد تكون المناقشة مع الآخر من خلال المخطوط الطبي العربي خطوة حقيقية وعلمية يمكن تطبيقها على باقي العلوم الطبيعية بعد ذلك، وتكون البيئة الأولى التي يمكن التجريب عليها؛ وتكون المنطلق لتطبيق ذلك على باقي العلوم الأخرى مثل: الهيئة (الفلك) والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم العربية التجريبية.

ومن ثم كانت الحاجة ملحة إلى توضيح الأسس والمعايير المهمة التي يجب إتباعها أثناء تحقيق المخطوطات الطبية، وتحويلها من مجرد نص طبي تراثي مخطوط إلى نص يحيا بين ظهرائنا؛ ومن هذه الأسس والمعايير:

(أولاً) توضيح الإشرطات وتطبيقها

تلك الإشرطات التي يجب أن تراعى في النص الطبي المحقق سواء في الدراسة التي تسبق تحقيق النص، والأسس التي يجب أن تراعى وتبني في التحقيق، وكذلك الملحقات والكشافات ومعاجم المصطلحات التي يجب أن توضع بعد النص الطبي المحقق، وقواعد النشر الحديثة المتبعة؛ ويكون ذلك من خلال:

مراحل التحقيق:

المرحلة الأولى: مرحلة مقدمة التحقيق

وتشمل المقدمة ويذكر فيها المحقق أهمية العلم الذي شرع في اختيار المخطوطة، ويورد طريقة خاصة - إذا وجدت - كانت الدافع وراء اختياره لهذه المخطوطة كأن يذكر أن أستاذه أو صديق له أهداه هذه المخطوطة للتحقيق مثلاً، ثم يذكر اسم المؤلف وكنيته وشهرته وتاريخ ميلاده ووفاته، بالتاريخ الهجري والميلادي وأؤكد على ضرورة ذكر التاريخ الهجري؛ لأنني وجدت الكثير من الباحثين ممن يتحدثون عن الحضارة العربية الإسلامية وأعلامها بالتاريخ الميلادي متغافلين عن التاريخ الهجري، مما يحدث نوع الغبن واللبس في الفهم لدى القارئ العربي.

كما تشمل هذه المرحلة ذكر عناوين مؤلفاته وبيان ما طبع أو حقق منها وأفضل الطبعات، وما زال مخطوطاً، وذكر أماكن نسخ المخطوطات وأرقامها، والمنهج الذي اتبعه المحقق في تحقيق هذا المخطوط، والنظريات العلمية التي وردت في المخطوط المحقق؛ وهو ما يعرف بتوظيف التراث، وكذلك ذكر وصف للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق لهذا المخطوط، وذكر مقدمة كلاً من الناسخ والمؤلف وخاتمة الناسخ والمؤلف، وإيراد نماذج مصورة للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق المخطوط، وذكر رموز النسخ التي اعتمدت عليها، ورموز التحقيق قبل النص المحقق.

وهذه المرحلة لا تتم صياغتها إلا بعد الانتهاء من التحقيق؟! لأن المحقق قد يجد كثيراً من المعلومات في النص المحقق أثناء تحقيقه للنص، وهو ما حدث معي في تحقيق مخطوط كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب (1)، ومن ثم لا يتم صياغة هذه المرحلة (مرحلة مقدمة التحقيق أو المقدمة) إلا بعد الانتهاء من تحقيق النص، ويمكن تلخيص النقاط السابقة كالآتي:

(1) مقدمة: يتضمن الحديث عن أهمية العلم، ومنهج المؤلف في تأليفه وهو المنهج التاريخي التحليلي النقدي المقارن، وإيراد طرفه عن سبب اختياري للمخطوط إن وجدت.

(2) التعريف بالمؤلف: وتتضمن اسم المؤلف ولقبه وكنيته؛ هل كنيته حقيقية أم مجازية، وذكر تاريخ الميلاد والوفاة للمؤلف بالهجري والميلادي. وذكر نشأته وأساتذته وشيوخه. وتلامذته ومريده؛ ويتضمن ذلك أيضاً ذكر قائمة بأسماء تلامذته، ومعيار كثافة الاستشهاد لتلامذته من كلام أساتذهم المؤلف صاحب المخطوط. وأقوال العلماء فيه. ومنزلة المؤلف في هذا العلم هل هو عالم مشهور أم أنه أول تأليف له في هذا العلم. ونذكر الحياة السياسية في عصره والبيئة العلمية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالمؤلف صاحب المخطوط.

(3) التعريف بالكتاب وأهميته، صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، وعلاقة الكتاب بكتب أخرى للمؤلف: عرض لأهمية الكتاب، وغرض التأليف؛ الغرض من تأليف المؤلف لهذا المخطوط تكون بعد أو بعد دأماً في مقدمة المؤلف. وتقسيم مادته من حيث الأبواب والفصول؛ وهو ما يُعرف بعرض بناؤه وترتيب مادته. ومنهج المؤلف؛ هل الكتاب مؤلف مستقل، أم أنه شرح أو حاشية على مؤلف أخرى، وإذا كان شرح على مؤلف آخر هل هو شرح بالقول أم بالعبرة، هل النقول التي ينقلها المؤلف صاحب المخطوط من مخطوط آخر يورده بالضبط أم بالمعنى، وفي الحالة الأخيرة نذكر أن المؤلف ابتسر المعنى؛ وهو ما يُعرف بعرض شواهد وآراؤه، ثم نوضح الكلام عن مصادر الكتاب؛ هل بالسَّماع أم بالوَجَدَة.

والمقصود بالسَّماع؛ هو سماع الراوي من لفظ الشيخ، والشيخ من لفظ شيخه وهكذا، وهو أحد طرق النقل وواحد من وجوه الأخذ عن الشيخ (2). أما الوَجَدَة: اسم، (في اصطلاح المحدثين): اسمٌ لما أخذ من العلم من صحيفةٍ، من غير سماع ولا إجازة ولا مُناولة، والجمع: وجاد: (لحديث) اسمٌ لما أُخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مُناولة، وهي من صنع المولدين. بدأت في البحث عن المصادر والوثائق وشاعت في القرن الرابع الهجري وشيوعها أدى إلى ما يسمى اليوم بفن التحقيق (3). كل هذه المعلومات يجب أن يذكرها المحقق في منهج المؤلف.

(4) تتبع سلسلة الشروح وأهمية الكتاب في عصره.

(5) المنهج المستخدم في التحقيق:

(أولاً) وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

• وصف النسخ الخطية: على المحقق أن يذكر: رمز النسخة المصورة التي اعتمد عليها في التحقيق؛ ومن الممكن أن تكون الرموز لاسم المكتبة أو للبلد، وعليك أن تشير إلى ذلك في مفتاح التحقيق، ومن الممكن أن تكون هناك مخطوطتان من مكتبة واحدة:

1 سري الدين العلفي: كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب، ص 11 ، 12 .

2 د. أحمد شوقي بنين، ود. مصطفى طوني: مصطلحات الكتاب العربي المخطوط (معجم كوديكولوجي)، ص 189.

3 المرجع السابق، ص 367.

ففي هذه الحالة تعطي الأولى رقم واحد بجوار الرمز والثانية رقم اثنين بجوار نفس الرمز للتمييز بين المخطوطتين، وتذكر مصدر النسخة المصورة، ورقمها، ومكان أصل المخطوطة، ورقمها، واسم الناسخ، ومكان النسخ، وتاريخ النسخ.

وتذكر نوع الخط، عدد الأوراق والسطور، عدد الكلمات في السطر التقريبي، مقياس المخطوطة الأصلية، النسخة مجددة إن كانت، هل حافظ الناسخ على تنسيق الكتابة، ذكر التملكات والوقيات والسماعات والإجازات. ذكر مقدمة وخاتمة المخطوطة، وخاتمة الناسخ، وذلك في جميع النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق.

- رموز التحقيق.

(ثانيًا) **ملاحظات التحقيق:** إذا وجد المحقق اختلاط مثلاً في نسخة من النسخ المعتمدة في التحقيق فعليه أن يرتبها قبل البدء في التحقيق، وأن يشير إلى ذلك.

(ثالثًا) **منهج الباحث في التحقيق:** على المحقق أن يذكر الخطوات التي اتبعها لتحويل نص المخطوط من صورته المخطوطة إلى الكتاب المطبوع الذي بين أيدينا؛ كما يلي:

- القيام بنسخ النص وتنقيسه إلى فقرات حتى يسهل دراسته وقراءته كما هو متبع في قواعد الطباعة والنشر الحديثة، بالإضافة إلى وضع علامات الترقيم.
- المقابلة بين النسخ والاثبات الفروق في الهوامش.
- استبدال الحروف القديمة (حساب الجمل) المستخدمة في الترقيم بالأعداد المتعارف عليها حديثاً، وقد أشرتُ إليها كلاً في موضعه.
- استبدال الياء بالهمزة واتباع قواعد الإملاء الحديثة في ذلك، كما تم الإشارة إلى الكلمات غير الصحيحة في المتن وتصحيحها في الهامش، وذلك للإبقاء على خصوصية النص المحقق، وذلك بعد التأكد من ذلك من المراجع.
- أوردتُ بعض التعليقات والشرح للمصطلحات والمفردات الواردة في النص والتي وجبتها ضرورة.
- إدراج العناوين الخاصة ببعض الفقرات والتي أهملها المؤلف، وقد وضعتها بين قوسين معكوفين [] .
- اختتمتُ التحقيق بفهارس للنص المحقق وقد شملت: فهرساً للآيات القرآنية، فهرساً للأحاديث النبوية، فهرساً للآيات الشعرية، فهرساً للأعلام، فهرساً للمؤلفات العلمية، فهرساً للمصطلحات العلمية.. الخ.
- كما أوردتُ في الفهرس رقم الصفحة التي ورد بها التعريف بين قوسين هلالين ()؛ وذلك لتحديد الصفحة وتسهيلاً للقارئ، والتي غالباً ما تكون في المرة الأولى لورود المصطلح في النص.

(رابعًا) **نماذج المخطوطات:** على المحقق أن يورد صور لنماذج المخطوطات التي اعتمد عليها في دراسته وتحقيقه للنص المحقق؛ فيورد الصفحة الأولى صفحة العنوان والورقة الأولى التي تحتوي على المقدمة والورقة الأخيرة التي تحتوي على الخاتمة.

(6) **رموز التحقيق:** يورد المحقق الحرف الأول مثلاً كرمز لنسخة المخطوط التي اعتمد عليها، ثم يذكر اسم المكتبة ورقم المخطوط بالمكتبة، وكذلك بقية الرموز التي اعتمد عليها في التحقيق، كما يلي:

- ي : مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل ، برقم 8.
- س : مكتبة دير الإسكوريال _ مدريد بأسبانيا ، برقم 891.
- ت : مكتبة تشستربيتي _ دبلن بأيرلندا ، برقم 4338.
- () : الأرقام والتعريفات الواردة في اختلاف النسخ.
- [] : كلمة أو عبارة أو أرقام الأوراق الموضوعه من قِبَل المحقق.
- : كلمة أو عبارة ساقطة.
- + : كلمة أو عبارة زائدة في نسخة.

وقبل أن تنتقل إلى المرحلة الثانية نؤكد على أن المرحلة الأولى تشتمل على: مقدمة عن تاريخ العلم، اسمه وحياته وإنتاجه العلمي، مقدمة التحقيق ويشمل الحديث عن منهج المحقق في التحقيق.

المرحلة الثانية: مرحلة تحقيق وتوثيق وضبط النصوص؛ وتتضمن:

(1) **النسخ والمقابلة:** في مرحلة النسخ لا بد من معرفة بعض أمور مهمة منها؛ التمرس بمعرفة أنواع الخطوط العربية، مثال: كوفي، نسخ، الثلث، الديواني، الرقعة، الفارسي، مغربي. ضرورة نسخ المخطوطة تبعاً لقواعد الكتابة الحديثة، مراعاة تنقيط ما لم ينقط بعناية، ووضع الهمزات وألف المد. مثال: فضائل تكتب فضائل، اسمعيل تكتب إسماعيل دون الإشارة إلى ذلك في الهامش السفلي؛ وذلك لأن العرب كانوا يكتبون بتسهيل الهزرة واثبات ألف المد نطقاً وإهمالها في الكتابة.

وضرورة تقسيم النص إلى فقرات. وضع علامات الترقيم بدقة متناهية، وكذلك الأقواس وما تدل عليه كلاً من (فاصلة، نقطة، فاصلة منقوطة، قوسين)، []، علامة التنصيص، استفهام، تعجب، معكوفتين، علامة الجمل الاعتراضية.. إلخ). نكتفي بمجرد النسخ الواعي عن النسخة المختارة دون التصحيح. تتم الكتابة على الجهة اليسرى، وتترك الجهة اليمنى؛ وذلك لتدوين الهوامش فيها، مع مراعاة الكتابة على سطر وترك سطر. الكلمات التي تستعصى قراءتها ترسم كما هي، مع وضع خط تحتها.

كتابة أرقام أوراق المخطوطة إما على جانبي المتن (في الهامش) كما يفعل بعض المستشرقين أو داخل المتن بين قوسين معكوفين []؛ وذلك لتأكيد التوثيق لمن أراد مراجعة الأصل.

في مرحلة المقابلة (4): لا بد أن نعرف أهمية المقابلة وهي: تعد الوسيلة الأولى التي يتم بها التحقق من سلامة النص وصحته؛ وذلك بمطابقته على النسخة الأصل المعتمدة. وفوائد المقابلة: تقويم النص، اكتشاف الخطأ الذي قد يحدث من المؤلف مرة ومن النسخ مرات. اكتشاف السقط واستكمالها.

(2) **تعريف المصطلحات:** يذكر تعريف المصطلح من المراجع العلمية المتخصصة، ويفضل ذكر ترجمته الإنجليزية، ثم المرجع الذي ورد به التعريف، ومحاولة ربط المصطلح بتعريفه في العلم الحديث، فنجد في مراجع اللغة: اللُّقُوءَةُ : داء يكون في الوجه يعجز منه الشَّدُّق (5)، وورد في المراجع العلمية: اللقوة: شلل الوجه، حيث تتغير هيئته الطبيعية وتزول جودة التقاء الشفتين والجفنين (6).

(3) ترجمة الأعلام وتعريف الأماكن والبلدان:

(أولاً) **ترجمة الأعلام:** تتلخص ترجمة الأعلام في خمسة أسطر للعلم؛ وتضم بعض المعلومات المهمة الموجزة منها:

- (أ) اسمه كاملاً وكنيته ولقبه ونسبته، وتاريخ مولده ووفاته بالهجري والميلادي.
- (ب) ذكر بعض مؤلفاته مع التركيز على المؤلفات التي من موضوع النص المحقق.
- (ج) المامة سريعة عن أبرز ما يتميز به العالم.
- (د) نذكر أهم خمس مصادر ترجمة له.

هناك بعض المصادر وكتب التراجم والمراجع التي تعنى بالأسماء العربية؛ وهذه بعض الأمثلة مرتبة هجائياً حسب عناوينها مذكور بعدها اسم مؤلفها:

(1) الأعلام للزركلي.

4 المقابلة: هي مقابلة المخطوط بعد نسخه مع الأصل وهو أهم عناصر النسخة في التراث العربي. وقد تحدث عنها كل من القاضي عياض والعلموي في كتابي الإنباغ والمعبد. وهي المعارضة وقد جعل ابن الصلاح المقابلة والمعارضة في مفهوم واحد. (د. أحمد شوقي بنين ود. مصطفى طوي: مصطلحات الكتاب العربي المخطوط (معجم كوديكولوجي)، ص 332، ص 336).

5 ابن منظور: لسان العرب، (مادة لقو)، ج 12، ص 317، ويعرف في الطب الحديث بأنه شلل العصب السابع.

6 د. أحمد فؤاد باشا: معجم المصطلحات العلمية في التراث الإسلامي، ص 179.

- (2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.
- (3) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.
- (4) تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين.
- (5) الجواهر المضئية في طبقات الحنفية للقرشي.
- (6) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي.
- (7) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني.
- (8) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي.
- (9) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد.
- (10) الشعر والشعراء لابن قتيبة.
- (11) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي.
- (12) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.
- (13) الفهرس للنديم.
- (14) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.
- (15) الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة للغزي.
- (16) معجم الأدباء لياقوت الحموي.
- (17) معجم المطبوعات العربية والمعرية ليوسف اليان سركيس.
- (18) معجم المخطوطات المطبوعة لصالح الدين المنجد.
- (19) معجم مؤلفين لعمر رضا كحالة.
- (20) زهه الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري.

واكتفي بهذا القدر؛ لأن المقام لا يسمح بسرد عناوين الكتب التي تعنى بأسماء المؤلفين، فهناك عشرات المؤلفات التي تعنى بالتراجم منها كتب تراجم للفراء، والمفسرين، والمحدثين والرواة، والفقهاء الأصوليين، والشيعية والمعتزلة، والزهاد والصوفية، واللغويين والنحاة، والأدباء والشعراء، والأطباء والفلاسفة والقضاة، والخلفاء، والوزراء، والمؤرخين، والنسابين، وتراجم خاصة بالنساء، وكتب تراجم حسب البلدان، وحسب المذاهب، وحسب الفنون، وحسب القرون، ناهيك عن الموسوعات التاريخية التي ترجمت لمئات، بل لآلاف المصنفين ومثال على ذلك: (تاريخ الإسلام) للذهبي الذي ضم 40 ألف ترجمة⁽⁷⁾.

وهناك دلالة مهمة لا بد أن نأخذها في الاعتبار وهي دلالة السياق؛ فقد يكون السياق هو الحَكم الرئيس في بعض الأحيان؛ فقد يرد اسم مؤلف مثل: ابن الأثير، وهناك ثلاثة مؤلفين ممن اشتهروا بلقب ابن الأثير، فيكون الحَكم هنا هو السياق، فإذا كان سياق الكلام في المخطوط أو موضوع المخطوط في علم الحديث، إذن المقصود هنا هو ابن الأثير المحدث؛ وهو الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى 606 هجرية⁽⁸⁾، وصاحب كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول(ص)⁽⁹⁾. وإذا كان سياق الكلام في المخطوط أو موضوع المخطوط في علم التاريخ، إذن المقصود هنا هو ابن الأثير المؤرخ وهو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المتوفى سنة 630 هجرية⁽¹⁰⁾، وصاحب كتاب الكامل في التاريخ⁽¹¹⁾.

وإذا كان سياق الكلام في المخطوط أو موضوع المخطوط في علم الأدب والبلاغة، إذن المقصود هنا هو ابن الأثير الأديب؛ ضياء الدين أبو الفتح نصر الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري

7 د. عابد سليمان المشوخي: المخطوطات العربية مشكلات وحلول، ص 36 وما بعدها .
8 عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، ج 3، ص 13، خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 5، ص 272، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، ج 2، ص 2.
9 حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 535 .
10 عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، ج 2، ص 523.
11 حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 1380 .

المتوفى 637 هجرية (12). وهكذا فإن دلالة السياق دلالة قاطعة ومهمة على الجزم بصحة المؤلف خاصة إذا تشابهوا عدة مؤلفين في اللقب مثل الحالة التي سبق ذكرها.

كما أن هناك أمر مهم وهو ضرورة التركيز على الأعلام المغمورين، والتغاضي عن الأعلام المشهورين شهرةً مستفيضة، أو الإحالة إلى بعض المصادر التي تترجم لهم دون الاستفاضة في ذكر ترجمة لهم.

(ثانيًا) تعريف الأماكن والبلدان:

- (أ) يقتصر التعريف بالمغمور منها، ويهمل المشهور مثل: مكة والمدينة والقاهرة .
- (ب) يكون التعريف مقتصرًا لا يتجاوز ثلاثة أسطر، يركز على أبرز ما يحدد الموضوع.
- (ج) يتم الاستعانة بكتب معاجم البلدان قديمًا وحديثًا؛ لتحديد الموضوع والمكان بدقة.
- (د) على المحقق الإحاطة بتشابه أسماء بعض المدن والبلدان؛ مثل: البصرة فهو اسم مدينة موجودة في دولتين وهما العراق والمغرب، ويمكن تحديد ذلك بدقة من خلال السياق، وأيضًا الرجوع إلى بعض المؤلفات مثل: المشترك وضعًا والمفترق صقًا في أسماء البلدان، لياقوت الحموي المتوفى سنة 626 هجرية (13).

(4) تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة:

(أولًا) تخريج الآيات القرآنية: نود التأكيد أنه لا سبيل إلى الخطأ في الآيات القرآنية مطلقًا؛ ومن ثم وجب على المحقق التدقيق في إيراد الآيات القرآنية في النص للمحقق؛ وترد الآيات القرآنية على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إذا ظهر للمحقق وجود خطأ واضح في رسم الآية، وكتابتها وضبطها بالشكل، وتأكد له أنه خطأ محض، ولا وجه له، فهنا يتوجب عليه أن يصحح ذلك في متن النسخة، ويشير في الهامش لأصل الخطأ، حتى لو كانت نسخة بخط مؤلفها.

النوع الثاني: أن يورد بعض المؤلفين آيات من القرآن على وجه من أوجه القراءات، وهنا يجب على المحقق أن يبيّن هذه الآيات كما هي بروايتها ويوردها، ولكن بدون قوسين «أزهريين» يضعها بين قوسين (هلالين)، وينبه في الهامش على أنها وردت برواية كذا، وهي مخالفة لرواية حفص عن عاصم، مثلاً، التي بين أيدينا. كما تضبط الآيات القرآنية على حسب ورودها في المصحف، ما لم يكن للمؤلف غرض آخر إذ أوردها المؤلف بتشكيل خاص على رواية فتبني كما أوردها المؤلف مع الإشارة لذلك في الهامش. ولكي يتأكد المحقق من صحة الرواية التي بين يديه فهناك نوعان من المصادر:

الأول: كتب القراءات؛ وهي:

- (1) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد.
- (2) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني.
- (3) الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر ابن بادش.
- (4) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري.
- (5) إتصاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبنبا الدمايطي.
- (6) حجة القراءات، لابن زنجلة.
- (7) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، لابن جني.
- (8) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي.

الثاني: كتب التفسير، وهي كثيرة وأخص منها الكتب التي تعنى بالقراءات؛ مثل:

- (1) تفسير الطبري.
- (2) تفسير القرطبي.

12 عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، ج 4، ص 28.

13 ياقوت الحموي: المشترك وضعًا والمفترق صقًا، (مادة بصرة)، ص 57.

(3) البحر المحيط.

(4) الدر المصون، لابن السمين الحلبي وغيرها.

النوع الثالث: قد يكتفي بعض المؤلفين بذكر موضع الشاهد من الآية، فتسقط بعض الحروف والكلم؛ مثال: الواو- التاء- إن- قل؛ وما شابه ذلك نحو ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (14) فيقتصر على ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أو على ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، فنبقى عليها كما هي حفاظاً على أمانة التحقيق ومقصد المؤلف، إلا أننا ننبه على ما تُكْمَل به الآية في الهامش. كما أن هناك أمور مهمة يجب أن يتبعها المحقق في إيراد الآيات القرآنية ويجب تطبيقها على الأنواع أو الحالات الثلاثة السابقة؛ وهي: "إذا وردت آية فلا بد من ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش؛ فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. وإذا احتاجت بعض الآيات إلى تفسير، فيقتصر على ما يناسب المقام من كتب التفسير المعتمدة كتفسير الطبري، والقرطبي، والبغوي، والحافظ، وابن كثير، على سبيل الاختصار كهذا: (ولمزيد من التفصيل في جامع البيان للقرطبي ج ...، ص....). أما إن احتاج الأمر للتعليق على بعض القراءات بالقدر الذي يوضح نوع القراءة (هل هي قراءة متواترة أم غير ذلك، ويكون بشكل موجز)" (15).

(ثانيًا) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة: ومن الأمور المهمة التي يجب أن يكون المحقق على علم ودراية بها، ولا يخطأ فيها هي تخريج الأحاديث النبوية، ولقد ذكر د.عبد الله عسيان كلامًا شافيًا في ذلك حيث يقول: "تخريج الأحاديث النبوية أمر لا بد منه للمحقق، وللتخريج مناهج معلومة عند علماء أصول الحديث ينبغي للمحقق مراعاتها في هذا الصدد من حيث العزو إلى المصادر المعتمدة عند المحدثين، ودراسة السند والحكم على الحديث صحةً وضعفًا وحسنًا ووضوحًا وسواء مما هو مقرر عند علماء هذا الفن. ويقتضي المنهج الأمثل أن يقتصر في التخريج على الكتب والمصادر المعتمدة للأحاديث النبوية من صحاح ومسانيد وسنن ومعاجم وأجزاء وغيرها من مصادر الحديث التي تكون جارية على الروايات المسندة، وتُخرج الأحاديث من هذه المصادر حسب أهميتها ومكانتها من حيث الصحة والتدرج التاريخي.

فإذا ورد الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فحسب المحقق ما جاء فيها، ولا حاجة للرجوع إلى غيرها إلا إذا اقتضت الضرورة مقارنة رواية كتابه الذي يحققه بما ورد في غير الصحيحين مما يوضح جانبًا من جوانب الرواية أو يفسرها، ومن الملاحظ أن بعض المحققين يسرف في الاستكثار من ذكر المصادر التي ورد فيها الحديث دون مراعاة لأهميتها وقيمتها في التخريج حتى أن بعضهم ربما ذكر ضمن مصادر التخريج مؤلفات معاصرين أو لا تمت إلى الحديث بصله كأن يعزوا بعضهم الحديث إلى بعض كتب الأدب كالعقد الفريد لابن عبد ربه أو البيان والتبيين للجاحظ.

ويهمل بعضهم الغاية من التخريج وهي تبيان درجة الحديث من حيث الصحة وعدمها على ضوء القواعد المقررة عند علماء أصول الحديث. والجرح والتعديل، وعن علم راسخ ودراية واسعة بأسرار هذا الفن وأصوله.

بعيدًا عن ما يعتمد إليه البعض من تتبع رجال السند فردًا فردًا، والترجمة الموسعة لهم بنقل ما يوجد في كتب الرجال والتراجم دون تمحيص واختيار ومراعاة لما تدعو الحاجة إليه، والنهج الأمثل في تحقيق رجال السند يقتضي الاكتفاء بإلقاء الضوء على بعضهم ممن يتوقف عليهم بيان درجة الحديث، ويقتضي الأمر بيان ما قيل فيهم من جرح وتعديل لدى الأئمة الموثوق بهم والحاجة ماسة لتخريج الأحاديث وبيان حالها، ولا سيما في كتب الزهد والرقائق وفضائل الأعمال، والكتب التاريخية والأدبية والوعظية والصوفية التي تكثر فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولعلماننا الأوائل تراث لا نظير له في هذا المجال حيث وضعوا قواعد دقيقة، وصنفوا كتبًا ومؤلفات جليلة تيسر سبل الوصول إلى الطريق السوي لعزو الأحاديث وتخريجها من مظانها، وتكشف النقاب عما هو صحيح منها مما تشوبه شوائب من ضعف أو صنع أو خلافة، وقد تحتاج بعض الأحاديث إلى بيان وإيضاح لما تشتمل عليه من مقاصد فيكتفي هنا من التعليق بالقدر الذي يزيل إشكالاً أو لبساً، وإذا كان المقام يحتاج إلى مزيد من البسط في حديث تناولته كتب شروح الحديث فيمكن الإحالة إليها؛ ليراجعها من يريد الاستزادة بدلاً من إثقال حواشي الكتاب بنقول يمكن الرجوع إليها في مظانها" (16).

14 سورة طه: الآية 114 ، جزء منها.

15 د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيان: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 212، 213، بتصرف.

16 المرجع السابق، ص 213 ، 214 .

لا بد من المحافظة على أصول الروايات بعيداً عن أي تصرف بالتغيير والتبديل تصويهاً وتصحيحاً، وإن كانت هناك ضرورة، فيوضح ذلك في الحاشية، عند النظر في تصحيح ألفاظ الحديث ينبغي مراعاة لغة المُحدِّثين، وما تختص به عما يوجد عند النحويين.

ولكي نفرق بين العزو والتخريج سوف نورد حديث ونذكر عزوه وتخريجه: حديث (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، (أ) العزو: صحيح البخاري. (ب) التخريج: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه إليه صلى الله عليه وسلم (17).

(5) الشهور القبطية والمغربية وحساب الجُمَل وكيفية التعامل معها: على المحقق أن يبقى على الشهور القبطية والمغربية كما وردت بالمخطوط، خاصة لو كانت نسخة المخطوط مكتوبة بالخط المغربي، وأن يشير إلى المقابل لذلك الشهر في الهامش، كما عليه حساب الجمل ووضعه في الهامش.

(6) توثيق النصوص (الضبط / المعنى): على المحقق أن يقارن بين النصوص التي يوردها المؤلف نقلاً عن غيره من العلماء، هل يوردها بالضبط أم بالمعنى، ويذكر ذلك في منهج تحقيقه في مقدمة التحقيق، وأن يورد النص كاملاً في الهامش.

(7) تخريج الأبيات الشعرية: على المحقق أن يورد عنوان الديوان واسم المحقق وبيانات النشر في الهامش؛ مثال: من اليهود كُذِّراءُ السَّراةِ وَبَطْنُهَا & خَصِيفٌ كَلَوْنِ الْحَيْقُطَانِ الْمُسَيِّحِ (18).

(8) التعليقات العلمية: عند ورود مصطلح فلا بد للمحقق أن يلقي الضوء عليه بالتوضيح والتعريف حتى يضيء النص للمحقق؛ فمثلاً: إذا ورد لفظ المحاورات (19)؛ يتم تعريفه كما ورد.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الكشافات، وقبل الحديث عن فوائد الكشافات، وأنواع الكشافات وأماكنها علينا أن نبدأ بتعريفها:

(1) تعريف الكشافات والغرض منها: هو لحق يوضع في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام وأسماء البلدان أو الفصول والأبواب، مرتبة بنظام معين.

(2) فوائد الكشافات:

- (أ) تحقق نوع من الإضاءة العلمية والتماسك العلمي.
- (ب) تختزل الوقت والجهد المبذول في تصفح الكتاب.
- (ج) تعد الكشافات أحد المعايير التي بواسطتها توزن به صحة الكتاب للمحقق.
- (د) أن المخطوط المحقق بدون الكشافات دون جدوى أو فائدة تذكر.

(3) أنواع الكشافات: هناك نوعان من الكشافات:

- (الأول) كشاف عام، أو الكشاف القاموسي؛ وهو عبارة عن: قائمة واحدة تضم جميع الألفاظ وجميع المصطلحات مرتبة ترتيب قاموسي.
- (الثاني) الكشاف النوعي أو الفهارس النوعية أو الفهارس الفنية؛ وهو عبارة عن: كشاف يضم كل الوحدات المصغرة التي تنتمي لفن واحد.

(4) عناوين الفهارس أو الكشافات: يتضمن عمل العديد من الفارس والكشافات منها: فهرس الآيات، فهرس الأحاديث، الأعلام،

17 البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث 6216، ص 6484.

18 أبو نفر أبو ضبيعة الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جدر الطائي: ديوان الطرمّاح بن حكيم، ص 106.

19 في الفلسفة طريقة التماور، أو المناقشة مع الآخرين بالتماور، اشتهر بها أفلاطون وسقراط، وكتب بها أفلاطون محاوراته المعروفة باسم "محاورات أفلاطون" (د.عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص 747، 748).

الأماكن والبلدان، المصطلحات العلمية، الألفاظ اللغوية، الأبيات الشعرية، القبائل، النباتات، المعادن، الحيوانات، الشهور، الأيام، فهرس القراءات، مع ضرورة التنبيه على (عدم اعتبار ال - أب - ابن) في ترتيب الفهرس، مع الإشارة لذلك في منهج التحقيق، وعنوان الكشف.

(5) طريقة صنع الكشف:

(أ) طريقة القوائم سألقة الإعداد: وفيها يقوم المحقق بالإعتماد على قوائم من كتاب آخر سبق تحقيقه وطباعته، ثم يقوم بحذف أرقام الصفحات وإدراج الصفحات الواردة في النص المحقق الخاص به، وزيادة بعض الأعلام أو المصطلحات وغيرها التي لم ترد في نصه المحقق، إلا أن هذه الطريقة توصم المحقق بالعقم لدى القارئ للوهلة الأولى؛ حيث أنه اعتمد على غيره من المحققين السابقين في اعداد القوائم، إلا أنني تمسكاً بالأمانة العلمية أثرت إيرادها هنا.

(ب) طريقة البطاقات: وفيها يعتمد المحقق على تدوين المصطلحات والآيات والأحاديث وغيرها في بطاقات، ويجعل كل فهرس بلون خاص به، ثم يقوم بتفريغ البطاقات في الفهرس بالترتيب الأبجدي، ومن عيوب هذا الطريق أن المحقق يمل خاصة بعد أن يجد نفسه غارقاً في أكوام من البطاقات لكل فن ولكل مصطلح، مثال لبطاقة الفهرسة:

وتتضمن الآية، واسم السورة: ورقمها، والآية، والحرف الذي تبدأ به الآية، والصفحات التي وردت بها في النص المحقق.

(أ)
آيات

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾
[العلق : 96 / 1]
حرف (ا) ص (15 ، 20 ،)

(ج) جداول الإكسل: ويعتمد المحقق في هذه الطريقة على استخدام جداول الإكسل: وهي أسهل وأدق الطرق وأصوبها، إلا أنها تتطلب معرفة المحقق بجداول الإكسل.

(ثانياً) إبراز وتوضيح فكرة المنهج:

تلك الفكرة التي وصّمت بها بعض المستشرقين زاعمين غيابها عن الأطباء العرب خصوصاً، والعلماء العرب عمومًا، للترويج أن المنهج وليد الحضارة الغربية الحديثة، دون غيرها، وهو ما اثبت فساده العلم الحديث. فنجد أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى 311 هجرية(20)، اتخذ منهج محدد في كتابه الحاوي في الطب(21)؛ وهو أن يعالج الأمراض التي تصيب الرأس وشرع في ذكر كل عضو في الرأس وأمراضه وعلاج هذا العضو من هذا المرض، ثم ينتقل إلى الحديث عن الصدر، ثم البطن ثم الرجلين وهكذا.

ونجد فكرة المنهج واضحة جلية أيضاً عند الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي

20 كحالة: معجم المؤلفين، ج 3، ص 304، 305، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 1، ص 309 وما بعدها، البغدادي: هدية العارفين، ج 2، ص 27 وما بعدها.
21 حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 628.

البخاري المتوفى 428 هجرية (22) في كتابه القانون في الطب (23)؛ فنجدته من حيث الشكل مقسم إلى خمسة كتب، كل كتاب مقسم إلى فنون، كل فن مقسم إلى تعاليم، وكل تعليم مقسم إلى فصول.

يُعتنى الكتاب الأول بالأمور الكلية في علم الطب، بينما يُعتنى الكتاب الثاني بالصيدة وتحديداً بالأدوية المفردة. أما الكتاب الثالث فيبحث في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضواً من الرأس إلى القدم ظاهرياً وباطنيهاً. ويُعتنى الكتاب الرابع، بالإضافة إلى الزينة، الأمراض الجزئية غير المتعلقة بعضو بالذات. ويُعتنى الكتاب الخامس بتركيب الأدوية. وهكذا تظهر فكرة المنهج في الكثير من المؤلفات الطبية العربية وما أوردته هو مثال بسيط على ذلك.

(ثالثاً) منهج المحقق:

ضرورة توضيح منهج المحقق في التحقيق وهو نقطة مهمة؛ فلقد ظهرت بعض التحقيقات مؤخرًا، تنقص من الدراسة السابقة للنص المحقق، وإن وجدت الدراسة خلت من منهج المحقق في التحقيق، معتمدةً على مدى فهم واستيعاب القارئ للنص المحقق، ومن ثم فقد أشانت النص المُحقَّق والمُحقَّق على حدٍ سواء.

(رابعاً) تطبيق الأسس في نشر النص الطبي المحقق:

ضرورة إتباع بعض الأسس في نشر النص الطبي المحقق؛ منها: وضع ترجمة للمصطلحات بجوار التعريفات، وهو أمر أصبح ميسر؛ حيث صدرت بعض المعاجم تدرج مقابلات المصطلحات باللغة الإنجليزية وتعريفها باللغة العربية، وكذلك وضع كلمة ملخصة باللغة الإنجليزية عن النص في حدود صفحتين في نهاية النص المحقق؛ حتى يعرف الغرب عن تراثنا العربي بعض المعلومات ولو بالمختصر المفيد.

(خامساً) النشر التراثي متعدد اللغات:

إذا كان النص الطبي صغير الحجم ومهم، فمن الضروري ترجمة النص إلى اللغة الإنجليزية، وإذا كان النص صادر عن بعض المؤسسات أو المكتبات فمن الضروري تبني فكرة النشر التراثي متعدد اللغات.

(سادساً) اصدار نسخ (Faxmily):

وهو نسخة طبق الأصل من المخطوط الطبي المحقق، ورافقه بالنص المحقق للبيع معه، وهو ما يضيف جمال ورونق للنص الطبي المحقق؛ حيث يشعر القارئ أنه يملك نسخة طبق الأصل من النص المخطوط، كما أنها تمنع سرقة المخطوطات أو على الأقل تعمل على تقليلها.

(سابعاً) توظيف النص الطبي التراثي:

وهو أمر مهم للغاية؛ ويتطلب فهم طبيعة المخطوط الطبي المختار للتحقيق وكيفية توظيفه، بحيث نحيا التراث فينا لا أن نحيا نحن في التراث، وهو خطوة أولية يمكن تطبيقها بعد ذلك على جميع في التراث العلمي العربي من فلك ورياضيات وكيمياء وغيرها من العلوم العربية.

22 كحالة: معجم المؤلفين، ج 1، ص 618 وما بعدها، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 2، ص 2، ص 20، القفطي: تاريخ الحكماء، ص 413 وما بعدها.

23 حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 1311.

الخاتمة ومستخلصات البحث

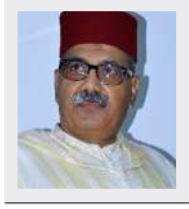
- وفي نهاية بحثي أود أن أخص النقاط الأساسية التي عرضت لها والنتائج التي توصلت لها، وهي:
- (1) على المحقق أن يكون ملماً بمراحل التحقيق الثلاثة أو الأجزاء الثلاثة للتحقيق.
 - (2) المرحلة الأولى لا يتم صياغتها إلا بعد تحقيق نص المخطوط.
 - (3) إذا احتوى المخطوط الطبي على رسوم طبية توضيحية؛ يمكن وضعها في النص المحقق، أو توضع بعد النص المخطوط بشرط الإشارة إلى رقم الرسم في مكان الرسم داخل النص بين قوسين معكوفين [] .
 - (4) لا يتم عمل الفهارس إلا بعد استلام النسخة الأخيرة من المطبعة؛ لعمل فهراس النص المحقق؛ حتى لا يحدث تعديل ويفقد الفهرس مصداقيته.
 - (5) ضرورة عمل فهرس بالمصطلحات العلمية في نهاية التحقيق حتى يستعين غيرك بالمصطلحات التراثية الواردة في النص المحقق.
 - (6) هذا بالإضافة إلى ضرورة الاعتناء بالخراج الطباعي للنص التراثي، حتى يقبل القارئ على قراءة ودراسة الكتب العلمية التراثية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهية، ط1، القاهرة، 1299 هـ / 1882 م، الجزء الأول والثاني.
2. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ج3.
3. باشا، أحمد فؤاد (دكتور): معجم المصطلحات العلمية في التراث الإسلامي، مركز تحقيق التراث العربي، ط1، القاهرة، 1434هـ = 2013م.
4. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري (= الجامع الصحيح)، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، 1421 هـ ، رقم الحديث 6216.
5. البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413 هـ / 1992 م، ج 2.
6. البغدادي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صفحاً، ط 2 ، عالم الكتب، لبنان - بيروت، 1406هـ / 1986 م، مادة بصر.
7. بنين؛ د. أحمد شوقي، ود. مصطفى طوي: مصطلحات الكتاب العربي المخطوط (معجم كوديكولوجي)، ط 4، الخزنة الحسينية، الرباط، 2011 م .
8. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالما كاتب الجلي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413 هـ= 1992 م.
9. الحفني، عبد المنعم (دكتور): المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة 2000.
10. الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت - لبنان، 2002، ج 5 .
11. الطائي: أبو نفر أبو ضبيعة الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جدر؛ ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق د. عزة حسن، الطبعة الثانية، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، 1414هجرية، 1994م.
12. عسيلان؛ أ. د. عبد الله بن عبد الرحيم: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1415هـ = 1994م.
13. العلقي، سري الدين ابن الصائغ الحنفي: كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب، دراسة وتحقيق د. شريف علي الأنصاري؛

- دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 2019م.
14. القفطي، جمال الدين: تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبث، جامعة لينزغ، ألمانيا، 1905 م.
15. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت-لبنان، 1414 هـ = 1993م، عدة أجزاء.
16. د. عابد سليمان المشوخي: المخطوطات العربية مُشكلات وحلول، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1421 هـ / 2001 م .



المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط

أهمية خوارج النص في المخطوط التراثي الطبي العربي، و كيفية التعامل معها

الأستاذ الدكتور حميد لحمر
أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله / فاس

بسم الله الرحمن الرحيم
و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين ، و بعد.
السيد رئيس الجلسة المحترم .
السادة الأساتذة ، أعضاء المنصة
الحضور الكرام .
تحية طيبة ، و طاب مجلسكم العلمي المبارك

و يسعدني في افتتاحية مداخلتي أن أبارك للجنة إحياء التراث الطبي بكلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس، حسن اختيار موضوع هذه الدورة، هذا الموضوع الذي يتناول لب اختصاصاتها و اهتماماتها الأساسية، فهو يتمحور حول: الكتاب التراثي الطبي العربي المخطوط و سبل إنقاذه.

فاختيار الندوة لعنوان: "التراث الطبي العربي المخطوط بين الإحياء والدراسة والممارسة المهنية" يعني الدعوة إلى إنقاذه بالصيانة له أولا، وتحقيق نصوصه ثانيا ، وإعادة قراءته ثالثا.

بعد إخراجه في طبقات تليق به، وحتى يتيسر إخضاع مادته العلمية للتنزيل، أي التفعيل العملي. و هو شيء جميل، ذلكم لأننا في وقت - أو مرحلة - كل منا من جهة اختصاصه يروم إنقاذ التراث المخطوط العربي بمختلف أنواعه و علومه، و منه التراث الطبي، الذي تسعى النهوض به كلية الطب و الصيدلة الرائدة بفاس، و التي كانت سباقة في تقديره إلى تسجيل رسائل و أطاريح علمية لنيل شهادة الدكتوراه حول الكتاب الطبي العربي المخطوط.

الحقيقة أن الفكرة كان وراءها رجال هذا الصرح العلمي، و قد أيقنوا وأمنوا بقيمة تراثهم الطبي العربي، وقدروا رجاله وعلماء الأوائل، و ما قدموا فيه من خدمات طبية للإنسانية، و إضافات و استدركات علمية على من سبقهم، و أخذوا على عاتقهم المحافظة على الموروث الطبي العربي، هذا الموروث الذي كان - في القرون القليلة الماضية- يشكل المصادر الأساسية في حلقات الدرس الطبي بالجامعات الغربية، فشكر الله لهم سعيهم جميعا على سنهم لهذه الندوة العلمية الدولية، التي تواصلت بطريقة منتظمة إلى دورتها العاشرة.

وتزداد أهمية هذه الدورة - العاشرة - أن انفتحت على جهات متعاونة، و باحثين كبار و خبراء في هذا المجال، عرفوا بمشاركاتهم الكثيرة المتميزة في التأليف و المدراسات.

السادة الأساتذة والحضور الكرام :

من المعلوم أن من عمليات إنقاذ التراث المخطوط -عموما- ومنها الطبي على الخصوص حتى يتيسر الاستفادة منه، أن يخضع لعملية التحقيق.

والتحقيق وفق ما بينه خبراؤه القدامى والمتأخرين والمعاصرين، وصلنا في مؤلفات، أنه لا بد أن يمر مجموعة من الترتيبات، وينضبط مع مجموعة من الآليات والتقنيات، وهي كلها أساسية وضرورية، والحديث حولها طويل ومتشعب.

ولما كان الأمر على هذا الحال، اخترت أن أتناول التحدث عن أحد جزئيات مباحثه المهمة مما يلزم الانتباه إليه، ومنحه ما يستحق من عناية واهتمام، وإلا فقد يصنع المحقق - المبتدئ- المفاجأة المؤسفة.

فمما لا يغدر بجهله في علم تحقيق النصوص التراثية المخطوطة - عموما - ومنها الكتاب التراثي المخطوط الطبي العربي على الخصوص، ما يعرف عند علماء الكوديكولوجيا CODICOLOGIE أي: "علم المخطوط" ب: "خارج النص".

وخارج النص المرادة عندنا، هي: تلكم الكتابات بمختلف مواضعها، أو الرسومات أو العلامات التي توجد بالنسخة المخطوطة، خارج النص الأصلي للكتاب، وهي عادة ما تكون، إما: تعليقات، أو تصحيحات، أو تمليكات، أو وقفيات، أو إجازات، أو مطالعات، أو سماعات أو استدراكات، و قيود البيع والشراء للكتاب، وغيرها مما لا يخلو من الفوائد، مما لا علاقة له بالنص الأصلي الذي تركه المؤلف بخط يده، وصحت نسبته إليه.

وإن المعطيات الموجودة في: "خارج النص" التي لا تخلو منها كتب الطب التراثية المخطوطة، لتعتبر من أنفس المواد الخادمة للنص الأصلي للمؤلف - أحيانا -، فهي قد تفيدها بمعلومات وفوائد معرفية لا وجود لها في أي مصدر آخر، مثل: الشروح والتعليقات - على الخصوص - التي تكون في طرر الكتاب وهوامشه، ومقدمات وقيود فراغ أو ختم المخطوطات الطبية، فهي تجيب أحيانا عن تساؤلات عديدة، يستفيد منها محقق الكتاب، ويحاول إثباتها بهوامش تعليقاته، أو بقسم دراسته للكتاب المخطوط، كما أنها تشكل للباحث، قيمة مضافة للكتاب الأصلي المحقق.

على أن التجربة والمعاناة لبعض الأصول العلمية الطبية العربية المخطوطة، أوقفتنا على نماذج من خوارج نصوص مخطوطاتها الطبية مما حرر بالقلم العربي، باللغة العبرية واللاتينية وغيرهما من اللغات، وأغلبها قديم، وكان في وقت متقدم. وهي ظاهرة تعكس مدى اهتمام علماء الغرب بالتراث الطبي العربي واستفادتهم منه، ومحاوله الإضافة إليه من خلال مسالك، منها: إما بتأليف مستقلة، أو ترجمات لكتب عربية، أو تعاليف وشروحات تدخل ضمن ما يطلق عليه بـ "خارج النص".

وقد وصلنا من هذه النماذج الشيء الكثير، كما أن المكتبات الأوروبية شاهدة على ذلك بما تحتفظ به من نماذج، والسادة الأطباء المهتمين والمتابعين لهذا الشأن يعرفون هذا.

فالعديد من المكتبات الأوروبية- و إلى وقتنا الحالي - تزخر بالعديد من كتب التراث الطبي العربي المهمشة أو المملوءة الهوامش - أو المطررة - بالتعليقات والإضافات والمقارنات والاستدراكات، وهذا مما لا ينبغي تجاهله والقفر عليه من قبل المحقق للكتاب المخطوط الطبي العربي.

وحديثي في هذه الورقة سأركز فيه على مسألة تبدو بسيطة، ولكنها - في تقديري - ذات حمولة ثقيلة الفائدة، ولا يعلم هذا إلا من جرب هذا المجال.

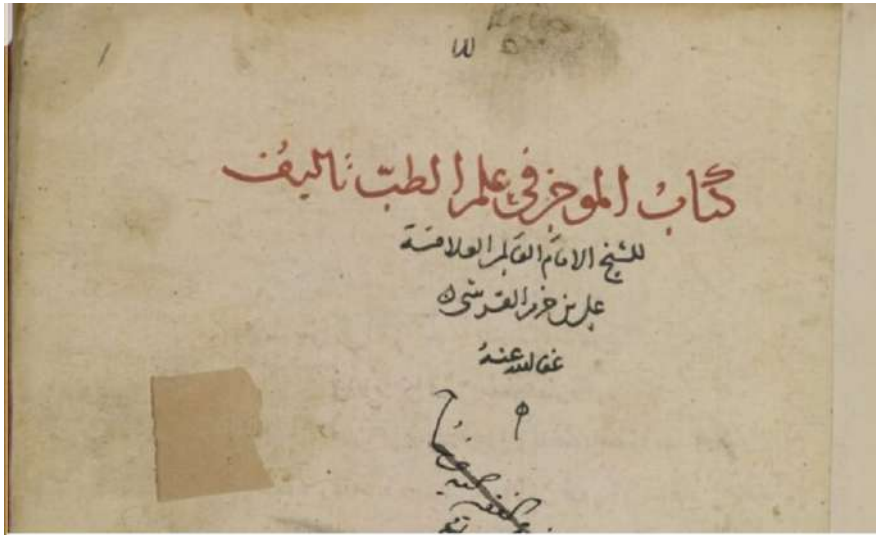
ولقد رتبت فقراتها في: مدخل عام، و مبحثين أساسيين وخاتمة :

- في المدخل: حديث عن أسباب و دوافع اختيار الكتابة في الموضوع.
- المبحث الأول: مصطلح "خوارج النص" المخطوط ، معناه ، وأنواعه.
- المبحث الثاني: أهمية خوارج النص التراثي الطبي العربي المخطوط، وكيفية الاستفادة منها.

إن من مجموع أسباب و دوافع اختياري الكتابة في الموضوع المقترح ، هو في الحقيقة يعود بالأساس إلى ما لاحظته مملصق الندوة، الذي يشتمل على صورة ورقة كتاب طبي مخطوط ، و قد أحيطت هوامشها أي حاشيتها وطرقتها، بتدوينات وقيود فقرات، أغلبها عبارة عن شروح و توضيحات وتفسيرات، وبعضها عبارة عن تصويبات و تصحيحات، و قد اشتهرت هذه الهوامش ، و عرفت عند المهتمين بالتراث المخطوط ب : خوارج النص " هذا أولا .

ثانيا : الرغبة في لفت نظر المهتمين بالتراث الطبي العربي المخطوط إلى أن أغلب ما حقق من كتب هذا العلم، لم يراع فيه ضروريات و تقنيات علم تحقيق النصوص عموما، و منها الانتباه إلى خوارج النص التي لا تخلو من فوائد. فكانت النتيجة أن صدرت أغلب الكتب التراثية المخطوطة ناقصة، و منها الكتاب الطبي .

أعود فأقول: بأن من أهم ما أثار انتباهي، وأنا أنظر في عنوان الندوة، ملصقها الإعلاني المزين بصورة لصفحة مخطوطة من كتاب: "الموجز في علم الطب لابن النفيس" وهو الطبيب الشهير علاء الدين بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس، و كتابه هذا يعتبر من أمهات كتب الطب العربي التي لم يستغن عنه طبيب و من أتى بعده، من العرب و العجم، و هو شرح ومختصر لكتاب القانون في الطب لابن سينا.





أصل هذه النخسة من مكتبة أنجلترا ، بهوامشها مجموعة من التقييدات



هذه ورقة مهمشة بالتعليق والشروح والتوضيحات، وبين الأسطر، من قبل طبيب قارئ للكتاب، و كل كلمة معلم عليها بالأحمر يقابلها شرح خارج عن النص الأصلي .

فبسبب هذه الهوامش، حضر بالبال، أن كل من سوف يتمعن في هذه الصورة، سيتساءل عن هذه الكتابات التي بهامش هذه الورقة وغيرها، وما الغرض منها، وما فائدتها؟ وكيفيّة التعامل معها؟ سيما وأنّها تنتشر بأغلب الكتب المخطوطة، والقليل من يلتفت إليها، ويعيرها ما تستحق من عناية.

وسبب ذلك، هو عدم العلم والإلمام، بعلم حديث يسمى بعلم المخطوط "أو الكوديكولوجيا"، والذي يهتم بمثل هذه الحالات، وينبه عليها وقيمتها، ويعتبر الجهل بها يفوت النتائج الإيجابية في عملية التحقيق، والقراءة الصحيحة للنص المخطوط، وقد نبه على هذا من ألف في الموضوع، نذكر منهم: الباحث المقتدر الأستاذ أحمد شوقي ببنين، في كتابه: "دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي" وقد كان هذا منذ أزيد من عقدين يقول في بعض مباحثه أثناء الحديث عن كثرة الأخطاء في بعض المخطوطات المحققة:

"و يرجع السبب بالأساس إلى أن النسخ المعتمدة لم تخضع للبحث الفيلولوجي الدقيق كما أنها لم تطبق في دراستها قواعد وأساليب علم المخطوطات الحديث، فما هو الدور الذي تلعبه الكوديكولوجيا في عملية التحقيق العلمي؟" انظر صفحة 30 الطبعة الثانية.

- إن هذه الظاهرة التي تكثر عادة بحواشي وطرر الكتب المخطوطة، وتارة بين أسطر متنها، هي لا تخلو:
- إما أن مما سقط من صلب النص الأصلي، واستدرك بالهوامش، وعلم عليه برمز التصحيح. "صح" صغيرة
- وإما عبارة عن شروح وتوضيحات واستدراكات وتعليقات.

فالصنف الأول، هو سقط من الأصل استدركه الناسخ بعد مقابلة ما نسخ بنسخ أخرى، فهو بالتالي يعتبر جزء من النص الأصلي، فيلزم حينئذ إضافته إلى النسخة المعتمدة، عند عملية التحقيق.

أما الثاني: مما أضيف إلى النص بالهوامش من الشروح والتوضيحات والاستدراكات، فهو خارج عن النص. يمكن الاستفادة منها في إغناء معلومات النص الأصلي، بالتوضيحات والإضافات بالهوامش السفلية للنسخة المطبوعة.

فاعتبارا لكل هذا، كانت المناسبة مواتية لتوضيح جانب من جوانب اهتمامات المعنيين بتحقيق النصوص التراثية المخطوطة عموما، والطبية على الخصوص، سيما وتحقيق النص التراثي المخطوط ليس بالسهل، وتزداد الصعوبة حين يمارس العملية طالب الطب المبتدئ، والذي في الغالب ينقصه الإلمام بمجموعة من التقنيات والفنون والعلوم المساعدة على قراءة النص القراءة الصحيحة، وتزداد الصعوبة حين يتعلق الكتاب بالطب ومصطلحاته المتعددة والمتنوعة التي منها ما هو عربي، ومنها ما هو لاتيني أو يوناني.

وفي إطار التقسيم السابق لمباحث هذه الكلمة، نقول عود على بدء.

فأقول في المبحث الأول الذي يتناول: مصطلح "خوارج النص" المخطوط، معناه، وأنواعه.

الكتاب التراثي العربي المخطوط يتميز بأنه إلى جانب نصه الأصلي الذي حرره المؤلف، وأراد أن يكون بين أيدي القراء، أن قد تشتمل بعض نسخه، وعلى الخصوص النسخ المتفرعة عن الأصل، مما قرأه الغير وقوبل، على قيود كثيرة ومتنوعة بأول أوراقه وآخرها وأحيانا بحواشيه، وهي لا تخلو من فوائد، ولا يستغني عن استيعابها وتفهمها كل من: المفسر والمحقق - معا -، بل هي مما لا يعذر بجهله خبير التراث المخطوط - عموما - فأحرى المحقق.

وقد اصطلح خبراء التراث العربي المخطوط على هذه القيود ب: "خوارج النص" وهم يعنون بها: كل ما عدا النص الأصلي الذي حرره المؤلف مما نجده على غلاف الكتاب، أو في الحواشي، أو الطرر، وكذا بالصفحات الأولى بعد عنوان الكتاب، أو الصفحات الأخيرة من الكتاب عند حرد المتن، أي قيد الختم.

وهي على العموم التقييدات المدونة من قبل النساخ أو المصححين، ضمن متن النص الأصلي، وهي في الغالب تحتوي على فوائد ذات قيمة علمية كبيرة، تجيب في غالب الأحيان على أسئلة كثيرة ومتنوعة، و لذلك يمكن اعتبارها نبراسا لدارس الكتاب.

ولهذا كانت ذات أهمية كبرى، ومعرفتها والإلمام بتقنيات التعامل معها، و كيفية الاستفادة منها من ضروريات البحث التراثي المخطوط.

و اعتبارا لكونها تعنى بكل ما هو خارج عن النص الأصلي و أنها كثيرة المباحث، و الوقت لا يسعف لتناولها بالكامل، تم التركيز بالتنبيه على التسجيلات التي بهوامش و طرر الكتاب الأصلي، و التمييز بين ما هو من صلب النص الأصلي، و ما هو خارج عنه، و يمكن الاستفادة منه.



نسخة من كتاب الموجز في علم الطب لابن النفيس من المكتبة التيمورية بمصر

ثم هذه التقييدات التي تكون بالهوامش قد تكون من قبل المؤلف نفسه، أو من بعض تلامذته و هنا يمكن أن نتساءل عن كيفية التعامل مع هذه الإضافات التي بهوامش المخطوط؟؟

يتفق علماء تحقيق النصوص التراثية العربية المخطوطة على أن بعض ما يسجل بهوامش و طرر المخطوطات من إضافات وتعليقات و شروح، يستفاد منها في قسم التعليقات بالهامش السفلي، حيث يمكن إضافتها بهوامش التحقيق، وأحيانا قد يضطر الباحث المحقق توظيفها في قسم الدراسة للمخطوط، يستشهد بها.

ثانيا: و الباحث يراجع هذه الهوامش و الطرر، لابد أن ينتبه فلعل ما بين يديه عبارة عن مسودة

إبرازة للكتاب لم تهذب بعد ، و هذا يمكن معرفته مما قد يسجله المؤلف في أول ورقة الكتاب أو طرره ،مما يعتبر من خوارج النص ، أو من خلال المحو و التشطيب أحيانا ، و هو مما يجب الانتباه إليه ، و هو يعتبر من صميم علم المخطوط .

و الإبرازة : هي النسخة التي أبرزها المؤلف، بإعادة النظر فيها مرة أخرى و أضاف إليها ، فهي النسخة المزيذة المنقحة .. فهذه قد تكون لا زالت بهامش النص الأصلي ، فهي على هذا عبارة عن مسودة.

و إذا تعددت الإبرازات و اختلفت، فعلى المحقق أن يختار إبرازة واحدة منها، و لا يمزجها بغيرها، و لو صنع ذلك لأحدث شيئا لم يكن موجودا من قبل، لأن وظيفته العلمية ، هي المحافظة على كل ما يروى بلا زيادة ولا نقصان.

و للمحقق أن يقدم النسخة التي أبرزها المؤلف بنفسه على تلك التي أبرزت بعد وفاته، و يقدم المسهبة على المختصرة، و المصححة على التي فيها خلل، فإن كان هناك إبرازتان كل منهما مهمة، و الفرق بينهما كبير، فالأحسن نشرهما معا.

فالمراد بالمسودة إذن، هي النسخة الأولى التي يحررها المؤلف، قبل أن يهذبها و يخرجها سوية، فتصبح مبيضة، أو هي الشكل الأولي للكتاب - المليء بالمحو و الشطب و الاضطراب، و ما إلى ذلك 1. و الحديث هنا عن مسودة الإبرازة التي قد تكون لا زالت بهوامش الكتاب الأصل و هي على هذا ليست من خوارج النص.

و المسودة لا تعتمد أصلا في التحقيق، إنما تعد أصلا ثانيا استثنائيا لتصحيح القراءة فحسب، إلا إذا عرف عن المؤلف أنه لم يخرج غيرها، فتكون حينئذ هي الأصل الأول. و لو كانت لا زالت بالهوامش.

و لقد وصلنا العديد من الكتب المخطوطة على هذا الشكل.

و أكتفي بهذا، و الحمد لله الذي بفضلته و نعمته تتم الصالحات.

و السلام عليكم و رحمة الله.

المحور الثاني: الكتاب الطبي المخطوط



التعرف الآلي على محارف المخطوطات الطبية المغربية باستخدام التعلم العميق المدعوم بالشبكة العصبية الاصطناعية الالتفافية

عز الدين غازي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض مراكش،
المغرب

ملخص:

تروم هذه الورقة التي تدخل في إطار مشروع رقمنة المخطوطات الطبية العربية والإسلامية معالجة نظام كتابة المخطوطات والمساعدة على التحقيق بهدف الاستثمار فيها فنيا وعلميا وتقنيا وذلك باستخدام تقنيات التعرف الآلي على نظام الكتابة (character recognition) مسحاً ومعالجة، كما ستركز على متن الخط المغربي 'المبسوط' المعتمد في المخطوطات المغربية؛ باستثمار تقنيات التعلم العميق (Deep Learning) وخاصة خوارزميات التعرف البصري على المحارف القائمة على المنهجية المختلطة المتعددة الأبعاد: والمتمثلة في الشبكات العصبية الاصطناعية الالتفافية (Convolutional Neuronal Network) ونماذج ماركوف الخفية (HMM)، وذلك بتوضيح الهدف منها، وكيفية التعرف الآلي بتطبيق المعالجة الخارج- زمنية (off-line) واتباع المراحل التالية: (1) المعالجة الما- قبلية للأشكال والحروف بهدف التنبؤ الصحيح بالحرف؛ وإزالة الشوائب وتجزئة الصورة؛ و(2) تقسيم الصورة الفرعية متفردة عندما يتم تغيير الحجم والبيكسل؛ و(3) التعرف والتصنيف؛ و(4) تشفير وإعادة تشفير الشبكة الاصطناعية وتوسيعها بإعداد البيانات الإضافية لحل حالات التعرف الأخرى؛ وذلك بتطبيق أساليب التعرف التي تقوم بها خوارزميات التعلم بالتكرار بناء على بيانات التدريب كطريقة معتمدة في التعلم العميق؛ وبالتركيز على عينة معينة من قاعدة بيانات الحرف المغربي مُستخرجاً من متن طبي مغربي: بتصوير ومسح الشكل في الدخول بتقنية متعددة الأبعاد مع بيانات حجم المحارف كطبقات مخفية مكثفة ومُلتقطة والمشكلة للحرف ، ثم إنشاء قاعدة بيانات مخطوطات الحرف بُغية التحقيق العلمي السريع والدقيق. أما في الأخير ستعرض الورقة لتقييم الاختبارات باستخدام منصة Transkribus، مع التركيز على النتائج التي توصلت إليها، علماً بأن أعمال البحث جارية على عينة ولا يمكن عرض جميع استنتاجاته.

الكلمات المفتاحية: التعرف الآلي، المخطوط الطبي المغربي ، شبكات العصبونات الاصطناعية الالتفافية CNN ، التعلم العميق DL، نماذج ماركوف الخفية HMM، منصة Transkribus .

Abstract:

The digitization has experienced in recent years a very significant interest in scientific research, unfortunately the automatic recognition of Moroccan manuscripts has not been well developed. In this paper we decide to model various historical handwriting constraints using the character recognition tools, and focus on Moroccan

'MABSSOUT' manuscript using Deep Learning algorithms, based on multidimensional approach: such as the Convolutional Neuronal Network, Markov hidden models; in order to highlight the off-line techniques according to the 4 training steps: 1) pre-processing and extraction of character boundaries from image, 2) building a CNN in remembering the character image; 3) loading trained and classified CNN model; and 4) consolidating CNN predictions of Arabic characters, encoding, re-encoding the prepared dataset to be recognized and to enhance the codicology task at the same time. The work adopts a hybrid method in DL focusing on specific extracted texts from the Arabic/Moroccan medical manuscripts with multidimensional technology; hidden layers, and building a data training of characters using Transkribus platform. This is a work in progress and the overall goal of which is twofold: to create a specific Moroccan manuscripts data for medicinal and codicology purposes.

Keywords: Automatic Recognition, Arabic/Moroccan manuscript, Deep Learning, CNN, HMM, Transkribus.

تقديم:

تلعب أنظمة التعرف البصري (OCR) دورا هاما في حوسبة العديد من الوثائق، كما تجد هذه الأنظمة اهتمامها في الكثير من التطبيقات الحاسوبية وفي مختلف المجالات والأنساق المعرفية، وخاصة المعالجة الآلية للغات الطبيعية والبريد الإلكتروني والتنقيب عن الآراء واستخراجها والبحث عن المعلومات... وقد تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة بتكنولوجيا التعرف على المخطوطات (HCR) في إطار مشاريع رقمنة وتحقيق الوثائق والمخطوطات التاريخية والتراثية، وفي الواقع، كما هو الحال مع أي نظام للتعرف على الأحرف والمحارف المكتوبة بخط اليد، يواجه الباحثون في نصوص اللغة العربية العديد من الصعوبات والمشاكل التقنية، والمتمثلة خاصة في: التقسيم (Segmentation)، واستخراج الملامح (Feature Extraction) المميزة بين الأشكال، واختيار التصنيف المناسب (Classification)، لذلك وجب الأخذ بعين الاعتبار اختيار نظام التعرف والمسح الضوئي على المحارف والأحرف الملائمة، مع اتباع خطوات المعالجة ومنها كيفية التعرف على الأشكال وتحقيقها وإدراكها وهيكلتها بياناتها انطلاقا من المقاربات المتنوعة المعتمدة في هذا المجال³.

ومما لا شك فيه، أن التعرف المتزامن في الشبكة أنسب إجراء عملي حيث يوفر معلومات أكبر وأشمل، ولكن حينما يتعلق الأمر بالمخطوط اليدوي الذي كُتب منذ قرون مضت، سيكون الباحث مضطرا لاعتماد أسلوب المنهجية غير المتزامنة (off-line) 4 للمتن المعالج باستخدام المسح الضوئي الذي سيساعد على إعادة رقمنتها وإنتاجها إلكترونيا، وسيضطره إلى استخدام المنصة الناجمة في معالجة النصوص المختلفة وخاصة في مجال الطب⁵.

وبالإشارة إلى بعض التجارب السابقة في هذا المجال وخاصة التعرف على الحرف المكتوب يدويا باعتباره تنسيقا رقميا مركبا، يبدو أن ما يجعل الأمر غاية في الصعوبة هو نظام الكتابة العربية خاصة المغربية باعتبار خصائصها وموافاتها الفنية وأوزانها المتداخلة هندسيا والتي تتميز بمتطلبات تقنية أكثر خصوصية، ولذلك وجب اتباع الطريقة التالية في المعالجة (وهي: 1) المعالجة الماقبلية للصور (الخطوط) قصد التنبؤ الصحيح باحتمالات الحرف والتواءاته؛ بإزالة الشوائب وتجزئة الصورة؛ و2) عملية التقسيم التي تفرّد الصورة الفرعية عندما يتم تغيير الحجم إلى البيكسل؛ و3) التعرف والتصنيف؛ و4) تشفير وإعادة تشفير الشبكة الاصطناعية وتوسيعها

- 1 التعرف الضوئي على الأحرف والصور. (Optical Character Recognition) هي تقنية إنتاج نسخة مصورة للملف الأصلي بواسطة المسح الضوئي وتحويله إلى نص رقمي.
- 2 التعرف الآلي على الخط اليدوي (Handwriting Character Recognition) هي تقنية التعرف الضوئي على الحروف المكتوبة باليد مثل المخطوطات التراثية والتاريخية دقيقة للغاية في ترجمة الخطوط وأنواع النصوص إلى نص رقمي دقيق قابل للطباعة.
- 3 بسو الصديق، خوارزميات والتعرف الآلي على الخط العربي (2017)، ص. 196.
- 4 اختيارنا لبروتوكول الخارج- زمني غير المتصل يهدف إلى تقليص الضوضاء والشوائب التي تعقد التعرف الآلي على الأشكال والخطوط والارقام والرسوم في المخطوطات العربية المغربية على وجه التحديد.
- 5 Chaouki Boufenaar, et al, Investigation on deep learning for off-line handwritten Arabic character recognition. (2018).p.195

بإعداد البيانات الإضافية لحل عسر التعرف على خط هذه الكتابة بتطبيق حدود أساليب التعرف في الشبكة العصبية الاصطناعية الالتفافية كمنهجية مُخططة والمعتمدة في التعلم العميق؛ وبالتركيز على عينة معينة من قاعدة بيانات المحارف والحرف المغربي مُستخرجاً من المخطوطات الطبية العربية / المغربية وخاصة الخط المبسوط وذلك: بتصوير الشكل في الدخ بتقنية متعددة الأبعاد مع بيانات الحجم كطبقات مخفية (Hidden Layers) وسلسلة نهائية من الحالات كمرحلة لتحليل الطيف الخطي، متبوعة بخريطة الملامح الالتفافية للشكل ذي الملامح المنهارة (6 collapsed features)، حيث تكمن مرحلة تسوية شكل الوحدة؛ وصولاً إلى الملامح المتصلة بالكامل في خريطة المعالم في البعد الرأسي للمعالجة؛ ثم في الأخير يتم تعيين الشكل المناسب بناء على احتمال دالي رياضي كمبرجات نهائية يولد فيها الشكل المحتمل بناء على عملية التدريب المتكرر التي يقوم بها خوارزم التعلم العميق؛ ما إذا كان الشكل الذي تم توليده مطابقاً للشكل الأصلي في المتن المعالج؛ وهي مرحلة الهدف في هذا المشروع والمتمثلة في إنشاء قاعدة معطيات رسم المخطوط.

وعلى الرغم من أن الكتابة العربية ظلت موحدة تاريخياً، غير أنها تميزت باختلافات هندسية جعلت الحرف الواحد في الخط المغربي المبسوط موضوع هذه الدراسة 7 يكتب بأكثر من طريقة في نفس الوثيقة. وهذا ما يتطلب أساليباً جديدة بأبعاد التفافية مختلفة؛ بل وطرأت مختلطة للتعرف الآلي على الأشكال الحرفية ومواقعها المقطعية المحتملة: المنشطرة سُفلياً والمنشطرة عُلوياً؛ والعمودية والمائلة والمقعرة والمبسوطة والمتصلة والمنفصلة؛ كما سنوضح من خلال بعض العينات في المخطوط المغربي الذي سنتخذهُ نموذجاً لهذه الدراسة، ناهيك عن خصوصية أخرى ومنها معلومات عن صرف الكلمة وتركيبها وتكرارها الخاطن وحركات إعرابها التي قد تحدث ضوضاء أخرى إضافية خلال عملية التعرف الآلي على المخطوط.

1. تجارب التعرف الإلكتروني على الكتابة اليدوية والوثائق والمخطوطات القديمة:

تعد الكتابة (calligraphy) نظاماً للتواصل اللساني إلى جانب البنيات المعجمية والصوتية والمعرفية- العصبية 8 والنحوية التي تحدد كيفية بناء "الكلمات" و "الجملة" وإنتاجها وفق ما يحدده التركيب التداولي والمنطقي والدلالي لهذه البنيات. ولما اشتركت جميع لغات العالم في المكون البيو-سيكولوجي والمعرفي - العصبي الفطري فإن نمذجتها التكنولوجية سيجعلها أكثر تجاوباً وقرباً لنماذجها من بعضها البعض، وستنال بعض الظواهر اللغوية في سائر اللغات العالمية حُضناً لتفحص بأساليب وطرق هندسية متطورة، وهكذا ستحظى لغة الضاد من بين هذه اللغات العالمية بهذه الأهمية، وفي إطار تعامل الإنسان مع الآلة باللغة الطبيعية، وخاصة ما يتعلق بكشف أصول خوارزميات التحليل والتوليد في الدماغ البشري، حيث صيغت هذه المفاهيم في قوالب علمية في إطار لسانيات الجيل الرابع الموسوم بلسانيات المنصات والتي تفرعت إلى: عتاد اللغات الطبيعية المرتكزة على بحوث النور- بيولوجيا والفيزيولوجيا وبرمجيات اللغات الطبيعية التي تحاكي عمل الدماغ البشري تقييساً وإبداعاً وإدراكاً 9 وهي عبارة عن نماذج لسانية متطورة وتطبيقات حاسوبية تهدف إلى تطوير مجموعة من الأنظمة المساعدة على الطباعة وبناء خوارزميات التعرف على المحارف العربية فنياً وتقنياً.

ولعل إشكالية الكتابة العربية؛ التي نالت اهتماماً ملحوظاً في مراكز البحث والتطوير التقني؛ من بين الأهداف التي صمم من أجلها برنامج المعالج الآلي للنصوص والتعرف على الأشكال والحروف العربية من حيث البناء القائم على خصوصيات وضوابط هندسية وقواعديّة قصد استعمالها عند المعالجة والتحليل من جهة، ولتطوير منهج جديد لأنظمة المحارف المخزنة من جهة أخرى. لهذه الأسباب انضمت المحاولات الأولى في المعالجة الآلية على خدمات الإدخال والإخراج بالحرف العربي وهي تشمل الوظائف التي تتعلق بإدخال البيانات باللغة العربية وتشفيرها وتخزينها وإظهارها على الحاسوب/ الآلة والطابعة، ثم تعريب البرمجيات الحاسوبية

6 Tao Yang, Computational Verb Theory, From engineering, Dynamic System to Physical Linguistics, P51

7 يشير إلى مجموعة الخطوط العربية المترابطة التي تطورت في المغرب و شمال إفريقيا والأندلس وغرب بلاد السودان ومنطقة الساحل، و الخط المغربي ينحدر من الخط الكوفي (كاف والصاد والضاد والطاء والظاء) الذي تفرع إلى الخط المسند (الزمامي) والثلاث المغربي والمجهر وتأثر بالخط القيرواني والأندلسي الذي يتميز بالقصر وتداخل الرسوم، ويكتب بقلم سميك، ليبدو الخط في غاية الاتزان، ويستعمل في أعمال النسخة والتدوين والزخرفة، كما يتميز الخط الفاسي المبسوط بطول الاسطر العمودية (خط مغربي - ويكيبيديا (wikipedia.org)).

8 لھلال محمد، غازي عزالدين، اللسانيات والمعرفية: مقارنة عصبية - علاجية لاضطرابات القراءة والذكاء: نماذج تحليلية جديدة، (قيد النشر).

9 محمد الحناش، اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، سلسلة الندوات (1996)، ص. 6-7.

عن طريق لغات برمجة تعتمد اللغة العربية أساساً أو برمجيات خدمات و تطوير تشغيلها بالحرف العربي، حيث تمكن المستعمل من استثمار طاقات المعالجة والتخزين الآلي الهائل بشكل أفضل وأنجع؛ اعتماداً على محيط تقني يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الثقافية والبيداغوجية والحضارية للمجتمعات العربية، وكذلك تعريب النظم والبرمجيات حسب أحجامها من الحواسيب الصغيرة الحجم إلى المتوسطة والكبرى¹⁰.

2. المنهجية المقترحة في الدراسة:

بغية التعرف على أشكال الحروف والمحارف والاستفادة من النتائج السابقة في هذا المضمار، سنتبع في كل مرحلة من هذه المراحل جمع الأحرف ذات الخط المبسوط وهي مرحلة ما قبل المعالجة، ومرحلة التعرف الكلي (بدون تقطيع) تليها إزالة الخلفية والألوان الداكنة (الأصفر والأزرق عادة)، ثم التعرف الجزئي على الحرف بتقطيعه معزولاً إلى محارف؛ واستخراج الملامح المميزة لكل ميزان وقاعدة في رسم الحرف، وتصنيفها بالاحتفاظ بأبعادها، وكل هذا يحتاج إلى تمثيل عصبي عميق للخط بحسابات احتمالية دقيقة بهدف قياس درجة ومواقع أشكال المحرف ثم الحرف وخصائصه الهندسية من حيث الهيكل والخط الأساسي والتخفيف أو النطاقية، مما يعني بناء خوارزميات مناسبة لكل حالة على حدة، لذلك اعتمدنا لهذا الغرض أساليب ومقاربات مختلطة وخاصة والشبكات العصبية الاصطناعية الالتفافية (Convolutional Neuronal Network)، إضافة إلى العبارات العقلانية¹¹ المساعدة وتكنولوجيا أوتومات الحالات المنتهية (Finite State Automata) 12 لمعالجة هذه الأشكال بمختلف التقنيات الممكنة، ويعتبر استخدام نماذج ماركوف الخفية (Hidden Markov Models) 13 هنا عبارة عن سلسلة نهائية من الحالات والملاحظات بلوغ حالة نهائية في الخرج، كما أنها مقاربة عصبية أولية إلى جانب سلاسل الشبكة الالتفافية والتي يتم توليدها عن طريق مدخلات ونماذج مخفية¹⁴ (خوارزميات) وسطية ومخرجات نهائية (حالة نهائية)، بحيث يتم الانتقال من حالة إلى حالة أخرى عن طريق مصفوفة من الاحتمالات المتسلسلة من البيانات أو السمات أو الملاحظات. وكما سنوضح لاحقاً أن إعادة بناء مسار هذه الحالات المحتملة عبر مراحل النمذجة (Modeling) بالتعلم العميق والمستمر بالتدريب وبمرحلة التشكيل والتحليل الطيفي والاختبارات المبدئية ونتائجها واستخلاص الخصائص التي هي عبارة عن قياسات عددية مأخوذة عن الصور أو عن مكان في الصور الممسوحة بواسطة تطبيق المساح الضوئي¹⁵، هذه القياسات هي التي تمرر للمتعرّف الآلي كي يتعرف عليها عبر كثافة النقطة الضوئية أو البيكسل (المحددة في 64x64 أصغر نقطة ضوئية في دخل الصورة وفي خرجها حوالي 12x2x2 قبل الطبقة الأخيرة) كما سنوضح لاحقاً، وتقرر التكوينات بالنسبة للخط الأساسي ونسبة الطول إلى العرض والانشطار العلوي والسفلي عن الخط الأساسي والخصائص البنوية للشكل المعالج ودورانه ونقاط بدايته ونهايته وطوله وعرضه والنقاط على الحروف وجميع السمات المخفية الأخرى. وتجرى مجموعة من الاختبارات على عينة بياناتية من المحارف والحروف العربية المأخوذة من المخطوط المغربي المبسوط، باستخدام نوع واحد من نماذج ماركوف الخفية وهو (left - right) بأعداد مختلفة من الحالات المخفية (Hidden State) مع تغيير الحالة التي يبدأ منها الاختبار، هي عبارة عن أجزاء من الحروف في هذه البيانات؛ أي المحارف، ولإيجاد المسار تأخذ أعلى احتمالية من عدد من النماذج المحتملة في التعرف على الخطوط اليدوية وأشكالها، وسنتبع في ذلك إجراءات التعرف على المكونات الآتية:

- تحليل الطيف الخطي؛
- تحديد الخصائص العامة للوحدة الخطية اعتماداً على الملامح المميزة؛

- 10 انظر المرجع السابق -
- 11 انظر غازي عز الدين، التعرف الآلي على التعبيرات المركبة والمتلازمة (2021).
- 12 يعتبر جهاز أوتومات الحالات المنتهية أو آلة الحالة المحدودة (Finite State Machine) والذي استغلته العديد من المعالجات الحاسوبية وطبقته على اللغات الطبيعية في مستوياتها المختلفة الخطية والمجمعية والصفية والتركيبية... أداة عقلانية قد تقع في عدد من الأعداد النهائية للحالات، بمعنى آخر، يمكن أن تتحول من حالة إلى أخرى، ومن عجرة إلى أخرى، وهذه تسمى بالمرحلة الانتقالية، فحينما ينطلق عمل الأوتومات فإنها تنطلق من حالة أولية إلى حالة نهائية أخيرة. ومن هنا يتلقى مدخلاته (input) وهي عبارة عن متواليات من الرموز آتية من مجموعة منتهية من الرموز تسمى بالأبجديات (alphabet)، إذ تسند حالة لكل رمز حيث المرور من حالة إلى أخرى.
- 13 279-Silouani Sid- ahmed & Jean Caen (1997).p.280.
- 14 281-Ibid.p.280.
- 15 يتراوح النطاق من مسح النصوص إلى مسح الصور ضوئياً في 16 مليون لون وأكثر من ذلك بالنسبة للبعض كما تتراوح الدقة بشكل كلاسيكي من 300 إلى 9600 نقطة في البوصة اعتماداً على الطراز المحدد سلفاً.

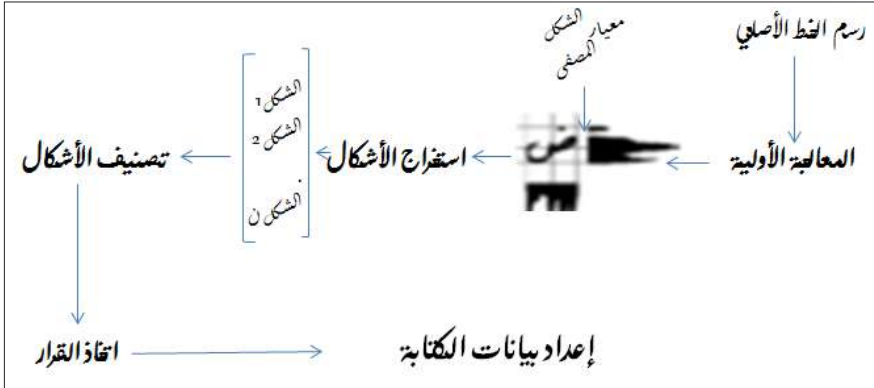
- تقسيم وتسوية شكل الوحدة الخطية؛
- تصنيف وإنشاء قاعدة معطيات الخط المبسوط؛

تمييز الخط والتعرف على الكتابة اليدوية العربية، ووضع معايير تقييمية وتوصيفية لمعالجة المخطوط المغربي بتحديد أصول المرجعية الخطية في الكتابة اليدوية كما هو محدد في المعايير والمقاييس العالمية.

بغيتنا ها هنا إنتاج الكتابة اليدوية العربية، أي توليد حروف مطبعية تحاكي حروف رسم الكتابة العربية انطلاقا من المخطوط المغربي، مما سيقيد في إغناء وإثراء قواعد بيانات الحرف العربي وتأكيد تطويع نظام الكتابة العربية بزيادة المحتوى العربي من جهة، واستثمار الموروث وتنمينه في مجالات معرفية متنوعة ونقل العلوم والترجمة والتعريب والتعليم، لمواجهة تحديات الرقمنة وباستثمار تقنية المتقدمة مثل النانوتكنولوجيا وأساليب الذكاء الاصطناعي وهندسة المعرفة.

ويشكل التعرف (recognition) على الحرف العربي خطوة هامة لتمكين المستعملين من تخزين الوثائق، وأول صعوبة تعترض الباحثين هي الكتابة المتصلة لحروف المخطوطات العربية، ومن ثم فإن جزءا كبيرا من عملية التقطيع (segmentation) يقع ضمن مشكلة تداخل الحروف بسبب أحجامها وأوزانها وقياساتها، ولمواجهة هذه الصعوبة يستحسن التركيز على التقطيع الدقيق لتحسين جودة الصورة¹⁶.

ومن جهة أخرى، فإن التعرف على الحروف إنما يدخل في باب التعرف على الأطياف الفيزيائية وفي أغلب التطبيقات اعتبرت هذه المتواليات (sequence) مجموعة من الرموز والنقط والبكسلات أصل الرسم في الحرف، وتظل هذه علامات مخطوطة كتابيا، يلخصها الشكل العام لنظام الخط التالي¹⁷:



شكل رقم 1: يمثل نظام التعرف على المحرف المغربي في المخطوط

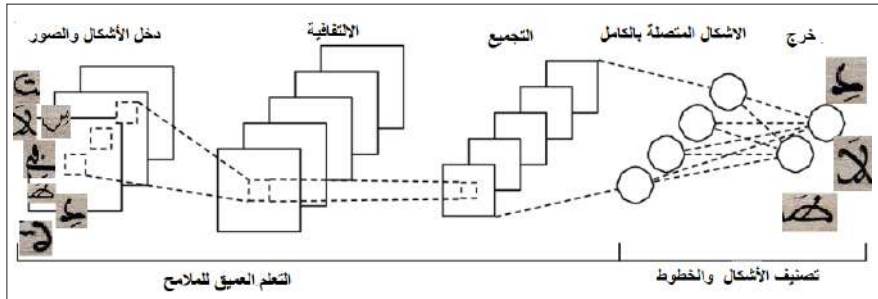
أما الشبكة العصبية التي يعتمدها أندري ماركوف في سلسله ونماذجه المخفية، التي تستغل في مختلف التأليفات الممكنة؛ لإيجاد الدقة المناسبة للتعرف على الأشكال المدروسة¹⁸، فخلال تقسيم هذه الأشكال تظهر كمحارف أو حُرِيفات صغيرة وهي السمات التي تستطيع أن تكون وحدة قابلة للتجميع في حرف ما، وهذا ما يعرف بالنمط المتعدد الطبقات (multi-layer) على مستوى الشبكة العصبية ذات الطبقات المخفية التي تشكل التعرف الدينامي للأشكال، وتمتد هذه العملية من مرحلة التقسيم إلى

16 جميع كمال، مقارنة لتقطيع الكلمات العربية المكتوبة باليد، التواصل الساني م 3 1996 ص.167.

17 n°44.1 TAL pour la reconnaissance de l'écriture manuscrite en ligne, modèles n-grammes et n-classes, Freddy Perraud et al, 2003, p.64.

18 ينظر (Gilloux et al 1995) وأيضا (Knerr et al 1998) نفس المرجع السابق ص.67.

مرحلة التعرف وهي مجموعة من الاحتمالات التي يمكن تأويلها على مستوى النماذج المخفية لتعطينا بالتالي الحالات النهائية المحتملة، وقد تطورت الشبكة العصبية إلى شبكة إلتغافية (CNN) قياسية حيث تقسم الطبقة المخفية الأولى الصورة إلى سمات وإلى صَيفيات من ملامح الدقيقة، كما يتم تغذية هذه الصيفيات في خلية الذاكرة الطويلة المدى الثنائية الاتجاه (bidirectional) والعيقة التي توفر تسلسلا يحدد العلاقة بين أشكال الحرف المعني، وفي هذه الطبقة أيضا يتم تغذية خرج الخلية التي تأخذ تسلسل المحارف الزائدة مُعتمدة الاحتمال الرياضي لتصفية الأشكال المستخرجة. وللتوضيح أدرجنا نموذج شكل حرف "د" 19 الممسوح ضوئيا في حالة الدخل ليستقر في الخرج على احتمال يمكن الأخذ به والإقرار بوثوقية التعرف كما يوضح الشكل رقم 2 التالي:

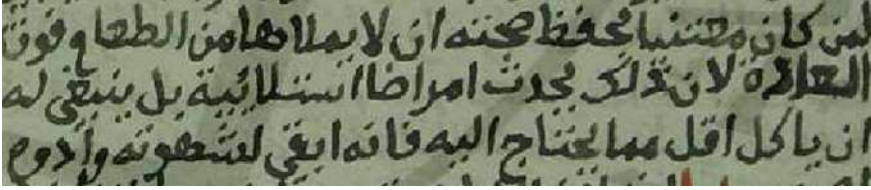
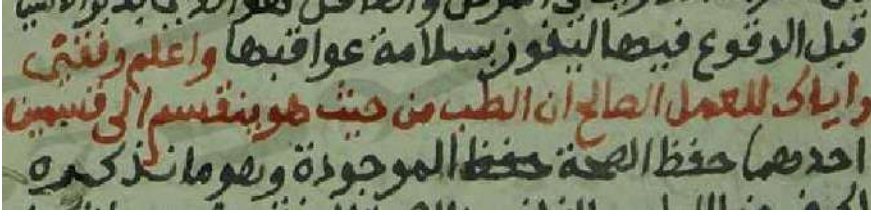


شكل رقم 2: يمثل احتمالات وملاحظات نماذج ماركوف المخفية : كل شبكة عصبونية إلتغافية يمثلها شكل معين.

3. قاعدة بيانات أشكال محارف الخط في المخطوط:

بعد جمع المخطوطة الطبية المغربية بالمسح الضوئي وعن طريق المكتبات والإنترنت ومصادر أخرى وتخزينها في قاعدة البيانات لتحقيق وتوثيق الأحرف والخطوط المستهدفة في النص المعالج، يتم تحديد حوالي 100 صورة في عينه من نصوص المخطوطة التي تم جمعها، كما يتم تحسين هذه المجموعة من البيانات وتجريبها ومقارنتها بنماذج أخرى بحسب الطريقة المتبعة التي أعلننا عنها سابقا، والتي يتم تمثيلها في المرحلة الثانية كما في الشكل رقم 3 التالي:





الشكل رقم 3: نموذج مقطوف من المخطوطة الطبية الموسومة "الرأفة في علم الطب والحكمة" 20
تاريخ التدوين: 1270 هـ عدد الأوراق: 49 ق 24 س 23×16.5 سم
المؤلف والناسخ: محمد بن محمد المراكشي.



الشكل رقم 4: عينة من نصوص المخطوطة: الخط المغربي المبسوط.

2. نظام الكتابة (Calligraphy) العربية:

تتألف اللغة العربية من ثمان وعشرين حرفاً (28)، وكل حرف له شكلان أو أربعة أشكال، واختيار شكل الحرف يكون على حسب موقعة في المقطع؛ بحسب أربعة مواقع محتملة وهي: بداية المقطع ووسط المقطع ونهاية المقطع أو الأحرف المعزولة، ناهيك عن أشكال التنقيط المختلفة 21، بمعنى أن الحروف التي لا يمكن أن تكون في بداية المقطع أو وسطه لا يمكنها الاتصال مع الحرف الذي يليه كما في بين الجدول رقم 1 التالي:

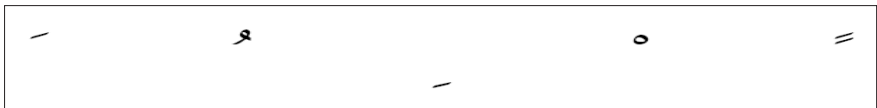
20 محمد بن محمد المراكشي، الرأفة في علم الطب والحكمة، 1270 هـ. تحت رقم 3947، ف 3/828 مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، الرياض.

21 نظرا لاختلاف أشكال المحارف العربية وتطوراتها التاريخية وتداخل الأشكال والرسوم والخطوط بين اللغات (مثلا "الباء" في الأوردية والفارسية...) واستجابة للترميز العربي على الحاسوب، تم اعتماد الرمز العالمي الموحد عام 1991، باستعمال 16 رمزا ثنائيا وإضافة خطوط أخرى لنفس الحرف ليتناسب مع الرمز والحركة والتشكيل وهو ترميز متعدد ليسهل الانتقال من نسق كتابة لغة إلى نسق آخر باستثناء الأنساق ذات الأبجدية الطويلة، وعموما فإن استعمال الرموز على الحاسوب ضرورة لخدمة الكتابة العربية السليمة بهدف إنجاز تطبيقات مختلفة مثل التعرف الضوئي على المحارف اليدوية، بل وحتى المخطوطات التاريخية التي تطرح صعوبات ومشاكل جمّة على مستوى التعرف الإلكتروني على المحارف والرسوم والخطوط بشكل سليم ودقيق (للمزيد انظر: محمد زكي خضر، الحرف العربي والحوسبة مجلة فكر ونقد 82، صص. 61-82)

اسم الحرف	الحرف معزولا	الحرف عند بداية المقطع	الحرف وسط المقطع	الحرف عند نهاية المقطع
ألف	ا	ـ	-	ـا
باء	ب	ـب	ـبـ	ـبـ
تاء	ت	ـت	ـتـ	ـة / ـتـ
ثاء	ث	ـث	ـثـ	ـثـ
جيم	ج	ـج	ـجـ	ـجـ
هاء	ح	ـح	ـحـ	ـحـ
خاء	خ	ـخ	ـخـ	ـخـ
دال	د	ـ	ـ	ـد
ذال	ذ	ـ	ـ	ـذ
راء	ر	ـ	ـ	ـر
الزاي	ز	ـ	ـ	ـز
السين	س	ـسـ	ـسسـ	ـسسـ
الشين	ش	ـشـ	ـششـ	ـششـ
الصاد	ص	ـصـ	ـصصـ	ـصصـ
الضاد	ض	ـضـ	ـضضـ	ـضضـ
التاء	ت	ـتـ	ـتـ	ـة
الطاء	ط	ـطـ	ـططـ	ـططـ
العين	ع	ـعـ	ـعـ	ـعـ
الغين	غ	ـغـ	ـغـ	ـغـ
الفاء	ف	ـفـ	ـففـ	ـففـ
الكاف	ق	ـقـ	ـققـ	ـققـ
اللام	ل	ـلـ	ـللـ	ـللـ
الميم	م	ـمـ	ـممـ	ـممـ
النون	ن	ـنـ	ـننـ	ـننـ
الهاء	هـ	ـهـ	ـههـ	ـههـ
الواو	و	ـ	ـو	ـو
الياء	ي	ـيـ	ـيـ / ـيـ	ـيـ

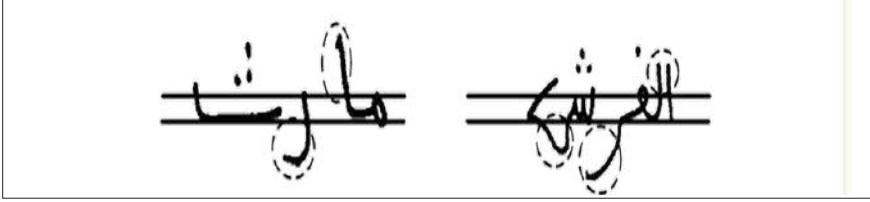
الجدول رقم 1: أشكال الأحرف العربية بحسب موقعها في الكتابة.

وللكتابة العربية خصائص تتميز بها مثل وجود حركات التشكيل التي جعلت من اللغة العربية لغة بصرية وهي المد القصيرة أو التنوين أو تشديد الحرف، وعادة ما لا تكتب هذه الحروف أثناء الكتابة، بينما تعتمد الحركات في التشكيل والإعراب وهي: التنوين و السكون والكسرة والضمة والفتحة كما يبين الشكل رقم 5 التالي، إضافة إلى والهمزة الشدة والمد (ء ، ؤ ، اى) :



شكل رقم 5: تنوين الفتحة، السكون، الكسرة، الضمة، الفتحة.

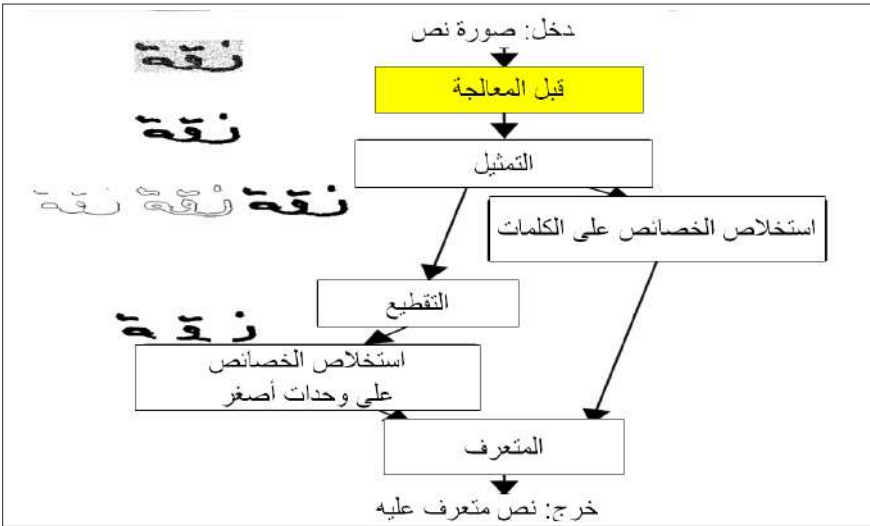
كما أن بعض الحروف لها سوابق أو لواحق (descender) أو (ascenders)، كما هو مبين في الشكل التالي السوابق هي ما فوق أعلى السطر، أي الحُرُيفات المنشطرة علوياً، واللواحق، هي ما تحت السطر الأسفل، أي الحُرُيفات المنشطرة سفلياً، كما في الشكل التالي 22 ما يجعل أنظمة التعرف الآلي أمام تحدي إضافي آخر.



شكل رقم 6: الخطوط المنشطرة علوياً والمنشطرة سفلياً.

2-2. كيفية التعرف على الكتابة اليدوية:

تشترط عملية التعرف على الكتابة العربية المرور بعدة المراحل، أولاً مرحلة ما قبل المعالجة (preprocessing)، ثم مرحلة تمثيل (representation) البيانات والمعلومات، وهناك طريقتان للتعرف الآلي: الطريقة الكلية، وهي التعرف على الكلمة بشكل كامل، ولا حاجة فيها إلى التقطيع، والطريقة الثانية هي طريقة التعرف على أجزاء من الكلمة كالأحرف وغيرها والتعرف على المحرف في الحرف، وفي هذه الحالة نحتاج لمرحلة التقطيع، بعد ذلك نمر إلى مرحلة استخلاص الخصائص وسمات الوحدات الأصغر في الشكل موضوع المعالجة، ثم مرحلة التعرف، وسيتم شرح ما يجري في كل مرحلة على حدة؛ وفيما يلي الشكل العام رقم 7 لمراحل التعرف على الكتابة اليدوية:



شكل رقم 7: خطاطة عامة عن مراحل التعرف على كتابة المخطوطة باليد.

2-3. مرحلة عملية التقطيع:

بعد استخلاص السمات والخصائص المميزة للحرف وللخطوط في الكلمة بناء على مجموعة كبيرة ومتنوعة من أشكال الكتابة المقبولة وفي مختلف الوضعيات، المحرف معزولا وفي البداية والوسط والنهاية بواسطة وظيفة تركيبية (histo-function) 23 تتضمن الخلايا السوداء للصورة كما يشير وسط الشكل 8 أدناه، بحيث تمثل المقاييس المقابلة لكل شكل على حدة، يتم إسناد رقم (سنن) لكل شكل من هذه الأشكال بالتتابع تسند أرقام تمثل الترتيب الأبجدي لنفس الشكل مع تمييز هندسي لسمات المحرف وهي استراتيجية تحدد النقاط المهمة (بداية ووسط ونهاية) التي يتشكل منها المحرف 24، كما يبين الشكل رقم 8 التالي:



الشكل رقم 8: تقطيع الأحرف وعزلها عن بعضها البعض.

ووفق الدالة الرياضية المتعددة المتغيرات التالية:

$$g(x,y) = \begin{cases} 1, & \text{if } f(x,y) \geq T \\ 0, & \text{otherwise} \end{cases}$$

وتعد مرحلة التعرف على تقطيع الأشكال الحرفية مرحلة أساسية في المعالجة الآلية للمخطوط اليدوي، ما يجعل النظام يدرك مختلف الاشكال التي تتألف من معلومات وزوايا وأوزان هي في الواقع متغيرات سياقية تظهر على مستوى الكتابة العربية وتؤدي معنى، نفس ما يحصل على مستوى المورفيمات الصرفية التي تؤلف الكلمة المحتوية على مجموعة من التاليفات الممكنة من الأشكال الصغرى التي تحتاج محلل مرافي لاستكمال المعالجة الحاسوبية 25. نحو: أتلاعبونهم، كبنية مورفولوجية لا تُدرك إلا بتقطيعها إلى أقسام صغرى مؤلفة لها وملتصقة ببعضها البعض سواء كانت سوابق أو لواحق أو أواسط مثل صُريفة الاستفهام وصُريفة المضارعة و جدر (فعل) والضمائر المتصلة: أ+ت+لاعب+ون+هم.

ولقد اتبعت مقاربات كثيرة في التقطيع ومنها 26: 1) المقاربة الإحصائية القائمة على متوسط مقياس الحرف العادي ونظرا لعدم مرونتها تلاقي عدة مشاكل في المعالجة، 2) المقاربة التي تعتمد نطاق الكلمة برمتها والتي لا يمكنها التنبؤ بعدد الاحرف البعيدة عن هذا المعدل، ثم 3) المقاربة المرتكزة على قيمة الحروف المرشحة وتحديد أصغر قمة (find-std-char) 27 مع مضاعفة قيمة هذه القمة بعامل مناسب للحصول على التقييم المطلوب لنطاق الحرف، فلا بد من التأكد من وظيفة التقطيع من خلال وظيفة بداية-نهاية 28 وعلى قدرة التقطيع السليم حيث تتجزأ الاشكال وتكون قواعد بيانات المنصة.

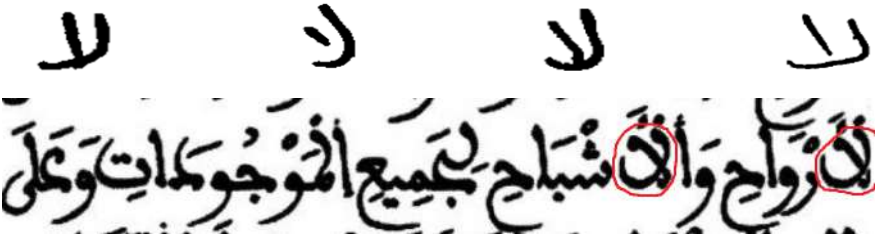
ومبدئيا يتم التعامل مع الكتابة بنفس الطريقة في التقطيع مع الاختلاف أساسي في تقنيات وأساليب التعرف والمسح البصري

- 23 جمبي كمال، مقارنة لتقطيع الكلمات العربية المخطوطة (1996)، ص. 169.
- 24 نفس المرجع والصفحة.
- 25 نفس المرجع، ص 726.
- 26 جمبي كمال، مقارنة لتقطيع الكلمات المكتوبة باليد، (1996)، ص. 170.
- 27 نفس المرجع والصفحة.
- 28 نفس المرجع ص. 171.

على الأشكال المخطوطة التي فرضت الحاجة إلى تخزينها في حوامل ورقائق إلكترونية لاسترجاعها واستغلالها في تطبيقات حاسوبية متنوعة، ما أدى بالبحث العلمي والتقني إلى نمذجة الشبكات العصبية على شكل طبقات مخفية وصَفِيَّات (سلاسل) تشابكية تتطور بالتعلم والتدريب المستمرين وعلى بيانات وأحجام مختلفة.

4-4. التعرف على الأشكال المعزولة: الأحرف والأرقام والرسوم:

تُكتب اللغة العربية، كما هو معلوم، من اليمين إلى اليسار، والحروف عادة ماتكون متصلة حتى عند الطباعة، يعتمد توصيل الحرف على الحرف الذي يليه. السطر الأساسي (baseline) هو السطر الذي عادة ما تتصل الحروف مع بعضها نظرا لقرئها والتصاقها وتداخلها وتقاطعها في الأوزان والقواعد والتي تشترك الروابط والانسدادات والخُبسات والفتحات وعدد النقط ومكان وقوعها والطول والعرض النسيبان للحرف29؛ وهذا في مجمله يشكل رسما كاملا للكلمة، لذا يجب أن نضع بيضا فيما بين الكلمات، وفي نظام الكتابة العربية هناك ستة أحرف لا تتصل إلا من اتجاه واحد، فعند بروزها في كلمة ما تجعلها تنقسم إلى عدد من المقاطع والأجزاء، ويكون الرباط (Ligature) في هذه الحالة تكوينا للحرف باتصال محرف أو أكثر بشكل مقبول مثل اللام + ألف (لا) وغيرها من الأشكال المختلفة لحرف لا التي تكتب بأشكال مختلفة من الخطوط كما يوضح الشكل رقم 9 التالي:



شكل رقم 9 : التعرف على أشكال حرف "لا" وطرق كتابته يدوياً.

تنطلق فرضية التعرف على شكل " لا " مثلا من الصورة العامة للحرف إلى بناء التشجير الأكثر ملائمة، أي الحصول على المحارف والحريفات الملائمة للشكل العام للحرف حيث يتم تصنيف الحروف ذات الخُبسات في المجموعة والتي تحدد المنحنيات والاضلاع التي يتكون منها الشكل30.

3. أساليب ومقاربات التعرف على الأحرف العربية:

1-3. سلاسل ماركوف المخفية:

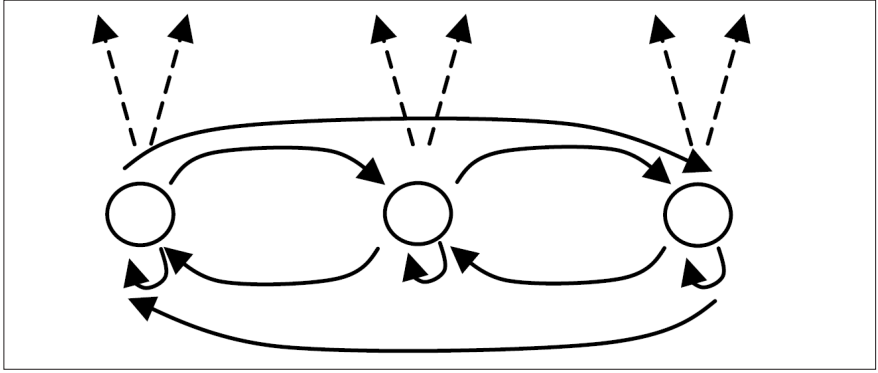
تعتبر سلاسل ماركوف المخفية (HMM) طريقة لتعلم الخصائص التي من الصعب وصفها بشكل بدهي، مُتسلسلة باتجاه واحد، فيها (states) حالات واحتماليات (probabilities) 31 للانتقال بين هذه الاحتماليات على حسب النظر إلى سلسلة من البيانات أو الملاحظات (observations). إن كان عندنا "س" حالة، ومن ملاحظة محتملة، يعتمد الاختيار على الاحتمالية المتوافقة مع كل حالة "س". الهدف هو إعادة بناء مسار الحالات (path) ومن الملاحظات، لكي يتعلم معاني البيانات. في التعرف على الأشكال، ومن الممكن أن تكون الملاحظات عبارة عن مجموعة من البكسلات، والحالات هي عبارة أجزاء من الحروف، ولإيجاد المسار يجب أخذ أعلى احتمالية من عدد من النماذج. وبين الشكل التالي رقم 10 الشكل العام لنموذج وسلاسل ماركوف المخفية32

29 عمرو عمر، ك. روميوي، لوكريتي، التعرف على المخطوطات العربية المكتوبة باليد (1996) ص. 184-185.

30 عمرو عمر، ك. روميوي، لوكريتي، التعرف على المخطوطات العربية المكتوبة باليد (1996) ص. 186.

31 Silouani Sid- ahmed & Jean Caelen (1997) p.284.

32 انظر سهام موسوي (2009) ص. 30، Silouani Sid- ahmed & Jean Caelen (1997) 281 و.

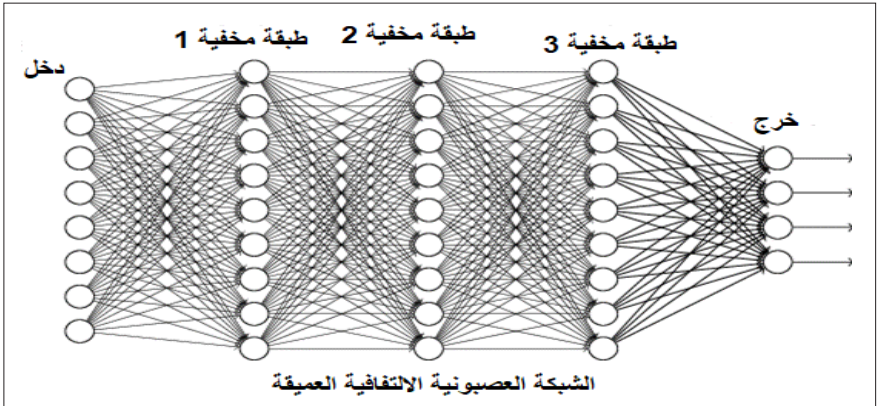


شكل رقم 10: سلاسل ماركوف المخفية.

2-3. الشبكة العصبية الاصطناعية الالتفافية 33 Convolutional Neuronal Networks :

الشبكة العصبية الالتفافية (CNN) هي نموذج من نماذج الشبكات العصبية الاصطناعية تعتمد التعلم العميق كأسلوب في التعلم الآلي، وهي عملية رياضية تسمى الالتفاف بدلا من ضرب المصفوفة العامة في طبقة واحدة على الأقل من طبقاتها. كما أنها الأكثر شيوعا في تحليل ومسح الصور المرئية والمصممة خصيصا لمعالجة بيانات البكسل، وتستخدم في التعرف على الصور والفيديوهات ومعالجتها وتقوم بالتصنيف والتجزئة وتحليل الصور المختلفة الطبية والجغرافية ومعالجة اللغة الطبيعية...

أما في معالجة المحارف والحروف فتعتمد السلاسل الزمنية التي تتكون من عنصر معالج بسيط وعدد كبير من الترابطات والأوزان والقواعد في العناصر التي تتعلم من خلال بيانات تدريبية (Training Data)، وهي مقسمة إلى طبقة مدخلات، وطبقات متوسطة "مخفية" وطبقة مخرجات نهائية، كما يوضح الشكل التالي رقم 11، حيث تنتقل المعلومات من البداية إلى النهاية والتي تعطي الحرف المطلوب، أي الشكل المتعرف عليه.



شكل رقم 11: الطبقات المخفية العميقة في الشبكات العصبية الالتفافية.

تتألف الطبقات المخفية من الطبقات الالتفافية وطبقات التجميع والطبقات المتصلة بالكامل، وتقوم السلاسل الالتفافية باستخراج المعلومات والميزات والسمات في المداخلات مثل الزوايا أو الحواف أو نقاط النهاية، بطريقة غير خطية ومناسبة للشكل الهندسي للمحرف، كما تتجنب قدر الإمكان انهيار السلاسل واختزالها في دالة خطية واحدة، ويتكون نموذج الشبكة العصبية من ثلاث طبقات وهي:34:

أ- طبقة دخل بيانات المحارف: طبقة الإدخال الممتثلة في ارتفاع وعرض وعمق الصور المقاس بالبيكسل35.

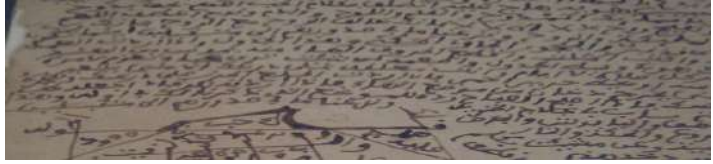
ب- الطبقات المخفية: وهي الطبقات الالتفافية وطبقات التجميع والطبقات المتصلة بالكامل. تقوم الطبقات الالتفافية بوظيفة التعرف على الأشكال الهندسية للمحارف مثل الزوايا أو المقعرات أو الحواف أو نقاط النهاية انطلاقاً من صورة الإدخال التي تتميز بمقاس من 32×32 بكسل، للحصول على حجم مرشح أصغر و طريقة حدسية -احتمالية، أي، 3×3 بكسل وهو الحجم الميكروي المتوقع والذي يكون أكثر ملاءمة للصورة ولعدد الأشكال المرشحة و عدد المعلومات التي تحاول الطبقة المخفية اكتشافها، ومن خلال التمرن والتجربة والخطأ، يستطيع نظام التعرف القائم على التعلم العثور على عدد أولي مكون من 64 محرفاً مرشحاً بقوة تمثيلية مثلى للشبكة العصبية، بحيث تتمكن كل طبقة تجميع بإدراج المعلومات الحشوية الممكنة في جميع الطبقات الالتفافية للتغلب على الصعوبات التي قد تعترض التعرف الكامل على شكل الصورة كما في تجربة منصة ترانسكريبوس (Transkribus)36 للتعرف على الخط اليدوي العربي37.

ج- طبقة خرج بيانات المحارف أو مرحلة التعرف الآلي: وهي طبقة الإخراج المؤلفة من 29 فئة (فئة واحدة لكل حرف عربي، بالإضافة إلى الهزمة) على مجموعة بيانات التدريبية، حيث تكون طبقة الإخراج عبارة عن طبقة من فئة 28، ويقوم البرمجي بتنبؤ يشبه احتمال كل فئة من هذه المحارف.

4. إنشاء قاعدة بيانات أشكال أحرف المخطوطات المغربية:

تعد مرحلة إنشاء قاعدة بيانات المخطوطات العربية الرقمية كما نتصورها في هذه الورقة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي؛ وخاصة التعلم العصبي العميق القائم على البيانات التدريبية، مرحلة جوهرية لتمكين التعلم الآلي التدريب أكثر على كمية هائلة من المحارف والأحرف التي قد تتماثل في معلماتها في أول وهلة، لكنها سرعان ما تُصحح بال تكرار وتصل في النهاية إلى التعرف التلقائي على المحرف وفق الشروط التي تطرقنا إليها في المنهجية المتبعة في البحث، لإيجاد حلول جيدة وناجعة للتعرف على النص العربي المكتوب بخط اليد. ولاختبار منصة ترانسكريبوس38 التي تحتاج أولاً إلى التدريب على نوع معين من مجموعة البيانات النصية المخطوطة باليد، فيستخّن النص في كل صفحة، بأكبر قدر ممكن من الدقة، ويقسمها إلى مناطق نصية وخطوط ثم رسوم ومحارف، ويشرع في تحديد الموقع الدقيق للنص، لذلك تتكون مجموعات التدريب من مجموعة من الصور ومجموعة موازية من ملفات لغة التوصيف الموسعة (XML) التي تقوم بتسجيل البيانات النصية كما تحتوي على موقع النص ونسخه وحفظه. وكخطوة تالية، يمكن للمستخدم المنصة أولاً تزويدها بالمزيد من صفحات المخطوطات المؤثقة لزيادة حجم مجموعة التدريب وتحسين دقة المسح الضوئي؛ وثانياً إضافة مجموعات بيانات أخرى كمصادر مفتوحة مكتوبة بخط اليد إلى مجموعة التدريب الموجودة مسبقاً، والتحقق بتحسين دقة المسح؛ والنسخ، وبهذه الكيفية في توسيع نطاق التحليل والتعرف على البيانات المفتوحة يمكن استثمارها في بناء قاعدة البيانات المحارف والحروف العربية المخطوطة باليد وخاصة بيانات الخط المغربي المبسوط كما تبين النماذج التالية:

- 34 Najwa Altwaijry & Isra Al-Turaiki Arabic handwriting recognition system using convolutional neural network (2020).p.2254
- 35 .Ibid.p.2254.
- 36 برمجة التعرف الآلي على الصور والأشكال والمخطوطات والنصوص القديمة . Transkribus | AI powered Handwritten Text Recognition . ((readcoop.eu
- 37 للمزيد انظر Adi Keinan-Schoonbaert Using Transkribus for Arabic Handwritten Text Recognition , Digital Curator for Asian using-/01/and African Collections, British Library. She's on Twitter as @BL_AdiKS. https://blogs.bl.uk/digital-scholarship/2020-transkribus-for-arabic-handwritten-text-recognition.html
- 38 نفس المرجع السابق.



(أ)



(ب)



(ج)

شكل رقم 12: نموذج قاعدة بيانات أحرف المخطوطات المغربية وأشكالها المختلفة (أ)، (ب)، (ج).

التي تعد البيانات الأساسية المدخلة في منصة القراءة الآلية للنصوص وهي المخطوطات اليدوية التاريخية التي حددها هنا قصد المعالجة تصويرا ومسحا وتقطيعا؛ وكذلك جميعا (pooling) للطبقات المضمرة والخفية وتفسيرا آليا لها وفق أساليب منطقية وحسبة؛ ومقاربات تجريبية حول الدقة والتكرار والحساسية كما سترى في مرحلة تقييم النتائج.

5. الاختبارات المبدئية ونتائجها:

إن دراسة مختلف تقنيات التصنيف القائمة على الملامح والسمات المميزة للتعرف على المحارف والأحرف المكتوبة بخط اليد بطريقة تجريبية خارج زمنية، ابانت عن نجاعتها المثالية للتعرف على الأحرف آليا. وتتضمن هذه الطريقة المقترحة تجزئة كلمة مكتوبة بالخط المبسوط وباستخدام أساليب التعلم العصبي العميق -كما وضحنا سابقا-، يتم استخدام ثلاث مجموعات 39 بالتوازي كمتجهات (vector) 40، معلمات، يتم استخدام آلة متجه الدعم كمصنف، وتتم المعالجة اللاحقة من خلال استخدام المعجم للتحقق من صحة الكلمة المتوقعة، وتبين أن النتائج التي تم الحصول عليها باستخدام نظام التعرف على الأحرف العربية المرشحة مرضية

39 غازي عزالدين، المنطقة المعتمدة في التعابير المتعددة الكلمات وتحديات الترجمة الآلية: معالجة معجمية آلية باستخدام التعلم العميق (2023)، ص.7.

40 تعد المتجهات (vectors) أسلوبا في الرياضيات وفي الفيزياء فضاء خطيا وهو مجموعة من العناصر الهندسية لها مقدارٌ مثل الإزاحة والقوة والسرعة. ولها نقطة ابتدائية وهي التي تبدأ منها ونقطة طرفية تخبرنا بالموضع النهائي للنقطة. ويمكن تطبيق عمليات مختلفة على المتجهات مثل الجمع والطرح والضرب وتثليل المسافات والكلل والوقت بأرقام حقيقية. يستخدم هذا الإجراء الرياضي في مجالات علمية مختلفة ومنها الفيزياء والبيولوجيا واللسانيات والمعلوماتيات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي المختلفة وخاصة المقاربات العصبونية الانتقافية ذات الطبقات المخفية (Wikipédia, Vector (Mathematics and Physics)).

بنسبة ناهزت في مجملها 41%75، لكن هذه الاختبارات المقاربة بالشبكة العصبية الاصطناعية والتعلم العميق جارية من حيث التقييم كذلك، علما أن الأحرف العربية متنوعة الخطوط والأشكال والرسوم كما ذكرنا، وتنقسم في مجملها إلى صنفين خفيين هما: المحارف القياسية السوداء والمحارف القياسية البيضاء، فالتالي يقع عليها التعرف بسهولة هي التي قطرها أصغر ولو كانت من نفس اللون، وكلما كان التطبيق أكثر على عدد كبير من النماذج المستقاة من المخطوطات كان التغلب بنسبة أكبر على الأخطاء؛ تماما كحالة التعلم عند الانسان.

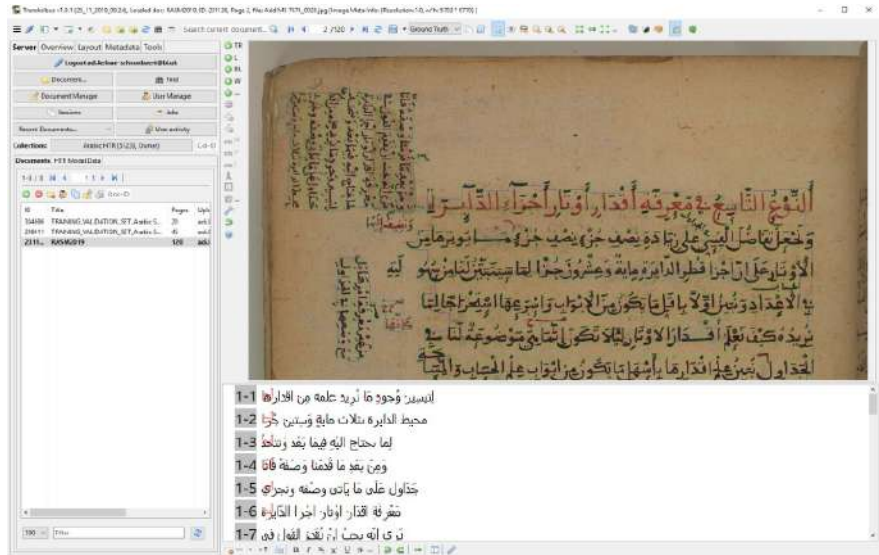
لذلك تم إنشاء مجموعة بيانات التدريب المكونة من 120 صفحة منسوخة وموثقة من ثماني مخطوطات تمت رقمنتها وإتاحتها من خلال مكتبة رقمية بغية إنتاج نصوص رقمية وجعلها رهن إشارة المختصين، وتتألف هذه النماذج المختلفة الأربعة من خوارزميات التعرف التي تتعامل مع مجموعة التدريب المتطور باستمرار، على النحو التالي42 :

- نموذج تدريبي من 20 صفحة، ومجموعة تقييم من 100 صفحة،
- نموذج تدريبي من 50 صفحة، ومجموعة تقييم من 70 صفحة،
- نموذج تدريبي من 75 صفحة ، ومجموعة تقييم من 45 صفحة،
- نموذج تدريبي من 100 صفحة ، ومجموعة تقييم من 20 صفحة،

ومن الملاحظ أن الدقة تحسن مع كل تكرار، فكلما زادت بيانات التدريب في محرك التعلم العصبي العميق للتعرف على النص المكتوب (Handwritten Text Recognition) (كما في النماذج الأربعة أعلاه من الأعلى إلى الأسفل)، كانت النتائج أفضل، إذ تمكنت مجموعة تدريب المكونة من 100 صفحة، من نسخ بقية الصفحات الـ 20 تلقائيا بمعدل دقة وصل إلى 43.46%، وهو أمر جيد جدا للكتابة العربية التاريخية المكتوبة بخط اليد.

بينت التجربة باستخدام تطبيق منصة ترانسكريبوس التي تتميز بالنجاعة في التعرف على محارف وحروف لغات عديدة44، بطرقها وأمطها في التحليل والمعالجة45، والخوارزميات الخاصة بضبط حساب الاحتمالات من حيث الدقة والتكرار والحساسية، أن أساليب التعرف تزداد نجاعة عندما تتدرب الخوارزميات على بيانات جديدة وبأحجام كبيرة حيث تصبح أكثر سرعة في معالجة متن كبير من المخطوطات، ما سيمكن المستخدم من بناء قاعدة بيانات ضخمة لاستغلالها في التطبيقات الحاسوبية والبرامج المحوسبة المختلفة وخاصة ما يتعلق منه بالتحقيق العلمي للمخطوطات، وهو أمر جيد جدا للكتابة العربية التاريخية المكتوبة بخط اليد. وكخطوة تالية، يمكننا إضافة المزيد من الصفحات لزيادة حجم التدريب والتعلم العميق، ومن خلال ذلك: (1) تحسين دقة التعرف الآلي وإضافة مجموعات أخرى من البيانات المفتوحة المصدر باللغة العربية والمكتوبة بخط اليد إلى مجموعة التدريب الحالية، و(2) التحقق مما إذا كان الأمر يحسن دقة التعرف أم لا؛ و (3) معالجة بعض المخطوطات من خلال منصة ترانسكريبوس لمعرفة كيف يقوم محرك التعرف الآلي بنسخها كما تبين النافذة الرئيسية للمنصة في الشكل رقم 13 التالي46:

- Adi Keinan-Schoonbaert , Using Transkribus for Arabic Handwritten Text Recognition Digital Curator for Asian and African Collections, British Library.p.5 41
- .Ibid.p.4 42
- 4-Ibid.p.3 43
- تعالج منصة ترانسكريبوس عشرات النصوص المخطوطة للغات مثل الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية والهندية والهوية (قوم في أوروبا الشرقية) والتشيكية والسويدية والبولندية واللاتينية والبرتغالية .. تقوم المنصة باختبار نصوص متنوعة ومنها نصوص اللغة العربية المخطوطة باليد وهي غير متاحة للمستخدمين لحد الآن.
- تعد النماذج التالية AlexNet، وDensNets، التي اعتمدتها المنصة والتابعة للشبكة العصبية أمطاط تستخدم في تحليل الطبقات المخفية العميقة مع الربط بينها وتميز بقدرتها على التعلم بالتدريب المتكرر وبكلفة الانجاز ونوع وحجم الوثيقة وتجاوز الأخطاء المتمثلة في تجنب ثلاثي (انهيار) بعض الملامح والسمات أثناء العملية، ويتم اختيارها كبروتوكول في عملية التعرف الآلي على النصوص المخطوطة بناء على نجاعتها ومعارفها التي تناسب الأشكال والرسوم والصور المعالجة. (للمزيد انظر :
- Bhaves Singh Bisht, Types of Convolutional Neural Networks: LeNet, AlexNet, VGG-16 Net, ResNet and Inception Net ; Published in (Analytics Widhya , 5 min read.Vol.3.(2020
- Adi Keinan-Schoonbaert , Using Transkribus for Arabic Handwritten Text Recognition Digital Curator for Asian and African Collections, British Library.p.3 46

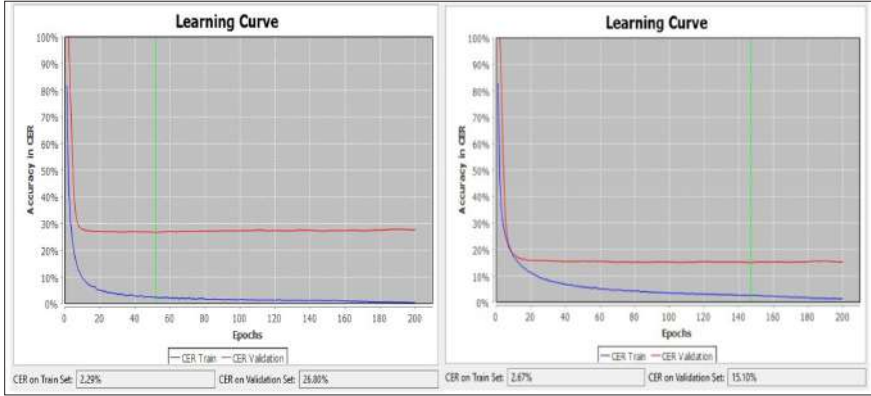


الشكل رقم 13: عمل منصة Transkribus في التعرف على المخطوط مع التوسيمات (annotations) المرفقة في النص المتعرف عليه من 1 إلى 7.

وإذا كانت الدقة مرضية، فيمكننا رؤية كيفية توسيع نطاق ذلك وجعل هذه النسخ متاحة بشكل مفتوح ويمكن الوصول إليها بسهولة أيضاً وفي غضون ذلك، تتحسن الدقة مع التكرار التعلم العميق ولذلك نحتاج إلى توسيع نطاق التعرف على المخطوطات بانتاج نصوص رقمية معالجة قصد التعلم على نماذج ضخمة تحوي مئات الصفحات وتحويلها رقمياً 47 مع اتخاذ القرار خلال التعرف المحرفي على الاشكال باعتماد محرك استدلال يقوم على الأساليب الاستنباطية والحدسية خاصة وأن صعوبة التنبؤ وفي ادراك الخطأ تعود إلى المشاكل المصحوبة في عملية التعرف ومنها صعوبة استشعار الضوضاء الناتجة عن تداخل المحارف في بعضها والتي تتطلب خوارزميات خاصة بما يعرف بالتقطيع إلى أجزاء متصلة 48.

47 Ibid.p.3

48 محمد بسام وآخرون، نظام التعرف البصري على المحارف عربي-لاتيني متعدد الحظوظ (1996)، ص.174.



الشكل رقم 14: مبيان دقة المنصة في التعرف على المحارف في المخطوط.

مجموعة بيانات التدريب (ص.)	مجموعة التقييم (ص.)	نسبة خطأ التعرف على المحارف (CER)	دقة المحارف
20	100	26.80%	73.20%
50	70	19.27%	80.73%
75	45	15.10%	84.9%
100	20	13.57%	86.43%

الجدول رقم 2: جدول نسب تقييم دقة التعرف على المحارف اعتمادا على بيانات التدريب باستخدام منصة ترانسكريبوس 49.

خاتمة:

نجنح إلى القول أن أهمية الأنظمة القائمة على التعلم العصبي العميق في معالجة المحارف والأشكال والخطوط والتعرف عليها إلكترونيا ناجعة كأسلوب للتعرف على أشكال الحرف الواحد ضمن نظام الخط العربي، وعلى الرغم من صعوبة وتعقيد التعرف على المخطوطات العربية المكتوبة بخط اليد مقارنة مع خطوط اللغات اللاتينية مثلا، فإن اتباع مراحل التعرف المعمول بها باستخدام التعلم العصبي العميق وخاصة عملية تفكيك وتجزئتي المتواليات الخطية إلى حُرِفات صغيرة وتقطيعها إلى أجزاء وجزيئات من الأشكال بحجم البيكسل وتطبيق السلاسل المخفية لاكتشاف الأطياف والأشكال المحتملة، واستخراج الميزات وتسويتها في مراحل لاحقة باستخدام بيانات التدريب، وبمساعدة البرمجيات الملحقه التي توظفها أنظمة التوثيق والفهرسة القائمة على التوسيمات وعلى بيانات المنصات المفتوحة المصدر المتخصصة في معالجة المخطوطات ومختلف نصوص اللغات الطبيعية.

وإلى جانب أهمية ودور هذه الأنظمة في معالجة الحرف بطريقة مستقلة، وبتوظيف التقنيات والعبارات العقلانية المتقدمة حيث يتيح كلما استجد الأمر بناء حزم من هذه السلاسل ذات الحالات النهائية المناسبة والملائمة للنماذج المختارة في التدريب بهدف اكتشاف الأخطاء المحتملة وتداركها لاحقا.

يعتبر أسلوب التعلم العميق المدعوم بالشبكات العصبية الالتفافية طريقة ناجعة للتعرف على جميع المدخلات الخطية المستخرجة من المخطوطات العربية، ومن ثم استثمارها لاحقا في الفهرسة والتوثيق الآليين وفي تطبيقات أخرى كالتحقيق الإلكتروني

للمخطوطات التاريخية التي تخرز بها المكتبات والمراكز والجامعات العربية والدولية والتي تحتاج سرعة ودقة المعالجة الآلية التي وفرتها طرائق الذكاء الاصطناعي وهندسة المعرفة ، كما تعتبر هذه التجربة بداية لبناء قواعد بيانات ضخمة للمحارف وللحروف العربية ما سيؤدي إلى تطوير نظام الكتابة العربية إلكترونيًا وسيدعم طرق التوثيق والفهرسة والاسترجاع واغناء الرصيد المعرفي والعلمي للمتعلم العربي والباحث الذي طالما انهكته مناهج البحث عن المعلومات من أجل الحصول على مصطلح علمي في مجال الطب وفي غيره من المجالات المعرفية والذي يوجد بين ثنايا المخطوطات الراكدة وهو لا يدري بوجودها مما يربك جودة المعلومات المعرفية ونظام الكفاية اللغوية والعلمية باللغة العربية الفصحى.

المصادر والمراجع:

أ. بالعربية:

- الحناش محمد، اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، أعمال المؤتمر الدولي الثاني، سلسلة الندوات، المجلد الثالث (1996).
- بسو الصديق، خوارزميات والتعرف الآلي على الخط العربي، أعمال ندوة التكنولوجيات الجديدة ودورها في صناعة اللغة العربية واستعمالها كلية التكنولوجيا جامعة الاخوة منتوري (2017).
- جمبي كمال، مقارنة لتقطيع الكلمات المكتوبة باليد، أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، التواصل اللساني، سلسلة الندوات، المجلد الثالث، (1996).
- المحتسب حسني، التعرف على الخط العربي المكتوب يدويًا، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن كلية هندسة وعلوم الحاسب الآلي قسم علوم الحاسب الآلي تعريب الحاسبات ع.ح 484. بإشراف الاستاذ حسني المحتسب، سنة 2006. 30- مجلة العربية 3000 - مجلة النادي العربي للمعلومات.
- الطاهر علي جواد، علم تحقيق المخطوطات، مجلة المنهل، العدد 603، المجلد 68، أكتوبر ونونبر 2006.
- المنجي جعلي، محمد احمد، جراح دريغوس، ستيفان كنير، التعرف على الحروف العربية عن طريق شبكات الخلايا العصبية الاصطناعية ضمن استراتيجيات معالجة الوثائق الكترونيا، التواصل اللساني، سلسلة الندوات، المجلد الأول، (1993).
- <https://www.researchgate.net/publication/325952928>
- لهلال محمد وغازي عزالدين، العلوم العصبية واللسانيات والمعرفية: مقارنة علاجية لاضطرابات القراءة والذاكرة نماذج تحليلية جديدة، (قيد النشر 2023).
- عدنان نوح، التعرف على الحروف العربية المعلولة المنسوخة باليد، أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، التواصل اللساني، سلسلة الندوات، المجلد الثالث، (1996).
- عمرو عمر، ك.رومي، ي. لوكريتي، التعرف على المخطوطات العربية المكتوبة باليد، أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، التواصل اللساني، سلسلة الندوات، المجلد الثالث، (1996).
- غازي عزالدين، التعرف الآلي على التعبيرات المركبة والمتلازمة، وقائع الندوة الثالثة الدولية حول المعالجة الآلية للغة العربية، مجلة حوسبة اللغة العربية المجلد 2، العدد 1، صص.77-92. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/177002>.
- ((2021)). غازي عزالدين، المنطقة المعتمدة في التعبيرات المتعددة الكلمات وتحديات الترجمة الآلية: معالجة معجمية آلية باستخدام التعلم العميق، المؤتمر الدولي التاسع حول الترجمة والمناقشة يومي 28 و 29 يناير (2023) (قيد النشر).
- محمد بسام وآخرون، نظام التعرف البصري على المحارف عربي-لاتيني متعدد الحطوط، أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، التواصل اللساني، سلسلة الندوات، المجلد الثالث، (1996).
- فرحات هاشم. تكنولوجيات المعلومات وأثرها في ضبط المخطوطات العربية وإثباتها. (على الخط المباشر) متاحة على الشبكة (<http://www.librarian.net> 2006).
- سهام موساوي، تسخير شبكة العصبونات في التعرف الآلي على الخط اليدوي العربي، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية المجلد 1 ، العدد 1، (2009) ص.34-29.

ب. بالأجنبية:

- Adi Keinan-Schoonbaert و Using Transkribus for Arabic Handwritten Text Recognition , Digital Curator for Asian and African Collections, British Library. On Twitter as @BL_AdiKS. <https://blogs.bl.uk/digital-scholarship/2020/01/using-transkribus-for-arabic-handwritten-text-recognition.html> (2020).
- Altwaijry .Najwa and Isra Al-Turaiki , Arabic handwriting recognition system using convolutional neural network, Neural Computing and Applications (2021) 33:2249–2261;[https://doi.org/10.1007/s00521-020-05070-8\(0123456789\(\).,volV\)\(012](https://doi.org/10.1007/s00521-020-05070-8(0123456789().,volV)(012) (2020).
- Chaouki Boufenar, Adlen Kerboua, Mohamed Batouche, Investigation on deep learning for off-line handwritten Arabic character recognition, Cognitive Systems Research. Volume 50, August 2018, Pages 180-195<https://doi.org/10.1016/j.cogsys.2017.11.002> (2018).
- Freddy Perraud Emmanuel Morin Christian Viard Gaudin Pierre Michel Lallican, models n-grammes et n-classes pour la reconnaissance de l'écriture manuscrite en ligne, TAL, vol 44 n°1/2003. pp. 63 -92.
- Gaillat Gisele , la graphologie, psychologie moderne, édition Editio 1992, pp.5-254.
- (30) Gayathri Devi S, Subramaniaswamy Vairavasundaram,1Yuvaraja Teekaraman,2Ramya Kuppusamy,3and Arun Radhakrishnan4 , A Deep Learning Approach for Recognizing the Cursive Tamil Characters in Palm Leaf Manuscripts, Mental Illness Detection and Analysis on Social Media; Volume 2022 | Article ID 3432330 | <https://doi.org/10.1155/2022/3432330>. (2020).
- Meshesha Million Recognition and retrieval from document image collections, thesis in computer science end engineering, international institute of information technology,Hyderabad,500 032,India,<http://www.iiit.ac.in>, August 2008.
- Liana M. Lorigo, Offline Arabic Handwriting Recognition: A Survey., Venu Gvindaraju. IEEE Transactions on Pattern Analysis and Machine Intelligence (Volume: 28, Issue: 5, May (2006).pp. 712 – 724.
- Selouani S. A. J . Caelen, Reconnaissance automatique de l'arabe par les modèles de Markov caches discrets, langues situées technologie et communication, édité par Abdelkader Fassi Fihri, vol 1, mars 1997.
- Sabeenian R.S, M. E. Paramasivam, R. Anand, and P. M. Dinesh, "Palm-leaf manuscript character recognition and classification using convolutional neural networks," Computing and Network Sustainability, Springer, Singapore, pp. 397–404, 2019. View at: Publisher Site | Google Scholar.
- Rachidi. Ali, Reconnaissance automatique de caractères et de textes amazighes : état des lieux et perspectives, ENCG et Laboratoire IRF-SIC, Université Ibn Zohr, Agadir sinag -Asinag, 9, 2014, p. 119-132.
- Yang Tao,, Computational Verb Theory, From engineering, dynamic system to physical linguistics, Yang's Scientific research Institute, LLC Tucson, USA ,Shanghai China, 2002.
- <https://app.transkribus.eu> (2020).

المحور الثالث: دراسات ببليوغرافية وتعريفية

المحور الثالث: دراسات ببليوغرافية وتعريفية



مجرد تصحيح لبعض الأخطاء المتداولة عن المخطوط والكتاب المخطوط

محمود سالم الشيخ

نائب رئيس جامعة فلورنسا سابقاً

1. الحوامل وأدوات الكتابة

الكتابة هي نتاج شعور الإنسان بحاجة الملحة لنقل معلومات إلى بني جنسه في شكل مكتوب، على حامل ثابت من الحوامل التي كانت الطبيعة توفرها له في كل زمان ومكان، فَمَارَسَ الكتابة في فترة مبكرة، وقبل اكتشاف الورق، مستخدماً مختلف المواد، منها الصلبة مثل الحجر والجص والفخار، وهي المواد التي كانت تُحفر أو يكتب عليها بمواد ملونة، وبعضها ألواح من الخشب الخالص أو المغطى بالشمع، إلى أن اكتشفت بعد ذلك أوراق البردي - منفردة أو مجمعة في لفائف - إلى جانب الرقّ والقماش.

وفي بلاد العرب، أي في الجزيرة العربية¹، لجأ البدو إلى ما كانت تُنتجه البيئة الصحراوية: من جريد النخل والعُصْب وعظام أكتاف وأضلاع الإبل والغنم، والحجارة، ثم الرقّ، وأحياناً القماش الأبيض (رغم ثدريته في الجزيرة العربية)، قبل أن يحتل البردي² الصدارة، إلى أن ظهر الورق في العصر العباسي.

ليس معنى ذلك أن فن الكتابة وصناعة الكتب كانا مجهولين، فمن المعروف أن الكتاب المخطوط كان يُصنع منذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرون الأولى لظهور المسيحية، في شكل لفائف من البردي (Cyperus papyrus) الذي كان يوجد نباته بكثرة على ضفاف النيل تحت اسم السعد، كما كان معروفاً كذلك في فلسطين وبلاد ما بين النهرين وجزيرة صقلية. كان البردي بعد تجفيفه يُجهز في أوراق تتراوح أبعادها بين 20 و 30 سم طويلاً، ومن 15 إلى 25 سم عرضاً، وإن كان يتراوح غالباً بين 16 و 18 سم.

ولتكوين اللغة كانت الأوراق تُلصق بعضها ببعض من الحافة الخارجية ومن نفس الواجهة، ما عدا ورقة الوقاية، أي الورقة الأولى (البروتوكول *πρωτόκολλον*)، وهي شريحة من نوعية أخرى - ربما أدنى - بحيث تكون أليافها متعامدة على بقية ألياف اللغة. وكانت اللغة تتكون عادة من 20 ورقة تقريباً، ويبلغ طولها بين أربعة وخمسة أمتار، وهو المقاس المعتاد آنذاك للكتاب-اللغة. وإذا كان المكتوب لا يملأ اللغة كاملة كان يتم قطع الجزء المتبقي بعد انتهاء الكتابة. وفي المقابل، إذا كان حجم الكتاب كبيراً ويتطلب لغة أطول

1 تعتبر النقوش والآثار المكتوبة بخط عربي قبل ظهور الإسلام معدومة، إذا استثنينا النقوش النبطية المكتوبة بحروف نبطية - عربية، مثل نقش "أم الجمل" (275-200 م؟)، ونقش "النمارة" (328 م؟)، وأخرى مثل نقش "ريد" (512 م؟)، ونقش "أسيس" (528 م؟)، ونقش "حرّان اللّجا" (568 م؟). وإذا سلمنا - جدلاً - أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من المراحل المبكرة للحروف العربية، فيجب أن نسلم كذلك بأن نصوصها ضحلة؛ لفقر محتواها وتكرار ألفاظها التي تقتصر على أعلام لأشخاص، وتواريخ قليلة القدر والمنفعة في تاريخ الكتابة واللغة.

2 تُعدُّ "بردية أناسيا" (محافظة بني سويف بمصر) ثنائية اللغة، إذ إنها مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية؛ النص اليوناني كتبه شماس الكنيسة المدعو "جان"، والنص العربي كتبه المدعو "ابن حديد". وهي مؤرخة بتاريخ جمادى الأولى من سنة 22هـ، الموافق أبريل سنة 643م، ومحفوظة الآن في متحف النمسا الوطني بفيينا، وتُعدُّ أقدم بردية مكتوبة باللغة العربية. لكن هناك أجزاء متناثرة لبعض الأعمال المبكرة، مثل "الموطأ" للإمام مالك بن أنس، وصحيفة همام بن منبه، وصحيفة عبد الله بن لهيعة. واكتشفت بعثة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة أثناء حفائر أجرتها بإدفو سنة 1922 نسخة كاملة من كتاب "الجامع في الحديث النبوي" لعبد الله بن وهب (ت 197هـ - 812م)، محفوظة الآن في دار الكتب المصرية تحت رقم 2123 (راجع إمين فؤاد سيد، 18/1).

من المقاس المعتاد، فكان من السهل لصق لفافتين (10 أمتار/11 مترًا) أو أكثر، أي بما يتناسب مع احتياج الكتاب المراد نسخه.

وللكتابة - وكذلك للقراءة - كانت اللغافة تُفرد بركة وحذر من اليسار إلى اليمين، وكان الناسخ يستعمل القلم (káλαμος) المصنوع من البوص (canna)، أو الأسل (giunco)، أو ريشة النعام التي كان يغمسها في محبرة مليئة بحبر مجهز من مسحوق الكربون (carbon black)، المعروف آنذاك باسم (nerofumo, nero di carbone) وبعد الانتهاء من الكتابة يُثَلَّف الكتاب حول أسطوانة من الخشب تسمى سرة (umbilicus) وتزود عادة بقصاصه يُكتب عليها اسم المؤلف واسم الكتاب، وكثيرًا ما كانت تنفرد ورقة البروتوكول protocollo بهذه المهمة.

صُيِّع الكتاب المخطوط من القرن الرابع قبل الميلاد - كما ذكرنا - وحتى القرون الأولى لظهور المسيحية، في شكل لفائف من الردي، ومن الرقّ حتى القرن الخامس عشر الميلادي، ومن الورق في أوروبا من النصف الثاني من القرن الثاني عشر. فإذا كان نبات السعد الذي تُثَغَّد منه أوراق الردي بنبت في أماكن محددة، فإن الرقّ كان في متناول الجميع لأنه يُثَغَّد من جلد الحيوان: الخراف والماعز والبقر. فبعد ذبح الحيوان وسلخه - أي فصل لحمه عن جلده - كان الجلد يوضع في حمام من الجير لتسهيل عملية نزع الوبر، وبعد نزع الوبر وكشط اللحم والشحم - الملتصقين بالجلد - يُشَدُّ على إطارات خشبية لتجفيفه، وتستخدم هذه الطريقة أساسًا للحصول على جلد ناصع البياض، قوي، وفي نفس الوقت لين وناعم ومُهيئًا للكتاب. ومن البديهي أن البيرجامينا (قطعة الرق pergamen) تتميز بوجود اختلاف واضح بين الوجه، أي الجهة الخارجية (جهة الوبر) التي تكون في العادة خشنة نوعًا ما، ومائلة إلى اللون الداكن، وبين الظهر، أي الجهة الداخلية (جهة اللحم) الناعمة ذات اللون الأبيض الفاتح.

أما عن الورق فتشير المصادر التاريخية إلى أنه كان معروفًا في الصين منذ أن توصل إلى تصنيعه عام 195م تساي لون (Ts'ai Lun)، أحد رجال البلاط الإمبراطوري آنذاك. وقد استخدم تساي لون الملابس المستعملة وشباك الصيد ولحاء الأشجار من أجل تجهيز عجينة الورق. لكن من المرجح أن وجود الورق في الصين يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فأثناء الحفريات الأثرية في إحدى مقابر هذه الفترة في "دونهوانج" (Dunhuang - Gansu) اكتشف المنقبون عام 1986 كميات كبيرة من الورق، بينها قصاصات من ورقة كان قد رسمت عليها خريطة. وربما يؤكد هذا الحدث الأركيولوجي الأسطورة التي تحكي أن أول إمبراطور صيني، الإمبراطور "كين شي هوانجدي" (Qin Shi Huangdi)، بعد أن وُحِدَ الإمبراطورية سنة 221 قبل الميلاد، وبناء على نصيحة مستشاره "لي سي" Li Si، قام سنة 213 قبل الميلاد بمناهضة وتصفية مدارس الفكر والفلسفة المائة المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية، باستثناء مدرسة المستشار "لي سي" Li Si المعروفة تحت اسم "ليجزم" Legism، وحرق كل ما تحتويه هذه المدارس من كتب ووثائق، ما عدا كتب الحرب والتكنيك والطب والزراعة، متسببًا في القضاء على إرث الحضارة الصينية وتاريخها في فترة ما قبل حكمه.

وكان الجوال الإيطالي ماركو بولو (Marco Polo) هو أول أوروبي يتحدث عن صناعة الورق التي شاهدها في بكين في كتابه الشهير "المليون" (il Milione) الذي يسجل رحلته إلى جنوب شرق آسيا والصين في الفترة ما بين 1271 و 1295. واحتفظ الصينيون بأسرار صناعة الورق حتى القرن الخامس الميلادي، عندما تمكن الراهب البوذي "دام جينج" (Dam Jing) من وضع يده على سر الصنعة ونقلها إلى اليابان، فاستخدم اليابانيون القنب ولحاء أشجار التوت (كوزو kozo) في تصنيع الورق المعروف باسم "واشي" (washi)، الذي انتشرت شهرته في شتى أرجاء العالم، واعتبرته اليونسكو سنة 2014 جزءًا من تراث الإنسانية.

وكان على العرب أن ينتظروا انتصار الجيوش الإسلامية بقيادة زياد بن صالح الخزازي حاكم سمرقند، على الجيش الصيني بقيادة الجنرال الكوري "كاو سين-شي" (Kao Sien-chih) أو (Gao Xianzhi) سنة 751م، في معركة نهر طراز (Tarāz) أو تالاس (Talās) في

3 نسبة إلى Pergamo، بمعنى "ورقة من بيرجامو".

4 يقول القلقشندي: "كانت الأمم في ذلك متفاوتة، فكان أهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش والكأ، وعندهم أخذ الناس صناعة الورق؛ وأهل الهند يكتبون في خرق الحرير الأبيض؛ والفرس يكتبون في الخفاف (وهي حجارة بيض رفاق)؛ وفي النحاس والحديد ونحوهما، وفي عشب النخل (وهي الجريد الذي لا خوص عليه)، وفي عظم أكاف الإبل والغنم".

جنوب كازاخستان، حيث عاد المنتصرون إلى سمرقند بالعديد من الأسرى⁵، كان من بينهم صينيون على دراية تامة بنسيج الحرير، وآخرون بصناعة الورق. وبفضل هؤلاء الأسرى الصينيين قامت في الكوفة صناعة الحرير، وفي سمرقند صناعة الورق، وتلا ذلك بقليل إدخال صناعة الورق إلى بغداد عاصمة العباسيين، ويؤكد ذلك وجود مطبخ للورق في بغداد منذ عام 794م. من هنا انتشرت صناعة الورق لتعم كل بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط: دخلت مصر في القرن التاسع الميلادي، وأرمينيا وبيزنطة في القرن العاشر، وجزيرة صقلية في القرن الحادي عشر، ويبدو أنها لم تُستقبل هناك بالترحيب، خاصة من مراكز السلطة، بدليل أن الإمبراطور "فيدريكو الثاني" (Federico II) أصدر عام 1221 مرسومًا يمنع استعمال الورق في المعاملات الدبلوماسية ومراسيم الدولة؛ وانتقلت صناعة الورق من الشام إلى المغرب العربي ثم الأندلس (إسبانيا) في القرن الثاني عشر.

ومن المعروف أن الورق كان يُصنع من عجينة القنب والكتان، والألياف النباتية الأخرى مثل القطن، تُوضع في قوالب ثابتة أو متحركة. وكان لإيطاليا دور كبير في تطوير صناعة الورق، خاصة في منتصف القرن الثالث عشر، بعد أن أحدثت مدينة "فابريانو" (Fabriano)، ثم "توسكولانو" (Toscolano - التي تتميز الآن بمتحف كبير للورق على بحيرة جارد (Garda) ثورتها المعروفة في صناعة الورق (من يجهل الورق الفابريانو؟). وكان من أهم مستحدثات هذه الثورة إدخال العلامة المائية (filigrana) التي تسمح بتحديد المصنع وتاريخ تصنيع الورق. وتتكون هذه العلامات المائية عادة من رسوم أو أحرف تشير إلى اسم المصنع أو إلى اسم صاحبه⁸.

2. صناعة الكتاب في كراسات

يتكون "الكوديكس" (أي الكتاب المخطوط) من عدة كرايس (دفاتر أو ملازم)، وكل كراس يتكون من عدة أوراق مزدوجة (يقال لها bi-foglio) وهي متداخلة بعضها في بعض، يجمعها خيط التجميع. والورقة المزدوجة - كما هو واضح من الكلمة - هي قطعة رَقّ أو ورق (يقال لها foglio)، تُطوى نصفين من الوسط لتشكّل ورقتين، لكل ورقة وجهان، كل وجه يشكل صفحة (وهو ما نشير إليه عادة في البلاد العربية بحرف "ص"، وفي اللغات الأوروبية بحرف "c" أو "f"، اختصار carta, foglio). تُطلق على الوجه حرف "و"، أو حرف "r" اختصار recto أو "a" في اللغات الأوروبية، وتُطلق على الظهر حرف "ط"، أو حرف "ب" ("v" اختصار verso أو "b" في اللغات الأوروبية).

كان فرخ الورق يُطوى نصفين للحصول على bi-foglio (أي على ورقتين)، وكان الكراس يتكون - وما يزال - من 4 أوراق مطوية، يقال له "كوآتينون" (4) (quaternione) ورقات مزدوجة = 8 ورقات مفردة = 16 صفحة، وكثيرًا ما كان الكراس يتكون من 5 أوراق مزدوجة، يقال له "كوينون" (quinione). وفي القرون الوسطى وفي عصر النهضة وصل الكراس إلى 6 أوراق مزدوجة، يقال لها "سينيون" (senione). كانت الأوراق قبل الكتابة تُسطر بقلم من الصلب أو ببحر خفيف أو بقلم رصاص، ويساعد أحيانًا شكل التسطير (أو ما يسمى "نظام التسطير") على معرفة أصل المخطوط، أي مكان إنتاجه. صحيح أنه من المفترض أن تنفيذ خاتمة المخطوط (كولوفون (κολλοφών) بتاريخ كتابته واسم الناسخ ومكان النسخ، إلا أن هذه القاعدة قلما نجدها مطبقة، إذ يلجأ المحقق - كما سنذكر - إلى ما يتاح له من إمكانيات منهج التحقيق لمحاولة تأريخ المخطوط.

حتى نهاية القرن الثالث عشر، كان نسخ المخطوطات وإخراجها في أوروبا مقصورًا على متخصصين، معروفين بالعبيد المدربين على الكتابة. ومن نهاية العصر الكلاسيكي، حتى القرن الثالث عشر الميلادي، تخصص في كتابة المخطوطات ونسخها نُسّاخ أو كُتّاب متخصصون (copyists, scribes) من "الرهبان البندكتيين" (Benedictine monks)، حيث كان البندكتيون قد جهزوا في أديرتهم مراكز كتابة (scriptorium)، تتمتع بإضاءة عالية، ومجهزة بكل الأدوات اللازمة للنسخ والكتابة. وكانت المراكز المهمة تتميز بوجود

5. يبالغ البعض (الحواسي مثلاً، ص 27) في العدد، فيذكره "عشرين ألف أسير"، رغم أن الجيش الصيني كان مكونًا من 30 ألف جندي. ويرجع هذا الخطأ إلى الخلط (أو اللبس) بين عدد الأسرى وعدد الجنود الأتراك في الجيش الصيني (20 ألف جندي) الذين انضموا إلى جيش المسلمين وهاجموا الصينيين من الصفوف الخلفية، مما أدى إلى انتصار جيش المسلمين.

6. يؤكد البعض أنه من أعمال هارون الرشيد.

7. يسجل تشارلز بريكيه Ch. Briquet علامات ابتداء من سنة 1282.

8. مثل مخطوط المكتبة الوطنية المركزية بفلورنسا BR 206 الذي كُتبت علامته باسم Nicolò Po[.]ri e figli

قسم خاص بالتصحيح، حيث كان المصححون يعملون جنباً إلى جنب مع النساخ، يقرأون النسخة ويراجعونها على الأصل لتصحيح ما قد تحتوي من أخطاء. وكان لكل مركز مدير مسؤول: يوزع العمل ويراجع النسخ، وترجع إليه عادة خصائص المخطوطات التي كانت تُنتج في المركز، ممثلة في أحجام المخطوطات، ونظام التسطير، واستعمال الأحبار الملونة، وأهم من ذلك تطوير الخطوط وتعدد أنواعها، مما كان له أثر كبير في توسُّع "علم الباليوجرافيا" (paleografia). ومع القرن الثالث عشر - بعد تأسيس ونشأة الجامعات وزيادة عدد القراء - تكونت طبقة من النساخ "المدينين"، لا تقل مهارة عن رهبان الأديرة، وإلى هذه الفئة يرجع الفضل في كتابة ما وصلتنا من الأعمال الأدبية والإنسانية عامة.

3. علم المخطوطات: تأصيل تاريخي ومنهجي

على الرغم من العناية التي حظيت بها دراسة المخطوطات منذ عدة قرون إلّا أن مصطلح "علم المخطوطات" أو "كوديكولوجيا"، الذي ترجمه العرب مؤخراً عن اللغات الرومانسية، أو اللغات الأوروبية الحديثة، (codicologia, codicologie, codicology)، هذا المصطلح ما يزال محاطاً بشيء من الغموض في "جمهورية الآداب والعلوم الإنسانية العربية"، بالرغم من تعدد الكتب والمؤلفات حول هذا الموضوع: من المنجد [1960، 1987] إلى هارون [1965]، ومن الحلوجي [1967-1988] إلى عبد التواب [1985]، دون أن ننسى في هذا المضمار - أو نتناسى - أيمن فؤاد سيد [1997] وترجمته لكتاب ديروش [2005]، وكثيرين غيرهم ممن تناولوا هذا الموضوع، حيث إن "المخطوط العربي"، أو "الكتاب العربي المخطوط" - في مخيلة أكثرهم - ظل مقصوراً منذ بدايته على التراث الديني الإسلامي فحسب، وبالتحديد على القرآن الكريم والأحاديث، وربما كتب التفسير، وكأنه لم يكن هناك أي احتكاك بالمدراس التاريخية الأوروبية، رغم أن الأساتذة المستشرقين الذين استدعوا للتدريس في الجامعة المصرية فور إنشائها [1908] كانوا - في مجملهم - يتبعون المنهج التاريخي للمدرسة الأوروبية، مما كان له عظيم الأثر، ليس فقط في حياة الجامعة المصرية الوليدة، بل في تاريخ الفكر العربي الحديث، ومثل نقطة تحول حاسمة وذات شأن في تاريخ الثقافة المصرية في النصف الأول من القرن الماضي.

فالإيطالي "كارلو ألفونسو نالينو" Carlo Alfonso Nallino - على سبيل المثال - افتتح محاضراته [1908-1909] بتدريس "تاريخ الفلك عند العرب"، وفي العامين التاليين [1910-1911] تفرغ لتدريس "تاريخ آداب اللغة العربية"، ويقول عنه عميد الأدب العربي: "كان أكثر ما يميز به نالينو أثناء شرحه 'النقد التاريخي'، وتحدث عن أسبقية الشعر التاريخي وعمره الحقيقي. إن نالينو هو الذي عَلَّمنا ما هو تاريخ الأدب، وكيف نُقِّم الأسلوب ونُصنّف المدرسة الأدبية أو المؤلف وما إلى ذلك. وكان نالينو هو الذي عَلَّمنا كيف نشأ الأدب العربي، وكيف تطور، وما هي العلاقات التي قامت منذ القرون الأولى بين الأدب والسياسة وبين الأدب والبيئة [...] وكانت دروس الأدب التي أسمعها في الجامعة حين يقبل المساء تدفعني إلى حياة الطلاب الذين يختلطون إلى الجامعات في روما وباريس وغيرهما من المدن الجامعية الأوروبية الكبرى [...] كنتُ أخرج مُصَبِّحاً إلى الأزهر فأسمع فيه درس الأدب من الأستاذ العظيم السيد علي المرصفي، وأخرج منه مع المساء إلى الجامعة المصرية فأسمع فيها درس الأدب من الأستاذ العظيم كارلو نالينو. وكانت دروس الأدب تلك التي كنت أسمعها في الأزهر حين يرتفع الضحى تردني إلى حياة الطلاب القدماء، الذين كانوا يختلفون إلى العلماء في مساجد البصرة والكوفة وبغداد. وكانت دروس الأدب التي كنت أسمعها في الجامعة حين يقبل المساء تدفعني إلى حياة الطلاب الذين يختلطون إلى الجامعات في روما وباريس وغيرها من المدن الجامعية الأوروبية الكبرى [...] وقد سجلت غير مرة - وأسجل الآن - أي مدين بحياتي العقلية كلها لهذين الأستاذين العظيمين: سيد علي المرصفي، الذي كنت أسمع دروسه وجه النهار، وكارلو نالينو الذي كنت أسمع دروسه آخر النهار. أحدهما علمني كيف أقرأ النص العربي القديم، وكيف أفهمه، وكيف أمثله في نفسي، وكيف أحاول محاكاته؛ وعلمني الآخر كيف أستنبط الحقائق من ذلك النص، وكيف أُلتم بينها، وكيف أضوعها آخر الأمر علماً يقرؤه الناس فيفهمونه، ويجدون فيه شيئاً ذا بال [...] فلا غرابة إذاً في أن تكون حياتي كلها برّاً بهذين الأستاذين، وإكباراً لهما واعتزافاً بفضلهما ... " (من مقدمة طه حسين لكتاب نالينو)9.

رغم ذلك، نجد أن هناك من تحدث وكتب باستفاضة عن "المخطوط العربي"، وفسره بأنه "الكتاب المخطوط بخط عربي، سواءً

9 تاريخ الأدب تاريخ الأدب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية (نص المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية في سنة 1910-1911) المرحوم الأستاذ كارلو نالينو، اعتنت بنشرها مريم نالينو، تقديم الدكتور طه حسين، دار المعارف مصر 1952، ص 6-7.

أكان في شكل لفائف أم في شكل صُحُف صُمَّ بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراسات، مستبعدًا "الرسائل والعهود والمواثيق والصكوك والنقوش" 10 عن مفهوم "المخطوط"، كما لو كانت هذه "النصوص" لم تُكتب بخط اليد، بل كُتِبَتْ - أو نُقِشَتْ - على حاسوب، أو على إحدى آلات الكتابة الميكانيكية الأخرى التي كانت منتشرة قبل اختراع الطباعة، أي قبل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي! وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على بُسْ في فهم وتفسير مصطلح "مخطوط" (وهو كل ما كُتِبَ بخط اليد)، ومصطلح "نص" (وهو مضمون ما كُتِبَ). وترتب على ذلك خلط المفاهيم وعدم التمييز بين "دراسة المخطوطات"، وبين "منهج تحقيق النصوص"، بدليل أن المصطلحات السائدة في الأوساط العربية - مؤسساتٍ وأفراداً - ما زالت عناوينها تشير خطأً إلى "تحقيق المخطوطات" و"تحقيق التراث"، رغم أن المخطوطات لا تُحَقَّقُ، بل تُدرُسُ في إطار الحصر والمقابلة والتصنيف لتحقيق النصوص، أو تُنشر وفقًا لمنهج نشر النص المحفوظ في نسخة واحدة. إذن، فالنصوص هي التي تُحَقَّقُ وفقًا لمنهج تحقيق النصوص المعروف باسم "منهج لاخمان".

بل إن هناك من يذهب إلى تقسيم المخطوطات بالنظر إلى انتمائها أو مضمونها الديني 11:

المخطوط العربي الإسلامي [...] الذي تناول موضوعًا من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية، ونُسَخَ بالحرف العربي، ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية، كلغات أفريقيا السوداء، واللغات الحامية كالأمازيقية، واللغات الهندية الأوروبية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu) أو الباكستانية والعثمانية والتركية [...] وقد تتبعها العالم الأوروبي جوفروا روبر (Geoffrey Roper) وأحساها فوجدها مئة وتسعة وعشرين (129) لغة. ثم يضيف على هذا التعداد "المخطوط الذي عالج موضوعًا عربيًا ولكنه بلهجات غير عربية.

المخطوط المسيحي، ذلكم الكتاب الذي يكون صاحبه مسيحيًا، لكنه يكتب باللغة العربية، ويتناول فيه موضوعًا عربيًا، أو يعالج قضايا عقائدية مسيحية.

رغم احترامي للصديق الدكتور أحمد شوقي بنين ومجهودات مستر جوفروا روبر، أعتقد أن هذا "التمييز يُبعد كل البعد عن أي منهج علمي لدراسة المخطوطات، لذا لا أتفق معهم، بل أدعوهم لإعادة النظر فيما دونوا.

إن التعرض للبحث في تاريخ "الكتاب المخطوط" في البلاد العربية - منذ منتصف القرن الماضي كما ذكرنا - كان هدفه بالأساس الحديث عن القرآن الكريم بصفته "الكتاب"، أو "أول كتاب عربي جُمِعَ بين اللوحين في خلافة الصديق رضي الله عنه"، ومن ثم بات طبيعيًا - في نظر هؤلاء - أن هذا الكتاب السماوي يتبعه بالضرورة "التأليف في الحديث والتفسير والمغازي قبل غيرها من العلوم"، لأنها في نظرهم "تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان". وكان التراث العربي على - اتساعه وتنوعه - لم يعرف الفلك ولا الطب، أو لم يبدع في الرياضيات والهندسة، أو لم تصله أية أخبار عن الكيمياء والعلوم الطبيعية... وللأسف الشديد، رغم ثراء تراثنا بكافة فروعه العلمية والأدبية، ما يزال غالبية المهتمين بالمخطوطات يتجولون حول الحديث والتفسير وبقية ما جاورهما من المواد الدينية!.

لم ينبع "التوجه الديني" لهؤلاء المجتهدين من انتمائهم إلى المؤسسات التعليمية الدينية فحسب، أو لكونهم من خريجي دار العلوم، بل كان أيضًا يمثل انسياقهم وراء آراء من رفض من الأجانب الاعتراف بكرامة اللغة العربية ودورها التاريخي في بناء الحضارة الإنسانية، وأمروا على تَسْبِ الميراث العربي - كتابًا وكتُبًا - إلى الإسلام، رُجْمًا لانتهار بعضهم بزخرفة نسخ القرآن وفنون إخراجها، مثل فريدريك ساري Friedrich Sarre عندما كتب Islamische Bucheinbände عام 1923، أو ما نشره في 1929 توماس أرنولد Thomas Arnold بالاشتراك مع أدولف جروهمان Adolf Grohmann بعنوان The Islamic Book. وكانت النتيجة أن امتدت هذه الآفة مع الوقت لتصيب لفيقًا من الدارسين الغربيين (والعرب كذلك) المتخصصين في علم المخطوطات، مثل "ماريا لويزا أجاني" Maria Luisa Agati، و"فيتوريا زاجاريا روسي" Vittoria Sagaria Rossi، و"باولا أورزاتي" Paola Orsatti، و"فرانسوا ديروش" D roche Fran ois.

10 الحلوجي، عبد الستار "المخطوط العربي"، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1988، 15.

11 بنين، أحمد شوقي، "ما المخطوط"، ("دعوة الحق")، العدد 337، السنة 45، العدد الأول، مايو-يونيو 2004.

12 نشر إلى ترجمة مدخله إلى اللغة الإنجليزية عام 2005 تحت عنوان: Islamic Codicology

وكثير غيرهم، فبدلاً من أن يكتبوا عن "المخطوط العربي" أو "المكتوب بالأحرف العربية"، بصرف النظر عن موضوعه ومادته العلمية، اختاروا لدراساتهم وأبحاثهم ذلك العنوان المصطنع، أو الزائف: "المخطوط الإسلامي"، حتى "التجليد" أيضاً وصُف بأنه "إسلامي" (Sarre, Orsatti)، القصيري).

كثيرٌ من الندوات والحلقات الدراسية تُنظَّم في المؤسسات العلمية (الحكومية والأهلية) تحت عنوان "المخطوط الإسلامي" (الأحد 15 فبراير 2019، ندوة في مكتبة الإسكندرية عن "فنون المخطوطات الإسلامية"، "مقدمة حول كوديكولوجيا المخطوط الإسلامي"، دورة تدريبية في الفترة من 15 إلى 18 أبريل 2019 في جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا بالقاهرة، محمود ذكي يكتب عن "صناعة المخطوط الإسلامي"، 1 ديسمبر 2012 "الحياة"، "المخطوطات الإسلامية ومراتب تحقيقها وصيانة نصوصها"، بقلم د. أحمد بن فارس السلو، "شبكة الألوكة"، وقد فسر هذا التعبير أحد المتورين، جزاء الله خيراً، بأنه "عندما تُسند كلمة المخطوطات إلى كلمة الإسلامية يتحدد قصد المخطوطات التي أنتجها المتمنون إلى الحضارة الإسلامية، بأجناسهم ولغاتهم وعقائدهم المتعددة على امتداد العالم الإسلامي ...، عبد العزيز بن سعد بن عيسى الزير، 27 فبراير 2009 "الرياض"). كما أن هناك مؤسسات عربية اهتمت بهذا المصطلح، مثل "هيئة المخطوطات الإسلامية"، و"قسم المخطوطات الإسلامية" بمكتبة الدوحة، كما قرأنا عن "معرض لصناعة المخطوط الإسلامي" بالدوحة (12 أبريل 2015). كل هذا دون أن نتعرض لأمثال القائمة World Survey of Islamic Manuscripts التي نُشرت بين عامي 1992 و 1994، وتُرجمت إلى العربية عامي 1997 و 2002 تحت عنوان "المخطوطات الإسلامية في العالم"، أو الدورة التي نظمتها مكتبة الإسكندرية عن "التساوير وجهالياتها في المخطوطات الإسلامية" في 21-22 يونيو 2021 ...

وفي مسألة "اختيار المصطلحات" يبدو التناقض أشد وضوحاً، فمن الغريب أن علماء الكوديكولوجيا عندما يضعون جدولاً لتصنيف المخطوطات، خاصة في منطقتي حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط، يتسم تقسيمهم بدقة تُنسب المخطوط إلى اللغة المكتوب بها، فنجد مثلاً: المخطوط اليوناني، والمخطوط التركي، والمخطوط الفارسي، والمخطوط الأرمني، والمخطوط العبري، والمخطوط القبطي، والمخطوط السرياني، والمخطوط الآثيوبي، ... وهكذا. أمّا "المكتوب بالخط العربي" فهو "الكتاب المخطوط" الوحيد الذي لا يخضع لهذه القاعدة، ولا يُنسب إلى لغته¹³، بل يُنسبونه إلى الدين الذي ينتمي إليه أغلبية من يتحدث هذه اللغة، متجاهلين - أو متناسين - العلماء اليهود ودورهم العلمي والثقافي، وما تركوه من تراث باللغة العربية. من ذا الذي يجهل، مثلاً، ابن النغيلة، الوزير اليهودي في بلاط ملك غرناطة في القرن العاشر الميلادي؟ الذي كان كاتباً بارعاً وشاعراً مجيداً، إلى جانب درايته بالنحو والفلك. أو مَنْ يجهل الفيلسوف الطبيب موسى بن ميمون، عالم اليهودية الأكبر في بلاط صلاح الدين، أو يجهل الطبيب المصري اليهودي أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (القاهرة 855 - القيروان 955م)، أول من كتب باللغة العربية في تاريخ الأغذية والأدوية "كتاب الأغذية والأدوية". وكيف ننسى صديقه سعيد بن يوسف أبو يعقوب الفيومي المشهور بـ "سعديا" (882م - 942م) الذي ترجم الكتاب العبري المقدس إلى اللغة العربية وأطلق عليه اسم "كتاب التاج" في أول تجربة للتفاعل الثقافي بين اليهودية والإسلام؟ ... إلخ. وكيف يجهل هؤلاء - أو يتجاهلون - أن جزءاً ليس بضئيل من تاريخ وثقافة وإنتاج أتباع سيدنا المسيح عيسى عليه السلام، بما فيها كتابهم المقدس، مكتوب باللغة العربية؟ وكيف يجهل هؤلاء - أو يتجاهلون - رائد حركة الترجمة العباسية، حين بن إسحاق، الذي عينه الخليفة المأمون مسؤولاً عن بيت الحكمة 14 وديوان الترجمة؟ وإلى جانب مهارته في طب العيون التي حظي برئاستها، كان في أيام المتوكل من أشهر المترجمين لكتب أرسطو وجالينوس وأبقراط. وكيف يجهل هؤلاء - أو يتجاهلون - فضل ابنه، إسحاق بن حنين، وابن أخته، حبيب بن الهيثم؟ وإحقاقاً للحق، فإذا كان للحضارة العربية-الإسلامية فضل في نقل التراث العلمي والثقافي اليوناني إلى

13 معظم المكتبات الأوروبية والأمريكية تقدم فهراس "المخطوطات الإسلامية" (ميتشيجان، كامبريدج، برنستون، المكتبة الوطنية لعلم الطب، بريل، متحف والتر آرث ...)، وعلى غرارهم مؤسسة الفرقان.

14 من غرائب الدهر وعجائب الزمان أن يشكك بعض الباحثين العرب في وجود هذه "المؤسسة" دون دليل أو مستندات، أعني توثيق علمي تاريخي، وذلك لمجرد إيداء هذا الراي المستفزع من أحد المستشرقين (لست ضد الاستشراق، لكن متى سنتخلص من عقدة الخواجات؟!)، لا يكتفي هؤلاء بما ذكر ابن النديم، حيث أشار إلى "بيت الحكمة" في "الفهرست"، ربما ما يزيد على سبع مرات (لأنه ليس أهلاً بفتحهم، أمّا الخواجة ...!)، وما زال معتقو هذا المذهب يرددون أن المترجم كان يتقاضى وزن كتابه المترجم ذهباً؛ دون التفكير في مَنْ كان يُقِيم هذا العمل، ومن كان يدفع "القاتورة"؟ وهل كان المترجمون في عصر المأمون وغيره freelancers يختار كل منهم كتاباً بشكل عشوائي ترجمه، غاية منه في الحصول على قيمته الذهبية، كما لو كان مشاركاً في مسابقة "من سريخ المليون"؟! وهل يكفي عدم الإشارة إلى موقع "المؤسسة" على "خريطة بلدية بغداد" (في أرشيف المأمون)، أو عدم وجود انقراض المبنى، وقد فخر على كل حجر منها العلامة التي تميزه عن انقراض خزائن كتب الخليفة المستعصم بعد الغزو المغولي عام 656 هـ ليبرر هذا الهراس؟ كم فقد تراثنا، وكم فقدت حضارتنا، بعد تدمير الدولة العباسية ومؤسساتها على يد المغول؟ ارحموا تراثنا، برحمتك الله!!

أوروبا، فهذا الفضل راجع إلى أمثال هؤلاء من العمالة المسيحيين النسطوريين.

ونحن نرى أن تجاهل هذه الحقيقة - بالإصرار على الحديث عن "المخطوط الإسلامي" - يعتبر إهانةً وازدراءً، ليس فقط لغير المسلمين من العرب، ولكن للغتنا العربية نفسها، وما تحظى به من مكانة في تاريخ الإنسانية!

4. الكوديكولوجيا: تأصيل تاريخي ولغوي

مصطلح "كوديكولوجيا" (codicologia) يشير، كما هو واضح، إلى كلمة مركبة حديثة التكوين، لم تتجاوز من العمر حتى وقتنا هذا إلا 90 عامًا تقريبًا، ويتنازع على ابتكارها اثنان من كبار العلماء الفرنسيين: "تشارلز سَمَران" (Charles Samaran) و "ألفونس دان" (Alphonse Dain) 15.

جدير بالذكر أن "سمران" (Samaran)، أثناء إلقاء إحدى محاضراته في "المدرسة التطبيقية للدراسات العليا" (École Pratique des Hautes Études) في العام الدراسي 1934 - 1935، أكد على أن "دراسة المخطوطات" يجب اعتبارها مادة مستقلة، ذات كيان لا يقل كرامة عن باقي المواد العلمية التي تدور في فلك الفيلولوجيا، واقترح لها المصطلح "كوديكوجرافيا" (codicografia) من اليونانية γραφή + اللاتينية caudex أو codex، أسوة بـ "الباليوجرافيا" (paleografia)، أي على غرار المصطلح المتداول والمعنيّ بفن الكتابة، المكون من كلمتين من اللغة اليونانية παλαιός (بالوس 16 "قديم، عتيق") و γραφή (جرافي "كتابة"). لكن هذه التسمية لم تحظ بقبول أو ترحيب أي من المهتمين آنذاك بالدراسات الكلاسيكية، المعنيين بدراسة المخطوطات.

وبعد عشر سنوات، وفي عام 1944 استعمل ألفونس "دان" (Dain) في إحدى محاضراته عن "الفيلولوجيا اليونانية"، ولأول مرة، مصطلح "كوديكولوجيا" (codicologie, codicologia)، لكن المصطلح الجديد ظل حبيس المדרجات الجامعية حتى عام 1949 عندما نشر "دان" (Dain) (كتابه "المخطوطات" Les Manuscrits، حيث يؤكد في صفحة 76 أن مصطلح codicologia codicologie، من ابتكاره، كما يضيف بأن موسوعة لاروس الكبرى (Grand Larousse encyclopédique) قد سجلته باسمه. وعلى عكس ما حدث مع "سَمَران" (Samaran)، فقد حظي اقتراح "دان" (Dain) بقبول ورضى المجتمع العلمي بلا استثناء.

يتضح بجلاء أن المصطلح الذي ابتكره "دان" (Dain) كان خليطًا من اللغتين اللاتينية واليونانية، إذ يتكون من مقطعين، يطغى عليهما الأصل اليوناني الذي يكون الجزء الثاني من الكلمة، -logia (من λόγος لوجوس "كلمة، حديث") الذي حل محل المقطع γραφή (جرافي "كتابة") المقترح من "سَمَران" (Samaran). أما الجزء الأول، وهو المقطع الثابت، فينحدر من codex، المشتقة من اللاتينية caudex أو codex التي كانت تعني "جذع الشجرة" أو "اللوح الخشب" (الذي كانت تُنقش عليه الكتابة)، ثم تطور استعمال هذا المصطلح حتى أصبح يشير إلى الألواح الخشبية التي كانت تستخدم كغلاف للمحافظة على "الصحف" المكتوبة، أو ما كان يُكتَب عليه، مثل مجموعات البردي أو الرق، أو بكلمات ابن سيدة في تعريفه للمصحف "الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنه أَصْحَفٌ أي جُمِعت فيه الصحف" (المخصص، 13: 8)، وهو الشكل الذي يُعتبر أصلًا وأساسًا codex، والذي يمكن أن نعرفه بالهيكل الكتابي المحفوظ (بأشكال وصور مختلفة) حتى وقتنا هذا، و codex هو المصطلح الذي حل محل volumen أو "لفة" الذي كان العالم الإغريقي-الروماني قد توارثه عن المصريين منذ القرون الأولى لظهور المسيحية. ومن ثم أصبح المصطلح يشير إلى "الكتاب" في شكله وذاته المادية، الذي يسجل فيه المؤلف (بأي لغة وفي أي مكان) "الرسالة" التي يريد أن يوجهها إلى القارئ، والذي كان يُسمى قبل اختراع الطباعة "الكتاب المخطوط"، والآن نسميه فقط "المخطوط".

ما يزال "الكتاب المخطوط" يحتفظ بهذا الكيان وهذه التسمية لتمييزه عن "الكتاب المطبوع". وينطبق مصطلح "المخطوط" على كل ما كُتِب باليد، بأي لغة وفي أي مكان، وقد انفراد بهذه التسمية "الكتاب"، بما يحمله من مفهوم ومَعَانٍ، أي بما يشمل من نصوص (أدبية، علمية، فلسفية، دينية، إلخ)، بقصد إذاعته بين الناس، أو نشره بين المختصين، أو عرضه للبيع. و "الكتاب المخطوط" - أو

15 انظر لومير، في ترجمة طوني 2006، ص 23.

16 παλαιός هي أساس الكلمة العربية "بال، البالي"، قديم، عتيق.

"المخطوط" - منسوخ بيد ناسخ، ومن ثم فهو مصنوع في حدود زمنية واضحة وأكيدة، ونُفذ بمواد مختلفة في حقبة انقرضت: وهذا هو الموضوع الذي تدرسه "الكوديكولوجيا" (codicologie, codicologia) وتحاول تفسيره والإفصاح عن ملامحاته.

لا نغالي إذن في القول إن "دراسة المخطوطات" بدأ اعتبارها مادة مستقلة ذات كيان لا يقل كرامة عن باقي المواد العلمية التي تدور في فلك الفيلولوجيا في العام الأكاديمي- 1934 1935، أي قبل أقل من 90 سنة مضت، وأن الفيلولوجيا كانت - وما تزال - الأم المحتضنة للباليوجرافيا والكوديكولوجيا، وهذا يعني ويفسر أن سبب تخلف دراسة المخطوطات في بلادنا وتدهورها راجع - أولاً وأخيراً - إلى عدم ممارسة مهنة "تحقيق النصوص"، ناهيك أن مادة الكوديكولوجي (codicology) وقعت ضحية "تجارة" (تبدو مربحة) في أيدي من لا يتورع عن أن يعبث باسمها وباسم التراث، وهو يجهل المفاهيم الأساسية التي تركزت عليها المادة، ودون أن يميز بين دراسة المخطوطات وتحقيق النصوص.

من هذا العرض السريع يتضح التناقض الصارخ الذي يتضمنه اسم هذه المادة وموضوع دراستها. فإذا كانت الكوديكولوجيا هي المادة التي تهتم بدراسة "الكتاب المخطوط"، كما هو واضح من الاسم، إلا أنها لا تقتصر فقط على دراسة "الكتاب"، بل يتسع ألقها لتشمل "اللفائف" والأشكال البدائية للكتاب، بما فيها الأنواع الخشبية والوثائق والرسائل والعهود والمواثيق والصكوك والنقوش. لذا فإننا نعتقد أن أدق المصطلحات الدالة على دراسة "الكتاب المخطوط" وأصحها هو ما يعبر عنه المصطلح الألماني Handschriftenkunde، الذي يعني حرفياً "فن أو علم الكتاب المخطوط".

يشكل "الكتاب المطبوع" حصيلة أو حصاد إجراءات عملية لتقنيات معروفة، مؤتلفة ومألوفة، والعكس يقال بالنسبة لـ "الكتاب المخطوط" الذي يُغفي بين طياته - جزئياً أو كلياً - كل ما يُعتُّ لأصله وكيانه: مَنْ الذي نسخه؟ ومتى؟ وأين؟ ولماذا نُسخ؟ وكيف نُسخ؟ والمواد التي استخدمت لنسخه (من أقلام وأحبار، من رَقٍّ أو ورق، من زخارف ورسومات وتجليد ... إلخ)؟ وهكذا.

ولقد كان للتقدم العلمي، خاصة تجارب المعامل والتكنولوجيا الحديثة، الفضل الكبير في مساندة الكوديكولوجيا، ومساعدتها على تحديد نوع الحيوان المأخوذ منه الرِّق، ومعرفة نوع الورق، وإلى أي فترة زمنية يرجع تصنيعه، ونوع الخشب المستعمل في التغليف، والخامات المستخدمة لتصنيع الأحبار المختلفة. كما مكنت الدارسين من قراءة الأجزاء المكشوفة والكلمات الممسوحة أو التي تلاشى حبرها نتيجة عوامل طبيعية (الضوء أو كثرة اللمس مثلاً).

يُبيدُ أن مستجدات التكنولوجيا الحديثة لا يمكن تطبيقها إلا على المخطوط ذاته، كما يحدث في مجال دراسة الآثار، حيث إن دراسة المخطوط باعتباره "أثراً" لا يمكن ممارستها على الصورة - أي على صورة المخطوط - لأن الصورة مهما كانت درجة جودتها لا تُمكن الدارس من لمس الرِّق أو الورق، أو مشاهدته في الضوء لمعرفة سمكه وسبكته، أو رؤية العلامات المائية التي تميزه لتحديد فترة تصنيعه، ومن ثم تقدير فترة النسخ. كما لا يمكنه - أي الصورة - من تحديد عدد الكرايس التي يتكون منها، أو مقاسات الورق أو الرِّق (الطول، العرض، الهوامش، المساحة المكتوبة، نظام التسطير، عدد الأسطر والمسافة بينها، إلخ)، أو رؤية الثقوب، إن وجدت، لمعرفة التقنية المتبعة في التغليف، وهكذا.

إن الصورة - مهما بلغت جودتها - لا تصلح لدراسة المخطوط، ربما ترجع فائدتها إلى تكوين أرشيف وثائقي يحتفظ به الدارس في حوزته، يرجع إليه للتأكد من بعض الكلمات إذا ألح عليه الشك في قراءتها.

5. الكتاب المخطوط عند العرب

عندما بدأ العرب في دراسة علم المخطوطات كان الاتصال بأوروبا يُعدُّ شبه معدوم، وبخاصة في هذا المجال، وذلك على الرغم من تدفق المبعوثين المصريين إلى فرنسا في بداية القرن الماضي، وتردد بعضهم على معاهد العلوم الإنسانية. وأعتقد أن تجربة عميد الأدب العربي في مونيخ أولاً ثم في السوربون هي أكبر دليل على حيوية التفاعل الثقافي العربي مع علوم الغرب الأوروبي.

وبينما كان الأوروبيون يناقشون المنهج العلمي في تحقيق النصوص الذي توصل إليه في بداية القرن التاسع عشر كارل لاهمان

(سننتناوله بالشرح والتفصيل فيما بعد) كان مؤتمر المجمع العلمية العربية (مجمع القاهرة ودمشق وبغداد) في دورته المنعقدة في دمشق عام 1956 يدرس ويناقش القواعد الميسرة لنشر النصوص، التي كان قد اقترحها في المجلد الأول من مجلة "معهد المخطوطات العربية" عام 1955 الدكتور صلاح الدين المنجد (مدير المعهد آنذاك) والتي حظيت بعد قبولها من المؤتمرين بشرف الطباعة 7 مرات حتى عام 1987. ويذكر الدكتور المنجد بأمانة في مقدمة الطبعة السابعة (ص 3-4) أن من السابقين له في وضع قواعد النشر الدكتور محمد مندور 17 والأستاذ عبد السلام هارون 18، الذي يصفه المنجد بأنه "لم يميز قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق، فجاء بحثه خليطاً من كل شيء، لا منهج فيه ولا تنسيق".

وبعد أن تحققنا من صحة ما كتب الدكتور المنجد، وتأكدنا أن كتاب الأستاذ هارون أبعد ما يكون عن مفهوم تحقيق النصوص، رغم تحفظنا على "قواعده"، لأنها تعرضت لطرق النشر أكثر من التزامها بمنهج معين للتحقيق، احترامنا في الدكتور المنجد كرم أخلاقه ونبهنا، فقد كان في إمكانه، على الأقل، أن يرد للأستاذ هارون الشنائم التي وجهها لشخصه في مقدمة كتابه، إلا أن العالم الجليل اقتصر على النقد العلمي البناء، تاركاً الحكم للمختصين.

يتميز في تلك الفترة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني 19، الذي ترك لنا عملاً مؤسساً لتصحيح الكتب القديمة ونشرها، يشترك فيها، حسب قوله، ناسخ من المخطوط، ومقابل للنسخة المنقولة على المخطوط، أو عليه وعلى مخطوطات أخرى، والمصحح العلمي، ثم المصحح الطباعي. ويلخص الشيخ مراحل تطبيق نظريته في الخطوات التالية:

1. انتخاب كتاب للطبع؛ 2. انتخاب نسخة للنقل وصفاتها؛ 3. انتخاب ناسخ للمسودة وصفاته؛ 4. نسخ المسودة؛ 5. مقابلة المسودة على الأصل؛ 6. مقابلة المسودة على أصل آخر فأكثر.
- ويؤكد شيخنا على أن "تصحيح الكتاب" يطلق على عملين:
- الأول: التصحيح العلمي للكتاب بنفي ما في الأصل والأصول من الخطأ، وترتيب مسودة صحيحة؛
- الثاني: تصحيح الطبع، بنفي ما يقع في تركيب حروف الطبع من الخطأ، وتطبيق المطبوع على المسودة الصحيحة.

ومن الجدير بالملاحظة أن الشيخ عبد الرحمن كان يهدف إلى تصحيح الكتب من الأخطاء المطبعية، وكذلك الناتجة عن سوء قراءة الأصل المخطوط، لكن توصياته "بمقابلة المسودة على أصل آخر فأكثر"، ثم حديثه عن "التصحيح العلمي للكتاب بنفي ما في الأصل والأصول" يقرب الشيخ من أوائل من تنبهوا لقضايا التحقيق والنشر في الفترة 20 التي ألقى فيها المستشرق الألماني جوتنهلف برجستراسر (Gotthelf Bergsträer) محاضراته عن "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" في كلية الآداب جامعة القاهرة عام 1931.

كان هذا هو حالنا في منتصف القرن الماضي - وما يزال عليه - رغم اتساع رقعة "التجارة" باسم التراث وتعدد مروجيها.

6. منهج تحقيق النصوص

تحقيق النصوص يُعدُّ أرقى وأسمى التخصصات في المجال الأدبي، ونظراً لحساسيتها فإنه يتطلب الالتزام بقواعد علمية دقيقة، تفوق في دقتها المعادلات الرياضية، لذلك نجد أن من واجبتنا أن نجدد النصيحة (أو الصيحة!) لاحترام تراثنا، حتى لا يتسنى لكل من هب ودب الاقتراب منه دون دراية ومعرفة .

فإذا كانت الفيلولوجيا (Philology, Filologia)، أي العلم الذي يهتم بتحقيق النصوص لإعادةتها إلى أقرب صورة من أصلها، ويشرحها ويفسرها تاريخياً واجتماعياً وثقافياً ولغوياً، وما تزال الأم المحتضنة للكوديكولوجيا و الباليوجرافيا، فلا بُدَّ أن نشير ولو باختصار إلى هذا العلم الذي يُعتبر أسمى فروع المعرفة في فلك العلوم الإنسانية أجمعها.

17 في مجلة "الثقافة"، الأعداد 227 و 280 عام 1944.

18 هارون، عبد السلام محمد، "تحقيق النصوص ونشرها"، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 21965

19 وافر الشكر للصديق الدكتور أحمد عبد الباسط على هذه المعلومة.

20 يقال إن الشيخ عبد الرحمن سَوَّدَ رسالته بين عامي 1933 و 1935.

يُعَدُّ الألماني كارل "لاخمان" (Karl Lachmann) المؤسس والأب الحقيقي لمنهج تحقيق النصوص، الذي ما يزال يحمل اسمه. وُلِدَ لاخمان في "برونسويك" (Brunswick) في 4 مارس عام 1793، وأنهى دراساته الجامعية عام 1811، ثم عُيِّنَ أستاذًا لفقه اللغات الكلاسيكية وتحقيق النصوص في جامعة كينيجسبرج (Königsberg) من 1818 إلى 1824، وفي جامعة برلين من 1825 إلى 1851، أي حتى توفاه الله في 13 مارس من نفس العام.

كان لاخمان محبًا للدراسات اللغوية، وواسع التخصصات: فكان فقيها في اللغات الكلاسيكية، اليونانية واللاتينية، كما كان حجة في اللغات الجيرمانية. ويرجع إليه الفضل في ابتكار أول منهج علمي دقيق لتحقيق النصوص، يتلخص في عدة خطوات: حصر (recensio) ومقابلة (collatio) وتصنيف مخطوطات النص المراد تحقيقه؛ لتكوين الأركيتيب (archetype)، أي أول نسخة منسلة من الأصل، وأساس كل سلسلة المخطوطات التي استُنسخت بعد ذلك، باستبعاد المخطوطات المستنسخة (eliminatio codicum descriptorum) والاعتماد على الأخطاء القيادية، أي الأخطاء التي تقود المحقق للوصول إلى فصل أو جمع الشهود، ثم تصحيح (emendatio) الأركيتيب للحصول على أقرب صورة للنص الأصلي. وكان كذلك أول من تنبه إلى منهج الجغرافيا اللغوية في تحقيق النصوص، وطبقه بدقة على "العهد الجديد"، أسوة بما كان يتبعه علماء اللاهوت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو نفس المنهج الذي ما زال يطبق حتى الآن في مجال الدراسات اللغوية، بعد أن تطور مع "يوهانس شميت" (Johannes Schmidt) (1843-1911) مبتكر "نظرية الأمواج" (Wellentheorie)، ومن بعده "جورج فينكر" Georg Wenker (1852-1911) مُعَدُّ "الأطلس اللغوي الألماني"، ثم السويسري "جيل جيلليروم" Jules Gilliérom (1854-1926) محقق "الأطلس اللغوي الفرنسي".

وقد حظي منهج لاخمان بترحيب وعناية المهتمين بتحقيق النصوص في القرن الماضي في أوروبا، خاصة في فرنسا وإيطاليا، وكان "جاسطون باريس" Gaston Paris (1839-1903) أول من حاول تطبيق نظرية لاخمان على النصوص الفرنسية القديمة مثل *La vie de saint Alexis* (XI sec): عام 1872، وفي دراساته عن *Chanson de geste*، ونهج نهجه تلميذه "جوزيف بيديه" Joseph Bédier (1846-1938). ولا يمكن أن ننسى فضل أكبر محقق النصوص الكلاسيكية في القرن العشرين، الألماني "بول ماس" Paul Maas، وما اقترح من إضافات وتعديلات أساسية عام 1927 في كتابه الشهير *Textkritik*. ومن إيطاليا نخض بالذكر "ميكيلى باربي" Michele Barbi (1867-1941)، و"جورجو باسكوالي" Giorgio Pasquali (1885-1952)، و"سيباستيانو تيمبانارو" Sebastiano Timpanaro (1912-2000)، و"جانفرانكو كونتينى" Gianfranco Contini (1912-1990).

ناقش هؤلاء العلماء وغيرهم منهج لاخمان في تحقيق النصوص، وانتقدوا بعض جوانبه، واقترحوا الكثير من التعديلات حتى يتلاءم مع النصوص الرومانسية وغيرها من اللغات الأخرى. فاقترح مثلاً "بيدييه" اللجوء إلى "أفضل المخطوطات" (21 codex optimus, bon manuscript)، بعد حصرها ومقابلتها وتصنيفها لتحقيق النص. ورغم أن اقتراحه يستند إلى مبررات كانت تبدو مقنعة، إلا أن أول المعترضين عليه كان أستاذه "جاسطون باريس". وما يزال منهج "أفضل المخطوطات" في تحقيق النصوص الذي اقترحه "جوزيف بيديه" يسير موازياً لمنهج "لاخمان"، إن لم يكن منافساً له. ونادى "باسكوالي" في كتابه الشهير "تاريخ التقليد وتحقيق النصوص" بضرورة ترك "التقليد المغلق" (closed recensio) أمام العقبات التي قد تحول دون التطبيق الآلي، في حالة عدم توافق الشهود في تحقيق نص متعدد النسخ²²، وصعوبة اختيار المرادف الصحيح حسب منهج "لاخمان"، واعتناق نظرية "التقليد المفتوح" (open recensio)، الذي يتطلب دراسة لغوية، وفقاً لمنهج "تفكيك النص"، أو "دراسة لغوية مقارنة للنص من داخله" (internal concordance).

7. أخطاء - أو ذنوب - لا تُغتفر

لم يصلنا من كتب الأقدمين من أعلام الأدب الكلاسيكي ومؤلفاتهم كلمة واحدة مكتوبة بخط أحد منهم، وبالرغم من ذلك ما زلنا نقرأ وندرس أعمالهم. فهل نتق في أن ما نقرأ وندرس هو فعلاً من كتابة الأقدمين؟

21 ما يسميه الدارسون العرب "المختار" دون ذكر كيف يُختار.

22 راجع للكتاب "منهج تحقيق النصوص"، القاهرة، دار مهجر، 2018، ص 56-67.

لنرد على مثل هذا السؤال لا بُدَّ أن نتحرى بدقة كيف نُقلت هذه الأعمال عبر العصور، وعن الأخطاء التي امتلأت بها قبل أن تصلنا في صورتها المختلفة، وكيف يمكن تصحيح تلك الأخطاء.

إن أي عمل أصلي (أو أصيل) هو الذي كتبه المؤلف بخط يده، وهو ما يطلق عليه مصطلح أوتوجراف (autograph)، أو قام المؤلف بإملائه على ناسخ وياشر كتابته، أي أيديوجراف (ideograph)، أو أن يكون كتابًا منشورًا تابع المؤلف طباعته؛ وينطبق مصطلح "العمل الأصلي" بكل ما يحمل من مفهوم ومعاني على الوثائق والعقود المكتوبة باليد.

ولا يُعتبر كل عمل أصلي منسوخ بخط المؤلف أوتوجراف (autograph)، إذ توجد الكثير من الأعمال الأصلية التي لا ينطبق عليها هذا المفهوم. فديوان شعر (Canzoniere) فرا نيشيسكو بيتاركا (Francesco Petrarca) 23 يُعدُّ من قلة الأعمال الأصلية في تاريخ الأدب الإيطالي، رغم أن بيتاركا لم يكتب منه إلا جزءًا، ثم أتم كتابته جوفاني مالاباجيني (Giovanni Malapaghini) من رافينا (Ravenna)، لكن تحت مراقبة بيتاركا ومراجعته النهائية. لذلك يعتبر ديوان شعر بيتاركا - المحفوظ في المكتبة اللورنسية في فلورنسا - من الأعمال القليلة الأصلية المكتوبة جزئيًا بخط المؤلف (autograph)، وجزئيًا بخط الناسخ تحت رعاية وإشراف المؤلف (ideograph).

لكن هناك فرقًا ليس بضئيل بين الأصل المكتوب بخط المؤلف والأصل المطبوع أو المنشور تحت إشرافه، إذ إن "الأصل المطبوع" ما هو إلا إحدى النسخ التي تشترك مع بقية النسخ في عيوبها وأخطائها التي تخرج عادة عن إرادة المؤلف، والتي قد ترجع إلى تدخل الناشر الذي قد يسمح لنفسه بتعديل أو تغيير أو حذف أو إدخال إضافات لم يقرها المؤلف. وكيفي أن نستشهد بما فعلت مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر عام 1992 عندما أعادت نشر "كتاب الأغذية والأدوية" لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي (على النسخة المصورة لمخطوطات اسطنبول، مجموعة الفاتح 3604-3607 المحفوظة في المكتبة السلجمانية، التي نشرها "معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية" بجامعة فرانكفورت أم ماين - ألمانيا - سنة 1985).

فقد قام مُعدُّ الطبعة، محمد الصباح، بناء على رغبة الناشر (هكذا يؤكد)، بحذف "كلمات و جمل و فقرات"، مبررًا عمله بقوله:

"علمت من السيد الناشر، فيما بعد، أن ضرورات، لم يستطع أن يتجاوزها، قضت بذلك، ولم أستطع، بدوري، أن أمنع نحر الأمانة العلمية، فطلبت إليه تضمين المقدمة هذه الصرخة كرد فعل للألم، فوافق مشكورًا. ولعلي وجدت في حماسه للفكرة تأكيدًا آخر على مدى ضغط تلك الضرورات عليه، وهو الذي عُرف بين الناشرين بانتصاره للعلم والحقيقة. قضت الضرورة بحذف ما جاء في الأصل حول ما يتعلق بما حرمه الدين الإسلامي الحنيف، عملاً بقوله تعالى: 1- {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الدَّمَّ وَالْمَيْتَةَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ} البقرة 173، 2- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ..} البقرة 219، 3- {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ} المائدة 90. إن متنفي الوحيد المعروض هو ثقتي بحكمة القارئ الكريم ونباهته وفطنته، مما يساعده على تبين ماهية هذه المقتطعات".

هكذا يعثب الناشر بتراثنا، ويرر مُعدُّ الطبعة تدخله السافر - وإن كان تبريره أقيح من ذنب الناشر - دون احترام لما تركه السلف، ولا للقيمة التاريخية لمضمون المقالة، وبلا مراعاة لتكامل النص ووحده. فلو أن الناشر/ الرقيب (!) تفهم أن الإسرائيلي كان يكتب لسائر البشر، لمن يأكل لحم الماعز ومن يأكل لحم البقر ومن يأكل لحم الدجاج ومن يأكل لحم الخنزير، ولو قرأ ما كتب الأطباء المسلمون عن أنواع الخمر والشراب (وفي مقدمتهم أبو بكر الرازي) لراجع نفسه وتراجع قبل أن يشطب ما كتب أول وأهم العلماء في تاريخ الأغذية والأدوية.

ولم تكن مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر والسيد محمد الصباح أول من ارتكبوا مثل هذه الجرائم في حق النصوص القديمة، إذ سبقهما في هذا أستاذي العظيم حسن عثمان، الذي استطاع أن يُشَوِّه الأنشودة الثامنة والعشرين من أنشودة "الجحيم"، أولى

الأنشيد الثلاثة من "الكوميديا الإلهية" لدانتي 24 الجييري، بعد أن قضي معظم حياته في ترجمة ملحمة الشاعر الفلورنسي الخالدة من اللغة الإيطالية.

يخصص دانتي الأنشودة الثامنة والعشرين لألوان العذاب التي يلقاها محدثو الشقاق ومثيرو الفتنة، وضمن الشخصيات التي خصها بالذكر في الحلقة التاسعة من "جحيمة" يضع رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومعه رابع الخلفاء وابن عمه وزوج ابنته علي رضي الله عنه. كان دانتي يعرف عن الإسلام أكثر مما نتصور، بل، كما استطعت أن أثبت مما لا شك فيه في الدراسة 25 التي خصصتها لوجود محمد في الحلقة التاسعة من "الجحيم"، والتي كنت قد بدأتها عام 1989 وأتممتها ونشرتها عام 2015، بينت بكل وضوح، معتمدًا في بحثي على الوثائق اللاتينية والعربية، أن معلومات الشاعر الفلورنسي عن تاريخنا وثقافتنا كانت ربما تفوق معرفة الكثير من دارسي الإسلام من المسلمين والعرب.

يصور دانتي رسول الإسلام في أبشع وأقبح ما صور في "الكوميديا": بشع المنظر، قبيح المرأى، لا تكاد تقع عليه العين إلّا انصرفت عنه مسمومة وانحرفت عنه نافرة. يشبه دانتي الرسول ﷺ برميل محطم القاع والأضلاع، شقٌّ من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، تتدلى أحشاؤه بين ساقيه، ويُخرج الكيس الكريه ما يؤكل برازاً.... ثم يعطي الكلمة للرسول فيفتح النبي صدره ويفصح عن هويته قائلاً: "انظر كيف أهرق، انظر كيف شلت حركة محمد! همضي أمامي عليّ باكياً، مشطور الوجه من ذقنه إلى أعلى جبهته..." أمام هذا المنظر البشع الذي يرفضه، ليس فقط كل من آمن بالله ورسوله، بل كل من يتحلى بشيء من الخلق والاحترام للآخرين، يتوقف حسن عثمان رافضاً أن يترجم هذه الأبيات السافرة، التي خصصها دانتي - عامداً متعمداً - للرسول صلى الله عليه وسلم، مبرراً رفضه بالكلمات التالية: "لقد حذفنا من هذه الأنشودة أبياتاً وجدتها غير جديرة بالترجمة، وركزت عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد أخطأ دانتي في ذلك خطأ جسيماً، تأثر فيه بما كان سائداً في عصره، بين العامة أو في المؤلفات، عن الرسول العظيم، بحيث لم يستطع أهل الغرب وقتئذ تقدير رسالة الإسلام الحقة وفهم حكمه الإلهية، على أن هذا لم يمنع أهل العصر - ومن بينهم دانتي - من تقدير الحضارة الإسلامية والتأثر بثمراتها، التي كانت عنصراً فعالاً في خروج العالم الغربي من العصور الوسطى إلى العصر الحديث" (الجحيم، ص 371).

حذف أستاذي من ترجمته 42 بيتاً (من 22 إلى 63) من أنشودة طولها 142 بيتاً، إذ لم يكتف بحذف مشهد الرسول وعليّ، بل حجب عن القارئ وألغى وجود شخصية من أهم شخصيات القرن الثالث عشر، الذي كان ما يزال حياً أثناء حوار دانتي والرسول. نعني الراهب دولشينو تورنيلي من نوفارا (Dolcino Tornielli da Novara)، تلميذ جيراردو سيجاريلي من بارما (Gerardo Segarelli da Parma) الذي كان قد أسس عام 1260 جماعة أو طائفة أطلق عليها "الرسول" أو "الإخوة الرسول". صال وجال دولشينو يُبشّر ويدّعي النبوة، حتى أعجبت به فتاة جميلة وغنية تدعى مارجريتا (Margherita) من ترنتو، (Trento) اتخذها الراهب عشيقته. وعندما طالب البابا كلمنتي الخامس (Clemente V) بالقبض عليه والقضاء على أمثاله من الدجالين، هرب عام 1305 أو 1306 مع خمسة آلاف من أتباعه فوق جبل زيبيللو (Zebello) في ضواحي فيرشللي (Vercelli) في شمال إيطاليا، وكاد حصار قوات البابا يُكلل بالفشل، لولا أن المجاعة كانت قد أهلكت دولشينو وأتباعه فاستسلموا يوم 26 مارس 1307. وفي يوم 2 يونيو من نفس السنة أُحرق دولشينو حياً هو وعشيقتة مارجريتا في أكبر ميادين نوفارا (Novara). لقد حذف حسن عثمان الجزء الخاص بالراهب دولشينو، وامتنع عن الإشارة إليه؛ لأنه رفض مقارنة نبينا الكريم بمدعي رسالة مثل راهب نوفارا.

لكن كان هذا هو "البورتريه" الذي رسمه الغرب لرسولنا الكريم 26 منذ القرن العاشر الميلادي، في أسطورة تقول إن محمداً كان كاردينالاً ذا قوة ونفوذ، وكان يطعم في الجلوس على الكرسي المقدس ويتولى البابوية، إلّا أن البابا كان قد أرسله في مهمة، يقال في

24 الشاعر الإيطالي الشهير صاحب "الكوميديا الإلهية"، الذي احتفل العالم بالذكرى السبعمئة لوفاته في سبتمبر 2021 (وُلِدَ في فلورنسا عام 1265 وتوفي في رافينا ليلة ما بين 13 و 14 سبتمبر 1321).

25 قراءة (متحيزة) لحادث محمد. الجحيم 28: 263، in QFR, 23 (2015), pp. 263-28. 99-Lettura (faziola) dell'episodio di Muhammad. Inferno XXVIII, in QFR, 23 (2015), pp. 263-28. 49-Dante: non solo Muhammad, ma anche musici e scialacquatori, Alessandria, Edizioni dell'Orso, 2022, pp. 11.

26 يكفي أن أحيل القارئ إلى (ristampa 2009) (N. Daniel, Islam and the West. The making of an Image, Edinburgh, University Press, 1960) والي /M. Di Cesare, The Pseudo-Historical Image of the Prophet Muhammad in Medieval Latin Literature. A Repertory, New York/Berlin, Walter De Gruyter, Nov. 2011.

شمال أفريقيا، وبعد عودته إلى روما وجد الوضع في الفاتيكان متغيراً؛ لأن البابا كان قد توفي أثناء غيابه، وتعجل المجلس البابوي في انتخاب بابا جديد. فتحول غضبه واستيأؤه إلى ثورة ورغبة في الانتقام من الكنيسة والمجلس البابوي، فأعلن على الملأ نبوته، وبدأ يُبشر بدينه الجديد، متجولاً عبر القارات في هجوم سافر على كنيسة روما والديانة المسيحية. هذا هو "البورثيه" الذي نشأ على رؤيته دانتي وأجياله - الكاردينال المنشق الثائر على الكنيسة - وربما ما تزال هذه هي الصورة العالقة بأذهان الكثير من غير المسلمين في أرجاء العالم حتى يومنا هذا.



المحور الثالث: دراسات بليوغرافية وتعريفية

المخطوطات الطبية العربية المحفوظة في الخزانات والمكتبات المغربية بين الفهرسة الورقية والرقمية: إشكالات وتجارب

د. براء محمد

أستاذ باحث في التاريخ المعاصر،
مساهم في مشروع رقمنة المخطوطات بالمكتبة الوطنية للمملكة
المغربية

من المعلوم أن العلم جُهد موصول يحمله الخلف عن السلف، وكل جيل ينظر فيما ورثه عن الأجيال السابقة، فيستحسن منه ما هو حسن ومفيد، ويوضح ما هو غامض، ويفسر ما هو في حاجة إلى التفسير، يأخذ بما هو صالح. وبذلك يزكو العلم، وتوسع آفاقه، وتحسن مناهجه، ويتاح لرجاله من تعدد المصادر وتنوع الموارد، ما يدهم بوسائل الإنماء والتهديب، وبالإضافة والحذف، في اتجاه تطور العلوم وتقدمها وفقا لما يتطلب كل عصر، ولما يتطلع إليه أبنائه.

واقع الحال، إن تاريخ العلم العربي الإسلامي، بفروعه الرياضية والفلكية والطبيعية والطبية، لم يهيئ له بعد الظروف الملائمة لكتابته كاملا، ومستوفيا لجميع شروط الدراسة، والبحث والمقارنة مع التاريخ الغربي، في إطار ما يعرف بنظرية تاريخ العالم. وهي النظرية التي تضع تاريخ العالم في سياق مركزية الحضارة لدى الغرب، بالمفهوم الذي كشفت عنه أليستر بونيت وفق الطابع الايدلوجي في دراستها حول مفهوم الغرب وتطوره التاريخي، مقابل "الهامش" العربي والإسلامي المستقبل للمعارف، والذي حسب "نظرية المركز" "يعيش خارج مفهوم التحضر" الذي أسس له بن خلدون.

تلك الجوانب المتعلقة بالمفهوم المركزي الذهني للغرب مركز الحضارة، يرتبط فعل تجاوزها ارتباطا وثيقا بمدى التعريف بالتراث العربي والإسلامي والأمازيغي الفكري والعلمي، والذي هو جزء من التراث الحضاري الإنساني أيضا. وهو التراث الذي تتأسس على ضوئه عدد من العلوم، أبرزها تلك التي تصل الإنسان مباشرة بكنهه الحياة، وحسن توظيف الجسد والحفاظ عليه. إنها العلوم الطبية، التي حظيت منذ نيف من الزمن، "بقداسة علمية"، وقبلها روحية، لما لها من صلة بين المعتقد والحياة. تلك العلوم التي تندرج ضمن كتب الطب، أو ما يعبر عنه استحسانا بلغة الأطباء العرب القدامى، "مؤلفات سلامة البدن والعقل".

هذه العلوم التي تشكل في الواقع محور تحليل إشكالية هذه المداخل، ليس من باب الغوص في مكانتها العلمية الرزنية، وتوضيح أسباب نشوئها وتطورها، بل من زاوية رصدها على مستوى حضورها في الخزانات والمكتبات المغربية على اختلاف أنواعها، وربط ذلك الحضور بطابع إشكالي معرفي أساس، يزاوج ما بين فعل التعريف بها، وشروط تحقيق الآليات المعاصرة في الولوج إليها ودراساتها من لدن المختصين، عبر الفهرسة الورقية الكلاسيكية ومداخل الرقمنة المعاصرة، ووفق شروط التحديث في الزمن الراهن، وذلك عبر ثلاث محاور تتمثل في:

- التراث الطبي العربي المخطوط والمكتبات والخزانات الوطنية إرث مادي عريق له راهنيتها العلمية

- التراث الطبي المخطوط بين الفهرسة الورقية والرقمية: إشكالات وتجارب
- التراث الطبي العربي المخطوط بالخرزانة الحسنية والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بين الغنى المعرفي والتفرد الدولي

المحور الأول: التراث الطبي العربي المخطوط بالمكتبات والخزانات الوطنية إرث مادي عريق له راهنيته العلمية.

الإشكاليات المعرفية والبنوية

لا أحد يجادل اليوم أن علماء الغرب أكثر حرصا على تسجيل تاريخ الطب في الجامعات والمؤسسات المتخصصة، لاستغلاله ووضع رهن إشارة المهتمين، باختلاف صنوف علومهم. وهو واقع ليس وليد اليوم، بل وجد مثالا منذ أن اهتمت الكنيسة المسيحية بترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية في جامعة ساليرنو بإيطاليا. واقع دفع بالقيم المكتبي والباحث محمد العربي الخطابي، في حديثه عن قيمة التراث الطبي المخطوط، إلى الإشارة أن الشق الأوفر من رصيد مخطوطات الطب العربي، يستغل في الوقت الراهن ضمن البحوث العلمية في كبريات الجامعات والمعاهد الغربية، معتبرا أن ذلك دليلا قاطعا على راهنية مخطوطات الطب العربي وأهميتها.

يحيل الوضع المذكور أعلاه، على إشكالات التراث الطبي العربي المخطوط في علاقته بالمكتبات المغربية والخزانات، ومدى اهتمام المغاربة بهذا الصنف من التراث على المستوى الأكاديمي بالدرجة الأولى. حيث تحضر تجربة أكاديمية المملكة المغربية في إحياء بعض أمهات كتب الطب الإسلامي، كما هو الحال بالنسبة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير، للطبيب ابن مروان عبد الملك ابن زهر الإيادي، وهي تجربة تنم عن مدى علاقة الاهتمام الفردي بالمخطوطات الطبية في صلتها بالجانب المؤسسي، والتي تحيل بدورها على إشكالية تنظيم المؤتمرات التي ترصد التراث الطبي العربي، والتي يلفها مفهوم المناقشة والآنا، مقابل الفعل الإجرائي لخدمة مهنة الطب بشكل مباشر.

فما من شك أن مجال الاهتمام بالمخطوطات الطبية والتعريف بها، تم من حيث الدراسة والبحث على عدة مستويات، أبرزها تنظيم العديد من المؤتمرات التي اتخذتها تيمة للدراسة والبحث، كما هو الحال بالنسبة لمؤتمر الطب الإسلامي بالكويت، الذي انعقد في يناير من العام 1981، وعرف بمشاركة عدد من المبرزين والأطباء المرموقين. وقد صدرت بشأنه توصيات مهمة، تمثلت في الدعوة إلى تشجيع دراسة التراث الطبي الإسلامي، ومناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي بأن تشتمل المقررات على فصول علمية لدراسة تاريخ الطب الإسلامي، مع إنشاء منظمة إسلامية تعتني بإحياء العلوم الطبية الإسلامية في مجال التراث والبحث العلمي.

كما تم تنظيم المؤتمر الثالث لتاريخ الطب الإسلامي في العام 2007، من لدن الجمعية الدولية لتاريخ الطب الإسلامي بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة قطر، وذلك بمشاركة أكثر من 40 باحثا من دول عربية وأجنبية. وقدمت خلال المؤتمر، بحوث تناولت ما يسمى قديما بالبيمارستانات (المستشفيات) التي كانت منتشرة في أرجاء العالم العربي والإسلامي، مع مناقشة النظام الإداري والصحي، الذي كان معمولاً به في تلك الفترة، والذي وجد أنه كان مقاربا جدا لما هو متبع اليوم في كثير من المستشفيات.

هذا فضلا عن استعراض الكثير من المؤلفات التي ألفها الأطباء العرب، والتي تعنى بأمور أخلاقيات المهنة الطبية أيضا، كالسر الطبي والعناية النفسية بالمريض. إضافة إلى المسؤولية الطبية، والتأكيد على أن أول مستشفى متخصص لعلاج الأمراض العقلية تشهده الحضارة البشرية كان البيمارستان الأرغواني الذي أُنشئ في حلب خلال القرن التاسع الهجري. كما عرف اللقاء العلمي، تقديم بحوث تاريخية عن أهم الأطباء العرب والمسلمين القدامى، وما كان لهم من إنجازات علمية، تنسب في كثير من الأحيان إلى أطباء غربيين، كما هو الحال عند الزهراوي، الذي استخدم عملية الكي كطريقة لإيقاف النزيف، والتي تنسب إلى الجراح الفرنسي باريه، مع أن الزهراوي سبقه إلى ذلك بما يزيد عن خمسة قرون.

وتم في السياق نفسه، عقد عدة مؤتمرات من لدن الجمعية المغربية للتراث والعلوم والحضارة وكلية الطب بفاس. فضلا عن تجربة الرابطة المحمدية، ووزارة الأوقاف. وتجارب ومنتديات عديدة في هذا الباب.

إن تنظيم المؤتمرات التي تعنى بمجال المخطوطات الطبية، في رؤيتها وانتمائها الكونية، لم تتبلور بشكل ملحوظ على مستوى تفعيل الإجماعي في تحقيق أعمال بنوية أكاديمية، تربط عام المختصين على مستوى تحقيق الإنتاجات العلمية التي يحتضنها هذا التراث الطبي عربيا ودوليا عموما. فمجال الإنتاجات العلمية المشتركة ما بين الطبيب المختص وبقية صنف المعارف والمهتمين بشأن المخطوط الطبي، تظل ضعيفة مقارنة بالتجارب الغربية. معطى يحيل على الحديث عن قيمة التراث المخطوط المحفوظ بالمكتبات والخزانات المغربية، مع تسليط الضوء على أصل هذا التراث، ومنشأه، وعلاقته بالفكر المغربي، وتطوره بشكل عام في سياق تطور الدولة المغربية.

نبذة عن نشأة التراث المخطوط الطبي بالمكتبات والخزانات الوطنية

استحضر الشيخ عبد الحي الكتاني في دراسته حول "تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف فيها"، علاقة المغاربة بالكتاب والمكتبات ضمن بعد تاريخي وحضاري عريق، ارتباطا بالتطور السياسي للدولة المغربية. فقد أفرد الكتاني في دراسته تلك، مجالا موسعا للحديث عن تطور المكتبات الأندلسية، معتبرا إياها من أغنى المكتبات وأعمرها وأوفرها مادة. كما كشف الكتاني أن أسباب ذلك الاهتمام، يعود إلى انتشار مجموعة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بثقافة الكتاب. وهي المكتبات التي كانت تحتضن زخما مهما من مخطوطات الطب والصيدلة وعلم النبات، بشكل منسجم مع طبيعة تطور تلك المجالات العلمية وبراعة الأندلسيين فيها.

كما أن المبررات الموضوعية التي قدمها الشيخ الكتاني، تحيل اليوم بدورها، إلى بعد سوسولوجي في علاقة المغاربة والأندلسيين بالكتاب المخطوط عبر التاريخ. وهو البعد الذي يتمثل في انتشار ظاهرة الافتخار والاعتزاز بالتوفر على أكبر قدر من المخطوطات، باعتبارها دليلا ثقافيا على المكانة الرفيعة، والوجاهة لدى القوم.

لقد تأسست أيضا قيمة هذا التراث المخطوط في المجال الطبي، والذي تحتضنه مختلف الخزانات والمكتبات الوطنية، بناء على منظومة متكاملة لدورة إنتاج المخطوط بشكل عام، والمخطوط الطبي بشكل خاص. وهي المنظومة التي يمكن التعبير عنها اليوم مجازا "بالبهيك الإداري والعلمي التنظيمي للإنتاج المعرفي". وهو الإنتاج الذي لم يكن منحصرا فقط في مستوى صاحب التأليف، بل شمل تخصيص رواتب معلومة للوراقين بالأندلس، ومكافأة المؤلفين، ووضع دار لصناعة النسخ، والمهارات في الضبط والإجادة في التجليد، كل ذلك في انسجام معرفي تام، ما بين الطبيب العالم وأهل الصنائع، من الكتبيين والخطاطين وعلماء المصطلح.

وترجع قيمة التراث الطبي المخطوط بجميع صنفه العلمية (الصيدلة وعلم النبات...)، والذي تحتفظ به المكتبات والخزانات المغربية، إلى انتشار ظاهرة تأليف مؤلفات باسم الملوك، أو وجهاء القوم. بحيث ارتبط موضوع المؤلف بطبيعة الشخص الذي سوف يهدى إليه، وهو أمر له دلالاته في تحديد حاجيات ونوعية مواضيع التأليف أيضا. حيث برز هذا الدور على امتداد الدولة المغربية منذ عهد الأدارسة التي تعتبر امتدادا للاهتمام المشرقي بالكتاب والتأليف بشكل عام، وصولا إلى فترة الحكم المرابطي، حيث وجدت صدارتها في مكتبة أبي علي المرابطي، التي شكلت مفخرة ذلك العصر، وأوج عطائه الفكري. فضلا عن، التجربة الموحدية في هذا الباب، والتي شكلت فيها مكتبة جامع الكتبية مراكش الريادة.

كما أن الحديث عن القيمة النوعية، في توفير الكتاب المخطوط على العهد الموحد، بما في ذلك المخطوط الطبي، يحيل بدوره إلى إبراز مدى اهتمام حكام الأندلس المبكر بجمع الكتب واقتنائها، كما هو الحال بالنسبة للحكم بن الناصر الأموي، الذي أنشأ مكتبة بقرطبة، جمع فيها الكتب التي اقتناها من مجموع أنحاء العالم. كما احتوت غرناطة وحدها كما هو معلوم، على أزيد من سبعين مكتبة من المكتبات العمومية، والتي ضمت أمهات كتب الطب العربي. وقد عبّر الشيخ عبد الحي الكتاني عن ذلك قائلا:

"إن غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة من المكتبات العمومية، وأصبح حب الكتب في الأندلس سجية في أهلها، وأصبح إنشائها من شارات الوجاهة والرئاسة عندهم"

لقد كان لهذا التطور النبوي، في العناية بمجال المخطوطات والمخطوطات الطبية بشكل خاص، دور بارز في إغناء رصيد المكتبات والخزانات المغربية، حيث استفادت أيضا من مسار تطور الدولة المرينية، وطابعها الإيديولوجي، المبني على دعم العلم والمعرفة

والتأليف، وإنشاء عدد من المدارس العلمية. والتي وازاها، تعدد على مستوى المكتبات أيضا. فكان للسلطان أبي عنان المريني دور مميز في بناء خزانة للكتب بمؤرخ جامع القرويين، حيث عرفت كتب الطب حضورا قويا ضمنها. وقد استمر وجود دعم المكتبات المغربية بالمخطوطات في الفترات الصعبة من تاريخ المغرب أيضا. مثال ذلك، ظروف إنشاء مكتبة بني الغريسي على عهد الوطاسيين، ومكتبة بني إبراهيم الدكالي بمدينة فاس في الفترة نفسها أيضا، والتي ضمت عددا من نوادر كتب الطب والصيدلة وعلم النبات.

استمر الدور الإشعاعي للمكتبات ودعمهما بالمخطوطات على عهد السعديين، بما فيها مخطوطات الطب، إذ برز دور مكتبة بني عبد الجبار بزواية فكيك، ومكتبة الزاوية الدلائية بجبال أيت إسحاق، ومكتبة زاوية إبرزو، ومكاتب أخرى بمدينة فاس. وهي المخطوطات التي تؤثر اليوم عددا من الخزانات المغربية.

أما فيما يخص العهد العلوي، فقد تميز بدوره باستمرار العناية الرسمية بالكتب والمكتبات، حيث كان لمكتبة جامع الكبير بمكناس على عهد السلطان المولى رشيد دور بارز في تحقيق الإشعاع الفكري. كما استمر السلطان المولى إسماعيل في جمع الكتب وشراؤها، بل مواكبة عملية العناية بالمصحف، وهي ظاهرة استمرت مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وهي مكتبات لم تستثن كتب الطب والصيدلة والفلاحة من رصيدها. وتتميز العهد العلوي أيضا، بتعيين القيمين على المكتبات، وعلى عملية إحصاء وجمع الكتب النفيسة، وإصلاح ما أسفده الدهر منها، وإعطاء ذلك إلى فقهاء ملمين بالعلوم وأصنافها، لوضع الفهارس والتصنيفات بشتى أنواعها. فكانت أبرزها الخزانة الحسنية والمكتبة الوطنية.

ظاهرة أخرى امتاز بها السلاطين المغاربة، وهي إدخال عملية اقتناء الكتب ضمن أطوار المفاوضات التي كانت تتم بينهم وبين ممثلي الدول الأجنبية، مما يدل على العناية الفائقة بالكتب والمكانة المهمة التي تحتلها ضمن نسق الدولة. فكانت كتب الطب تشكل عنصرا محوريا ضمن هذه الكتب، وهو ما فتح المجال للمزيد من إغناء تلك الخزانات على امتداد مختلف الفترات التاريخية.

الملاحظ أنه في سياق تحقيق رصيد بالغ الأهمية من المخطوطات بالخزانات المغربية، فقد تمت المطالبة بالكتب الإسلامية الموجودة بالخزائن الأسبانية، والتي استولى عليها الإسبان أيام السعديين، فأوقفوها على مكتبة الاسكوريال. حيث وقع اختيار المولى إسماعيل على وزيره الأديب الشاعر أبي عبد الله محمد المدعو حمو بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي الفاسي. وكان لهذا الوزير ثقافة أدبية، وخبرة بشؤون السياسة واطلاع على أحوال الحكم، وله ذوق أدبي رقيق، زيادة على أنه كان دقيقا في الملاحظة، ينتبه إلى خبايا الأمور، ويحاول أن يحافظ على الشخصية المغربية في سلوكه العام، سواء بالنسبة إلى العقيدة الدينية أو إلى التقاليد الأخلاقية. وقد وقع عليه الاختيار بعد الانتصارات الحربية التي حققها المولى إسماعيل في حروبه الشاطئية، وغادر المغرب في أواسط محرم من العام 1102 هـ وقضى في رحلته تلك، ما يزيد على ثمانية أشهر.

وهكذا، تم تأليف عدد من كتب الطب لحضرة السلطان العلوي الحسن الأول، ومنها كتاب الدرر الطبية المهدات للحضرة الحسنية، لأبي العباس أحمد بن محمد بن حمدون المرداس الفاسي، المتوفي في العام 1316 هـ/1899م، والكتاب جامع مانع. فأثبت المؤلف نص الظهير الذي أذن له بتأليفه، وهو مؤرخ بسادس عشر ربيع الثاني عام 1301 هـ. والكتاب عبارة عن خمس مجلدات، يبدأ بمقدمة عن تاريخ الطب والصيدلة وأعلام الحكماء ومصنفاتهم. فضلا عن، كراسة ميمونة مولوية، جمعت فيها تقاليد طبية شريفة في نحو خمسة عشرة ورقة في أول مجموع رقم 314، وتضم أربع مؤلفات طبية، وتقاليد منقولة عن بعض المصنفات كذكر الانطاكي، أو تقاليد أملاها بعض المغاربة المنتسبين. وقد جمعت بدورها بأمر من السلطان العلوي الحسن الأول. ومنها أيضا، مخطوطة كنوز الصحة ويواقيت المنحة، لأبي عبد الله بن سليمان التونسي ولد سنة 1207 هـ/1792م، أملاه المؤلف بالفرنسية، وترجمه إلى العربية الطبيب محمد أفندي الشافعي. ونظرا لأهميته، أمر السلطان الحسن الأول باستنساخه والعناية به، حيث وضعت في الكتاب، ترجمة محلاة بماء الذهب، مزدانة بزخارف ملونة. طبع الكتاب بمطبعة بولاق بالقاهرة. الكتاب مرتب على سبعة أبواب يتناول معالجة مختلف الأمراض وما يناسبها من الأدوية وخصص الباب التاسع منه لتدبير الصحة.

وكتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، لصاحبه جلال الدين عبد الرحمان السيوطي المتوفي سنة 911 هـ/1505م/ يوجد تحت رقم 80، استهله بنصيحة غراء مفادها: "من كتم السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه".

كان طبيعياً أن يتم صيانة هذا التراث الطبي المخطوط، شأنه في ذلك شأن بقية التراث المخطوط الذي حافظ عليه المغاربة منذ زمن بعيد، ضمن خزانات ومكتبات، تساهل روح الاستقلال، وتعطي للشأن الفكري والثقافي مكانته التي تعبر عن سيادة البلد وصونه لتراثه المادي. فقد عمل العاهل محمد الخامس، على وضع قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، وتطوير خزانة القرويين، وخزانة ابن يوسف بمراكش بعد الاستقلال، بعد أن كانت سلطات الحماية الفرنسية، وخاصة على عهد المقيم العام اليوبي، قد خولت للباحث هنري دي كاستري، صاحب المصادر الدفينة لتاريخ المغرب، ومن أكثر المستشرقين إنصافاً للإسلام، على جمع المخطوطات التي تنهم بتاريخ المغرب داخلياً وخارجياً، وذلك في سياق عمل البعثة الفرنسية بالمغرب.

وهكذا، تم استثمار مجمل تلك الجهود في وضع قسم مهم بالخزانات المغربية، يشمل جانباً من المخطوطات بجميع صنوفها العلمية. وهو عمل علمي، مكن المغرب من تبوأ مكانة بارزة على مستوى حفظ التراث الطبي المخطوط عالمياً. زاد من ذلك، أهمية سياسة العاهل الحسن الثاني في جمع التراث المخطوط على المستوى الوطني والدولي، بكميات الخزانات المغربية، وهي مبادرة بالغة الأهمية، حافظت على الإرث المادي المخطوط من الضياع في ظل ضعف وسائل ضبط التهريب التي شهدتها المغرب وخاصة بعد فترة الاستقلال.

تمت إعادة تسمية الخزانة العامة للكاتب والوثائق، بعد مرور قرابة قرن على إحداثها، مع تنظيم المهام المنوطة بها برسم ظهير رقم 1.03.200 الصادر في 16 من رمضان 1424 (11 نوفمبر 2003)، بتنفيذ القانون رقم 67.99، حيث جاء في المادة الأولى منه: «تطلق على «الخزانة العامة» المحدثه بموجب الظهير الشريف الصادر في 24 من ربيع الآخر 1345 (فاتح نوفمبر 1926) تسمية «المكتبة الوطنية للمملكة المغربية» التي تحتفظ بوظيفتها كمؤسسة عامة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي. وهي المكتبة التي تحتفظ اليوم برصيد مهم من المخطوطات الطبية، التي يمتد تأليفها إلى قرون خلت.

المحور الثاني: التراث الطبي المخطوط بين الفهرسة الورقية والرقمية: إشكالات وتجارب

المخطوطات الطبية بين الفهرسة الكلاسيكية وموجبات الرقمنة المعاصرة

ما من شك في أن العناية بالتراث الطبي العربي المخطوط في الوقت الراهن، تعتبر مدخلاً أساساً للاستفادة والاستمتاع بثمرات الفكر الإنساني. غير أن هذه العناية والاستفادة، لا تستقيم كما هو معلوم، إلا بالبحث في كنه إشكالية الفهرسة الخاصة بالمخطوطات الطبية، في علاقتها بالمؤرخ والطبيب الممتن، والتقني المندمج ضمن بوثقة العالم الرقمي وتطوراتها المسترسلة. لقد حققت الفهرسة جانباً مهماً على مستوى رقمنة مختلف فهارس المخطوطات عبر عدد من المواقع الإلكترونية، أبرزها موقع ودود للمخطوطات الذي له جهود إيجابية وفعالة في الاهتمام بالمخطوطات 1، حيث استفادت هذه المواقع من الكم المميز لفهارس، التي تم إنجازها من لدن باحثين ومكتبيين ومختصين في مجال المخطوطات والفهرسة، كما هو حال فهارس المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وفهارس الخزانة الحسنية. وهي فهارس طبعت في صيغها وشكلها، بالتنوع على مستوى المضمون والتصنيف. كما استفاد أصحابها من الجانب الاصطلاحي العلمي الذي كان غنياً لدى الأطباء العرب القدماء، والذين اجتهدوا في ضبطه، وحصنوه وتقنوه، من حيث المداخل اللغوية والمعرفية البحتة. فانعكس ذلك، على طبيعة الفهارس ومضمونها، استجابة لمرحلة في البحث أصبحت متجاوزة اليوم.

وهكذا، يلاحظ أن تلك الفهارس، ظلت في طابعها الكلاسيكي، وخاصة فيما يتعلق بالفهارس المختصة، بما في ذلك فهارس مخطوطات الطب والصيدلة، حيث لم تتغير في شكلها تغيراً ملحوظاً منذ نيف من الزمن، وذلك نظراً لاحتكام عناصر تلك الفهارس لطابع خاص في التأليف، أصبح في واقع الأمر اليوم، موضع مطلب للتجديد والتطوير والتحديث، على مستوى مضمونها، وشكله وطريقة عرضه، وهي الفهارس التي يعتبر البعض، أن بنيتها الشكلية يجب أن تظل على حالها حفاظاً على نسقها العلمي، وضبط عناصرها البنوية المشكلة لعلوم الفهرسة التقليدية، في نوع من الرضا القطعي، والمتصلب، مع طابع التجديد التي بتبغية روح العصر والرقمنة. معط يفتح الباب لنقاش علمي جاد، حول سبل تطوير الفهارس، وفتح المجال لبنية علمية متكاملة من التخصصات المعرفية، تجمع ما بين المفهرس المختص بعلوم الفهرسة والعالم المختص في المجال المعرفي بشتى صنوفه.

كما تقتضي هذه النقلة المعرفية، تجاوز إشكالية تعرض العلوم الطبية ومصادرها من المخطوطات للتشويه والارتجال بفهرستها بكبريات المكتبات والجامعات العالمية، أو بدراساتها في ظل المطلب المادي والوازع الاجتماعي والاقتصادي في البلدان العربية والغربية عموماً.

لقد عملت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على ولوج عالم رقمنة المخطوطات، بما في ذلك المخطوطات الطبية، انطلاقاً من تحقيق عمل مشترك، جمعها مع مكتب آل سعود بالدار البيضاء، حيث تميزت التجربة السالفة الذكر، بالمواجهة ما بين المؤرخ والتقني والمكتبي على حد سواء²، وإن غاب عن العمل وجود المختصين في مجال العلوم بما في ذلك جهود الأطباء، حيث ظلت الفهرسة رغم انتقالها إلى المجال الرقمي، تستكين إلى طابعها التقليدي أو الكلاسيكي، وهو ما لم يفتح المجال لتحقيق تقدم معرفي واضح المعالم مواكب لمجال الرقمنة وقواعد البيانات الموضوعية. واقتصر العمل التقني بدوره على الوصف الشكلي للمخطوط، وتحديد هوية المؤلف، وفق بناء كتب الأعلام والتراجم، التي تم وضعها سابقاً، حيث خصص لعملية الفهرسة الرقمية جناح خاص بالخرانة العامة (المكتبة الوطنية للمملكة المغربية حالياً)، ووضعة خلية من المؤرخين والمفهرسين لتفريغ الفهارس المعتمدة، وفق ورقات تقنية تم وضعها من لدن إعلاميين تستجيب مع شروط البحث الإلكتروني الموالمات للفترة موضع المشروع.

مخطوطات الطب العربي في مواقع الأنترنت: قوة غربية وضعف عربي إسلامي لمضمون تراث غني يعقب في غياهب النسيان

حظيت المخطوطات بشكل عام، والطبية بشكل خاص، بعناية على مستوى الشبكة العنكبوتية، حيث بذلت عدد من المجهودات على مستوى الاهتمام بها، ورقمنتها، سواء باعتماد ما هو مؤسسي، أم باللجوء إلى المبادرات الذاتية. فقد تعددت المواقع التي تقدم خدمات في هذا الباب من قبيل: مركز دودو للمخطوطات، مكتبة المحجة للمخطوطات، مخطوطات جامعة الملك سعود، جامع المخطوطات الإسلامية، مخطوطات جامعة النجاح، ملتقى أهل الحديث للمخطوط، مخطوطات مكتبة الألوكة، ملتقى أهل الأثر، جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، المكتبة الوطنية المغربية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، موقع يوسف زيدان الرابط، مكتبة المصطفى الإلكترونية، الجمعية العلمية السعودية³. غير أن عدد المواقع غير عربية أوسع بكثير، ومنها: المكتبة الرقمية - ميونخ، مركز الأبحاث الإسباني، مكتبة جامعة بغداد، مكتبة برلين، مخطوطات منجنا، مخطوطات أندلسية، المخطوطات المتوسطية.

مكتبة جامعة لايبزيغ، المكتبة الرقمية العالمية، مخطوطات المعهد الموريتاني/ فريبورغ، مخطوطات جامعة برينستون، مخطوطات جامعة هارفارد، المكتبة الوطنية الفرنسية، الجامعة الأمريكية ببيروت، متحف والتر الرباط، مكتبة جامعة براتيسلافا، مخطوطات هيدلبرغ، مخطوطات كوبنهاغن، مخطوطات جامعة ميشيغن، بودليان أوكسفورد، مجموعة داير طوكيو، المكتبة الأوربية الرقمية للمخطوطات، مخطوطات مالي الرباط، مجموع مخطوطات متحف صفوت بك بإساجيك (البوسنة)، مناسيان لمخطوطات القرآن الكريم، مكتبة جامعة ميلبورن، مخطوطات عربية / لندن، مخطوطات عربية في كتابخانه مجلس شوري إيراني، مخطوطات مينة، مركز الدراسات الشرقية و الإفريقية، مخطوطات، متحف جامعة "ماجيمو" (Mgimo) الروسية، مخطوطات من جامعة بنسلفانيا، مخطوطات متحف آغا خان، مكتبة أسرائيل الرقمية الرباط، المخطوطات الطبية بمكتبة ويلكوم، مخطوطات مالي الرباط، مخطوطات من موقع جامعة ييل، المكتبة الخالدية بالقدس (بعض مخطوطاتها متاحة للتنزيل)، مشروع المهورث الثقافي الأوربي على الشبكة. وهكذا، يلاحظ أن عدد المواقع العربية 14 موقع، ضعيف مقارنة بالمواقع الغربية، حوالي 38 موقع، بما فيها مواقع بعض البلدان الإفريقية، زد على ذلك أن الطابع التنظيمي الرقمي على مستوى المواقع الغربية متقدم مقارنة بما عليه حال المواقع العربية، وهو ما ينعكس سلباً على مدى التعريف بالتراث العربي المخطوط، بما فيه التراث الطبي.

المحور الثالث: الطب العربي المخطوط بالخرانة الحسنية والمكتبة الوطنية

الخرانة الحسنية كنز من نواذر التراث الطبي المخطوط

2 لقد ساهمت بشكل مباشر في المشروع، انطلاقاً من الإشراف على مجموعة مختصة في المجال، حيث كان للعمل التشاركي بين المختصين دور بارز في تجاوز عدد من الصعوبات المعرفية والشكلية في المجال وهو مطلب مهم في تحقيق عمل الفهرسة اليوم.

3 <https://www.kulalalafeyeen.com/vb/showthread.php?t=50107/10> 2022.10

تجمع الخزانة الحسنية في حظيرتها آلاف المخطوطات، والتي كانت من قبل موزعة في القصور الملكية بفاس ومراكش والدار البيضاء ودار السلام بالرباط، ومن ضمنها عدد وافر من المؤلفات التاريخية بخطوط مؤلفيها. حيث تم تنظيمها وتبويبها ضمن فهارس موضوعاتية، تضم أزيد من عشرة آلاف مخطوط، ورتبت آلاف الوثائق في ملفات ترتيبا زمنيا، يسهل تناولها والرجوع إليها، وهي المضامين التي تتنوع في المجال الطبي من حيث التخصصات لتشمل:

آداب مهنة الطب والتحذير من المتطفلين عليها، وهنا نذكر بعض النواذر المحفوظة بالخزانة الحسنية، والتي لم يعثر عليها لوكليرك صاحب تاريخ الطب العربي، والنموذج في كتاب تحفة الأريب عند من لا يحضره طبيب، لأبي الفضل محمد بن القاسم العجلاني، عاش في القرن الثالث عشر الميلادي⁴، قال فيه صاحبه:

"واعلم أن في هذا الكتاب ما في الكتب المطولة وأزيد، غير أي ألفته على مذهب طائفة من الأطباء يرون أن سائر الأمراض تنحصر في انبعاث وانفعال وعلى هذا المنهج سلكت، فزيد منك كتمه لأنه إذا حصل بأيدي الناس ادعوا الطب والنفس العاملة تغار على بذل العلم".

وكتاب كنز العطار، لمؤلف مجهول⁵، تضمن بالرغم من طابعه المتعلق بطرق صناعة الأدوية، قيمة وأهمية آداب مهنة صناعة الأدوية والشروط الملزمة لذلك.

وتحتضن الخزانة الحسنية بالإضافة إلى ذلك، كتباً تؤرخ للطب العربي وتطوره، ومنها كتاب الجواهر النفيس في شرح أرجوزة الشيخ الرئيس، لموسى بن إبراهيم بن محمد المتطبب البغدادي المتوفى في العام 614م⁶، إذ بالرغم من طابع الكتاب في شرح المضامين الطبية لابن سينا، فإنه قد استهل بفصل مهم عن شرف مهنة الطب ونشأته الأولى، مع فصل متكامل عن ترجمة ابن سينا وذكر مصنفاته. كما يشمل المخطوط فصلا عن تراجم الأطباء المسلمين واليونانيين.

وتتوفر الخزانة الحسنية على كتب الطب اليوناني القديم المترجمة أو المقتبسة، ومنها كتاب في الطب، خالي من العنوان ومن اسم المؤلف، والكتاب يبحث في طبائع التشريح ووظائف الأعضاء والأدوية⁷. ومخطوطة كيمياء باسيليكا، وهي رسالة تشتمل على مقاليتين، الأولى في العلاجات الكلية للأمراض والثانية في العلاجات الجزئية، لم يرد في الكتاب اسم المترجم من اللغة اللاتينية إلى العربية⁸.

جاء فيها:

"الحمد لله وبعد فقد ألف في صناعة الطب الكيميائي قروليوس كتابا مختصرا مفيدا ملئ زمان... فأردنا أن ننقله من اللاتينية إلى العربية، هذا كتاب فيه من طب العجم مما سأل عنه كسرى بن قياد ملك الفرس ومن كان قبله وفي مملكته من أطباء الروم وأطباء الهند وغيرهم حين جمعهم لعل ما عندهم من علم الطب".

تتوفر الخزانة الحسنية بالإضافة إلى المضامين الطبية المذكورة، على كتب تناقش المضامين والنتائج العلمية للطب القديم في علاقته بالطب العربي، ومنها كتاب التبيين في قطع الشك باليقين: في الانتصار لجالينوس عن الشكوك عليه المنسوبة إلى أبي بكر الرازي، لأبي العلاء ابن زهر المتوفى في العام 1130م. يشرح المؤلف في هذا الكتاب أقوال جالينوس ونظرياته الواردة في العديد من كتيبه، منتصرا له انطلاقا من كتاب وقع إليه منسوباً لأبي بكر محمد زكرياء الرازي المتوفى في العام 932م، كما يعرض كتاب التبيين مسائل من كتب جالينوس، فيعقب ابن زهر على كل مسألة بما يوضحها. ومن الكتب التي تناولها بالشرح والتعليق: البرهان، منافع الأعضاء،

4 الخزانة الحسنية تحت رقم مجموع 1044.

5 الخزانة الحسنية، النسخة ضمن مجموع تحت رقم 479.

6 الخزانة الحسنية تحت رقم ق 246.

7 الخزانة الحسنية تحت رقم 8 ق.

8 الخزانة الحسنية تحت رقم ق 26.

اتفاق آراء أبقراط وأفلاطون، القوى الطبيعية، الأعضاء الآلية، حلبة البرء. 9 وتشمل أيضا مخطوطة السياسة في تدبير الرياسة، وهي رسالة قصيرة منسوبة لأفلاطون. أولها باب في تدبير الجسم، لما كان الجسم الفاني يدخله الفساد بتضاد الأخلاق الكائنة فيه، رأيت أن اثبت لك في هذه المقالة نكتا من أسرار الطب 10.

لا يقف غنى التراث الطبي المخطوط بالخزانة الحسنية عند المضامين الطبية المذكورة أعلاه، بل يشمل أيضا كتب متخصصة في التحديد الاصطلاحي الطبي، ومنها كتاب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري لأبي جعفر أحمد بن أبي عبد الله ابن الحشا، كان حيا في القرن 9هـ/15م، نشر الكتاب بباريز مع ترجمة فرنسية. 11 وهو كتاب من الأهمية يمكن، حيث وضع فيه تفسير للألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري، أي كتاب الرازي، وهي مبنية على حروف المعجم بحسب استعمال أهل بلاد المغرب لها، بحيث عمد المؤلف إلى تفسير كل مصطلح بناء على معناه اللغوي الأصلي، مع ذكر معناه عند الأطباء والعشابين، كما يذكر مقابله عنه أهل المغرب. وكتاب المنصوري في الطب، هو كما هو معلوم لأبي بكر الرازي، المتوفى سنة 311 هجرية، وهي مخطوطة الثنية حيث كتبت سنة 490 هجرية، بقلم نسخي. وهي واحدة من النسخ النادرة المحفوظة ضمن مخطوطات مكتبة دير الإسكوريال. 12 وكتاب المصباح المنير على القانون الصغير، لصاحبه مدين بن عبد الرحمان القوصي، رئيس أطباء مصر، كان حيا 13م/1636م، وهو من النوارد الطبية المحفوظة بالخزانة. وكتاب مسائل في الطب، لصاحبه أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي الرمسي، ينتهي الكتاب بأسماء بعض الأعشاب بالعربية والعجمية، دون ترتيب. 14.

تتوفر الخزانة الحسنية نوادر المخطوطات من كتب الطب تصل مضمونه العلمي ما بين اللغة العامية والأمازيغية، ومنها مخطوطة حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار، لقاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الوزير ولد سنة 955هـ/1548م، وقد نشط خلال ازدهار الحركة الفكرية في عهد السعدي. 15.

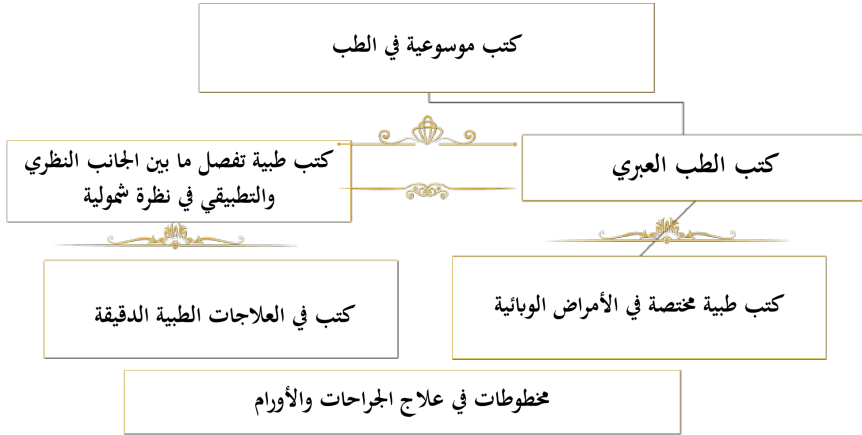
هو الطبيب والفقير والأديب أبو القاسم (أو قاسم) بن محمد بن إبراهيم الوزير الغساني، وُلد سنة خمس وخمسين وتسعمائة (955هـ) بفاس ونشأ به. أخذ عنه فن التشبيب والأدوية نظرياً وعملياً جمهرة من الطلبة من بينهم الطبيب عبد الغني بن مسعود الزموري (ت حوالي 1030هـ). وقد حظي الغساني بعناية خاصة من لدن السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت 1012هـ)؛ إذ اتخذته حكيماً حضرته وطيبه الخاص، وأسند إليه مهمة الإشراف على قطاع الطب والصيدلة في إطار مشروع السلطان لإصلاح المنظومة التعليمية، الذي أسفر فيما بعد عن نهضة علمية في مختلف التخصصات الدينية والعلمية التجريبية. وهو كتاب قِيم في علم النبات الطبي، يقول العالم المقرئ في وصفه: "كتاب عجيبي في باب، لم يُؤلف مثله، يذكر سائر الأعشاب والعقاقير بما سُميت به في الكتب، ثم يذكر اسمها بلسان عامة الوقت، ثم يذكر خواصها على وجه عجيب، وأسلوب غريب. يشرح المؤلف في هذا الكتاب ماهية الأعشاب والعقاقير، فيذكر المصطلح كما هو معروف عند أهل صناعة الطب والأعشاب، ثم يفسر معناه ويذكر مقابله بلغة أهل فاس وأحياناً باللغة الأمازيغية.

ويكشف كتاب الغساني: "حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار" عن أبرز إسهاماته الطبية، ويعتبر من أجود ما ألّف في علم النبات الطبي بشهادة الباحثين الغربيين؛ فقد وصفه الباحث "رونو" Renaud «بقوله:

"كتاب ذو منهج واضح وفي وصف وتصنيف النباتات، ويتميز بأصالة علمية بادية. إنه تصنيف مهم متكون من ثلاثة مستويات، يضيف إلى ما تقدمه كتب النباتات الطبية العربية القديمة عنصراً جديداً يتمثل في توثيق جل المواد الصيدلية المتوفرة في مدينة فاس. حيث يذكر اسم المادة الطبية، ثم يشرح ماهيتها مُعتمداً منهجاً علمياً دقيقاً في تصنيف النبات، إذ يعتمد إلى تعيين جنس المادة الطبية ونوعها".

- 9 الخزانة الحسنية في مجموع تحت رقم 1538.
- 10 الخزانة الحسنية تحت رقم 20.
- 11 الخزانة الحسنية تحت رقم: مجموع 1538.
- 12 مكتبة الإسكوريال تحت رقم 858.
- 13 الخزانة الحسنية تحت رقم 811.
- 14 الخزانة الحسنية تحت رقم 2072.
- 15 الخزانة الحسنية تحت رقم 7336.

وللمؤلف أيضاً كتاب: مُغْنِي الطَّيِّبِ عَنْ كُتُبِ أَهْدَاءِ الْحَبِيبِ، الكتاب عبارة عن تعريب لكتاب في الطبّ أهداه بعضُ أكابر الرُّوم للسلطان، ولم يقتصر الوزير الغَسَّانِي على تعريبه فقط بل "جعل له خطبةً، وزاد فيه زيادات. وقد أسهم الطبيب الغَسَّانِي بجهود كبيرة في علم النبات الطَّبِّي على وجه الخصوص، حققت إضافات مهمة في هذا المجال منهجياً ومعرفياً، وقَدِّمَتْ إفادات جليلة للباحثين في البيوجغرافيا الذي يُعنى بدراسة الكائنات الحية؛ من إنسان وحيوان ونبات في أبعادها الجغرافية، وما يتصل بذلك من دراسة تطور الغطاء النباتي بالمغرب.



إن رصد المخطوطات الطبية المحفوظة بالخزانة الحسنية من الناحية الموضوعاتية، يعبر عن قيمة تنوعها وغزارة مضمونها. فهي تتضمن بالإضافة إلى التخصصات الطبية المذكورة، مخطوطات في مجالاً طبية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، ومنها كتب في الطب العربي من قبيل كتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان، لصاحبه أبي المنى داود المعروف بالكوهن العطار الإسرائيلي الهاروني، كان حياً 658/1260م، رتبهُ المؤلِّف على خمسة وعشرين باباً، وخصص الباب الأول للكلام عن آداب المهنة، ثم تعرض في بقية الأبواب لمختلف أنواع الأدوية وصفاتها، وختمه بفصل في امتحان الأدوية المفردة والمركبة¹⁶.

وتضم أيضاً، كتب موسوعية في الطب، من قبيل كتاب الاكتفاء في طلب الشفاء، لمحمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي المتوفى في 768/1366م¹⁷. وهو كتاب يبحث في الأمراض التي تعتري البدن من الرأس إلى القدم، كما يعرض لأمراض النساء والأطفال وللحميات والأورام، فيذكر وسائل العلاج والأدوية وخواصها، فضلاً عن بحثه في مسائل الزينة والتجميل، وهو مرتب على عشرين باباً. وكتاب التذكرة، لأحمد بن أحمد بن سلامة القيلوبي المتوفى سنة 1069/1658م، وهي عبارة عن رسالة في الطب، مشتملة على ما تفرق في غيره من التصنيفات وأغنى عن مراجعة ما سواه من التأليف¹⁸. ومخطوطة تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، لداود بن عمر الأنطاكي المتوفى سنة 1005/1596م، وفيه نسخ عديدة¹⁹. وجامع أسرار الطب، لأبي العلاء زهر بن عبد

16 الخزانة الحسنية تحت رقم 6994.

17 العزفي محمد بن يحيى بن أبي طالب عبد الله ابن أبي القاسم العزفي (699 - 768 هـ = 1300 - 1366 م): أمير سبته، في الاندلس. ولد بها، ووليها بعد وفاة أبيه (سنة 719 هـ) وخرج في أوائل سنة 720 فكانت دولته ستة أشهر. وانتقل إلى فاس، فكان كاتب الحضرة المرينية.

18 الخزانة الحسنية تحت رقم 9605.

19 الخزانة الحسنية تحت رقم 8767.

20 الخزانة الحسنية تحت رقم 77100ك.

الملك ابن زهر الأيادي²¹، وهي رسالة في فصول الزمان وطبائعها وما يلائم كلا منها من الأغذية، وفي العلل ووسائل علاجها، والرسالة في مجموع يضم مؤلفات آل زهر²². وكتاب الرحمة في الطب والحكمة، لصاحبه المهدي إبراهيم البصري الصنبري²³. و كتاب سر صناعة الطب، وهو من الكتب الطبية الفكرية الشمولية في أسس معارف الطبيب، لأبي بكر بن زكرياء الرازي المتوفى سنة 311هـ/923م أو 320هـ/932م²⁴. وكتاب شمولي في طابع تأليفه، له أهمية خاصة عبر عنها الرازي نفسه قائلا:

" قد ألفت في تقاسيم العلل من القرن إلى القدم من الكنائش والمقالات على حسب الوقت"

وقد قسم الكتاب إلى ستة أبواب، باب في الإندارات، وباب في التجارب والضمادات، وباب في الحكايات العارضة، وباب في الأغذية والأدوية، وباب سر أبقراط، وباب آخر في فصول قليلة الإغناء بالطبيب الماهر عنها.

تحضر قيمة المخطوطات الطبية المحفوظة بالخزانة الحسنية من خلال تضمنها كتب طبية تفصل ما بين الجانب النظري والتطبيقي في نظرة شمولية، وهو مستوى بالغ الأهمية في الاختصاص والضبط المعرفي في المجال الطبي، حيث يبرز منها كتاب الموجز في الطب، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي المتوفى سنة 687هـ/1288م. رتب المؤلف في أربعة فنون: الفن الأول في الطب بقسميه العلمي والعمل، والفن الثاني في الأدوية والأغذية المفردة والمركبة، والفن الثالث في الأمراض المختصة بكل عضو من أعضاء البدن وأسبابها وعلاماتها، والفن الرابع في الأمراض التي لا تختص بعضو دون آخر وأسبابها وعلاماتها ومعالجتها، مع ترتيب الأدوية والأغذية على حروف المعجم²⁵.

هذا بالإضافة إلى كتب طبية مختصة في الأمراض الوبائية، ومنها كتاب الأمراض الوبائية، لعلي بن عبد الله بن محمد هيدور التادلي، المتوفى سنة 816هـ/1413م. وهي عبارة عن رسالة في ماهية المرض الوبائي وأسبابه ووسائل علاجه الروحية والطبية²⁶. بالإضافة إلى كتب في العلاجات الطبية الدقيقة، من قبيل كتاب زاد المسير في علاج البواسير، لمحمد بن محمد القوصوني المتوفى سنة 931هـ/1524م، وهي رسالة كما يوضح صاحبها مختصة في ماهية علة البواسير وطرق العلاج²⁷. وكتاب المنقذ من الهلكة في دفع مضار السائمات المهلكة، للحسين بن أبي ثعلب المبارك، كان حيا سنة 488هـ/1095م، وهو كتاب وضعه المؤلف للبحث في السموم والترياق وما يحيط بها من وسائل العلاج²⁸. وكتاب تحفة المتوسل وراحة المتأمل، لأبي عبد الله محمد بن أبي الحسن اللخمي، ولد عام 727هـ/1326م. مقسم إلى ثلاث أجزاء مختصة في المعدة وما يتعلق بها، والمرض الإسهالي وانفتاح أفواه العروق وتدبير الشيوخ²⁹.

هذا بالإضافة إلى مخطوطات في علاج أمراض دقيقة، ومنها مخطوطة التجارب الطبية، لابن محمد السوسي في علاج البواسير ووجع الرأس ووجع الركب، والوجع في الدماغ، والورم تحت اللسان³⁰، ومخطوطة زاد المسير في علاج البواسير للحسن بن علي الجرجاني الشوشاوي، مختصة في علاج مرض البرص³¹.

تتعمق هذه المضامين العلاجية الطبية ضمن المخطوطات المحفوظة بالخزانة الحسنية، حيث تحتضن مخطوطات بالغة الأهمية تضاف إلى المخطوطات السابقة من حيث العلاجات والاختصاصات، ومنها المخطوطات التي تختص بعلاج الجراحات والأورام، أبرزها

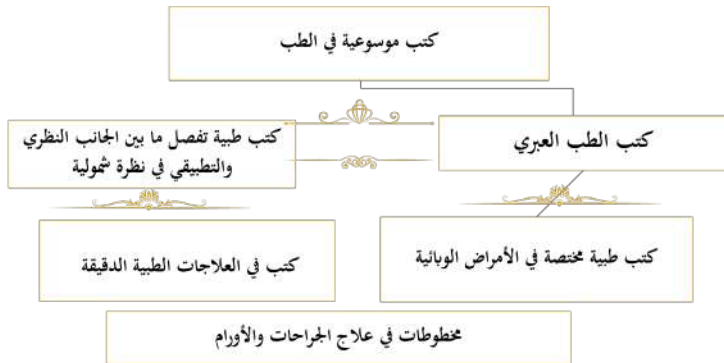
- 21 طبيب مبرّز ذاع صيته بالمغرب والمشرق، وشكلت نظراته في علم الطب والصيدلة منعطفًا حاسمًا في تاريخ الطب الإنساني، بحيث شكلت أبحاثه موضوع دراسة واستلهام منذ القرن الثاني عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في جامعات أوروبا والشرق العربي فضلا عن جامعات المغرب والأندلس. يتعلق الأمر بالطبيب العالم عبد الملك بن زُهر.
- 22 الخزانة الحسنية في مجموع تحت رقم 1538.
- 23 الخزانة الحسنية تحت رقم 3010.
- 24 الخزانة الحسنية، ضمن مجموع تحت رقم 3477.
- 25 الخزانة الحسنية ، تحت رقم 12069.
- 26 الخزانة الحسنية ، تحت رقم 9605.
- 27 الخزانة الحسنية تحت رقم 2192.
- 28 الخزانة الحسنية تحت رقم 376.
- 29 الخزانة الحسنية تحت رقم 5524.
- 30 الخزانة الحسنية تحت رقم 10404.
- 31 الخزانة الحسنية تحت رقم 7533.

مخطوطة الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، لمحمد بن علي فرج الفهري القربلياني المعروف بالشفرة، المتوفى سنة 722/1322م³²، وقد وضع كتبه في ثلاث مقالات، الأولى في الأورام، والثانية في الجراحات والثالثة في الأدوية المفردة والمركبة المستعملة في علاج الأورام والجراحات، والاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام، ويعتبر الاستقصاء والإبرام من أهم الكتب التي كتبت في الأندلس في تلك الفترة والتي تبحث في مجال علم الأورام. فقد بحث القربلياني في المقالة الأولى من هذا الكتاب في الأورام وأسبابها وعلاماتها وعلاجها. وقد بين أن الأسباب الفاعلة للورم هي سببان: الأول تفرق الاتصال، والآخر سوء المزاج. ثم بين أن الأورام الناجمة عن تفرق الاتصال قد يكون ذلك ناجماً عن الفسخ أو الهتك. كما قسم الأورام إلى حارة وباردة، وإلى رخوة وصلبة. ثم تحدث عن ستة وثلاثين نوعاً من الأورام؛ أولها الورم الفلغموني، وبين أن سببه هو الالتهاب، وحدد أعراضه ثم معالجته. بعد ذلك تحدث عن النخلة، واعتبر أن هذا الورم هو أحد أشكال الورم الفلغموني، إنما بدون عفن. ثم تحدث عن الحمرة، وذكر أنها ورم يتولد من المرة الصفراء، وبين أن أنواعها كثيرة. وقد ذكر أن في علاجها يفيد الصندل الأحمر والفلفل.

كما تحدث المؤلف عن الدماميل، وقال إنها تتولد من دم غليظ فاسد، وذكر في ذلك أنه رأى امرأة من بني أبي العلاء قد خرجت لها أربعة من الدماميل من جانب الرأس الأيمن مع منبت الشعر، وقد عولجت من قبل حجام مما أدى ذلك إلى وفاتها. من الأورام أيضاً ذكر القربلياني الحمرة المنقطة والنار الفارسية، وبين أعراض كل منها. ومن ثم، علاجها. كما تحدث في هذا الفصل عن النملة، وقال بأنها نوع من الأورام الحارة، وبين بأنها على ثلاثة أنواع. ثم تكلم عن الأكلة، وبين أنها تحدث بسبب مادة حارة صفراوية.

وقد خصص القربلياني في المقالة الأولى عدة فصول للحديث عن بعض أشكال الأورام؛ فقد تحدث عن الورم الناجم عن السقوط، مثل سقوط الإنسان على حجر أو حائط أو غيره، حيث أورد إصابة مختلف أعضاء الجسم بمثل هذا الورم والناجم عن السقوط. أما إذا كان الورم ناجماً عن ضربة كتلك التي تكون بحديد أو حجر فتعالج كما يعالج أي جرح. في آخر هذا الفصل تحدث القربلياني عن الورم السرطاني، وقسمه إلى سرطان غير متقرح وسرطان متقرح.

يضاف إليه مخطوط مخطوطة مجربات لأبي العلاء ابن زهر الأيادي، وهي ضمن مجموع يضم مؤلفات آل زهر. وهي رسالة في علاج أمراض كأورام الثديين والحصبة والجذري والحميات³³. كما يزداد النبوغ العربي بتوفيره لمخطوطات في علم التشريح، وهي بدورها محفوظة جزء منها بالخزانة الحسنية، ومنها مخطوط القول الصحيح في علم التشريح، لحسن بن عبد الرحمان أفندي المتوفى سنة 1292هـ/1875م، والمخطوطة في مجلدين، ويقدم فضلاً على مضمونه جانباً مهماً في بيان الأوزان والمقاييس الحديثة ومقارنتها بما كان لدى الأقدمين، فضلاً على فوائد عن الحقن والنقع والتعطين وكيفية استعمال الأدوات الجراحية ليدخل بعدها في التدقيقات المتعلقة بعلم التشريح، وقد جمع المؤلف مصادره بناء على دراسات فرنسية لتقديم للطلاب³⁴.



32 الخزانة الحسنية، في مجموع تحت رقم 1716.

33 الخزانة الحسنية تحت رقم 1538.

34 الخزانة الحسنية تحت رقم 1450.

من البين أن الأهمية التي أولاهها المغاربة للمجال الطبي طوال الفترات الزمنية التي تمت الإشارة إليها عبر مسار تطور الدولة المغربية، قد انعكس إيجاباً وبشكل واضح على مجال القيمة النوعية للمخطوطات الطبية التي تحتضنها الخزانة الحسنية.

بالإضافة إلى المضامين الطبية التي تمت الإشارة إليها، فإن الخزانة الحسنية تصون عدداً من المخطوطات في مجال الطب النفسي، ومنها مخطوطة فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد وقمع كل جبار عنيد، لأبي العباس بن عمر الديري الشافعي المتوفى سنة 1151هـ/1738م³⁵، وهو كتاب يبحث في الخواص الروحانية لبعض آيات القرآن الكريم وأسماء الله الحسنی، كما يذكر وسائل علاج بعض الأمراض النفسية عبر التداوي بالأعشاب، جمع فيه صاحبه ما يرتبط براحة النفس بناء على ما جاء ضمن كتب أخرى من قبيل كتاب أبي حامد الغزالي، وكتاب ابن صالح الدرعي. ومخطوطة راحة الإنسان في طب الأبدان، لمحمد أحنني الدرعي³⁶، وهي جميعها مخطوطات بالغة الأهمية على مستوى الطب النفسي بشكل عام.

تضاف إلى هذه المخطوطات مؤلفات اهتمت بمجال علم التجميل، ومنها مخطوطة الاقتصاد في صلاح الأنف والأجساد، لابن مروان عبد الملك ابن زهر المتوفى سنة 557هـ/1162م رتبها المؤلف على سبع مقالات تجمع بين الطب والزينة³⁷. وكتب طبية تربط ما بين مجال البيئة وشروط العلاج، ومنها مخطوطة المنجز بشرح الموجز، لمحمود بن أحمد بن حسن الأشاشي بن النفيس المتوفى سنة 902هـ/1496م، وهو عبارة عن موجز لمؤلف علاء الدين أبي الحسن علي بن أبي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس، وقد وضع المؤلف بطريقة خاصة، حيث ضمنه رسماً دائرياً بين خط الاستواء والأقاليم السبعة وطبيعتها، ورسم دائري مجزأ إلى اثني عشر جزءاً يبين أصناف الرياح، وجذول يبين فيه أحوال النبض، مع رسم على هيئة شجرة يبين فيه أقسام القوى الطبيعية والنفسانية³⁸. فضلاً عن كتب متعددة ترتبط بجميع أصناف العلاج في مجال الأغذية وحيثياتها:

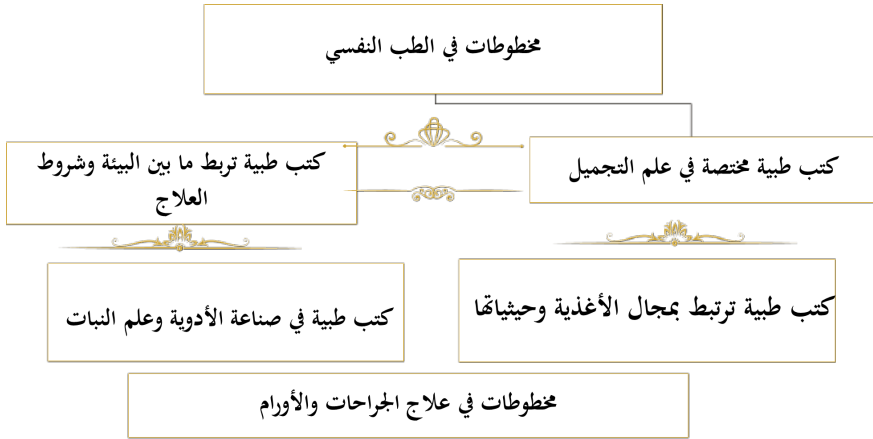
عنوان المخطوط	المؤلف	المضمون	رقم الخزانة
كتاب الأغذية	أبي مروان عبد الملك بن زهر المتوفى سنة 557هـ/1168م، كتبه بأمر من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي	يذكر الأغذية حسب فصول السنة، مع وصف المياه وبيان الفرق بين حرارة كل من العسل والسكر، ووصف أنواعا من الأشربة والمعالجين	في مجموع تحت رقم 1598
كتاب الأغذية وحفظ الصحة	أبي عبد الله بن يوسف ابن خلفون، كان حيا في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي	ضمه خمس مقالات في : العلم الطبيعى/حفظ أعضاء البدن/حفظ الصحة على الإطراق/تدبير فصول السنة/ضروب الأغذية وذكر قواها	في مجموع تحت رقم 12250
كتاب الأغذية وحفظ الصحة	محمد بن إبراهيم الرندي القرني	رتبه المؤلف على خمس مقالات في : مزايا الحمية وكيفية أخذ الغذاء/أصناف الأغذية المعروفة في الأندلس/خواص الأغذية ومنافعها ومضارها/ كيفية دفع المضار المتولدة عن الأغذية/ذكر فصول السنة وما ينبغي أن يستعمل منها في الأدوية والعلاجات	تحت رقم 85
كتاب في الأغذية وحفظ الصحة وتدبير الأطفال	اسم المؤلف غير مذكور	ذكر فيه الأغذية بحسب الأزمان، كما يبحث في منافع الأطعمة من لحوم والبان وبقول وفواكه وفي منافع الأشربة والمعالجين والمربيات والأدهان والمسهلات، وفي الاستحمام والرياضة والفضد والحجامة، وفي الطوبى والأهوية والمساكل، وفي حفظ العيون والأسنان والشعر والبشرة، مع العناية بالاجنة والأطفال	في مجموع تحت رقم 77

- 35 الخزانة الحسنية تحت رقم 2457.
36 الخزانة الحسنية تحت رقم 3619.
37 الخزانة الحسنية في مجموع تحت رقم 1538.
38 الخزانة الحسنية ، تحت رقم 238.

الرقم	المضمون	المؤلف	عنوان المخطوط
رقم تحت 6446	تحدث فيه عن الأعضاء وترتيب الأمور الطبيعية أحسن من ترتيب حنين	مؤلف مجهول	شرح حديث : المعدة بيت الداء
رقم تحت 9532	مرتب على سبع مقالات ويبحث في الأدوية والأغذية والأشربة وفي النبات والحيوان	منسوب لديسقوريدس إصلاح حنين بن إسحاق	هيولا الطب

الرقم	المضمون	المؤلف	عنوان المخطوط
في مجموع تحت رقم 267ك	وهي رسالة مرتبة على الأحرف الأبجدية يذكر فيها المؤلف أسماء الأعشاب الطبية ويأتي بما يقابلها بالدارجة والامازيغية	عبد الرحمان بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1036هـ/1552م	تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة
مجموع تحت رقم 1538	فسر فيه أقوال جالينوس في هذه المواد وبين أهمية الفصل فيها	للأبي مروان عبد الملك ابن زهر	تفضيل العسل على السكر
تحت رقم 9598	الغرض منه هو معرفة الأدوية والأغذية وخواصها ومنافعها ومضارها وما يصلح لكل مرض من دواء بحسب ما يوافق المريض	ينسب ليوحنا بن يحنثشوع المتوفى سنة 903هـ/1290م	تقوم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية
		لأبي محمد بن عبد الله بن أحمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار المتوفى سنة 1248هـ/1646م	الجامع لقوى الأدوية

الرقم	المضمون	المؤلف	عنوان المخطوط
في مجموع تحت رقم 267ك	وهي رسالة مرتبة على الأحرف الأبجدية يذكر فيها المؤلف أسماء الأعشاب الطبية ويأتي بما يقابلها بالدارجة والامازيغية	عبد الرحمان بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1036هـ/1552م	تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة
مجموع تحت رقم 1538	فسر فيه أقوال جالينوس في هذه المواد وبين أهمية الفصل فيها	للأبي مروان عبد الملك ابن زهر	تفضيل العسل على السكر
تحت رقم 9598	الغرض منه هو معرفة الأدوية والأغذية وخواصها ومنافعها ومضارها وما يصلح لكل مرض من دواء بحسب ما يوافق المريض	ينسب ليوحنا بن يحنثشوع المتوفى سنة 903هـ/1290م	تقوم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية
		لأبي محمد بن عبد الله بن أحمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار المتوفى سنة 1248هـ/1646م	الجامع لقوى الأدوية



مخطوطات الطب بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية تنوع في المضمون وغزارة في الإنتاج

نظرا لشاسعة الموضوع المتعلق بالمخطوطات الطبية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، سوف يتم الاختصار فقط على إعطاء نبذة موجزة عن السياق التاريخي لجمع التراث المخطوط بالمكتبة، حيث تتنوع تلك المخطوطات بتنوع المضامين العلاجية الطبية. كما تكمن قيمتها العلمية، في تشكيلها لإرث مشترك ما بين ما تحتضنه الخزنة الحسنية من مخطوطات، وما تتضمنه المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وهو معطى إيجابي مفيد، على مستوى دراسة وتحقيق تلك المخطوطات، وضبط فراغات النسخ، وفهم مختلف سياقات تأليفها ونسخها زمنيا ومكانيا.

وهكذا، تحتضن المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رصيدا مهما من المخطوطات الطبية، ومنها منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان في الطب، لمؤلفه، يحيى بن عيسى ابن جزلة البغدادي المتوفى في العام 493هـ/1106م، أدوبته مرتبة على حروف العجم 39، ورسالة فيما يعتري النائم من الثقل والعياء المفطر المزمن، لمكي بن محمد بن علي البطاوري المتوفى سنة 1354هـ/1936م. والمستعيني في الطب، لصاحبه يوسف ابن إسحاق ابن بكلاش الإسرائيلي المتوفى نحو 500هـ/1106م في 394 صفحة 41. تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، لداود بن عمر الأنطاكي المتوفى في العام 1008هـ/1600م في 242 ورقة 42. والدرر المحمولة على الهدية المقبولة في حلل الطب مشمولة، وهي عبارة عن أرجوزة لأحمد بن صالح بن إبراهيم المرابط الدرعي المتوفى في العام 1144هـ/1731م في 499 صفحة 43. وكتاب ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، لعبد الله بن عزوز المراكشي السوسي المعروف ببله، المتوفى في العام 1204هـ/1790م في 375 صفحة 44.

تضاف إلى المخطوطات الطبية السابقة الذكر، مخطوطات ذات أهمية بالغة من قبيل مخطوط الرحمة في الطب، محمد المهدي بن إبراهيم الصنبوري اليمني الهندي المتوفى في 815هـ/1412م 45، ومخطوطة منافع الأغذية والأشربة، لأحمد بن حسن بن علي

- | | |
|----|--|
| 39 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم 258. |
| 40 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم 108. |
| 41 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم 55. |
| 42 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 62. |
| 43 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 187. |
| 44 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم 173. |
| 45 | المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 106. |

القسنطيني الشهير بابن قنفذ 46. وكتاب تقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية، المنسوب ليوحنا يحيى بن بختيشوع الفارسي الحكيم المتوفى في 290هـ/903م 47.

- ومن حسنات التراث الطبي المحفوظ بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، احتضانها لعدد من المخطوطات الطبية فرع الخزانة الكتانية، وهي متعددة بدورها، بتعدد مضامين التأليف في المجال الطبي بشكل عام. ومنها:
- المغنى، لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين البغدادي المتوفى في العام 495هـ/1101م، ألفه برسم الخليفة العباسي المقتدر بأمر الله، تحت رقم 190ك/1.
- شرح كليات القانون لابن سينا، للشارح قطب الدين محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازي المتوفى في العام 710هـ/1311م، الموجود منه المجلد الرابع، تحت رقم 148ك.
- تقييد في الطب، لمحمد بن أحمد بن عبد الله، تحت رقم 74ك/6.
- مفردات طبية، جامعها غير مذكور، تحت رقم 90ك/2.
- مختصر في الطب، أبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي المرنداسي القرطبي، المتوفى في العام 853هـ/853م، تحت رقم 1442د.
- مقالة في الدار الخفي، لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي، المكنى بجالينوس العرب أو طبيب المسلمين، تحت رقم 1588د.
- كامل الصناعة الطبية المعروف بالمالي، لأبي الحسن علي بن العباس المجوسي، المتوفى في العام 384هـ، تحت رقم 635د.
- فطرة الصانع في سمة الطبايع، أبي عبد الله محمد بن علي بن تومرت المغربي الأندلسي، المتوفى في العام 391هـ/1001م، تحت رقم 1486د.
- زاد المسافر وقوت الحاضر، أبي جعفر أحمد بن إبراهيم خالد المتطبب، المعروف بان الجزائر، المتوفى في العام 395هـ/1004م، تحت رقم 1718د.
- مختصر كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزائر، صاحب المختصر غير مذكور، تحت رقم 1121د.
- أرجوزة في الطب، للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله بن سينا، تحت رقم 1515د.
- كتاب التصريف، أبي الحسن علي بن سليمان الزهراوي، تحت رقم 635د/1427.
- جامع أسرار الطب، ابن زهر الإشبيلي، المتوفى في العام 525هـ/1131م، تحت رقم 532د.
- كتاب المنتخب في علاج أمراض العين، أبي القاسم عمار بن علي الموصل، تحت رقم 782د.
- جامع الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية، لإبراهيم بن أبي سعيد بن إبراهيم المغربي المتطبب، المعروف بأبي العلاء المتوفى في العام 546هـ/1151م، تحت رقم 1050د/1034د.
- مجمع الفوائد والفرائد المسمى بالجامع الأكبر، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار، المتوفى في العام 646هـ/1248م، تحت رقم 759د.
- جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، أبي الفرج بن يعقوب بن إسحاق الحكيم المعروف بابن القف المسيحي المالكي من نصارى كرك، المتوفى بدمشق في العام 685هـ/1286م، تحت رقم 783د.
- كتاب الموجز من القانون، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الشهير بابن النفيس، المتوفى في العام 687هـ/1288م، تحت رقم 578د.
- الاستقصا والإبرام في علاج الجراحات والأورام، أبي عبد الله محمد بن علي بن فرج الفهري، المعروف بالشفرة القربلياني المتوفى في العام 722هـ/1322م تحت رقم 1363د.
- شرح قوله صلى الله عليه وسلم: المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء البردة، أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، المتوفى في العام 895هـ/1490م، تحت رقم 797د/1257د.
- مجموع المنافع في علم الطب النافع، محمد بن أحمد البعقلي السوسي، من مواليد القرن الحادي عشر الهجري، تحت رقم 1644د/879د/1085د/1561د/955د.

46 المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 106د.

47 المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 449د.

- تأليف في الأشربة والمعاجين والأذهان والسفوفات والمراهم والأكحال والمربيات واللطوخات، لأبي الفضل محمد بن القاسم العلائي، تحت رقم د1551/د788/د797/د1688/د768/د1035/د761
- تأليف في الأغذية، تحت رقم د768
- حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار، تحت رقم د760/د1686/د1685/د1684
- الأسباب والعلامات، لأبي حامد محمد بن علي بن عمر السرمقندي، المتوفى مقتولا من قبل التتار في العام 919هـ/1222م، تحت رقم د578.
- كتاب أدوية القلب وما يتعلق به، تحت رقم د578.
- كتاب نواذر الحكمة، تحت رقم د578.
- رسالة في مداواة وجع المفاصل، تحت رقم د578
- كتاب الأبدال والمعجين والأقراص والأدوية المفردة وغيرها، تحت رقم د578
- علامة السعادة في حكم الأغذية المعتادة، لعلي بن حسن ابن علي بن خلف المراكشي القيسي، أرجوزة في 1، 080 بيتحت رقم د1121.
- حالة الإنسان، أرجوزة في وصف الجسم الإنساني، المؤلف غير مذكور، 246 بيت، تحت رقم د1065.
- كتاب في خواص النباتات، لعبد الغني بن أبي سرحان بن مسعود الأزموري، تحت رقم د955.
- تفسير الألفاظ الطبية واللغوية، إبي جعفر أحمد بن الحشا، تحت رقم د955.
- رسالة في شرب الآتي ومنافعه، محمد بدر الدين الحسن الفاسي، تحت رقم د157.
- تأليف الصقلي في العروق الهندية، المسماة بالعشبة، مؤلف مجهول، تحت رقم د800.
- تأليف في علم التشريح والطب، مؤلف مجهول، تحت رقم د1121.
- تأليف في معرفة المرض بحسب لون بول المريض، مؤلف مجهول، تحت رقم د1688.
- تقايد مختلفة في الطب، مؤلف مجهول، تحت رقم د1645.
- كشف الرموز في الطب، مؤلف مجهول، تحت رقم د782.
- رسالة في علم أمراض النساء وتعويقهن عن الحمل في مجموع، تحت رقم د1718.
- تأليف في مفردات الأدوية، مؤلف مجهول، تحت رقم د1566.

الواضح أن هذا التقييم والتقديم، لمختلف المخطوطات الطبية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، يحيل بشكل بين على مدى غزارة الجوانب الطبية التي اهتم بها المغاربة، تأليفا وحفظا وصيانة. وهي جوانب لازال الطب المعاصر يغوص بحثا في مكوناتها وحيثياتها العلمية، التي تفتح باب الاكتشافات العلمية يوما بعد يوم. علما أن هذا التراث الطبي، قد تم تحقيق جزء منه، وربطه بمجال الشبكة العنكبوتية، التي تحتضن بدورها عددا من النسخ الخاصة بالمخطوطات الطبية التي تم ذكرها.

المخطوطات الطبية في بقية المكتبات والخزانات الوطنية

يقبع الرصيد المغربي في مجال مخطوطات الطبي في عدد من المكتبات والخزانات المغربية المنتشرة عبر التراب الوطني، من قبيل المكتبة العامة بمدينة تطوان بشمال المغرب. مع الإشارة إلى الأهمية الخاصة التي كانت تقدمها مجلة الببليوغرافية المغربية، في التعريف بالتراث المخطوط. والتي توقفت عن الصدور، وأهمية فهرس المؤلفين وعناوين الكتب المحفوظة في المكتبة العامة بتطوان للمرحوم أحمد المكناسي في 602 صفحة، والذي ظل في طابعه الكلاسيكي إلى اليوم، أي منذ العام 1952.

تضاف إليها المخطوطات الطبية المحفوظة في كل من مكتبة القرويين الغنية عن التعريف، التي تحتوي بدورها على بقايا مخطوطات فريدة من العصر الوسيط، رغم ما حل بها من نهب واختلاس في المدة الأخيرة، وخاصة أيام الحماية الفرنسية، فإنها ما زالت تحتفظ بمخطوطات تاريخية قيمة. وقد وضع فهرسها لأول مرة المستشرق الفرنسي ألفريد بيل، فهرسة تقريبية بمساعدة بعض المغاربة المشتغلين بها آنذاك، وطبع هذا الفهرس بفاس في العام 1918. ثم فهرسها محافظها السابق، محمد العابد الفاسي، فهرسة علمية مدققة، حسب غط الفهرسة الكلاسيكية أيضا. ومكتبة ابن يوسف مراكش، وهي ثاني المكتبات المغربية القديمة بعد القرويين،

إلا أن يد الإهمال أصابتها فيما أصاب معالم مراكش، بعد تراجع الحكم المريني. وتضم هذه المكتبة بين جنباتها اليوم بقايا المخطوطات التي أوقفها الملوك السعديون على مساجد مراكش ومدارسها وأضرحتها، وعددا من مؤلفات علماء ومؤرخي عاصمة الجنوب، وبخاصة في القرون الأربعة الأخيرة. وقد فهرس مخطوطات هذه المكتبة محافظها الصديق بن العربي، فهرسة مدققة وطبعها على الآلة المكررة، وهي المخطوطات التي ساهمنا، في رقمقتها ضمن مشروع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، شأنها في ذلك شأن مخطوطات بقية الخزانات والمكتبات المغربية.

وتضاف إلى المكتبات السابقة، مكتبات الجامع الأعظممكناس، وتتجلى قيمة هذه المكتبة في احتوائها على بقايا مكتبة السلطان العظيم مولاي إسماعيل، الذي بلغت عاصمةمكناس في عصره درجة عالية في الرقي والحضارة، وتزاجم على بلاطه السفراء والعلماء من أوروبا وغيرها من أقطار المعمور. والخزانة الصبيحية، وهي من أغنى المكتبات الحديثة بالوثائق والمخطوطات التاريخية، أصلها مكتبة خاصة بباشا مدينة سلا الحاج محمد الصبيحي، وأوقفها قبيل وفاته على المستفيدين من الباحثين والطلبة، تتوفر هذه المكتبة على بعض المخطوطات الطبية السلاوية. ومكتبة الجامع الكبير بنازة، والتي يرجع عهد الكتب الوقفية بها إلى عصر السلطانين المرينيين يوسف بن يعقوب وابنه أبي الحسن، حيث بنيا هناك المسجد الأعظم والمدرسة العلمية وشحنا خزانتهما بالكتب.

ونظرا للاتصال العلمي الوثيق الذي كان قائما طوال القرون الماضية بين نازة وتلمسان، فإن هذا المكتبة ضمت في جملة ما احتوت عليه، مخطوطات أصيلة تاريخية أو قريبة الصلة بالتاريخ لمؤلفين تازيين وتلمسانيين. وتعتبر عن مدى التطور التاريخي لمجال الاهتمام بالطب بشكل عام.

ودار الكتب الناصرية بتمكروت، والتي تقع في أسفل وادي درعة بالصحراء جنوبي زكورة، أسسها الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي في منتصف القرن الهجري الحادي عشر/ 17 م. وأوقفها في آخر حياته على طلبة العلم المتكاثرين في زاويته. وقد أضاف أبناء الشيخ وحفدته إلى هذه المكتبة عددا من مؤلفاتهم ومقتنياتهم من المخطوطات في رحلاتهم بالمغرب والمشرق. وتضم اليوم زهاء 4200 مخطوط. بما في ذلك مخطوطات تهتم المجال الطبي، وقد فهرس هذه المكتبة محمد المنوني فهرسة مدققة. والمكتبة العياشية أو الحمراء، الواقعة في جبل آيت عياش بالأطلس الكبير الجنوبي ميدلت. أسسها الرحالة الصوفي الشهير أبو سالم العياشي مؤلف الرحلة الحجازية ماء الموائد أواخر القرن الهجري الحادي عشر/ 17 م. وشحنها بمؤلفاته، وما نسخه أو استنسخه أو اقتناه في رحلاته العديدة الطويلة. وقد تمت فهرسة هذه المكتبة من لدن محمد المنوني، وهي بدورها تحتضن عددا من مؤلفات الطب المغربية والعربية على حد سواء.

الواضح عموما، أن رصد التراث الطبي المخطوط بالمغرب، يكشف عن أصالة اهتمام المغاربة بمجال المخطوط الطبي، ضمن بنية سوسيوولوجية وثقافية خاصة، طبعت بها ثقافة المغاربة سابقا، وأصبحت تضمحل في الوقت الراهن، نتيجة عدة أسباب، أبرزها العلاقة البيئة التي بدأت تظهر في انفصام ما بين العالم والمجتمع، على مستوى الشأن الثقافي تحديدا، وارتباط مجال الاهتمام بالمخطوط في فئة من المختصين في مجال البحث، واقتقاد العديد من المؤسسات الجامعية، لمجالات خصبة لتطوير وتحديث طرق الاهتمام بالمخطوط بشكل عام، على مستوى فهرسته خارج منظومة الفهرسة الكلاسيكية، التي تجاوزتها بشكل ملحوظ آليات وبنيات القواعد الإلكترونية بما فيها معطيات الذكاء الاصطناعي، التي أصبحت قادرة على تقديم عدد من المعلومات الدقيقة عن المخطوطات، قد تصل احتساب عدد أحرف اللغة التي كتبت بها، وعدد جزئيات المخطوط، التي لازال الباحثون المغاربة، يقتصرون فيها على بنية الفهرسة، التي تعتمد اسم المؤلف، ومسطرة المخطوط، ورقم حفظه بالخزانات والمكتبات.

المحور الثالث: دراسات ببليوغرافية وتعريفية



المخطوطات الطبية بالمكتبات المغربية - مكتبة آل سعود أنموذجا - ضمن محور: ببليوغرافيا المخطوطات الطبية العربية الإسلامية في الخزانات العالمية

ذ. طارق يشي

أستاذ التعليم العالي مساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

يعتبر علم الطب من العلوم المهمة التي عرفتها البشرية منذ القديم، وسعت إلى محاولة تطويرها وتنقيحها بالاعتماد على مجموعة من الأدوات النظرية والتطبيقية، واستفادت في ذلك من الحضارات التي سبقتها، وهو ما أسهم في تطوير هذا "الميدان" ووصله حاليا إلى مراتب متميزة، أنقذت البشرية من مجموعة من الأمراض والأوبئة الفتاكة، وتجدر الإشارة إلى أن الأطباء العرب بدورهم أسهموا إسهاما كبيرا في تطوير هذا القطاع خلال العصر الوسيط، قبل أن يأخذ الأوروبيون المشعل منذ عصر النهضة، مستفيدين مما خلفه ابن سينا وابن الهيثم والرازي والغساني وغيرهم كثير، إلا أن التمثيل الحالي يرجع كل التطورات الطبية للحضارة الغربية مما يفرض على المتخصصين عقد مثل هذه المنتديات العلمية للتأكيد على الدور الذي قام به العرب في هذا المجال، وتعد المبادرة التي تقوم بها كلية الطب بمدينة فاس رائدة في هذا الميدان.

من هنا تأتي هذه الورقة العلمية للتأكيد على الدور الذي قام به العرب أو نفي هذا الدور انطلاقا من المخطوطات التي ما زالت تحتفظ بها المكتبات العالمية الكبرى، ولعل أهم هذه المكتبات، مكتبة آل سعود، التي بذل مسؤولوها مجهودات كبيرة في سبيل جمع نوازل المخطوطات وإتاحتها للباحثين بشكل تسهل معه عمليات البحث العلمي، لذلك سننطلق في هذه الورقة العلمية من إشكالية رئيسية هي:

ما الإمكانيات التي تقدمها لنا المخطوطات الطبية بهذه المكتبة لفهم خصائص هذا الميدان عبر مختلف الفترات التاريخية التي تغطيها هاته النوازل؟

وللإجابة عن هذا السؤال سنسعى إلى محاولة اعتماد العناصر التالية:

أولا: المخطوطات الطبية ومؤسسة آل سعود: دراسة تصنيفية.

ثانيا: الخصائص المميزة للمخطوطات الطبية الموجودة بمكتبة آل سعود.

وتبنيغي الإشارة إلى أن هذه الدراسة لا تدعي الإحاطة بكل المعطيات التي تقدمها المخطوطات الموجودة بهذه المكتبة، خاصة أنها كثيرة نسبيا، ولا يمكن دراستها جميعا وتحقيقها بل وحتى تخريجها، لأن هذه العملية تتطلب السنين الطوال لكل مخطوط على

حدة، فنحن هنا لا ندعي هذا الأمر بقدر ما سنحاول التعريف بهذه المخطوطات والتأكيد على الدور الذي تقوم به المكتبات العمومية في حفظ هذا التراث، وتيسير الوصول إليه.

إن اختيارنا لمكتبة آل سعود لم يكن اعتباطاً بل جاء نتيجة مجموعة من الأبحاث التي قمنا بها بالاعتماد على هذه المكتبة التي توفر الشيء الكثير للطلبة المغاربة والأجانب، فهي تحتوي على أزيد من 1000 إضافة إلى أن جل الدراسات الحديثة تسعى المكتبة إلى رصدها واقتنائها وإتاحة إمكانية الاطلاع عليها، وبذلك فهي معلمة فكرية يجب على المغرب أن يفتخر بها، ويسعى إلى محاولة تشجيع مثل هذه المبادرات التي ستسهل عمل الطلبة والأساتذة الباحثين في النبش في مجموعة من القضايا التراثية..

المحور الأول: دراسة تصنيفية للمخطوطات الموجودة بمكتبة آل سعود

1. جرد المخطوطات

لا ندعي أننا أحطنا علماً بكل هذه المخطوطات لأن إخراجها وتحقيقها يتطلب منا السنين الطوال -والمشتغلين في هذا الحقل هم أدري بصعوبة هذه العملية-، خاصة ما يرتبط بعملية التأريخ التي تصعب علينا في كثير من الأحيان، فكثير من المخطوطات لم تتمكن من التعرف على مدى أصالة النسخة أو نسبتها فقط لناسخ آخر

عنوان المخطوط	مؤلفه	تاريخ المخطوط
الهدية المقبولة في حلل الطب مشمولة، أو ، منظومة في الطب	الدرعي، أحمد بن صالح بن إبراهيم الولادة 1121: الموافق - 1709: الوفاة 1147: هـ الموافق 1734: م	انتهى منه 1283هـ (حسب ما ورد في نهاية المخطوط) وهو ما يؤكد أن المخطوط غير أصلي وإنما تكلف ناسخ بنسخه، لم تتمكن من الوصول إلى اسمه
ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة	عبد الله بن عزوز بلة المراكشي بعد 1204-1789	ق13هـ، 18م
كتاب في الطب	ورد في نهاية المخطوط: نسخ هذا التأليف للفقير المعظم الحاج المبرور العدل الأرضي ... عبد الله محمد بن الشيخ ... محمد بن عبد الله الموري (التأكد من الكلمة الأخيرة) كتاب الأربعين حديثاً في الطب إملأه أي محمود عبد اللطيف ابن يوسف بن محمد البغدادي رحمه الله، وشرح تلميذه أبي عبد الله محمد بن يوسف البرزالي" وردت في الورقة الأخيرة	يعود أصل المخطوط الى ق6هـ، 12م ونسخ هذه النسخة يعود الى القرن 9هـ، 15م
عمل من طب لمن حب	المقري، محمد بن محمد بن أحمد	986هـ-1041هـ، / 1578هـ-1631م أندلسي
القول في أحكام الطب والعلاج الصحيح وما قالت الحكماء و الأطباء مما رواه جليينوس وأبقراط ورسطاليس وغيرهم	عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز، ابن عزوز، المراكشي، المالكي، أبو محمد ، ابن عزوز (1204 هـ)	ق13هـ، 19م مراكشي
إتمام الدراية لقراء النقاية	عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد الجلال السيوطي	ق9هـ-10هـ / 15-

أرجوزة في الأغذية والأشربة	ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي	الفراغ منه سنة 804 قسنطينة
المنافع البينة وما ينفع في الأزمنة	محمد بن علي بن باديس الصنهاجي يحتمل انه ابي عبد الله الصنهاجي، كان طبيباً بسماط العدول في عهد الدولة المرينية	ق8/هـ14م
حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج	الغول الفشتالي، أحمد بن محمد بن عيسى	توفي رحمه الله سنة 1059هـ/1649م ق11/هـ17م
القانون في الطب	ابن سينا	ق4-5/هـ11-10م
كتاب الأغذية وحفظ الصحة	ابن خلدون، محمد بن يوسف كان حياً نهاية القرن 7-بداية القرن 8/هـ13-14م	نهاية القرن 7-بداية القرن 8/هـ13-14م
سر صناعة الطب	الرازي، محمد بن يحيى بن زكريا ق3-4/هـ10-9م	عدم التوفر على تاريخ نسخه النسخة الأصلية تعود الى القرن 3-4/هـ10-9م
البيان في تدبير صحة الإنسان	مجهول	
الإيضاح في أسرار النكاح	الشيزري، عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله الشام	ق6/هـ12م
نقد الغريق بإذن الخالق	البلغيثي، عبد الله بن الهاشمي بن محمد ت1364	ق14/هـ20م
مختصر طب الشوشاوي الرجرجاني	الرسموكي، أحمد بن سليمان بن يعزى	ق12/هـ18م
القول في فوائد خواص الحيوانات والجهدات والمعادن ونحوها	مجهول	--
كتاب سيدي علي بن أحمد الرسموكي في الطب	علي بن أحمد الرسموكي ق11/هـ17م	ق11/هـ17م
تقايد متنوعة في الطب والحكم والفقه	وارد اسم محمد بن يوسف بن خلدون الذي عاش بالأندلس في القرن 7-8/هـ13-14م	بعد القرن 7-8/هـ13-14م
عنوان الشفا مع صدق الطب والوفا	عبد الله بن أحمد بن محمد بن بوشنى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخصاصي لم نتمكن من ترجمته جزء من المخطوط هو مختصر لكتاب الدرر المحمولة في الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة للشيخ ابو العباس سيدي احمد بن صالح الشاوي الأصل، والذي ينسب إلى درعة	تعود النسخة إلى سنة 1181هـ حسب ما هو وارد في الورقة 1 من المخطوط.
مجموع المنافع في علم الطب النافع	البعقلي، محمد بن علي ق11/هـ17م	ق11/هـ17م
الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية	أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج ت1899م	القرن 19
أرجوزة في الأغذية	ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد	ق8/هـ14م

كتاب في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية	علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي الفاسي (ت816هـ)	ق9هـ/15م
حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج	الغول الفشتالي، أحمد بن محمد بن عيسى	ق11هـ/17م
كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه و شرحها لعبد اللطيف البغدادي	ابن يداس، محمد بن يوسف بن محمد الإشبيلي الأصل عاش في المشرق وبلاد فارس ولد سنة 557هـ/636م المخطوط عبارة عن كتاب أملاه عبد اللطيف البغدادي على ابن يداس أو على الأقل قدم المعطيات العلمية التي مكنت هذا الأخير من الكتابة	ق6-7هـ/12-13م
الآثار المروية في فضل الأطعمة السرية والآلات العطرية	أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي (المتوفى: 578هـ)	ق6هـ/12م
تلخيص كتاب " ما لا يسع الطبيب جهله " لابن البيطار، أو ، جمع المنافع البدنية من كتاب " ما لا يسع الطبيب جهله " لابن البيطار	مجهول	
النزهة المبهجة في تشحيد الأذهان وتعديل الأمزجة	الأنطاكي، داود بن عمر توفي 1008هـ الناسخ: محمد فضل الله الطبيب يوسف الطبيب شامي الأصل ¹	تاريخ نسخه 1090
مقالة في الحصى في الكلي والمثانة	الرازي، محمد بن يحيى بن زكريا ت313هـ	ق4هـ/10م
المنافع البيئة وما ينفع في الأزمنة	احتمال محمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله، بنميين الصنهاجي وفاته: قال في درة الحجال كان حيا في غالب الظن سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة، وكانت وفاته بمكناس وقبره بمسجد الشجرة معروف كما في الروض الهتون	ق8هـ/14م
الماعون في الكلام على ما يتعلق بالوباء والطاعون	خط غير واضح	
كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية	أبو الصلت الداني، أمية بن عبد العزيز	ق6هـ/12م

1 حسب ما ورد في آخر المخطوط، أنظر: الأنطاكي داود بن عمر، النزهة المبهجة في تشحيد الأذهان وتعديل الأمزجة، مخطوط، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم.

تصنيف حسب الفترة الزمنية:

عنوان المخطوط	تأريخه	مؤلفه
سر صناعة الطب	ق4-3/10-9هـ م	الرازي، محمد بن يحيى بن زكريا
مقالة في الحصى في الكلي والمثانة	ق4هـ/10م	الرازي، محمد بن يحيى بن زكريا ت313هـ
القانون في الطب	ق4-5/11-10هـ م	ابن سينا
الإيضاح في أسرار النكاح	ق6/12هـ م	الشيخري، عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله
الآثار المروية في فضل الأطعمة السرية والآلات العطرية	ق6/12هـ م	أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخيرجي الأنصاري الأندلسي (المتوفى: 578هـ)
كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية	ق6/12هـ م	أبو الصلت الداني، أمية بن عبد العزيز
كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة و شرحها لعبد اللطيف البغدادي	ق6-7/13-12هـ م	ابن يداس، محمد بن يوسف بن محمد الإشبيلي الأصل عاش في المشرق وبلاد فارس ولد سنة 557هـ/636م
كتاب الأغذية وحفظ الصحة	نهاية القرن 7-بداية القرن 8هـ/14-13م	ابن خلصون، محمد بن يوسف كان حيا نهاية القرن 7-بداية القرن 8هـ/14-13م
تقايد متنوعة في الطب والحكم والفقه	بعد القرن 7-8هـ/14-13م	وارد اسم محمد بن يوسف بن خلصون الذي عاش بالأندلس في القرن 7-8هـ/14-13م
المنافع البينة وما ينفع في الأزمنة	ق8/14هـ م	محمد بن علي بن باديس الصنهاجي يحتمل انه ابي عبد الله الصنهاجي، كان طبيباً بسماط العدول في عهد الدولة المرينية
أرجوزة في الأغذية	ق8/14هـ م	ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد
المنافع البينة وما ينفع في الأزمنة	ق8/14هـ م	محمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله، بنميين الصنهاجي
إتمام الدراية لقراء النقاية	ق9هـ-10هـ/15-	عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد الجلال السيوطي
أرجوزة في الأغذية والأشربة	الفراغ منه سنة 804 قسنطينة	ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي
كتاب في الأمراض البوابية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية	ق9هـ/15م	علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي الفاسي (ت816 هـ)
عمل من طب لمن حب	986هـ-1041هـ،/ 1578هـ-1631م أندلسي	المقري، محمد بن محمد بن أحمد
إتمام الدراية لقراء النقاية	ق9هـ-10هـ/15-	عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد الجلال السيوطي

حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج	توفي رحمه الله سنة 1059هـ/1649م ق11هـ/17م	الغول الفشتالي، أحمد بن محمد بن عيسى
كتاب سيدي علي بن أحمد الرسومي في الطب	ق11هـ/17م	علي بن أحمد الرسومي ق11هـ/17م
مجموع المنافع في علم الطب النافع	ق11هـ/17م	البعقلي، محمد بن علي ق11هـ/17م
حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج	ق11هـ/17م	الغول الفشتالي، أحمد بن محمد بن عيسى
النزهة المبهجة في تشخيص الأذهان وتعديل الأمزجة	تاريخ نسخه 1090	الأنطاكي، داود بن عمر توفي 1008هـ الناسخ: محمد فضل الله الطبيب يوسف الطبيب شامي الأصل ²
مختصر طب الشوشاوي الرجراجي	ق12هـ/18م	الرسومي، أحمد بن سليمان بن يعزى
الهديّة المقبولة في حلل الطب مشمولة، أو ، منظومة في الطب	انتهى منه 1283هـ	الدرعي، أحمد بن صالح بن إبراهيم الولادة: 1121:الموافق - 1709:الوفاة 1147:هـ.الموافق م:1734
ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة	ق13هـ/18م	عبد الله بن عزوز بلة المراكشي بعد 1204-1789
القول في أحكام الطب والعلاج الصحيح وما قالت الحكماء و الأطباء مما رواه جليئوس وأبقراط ورسطاليس وغيرهم	ق13هـ/19م	عبد الله بن أحمد بن عبدالعزيز، ابن عزوز، المراكشي، المالكي، أبو محمد ، ابن عزوز (1204 هـ)
الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية	أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج ت1899م	القرن 19
نقد الغريق بإذن الخالق	ق14هـ/20م	البليغي، عبد الله بن الهاشمي بن محمد ت1364
البيان في تدبير صحة الإنسان	مجهول	
القول في فوائد خواص الحيوانات والجمادات والمعادن ونحوها	مجهول	
تلخيص كتاب " ما لا يسع الطبيب جهله " لابن البيطار، أو ، جمع المنافع البدنية من كتاب " ما لا يسع الطبيب جهله " لابن البيطار	مجهول	
الماعون في الكلام على ما يتعلق بالواء والطاعون	خط غير واضح	

يسعفنا الجدول التالي في وضع تصور أولي عن الإطار الزمني الذي تنتمي إليه المخطوطات التي عمدنا إلى اختيارها عينه للدراسة، ويوضح المبيان التالي النتيجة المتوصل إليها:



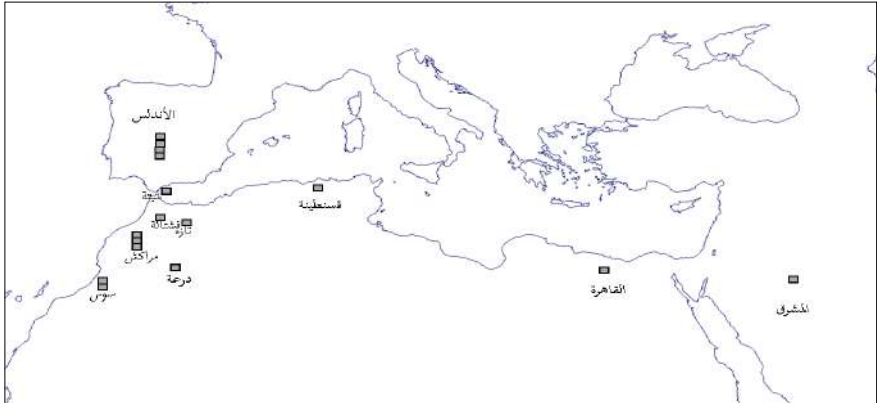
التصنيف حسب الانتماء الجغرافي

المدينة	عنوان المخطوط	المجال
	كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها لعبد اللطيف البغدادي	الأندلس
	عمل من طب لمن حب	
	كتاب الأغذية وحفظ الصحة	
	الأثار المروية في فضل الأطعمة السرية والآلات العطرية	

بغداد	كتاب في الطب	المشرق
القاهرة	إتمام الدراية لقراء النقابة	
قسنطينة	أرجوزة في الأغذية والأشربة	
	القانون في الطب	بلاد فارس
درعة	الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة	المغرب الأقصى
مراكش	ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة	
مراكش	القول في أحكام الطب والعلاج الصحيح وما قالت الحكماء والأطباء مما رواه جالينوس وأبقراط ورسطاليس وغيرهم	

سيتة	المنافع البينة وما ينفع في الأزمنة	
فشتالة	حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج	
...	نقد الغريق بإذن الخالق	
مراكش	مختصر طب الشوشاوي الرجراجي	
سوس	كتاب سيدي علي بن أحمد الرسموكي في الطب	
سوس	مجموع المنافع في علم الطب النافع	
..	الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية	
احتمال المغرب الأقصى أو الأندلس...	أرجوزة في الأغذية	
تازة	كتاب الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية	

خريطة: التوزيع المجالي للمخطوطات الطبية بمكتبة آل سعود



المحور الثالث: خصائص المعرفة الطبية بالمخطوطات الموجودة بمكتبة آل سعود

أتاحت لنا عملية التصنيف السابقة إمكانية رصد بعض الخصوصيات التي تميز المخطوطات الطبية الموجودة بمكتبة آل سعود، والنسق الذي تمثله، إلا أن الغوص في دراسة كل مخطوط على حدة يمكن أن يسهم في فهم العديد من الخصائص المميزة لهذا الصنف من التأليف ومن أبرزها:

1. اختلاف المواضيع ومناهج التأليف:

إن التنوع المجالي والزمني لمختلف المؤلفين، أسهم في تنوع المواضيع الطبية المناقشة من جهة، والمناهج المعتمدة من جهة ثانية تساعد عمليات التصنيف المختلفة في فهم بعض خصائص المخطوطات التي اختارها كعينة للدراسة، ويمكن أن تسهم هذه العملية في بلورة مجموعة من الإشكاليات التي ستساعد على فهم الواقع الطبي في المنطقة الإسلامية خلال مختلف الفترات التاريخية التي تناولتها هذه النواذر، ومن أهم المواضيع التي تمت مناقشتها، أو على الأقل منهج التأليف نجد:

■ **الاعتداء بالطب النبوي:** تحمل معظم المخطوطات المدرسة مجموعة من الإشارات التي تؤكد الانتماء الديني لأصحابها، إلا أن هناك مخطوط سعى صاحبه إلى الانطلاق في تأليفه من الأحاديث النبوية التي لها علاقة بميدان الطب، ويتعلق الأمر بـ "كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة و شرحها لعبد اللطيف البغدادي"، حيث أوضح صاحبه محمد بن يوسف بن محمد بن يداس منهجه في التأليف بقوله:

"لما خرجت من مكة [...] قصدت الشام بسبب سنن ابن ماجة، فلقيت الشيخ العالم [...] أبا محمد عبد اللطيف ابن يوسف بن محمد البغدادي فأعلمت أنهار روايته فسألته أن أقرأها عليه فأنعم، فشرعت في قراءتها، فلما وصلت أبواب الطب سألته أن يوضح لي مشكلها ويلين لي ما تتضمن من المعاني الشريفة والحكم الغامضة [...] فأنعم وتفضل وأصاب، فشرحها وذكر فيها من غرائب الحديث ما لم يذكره في كتابه الكبير [...] فوافق ذلك أن جاء بأربعين حديث، فاستأذنته في إفرادها بأسانيدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أذكر بعد الأحاديث شرحها، فأذن لي في روايتها عنه كذلك، فخرجتها رغبة فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم [كلمة غير واضحة] شتى وروايات مختلفة"³.

■ **الأرجوزة:** ومن هذه الأرجوزات نجد:

- **الهدية المقبولة في حل الطب المشمولة،** أو منظومة في الطب الدرعي لصاحبه أحمد بن صالح بن إبراهيم، وينطلق في أرجوزته بقوله:

حمدا لله بيده الشفاء	بعد البلاء كيف يشاء
فهو الحكيم العليم اللطيف	بيده القضاء والتصريف ⁴
[...]	
وإن ظهر بالرأس صداع	[...]
والورد نافع له ضمادا	من بعد سحتك له اعتمادا
أو ماؤه كذلك ماء الكبرية	اعنى بها الخضر كذا مقدره ⁵

- **أرجوزة في الأغذية والأشربة لأحمد بن حسن بن علي بن قنفذ**

الحمد لله القادر المنير الأحد	الفرد القديم الفاطر
البارئ المصور الغفار	الملك المهيمن القهار
أحمدته على توالى النعم	حمدا كثيرا دافعا للنقم
[...]	
القول فى طابع الجبوب	بحسب الشهرة والتجريب
ولفضل الجبوب فى المشاكل	البر عند سائر الأفاضل
[...]	
والبرد فى الشخير للأجسام	وخبره يعسر فى انهضام
ويحدثالوجع فى المفاصل	...
والحب حب الروز فاضل غذا	ونافع [...]]
والحمص فى مزاجه حرارة	يضر للحمى مع المرارة
لكنه يزيد فى الحليب ⁶	[...]

3 محمد بن يوسف بن محمد بن يداس، كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة و شرحها لعبد اللطيف البغدادي، مخطوط، مكتبة آل سعود، الدار البيضاء، عدد 169/2 ، ورقة 1، وجه.

4 الدرعي، أحمد بن صالح بن إبراهيم، الهدية المقبولة في حل الطب مشمولة، أو ، منظومة في الطب، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم، ورقة 1، وجه.

5 نفسه، ورقة 2، ظهر.

6 ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي، أرجوزة في الأغذية والأشربة، مخطوط، مكتبة آل سعود، 179 / 1، ورقة 1، وجه.

- أرجوزة في الأغذية لمحمد بن عبد الله بن الخطيب

رتب أرجوزته بالأحرف

الحمد لله الذى ما من إذا [...] والاحتياج لغذا
الفرد الصمد الذى يطعم وعامة العالم منه النعم
[...] وبعد فالغذاء للعلاج
والآلة العظمى لحفظ الصحة وأصل كبير واضح المنهاج
ودفع ضرر العلل^٧

حرف الالف

كل أرز طبعه الحرارة وضاعف اليبس لها مقداره
غذاؤه غير حميد الجوهر بنسبه [...] للمختبر
وخبزه عسير الانهضام يضر من أجسام^٨

- أرجوزة: حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج

نحمدك اللهم ذا آلاء منزل الدواء للأدواء
وفاتق السماء بالأمطار والأرض بالنبات ذى الأوطان
يسقى بماء واحد واختلفا ...

وبعد فاعلم أن علم الطب علم شريف للخير ؟
لأنه منتعش الأبدان للعون فى عبادة الديان
فصغت فيه دررا يتيمه لم يحوها طالبها بقيمة
أدوية وجودها معروف يدرکہا الشريف والمشروف^٩

سميته بحافظ المزاج وبالإله ذى الجلال أهتدى
ولا لفظ الأمشاج بالعلاج

وبالالب الأول فى وجع الرأس من حر ومن برد
إن وجع الرأس يدا من وهج موقفا فبهدها نهتدى
وادهن بماء رجلة وخل [؟] يُسعطُ بالدهن من البنفسج
أو بلبان أعنى اليسرى ودهن ورد زعفران مستديم
أو دق واحمل رجلة وإن تُلن مع زيت أو سمن بملح يبرأ
بدهن ورد [...] ^{١٠}

7 ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد، أرجوزة في الأغذية، مخطوط، مكتبة آل سعود، 179 / 3 ، ورقة 1 وجه.

8 نفسه، 179 / 3 ، ورقة 1 ظهر.

9 أحمد بن محمد بن عيسى الغول الفشتالي، حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج، مخطوط، مكتبة آل سعود، 086 / 1 ، ورقة 1 ، وجه.

10 أحمد بن محمد بن عيسى الغول الفشتالي، حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج، مخطوط، مكتبة آل سعود، 086 / 1 ، ورقة 1 ، ظهر.

■ مخطوطات تنطلق من تشخيص الأمراض، منها: مخطوط "القول في أحكام الطب والعلاج الصحيح وما قالت الحكماء و الأطباء مما رواه جليانوس وأبقراط ورسطاليس وغيرهم".

وفي هذا الإطار يذكر:

"وإن كان لون البول أبيضاً صافياً وليس بصاحبه حمة فاعلم أنه رجل فسد مزاجه وطعن في السن، فستل عنه إن كان بلغ من السنين ستين سنة، وإن كان صغيراً فقد بردت معدته [...] وإن كان كبيراً فقد استخرجت عروق [كلمة غير مقروءة] ومتانته / وإن كان شاب فهو في مرض شديد، وإن كانت امرأة فإن بها وجع الأرحام"¹¹.

أ. مخطوطات تعرض للداء ثم الدواء: ومنها:

مخطوط: ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، لصاحبه عبد الله بن عزوز بلة المراكشي

"والقمل علاجه يأخذ الزوان ورماد البلوط أو رماد الطرقي وزيت العود ونخلطهم جميعاً حتى يمتزجوا مع بعض بعضاً حتى لا يظهر من الأوراق شيئاً ويهن به صاحب القمل"¹²

مخطوط: المنافع البيئة وما ينفع في الأزمنة، لمؤلفه محمد بن علي بن باديس الصنهاجي

"الحمد لله الذي أثر الإنسان بالحكم والبيان، وخصه بالعقل والتفضيل [...] وعلمه ما ينفعه ويضره كل زمان [...]"¹³

"في علاج الصداغ المفرط، فإن كان من حرارة [...] فيدهن الرأس بدهن ورد وزعفران وخل [كلمة غير مقروءة] وماء [كلمة غير مقروءة]، ويدهن به مقدم الرأس ويسعط بدهن بنفسج [...] وإن كان الصداغ من البرد أن في فصل البرد فيدهن الرأس بدهن [...] البابونج أو يبخر بحبة الحلاوة"¹⁴.

مخطوط: مختصر طب الشوشاوي الجرجاني¹⁵، مؤلفه الرسومي، أحمد بن سليمان بن يعزى.

"الحمد لله يلجأ إليه المضطرون بالدعاء فيجيب بفضل دعاء من يشاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، أهل الوفاء، وبعد، فعلاج الجذام والبرص أعاذنا الله منهما أن يؤخذ زبل الحمام ودقيق الشعير والقطران ويطبخ في الماء على نار حتى ينعقد فيطلى بها ما ذكر"¹⁶.

مخطوط: القول في فوائد خواص الحيوانات والجمادات والمعادن ونحوها، مؤلف مجهول¹⁷.

"القول في فوائد خواص الحيوانات والجمادات والمعادن ونحوها إن شاء الله، علاج لقلع بياض العين، يؤخذ بحول الله تعالى وقوته وتوفيقة مقدار رطل من بول الصبيان الذي لم يأكل الطعام ولم يزالا يقتاتون بحليب أمهاتهم، ويجعل ذلك في إناء جديد من [...] ويحمى على نار لطيفة حتى ينعقد [...] بالطبخ، ويؤخذ منه قليلاً فيمزج بمثله زعفران، ويكتحل به العليل سبع ليال عند النوم،

11 عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز، ابن عزوز، المراكشي، المالكي، أبو محمد، ابن عزوز، القول في أحكام الطب والعلاج الصحيح وما قالت الحكماء و الأطباء مما رواه جليانوس وأبقراط ورسطاليس وغيرهم، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 168 / 2، ورقة 2 وجه.

12 عبد الله بن عزوز بلة المراكشي، ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 720 MANUS، ورقة 1، وجه.

13 محمد بن علي بن باديس الصنهاجي، المنافع البيئة وما ينفع في الأزمنة، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 179 / 4، ورقة 1 وجه.

14 نفسه، ورقة 6 ظهر.

15 الرسومي أحمد بن سليمان بن يعزى، مختصر طب الشوشاوي الجرجاني، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 393 / 1.

16 نفسه، ورقة 1، وجه.

17 مجهول، القول في فوائد خواص الحيوانات والجمادات والمعادن ونحوها، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 393 / .

مغرب فالله تعالى هو الشافي"18.

مخطوط: كتاب سيدي علي بن أحمد الرسومي في الطب، مؤلفه: علي بن أحمد بن محمد الرسومي.

"الحمد لله [؟] من كتاب سيدي علي بن أحمد الرسومي بخط يده الكرمية، نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله آمين، ومما يصلح لصاحب الإسهال أكل الخروب ونوى التمر المغلى [؟] والأرز والسفرجل المشوي منه أنفع من المطبوخ في الماء، ومما يصلح للمحروق أن يأخذ [شقوق] العود الي تكون في داخل شجر الخروب المجوفة، تسحق وتخلط مع بياض البيض، وتوضع على موضع الحرق يراً بإذن الله تعالى"

مخطوط: مجموع المنافع في علم الطب النافع، مؤلفه مجموع المنافع في علم الطب النافع.

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، قيل هذه الأدوية للفقهاء العلامة المبارك السيد محمد بن علي البعقلي رحمه الله، الحمد لله تعالى حد حده، وصلى الله على سيدنا محمد لا يدرك حدا لمجده [...] أما بعد فهذه أدوية [؟] جمعتها بعون الله في هذه [؟] ونقت بعضها عن الناس بعد تجربتها بقولهم [...]"

مما جرب للعلاقة ونفع بإذن الله ملح وشب يسحق جيداً ويخلطان بماء رمان الحامض وما [؟] فيشرب ذلك صاحب العلة، فتقع في بطنه ميتة بإذن الله"19.

ب. مخطوطات تعرض تشريحا لجسم الإنسان

مخطوط القانون في الطب، لابن سينا20
الذي تضمن تشريحا لأعضاء الجسم البشري.

ت. مخطوطات تعرض للطب الوقائي:

ابن خلدون محمد بن يوسف، كتاب الأغذية وحفظ الصحة.

"حفظ الشعر: الشعر الذي يجب حفظ صحته في ثلاثة مواضع شعر الرأس واللحية وشعر الحاجبين وشعر الشفار والعينين، فأما شعر الرأس واللحية فتحفظ صحته بأن يمشط [؟] يمشط كثيف الأضراس ويغسل [؟] المعينة"21

"حفظ صحة الفم والشففتين والأسنان ينبغي أن يتعاهد التضمض بالماء الحار كي لا يكتسب الفم رائحة كريهة، ومما يطيب النكهة أن يتمضمض في كل يوم أسبوعا بشارب سكتنجير قد خلط فيه شيء من الملح المسحوق"22.

هذا الاختلاف والتنوع الموضوعاتي والمنهجي يحيل مباشرة إلى وجود تيارات طبية وصيدلية تفاعلت مع بعضها البعض، وكانت هناك علاقات تأثير وتأثر بين المغرب والمشرق والأندلس.

2. استحضار البعد الديني:

ويتمظهر ذلك في أن كل المخطوطات وبدون استثناء تستحضر هذا البعد في كتاباتها، ويتضح ذلك من خلال:

18 نفسه، ورقة 1، وجه.

19 البعقلي، محمد بن علي، مجموع المنافع في علم الطب النافع، مخطوط، مكتبة آل سعود، 735 / 3، ورقة 1، وجه وظهر.

20 ابن سينا، القانون في الطب، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم Manus 206.

21 ابن خلدون محمد بن يوسف، كتاب الأغذية وحفظ الصحة، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم 108 / 1، ورقة 5 وجه.

22 نفسه، ورقة 6 وجه.

- استحضار البسملة والصلاة على النبي (ص) في بداية جل المخطوطات، فمأذج: مخطوط: كتاب الأغذية وحفظ الصحة.
- مخطوط: أرجوزة في الأغذية والأشربة.
- مخطوط: أرجوزة في الأغذية..

- أو من خلال ربط الشفاء بقدرة الله،
- ربط أهمية الطب بالقدرة على العبادة:

"وبعد فاعلم أن علم الطب علم شريف للخير ؟
لأنه منعمش للأبدان للعون في عبادة الديان"^{٢٣}

- التأكيد على ضعف المؤلف أمام قدرة الله تعالى: فمؤذج "يقول العبد الضعيف الراجي غفران مولاه ..."²⁴
- أو من خلال الاقتداء بالطب النبوي، وخاصة منه مخطوط: "كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة و شرحها لعبد اللطيف البغدادي".

3. اعتماد الطب على مجموعة من الأسس:

- الاعتماد على التشخيص الدقيق: وفي هذا الصدد نسوق نصا أبي بكر الرازي، مخاطبا طلابه، في "ابدا بدراسة حالات المريض وتأثير المرض عليه، وهل أنه يستطيع السير منفردا أم مستندا، وعلى أية جهة يستند، ووضع يديه أثناء السير، وهل هما على أعلى البطن أم أسفلها، أم على الرأس أم على الصدر، وتكلم معه لمعرفة هل هو مالك لقواه العقلية، أم في حالة خمول، وهل حاله تنذر بالخطر أم لا"²⁵.

- الاعتماد على التجربة: وتدل على ذلك مجموعة من العبارات التي أوردها أصحاب المخطوطات المدروسة، فمؤذج: "ونقلت بعضها من كتاب الطب عن الناس بعد تجربها بقولهم وبعضها تجربتها وشاهدت صحته"²⁶

- "الاعتماد على قاعدة تجريبية قوامه بعض مفاهيم الفلسفة الطبيعية الوسيطية، ومنها التماثل بين مكونات نظرية الأخلط ومقوماتها الطبيعية المناظرة لها"²⁷.

- وفي هذا الصدد يوصي الطبيب المجوسي طلبته "ينبغي لمن أراد أن يكون طبيا فاضلا أن يتخلق بالأخلاق الحسنة والفاضلة، وأن لا يتهاون فيها، وينبغي لطالب هذه الصنعة أن يكون ملازما للبيمارستانات" فملازمة المرضى تساعد على اكتساب هذه الصنعة.

- الانطلاق من علم الأطباء القدامى، وهنا يمكن القول أن جل هذه المخطوطات اعتمدت على "مدرستين طبييتين":
• المدرسة الإغريقية: ومن أهم الأطباء الإغريق الذين ورد ذكرهم في هذه المخطوطات: أبقراتوس- 28- جالينوس- 29- أفلاطون³⁰

- 23 الفشتالي: حافظ المزاج، م.س، و1 ظهر.
- 24 عبد الله بن أحمد بن محمد بن بوشتي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخصاصي، عنوان الشفا مع صدق الطب والوفا، مخطوط، مكتبة آل سعود، رقم Manus 826 ، ورقة 1 وجه.
- 25 أبي بكر الرازي، سر صناعة الطب، تحقيق خالد حري، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، د.ت، ص15.
- 26 مجموع المنافع في علم الطب النافع، م.س، و1 وجه.
- 27 سعيد بنحمادة، م.س، ص198.
- 28 الرازي، سر صناعة الطب، م.س.
- 29 مخطوط المنافع البيئة وما ينتفع في الأزمنة، م.س، و2 وجه.
- 30 نفسه.

- المدرسة العربية: ومن الأطباء العرب الذين أشير إليهم نجد: الطبيب المجوسي صاحب كتاب (كامل الصناعة الطبية) 31، حنين بن إسحاق 32 - علي الطبري 33- الرازي 34- المنصورى 35- ابن النفيس 36.

4. التأكيد على أهمية الطبيب

"سألتني أيها الأخ الحبيب أن أضع لك كتابا في الطب يغنيك عن طبيب، فأقول أن علم الطب وضع لغايتين، لحفظ صحة بدن الإنسان ولزوال أمراضه، فأما الغاية الأولى أدامها الله لك فيمكنني أن أغنيك فيها عن الطبيب بما أثبتته لك في هذا الكتاب، وأما الغاية الثانية عافاك الله منها فمعالجة الأمراض لا غنى فيها عن الطبيب" 37

5. تنوع الأدوية حسب أصولها

وكأمثلة لذلك سنأخذ مخطوط "كتاب المنافع البيئة وما يصلح في الأربعة أزمئة، لمحمد بن علي بن باديس الصنهاجي، ويرز هذا الجدول التنوع الذي اعتمد عليه فيما يخص أصول الأدوية 38:

نوع الدواء	نباتي	حيواني	غذائي	معدني
	131	37	54	8

6. الانطلاق من مبدأ الوقاية قبل العلاج، وهذا ما يبين من خلال مخطوط كتاب الأغذية وحفظ الصحة:

"علم الطب وضع لغايتين، لحفظ صحة بدن الإنسان ولزوال أمراضه، فأما الغاية الأولى أدامها الله لك فيمكنني أن أغنيك فيها عن الطبيب بما أثبتته لك في هذا الكتاب" 39.

ومن ذلك أيضا تقديم مجموعة من النصائح التي همت عدة تصرفات يمكن أن تسهم في حفظ صحة الإنسان ونسرد في هذا الصدد نصوصا من مخطوط سر صناعة الطب:

"ينبغي على الفرد أن يتحرك قبل الطعام، لأن ذلك يعمل على تنشيط خلايا الجسم ويوقظ الحرارة الغريزية فيه، فيتهيأ لاستقبال الطعام وهو متأرجح، فيكتسب بذلك خسبا وجلدا وشدة وينبغي أن يتحرك الحركات القوية العنيفة، لكن يبددها بغتة لأن في ذلك ضرر شديد على الأعصاب" 40.

أما بخصوص منافع النوم، فيذكر الرازي نفسه: "أن يريح النفس، ويسكن الأعضاء ويجدد الهضم ويخصب البدن، ويوقظ ويجدد الفكر الذي قد تلبد أما الإفراط فيه فإنه يرخي البدن ويعمل على ترهله، ويكثر فيه البلغم ولا سيما لدى أصحاب الأبدان السمينة. ويجب أن يتجنب الفرد السهر المفرط لأنه يهيج حرارة البدن ويجففه ويجعله عرضة للكثير من الأمراض" 41

- 31 ورد ذكره في مخطوط كتاب في الطب، م، س، و 1 ظهر.
- 32 مخطوط المنافع البيئة وما ينفع في الأزمئة، م، س، و 1، وجه.
- 33 نفسه.
- 34 نفسه.
- 35 نفسه.
- 36 نفسه.
- 37 كتاب الأغذية وحفظ الصحة، م، س، ورقة 1
- 38 شخوم سعدي، كتاب المنافع البيئة وما يصلح في الأربعة أزمئة لمحمد بن علي بن باديس الصنهاجي: صورة للنشاط الطبي بالمغرب الإسلامي، مجلة عصور الجديدة، العدد 18، غشت 2015، ص 109.
- 39 كتاب الأغذية وحفظ الصحة، م، س، ورقة 1
- 40 الرازي، سر صناعة الطب، تحقيق خالد حري، م، س، ص 51.
- 41 نفسه، ص 52.

7. اعتباراً لأهمية الطب فقد أدرج ضمن الصنعة والفن و العلم

8. تعداد وتصنيف طبيعة الأمراض من جهة والأوبئة من جهة ثانية

9. التركيز على المعرفة بالنباتات

10. إدراج اللغة البربرية /الأمازيغية في بعض المخطوطات خاصة ما يرتبط بأسماء الأمراض أو الأعشاب.

خلاصة القول إن المخطوطات العربية التي تتوفر عليها مكتبة آل سعود تعد من الوثائق الهامة التي يمكن أن تسهم في فهم الخصائص الطبية العربية، بل وحتى "الأمازيغية" - رغم قلة المعطيات المقدمة عنها- إن من شأن الانغماس في تحقيق المخطوطات غير المحققة أن يعرف أكثر بهذا التراث الإنساني من جهة، ويساعدنا كمسلمين في ضبط موقعنا ضمن تطور الحضارة الإنسانية.

المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها

المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها



تحقيق للفصول المتعلقة بجراحة الفم و الفكين من مخطوط "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهرائي - دراسة علمية و تطبيقية

الدكتور سعد الصقلي الحسيني

طبيب أسنان - فاس

باحث و مساهم في عدة ورشات و ندوات دولية وطنية ، حول الإعجاز
العلمي و قضايا السيرة النبوية ، كرسي الإعجاز العلمي كلية الآداب
والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله

مقدمة

يعتبر المخطوط الطبي مرجعا واثقا لمعرفة المستوى الفكري و الحضاري و العمراني للأمم و مقياسا لدرجة التفاعل الحضاري بينها ، كما أنه يبقى البرهان الساطع للريادة و الابتكار ، جاء اختيار تخصص طب الفم و الفكين لغياب المصادر التاريخية العربية الجامعة في كليتنا الطبية ، أو عدم إعطائها الأهمية اللازمة لإبراز ما تتركه به المخطوطات الطبية العربية من ذخائر علمية و تاريخية نفيسة.

يعد أبو القاسم الزهرائي (325هـ/ 936م / 403 هـ/ 1013م) أكبر جراح العرب، ومن أشهر من ألف في الجراحة، وأهم كتبه "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي عرف شهرة واسعة جداً وهو مؤلف من ثلاثين كتاباً في أمراض الجسم ، ولكن كتاب الثلاثين هو الأهم لأنه مكرس بكامله للجراحة أو كما سماها العرب صناعة اليد ، وهو يضيف تقنيات خاصة وفيه رسوم أدوات جراحية جديدة، وكان الكتاب الأول من نوعه في تاريخ الطب مكرس للجراحة مع رسوم دقيقة حيث يتراوح عدد هذه الرسوم 200 بشكل منهجي مع شرح الاستعمال. يقول ابن حزم الأندلسي في الرسائل عن هذه الموسوعة: "وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهرائي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لتصدق".

وكان هذا الكتاب دليل جراحي أوريا في عصر النهضة وكتاب التدريس في الجامعات المختلفة حتى مطلع القرن السابع عشر وقد أسماه الغربيون تحريفاً Abulcasis، ويعتبر الزهرائي بحق أبو الجراحة في العالم لأنه قدّم نظريات جديدة وطرقاً مبتكرة لأداء العمليات الجراحية اعتمدت عليها أوروبا اللاتينية في بناء حضارتها الطبية والعلمية.

الفصل الأول تحقيق كلي للفصول المتعلقة بطب و جراحة الفم و الفكين لمخطوط التصريف لمن عجز عن التأليف ، نسخة الخزنة الوطنية الرباط.

المبحث الأول ، أبو القاسم الزهرائي ، و فضل كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف

هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهرائي الأندلسي ويكنى كذلك بالأنصاري، ولد سنة 325هـ/ 936م، بالزهراء بالقرب من قرطبة

بالأندلس، حيث عاش وتعلم ومارس الطب، وقرطبة كانت مدينة مزدهرة جداً يقطنها قرابة مليون نسمة وبها خمسين مستشفى وسبعين مكتبة بما فيها مكتبة الخليفة التي تحتوي على أكثر من عشرين ألف كتاب وكانت مدرسة قرطبة شهيرة جداً تنافس مدرسة طليطلة وإشبيلية. وكان أبو قاسم طبيب الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر.

سمي بالزهراوي لأنه ولد بالزهراء بالأندلس، و بالأندلسي لأن أجداده من أنصار المدينة، و يكنى بأب الجراحة لأنه كان جراحاً ماهراً و أعظم جراحي العرب و أستاذ الجراحين في أوروبا، ومن أشهر من ألف في الجراحة عند العرب.

وتدل القرائن على أن الزهراوي بدأ يزاول مهنته في أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (300-350هـ/ 912-961م) وأنه أدرك عصر الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961-976م). و يقول عنه الباحث الخطابي (ومن الواضح أنه لم يزل ما يستحقه من اهتمام مؤرخي العلوم ومؤلفي كتب التراجم الأندلسيين وبذلك بقيت سيرته المهنية والعلمية خافية علينا بحيث إننا نجهل شيوخته وأماكن استقراره وتنقلاته ومكان وفاته) (15) وقد لخص لوسيان لوكيريك مكانة الزهراوي في تطور الطب العالمي بقوله ((يعد أبو القاسم، في تاريخ الطب، أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب وهو أيضاً أكثر المراجع ذكراً عند الجراحين في العصر الوسيط)) ثم قال: ((وقد احتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجالينوس فأصبح من أركان التراث العلمي)) (19) وأهم كتبه "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي عرف شهرة واسعة جداً وهو مؤلف من ثلاثين كتاباً في أمراض الجسم من الرأس إلى القدم، ولكن كتاب الثلاثين هو الأهم لأنه مكرس بكامله للجراحة أو كما سماها العرب صناعة اليد (وهي ترجمة حرفية للفظه Chirurgie الإغريقية الأصل) وهو يضيف تقنيات خاصة وفيه رسوم أدوات جراحية جديدة، ترجم إلى العربية وإلى اللاتينية عام 1519م وعام 1520م، وأعيدت ترجمته إلى العربية واللاتينية وقد طبع عام 1571م وفي البندقية وكان الكتاب الأول من نوعه في تاريخ الطب مكرس للجراحة مع رسوم دقيقة حيث يتراوح عدد هذه الرسوم 200 بشكل منهجي مع شرح الاستعمال. و يكتب عنه الأستاذ المحقق محمد زين العابدين الحسيني في كتابه جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب (فهو يعد أشهر جراح مسلم في العصور الوسطى حيث ضمنت كتبه ما توصلت إليه الحضارة الإسلامية و الحضارة الإغريقية و الحضارة الرومانية) (17).

تعتبر المقالة الثلاثون والأخيرة: في كتاب التصريف الأشهر من أجزائه وهي القسم العملي الجراحي والوصفي التشريحي للكتاب. وشعوراً بأهمية الموضوع فالزهراوي يعلل الأهداف والأسباب التي حملته على تأليف المقالة قائلاً: (لما أكملت لكم يا بني هذا الكتاب بعد المشقة رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد لأن العمل باليد محسنة في بلدنا وفي زماننا معدوم البتة، حتى كاد أن يدرس علمه وينقطع أثره، وإنما بقي منه رسوم يسيرة في كتب الأوائل الإغريق، فرأيت أن أحياه). (18)

كان كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف مصدراً لكل الكتب الأوروبية أمثال كتب: روجيه باليرمي، والجراح الغربي الشهير في دوشوليك الذي ذكره أكثر من مائتي مرة في كتابه "الجراحة الكبرى" وكان هذا الكتاب دليل جراحي أوروبا في عصر النهضة وكتاب التدريس في الجامعات المختلفة حتى مطلع القرن السابع عشر وقد أسماه الغريون Abulcasis. ويعتبر الزهراوي بحق أبو الجراحة في العالم لأنه قدّم نظريات جديدة وطرقاً مبتكرة لأداء العمليات الجراحية اعتمدت عليها أوروبا اللاتينية في بناء حضارتها الطبية والعلمية. وقد أشار الزهراوي إلى أهمية الكي وقد توسع في استعماله في فتح الخراجات واستئصال السرطان وفضله على استعمال المشروط مخالفاً بذلك تعاليم اليونان.

وقد أشار أبو القاسم في كتابه إلى أهمية درس التشريح عند درس الجراحة ومن يطالع كتابه لا يتمالك عن الاعتقاد بأنه قد شرّح الجثث هو نفسه لأن وصفه الدقيق لإجراء العمليات المختلفة لا يمكن أن يكون نتيجة النظريات فقط.

و يعتبر الزهراوي أحد كبار الأطباء الثلاثة النطاسيين العرب و هم الزهراوي، ابن سينا و الرازي، لكن الزهراوي يتميز عنهما بأنه أول من نبغ و ابتكر و ألف في الجراحة العامة بشتى تخصصاتها .

والحقيقة أن الزهراوي لم يقتصر على الجراحة كما يظن الكثيرون بل كان أيضاً عالماً متمعقاً في الصيدلة، وكتابه التصريف لا يحتوي إلا على مقالتين مخصصتين للجراحة أما باقي المقالات فخاصة بالأدوية، ولقد ألف في الأدوية كتاباً خاصاً اسمه "مقالة في أعمار العقاقير المفردة والمركبة".

يقول الزهراوي معللا قصده في تسمية كتابه التصريف : [وسميته بكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وإنما سميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف]. مراجع الزهراوي في كتاب التصريف: يتبين من قراءة مقالات كتاب التصريف أن الزهراوي قد رجع إلى عدد من المؤلفات اليونانية والعربية في الطب والأغذية والأدوية وتدبير الصحة... اما المقالة الثلاثون في العمل باليد فإن الزهراوي لم يذكر فيها اسم أي مرجع، بل اعتمد في جل فصولها على خبرته ومعاناته الفعلية للجراحة والجبر. (15)

وأخيراً ننقل قول الجراح الفرنسي أميل فورج عن كتاب التصريف: (كان له الفضل الأول في تلخيص جميع المعارف الجراحية في عصره وسيبقى التصريف صورة التعبير الأول في الجراحة)

توفي أبو القاسم الزهراوي سنة 403 هـ/1013م.

المبحث الثاني ، تحقيق للفصول المتعلقة بطب الفم و الفكين بكتاب التصريف .

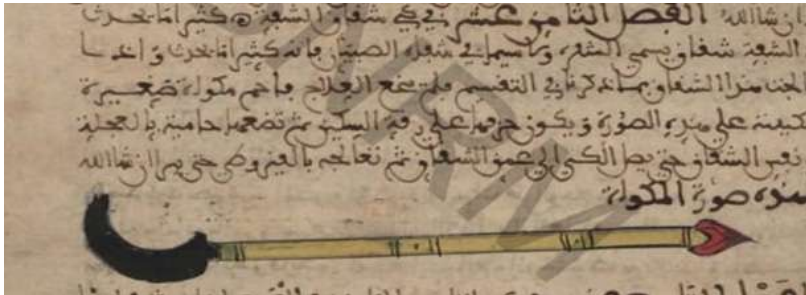
لقد اطلعت على نسخة من مخطوط "التصريف لمن عجز عن التأليف" بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 134 و هو عبارة على ستة أجزاء ،مؤرخة صبيحة عاشر محرم عام سبعة و ثلاثمائة و ألف على يد الناسخ عبد القادر بن محمد بن إدريس الشهير بابن المقدم العمروي البويحيواوي بغير تطوان عددها 391 بخط مغربي ، و كما جاء في نهاية المخطوط فإن هذه النسخة كانت بإذن الملك الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام (الذي حكم سنة 1290هـ- 1312 هـ) ، و نسخة أخرى ممرکز الوثائق بالرباط تحت رقم 21 ج ومنها استقيت المقالات التي تهتم جراحة الفم والأسنان وكذلك الرسوم المطابقة.

الفصول التي تناولت جراحة الفم والأسنان في كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"(5)

توجد هذه الفصول في مخطوط التصريف في الصفحات التالية: 154، 155، 222، 223، 224، 225، 239، 240، 241، 291.

• الفصل الثامن عشر في كَيْ شقاق الشفة:

كثيرا ما يحدث في الشفة شقاق يسمى الشعر ولاسيما في شفاه الصبيان وإذا عالجت هذه الشقاق هما ذكرنا في التقسيم ولم ينفع العلاج، فاحم مكواة صغيرة على هذه الصورة ويكون حرفها على رقة السكين ثم تضعها حامية بالعجلة في نفس الشقاق حتى يصل الي كي عمق الشقاق وثم تعالجه بالقروطي حتى يبرأ وهذه صورة المكواة.



• الفصل التاسع عشر في كي الناصور الحادث في الفم

إذا حدث في أصل الأضراس أو في أصل اللثة ورم ثم فاح وانفجر منه القيح ثم عالجته ولم ينفع فيه علاج، فينبغي أن تحمي مكواة على قدر ما يسع في الناصور. ثم تدخلها حامية في ثقب الناصور وتمسك يدك حتى تصل الحديدية محمية إلى غوره وأخره،

وتفعل ذلك مرة أو مرتين ثم تعالجه بعد ذلك بما ذكرنا من العلاج إلى أن يبرأ إنشاء الله، فإن انقطعت المدة وبرئ، وإلا فلا بد من الكشف على المكان وشرع العظم الفاسد على حسب ما سيأتي في بابه.

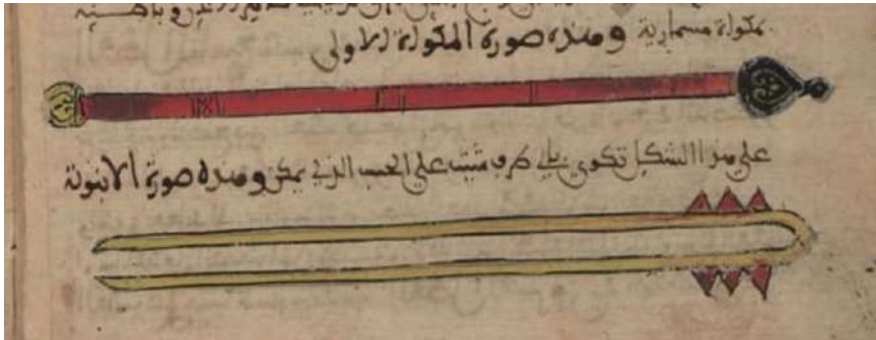
• الفصل العشرون في كي الأضراس والثلاث المسترخية

إذا استرخت اللثات من قبل الرطوبة وتحركت الأضراس وعالجتها بالأدوية ولم ينفع علاج. فضع رأس العليل في حجر ثم احم المكواة التي تأتي صورتها بعد، وتضع الأنبوبة على الضرس وتدخل فيها المكواة حامية بالعجلة، وتمسك يدك قليلاً حتى يحس العليل بحرارة النار قد وصلت إلى أصل الضرس، ثم ترفع يدك ثم تعيد المكواة مرات على حسب ما تريد، ثم تملأ العليل فاه من ماء الملح ويمسك ساعة ويقذف به. وإن الضرس المتحرك يثبت واللثة المسترخية تشدد وتجف الرطوبة.

• الفصل الحادي والعشرون في كي وجع الضرس

إذا كان وجع الضرس من قبل البرد أو كان فيها دود ولم ينفع فيها العلاج بالأدوية، فالكي فيها على وجهين: إما الكي بالسمن وإما الكي بالنار، وأما الكي بالسمن فهو أن تأخذ السمن البقري فتغليه في مغرفة حديد أو في صدفة، ثم تأخذ قطنة فتلفها على طرف المبرود، ثم تغمسها في السمن المغلي، وتضعها على السن الوجعة، وتمسكها حتى تبرد ثم تعيدها مرات حتى تصل قوة النار إلى أصل الضرس. وإن شئت أن تغمس صوفة أو قطنة في السمن البارد، وتضعها على السن الوجعة، وتجعل فوقها الحديدية المحمية إلى النار إلى قعر السمن.

وأما كيها بالنار، فهو أن تعتمد إلى أنبوبة نحاس أو أنبوبة حديد ويكون في جرمها بعض الغلط، ليلا يصل حر النار إلى يد العليل ثم احم المكواة، التي سأتي صورتها، على نفس السن وتمسك يدك حتى تبرد المكواة. تفعل ذلك مرات فإن الوجع يذهب إما ذلك النهار بعينه وإما يوماً آخر. وينبغي في إثر ذلك الكي أن يملأ العليل فمه بالسمن الطيب ويمسكه ساعة ثم يقذف به. وقد يكوى لوجع السن العرق الذي في ظاهر الأذن وباطنه بمكواة مسمارية.



صورة المكواة ، و صورة الأنبوبة

• فصل في إخراج العقد التي تعرض في الشفتين

قد يعرض لكثير من الناس في داخل شفاههم أورام صغار صلبة يشبه بعضها حب الكرسنة وبعضها أصغر وأكبر. فينبغي أن تقلب الشفة وتشق على كل عقدة وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم ثم يتمضمض بالخل وتعالج الموضع بما فيه حتى تبرأ الجراح.

• الفصل الثامن والعشرون في قطع اللحم الزائدة في اللثة

كثيرا ما ينبت على اللثة لحم زائد تسميه الأوائل أبو لؤس، فينبغي أن تغلقه بصنارة أو تمسكه بمنقاش وتقطعه عند أصله وتترك الدم يسيل، ثم تضع على الموضع زاجا مسحوقا أو أحد الذرورات القابضة المجففة، فإن عاد ذلك اللحم بعد العلاج وكثيرا ما يعود فاقطعه ثانية واكوه فإنه لا يعود بعد الكي، إن شاء الله.

• الفصل التاسع والعشرون في جرد الأسنان 1 بالحديد

قد يجتمع في سطوح الأسنان من داخل ومن خارج وبين اللثات قشور خشنة بيضة وقد تسود وتصفّر وتخضر حتى يصل جر ذلك فساد إلى اللثة تقبح الأسنان لذلك.

فينبغي أن تجلس العليل بين يديك ورأسه في حجرك وتجرد الضرس والسن التي فيها القشور والشيء الشبيه بالرمال حتى لا يبقى منه شيء، وكذلك تفعل بالسواد والخضرة والصفرة حتى تنقى فإن ذهب ما فيها من أول الجرد وإلا فتعيد عليه الجرد يوما آخر وثالثا ورابعا حتى تبلغ الغاية فيما تريد إن شاء الله.

واعلم أن الضرس يحتاج إلى مجارد مختلفة الصور كثيرة الأشكال على حسب ما يتهيأ لعملك، والمجرد الذي يجرد به الضرس من داخل غير المجرد الذي يجرد من خارج والذي تجرد به بين الأضراس على صورة أخرى وهذه صورة عدة مجارد تكون عندهم :



• الفصل الثلاثون في قلع الأسنان

ينبغي أن يعالج الضرس من وجعه بكل حيلة وتربت عن قلعه فليس منه خلف إذا قلع، لأنه جوهر شريف، حتى إذا لم يكن من قلعه بُد فينبغي إذا عزم العليل عن قلعه أن تثبت حتى تصح عندك الضرس الوجع، فكثيرا ما يخدع العليل الوجع ويظن أنه في الضرس الصحيح فيقلعها ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريضة. فقد رأينا من فعل ذلك من الحجامين مرارا. فإذا صح

1 : جرد الأسنان: Détartrage.

عندك الضرس الوجع نفسه فحينئذ ينبغي أن تشرط حول السن يهبط فيه بعض قوة حتى تحل اللثة من كل جهة، ثم تحركه بأصبعك أو بالكلايب اللطاف أولاً قليلاً قليلاً حتى تزعه، ثم تمكّن حينئذ فيه الكلايب الكبار تمكيناً جيداً ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته لا يتحرك، ثم تجذب الضرس على استقامة لئلا تكسره. فإن لم يخرج فخذ أحد تلك الآلات فادخل تحته من كل جهة برفق وقم بتحريكه كما فعلت أولاً، فإن كان الضرس مثقوباً أو متأكلاً فينبغي أن تملا تلك الثقب بخرقه وتسدها سداً جيداً بطرف مروود رقيق لئلا يتشعب في حين شدك عليه بالكلايب، وينبغي أن تستقصي بالشرط حول اللثة من كل جهة نعمة وتحفظ جهدك لئلا تكسره فيبقى بعضه فيعود على العليل منه بلية هي أعظم من وجعه الأول. وإياك أن تصنع ما يصنع جهال الصجامين في إقدامهم على قلعه من غير أن يستعملوا ما ذكرنا، فكثيراً ما يحدثون على الناس بلایا هي أعظم أيسرها أن ينكسر الضرس وتبقى أصولها كلها أو بعضها. وإما أن تقلعه ببعض عظام الفك كما شاهدنا مراراً. ثم يتمضمض العليل بعد قلعه شرباً أو بخل وملح فإن حدث نزيف دم من الموضع وكثيراً ما يحدث ذلك فاسحق حينئذ شيئاً من الزاج واحش به الموضع وإلا فاكو إن لم ينفعك الزاج.

وهذه صورة الكلايب اللطاف التي يحرك بها الضرس ولا تكون طويلة الأطراف قصيرة المقبض تكون كما ترى غليظة المقابض حتى إذا قبضت عليها لا تتنني ولا تعطي نفسها، قصيرة الأطراف ولتكن من حديد هندي أو بفولاذ، محكمة مشعبة الأطراف وفي طرفها أضراس تدخل بعضها في بعض لتقبض قبضاً وثيقاً محكماً وقد تصنع الأطراف على هيئة المبرد فتكون أيضاً قوية الضبط إن شاء الله.



• الفصل الواحد والثلاثون في قلع أصول الأضراس وإخراج أصول الفكوك المكسورة

إذا بقي عند أصل الأضراس ضرس قد انكسر فينبغي أن تضع على الموضع قطعة بالسمن يوماً وليلة حتى يسترخى الموضع ثم أدخل عليه الجفت أو الكلايب التي تشبه أطرافها فم الطائر الذي يسمى البلوجا -صورة- 1 تكون أطرافها قد صنعت بالمبرد من داخل فإن لم يخرج بهذه الكلايب فينبغي أن تحفر على الأصل وتكشف اللحم كله بالمبضع ثم تدخل الذي تشبه عتلة صغر على هذه الصورة: -صورة- 2

أو تستعن بآلة من نفس النوع قصيرة الطرف -صورة- 3

الصورة 1:



ولا تكون مشعبة لئلا تنكسر. فإن خرج الأصل بذلك وإلا فاستعن بهذه الآلات الأخرى التي هذه صفتها:

- الأولى فهي مثلثة الطرف فيها بعض الغلط - الصورة 4
- صورة مثلثة أخرى لطيفة - الصورة 5
- وقد تستعين أيضا بهذه الآلة ذات الشعبتين - الصورة 6
- وقد نستعين أيضا بهذه الآلة التي تشبه الصنارة الكبيرة - الصورة 7

وهي مثلثة الطرف المعوج، فيها بعض الغلط لئلا تنكسر وتكون غير مشعبة.

واعلم أن آلات الأضراس كثيرة وكذلك سائر الآلات لا تكاد أن تحصى، والصانع الحادق بصناعته قد يخترع لنفسه الآلات على حسب ما تدله الأمراض أنفسها.

الصور : 2-3-4-5-6-7



وإن انكسر عظم من الفك أو من أحد عظام الفم أن تعفن، فقس عليه في موضعه مما يصلح له من أحد هذه الآلات والكلايب التي وصفناها في إخراج الأصول وتستعين بآلة هذه صورتها.

يكون فيها بعض الغلط قليلا وتمسك بالعظم حتى يخرج. ويجبر الموضع بالأدوية الموافقة لذلك، وإن كان العظم فيه عفن يسير فاجرده من عفنه واسوداده حتى ينقى ثم عالجه حتى يبرأ إن شاء الله.

• الفصل الثاني والثلاثون في نشر الأضراس النابتة على غيرها

إذا نبتت الأضراس على غير مجراها الطبيعي قبحت بذلك الصورة ولا سيما إذا حدث ذلك في النساء والريقق، فينبغي أن تنظر أولا فإن كان الضرس قد نبت من خلف ضرس آخر ولم يتمكن نشره أو برده فاقطعه، وإن كان ملصقا بضرس آخر فاقطعه بهذه الآلة التي هذه صورتها وهي تشبه المنقار الصغير: الصورة أولتكن من حديد هندي حادة الطرف جداً ويكون قطعها في أيام كثيرة لصلابة

الضرس ولكي لا يتزعزع غيرها من الأضراس.

وإما إن كان الضرس متمكنا لبرده فابردة بهرد من هند تكون هذه صورته وتكون كلها من هند. الصورة ب



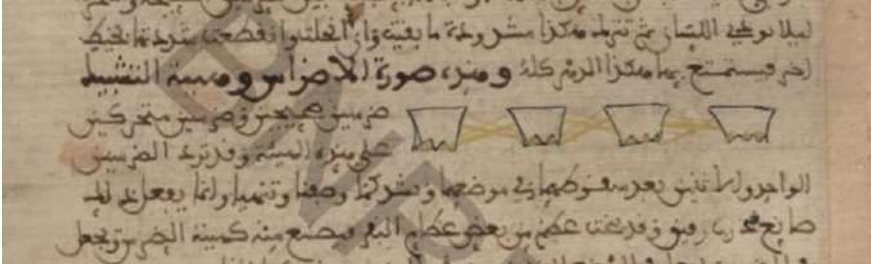
الصورة أ ، و الصورة ب

ويكون نصابه جد دقيق كالمبرد التي تصنع منه الإبر، برّد به الضرس قليلا قليلا في أيام كثيرة برفق حتى لا يتزعزع بالادوية وتجدره ببعض المجارد. وإن كان الضرس قد انكسر بعضه فكان يؤدي اللسان عند الكلام فبرده أيضا حتى تذهب خشونته ويملاس ولا يؤدي اللسان ولا يفسد الكلام.

• الفصل الثالث وثلاثون في تشبيك الأضراس المتحركة بخيوط الذهب والفضة

إذا عرض للأصول القدامية تززع وتتحرك عن ضربة أو سقطة ولا يستطيع العليل العض على شيء يؤكل. وإذا عاجتها بالأدوية القابضة ولم ينفع فيها علاج بالجملة، فالعمل فيها أن تشد بخيط من ذهب أو فضة، والذهب أفضل من الفضة لأن الفضة تنزجر وتعفن بعد أيام والذهب باق على حاله أبدا لا يعرض له ذلك، ويكون الخيط متوسطا في الرقة والغلط على قدر ما يسع بين الأضراس المتحركة، وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل أثنائه بين الضرسين الصحيحين ثم تنسج بطرفي الخيط بين الأضراس المتحركة واحدة كانت أو أكثر حتى تصل بالنسج إلى الضرس الصحيح من الجهة

الأخرى، ثم تعيد النسج إلى الجهة التي بدأت منها وتشد ذلك برفق وحكمة وأحكمه حتى لا يتحرك البتة. ويكون شد الخيط عند أصول الأضراس لئلا يفلت، ثم يقطع طرفي الخيط الفاضل بالمقص تجمعهما وتفتلهما بالجفت وتملأهما بين الضرسين الصحيحة والمتحركة لئلا يؤدي اللسان ثم تترك هكذا مشدودة ما بقيت. وإذا انحلت وانقطعت شدتها بخيط آخر فيستمتع بها هكذا الدهر كله وهذه صورة الأضراس وهيئة التشبيك:



ضرسين صحيحين وضرسين متحركين على هذه الهيئة، وقد تُردُّ الضرسين الواحد أو الاثنين بعد سقوطهما في موضعهما وتشد كما وصفنا وتنميا. وإنما يفعل ذلك صانع مدرب رقيق وقد ينحت عظم من بعض عظام البقر فيصنع منه كهيئة الضرس ويشد كما قلنا فيبقى ويستمتع بذلك إن شاء الله.

• الفصل الرابع والثلاثون في قطع الرباط الذي يعرض تحت اللسان فيمنع الكلام

قد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان إما طبيعيا يولد به الإنسان، وإما يكون عرضيا من خارج قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل ورأسه في حرك وترفع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط العصبي بالقرص حتى ينطلق اللسان من إمساكه. فإن كان فيه بعض الصلابة والتعقد وكان ذلك من اندمال أو جرح فألق الصنارة فيه وشقه شقاً بالعرض حتى ينتثر الرباط ويحل العقد. واحذر أن يكون الشق في عمق اللحم فتقطع هناك شريانا فيعرض النزيف.

ثم يتمضمض العليل في إثر القطع بماء الورد أو بالخل والماء البارد، ثم يضع تحت السان فتيلة كان يمسكها العليل في كل ليلة لئلا يلتحم ثانية. فإن حدث نزف دم فضع على المكان زاجا مسحوقاً. فإن غلبك الدم فاكو الموضع بمكواة عدسية تصلح لذلك ثم تعالجه بسائر العلاج حتى يبرأ إن شاء الله.

• فصل في إخراج الضفدع المتولد تحت اللسان

قد يحدث تحت اللسان ورم يشبه الضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعلها الطبيعي وربما عظم حتى يملأ الفم، والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس وتنتظر من الورم فإن رأيته كمد اللون وأسود صلبا ولم يجد له العليل حسا، فلا تعرض له فإنه سرطان، وإن كان مائلا إلى البياض فيه رطوبة فألق فيه الصنارة وشقه بمبضع لطيف من كل جهة، فإن غلبك الدم حين عملك فضع عليه زاجا مسحوقا حتى ينقطع الدم، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكامله، ثم يتمضمض بالخل والملح تعالجه بسائر العلاج الموافق لذلك حتى يبرأ إن شاء الله.

• فصل في علاج ورم اللوزتين وما ينبت في الحلق من سائر الأورام

إذا عالجتها بما ذكر في التقسيم فلم تبرا فأنظر إن كان الورم كمد اللون صلبا قليل الحس فلا تعرض له بالحديد، وإن كان أحمر اللون وأصله غليظ، فلا تعرض له بالحديد خوف نزف الدم بل اتركه حتى ينضج، فإذا أن تبطه وإما أن ينفجر من ذاته، وإن كان أبيض اللون وكان أصله رقيقا فهذا الذي ينبغي أن تقطع والعمل فيه إن كان قد سكن ورمه الحار سكونا تاما أو نقص بعض النقصان، فحينئذ فاجلس العليل بين يديك بعداء الشمس ورأسه في حرك، ويفتح فمه ويأخذ خادم بين يديك فيكيس لسانه إلى أسفل بآلة مجوفة هذه صورتها: الصورة ج

تصنع من فضة أو نحاس تكون رقيقة كالسكين فإذا كبست بها اللسان وشق لك الورم ووقعت عليه بصرک، فخذ صنارة وأغرزهها في اللوزة وتجديها إلى خارج ما أمكن من غير أن تجذب معها شيء من الصفاقات، ثم تقطعها بآلة.

وهذه صورة الآلة: الصورة د

تشبه المقص إلا أن طرفيها متقطعة وكل واحدة منها بحذا الأخرى حادثين جدا تصنع من الحديد الهندي أو الفولاذ.



الصورة ج , و الصورة د

• فصل في جبر اللحي الأسفل إذا انكسر

إذا انكسر اللحي الأسفل ولم يكن كسره مع جرح، نظرت فإن كان كسر من خارج فقط... ويجب أن يفرق بين وجود جرح مع الكسر أو عدم وجوده، وإن لم يكن ثمة جرح فينبغي إن كان الكسر في الشق الأيمن، أن تدخل الأصبع السبابة والوسطى من اليد اليسرى في فم العليل، وكذلك إن كان الكسر في اللحي اليسرى فتدخل السبابة من اليمنى وترفع به حذبة الكسر من داخل برفق إلى خارج، ويذك الأخرى من خارج العظم تحكم بها تسويته، فإن كان كسر الفك قد انقصف بإثنين فينبغي أن يستعمل اليد من الناحيتين على استقامة حتى يمكن تسويته، فإن كان قد حدث في الأسنان نزاع أو تفرق، فشد ما طمعت منها أن تبقى بخيط ذهب أو فضة أو إبريشم (حرير) حتى تضع على اللحي المكسور القيروطي، ثم تضع عليه خرقة مثناة، وتضع على الخرقة جبيرة كثيرة محكمة أو قطع جلد نعل مساو لطول اللحي، ثم تربط من فوق على حسب ما يتهيأ لك ربطه وتوافق ضمه حتى يبرأ، وتأمّر العليل بالمد والسكون وتجعل غذائه الأحساء اللينة، فإن ضمنت أنه قد تغير شيء فبادر بحله في اليوم الثالث ثم تصلح ما تغير منه بدقيق السميد بعد نزع القيروطي. ويوضع عليه الضماد. وكثيرا ما يشتد هذا الكسر في ثلاثة أسابيع، فإن عرض في خلال ذلك ورم حار فاستعمل ما ذكرنا في تسكينه حتى يذهب ذلك الورم.

وأما إن كان الكسر مع جرح، نظرت فإن كان هناك شظية أو شظايا عظام، فتلطف في انتزاع تلك الشظايا بما يتفق لك نزعها من الآلة، وإن كان فم الجرح ضيقا فوسعه بالمبضع على قدر حاجتك، ثم إذا انتزعت تلك الشظايا ولم يبق منها شيء، فخط فم الجرح إن كان واسعا وإلا فاضمد عليه أحد المداheim التي تصلح لذلك الجرح حتى يبرأ إن شاء الله.

الفصل الثاني دراسة علمية و تطبيقية لآلات و منهجية الزهراوي في العلاج و مقارنتها بالطب الحديث و بأدوات الجراحة الحالية .

المبحث الأول ، نبذة عن إبداع الأطباء العرب في طب الفم و الفكين

• طب الأسنان الوقائي

لقد أرسّت تعاليم الإسلام قواعد النظافة والاهتمام بالصحة، فكان النواة والنور الذي استنار به كل العلماء العرب والمسلمين. ولما كانت أول قواعده التي وضعت هي الطهارة والوضوء المدخل لما يلي من الأركان، فلهذا اعتنى الأجداد بالصحة العامة والصحة الفردية بالخاصة.

لأن الوقاية خير من العلاج فقد أخذت الوقاية حيزاً مهماً واستمدت تعاليمها من الإسلام، وذلك ابتداءً من سنن الوضوء التي أكدت على ابتداء الوضوء بالسواك حيث يقدمه على أفعال الوضوء. ونرى ذلك من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك" وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" متفق عليه .

و من فوائد السواك

+ له قدرة فتاكّة على الجراثيم الفموية و أهمها البكتيريا السببية المسببة للحمى الروماتيزمية
+ منع زيادة الجراثيم بنفس الحموضة داخل الفم . و بالتالي تطهير الفم وتقليل أمراض اللثة و التسوس

لقد خصّص الأطباء العرب الحيز الكبير لمجال الوقاية، فتكلموا عن حفظ صحة الفم والأسنان، وعن وقايتها من الألم والتسوس، كما أكدوا أهمية صحة الفم وانعكاسها على الصحة العامة، وعن أهمية "الدم الجيد" لما له من تأثير على سلامة الأسنان وحفظ اللثة، ويصف ابن الجوزي دور الأسنان فيقول "إن الأسنان عظيم نفعها لجمال الإنسان، والقيام بمضغ الأغذية، وكذلك تقويم الكلام". (01)

وألح أبو بكر الرازي على استعمال السواك لأنه "يجفف اللسان، ويطيب النكهة، وينقي الدماغ، ويلطّف الحواس، ويجلو الأسنان، ويشد اللثة".

وقدّم الرازي السنونات والمضامض إلى سبعة أنواع، وأعطى تركيبات كل واحدة منها، كما استعمل في تركيبها المواد القابضة مثل السماق والجلنار والعصف وأخلاط الأفيون، أو المواد المبردة مثل بزر الورد وبزر الخس والكافور والصندل، أو المواد الحارقة مثل الفلفلون، أو المواد المجلية مثل القيصوم والسبانج. وألح الرازي على ضرورة المضمضة بها حين يكون الوجع في اللثة، وحذّر من القلع في هذه الحالة لأنه يزيد في الألم.

أما ابن سينا وفي باب حفظ صحة الأسنان يلح على من أحب أن تسلم أسنانه يجب أن يراعي ثمانية أشياء، منها أن يتحرّز عن فساد الطعام والشراب في المعدة الحادث عن الطعام القابل للفساد مثل اللبن والسمك المملوح، وأن لا يلجّ على القيء الحامض، ويتجنّب مضغ العلك الحلو، ويتجنّب كسر الصلب والمضرسات كالكراث، وكل شديد البرد وكل شديد الحرّ، وقد نصح ابن سينا استعمال السواك "لأنه يجلو الأسنان ويقوّيها ومنع الحفر ويطيب النكهة وأفضل الخشب للسواك ما فيه قبض ومرارة" كما نصح ابن سينا باستعمال دهن الورد عند النوم أو دهن البان والتاردين والتمضمض مرتين في الشهر بشارب طبخ فيه الينوع أو الملح المعجون بالعلس، وكذلك الدلك بالترمس والشب اليماني.

• تشريح الأسنان

ما من شك، أن ابن سينا من خلال مقالاته في كتابه " القانون في الطب " حول التشريح يدل دلالة بالغة على ممارسته للتشريح. فقد شرّح ابن سينا الأسنان ومحيطها، ومن خلال دراستي لذلك وجدت دقة متناهية في الوصف بطريقة علمية وحسابية حيث يقول: "فمن الأسنان ثيتان ورباعيتان من فوق ومثلهما من أسفل للقطع، ونابان من فوق مثلها من أسفل للكسر وأضراس للطحن"، و التواجد تنبت في الأكثر وسط زمان النمو وهو بعد سن البلوغ والوقوف يكون عند ثلاثين سنة ولذلك تسمى أسنان الحلم. (03)

وقد شرّح ابن سينا عضل الشفة وعضل الفك الأسفل والحلقوم وعضل اللسان، وشرّح الفم ويقول: "وجوهر اللسان لحم رخو قد اكتنفته عروق صغار متداخلة دموية أحمر لونها، ومنها أوردة، ومنها شريانات، وفيه أعصاب كثيرة متشعبة، ومن تحت فوهتان يدخلهما الحبل هما منبع اللعاب فبضيان إلى اللحم الغددي وهذا المنبعان يسميان ساكبي اللعاب، ويوجد تحت اللسان عرقان كبيران أخضران يتوزع منهما العروق الكثيرة يسميان الصردين". (03)

• التخدير Anesthésie

عرف العرب المُرْقَد وهو المخدر العام في أوائل جراحاتهم، وذلك لإبطال ألم المريض خلال العملية الجراحية، وبعدها ابتكر العرب الإسفنجة المخدرة

أما التخدير الموضعي للأسنان، فقد اتخذ الرازي من بزر البنج والأفيون والمبيعة والفلفل وحلتيت شامي خليطاً لتخدير السن الوجعة، ويقول الرازي لتسكين وجع الأسنان: "وينفع من خدر الأسنان إمساك الطلى الحاد في الفم، ومسحها بالسذاب والفلفل والعاقرقرا". كما استعمل الرازي تخدير الأسنان بالكي فيقول: "وإذا لم يسكن الوجع فائقب وسط السن بمثقب دقيق وتقطريه الزيت المغلى مرات". أما الزهراوي فقد استعمل أيضاً كي وجع الضرس لتخديرها بمكواة خاصة لذلك.

أما ابن الجزار فقد استعمل الأدوية الخاصة لتخدير الأسنان من عاقرقرا وزوفا والخربق والخل، وبعد ذلك يقول: "فإن لم يكن الوجع فينبغي أن يستعمل الأدوية المخدرة مثل الأفيون والبنج وما أشبه ذلك فإنها تفتت الوجع وتنوم العليل". (01)

أما ابن سينا وفي باب الأدوية المخدرة يقول: "قد تستعمل على الوجوه المذكورة في التحليل أو تستعمل مضمضات، فمنها أو يؤخذ بزر البنج والأفيون والمبيعة والقنة من كل واحد درهمان، فلفل حلتيت شامي من كل واحد درهم، فوضع على السن الوجعة. ومن جملة ما يخذر الفلونيا وكذلك الماء المبرد بالثلج" وهذه الطريقة الأخيرة ابتكار مدهش لابن سينا لتخدير وجع الأسنان. (04)

• جرد الأسنان Détartrage

اهتم الأطباء العرب بإزالة الرواسب الكلسية عن الأسنان، فإزالتها تعني حفظ صحة الأسنان واللثة. ومن الأطباء من عالج إزالة هذه الرواسب بالأدوية، حيث يقول ابن الجزار: "قد تخضر الأسنان وتصفر أو تسود من قبل رطوبة عفنة رديئة" وقد عالجها ابن الجزار بأدوية منقية وقابضة.

أما المجوسي فقد حث على تنقية الأسنان بالحديد والمبارد ويقول: "ولتنقى المتآكلة بالحديد والمبارد، وتنظف بها الأجزاء العفنة ويتجنب صاحب ذلك الألياف والتمور، ويتمضمض العليل بالخل المطبوخ فيه عاقر قرحا أو خل". (13)

وعالج ابن سينا ذلك بأدوية محللة ويقول في باب تغير لون السن: "قد حدث ذلك لحدوث قلع، وربما تحجر في أصول السن، أو لمادة رديئة تنفذ في جوهر السن، وعلاج التحجر بالمواد التي تجلو وتنقي مثل زبد البحر، والملح، ورماد أصل القصب، والزراوند، والصعتر". (04)

وقدّم الزهراوي أربعة عشر مجرداً ويقول: "واعلم أن الضرس يحتاج إلى مجارد مختلفة الصورة، كثيرة الأشكال على حسب ما ينهيا لعملك، والمجرد الذي يجرد به الضرس من داخل غير المجرد الذي يجرد به من خارج، والذي يجرد به الأضراس على صورة أخرى" ومن خلال معاينتي لرسم هذه المجارد بمخطوط "التصريف لمن عجز عن التأليف" تبين لي أن أغلب المجارد الحالية هي مستقاة منها. وهي منسوبة خطأ لأطباء غربيين.

• علاج اللثة بالجراحة

يُنّ الزهراوي أن تحرك الأسنان يكون من جراء تكون الترسبات الكلسية حول السن أو من جراء سقوطه ويقول: "إذا عرض للأصول الأمامية تزعزع وتحرك عن ضربة أو سقطه ولا يستطيع العليل العض على شيء، وإذا عالجتها بالأدوية القابضة ولم ينفع فيها علاج بالجمل، فالعمل فيها أن تشد بخيط من ذهب أو فضة".

والملاحظ أن الزهراوي يعالج الأضراس المتحركة بتشبيكها بخيوط الذهب والفضة، وهذا نموذج آخر لما وصلت إليه جراحته من تقدم. ثم يضيف الزهراوي: "وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل رأسه بين الضرسين الصحيحين ثم تنسج بطريفي الخيط بين الأضراس المتحركة واحدة كانت أو أكثر حتى تصل بالنسج إلى الضرس الصحيح من الجهة الأخرى ثم تعيد النسج إلى الجهة التي

بدأت منها، وتشد ذلك برفق، واحكمه حتى لا يتحرك البتة، ويكون شدّ النسيج عند أصل الضرس لئلا يفلت، ثم يقطع طرفي الخيط الفاصل بالمقص، تجمعها وتفتلها بالجفت، وملؤهما بين الضرسين الصحيحة والمتحركة لئلا يؤذي اللسان".

أما الرازي فيقول: "إذا لم ينفع شدّ اللثة وبقي السن متحركاً فأكو أصله، وشده بسلسلة من ذهب"

• العلاج التحفظي للأسنان Odontologie Conservatrice

أجمع الأطباء العرب على أن السن جوهر شريف، والمحافظة عليه وعدم قلعه، إلا في الحالات المستعصية العلاج. وقد تطرقوا لمشكل تنقب الأسنان وتآكلها، وفي ذلك يقول ابن سينا: "يحدث ذلك من رطوبة رديئة تتعفن فيها، والعلاج بتنقية الجوهر الفاسد، وتحليل المادة المؤدية إلى ذلك، والأدوية المانعة للتآكل هي المجففة مثل الآس، والحضض والnardين". (04)

وقد عالج ابن سينا تآكل الأسنان بالحشو obturation بسك وسعد، أو مصطكي وسعد، أو مر، أو ميعة وأفيون.

أما الرازي فقد أعطى اهتماماً موسعاً لتآكل الأسنان، وفي باب التآكل والتفتت يقول: "أما تفتت الأسنان وتكسرها فيعرض بها ذلك لئليتها، فقويها بالأدوية القابضة. السن المأكول يحشى بالفوتنج المسحوق وبمضغ البطم أو بالكبريت أو بالزاج وصمغ البطم".

وينصح الرازي الإسراع في علاج التآكل فيقول: "ينبغي أن تعالج منذ أول وجعها بدفع المادة عنها فإذا فعلت فيها فالأشياء الحارة الرطبة، وإن أزمّن الوجع جداً وطال فليحشى بعده بالفلل المسحوق ولا يعنف الحشو لأنه يوجع ويضره، وإن أفرط الوجع فليحشى بالمخدرة". (05)

وقد عالج الرازي التهابات اللب بالزرنيخ (Arsenic) الذي لا يزال يستعمل ليومنا هذا، حيث يقول: "للأسنان المتآكلة يذاب زرنخ أحمر بزيت ويغلى ويقطر منه في أصل الضرس وآكاله". ويقول الرازي في وجع الأسنان: "إذا كان الوجع في العصبه أحس بالوجع غائراً وفيه شيء شبيه بالضرس واشتكى الفك والثة غير واردة فهو لتمدد العصب، ويحتاج إلى الأدوية القوية جداً كالمتهخذ بالخل والفوتنج والعاققرح". (05)

كما عالج الرازي الأسنان التي تطول (Desmodontite) بالإمسك، وبردها بمبرد لطيف (meulage)، كما استخدم الأفيون لتسكين أوجاع الأسنان. ويشارك الرازي مع ابن سينا في تسكين التهابات اللب (Inflammation pulpaire) يثقب السن بمثقّب دقيق لينفس عن المادة المؤذية جداً وحتى تجد الأدوية نفوذاً إلى قعره، وهذا تعبير جميل تدلّ دلالة بالغة على تجارب الأطباء العرب الهادفة لإزالة اللب، لإزالة الإحساس بالألم.

أبيات في الجبر

و نقرأ في أرجوزة ابن سينا للطب عن الجبر و طريقة علاج الكسر ،

من أرجوزة بن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا

الجبر:

وكل ما تحدّثه من	في العظم مثل الكسر أو كالخُلع
وكل ما تطبّبه من كسر	فإنما علاجه بالجبر
رَدّ الشظايا فيه حتّى تنطبع	ونشّر ما يَنحُسُّنا فتنتجّع
وشدّها بصنعة حكيمه	لا ضاغط فيها ولا مرخيه
عصائب يبدأ بها من الوسط	ثم يزداد الشدّ حتّى ترتبط

من فوقها رفائدٌ مَلْفُوفُهُ من فوقها جِباثُ مَصْفُوفُهُ
وَلَطَّقَنُ غِذَاءَهُ فِي الْأَوَّلِ وَكَفَّفَنُهُ آخِرًا كِي يَمْتَلِي
وَاحْذَرُ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ وَزَمٍ سَخْنٍ لِمَا يَنْصَبُ فِيهِ مِنْ دَمٍ
وَأَمْنَعُهُ مِنْ تَحْرِكٍ أَوْ يَبْرَا أَلْزِمَهُ فِي طَوْلِ السَّكُونِ الصُّبْرَا

المبحث الثاني . دراسة مقارنة بين أدوات و منهجية الزهراوي و الطب الحديث .

حذّر أبو القاسم الزهراوي من التسرع في قلع الأسنان : " ينبغي أن يعالج الضرس من وجعه بكل حيلة وتترتب عن قلعه فليس منه خلف إذا قلع لأنه جوهر شريف" كما ألح على ضرورة التأكد من الضرس المريض : " ينبغي إذا عزم العليل عن قلعه أن تثبت حتى تصح عندك الضرس الوجع: فكثيرا ما يخدع العليل الوجع ويضن أنه في الضرس الصحيح فيقلعها، ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريضة" وهذا يتطابق مع العلم الحديث و خطر الألم المنتقل .

و في باب قلع الأسنان ينصح الزهراوي الأطباء قائلا و كأنه يحذر في هذا العصر : (وينبغي أن تستقصي بالشرط حول اللثة من كل جهة نهما وتحفظ جهدك لئلا تكسره فيبقى بعضه فيعود على العليل منه بلية هي أعظم من وجعه الأول. وإياك أن تضع ما يضع جهال الحجامين في إقدامهم على قلعه من غير أن يستعملوا ما ذكرنا، فكثيرا ما يحدثون على الناس بلايا هي أعظم أيسرها أن ينكسر الضرس وتبقى أصولها كلها أو بعضها، وإما أن تقلعه بعض عظام الفك كما شاهدنا مرارا.)

أما في باب جرد الأسنان يقول الزهراوي: "قد يجتمع في سطوح الأسنان من داخل ومن خارج وبين اللثة قشور خشنة قبيحة وقد تسود وتصفّر وتخضر حتى يصل جرّ ذلك فساد إلى اللثة وتفتح الأسنان لذلك"

فالزهراوي يبين أخطار الترسبات الكلسية حول عنق السن، أخطارها على سلامة اللثة: gingivite وحتى على الأسنان حيث يبيّن أن ذلك يؤدي لتزعزع الأسنان فتفتح الأسنان desmodontite parodontale وهو تحليل علمي صرف لأخطار الترسبات، كما وضع الزهراوي مجاردا خاصة لجرد الأسنان، أما لعلاج تحركات الأسنان mobilité dentaire يقول الزهراوي: "إذا عرض للأصول الأمامية تزعزع أو سقطت ولا يستطيع العليل العض على شيء، وإذا عاجتها بالأدوية القابضة ولم ينفع فيها علاج بالجملة، فالعمل فيها أن تشدّ بخيط من ذهب أو فضة..". ووصف الزهراوي بعدد عملية تشبيك الأضراس المتحركة، وعملية تثبيت الأسنان المتحركة هاته لازالت متبعة ليومنا هذا، حيث تُشبك الأضراس المتحركة لتشتدّ بعدد ويقلّ تحركها solidarisation des dents mobiles.

تعويض و غرس الأسنان

اهتم أبو القاسم الزهراوي لمشكلة الأسنان المفقودة وإعادتها إلى موضعها داخل العظم: réimplantation ويقول في فصل تشبيك الأضراس المتحركة:

"وقد تردّ الضرسين الواحد والاثنين بعد سقوطهما في موضعهما، ويَشُدُّ كما وصفنا وتنميا وإما يفعل ذلك صانع مدرب رقيق".

ويقول: "وقد يقطع عظم من بعض عظام البقر فيصنع منه كهية الضرس، وَيَشُدُّ كما قلنا، ويبقى ويستمتع بعد ذلك إن شاء الله" وهذا سبق آخر في ميدان زرع الأسنان implantologie والزهراوي هو أول طبيب يطبق هذا العلم منذ القرن العاشر ميلادي.

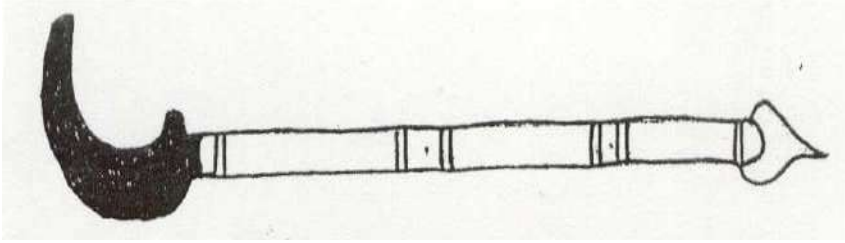
كما تطرق الزهراوي في فصل منفصل عن قطع الرباط الذي يعرض تحت اللسان فيمنع الكلام: frénectomie

(قد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان إما طبيعيا يولد به الإنسان، وإما يكون عرضيا من خارج قد اندمل. ترفع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط العصبي بالعرض حتى ينطلق اللسان من إمساكه. فإن كان فيه بعض الصلابة والتعقد وكان ذلك من اندمال أو جرح فائق الصنارة فيه وشقه شقًا بالعرض حتى ينتثر الرباط ويحل العقد. واحذر أن يكون الشق في عمق اللحم فتقطع هناك شريانا فيعرض النزيف) .

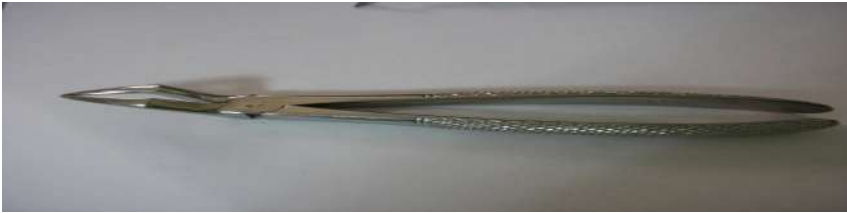
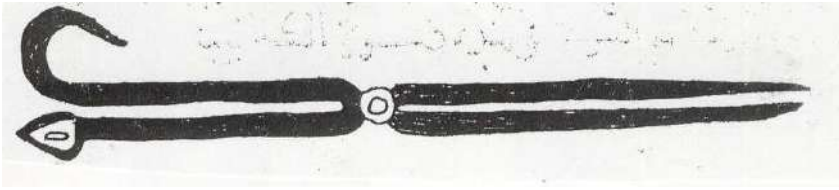
و قد عالج الزهراوي مشكل الأضراس النابتة على غيرها و فرع تقويم الأسنان بقلع الأضراس النابتة على غيرها أو برد الأسنان ,, و يوضح في الفصل الثاني والثلاثون في نشر الأضراس النابتة على غيرها (إذا نبتت الأضراس على غير مجراها الطبيعي قبحت بذلك الصورة ولا سيما إذا حدث ذلك في النساء والرقائق، فينبغي أن تنظر أولا فإن كان الضرس قد نبت من خلف ضرس آخر ولم يتمكن نشره أو برده فقلعه، وإن كان ملصقا بضرس آخر فاقطعه بهذه الآلة التي هذه صورتها وهي تشبه المنقار الصغير: الصورة أولتكن من حديد هندي حادة الطرف جداً ويكون قطعها في أيام كثيرة لصلابة الضرس ولكي لا يتزعزع غيرها من الأضراس.)

إن ابتكارات الزهراوي الكبيرة في ميدان الجراحة تبين بجلاء ما بلغت إليه جراحته من تقدم باهر ومدهش، وسبق رائد لا جدال فيه.

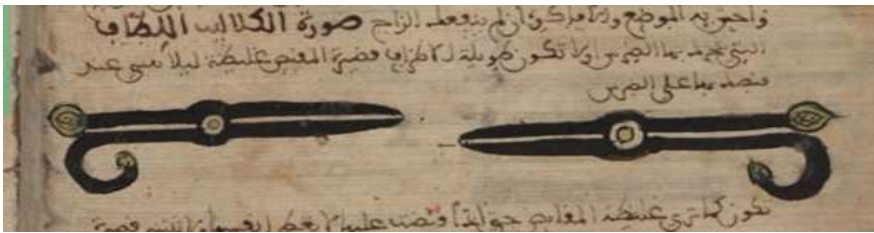
آلة لجرد الأسنان



Détartreur Crane-Kaplan CK6



DAVIER A RACINE





PINCE GOUGE A OS



Curette de Lucas



RUGINE A OS



RUGINE DE LAMBOTTE

آلات مختلفة من ابتكار أبي القاسم الزهراوي منسوبة لأطباء غربيين بعده بقرون، و كذلك سبقه المثير في شتى تخصصات الفم و الفك ، و بالرغم من ذلك لا نجد آلة جراحية واحدة تحمل اسمه !

خاتمة ، الطبيب الجراح الصيدلاني الزهراوي رائد جراحة الفم و الفكين في العالم .

حينما نتحدث عن طب الأسنان العربي أو الإسلامي فإننا نعني طب الأسنان في الفترة الزاهية من الحضارة العربية الإسلامية التي أضاءت إمبراطوريتها من الشرق إلى الغرب امتدت لقرون طوال.

إنه من الخطأ أن نمزج بين المفاهيم القديمة لطب الأسنان لقرون طويلة خلت، وبين المفاهيم الجديدة لطب الأسنان الحديث المبنيّة على تعقد الآلة، والمستفيدة من الكهرباء ومن تقنيات عصرية هائلة، ومن مستحضرات كيميائية سريعة التحضير بفضل تقدم مضطرد لكافة العلوم.

لقد بلغ الأطباء العرب في علمهم ومؤلفاتهم وتجاربهم وتصانيفهم غاية الحذق والمهارة، ونالوا شهرة كبيرة تجاوزت عصرهم بسبب اعتمادهم على التجربة والملاحظة واعتمادهم المنهج التجريبي ، فقد تركوا مؤلفات كانت و لا زالت منابر علمية ، ومراجع نفيسة في مختلف فروع الطب قروناً عديدة في الشرق والغرب . (11)

وبالرغم من أن طب الأسنان لم يظهر ك تخصص في الطب العربي، إلا أن الأطباء العرب خصصوا له أهمية بالغة وعلاجات خاصة

به، وإذا التفتنا لكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" نجده يعطي لجراحة الأسنان خصوصيتها، لقد بين الزهراوي برسوم إيضاحية الآلات المتعلقة بكل جراحة، فقلع الأسنان له كلاليب خاصة به، ولجدر الأسنان مجارد عديدة متميزة، ولكي الأضراس واللثة المسترخية استخدم الزهراوي مكواة خاصة، وكذلك وضع أدوات تتعلق بقلع أصول الأضراس وإخراج أصول الفكوك المكسورة، ولنشر الأضراس النابتة على غيرها، ولعلاج ورم اللوزتين ولتشبيك الأضراس و تقويم الأسنان.

و بالرغم من تقدم الطب الحديث بشكل لافت ، فلا يزال كتاب التصريف شاهدا على نبوغ الطبيب أبي القاسم الزهراوي، و اكتشافه لعدة طرق و آلات جراحية متنوعة ، الشيء الذي جعل اسم الزهراوي يقتنر بعلم الجراحة حكيمًا و جراحًا رائداً .

- يخلص البحث أن اسم أبو القاسم الزهراوي وراء عشرات الاكتشافات العلمية في جراحة الأسنان و الفكين ، نذكر منها:
- اكتشاف مجارد لجدر الأسنان détartrage.
- اكتشاف الخياطة لعلاج تحرك الأسنان و تثبيت الأسنان وجبرها.
- اكتشاف الطريقة النموذجية لقلع الأسنان و مبتكر للكلاليب المتنوعة .
- أول طبيب تطرق لتعويض و تقويم و زرع الأسنان.
- أول طبيب مارس قطع اللحم الزائد في اللثة gingivectomy
- أول مخترع لعدة آلات في طب الأسنان نذكر منها
(Curette, Rugine à os, Daviers, Ciseau, Davier à racine)

لهذه الاكتشافات وغيرها، نجزم أن الطبيب أبو القاسم الزهراوي رائد جراحة الأسنان في العالم .

إن المؤمل من هذا التحقيق أن يكون مرجعا لكل طلبة الطب للوقوف بالبرهان على الريادة الطبية العربية.

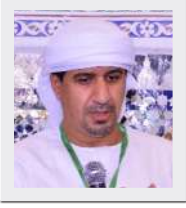
ونقط أخيراً هذه الشهادة المعبرة للمستشرق الألمانية زيغريد هونكه من كتابها " شمس العرب تسطع على الغرب ":

"إن كل مستشفى، مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، إنما هي في الحقيقة نصب تذكارية للعبقريّة العربيّة."

أهم المراجع:

1. ابن الجزار "زاد المسافر وقوت الخاطر" كتاب حققه محمد سويسي 1404 هـ/1984م.
2. ابن رشد الأندلسي "كتاب الكليات" تحقيق محمد بن عبد الجليل بلقزيز مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1421هـ/2000م.
3. ابن سينا "القانون في الطب" (ثلاثة مجلدات) دار صادر بيروت. طبعة بالأوفست دار عن بولاق.
4. أبو القاسم الزهراوي "التصريف لمن عجز عن التأليف" الخزانة العامة الرباط قسم الوثائق والمخطوطات الرباط رقم 21ج، وهو مخطوط. . و نسخة أخرى بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 134 .
5. أبو بكر الرازي "الحاوي في الطب" مراجعة محمد محمد إسماعيل (ثمانية مجلدات، ثلاثة وعشرون جزء) منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية بيروت لبنان-الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.
6. أبو مروان بن زهر "تيسير في المداواة والتدبير" حققه وهياهم محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - مطبعة فضالة -المحمدية -المغرب 1989.
7. أبي الحسن علي بن ربن الطبري "فردوس الحكمة في الطب" منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولى 1423هـ/2002م.
8. د شفيق الأيوبي "التخدير الموضعي في جراحة الفم والأسنان" مطبعة محمد هاشم الكتبي 1971.
9. زيغريدهونكه "شمس العرب تسطع على الغرب" دار الجيل بيروت -دار الآفاق الجديدة بيروت-الطبعة الثامنة-نقله

10. عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي 1413هـ/1993م.
د.سعد صقلي حسيني "طب الأسنان إبداع عربي" مطبعة الرسالة الرباط 2003.
11. فؤاد جميعان "مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب" المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الفارس للنشر والتوزيع -عمان -الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.
12. عبد الرزاق محمد بن حمدوش الجزائري "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
13. علي بن عباس المجوسي "الملكي في الطب". قسم الوثائق والمخطوطات، الرباط رقم 635د وهو مخطوط.
14. محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى 1988، ج1، ص 113 , 119 , 124 .
15. د. محمد عبد الرحمن مرحبا "المراجع في تاريخ العلوم عند العرب" دار العودة -بيروت-منشورات دار الفيحاء 1998.
16. محمد زين العابدين الحسيني "جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب " سلسلة المناهل 2017. ص 111
17. د. محمود الحاج قاسم محمد .بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الزهراوي .الزهراوي (حياته - مؤلفاته
18. لوكليرك: تاريخ الطب العربي، 1، 454 - 455.



المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها

الأعشاب الطبية والدواء وتركيبه في مخطوطة فاكهة ابن السبيل (لطبيب العماني راشد بن عميرة الرستاق)

د. عبدالله علي سعيد السعدي

حاصل على دكتوراه في التاريخ الإسلامي، متخصص في مجال المكتبات
والمعلومات وتحقيق المخطوطات

المخلص

تحتوي هذه الورقة ومن خلال عنوانها الأعشاب الطبية والدواء وتركيبه في مخطوطة فاكهة ابن السبيل (لطبيب العماني راشد بن عميرة الرستاق)، تحتوي على التعريف بمؤلف المخطوطة والذي ولد في منطقة الرستاق بسلطنة عمان والذي عاش في القرن الحادي عشر هجري، وينحدر من عائلة برع كثير من أفرادها في علم الطب وممارسته، فوالده عميرة بن ثاني طبيب، وجده ثاني بن خلف طبيب، وكثير من رجال العائلة أطباء، ولديه الكثير من المؤلفات مثل: فاكهة ابن السبيل، ومختصر فاكهة ابن السبيل، ومقاصد الدليل وبرهان السبيل، والقصيدة الدالية، وغيرها من المؤلفات. وعن محتويات مخطوطة مختصر فاكهة ابن السبيل يبدأ المؤلف باستعراض الأمراض في ترتيب تنازلي من قمة الرأس إلى أخمص القدمين فيستعرض أمراض الرأس، ثم العين، ثم الأنف، ثم الأذن، والفم، ثم الحنجرة وهكذا... وتناولت الأبواب الأخيرة عمل المراهم، والأدوية المختلفة، وأوزانها، وانتهاء بتفسير الأدوية في الباب العاشر.

وقد ذكر المؤلف الكثير من الأمراض، وعند ذكر المرض أتبع المنهج العلمي في وصف المرض وأسبابه ومن ثم علاجه مثال ذلك: الرعشة والاختلاج وسببه: ضعف العضو المرتعش عن سوء مزاج بارد، أو من خلط، أو سبب من خارج، وعلامته: حركة العضو بغير إرادة بانحطاطه وارتفاعه.

العلاج: يُستفرغ بحب الشيطرج، ثم يمزج بدهن القسط، ويطل الحمام، ويغذي بماء حمص.

وهناك الكثير من الأعشاب الطبية والأدوية التي ذكرها المؤلف في هذه المخطوطة.

محتويات الورقة:

أولاً- المقدمة.

ثانياً- التعريف بمؤلف المخطوطة.

ثالثاً- التعريف بمحتويات مخطوطة فاكهة ابن السبيل.

رابعاً- منهج المؤلف وأسلوبه.

خامساً - عرض الامراض التي ذكرها المؤلف.

- سادسا - عرض الأعشاب الطبية التي ذكرها المؤلف.
- سابعا - الدواء وتركيبه في مخطوطة فاكهة ابن السبيل.
- ثامنا- الخاتمة.
- تاسعا - قائمة المصادر.

أولا. المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على المعلم الأول محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه ومن اتبع نهجه إلى يوم الدين .. أما بعد :

تمتاز الأقطار العربية باتساع رقعتها واعتدال جوها، لذلك فهي تملك ثروة طبيعية وأخرى اقتصادية هائلة من الأعشاب الطبية والعطرية، استخدمها قدماء المصريين والعرب من قديم الزمان، ويشهد على ذلك ما دونه المصريون في بردياتهم، والعرب في مذكراتهم وموسوعاتهم عن النباتات الطبية، وكذلك ما تحويه أسواق العطارين من الأعشاب والثمار والبذور التي يستخدمها العامة في علاج أمراضهم، وما يزال تجار العطارة يستخدمون "موسوعة ابن سينا" و"تذكرة داود" ومؤلفات الرازي وابن البيطار، وغيرها من كتب العلماء العرب لعلاج المرضى. وقد وردت الكثير من الأحاديث الشريفة عن الأعشاب، مثال على ذلك قول النبي ﷺ: (عليكم بالسنا والسنتون فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام قيل: يا رسول الله وما السام؟ قال: الموت)⁽¹⁾، ويقول ﷺ: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"⁽²⁾. ويقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى : (إنما العلم علما: علم الدين وعلم الدنيا فالعلم الذي للدين هو الفقه والعلم الذي للدنيا هو الطب)⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية العلاج بالأعشاب الطبية والعطرية واستخدام المصادر التي تتحدث عن تلك الأعشاب والعلاج بها.

وكما تعلمون بأن هذا الورقة الذي أقدمه هو دراسة موضوع الأعشاب الطبية والدواء وتركيبه في مخطوطة طبية عمانية بعنوان " مختصر فاكهة ابن السبيل " لطبيب راشد بن عميرة الرستاقى .

وما كتاب "مختصر فاكهة ابن السبيل" إلا أحد هذه المصادر المفيدة في العلاج لذلك وضع المؤلف أساليب العلاج بطريقة تيسر على المعالج مداواة المريض، فهو يذكر المرض وأعراضه ثم يصف الدواء له.

وقد ذكر المؤلف في كتابه الكثير من الأعشاب الطبية، علاوة على وسائل أخرى من العلاج مثل الفصد والكي والجراحة في بعض الأحيان، وكان القصد من تأليف الكتاب جعله دليلاً طبياً سريعاً يلجأ إليه الحكيم حين يرغب في معرفة علاج مرض ما بسرعة، دون الغوص في التفاصيل.

ثانيا. التعريف بمؤلف المخطوطة:

- اسمه ولقبه ونسبه: هو راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف بن محمد بن عبدالله بن هاشم بن عبدالله العيني الرستاقى

- 1 ينظر : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، بيروت : دار الكتب العلمية 1990م ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا : ج4، ص 224 .
- 2 ينظر : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي: ج 4، ص1729.
- 3 ينظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، بيروت : المكتبة الإسلامية 1987م، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي : ص 284 .

العُماني⁽⁴⁾. لُقّب (بابن هاشم)، وذاعت شهرته في العالم العُماني، حتى ضرب المثل بمهارته الطبية، فصار الرجل العُماني يقول لأخيه إذا سخف من دوائه: "ما أنت ابن هاشم"⁽⁵⁾. وأمّا الرُستاق⁽⁶⁾ فهي إحدى مدن عُمان الكبيرة، ذات تاريخ عريق فقد كانت مستقرّ العاصمة في عصر اليعاربة، وما تزال موجودة حتى اليوم عامرة بأهلها تحمل اسمها القديم.

- مولده ونشأته ، وتكوينه العلمي:

لم تشر كتب التاريخ والتراجم إلى تاريخ مولده، وإذا كان تاريخ مولده مجهولاً، فمن المرجح أنه ولد بقرية عيني من الرستاق، ونشأ فيها، وكان منزله الذي يعيش فيه قريباً من منبع العين الحارة المعروفة "بالكسفة" وبقيت آثار هذا المنزل إلى يومنا هذا⁽⁷⁾.

وقد كانت مدينة الرستاق ذات موقع استراتيجي هام، فهي تقع بين المنطقة الداخلية ومنطقة الباطنة الساحلية، وساعدها موقعها على أن تكون مركزاً تجارياً يقد إليه التجار من جهات عديدة، كما حفلت بالعديد من مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي كانت في الغالب ملحقة بالمساجد التي لا تخلو من حلقات العلم في العلوم الشرعية واللسانية، ووجد بها مكتبات عامة وخاصة ضمت أعداداً كبيرة من كتب العلوم النقلية والعقلية، في هذا الجو المشبع بحب العلم والرغبة في نشره نشأ راشد بن عُميرة يتزود بأدوات المعرفة التي كونت شخصيته العلمية المتميزة⁽⁸⁾.

كما أن هذا الطبيب ينحدر من عائلة برع كثير من أفرادها في علم الطب وممارسته، فوالده عُميرة بن ثاني طبيب، وجده ثاني بن خلف طبيب، وكثير من رجال العائلة أطباء، وعلماء منهم راشد بن خلف ابن محمد، وعلي بن مبارك بن خلف بن محمد، وخلف بن هاشم بن عبدالله بن هاشم، وغيرهم⁽⁹⁾ فكان لهؤلاء أثر كبير في تكوينه العلمي، وعلى دربههم سار وبهم اقتدى، وعلى أيديهم تدرب وجرب فعالجوا له الأخطاء وأكسبوه خبرة ودراية بتشخيص الداء ووصف الدواء.

- مؤلفاته:

تزر المكتبة العمانية بعدد من مؤلفات راشد بن عُميرة، وجلها طبية منتورة ومنظومة، وهي:

1. **فاكهة ابن السبيل:** مجلد كبير طبعته وزارة التراث والثقافة في جزأين ويتضمن هذا الكتاب وصفاً للأمراض وأنواعها وطرق علاجها⁽¹⁰⁾.

2. **مختصر فاكهة ابن السبيل:** وهو مختصر للمجلد الكبير ، ويضم عشرة أبواب، قسمت إلى فصول والأبواب في ذكر خلق ابن آدم، وتدبر الشباب والكحول والمشايخ والفصول، وحفظ الصحة، وتدبر المسافر، وحفظ صحة الجوارح والعوارض النفسية، وأخيراً علاج الأمراض وتركيب الأدوية. وهذه المخطوطة موجودة برقم (1782) (3722)⁽¹¹⁾ بوزارة التراث ، وبرقم (436) بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

- 4 ينظر: سيف بن حمود بن حامد البطايني، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، مسقط : وزارة التراث 1994 م؛ ج2: ص 161-196.
- محمد صالح ناصر ، و سلطان مبارك الشيباني ، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم -المشرق ، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 2006م ؛ ص 151 .
- صباح أحمد جمال الدين ، الطب الشعبي العماني : ص 11-14 .
- وليد محمود خالص ، من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، مسقط : المنتدى الأدبي ، 2006م ؛ ص 60 .
- 5 ينظر: راشد بن عُميرة ، فاكهة ابن السبيل: مخطوطة مطبوعة دون تحقيق: ج1 ، ص 9 .
- 6 يذكر ياقوت في معجم البلدان، أنها مدينة بفارس من ناحية كرمان اسمها [رُستاق] . ينظر : معجم البلدان ، ياقوت ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، بيروت : دار الفكر ؛ ج 3 ، ص 43 .
- 7 مرجع سابق : فاكهة ابن السبيل : ج 1 ، ص 9.
- 8 مرجع سابق : الرستاق عبر التاريخ ، ص 89.
- 9 ينظر عن هؤلاء العلماء في كتاب إتحاف الأعيان. ج2، ص155، وما بعدها ففيه إشارات لهم، ولبعض إنتاجهم الشعري والفكري.
- 10 ينظر : الكتاب المطبوع من فاكهة ابن السبيل.
- 11 ينظر : فهرس الطب في وزارة التراث.

3. مقاصد الدليل وبرهان السبيل: مخطوطة ذكر فيها المؤلف تجاربه الطبية في علاج الأمراض⁽¹²⁾.
4. القصيدة الدالية (وشرحها): قصيدة في التشريح لجسد الإنسان من الرأس إلى القدم، نظمها المؤلف على قافية الدال، مع وجود شرح لها، وهي موجودة بوزارة التراث برقم (1764) (1769) (700)⁽¹³⁾.
5. القصيدة الرائية (وشرحها): قصيدة في ذكر الأعضاء الرئيسية في بدن الإنسان، نظمها المؤلف على قافية الراء فيها وذكر فيها بعض أعضاء الإنسان كالقلب والعقل والدماغ مع شرح مفصل لها. وهي موجودة بوزارة التراث برقم (1769) (3050)⁽¹⁴⁾.
6. القصيدة الميمية (وشرحها): في العين وتشريحها والأمراض التي تصيبها وطرق علاجها مع رسم توضيحي للعين، ألفها عام 999 هـ / 1590م. تناولت تركيب العين وتشريحها وطرق العلاج من الأمراض التي تصيبها. وهي موجودة بوزارة التراث برقم (2914) ورقم (1769)⁽¹⁵⁾.
7. محلات المتطببين ومنهج السالكين: أرجوزة ألفها عام (1000 هـ / 1591م)، وتحدث عن:
- الشروط الطبية التي يجب على الطبيب معرفتها.
- معرفة الطبايع بالذوق والنبض والبول.
- العروق (الأوعية الدموية) وعددها وطرق فصدها.
- مواضع الحجامة ومنافعها.
- تحضير واستعمال أدوية العين⁽¹⁶⁾.
وهي موجودة بوزارة التراث برقم (1797)، (1764)، (700).
8. رسالة في الكي بالنار: ضمنها رسوماً توضيحية لأنواع المياسم الحديدية التي تستخدم في أنواع الكي لكل مرض. والمخطوط يوجد منه نسخة مصورة بوزارة التراث⁽¹⁷⁾.
9. منظومة مشروحة في سن الإنسان من الطفولة إلى الهرم، قسم المؤلف فيها مراحل الإنسان من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة إلى الهرم حسب فصول السنة الأربعة. والمخطوطة موجودة بوزارة التراث والثقافة برقم (1764)⁽¹⁸⁾.
10. زاد المسافر: مخطوطة تحتوي على عدة فصول أولها فصل في جبر كسر اللحي الأسفل، وفصل في كسر الترقوة ناحية المنكب، وفصل في أبدال الأدوية. وهي موجودة بوزارة التراث برقم (2500)⁽¹⁹⁾.
11. منهاج المتعلمين: طبعته وزارة التراث والثقافة في عام (2013م)، ويتضمن هذا الكتاب وصفاً للأمراض وأنواعها وطرق علاجها.
- وفاته: لم تعرف سنة وفاته، ولكنه كان على قيد الحياة حتى سنة (1019 هـ / 1610م) حسب ما ورد في إحدى مخطوطاته⁽²⁰⁾.

12. البطاطي: إتحاف الأعيان: 166/2.
13. وزارة التراث والثقافة/ فهرس المخطوطات: الطب والكيمياء، مج 4، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006م.
14. مرجع سابق: فهرس المخطوطات.
15. مرجع سابق: فهرس المخطوطات.
16. مرجع سابق: فهرس الطب.
17. ينظر: الفهرس المصور في وزارة التراث.
18. مرجع سابق: فهرس الطب.
19. مرجع سابق: فهرس الطب.
20. المخطوطة هنا: كتاب منهاج المتعلمين.

ثالثاً. التعريف بمحتويات مخطوطة فاكهة ابن السبيل:

بدأ المؤلف بمقدمة ذكر فيها بعد الحمد لله والثناء عليه أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر بعد ذلك أحوال الخلق، والطبائع وكيفية ارتباط الأحوال بالطبائع في الصحة والمرض، ومدى تأثير الليل والنهار والمقصود هنا هو الزمن في تطور مراحل عمر الإنسان من الطفولة حتى الهرم، ثم يعرج إلى ما ينبغي للإنسان أن يقصد وهو طلب العلم، وبعد يذكر اسمه واسم كتابه الذي هو "مختصر فاكهة ابن السبيل" فيقول: ولَمَّا أنعم الله عليّ بقبول الكتاب المختصر المسمّى: "فاكهة ابن السبيل"، دعنتي نفسي أن أجمع منه مُختصراً صغيراً لحال الأسفار، وقد بالغت فيه من الاختصار جهدي، وبلغت في منتهى الغاية في ذلك فيه فيما عندي، وجعلته في علاج الأمراض بالأدوية الصحيحة المجربة فيما عندي، وما نقلت فيه من العلاجات إلّا من الكتب المدونة للأطباء من قبلي؛ ليقترني به من يعدي. ثم عرج إلى ذكر أسماء الكتب والأطباء الذين أخذ منهم.

وقد قسم الكتاب إلى عشرة أبواب ، وبيّناها كالآتي:

الباب الأول: في ذكر خلق ابن آدم، وعجائب تركيبه.

الباب الثاني: في تدبير الشباب.

الباب الثالث: في تدبير الكهول.

الباب الرابع: في تدبير المشايخ.

الباب الخامس: في تدبير الفصول على حسب الطبائع.

الباب السادس: في حفظ الصحة من الأكل والشرب والجماع والنوم واليقظة.

الباب السابع: في تدبير المسافرين.

الباب الثامن: في حفظ صحّة الجوارح.

الباب التاسع: في العوارض النفسانية.

الباب العاشر: في علاج الأمراض بالعلاج، وفي تركيب الأدوية. وجعلت ذلك فصولاً.

وقد كان يخصر في بعض الأبواب ويفصل في بعض.

رابعاً. منهج المؤلف وأسلوبه:

قسم المؤلف كتابه على ما قسم كتابه "فاكهة ابن السبيل" فهو بلا شك مختصر له فلا بد أن يتبع الكتاب من أوله إلى آخره. حيث أنه يبدأ باستعراض الأمراض في ترتيب تنازلي من قمة الرأس إلى أخمص القدمين فيستعرض أمراض الرأس، ثم العين، ثم الأنف، ثم الأذن، والفم، ثم الحنجرة وهكذا ... وتناولت الأبواب الأخيرة عمل المراهم، والأدوية المختلفة، وأوزانها، وانتهاء بتفسير الأدوية في الباب العاشر.

وكان القصد من تأليف الكتاب جعله دليلاً طبياً سريعاً يلجأ إليه الحكيم حين يرغب في معرفة علاج مرض ما بسرعة، دون الغوص في التفاصيل المسهبة التي قد تضعيف وقته ووقت مرضاه.

إن التأمل في فصول هذا الكتاب يعطينا فكرة واضحة عن غزارة علم المؤلف وعن فطنته، وخبرته الواسعة، ولا يخفى الجهد الذي بذله في جمع هذه المادة الغزيرة وعرضها. وأن تداول هذا الطب الشعبي لم يخل من أسس علمية، ودراية، وفهم وشروط خاصة، وأنه لم يكن ممكناً لأي شخص أن يزاول هذه المهنة ويتقنها من فراغ، فكانت الممارسة مبنية على دراسة وأخذ عن شيوخ علم وإطلاع على كتب السابقين، ولذا فإننا لا نستغرب التقسيم العلمي الذي اتبعه صاحب الكتاب، وتركيزه على جوانب هامة في شرح الأمراض ودراساتها، فالعلم الحديث يقوم على التشريح وعلم الوظائف، ودراسة مسببات الأمراض، ودراسة مكونات الأدوية ونتائج استخدامها، والجوانب النفسية للعلاج وعبر كتاب "مختصر فاكهة ابن السبيل" شاهدنا نماذج كثيرة على ذلك.

حتى مقارنة بطبنا الحديث، فإننا نجد العديد من المعلومات الصحيحة والمتطابقة مع صاحب كتاب "مختصر فاكهة ابن

السبيل"، وبعض المعلومات تحتاج دراسة تخصصية في علم الأدوية لتجربتها⁽²¹⁾.

ومن الواضح أن كتاب "مختصر فاكهة ابن السبيل" يقع تحت ما يسمى بعلم الطب وقد يقع في الصيدلة كذلك. وليس ذلك مستغرب فلطالما اقترن هذان العلمان اقتراناً حميمياً لاحتياج الداء بعد تشخيصه إلى دواء يعالجه، أو يسكنه، أو يقضي عليه، ويذهب بعض الدارسين إلى أن "الحديث عن الأدوية المفردة لم يكن دائماً مستقلاً عن الحديث العام في الطب والصيدلة، بل كان جزءاً منه، يفرد بباب خاص ضمن أبواب تتصل بالطب، والصيدلة عامة"⁽²²⁾، ونستطيع القول باطمئنان إن هذه المخطوطة تقع تحت ما يُصطلح عليه في مصادر الطب العربي وتاريخه بكتب العلم والعمل، فهي تتحدث عن أجزاء جسم الإنسان والعلل التي تصيب هذه الأجزاء معتمدة على التشريح والتجربة من جهة، وتقدم الطرق المتنوعة الكفيلة بمداواة هذه العلل من جهة أخرى، يضاف إليها حديث طويل عن الدواء، وتركيبه، وأنواعه، وأوزانه.

ويمكن اختصار ملامح منهج المؤلف في النقاط الآتية:

- الاعتماد على الأدوية الموجودة المتوفرة التي تأكد من نتائجها وفعاليتها.
- الاعتماد على الملاحظة والتجربة في الوقوف على تأثير الدواء أو الجراحة في البدن، فما صحت تجربته وتأكد فعله عنده عني به ووصفه للمرضى.
- عني بتتبع مراحل تطور المرض مبيناً علامات المرض في كل مرحلة، والدواء المناسب لكل منها.
- يستطرد أحياناً في وصفه للعلاج، فيتطرق إلى أمراض وعلاجات غير التي تخص حديثه، كما فعل عند حديثه عن الفالج وعلاجه.
- الاعتماد على جميع أشكال الدواء المفرد منه والمركب، وعلى كافة صوره سواء ما كان منه شرباً أو حقناً أو حبوباً أو دهناً، وعلى الكي والفصد والحجامة وغيرها.
- وصف الكثير من العمليات الجراحية في كثير من أعضاء الجسد معتمداً على الوصف الدقيق لوضع الطبيب والمريض وطريقة إجراء العملية الجراحية ومحاذايرها، وتدارك مضاعفاتها، ومتابعة المريض بعدها حتى يتم له الشفاء.
- عنايته بغذاء المريض وبيان أثره سلباً وإيجاباً، واصفاً ما يجب تناوله لما له من أثر في سرعة الشفاء وما لا يجب تناوله لما له من مضاعفات.
- بين أن المرض يمكن أن يسببه أكثر من سبب كالصداع مثلاً فقد يكون بسبب حمى - أو بسبب خلط سوداوي، أو من برد، أو خلط حار ... الخ وبين أن لكل نوع منها دواء يناسبه.
- كان المؤلف صاحب ابتكارات جديدة علاجية وجراحية، وقد ذكر العديد منها مبيناً أنه لم يسبق إليها، أو أنها من اختراعه.
- التحذير من إهمال المريض والتأخر في علاجه، وما يمكن أن يفعله ذلك من مضاعفات قد تصل بالمريض إلى أمراض أخرى أشد وطأة يصعب علاجها.

وفي النهاية يمكن القول بأن الطبيب راشد بن عميرة بتقليبه الأمور على وجوهها، قد أكسبه ذهنه المفتوح قدرة على ربط النتائج بمقدماتها، واستخدام البرهان في وصف المرض، ووضع العلاج له من خلال الربط المنطقي بين المرض وأسبابه⁽²³⁾.

خامساً. عرض الأمراض التي ذكرها المؤلف:

وعندما نتحدث عن الأمراض التي ذكرها راشد بن عميرة في كتابه مختصر فاكهة ابن السبيل والذي أتبع فيه المنهج العلمي في

21 ينظر: عبد العزيز الفارسي: المنتدى الأدبي، ص: 99 - 137 .

22 بحوث في تاريخ الطب، إبراهيم بن مراد، ص372، وينظر كذلك أقرباذين القلاسي، ص5، وفيه: "لقد جرت العادة عند الأطباء السريان أن يقوم كل واحد منهم بوضع كتيب يكون بمثابة دفتر مذكرات خاص به، يذكر فيه أسماء الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى القدم، وإلى جانب كل مرض يذكر أسماء الأدوية المفردة، والمركبات الناجعة فيه..."، ولعل الطبيب راشد بن عميرة أفاد من تلك الطريقة المنهجية التي تعتمد على التجربة، وتراكم الخبرة، وقُرِن كل مرض بدوائه فجاءت كتبه حاوية للجانبين: الداء والدواء معاً.

23 أتقدم بالشكر والتقدير لدكتور العزير: وليد محمود خالص على كتابته عن راشد بن عميرة فقد استفدت منه كثيراً .

- وصف المرض وأسبابه ومن ثم علاجه، وهنا سوف أذكر نماذج من بعض الأمراض التي ذكرها في كتابه على سبيل المثال للحصر:
- في تدبير العوارض النفسانية: ينبغي أن تحذر من إدامة الفكر والهم والغم، فإنها تجلب أمراضا صعبة. واعلم أن آفة القلب الهم والغم، وراحته في الفرح والسور. فإذا كثُر الهم والغم على الجسم نحل.
 - داء الثعلب: هو تهرط الشعر.
 - الورم الرخو تحت جلدة الرأس: علامته: إذا غمرت عليه بأصبعك غاب.
 - الصداغ الحار: علامته: حرارة الملمس، وحُمرة اللون والعينين، وشدة العطش، وجفاف الفم.
 - عظم الرأس واعوجاجه: وعلامته: كبر الرأس عن المعتاد.
 - القوة⁽²⁴⁾: فهي من أمراض أحد جانبي الدماغ واسترخاء الجانب خاصة جميعه مع الوجه.
 - الكلف في الوجه⁽²⁵⁾: منه متقرح، ومنه غير متقرح. وسببه: خلط سوداوي تحت جلدة الوجه.
 - السرسام⁽²⁶⁾: هو ورم حار عن صفراء أو دم صفراوي في أحد حجابي الدماغ الداخلين، وأكثره ممّا يلي البطن المقدم أو إلى الوسط.⁽²⁷⁾
 - الصرع: هو شدة في بطون الدماغ، إما بلغم أو سوداء. وعلامته: الزبد الظاهر في الفم، والاضطراب، وتَهَيُّج في أوقات الغيم والأمطار.
 - الجفن والعين: الورديج: هو ورم في الجفن، أحمر غليظ.
 - أمراض الماق: أمراض الماق ثلاثة: الغرب⁽²⁸⁾، والسيلان⁽²⁹⁾، والغدة⁽³⁰⁾.
 - أمراض المتحمة: الرمد: وعلامته: كأن حصاة تدور في العين، وعظم عروقه، وانتفاخ المتحتم.
 - الطرفة⁽³¹⁾: فهي حمرة تحدث في المتحتم، إما من ضربة أو لغير سبب.
 - السبل: هو عروق غلاظ تملئ منها المتحتم. وعلامته: ترى العين كأن عليها غشاء، وتقع حُمرة ودمعة، وإذا رأى ضوء الشمس أصابه عطاس ودمعة.
 - الأمراض الحادثة بين العينية والقرنية: منها الماء: وهي رطوبة تجتمع على ثقب الحدقة. وعلامته: يرى كأن شيئا أمام عينيه يظهر كالبي⁽³²⁾ والذباب، أو كالشعر أو كالكواكب إذا انقضت، أو كالبرق أو كالغمام، وألوانه مختلفة، منه ما يُشبه الهواء
 - أمراض الأنف: الزكام⁽³³⁾: إما من برودة أو من حرارة، وأكثره من برودة. وعلامة البارد: امتداد الجبهة وسدة المنخرين. ثقل اللسان: مزاج البرودة. وعلامته: عُسر الكلام، وثقله على اللسان.
 - اللوزتان في الفم: أعلم أن اللوزتان إذا عظمتا، وطالت مدته ولم يتحلل، وعسر على صاحبه البلع، وضاق عليه النفس، ورأيت اللوزتين قد انتصبتا واستدارتا، وكان أصلها دقيقا، ولم تنجب فيهما الأدوية والغرغرة: فينبغي أن تُقَطَّع.
 - البخر⁽³⁴⁾: هو رائحة كريهة تخرج من الفم عند الكلام.
 - سبب ذلك رطوبة فاسدة عفنة في الجوف على فم المعدة، أو يكون في الفم والأسنان خاصة. وتعرف ذلك برؤيته، وهو

- 24 اللقوة: أن يتعوج وجه الإنسان فلا يقدر على تغميض إحدى عينيه. مفاتيح العلوم: ص 160.
- 25 الكلف "Chloasma (Melasma)": كمودة وكدودة يحدثان في لون الوجه، ويعرض في الأكثر للجبال. والشمس والبَرَش: نقط حمر أو سود تحدث في الوجه وفي سائر البدن. التوير في الاصطلاحات الطبية: ص 62.
- 26 السرام: حمى دائمة مع صداد وثقل في الرأس والعين وحمرة فيها شديدة وكراهية للنوء. ينظر: مفاتيح العلوم: ص 159.
- 27 قال ابن النفيس: ((السرسام وهو فرانطيس: ورم حار عن صفراء أو دم صفراوي في أحد حجابي الدماغ الداخلين، وأكثره مما يلي المقدم أو إلى الوسط، وقد يقال الورم الدماغ نفسه، وقد يعم الدماغ كله فتعم الآفة جميع الأفعال النفسانية.)). ينظر: الموجز: ص 152.
- 28 الغرب: هو خراج يخرج فيما بين الماق إلى الأنف ويفتح ويخرج منه مدة ورها صار ناصورا. كامل الصناعة الطبية: ص 296.
- 29 السيلان: نقصان اللحمية التي في الماق الأكبر حتى لا يمنع ما ينصب إليها من الرطوبات. ينظر: الكافي: ص 63.
- 30 الغدة: هي زيادة الماق الأكبر وهي نوع واحد من أمراض زيادة الغدد وأكثر وجوده شتاء، وللمرطوبين المزاج، وخاصة النساء، ويختص بالأمق حسب، وهو سليم. ينظر: الكافي: ص 162.
- 31 الطرفة: هو نقطة حمراء عن دم حادث عن ضربة، أو غليان مفجر للعروق، أو انفتاح فوهة عرق بسبب حركة عنيفة كالقيء. الموجز: ص 159.
- 32 بيّ: اسم يقع عندنا على البعوض أعني التاموس وهو غلط، والصحيح أنه: الفسافس، ويعرف في الشام ومصر: بالبق وهو حيوان أحمر، ورأسه أسود، وله أربع أصابع، سريع الحركة، يتولد بالأمكنة الحارة الرطبة، وزمن الصيف بالخشب والحصر والأراضي العفنة. ينظر: تذكرة أولى الألباب: 1/ 88.
- 33 الزكام: تجلب الرطوبات إلى الأنف من الرأس من حر أو برد. ينظر: التنوير في الاصطلاحات الطبية: ص 57.
- 34 البخر بالتحريك: الثَّن في الفم وغيره. ينظر: تاج العروس 2490/1.

- يذهب بالسوك. وأمّا الذي يكون في المعدة؛ فهو ينقص عند تناول الطعام.
- **العصاة والرمل:** علامته: خروج البول قليلا بحرقه، ورمّل في البول، ووجع في الخصرة والقطن والعجز.
- **البرص:** منه أبيض، ومنه أسود. فأما الأبيض: فهو بياض رديء في جميع البدن أو في بعضه، ويكثر. وسببه: خلط بلغمي بارد مستحکم.
- **وأما الجذام:** فهو حُمرة في الوجه، واتّساع في العين، وكمودة وبحوحة في الحلق مع الغنّة، وتآكل الأطراف، وتحوّل لحم الأصابع، وظهور الحزاز، وانتفاخ الوجه، وتنفّخ الرائحة، وحمرة الأطراف، وتعجزّ الوجه، ورقّة شعر الحاجبين، وحكّة في الجسد، وانتشار السوداء فيه، لا يجاوز إلى ستّة أشهر ثمّ يصعب.

سادسا. عرض الأعشاب الطبية التي ذكرها المؤلف:

هناك العديد من الأعشاب الطبية التي ذكرها المؤلف في مخطوطة فاكهة ابن السبيل والتي تقارب خمسمائة عشب طبية فقد ذكر الدواء بعد تشخيص المرض كما أفرد في نهاية المؤلف معجم الأعشاب الطبية مرتبة على المعجم من الألف إلى الياء، كما أنه حاول أن يعرّب بعض أسماء النباتات المستخدمة في الأدوية، كما أورد الطبيب راشد بن عميرة بعض أسماء النباتات المستخدمة في الأدوية بما هو مصطلح عليه في عمان.

- وهنا أذكر لكم بعض النباتات التي أستخدمها الطبيب راشد بن عميرة في هذه المخطوطة:
- **أَيْهَقَان**⁽³⁵⁾.
- **إيرسا**⁽³⁶⁾.
- **أسفوطن**⁽³⁷⁾: وفودّنج: وهو الغاغة⁽³⁸⁾.
- **إذخر:** هو الصخر وفقاغة⁽³⁹⁾ زهره.
- **إكليل الملك:** مقابلة الشمس، ويسمى بالفارسية: شاه أفتر، وسمي بإكليل الملك: لأنه جعله محمد بن زكريا إكليلاً أي تاجاً على رأس سلطان محمد حوار شاه لأجل صداد عرض له.
- **أيهل:** وهو العلعلان⁽⁴⁰⁾، وحة يسمى: جوز السرو وقيل جوز السرو وغيره.
- **أفتيمون:** الصعتر الرومي، وهو بري وجبلي، فالبري هو الحاشا، والجبلي هو المعروف بالجبل الأخضر بعمان، وقد يصنع الصعتر بالطين الأحمر وتغش به ويباع على أنه أفتيمون، ويعرف عنه بترطيبه بالماء ويفرك باليد فإنه يعلق منه في اليد.
- **بابونج:** هو الفرار وقيل هو حشيشه زهرها أصفر، ومنه أبيض، ومنه فرفري، وشجرته تشبه الأفحوان.
- **بنج أسود:** وهو المرنح⁽⁴¹⁾.
- **بزر قفوننا:** وسعفون [يبعون]⁽⁴²⁾ وأسفيوس: وهو البريهوا.
- **بذاورد:** وهو الشكاغي⁽⁴³⁾، وقيل هو غيره، إذا تحت رفوق الأرض تدرجها الرياح، وهو شوك أبيض شبه الحسك، إلا أنه أشد وأطول شوگا، وساقه يبلغ زراعين، وزهرة فرفري، وحبته أشد من حب القرطم إستدارة.

35 أَيْهَقَان: قيل إنه الجرجير البري. ينظر: المعتمد : ص 17.

36 إيرسا : وهو السوسن . ينظر : المعتمد : ص 17.

37 أسفوطن : الغاغة . ينظر : المختار : ص 72.

38 غاغة : الإسفوطن : نبات معمر طيب الرائحة يسمو إلى نصف متر ، ينبت في بلاد البحر الأبيض المتوسط على ضفاف الترع والمساقى يستعمله العامة في تحضير زيت الغليظة . ينظر : المختار : ص 263.

39 تَقْفَحَتِ الزَّوْدَةُ: تَقْفَحَتِ. والقَفْحُ: الزُّهْرُ من النَّبْتِ. والقَفْحُ: من العَطَرِ، ويُجَعَلُ في الأدوية. وفَقَّاحُ الإذْخَرِ: حَشِيشَةٌ. والقَفْحَةُ: مَعْرُوقَةٌ، سُمِّيَتْ بذلك لِتَقْفَحِهَا: وهو انْفِرَاجُهَا. وهي الرَّاحَةُ - بِلَقَّةِ التَّيَمَنِ -، ويُقال: فَقَّاحَةٌ. ينظر: المحيط في اللغة: ص 169.

40 العلعلان : هو العرعر. ينظر: عقائق الجمان: ص 161.

41 المرنح: البنج الأسود . ينظر : المختار : ص 370.

42 ينظر : المختار: ص 95.

43 باذاورد: الشكاغ. ينظر: المختار: ص 98.

- برقوقته: وسبان⁽⁴⁴⁾ : هو المشمش.
- بستنا نوتنا: والخيري: هو الخزاما البحري، شوب الحمام⁽⁴⁵⁾.
- بنفسج: والزنبق والسجلاط⁽⁴⁶⁾ وهو الياسمين، وقيل أيضا البنفسج غيرة.
- بقلّة الحمقاء: الخليقا⁽⁴⁷⁾، وتسمى بالفارسية: بيلون⁽⁴⁸⁾، وتسمى: الفرج، والبقله المباركة لكثرة منافعها، وتسمى: بقلّة الزهراء، والرجلة، والبقلّة الضاهرة، وصفوها بالمباركة: لكثرة منافعها، ووصفوها بالحمافة: لأنه كان يجب عليها أن تغرس نفسها، ولا تنبت كل مكان، ولا تستردل، وسموها بقله الزهراء: لأنها كانت الزهراء رضي الله عنها تحبها فاضيفت إليها، وقيل الحمقاء: لأنها تنبت في المسيل فيذهب بها السيل فوصفت بالحمق، وسميت رجلة: لضعفها.
- ترمس: وسذاب فيجن: وهو الخنف⁽⁴⁹⁾، وقيل الترمس: وهو الخيل⁽⁵⁰⁾، وهو صمغ الأنجدان، وصمغة الريح، والحلتيت كله الخيل.
- ترنجبين: طل يقع في مصر وخراسان وما وراء النهر على شجر معروف باسترخار.
- تربد: وتربد هو عرق بورشا⁽⁵¹⁾.
- ثمرة القدس: هو المر.
- جاورس [جاورش]: والجورشك [جاورش] قيل الذرة، وقيل الدخن، والحفت: الشعير وقيل قشره، والواجب: الدخن أيضًا.
- جادي⁽⁵²⁾: هو الزعفران، وبالفارسية: كركم، قيل أن ثلاثة مثاقيل من الزعفران يقتل بالتفريح، وعروق الصفر: عروق الزعفران.
- جوز هندي: النارجيل.
- جلنار: هو زهر الرمان والنارمشك⁽⁵³⁾، وفيه ثمرة الرمان الغص، والجلنار ما طلع منها، وقيل الجلنار زهر الرمان البري.
- حرف البلسان: هو الترياق، وهي شجرة مصرية تنبت في موضع يقال له عين الشمس، ودهنه أنفع من حبه، وثمره أسود كالفلفل.
- حب الغرور: وحب الحار: هو العرش، وبالفارسي: بيدا نجير.
- حي العالم⁽⁵⁴⁾: حوى النخل، والهندباء: حوى الحضب، والمرار: الحوى البري.
- حومر: والتمر هندي: هو الصبار.
- حُؤاري: بضم الحاء وتشديد الواو والألف المفتوحة، وهو أن يجرد البر حتى يذهب قشره.
- حرف [حب الرشاد]: وحلف، وحرف، وجبة الحمراء، وجبة الصبيان: وهو الثفاء.
- الحبة السوداء: الشونيز.

- 44 ينظر: المختار: ص 96.
- 45 شوب الحمام (Malva neglecta-Wallr): شوب الحمام أو الخبيز نبات بري ينمو على جانب الطريق وفي الأراضي الخالية، له أوراق مستديرة مجنحة ومسنة ساق مكسوة بشعيرات دقيقة وكذلك الفروع وأزهار مجوفة عند الرأس لونها أحمر فاتح ومخططة بخطوط قائمة. ينظر: عقائق الجمان: ص 83.
- 46 سجلاط: هو الياسمين. ينظر: تذكرة أولي الأبواب: 2/ 204.
- 47 خليقا: هي الفرفية أو رجلة أو بقلّة حمقاء أو غنيمية. ينظر: عقائق الجمان: ص 264.
- 48 ينظر: المختار: ص 99.
- 49 ينظر: المعتمد: ص 201.
- 50 الخيل: هو أنجدان، ويسمى بالفارسية "وخشيزك" ومعناها قاتل الدود، وهي ذات رائحة كريهة لاتطيقها النفس، وهي عبارة عن مادة لزجة صفراء تهمل إلى اللون البني. ينظر: الطب الشعبي: ص 368.
- 51 ينظر: المختار: ص 111.
- 52 ينظر: المعتمد: ص 186.
- 53 نارمشك: تأويله بالفارسية: مشك الرمان، وهو رمانة صغيرة مفتحة. ينظر: المعتمد: ص 186.
- 54 حي العالم: الحوى. ينظر: المختار: ص 142. والحوى (Reichardia tingitana): وهو نبات قريب في شكله من الهندباء البرية له زوائد غشائية وأوراق حمراء أو خضراء ينمو بجانب السواقي والأفلاج، وينبت برياً في السيوح وعلى سفوح الجبال. ينظر: عقائق الجمان: ص 81.

سابعا. الدواء وتركيبه في مخطوطة فاكهة ابن السبيل :

من خلال محور الدواء وتركيبه ذكر المؤلف الكثير من التراكيب الدوائية التي تعالج الكثير من الأمراض من خلال عمل المراهم، والذورات، و المعاجين، والأشربة، والأدهان، والحبوب، والحقن، وهناك الكثير من التركيب التي ذكرها المؤلف، ونذكر بعض من هذه التركيب بشكل مختصر من خلال السطور القادمة.

- **عمل المراهم:** مرهم الخل: يُنبت اللحم، ويُذهب القروح. مرداسنج وصبر مسحوق أوقية، يُدق ناعما، ويضرب في الهاون بالزيت والخل، من كل واحد أربع أواق، يضرب بالتحريك ضربا جيدا حتى يستوي. وإن أردت أن يكون تخفيفه أقوى: فائق عليه العرق⁽⁵⁵⁾ المدقوق المطحون وزن درهمين، قليلا قليلا، ويضرب بدستج⁽⁵⁶⁾ في الهاون حتى يستوي، ويستعمل.
- **مرهم الزنجار:** زنجار درهمان، علك وصمغ ومرداسنج، من كل واحد خمسة دراهم، يُسحق الزنجار، ويداف باقي الأدوية بالزيت قدر الحاجة، ويُدق عليه الزنجار، ويضرب حتى يستوي، ويستعمل.
- **مرهم الداخيلون:** بزر كُثان وحلبة وخظمي أبيض، من كل واحد كيلة، يُنقع كل واحد وحده على حدة، من كل واحد رطل ونصف. ثم يؤخذ رطل ونصف مرداسنج، ويُسحق ناعما، ويغلى بثلاثة أراطال من الزيت حتى ينقذ ويتغير لونه، ثم يُغلى الألعية على حذتها، ثم يُنزل عن النار، ويُلقى عليه المراداسنج والزيت قليلا قليلا، ويقعد على نار ليئة، ويرفع.
- **الذورات:** ذرواتي محجن: يُلصق قطع السيف والسكين، ويحبس الدم. أنزروت، مَر، صبر، دم أخوين، بالسوية، وبعض الأطباء يزيد فيه زنجارا وراتنجا وأشقا، من كل واحد جزء، تُجمع الأدوية مدقوقة منخولة، وترفع في إناء، وتستعمل.
- **ذور أصفر:** ستة دراهم أشياف، مامينا ثلاثة دراهم، صبر سقطرى دانقان، ذور أبيض ستة دراهم، يُدق ناعما وينخل، ويذّر.
- **المعاجين:** معجون: يطرّد كل ريح من الجوف، ويقطع الرطوبات الفاسدة، ويفتح السدد، ويغوص في أعماق العروق، ويخرج العلل من أقطارها، ولا يستقيم معه داء في البدن. صبر سقطرى وحب الرشاد وحب السوداء وفلفل وزنجبيل وهليلج أسود، سواء، يُدق الجميع، ويعجن بعسل منزوع الرغوة، ويستعمل على الريق كل يوم مثل الجوزة، فإنه صحيح مجرب.
- **معجون الثوم:** النافع من الريح والبواسير وبرد الكلى، ويقتل الدود، ويصفي اللون، ويزيد في النظر، ويُذكي، ويذهب بالبغم والسعال ومن كل داء، وينفع الارتعاش⁽⁵⁷⁾ والفالج واللقوة، ويُخرج الحيات من البطن والبرودة وأوجاع الظهر والأوراك. رطل ثوم مقشر ومدقوق، يُطرح عليه ثلاثة أمثاله لبن حليب، ويطرح عليه ربع سمن، ويوقد تحته بنار ليئة حتى يذهب اللبن ويبقى السمن، ويطرح عليه عسل. فإذا انعقد الثوم بالسمن: يُصفي السمن منه. وهو للذع الهوام⁽⁵⁸⁾. ويؤكل منه قدر ملقعة، ويشرب عليه ماء باردا، فإنه جيد إن شاء الله.
- **معجون الفلاسفة:** يُسُمونه مادة الحياة: فلفل، دار فلفل، زنجبيل، دار صيني، أملج، شيطرج، زراوند مدور شامي، عروق بابونج، لب حب الصنوبر، يُدق وينخل، ويؤخذ منه مثل الأدوية عسلا، فيعقد، ويعجن به الأدوية.
- **أعمال المياه:** ماء العسل: عسل جزء، ماء جزآن، يُطبخ بنار ليئة، وتؤخذ رغوته، ويغلى حتى يبقى ثلثه، ويُنزل عن النار ويصفي. وكذلك ماء السكر. فإذا أردنا أن نُقويه: صبرنا بعد نزع الرغوة مصطكي وزعفران، وغير ذلك من الأقاوية.
- **ماء الحصرم:** أجوده السلاف الصرف، وهو أن ينتر من عنقوده، ويعصر باليد، ويجعل في الشمس، ويُجعل فيه نعنح. وإن كان كثيرا دق بالمداق، وعصر الحبات الخوض تحت السهم، ويُصفي ماؤه، ويطرح على ثجير الماء، ثم أعيد عصره، ورفع إلى الأواني الزجاج، وعلى رؤوسها النعنح.
- **الأدهان:** دهن الورد: يُقطف الورد الطري الناشف من الماء، ويحطّ معه حل السمسم في قدر ربع، ويوضع في قارورة، ويوضع في الشمس عشرين يوما في البلاد الحارة، وفي الباردة شهرا.

55 عروق صفر، بقلّة الخطاطيف - شجرة الخطاطيف: منسوب إلى الخطاف لأنه ينبت في زمان مجيء الخطاطيف. وعروق الصباغين - خاليدونيون - ماميران - الدواء الخطافي - حنطة برية - الصنف الصغير من عروق الصباغين - الجزع - عرق سوس - عقيل - خرمينا - شلش حلاوة . ينظر: المعتمد : ص 289.

56 الذُشَيْخُ : بكسر المنة الفوقية (: آتية تحوّل باليد) وتثقل ، فارسي (مُعَرَّبٌ دَشي) . ينظر: تاج العروس:5/566.

57 الرعشة : حركة العضو من غير إرادة . ينظر: التنوير في الاصطلاحات الطبية: ص 53 .

58 الهوام: الميم مُشَدَّدة الواحدة هامة فمنها الورد والعظاية والجرباء والعشود وسالم أبرص والعقرب والحية ودخال الأذن العنكبوت والظئاة والشَّيْبَت والتُّبْعَة وكل دابة لا تؤكل . ينظر : المخصص:2/306 .

- **الحبوب : حب الشيطرج :** تربد عشرة دراهم، صبر سقطري عشرين درهماً، زنجبيل وخردل أبيض، وملح هندي، ووج وشيطرج من كل واحد درهماً، دار فلفل، وفلفل، وعافر قرحا من كل واحد درهم، فانيد سكري أربعة دراهم، يدق الجميع ناعماً ويعجن بماء الكرنب⁽⁵⁹⁾ ويحبب ويجفف في الظل.
- **الجوارشنان : جوارشن الخُرْثُوب⁽⁶⁰⁾ :** وهو سفوف وصفته: خُرْثُوب نبطي مُنْقَى من حبة، وكمون كرمانى منقوع بخل خمر يوماً وليلة، يجفف في الظل، مقلو رطلان، فلفل أسود ثلاث أواقى، زنجبيل أربع أواقى، بورق أرمنى عشر دراهم، ورق السذاب المجفف في الظل أربع أواقى يدق وينخل ويعجن بثلاثة أمثاله عسلاً منزوع الرغوة. ومن الأطباء من يجعل فيه: قشور السليخة، وقرفة، وقرنفل، وحب البلسان، وسنبل، ومصطكي من كل واحد أربعة دراهم.
- **الشيافات: شياف أبيض:** أسفيداج الرصاص جزء، كثيراء، وأنزروت من كل واحد نصف جزء، يدق وينخل ويعجن ببياض البيض ويشف.
- **الحقن:** أجود ما أستعمله المؤلف: قبضة حيدة حرممل وبرص⁽⁶¹⁾، ويغلى بثلاث الصاع ماء وكف ملح يغلى الجميع حتى يطلق مرخه وتصل وتستعمل.
- **حقنة أخرى:** ماء حرممل مكوك، ومثله مرس التمر الجيد، ومثله ماء ورق الملويا، يغلى الجميع ويصل ويوضع فيه كياس حل سليل، ويشاط شوطاً جيداً ويستعمل.
- **أعمال الأدوية على الأنفراذ: عمل الأطرِفَل الكبير:** هليلج كابلي وأسود، ولبليج، وشير ألمج منزوع النوى، وفلفل أسود، ودار فلفل من كل واحد ثلاثة دراهم، زنجبيل، وبوزيدان⁽⁶²⁾، وبسبابة، وشيطرج هندي، وشقاق⁽⁶³⁾، وفودنج أبيض وأحمر، ولسان العصافير⁽⁶⁴⁾، وبذر الرمان البري وهو: حب الفلفل، ومسمم مقشر، وسكر طبرزد، وخشخاش أبيض من كل واحد جزء، تجمع الأدوية منخولة وتعجن بعسل منزوع الرغوة بعد أن يلت بسمن بقر ويرفع في إناء ويستعمل عند الحاجة.

ثامنا. الخاتمة:

أن التداوي بالأعشاب يعتبر من الظواهر العريقة في شبه الجزيرة العربية منذ قديم الزمان، وكان الأطباء العرب القدماء يؤمنون بأنه لا يوجد مرض لا يمكن علاجه بالنباتات، وقد تدرجت معرفة هذا النوع من التداوي من جيل إلى جيل حتى كونت ما يسمى بالطب الشعبي في العالم العربي.

ولكن تبقى بعض المعوقات في استخدام الأعشاب في زمننا هذا وهو عدم معرفة بعض أسماء الأعشاب التي تم وصفها في المؤلفات القديمة أو اختلاف اسمها من منطقة إلى أخرى، وافتقار العديد من المتعاطين للطب الشعبي للعلم والخبرة.

أن كتاب "مختصر فاكهة ابن السبيل" يقع تحت ما يسمى بعلم الطب وقد يقع في الصيدلة كذلك. وليس ذلك مستغرب فلطالما اقترن هذان العلمان اقتراناً حميمياً لاحتياج الداء بعد تشخيصه إلى دواء يعالجه، أو يسكنه، أو يقضي عليه، ويذهب بعض

59 والكُرْثُوب (Cablage): الكُرْثُوب النبطي هو الكُرْثُوب على الحقيقة، وهو شبيه بالسلق، وهو صغير القلوب، وهو صنفان: جعد وسبط، وكلاهما يؤكل سافه وورقه، والجعد أطيب طعماً، وأصدق حلاوة. وقيل: إنه بارد، وهو منضج ملين، ورماد قضبانته قوي التجفيف، وينضج الصلابات، ويدمل ينظر: المعتمد: 379 - 380.

60 الخُرْثُوب (The carbo tree): شجر ثمر من الفصيلة القرنية، ثمرته الخرنوبة أو الخروبة، قرن يؤكل ويستخرج منه دبس، ويطنح فيصبح دقيقاً يستعمل في صنع الخبز في بعض البلدان. ينظر: قاموس الغذاء: ص 199. وهو ثلاثة أصناف: نبطي، وشامي، وبري، أجودها الشامي المجفف، بارد يابس في الثانية. ينظر: المعتمد: ص 113.

61 برص: البرص: الثنب الذي يُشَبَّ السَّعْدَ، ينبت في مجاري الماء. ينظر: الشوارد: ص 81.

62 (بوزيدان: هو أصول صلبة مصمتة، تشبه الهمن الأبيض، وتنفع من النقرس وأوجاع المفاصل، وهو دواء هندي قبل التصرف. وقال: هو ضرب من المستعجلة، حار يابس في الثالثة، ينفع من الأمراض الباردة، ويذيب الأخلاط الغليظة. ينظر: المعتمد: ص 42.

63 شقاق: من جنس اليقطين، ومن نوع الجنبنة، ورقة كورق القنطريون، وله قضبان رقاق وزهر أصفر يظهر في آخر الربيع، يخلفه بزر أسود مدرج في قدر الكرسة، وله أصول في غلط السبابة طوال تدب تحت الأرض، بين الصفرة والبياض فيها تحزير كالذي في الخولنجان، في طعمها حلاوة. ينظر: حديقة الأزهار: ص 347.

64 لسان العصافير (Ash-tree): شجرة تشبه شجرة الدار، وقيل هي بعينها، لها ورق كورق اللوز، ولون خشبها وأغصانها مائل إلى الحمرة، ولها ثمرة مثلث الشكل طويل الطرف الواحد عريض الآخر، شبيه بلسان العصفور، وطعمه مر غصص، طيب الرائحة. ينظر: حديقة الأزهار: ص 160.

الدارسين إلى أنَّ "الحديث عن الأدوية المفردة لم يكن دائماً مستقلاً عن الحديث العام في الطب والصيدلة، بل كان جزءاً منه، يفرد باب خاص ضمن أبواب تتصل بالطب، والصيدلة عامة"⁽⁶⁵⁾، ونستطيع القول باطمئنان أنَّ هذه المخطوطة تقع تحت ما يُصطلح عليه في مصادر الطب العربي وتاريخه بكتب العلم والعمل، فهي تتحدث عن أجزاء جسم الإنسان والعلل التي تصيب هذه الأجزاء معتمدة على التشريح والتجربة من جهة، وتقذّم الطرق المتنوعة الكفيلة بمداواة هذه العلل من جهة أخرى، يضاف إليها حديث طويل عن الدواء، وتركيبه، وأنواعه، وأوزانه.

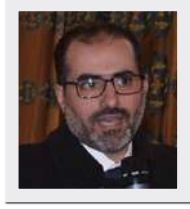
ومن خلال هذه الورقة التي تم تسليط الضوء على مخطوطة فاكهة ابن السبيل وبعض محتوياتها، وعلى مؤلفها الطبيب راشد بن عميرة، والتي وضعتها بشكل مختصر بين أيديكم تاركنا لكم البحث في هذه المخطوطة والتي قمت بتحقيقها ودراستها والحصول على درجة الدكتوراه من خلالها، ومن ثم طباعتها ونشرها من قبل وزارة التراث مشكورين، وما هذه المشاركة إلا فرصة لتعاريف بالتراث الطبي العماني ونشره، شاكر ومقدرا جهود كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس على إتاحة الفرصة للمشاركة في هذا المؤتمر.

وآخر ما أتمنى أن يحظى هذا الكتاب بالدراسة من قبل المختصين بالطب والصيدلة والاستفادة منه ليكون دليل لعلاج بعض الأمراض من خلال تجربة الأعشاب والأدوية ومدى مناسبتها من خلال مختبرات علمية، والحصول على الموافقة على استخدامه من قبل المؤسسات المتخصصة في انتاج الدواء، والله ولي التوفيق.

تاسعا. قائمة المصادر والمراجع:

1. الأهوازي، علي بن العباس / كامل الصناعة الطبية، تحقيق: محمد ظافر الوفاي و محمد رواس .سورية : وزارة الثقافة، 1997م.
2. ابن النفيس/ الموجز في الطب، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004 م.
3. ابن النفيس/الموجز في الطب، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الثانية 1997م.
4. البطاطي، سيف بن حمود بن حامد / إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج2، مسقط: وزارة التراث، 1994م.
5. التزكجاني، الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر الغساني / المعتمد في الأدوية المفردة للعلاج بالأعشاب والنباتات، القاهرة: دار الفضيلة، 2006 م.
6. الحلبي، خليفة بن أبي المحاسن/الكافي في الكحل، تحقيق: محمد ظافر الوفاي، محمد رواس، ايسيسكو، 1988م.
7. الخوارزمي " محمد بن أحمد " /مفاتيح العلوم، الشركة الدولية للطباعة، 2004 م.
8. داود الأنطاكي / تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجائب، بيروت : مؤسسة الأعلمي.
9. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر/ مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر بيروت: مكتبة لبنان، 1995م.
10. راشد بن عميرة، فاكهة ابن السبيل: مخطوطة مطبوعة دون تحقيق ج: 1.
11. الزبيدي، محمد مرزقي /تاج العروس، تحقيق: د. ضاحي عيد الباقي، عبد اللطيف الخطيب. الكويت، 2001 م.
12. سيف بن حمود بن حامد البطاطي، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، مسقط: وزارة التراث 1994 م ج: 2.
13. عبد العزيز الفارسي: المبتدئ الأدبي، مسقط.
14. الغساني، أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم / حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، ط2، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1990م.
15. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب /القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
16. القمري، الحسن بن نوح /التنوير في الاصطلاحات الطبية، تحقيق: د. غادة الكرمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1411/1991.
17. محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتب العلمية 1990م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: ج: 4.

18. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، بيروت: المكتب الإسلامي 1987م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي.
19. محمد صالح ناصر، و سلطان مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المشرق، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006 م.
20. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: ج 4.
21. معجم البلدان، ياقوت ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله، بيروت: دار الفكر، ج 3.
22. وزارة التراث والثقافة/ فهرس المخطوطات: الطب والكيمياء، مج 4، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006م.
23. وليد محمود خالص، من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، مسقط: المنتدى الأدبي، 2006م.



المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها

تشغيل النص التراثي في الدرس الطبي المعاصر: نحو تكوين طبي متكامل

البشير بنجلون

أستاذ الجراحة العامة

لجنة التراث

كلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

مقدمة

تُعد دراسة النصوص التراثية في مجال التعليم الطبي من القضايا العلمية المحورية التي تتجاوز النظرة التقليدية للتراث كمجرد شواهد تاريخية، لتصبح مدخلاً أساسياً لفهم السرورة المعرفية التي شكلت الممارسة الطبية عبر العصور. فالنصوص التراثية الطبية، من برديات فرعونية إلى مخطوطات إسلامية، ليست وثائق تاريخية فحسب، بل هي مستودعات غنية للملاحظة السريرية الدقيقة، والتجريب، والأخلاقيات المهنية. يشكل تشغيل هذه النصوص في السياق التعليمي المعاصر جسراً يربط بين عبقرية الماضي وحكمة الحاضر، مما يثري التجربة البيداغوجية عبر إدخال البعد التاريخي، الفلسفي، والحضاري على التكوين العلمي للطبيب، لينشأ طبيباً ملماً بعلوم عصره، وواعياً بجذوره، وقادراً على التفكير النقدي^[3-1].

أولاً: التعليم الطبي في الحضارات القديمة: الأسس التأسيسية

شكلت الحضارات القديمة البنات الأولى للمعرفة الطبية المنظمة، حيث انتقل الطب من الممارسة الغريزية والشعائرية إلى بدايات الملاحظة المنهجية.

الحضارة المصرية القديمة: تميزت بدقة الملاحظة والتسجيل، كما تجلّى في بردية إدوين سميث^[4] (حوالي 1600 ق.م) التي وصفت 48 حالة جراحية بطريقة منهجية (فحص، تشخيص، علاج) تشبه إلى حد كبير الأسلوب العلمي الحديث. أما بردية إبيرس فكانت بمثابة دورة صيدلانية شاملة، مسجلة مئات الوصفات الدوائية المستخلصة من النباتات والمواد المعدنية^[4].

الحضارة الهندية القديمة: طورت نظاماً طبياً متقدماً تجلّى في الايورفيدا (علم الحياة)، الذي يركز على التوازن بين عناصر الجسم الثلاثة (فاتا، بيتا، كافا). برزت مدارس مثل تاكاشاشيلا كمراكز تعليمية طبية مهمة. قدمت نصوص مثل سوشروتا سامهيتا^[5] وصفاً دقيقاً لأكثر من 300 عملية جراحية و120 أداة جراحية، بما في ذلك جراحة التجميل وإزالة الساد (الماء الأبيض).

الحضارة الصينية القديمة: تأسس الطب الصيني على فلسفة التوازن بين الين واليانغ وتدفق الطاقة (تشي) في مسارات الميرidian. طورت الوخز بالإبر والعلاج بالأعشاب كنظام متكامل. تم تدريس هذه المبادئ عبر التلمذة العملية ودراسة النصوص الكلاسيكية مثل هوانغدي نيجينغ^[6] التي جمعت بين الفلسفة والطب العملي.

اليونان القديمة: مثلت مدرسة أبقرراط (حوالي 460-370 ق.م) نقلة نوعية بتركيزها على الملاحظة العقلانية وتخليص الطب من

السحر والشعوذة. قدمت مفاهيم مثل "الطبيعة الشافية" (Vis Medicatrix Naturae) وأسست لأخلاقيات المهنة عبر "القسم الأبقرطي"، كما ربطت بين البيئة والصحة في أطروحة "الرياح، المياه، والأماكن" [7].

الحضارة الرومانية: ورثت المعرفة اليونانية وطورتها، حيث أضاف جالينوس (129-200 م) من خلال تشريح الحيوانات فهماً مفصلاً لوظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) ونظرية الأخلاط الأربعة (الدم، البلغم، الصفراء الصفراء، السوداء) التي سيطرت على الفكر الطبي لأكثر من ألف عام [7].

جدول (1): مقارنة بين مناهج التعليم الطبي في الحضارات القديمة

الحضارة	المحور الأساسي للمنهج	آليات التعليم	الرموز البارزة	الإسهامات الرئيسية
المصرية	التدوين والتجريب العملي	نقل الخبرة عبر البرديات	إيمحتب	الجراحة، التحنيط، الصيدلة النباتية
الهندية	التوازن بين عناصر الجسم	التلمذة في المراكز التعليمية	سوشروتا، شاراك الايورفيدا	الجراحة التجميلية
الصينية	التوازن (ين-يانغ) وتدفق الطاقة	التلمذة العملية ودراسة النصوص الكلاسيكية	الإمبراطور الأصفر	الوخز بالإبر، العلاج بالأعشاب، التشخيص بالنبض
اليونانية	الملاحظة والعقلانية	المدارس الفلسفية والطبية	أبقراط	الأخلاقيات الطبية، الربط بين البيئة والمرض
الرومانية	التطبيق والنقل المنهجي	التجميع والترجمة	جالينوس	تطوير علم التشريح المقارن ونظرية الأخلاط

ثانياً: الحضارة الإسلامية: ذروة التكامل والنضج العلمي

تميز التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية منهجية دقيقة جمعت بين الأسس النظرية المتينة والتطبيق العملي الرصين. اعتمدت هذه المنهجية على دراسة الكتب الطبية الكبرى التي شكلت أركان التعليم، مثل "القانون في الطب" لابن سينا [1] و"الحاوي" للرازي [2]. لم يكن الهدف مجرد حفظ هذه النصوص، بل فهمها ومناقشتها في حلقات علمية تحت إشراف أساتذة متخصصين.

انتقل الطالب بعد بناء قاعدة نظرية قوية إلى مرحلة التطبيق العملي في البيمارستانات، مثل بيمارستان العسدي في بغداد أو النوري في دمشق أو المنصوري في القاهرة [8-11]. كان الطلاب يرافقون الأطباء في جولاتهم اليومية لمراقبة كيفية فحص المرضى وتشخيص الأمراض ووصف العلاج، ثم يتدرجون إلى الممارسة تحت الإشراف المباشر لأستاذهم، الذي كان يصحح أخطاءهم ويوجههم.

لضمان جودة الممارسين، كان على الطالب اجتياز امتحان عملي صارم أمام رئيس الأطباء ليحصل على "إجازة" لمزاولة المهنة. وكان الاهتمام بالأخلاق الطبية، المستمدة من تعاليم الإسلام، ركناً أساسياً في التكوين، حيث شددت كتب مثل "أدب الطبيب" للرهاوي [7] على قيم الرحمة والصدق وحفظ السر.

لم يقتصر النظام على الطب العام، بل سمح بالتخصص في مجالات دقيقة مثل طب العيون والجراحة، كما تجسد في مسيرة أعلام مثل الزهراوي وابن النفيس [3,7]. وهكذا، أسست الحضارة الإسلامية نموذجاً تعليمياً متكاملاً جمع بين النظرية والتطبيق، ووضع معايير للكفاءة والأخلاق، ظل تأثيرها العالمي قروناً طويلة.

ثالثاً: أثر النصوص التراثية في الدرس الطبي المعاصر: مقاربات عملية

يمثل التراث الطبي الإسلامي والعربي رافداً معرفياً يمكن توظيفه بفعالية في التعليم الطبي المعاصر لتحقيق عدة أهداف:

إثراء المناهج الدراسية: إدراج نصوص مختارة من "القانون" أو "الحاوي" في مساقات الطب الباطني أو الجراحة لتوضيح تطور المفاهيم التشريحية والفسيولوجية والمرضية^[1,2].

تعليم أخلاقيات المهنة: استخدام "وصية الطبيب" لابن سينا أو "أخلاق الطبيب" للرازي كنقطة انطلاق لمناقشة قضايا معاصرة مثل سرية المريض، العلاقة بين الطبيب والمريض، والموافقة المستنيرة^[1,2].

تنمية التفكير النقدي: مقارنة المناهج التشخيصية والعلاجية القديمة (مثل نظرية الأخلاط) بالنماذج الحديثة (الطب القائم على الأدلة)، مما يشجع الطالب على فهم كيف تتطور النظريات العلمية وتتغير^[7].

إحياء المصطلحات الطبية العربية: العديد من المصطلحات المستخدمة حالياً (مثل البطن، الأذين، الشريان، الوريد) لها أصول عربية. فهم هذه الجذور يعمق فهم الطالب للغة الطب ويقوي هويته العلمية^[13].

جدول (2): مجالات استثمار النص التراثي في التعليم الطبي المعاصر

المجال	الهدف التعليمي	أمثلة تطبيقية من التراث	الربط بالمعاصر
المعرفة السريرية	فهم تطور المفاهيم المرضية	وصف ابن سينا للسل الرئوي وأعراضه	مقارنته بالفحص المجهرى لبكتيريا السل
المهارات الجراحية	تتبع تطور التقنيات	آلات الزهراوي الجراحية ووصفه لعمليات استئصال اللوزتين	تطور المناظير الجراحية والأدوات الروبوتية
الأخلاقيات	بناء إطار قيمى للمهنة	نصائح الرازي للطبيب في "أخلاق الطبيب"	مناقشة مدونات السلوك الطبي الحديثة
الصيدلة	التعرف على أصول العقاقير	وصف الدواء في "الحاوي" أو "القانون"	البحث في المكونات الفعالة لتلك النباتات اليوم

رابعاً: استراتيجيات وتطبيقات عملية لتشغيل النص التراثي

لا يجب أن يقتصر الأمر على سرد تاريخي، بل يجب تحويله إلى أنشطة تعليمية فعالة.

المقارنة التاريخية: تقسيم الطلاب إلى مجموعات لمقارنة وصف مرض معين في نص تراثي مع وصفه في مرجع طبي معاصر^[22]، ومناقشة أوجه الشبه والاختلاف.

دراسة الحالة القائمة على التراث: تقديم حالة سريرية كما وردت في المخطوطات وطلب من الطلاب تشخيصها باستخدام معارفهم الحديثة، ثم مناقشة كيف تعامل الطبيب القديم معها ولماذا^[3-1].

المحاكاة والتمثيل: تمثيل محاكاة لمناظرة طبية في بيمارستان إسلامي، حيث يناقش "طالب" تشخيصه لحالة تحت إشراف "أستاذ" يستند إلى النصوص^[6].

مشاريع البحث: تشجيع الطلاب على إجراء أبحاث صغيرة حول فعالية بعض النباتات الطبية المذكورة في التراث باستخدام قواعد البيانات العلمية الحديثة مثل Pubmed^[17].

خامساً: نموذج تطبيقي متعمق: درس حول الانسدادات المعوية الحادة

الهدف: توضيح كيفية دمج النص التراثي في درس سريري معاصر

المرحلة التمهيدية (قبل المحاضرة): يُطلب من الطلاب قراءة من كتب ابن سينا أو الزهراوي أو... التي تصنف "أمراض القولنج" (الاسم التاريخي للآلام البطنية الشديدة والانسدادات).

أثناء المحاضرة: يعرض المحاضر تصنيف ابن سينا لأنواع القولنج (مثل الإيلوس - الانسداد، التفلي - الانغلاف، الريحي - المغص، الورمي - الالتهاب).

جدول مقارنة: يناقش المحاضر مع الطلاب كيفية مطابقة هذه التصنيفات القديمة مع التصنيفات الحديثة للانسداد المعوي (آلي، شلي، عصبي، وعائي).

المنافشة تركز على دقة الملاحظة: كيف استطاع الأطباء القدماء، دون تقنيات التصوير، التمييز بين أنواع مختلفة من الانسداد بناءً على العلامات السريرية وحدها^[3-1].

تطور العلاج: مقارنة العلاجات التي اقترح (الحقن الشرجية، المسكنات العشبية، التدخل الجراحي في الحالات المستعصية كما عند الزهراوي) مع البروتوكولات الحديثة (السوائل الوريدية، أنبوب أنفي معدي، الجراحة).

استخلاص العبر: ما الذي يمكن أن نتعلمه من منهجية التشخيص القائمة على الملاحظة السريرية الدقيقة في عصر يعتمد heavily على التقنيات؟

سادساً : درس طبي حول الإنسدادات المعوية الحادة

نقدم من خلال هاته الورقة نموذج لدرس طبي حول علم الأعراض السريرية لطلبة الطب السنة الثانية بكلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس.

- درس (شرائع) علم الأعراض الجراحية للجهاز الهضمي بالفرنسية.
- أطروحة ترجمة علم الأعراض الجراحية للجهاز الهضمي للدكتور محسن عمري.
- أرجوزة ابن طفيل.
- ابن سينا - القانون.
- ابن رشد - الكليات.
- درس (شرائع) علم الأعراض الجراحية للجهاز الهضمي بالفرنسية.



OCCLUSIONS INTESTINALES AIGUES

الانسدادات المعوية الحادة

Acute intestinal obstruction

Pr El Bachir Benjelloun

FMPDF

November 2023

شريحة 1: عنوان درس علم الأعراض السريرية لطلبة الطب السنة الثانية بكلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس.

الأهداف البيداغوجية^[1]:

- تعريف الانسداد المعوي الحاد.
- وصف العواقب الفيزيولوجية المرضية لانسداد الأمعاء.
- تصنيف الانسدادات المعوية.
- تشخيص الانسداد المعوي.
- تفسير الاستكشافات الإشعاعية.
- ذكر مسببات مختلفة للانسدادات.

فهرس الدرس:

- Définition تعريف
- Physiopathologie الإعراضية
- Classification آليات الانسداد المعوي
- Sémiologie clinique علم الأعراض السريرية
- Sémiologie radiologique علم الأعراض المشعاعية
- Sémiologie radiologique علم الأعراض المشعاعية

تعريف [1] [11]:

DEFINITION

التعريف

Arrêt complet, net et permanent du transit intestinal au niveau de n'importe quel point du tube digestif depuis l'angle de Treitz jusqu'à l'anus.

تكلّم أطباء العرب القدامى عن انسداد الأمعاء Intestinal Obstruction تحت اسم إيلايوس أو الجلّوس Ileus، فقالوا عنه إنه إصابة خطيرة جداً ومهلكة، قلّ من يسلم منها، وأطلق عليه إبقراط اسم "القولنج المستعاذ منه" (ابن سينا - القانون).

وابن رشد يقول عنه في الكليات: "والنوع من القولنج الشديد المسمّى عند القدماء "إيلايوس" ومعناه (ربّ سلّم) هو ما كان منه ذا أعراض صعبة، حتّى يبلغ بصاحبه أن يتقيّ الزيل" (ابن رشد - الكليات).



شريحة 2: التعريف المعاصر للانسدادات المعوية الحادة، يقابله تعريف ابن سينا و ابن رشد

CLASSIFICATION DES OCCLUSIONS

تصنيف الانسدادات [1] [11]:

CLASSIFICATION DES OCCLUSIONS selon le mécanisme

Définition: interruption du transit intestinal normal

MECANIQUE

(obstacle angle duodéno-jéjunal
□ anus)

-Intra-luminal (parasite, bézoard...)
-Intra-pariétal (cancer, sténose
inflammatoire ou infectieuse...)
-Extra-intestinal (bride,
carcinose péritonéale...)

FONCTIONNELLE

(paralytique par arrêt du transit
□ 5 à 10% des cas)

-Réflexe (foyer infectieux, CN,
épanchement)
-Ischémie (artérielle ou veineuse)
-Autres: causes métaboliques,
médicamenteuses, idiopathique

Obstruction □ atteinte intestinale
=
Strangulation □ atteinte vasculaire

شريحة 3: التصنيف المعاصر للانسدادات المعوية الحادة

- عرف أطباء الحضارة الإسلامية ستة أنواع من القولنج هي
- إيلوس وهو نوع من القولنج صعب يكون في الأمعاء الدقاق ويصاحبه الغثيان والقيء،
 - القولنج التفلى وهو حبس النفل في معاء القولون،
 - القولنج الورمى وهو الكائن بسبب ورم الأمعاء،
 - القولنج الريحي وهو حبس الريح في طبقات الأمعاء،
 - القولنج البلغمي وهو التصاق سطح الأمعاء بمواد بلغمية،
 - القولنج الالتوائي وهو تقلب الأمعاء بسبب حرارتها أو طعام يابس أو غير ذلك.

SEMILOGIE CLINIQUE

الأعراض^[11] [23]:



SEMILOGIE CLINIQUE

SIGNES FONCTIONNELS

Douleur abdominale

- Souvent intense soit d'emblée soit secondairement
- Installation rapide ou progressive sur plusieurs heures
- Evolution continue ou paroxystique

Vomissements

- Souvent répétés et bilieux
- Rarement alimentaires, Parfois **fécaloïdes**

Arrêt des matières et des gaz

Maître symptôme il est nécessaire est suffisant pour retenir le diagnostic d'occlusion

شريحة 4: الأعراض السريية للانسدادات المعوية الحادة.

الأعراض^[11]:

- يسبب الانسداد المعوي مجموعة واسعة من الأعراض غير المريحة، بما في ذلك:
- انتفاخ شديد للبطن.
 - وجع و تقلصات شديدة في البطن.
 - قلة الشهية.
 - التقيؤ، مع تقيء البراز في بعض الحالات.
 - عدم القدرة على إخراج الغازات أو البراز.

دليله الوجع في الأمعاء والقيء بالإدمان في استياء
وربما تقيأ البرازا فصار في القيء يرى ممتازا
وذا يسمى المستعاذ منه وليس للشاكي خروج عنه



شريحة 5: التعريف بابن طفيل و أرجوزته في الطب^[23].

دليله الوجع في الأمعاء والقيء بالإدمان في استياء
وربما تقيأ البرازا فصار في القيء يرى ممتازا
وذا يسمى المستعاذ منه وليس للشاكي خروج عنه



شريحة 7: الأعراض السريرية للانسدادات المعوية الحادة كما جاء في أرجوزة ابن طفيل^[23].

سابعاً: التحديات وسبل التغلب عليها

تواجه عملية الدمج تحديات يجب أخذها في الاعتبار:

التحدي اللغوي: صعوبة اللغة العربية القديمة.

الحل: الاعتماد على طبعات محققة وموثقة مع هوامش شرحية، أو تقديم نصوص مترجمة إلى العربية المعاصرة.

لتحدي العلمي: وجود معلومات قديمة وغير دقيقة من منظور علمي حديث.

الحل: عدم تقديم النص كحقيقة مطلقة، بل كـ "وثيقة تاريخية" تُدرس في سياقها الزمني، مع التركيز على المنهجية والفكر النقدي وليس على المعلومة بذاتها.

الازدحام المنهجي: ضيق الوقت المخصص للمناهج الطبية المكثفة.

الحل: دمج النصوص في سياق الدروس الحالية (كجزء من محاضرة الجراحة أو الباطنة أو الأخلاقيات) بدلاً من جعلها مقررًا منفصلاً.

خاتمة

إن تشغيل النصوص التراثية في الدرس الطبي المعاصر هو ليس عملية استعراض أكاديمي أو حنين إلى الماضي، بل هو استثمار استراتيجي لتكوين طبيب المستقبل. إنه يمكّن الطالب من فهم الطب كسيرورة حية من التراكم والتطوير والنقد، وليس كمعلومات جاهزة ونهائية. هذا المنهج التكامل يغرّس في الطبيب حساً نقدياً، وعمقاً تاريخياً، وإحساساً بالهوية والانتماء إلى مسيرة إنسانية عريقة في مجال الطب. وهو بذلك لا يناقض الحداثة، بل يثريها ويمنحها جذوراً أعمق، ليخرج لنا طبيباً مكتملاً، ملماً بأحدث نظريات عصره، وواعياً بحكمة من سبقوه

لائحة المراجع

1. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. (2005). القانون في الطب (تحقيق: إبراهيم شمس الدين). دار الكتب العلمية.
2. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا. (2002). الحاوي في الطب (تحقيق: محمد محمد إسماعيل). دار الكتب العلمية.
3. الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس. (2009). التصريف لمن عجز عن التأليف (تحقيق: عبد السلام هاشم حافظ). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. الحفني، عبد المنعم. (1993). الموسوعة العربية في تاريخ الطب والأطباء والعلوم عند العرب. مكتبة مدبولي.
5. العوادي، محمد العربي. (2010). الطب والأطباء في الحضارة الإسلامية. دار الغرب الإسلامي.
6. شحاتة، محمود. (2018). التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية: البيمارستانات أمهودجاً. مجلة تاريخ العلوم، (12)، 45-68.
7. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم. (1996). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق: نزار رضا). دار مكتبة الحياة.
8. الصفدي، صلاح الدين خليل. (1988). الوافي بالوفيات (تحقيق: أحمد الأرناؤوط). دار إحياء التراث العربي.
9. مجاهد، زهير. (2004). تاريخ الطب عند العرب والمسلمين. دار الفكر المعاصر.
10. زيدان، جميل. (2015). الطب في الحضارة الإسلامية: من النص إلى الممارسة. دار اليمامة.
11. محسن عمري. (2017). تعريب علم الأعراض الجراحية للجهاز الهضمي. أطروحة. كلية الطب و الصيدلة و طب الأسنان بفاس
12. قاسم، محمد فتحي. (2007). إسهامات العلماء المسلمين في تطور العلوم الطبية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، (25)، ص. 140-115.
13. عبد اللطيف، فاطمة. (2019). الموروث الطبي الإسلامي وأثره في تكوين الهوية العلمية. مجلة التراث العربي، (108)،

- ص. 77-102.
14. المرزوقي، عبد الجليل. (2020). التعليم الطبي بين التراث والحداثة: قراءة في تجارب البيمارستانات. مجلة جامعة قطر للعلوم الإنسانية والاجتماعية، (42)، ص. 201-225.
15. العزاوي، عبد الرزاق. (1999). معجم تاريخ العلوم عند العرب. دار الرشيد.
16. الكبيسي، مازن. (2017). النصوص الطبية التراثية وإمكان توظيفها في مناهج التعليم الطبي الحديث. مجلة التاريخ الطبي العربي، (5)، ص. 54-82.
17. Pormann, P. E., & Savage-Smith, E. (2007). Medieval Islamic Medicine. Edinburgh University Press.
18. Ullmann, M. (1978). Islamic Medicine. Edinburgh University Press.
19. Haddad, S. I. (1975). Arabian Medicine and its Influence on the Middle Ages. Routledge Press.
20. Miller, A. C. (2006). Jundi-Shapur, bimaristans, and the rise of academic medical centres. Journal of the Royal Society of Medicine, 99(12), 615-621.
21. Sheehan, M. M., & Baker, R. B. (2021). Integrating Medical Humanities into the Preclinical Curriculum: A Narrative Review. Medical Science Educator, 31(1), 289-Islam.
22. Bickley, L. S., & Szilagyi, P. G. (2021). Bates' Guide to Physical Examination and History Taking (13th ed.). Lippincott Williams & Wilkins.
23. BENHAR, Oussama. Analyse de la séméiologie digestive dans l'"Urjuza" d'Ibn Tofail. Faculté de Médecine et de Pharmacie, Fes - Thèse de médecine



المحور الرابع: تشغيل النصوص وإحيائها

إسهامات المخطوط العربي الإسلامي في الطب الوقائي والتداوي بالأعشاب، كتاب: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" لأبي عمرو محمد بن منظور القيسي: (889هـ)

نور الدين لرجي

أستاذ بمعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات بالرباط

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

تزخر المكتبات الإسلامية بتراث علمي وفكري مخطوط، خلفه لنا علماء أجلاء في عدة فنون ومختلف العلوم، أسهموا بحظ وافر في خدمة العلم وبذله لطالبه، تلبية لحاجيات الإنسان المتعددة في شتى مجالات الحياة، ومن بين ما وصلنا من تراث علمي مخطوط نجد كتاب: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" لمؤلفه أبي عمرو محمد بن منظور القيسي الأندلسي (889هـ)، وهو ذو قيمة علمية كبيرة نظرا لما أثاره من قضايا تهتم الوباء النازل بالإنسان في محيطه، إذ تعرض فيه مؤلفه لبيان معنى الوباء، ومسبباته، وتداوياته، وانعكاساته السلبية على محيط الإنسان وجسمه، كما أرشد إلى الطرق الصحية السليمة من أجل التحفظ من هذا المرض الوافد بالإنسان، وذلك بأسلوب علمي ممزوج بما هو ديني وما هو تجريبي، مستعينا في ذلك بالنقل عن المصادر الطبية المتخصصة.

ونسعى من خلال هذه الورقة التعريف بهذا الكتاب المخطوط نظرا لقيمته العلمية الهامة، والفائدة المرجوة منه لرفع هذا النازل بالإنسان، إذ يعتبر مصدرا مهما من المصادر التي تعرضت للحديث عن الطرق الناجعة للوقاية من هذا الوباء وشبهه من خلال المحاور التالية:

- المحور الأول: السياق التاريخي لكتابة المخطوط.
- المحور الثاني: التعريف بالمؤلف.
- المحور الثالث: التعريف بالمخطوط.
- المحور الرابع: خلاصة حول الأطعمة والأشربة اللائقة بالأبدان، والأعشاب والنباتات التي تقي جسم الإنسان.
- خاتمة.

المحور أول: السياق التاريخي لكتابة المخطوط

جاءت كتابة هذا المخطوط في ظل الظروف البوائية التي شهدها العالم بصفة عامة، وعاشها سكان الأندلس على وجه الخصوص إبان النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، حيث استفحل الموت في أهل جزيرة الأندلس، ونتج عن ذلك وفيات كثيرة، ولم تكن في ذلك الحين لدى سكان هذا القطر الإسلامي الثقافة الصحية، والكيفية السليمة لتعاملهم مع هذه العدوى، ومعرفة طرق الحد من انتشارها والوقاية منها، فضلاً عن عدم اتخاذ الإجراءات الوقائية من قبل السلطة الحاكمة في البلاد للحد من آثار تفشي هذا الوباء الفتاك، والتخفيف من آثاره.

فعاثت الأندلس جراء ذلك مثل بقية دول العالم الطاعون الجارف، كما ذكره ابن خلدون في مقدمته، فنزل بالعمران شرقاً وغرباً، وذهب بأهل الجبل، و طوى كثيراً من محاسن العمران ومهاها¹، إلى أن وصل إلى دول المغرب العربي ومات جراءه آلاف.

وقد ظهرت بؤرة الطاعون الأولى حسبما ذكره المقرئ في الصين التي كانت تسمى آنذاك ب: "بلاد الخطا والمغل" ثم انتشر بعد ذلك في بغداد ثم بأرض حلب، وبلغ من يموت بها في كل يوم خمسمائة، ثم بأهل غزة، فمات بها ما يزيد على اثنين وعشرين ألف إنسان، وانتشر في بلاد الترك والعراق وبلد القرم فالقسنطينية، وعم الوباء بلاد الإفرنج، واستفحل الموت في أهل جزيرة الأندلس²، وكان أول وباء يضرب الأندلس، ونتج عنه وفيات كثيرة، حيث لم تكن لدى السكان الثقافة الصحية، والكيفية السليمة لتعاملهم مع هذه العدوى والوقاية منها، فضلاً عن عدم اتخاذ إجراءات احترازية من قبل السلطة الحاكمة للحد من الوباء وتخفيف آثاره على البلاد³.

وقد كان لانتشار هذا الوباء آثار سلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، غير أنه كانت له آثار إيجابية انعكست على المستوى الفكري والثقافي، يتجلى ذلك في بروز عدة مؤلفات وكتابات، ووصايا للوقاية من هذا الوباء، والابتعاد عن مكان تواجده، ومن بين ما كتب في الوباء الجارف وطرق الوقاية والعلاج منه: رسالة الطبيب ابن خاتمة المعنونة ب: "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" وقد ألفها استجابة لرغبة أصدقائه بعد ظهور الطاعون في مدينة المريّة الأندلسية، كما ألف محمد بن علي اللخمي الشقوري رسالة بعنوان: "تحقيق النبأ في أمر الوباء" وهي في حكم المفقود، والمتوفر منها ملخص بعنوان: "النصيحة" قدم فيها طرق الوقاية من الطاعون، هاتان الرسالتان وغيرهما عملتا على تشخيص المرض، ومفهوم العدوى، وكيفية عزل المرضى، والتخلص من الثياب الموبوءة، إلى غير ذلك من الأمور التي تساعد في القضاء على هذا النازل بالناس، ومن بين الكتابات في هذا المجال نجد كذلك: هذه الرسالة موضوع تحقيقنا، وهي للعلامة الفقيه: أبي عمرو محمد ابن منظور القيسي (889هـ)، والموسومة ب: "وصية الناصح الأود، في التحفظ من المرض الوافد إذا فد" حيث عالج فيها صاحبها طرق الوقاية من هذا المرض الوافد بأسلوب ممزوج بما هو ديني، وما هو تجريبي، مستعينا في هذا الأخير بالنقل عن المصدرين المتقدمين، على اعتبار أن صاحبيهما من الأطباء المتخصصين في هذا المجال، وجاءت الوصية في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

والكتاب يكشف عن مرحلة صعبة في التاريخ الإنساني، مات خلالها آلاف في كل مناطق العالم، وهو يشبه إلى حد كبير ما يعيشه العالم اليوم وربما الفرق الوحيد هو توفر الإمكانيات الطبية في مواجهته، لكنه يلتقي مع الطاعون في سرعة العدوى، وفي انعدام دواء فعال لمواجهته لحد الآن.

المحور الثاني: التعريف بالمؤلف:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته: هو محمد ابن القاضي الكبير أبي بكر محمد، ابن القاضي الأجل أبي العرب محمد، بن محمد، بن

1 انظر: مقدمة اعيد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة - مصر: الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م: (ص: 52).

2 انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقرئ، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418هـ - 1997م: (84/ - 86).

3 انظر: الكوارث الطبيعية وآثرها في الأندلس مقالة للأستاذ: عباس فضل حسين المسعودي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثالث عشر السنة السادسة: 2014م.

عبيد الله، بن محمد، بن منظور القيسي المالقي الغرناطي، يكتني أبا عمرو، من بيت علم ونباهة، وأصلته مشهورة⁴.

ثانياً: مولده ونشأته: ولد العلامة القاضي أبو عمرو محمد بن منظور بمالقة عام: أربع وأربعين وثمان مائة (844هـ)⁵، ونشأ بها، وأخذ العلم عن علمائها، وتردد على مسجدها لطلب العلم⁶.

ثالثاً: شيوخه: إن طريقة معرفة مكانة العالم تكمن في معرفة الشيوخ والأساتذة الذين تلقى عنهم، ونهل من فيض العلوم التي ارتوى بها من أديهم، لأن قوة الشيخ المربي وقدرته العلمية، لها الأثر البالغ في بناء شخصية التلميذ والمتعلم ونضج عقليته، وهذا دأب مؤلفنا حيث تلقى العلم عن كبار علماء عصره وشيوخ مدينته، نذكر منهم:

- والده الفقيه القاضي أبي بكر محمد بن أبي العرب محمد بن محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي، حيث كان يتردد عليه في مسجد الطلبة، الذي كان يدرس به بمالقة، روى عن والده ولم يأخذ عن أعلى رواية منه⁷.
- أبو الحسن علي بن عتيق بن العز، اعتمد عليه في القراءة⁸.
- أبو إسحاق البدوي القاضي الجليل المقرئ الرواية⁹.
- أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي¹⁰.
- أبو عبد الله المنثوري، الخطيب المقرئ، أسمعته بلفظه بعض شرحه لرجز ابن بري¹¹.

رابعاً: تلامذته: نظراً لمكانة مترجمنا العلمية، وما اشتهر به من سعة الأفق في جميع العلوم والفنون، فقد أخذ عنه جم غفير من طلبة العلم الذين تخرجوا على يديه، وتأثروا بمنهجه، حتى أصبحوا علماء انتفع بعلمهم العام والخاص منهم:

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد السلمي الجعدالة المالقي، من الفقهاء الجلة، سمع منه كتاب: التهذيب للبرذعي، والمختصر للشيخ خليل، وكتاب الجمل، وروى عنه التفسير لأبي زيد الثعالبي سماعاً منه بلفظه¹².
- أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الفهري المعروف بابن بَكْرُون شَهِرَ بالقرعة جميع الرسالة لابن أبي زيد¹³.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي.
- أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري المعروف بالمواق، من أهل غرناطة.

خامساً: وظائفه: شغل مؤلفنا عدة مناصب ومهام دلت على مكانته الرفيعة، وقيمتها العالية التي كان يحتلها بين علماء وقته، ومن المهام التي تقلدها -رحمه الله- نجد:

1. **خطة القضاء:** تولى المؤلف -رحمه الله- خطة القضاء بغرناطة وكان قاضي الجماعة بها، وحده في نيل الابتهاج تاريخ توليته لهذا المنصب في عام: أربع وستين وثمان مائة (864هـ)¹⁴.

2. **خطة ديوان الإنشاء:** تولى المؤلف هذا المنصب الرفيع إبان ملك بني نصر، تتجلى نتائج هذه الخطة في تعضيد التوجه الديني الذي يرسمه ملوك بني نصر، وهو ترسيخ قواعد المذهب المالكي، والذي يفيد أن المؤلف تقلد هذه المهمة هو ديوان عبد الكريم

- 4 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تأليف أحمد بابا التنبكي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421هـ - 2000م (194/2)، وثبتت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آثي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م: (ص: 204).
- 5 مرجع نفسه.
- 6 انظر: نيل الابتهاج أحمد بابا التنبكي، تقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م: (ص: 558)
- 7 ثبت البلوي (ص: 204 - 205)، ونيل الابتهاج للتنبكي: (ص: 558).
- 8 انظر: المرجع نفسه: (ص: 204).
- 9 انظر: المرجع نفسه.
- 10 انظر: فتاوى قاضي الجماعة ابن سراج تحقيق: د. محمد أبو الأفجان دار ابن حزم بيروت - لبنان: 2006م: (ص: 30).
- 11 ثبت البلوي (ص: 205).
- 12 انظر: ثبت البلوي: (ص: 205).
- 13 انظر: المرجع نفسه: (ص: 156 - 175)
- 14 انظر: نيل الابتهاج: (558/2).

القيسي، من خلال قصيدة مشفوعة برسالة تكليف ابن منظور بديوان الإنشاء ورئاسة كتاب الحضرة، ومما جاء في الرسالة منهتل إياه بهذه الرتبة الرفيعة: "لله سيدي يوم ورود الخبر بولايتكم ديوان الإنشاء رئيسا على كُتّاب الحضرة، وحلولكم بها مفتوحة الشرف الرفيع...".¹⁵⁰

3. **التدريس بالجامع الأعظم بغرناطة:** حيث جلسا مدرسا بهذا الجامع الذي كانت تعقد فيه حلقات الدروس العلمية، ومجالس الإقراء، ويحج إليه الطلاب العلم من جميع أنحاء المعمور، إذ يعد الجامع من الفضاءات الثقافية والدينية التي كان يقصدها طلبة العلم من أجل التحصيل العلمي، وكان في مقدمة المتون التي درسها في الجامع مختصر الشيخ خليل، وكتاب: التهذيب للبرذعي، وتفسير القرآن العزيز للفقهاء أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، وشرح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وكان بارعا في الفرائض لما لها من علاقة مباشرة بمجال عمله، إلى غير ذلك من الفنون والعلوم الدينية واللغوية وغيرهما.¹⁶

4. **الخطابة:** فالإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة رسم مضاف إلى ولاية القضاء التي كان يتولاها مؤلفنا، ويؤكد ما قلناه ما وصفه به البلوي في كتابه بقوله: الخطيب الإمام.¹⁷

5. **الإفتاء:** نظرا لتلازم منصب القضاء بالفتوى فقد وجدت فتاوى لمؤلفنا -رحمه الله- في كتاب المعيار المعرب للعلامة النونريسي، ونقل عنه تلميذه المواق في سنن المهتدين، وفي شرحه على مختصر الشيخ خليل في باب الميراث.¹⁸

سادسا: مؤلفاته: إن القيمة الثقافية والفكرية لأي عالم، تتجلى فيما خلفه من آثار علمية وتراث فكري، ورغم انشغال مؤلفنا بالتدريس والإمامة والخطابة من جهة، وبعض المهام الإدارية الأخرى، وتولية القضاء والفتوى، نجده خلف تراثا علميا هائلا، ومن جملة إرثه العلمي والثقافي ما يلي:

- مقالة في فرض النفقات للزوجات المطلقات على أزواجهن فيما يكون بينهم من البنين والبنات وللنساء الحاضنات على من لهن من المحضونين والمحضونات.
- رجز في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم: ولأبي الحسن على القلصادي البسطي المتوفى سنة: 891هـ شرح عليه.¹⁹
- تأليف في البدع ذكره أحمد بابا في كفاية المحتاج حيث قال: وله تأليف في البدع ذكره لي صاحبنا مفتي فاس محمد القصار.²⁰
- فتاوى بعضها مذكور في المعيار المعرب للنونريسي (169/3 - 176)، و(4/- 61- 229- 233- 242) و(156/7)، و(470- 474)، وبعضها في القول الكاشف - عن أحكام الاستنابة في الوظائف (ص: 94 - 96).

سابعا: ثناء العلماء عليه: تحدث العلماء وخصوصا أصحاب التراجم عن العلامة أبو عمرو، فأثنوا على مكانته العلمية، ودرته في المجالات التي تصدى لها: تدريس، وتأليف، وقضاء، وغير ذلك ومما وقفنا عليه في ذلك، ما وسمه به أحمد بابا التنبكتي بقوله: "قاضي الجماعة، الإمام العلامة الفقيه الجليل"²¹.

وقال فيه البلوي في الثبوت: "قاضي الجماعة، الخطيب الإمام الجليل الأصيل"²².

ثامنا: وفاته: توفي المؤلف - رحمه الله - عام: ثمان أو تسع وثمانين وثمان مائة (889هـ) ودفن خارج باب البيرة.²³

- 15 انظر: ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: د. جمعة شيخة، د. محمد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، تونس، 1988م. - (ص: 258).
- 16 اعتمادنا في جمع هذه المعلومات على تراجم بعض تلامذة ابن منظور - انظر: ثبت البلوي، (ص: 198 و 205)
- 17 انظر المرجع السابق: (ص: 215).
- 18 انظر: كفاية المحتاج للتنبكتي: (194/2).
- 19 انظر: توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 13981.
- 20 انظر: كفاية المحتاج للتنبكتي: (194/2).
- 21 انظر: لمرجع نفسه.
- 22 انظر: ثبت البلوي (ص: 215).
- 23 انظر: ثبت البلوي (ص: 216).

ثالثاً: التعريف بالكتاب:

◀ أولاً: نسبة الكتاب إلى المؤلف:

- إن نسبة الكتاب إلى العلامة أبي عمرو بن منظور؛ هي نسبة صحيحة وثابتة، ومن أهم ما وقفنا عليه في إثبات ذلك:
 - أن المؤلف - رحمه الله - صرح في مقدمة الكتاب باسمه وكنيته، ونسبة الكتاب له حيث قال ما نصه: "يقول العبد الفقير إلى ربه، الملك الحق الغني به عن جميع الخلق، أبو عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن منظور القيسي... أما بعد؛ فهذه جملة مباركة بفضل الله سبحانه وتعالى، سميتها: "وصية الناصح الأود، في التحفظ من المرض الواقد إذا وفد".
 - أن مفهرس خزانة الأستاذ المنوني، ومفهرس مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية، ذكرا الكتاب معزوا إلى مؤلفه أبي عمرو محمد بن منظور القيسي.

◀ ثانياً: وصف النسخ المخطوطة والتزجيج بينها:

(أ): وصف النسخ المخطوطة:

اعتمدنا في قراءة وإخراج هذه المخطوطة على نسختين خطيتين هما:

النسخة الأولى: نسخة خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني، - رحمه الله - بالرباط تحت رقم: 455، وهي ضمن مجموع من الصفحة: 1 إلى الصفحة 23، مكتوبة بخط أندلسي حسن ملون، مسطرته 21 مقياسه 205 / 160. ناسخها: علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري، مكان نسخها: مدينة بلش، نسخت بتاريخ: الجمعة 9 صفر، عام: سبعة وسبعين وثمان مائة (877هـ) وموافقة 17 يولييه الأعجمي.

أولها: "الحمد لله الرحيم المقبل، مجيب دعوة الداعي إذا دعاه..."

آخرها: "وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، ... على عباداه الذين اصطفى".

تزدان الصفحة الأولى من هذه النسخة بخط المؤلف أبي عمرو بن منظور في إجازة منه لناسخها: أبي الحسن البياض الذي يحليه المجيز بالفقه والصلاح والخطابة، ويعيد بأنه قرأ عليه جميع هذه الوصية قراءة صحيحة لها وختمها وصحها²⁴.

النسخة الثانية: نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية، والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، تحت رقم: 355، ضمن مجموع يحمل رقم 7، كتبت بخط مغربي، مادها أسود يتخلله اللون الأحمر عند ذكر بعض الأعلام، وفي بداية الفصول أو مسألة من مسال الكتاب، وتقع في 11 ورقة.

(ب): التزجيج بين النسختين:

بعد المقارنة بين النسختين الخطيتين، ترجحت لدينا نسخة مكتبة الأستاذ المنوني بالرباط المحفوظة تحت رقم: 455، فآثرنا أن

24 ونص الإجازة الموجود بالنسخة المخطوطة قوله:

"الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله تعالى.

يقول كاتبه أبو عمرو محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن منظور القيسي وفقه الله تعالى، ولطف به منه: قرأ علي الفقيه الأرضي، الأصلح الأتقى، المجتهد الأسنى، الأبرر الأسمى، الخطيب الأذكي، السري الماجد، الفاضل أبو الحسن علي ابن الشيخ الفقيه الخطيب الأصلح الأكمل أبي القاسم البياضي، أعزه الله، وكان قدوة أصلح قوله وعمله، جميع هذه الوصية التي ألفتها وسميتها: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الواقد إذا وفد". قراءة تصحيح لها، وختمها وصحها، وأجزت له أن يرويها عني، وقد كتبت له قبل هذا إجازة عامة مطلقة تامة، والله ينفعه باجتهاده، ويبلغه في العلم والعمل به منتهى قصده ومراده، ويجعله من عباداه.

وكتب المجيز بذلك خطه مسدداً منه بتاريخ اليوم العاشر من صفر عام سبعة وسبعين وثمان مائة، عرف الله خيرته وبركته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أثراً".

- تكون أصلاً في كتابة النص، ورمزنا لها بحرف (أ)، وجعلنا نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية، والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، المحفوظة تحت رقم: 355، والتي رمزنا لها بحرف: (ب) ثانية، وذلك لأسباب الترجيح الآتية:
- أن نسخة خزنة الأستاذ المنوني تحمل إجازة بخط المؤلف: أبي عمرو ابن منظور القيسي، بأن ناسخها قرأ عليه هذه الوصية قراءة تصحيح لها، وختمها وصحها، وهو أقوى سبل الاعتماد عند انعدام النسخة الأصل للمخطوط، بخلاف النسخة (ب) التي لا تحمل أي إجازة، أو إشارة إلى أنها قوبلت على نسخة المؤلف الأصلية، أو غير ذلك.
 - معرفة تاريخ نسخها، وأنها قريبة من زمان المؤلف، وهو يوم الجمعة التاسع لصفر من عام: (877هـ) بخلاف النسخة (ب) والتي هي خالية من تاريخ نسخها.
 - وضوحها وجمالية خطها وقلة الأخطاء بها أو انعدامها، مما يدل على أن ناسخها هو: "أبو الحسن علي البياضي" من أهل العلم، ومن النساخ الذين لهم إلمام بقواعد اللغة العربية، والعلوم الشرعية.

◀ ثالثاً: محتوى الكتاب:

ألف العلامة الفقيه: أبو عمرو بن منظور القيسي كتابه في بيان وجه التحفظ من الوباء - الطاعون الجارف - الذي كان قد انتشر بالأندلس وبالأخص في مدينة غرناطة، ونجده قد حصر الكلام في هذا التأليف في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

- **المقدمة:** صدر الكلام فيها بذكر اسمه وكنيته، وبحمد الله والثناء عليه بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وثنى بالصلاة على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه.

بعد ذلك أشار إلى اسم مؤلفه، والمنهج المعتمد في التأليف فذكر أنه وسمه بـ: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" وقد سلك منهج الاختصار غير المخجل والمعنى والذي تحصل به الفائدة دون غيره.

- **الفصل الأول:** فيما يقرأ ويذكر وتحمد عاقبته إن شاء الله وتذكر:

وقد كانت أولى وصاياه -رحمه الله-: تلاوة كتاب الله تعالى، حيث ذكر جملة من السور القرآنية، والآيات المنجيات من الأمراض والأمور المهلكات، وبعض الأدعية الماثورة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن الأولياء والصلحاء والعارفين بالله، وأن المرء ينبغي له أن يداوم على الاستغفار، ويكون تائباً من مواقعة الذنوب والإصرار عليها، ثم ختم الفصل بالتنبيه على فضل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقراءة جملة من القوائد الكريمة في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة والسلام، لأن كل ذلك يُرجى به النفع للمتحفظ من هذا الوباء إذا التزمه وحافظ عليه، وأكثر منه وردده في كل وقت وحين، مع إخلاصه النية لله رب العالمين من أجل رفع هذا النازل.

الفصل الثاني: في وجه تدبير الإنسان على مذهب الأطباء، والحكماء، والأدكياء، في المسكن، والمأكل، والملبس، وغير ذلك مما يستعد به قبل نزول الوباء. وهو يهتم بالمسائل الطبية البحتة، والفصل يحتوي على خمسة مسائل هي:

المسألة الأولى: في إصلاح الهواء في المسكن، ويتحقق باستعمال الطيوب، والأزهار الباردة وغيرها، واجتناب كل ما يهيج الصداع، ويثير الأخلاط كالأدخنة الحارة، والتعرض للشمس وغيرها.

المسألة الثانية: في الحركة والسكون، وأن الأفضل للإنسان الميل إلى السكون قدر الإمكان، دون كد ولا تعب، حتى لا تشتعل الحرارة فيض إلى مزيد تنفس.

المسألة الثالثة: في الأطعمة والأشربة، ونجده قد توسع في هذه المسألة، حيث ذكر جملة من الأطعمة كاللحوم، والخضر، والفواكه، والأشربة النافعة لجسم الإنسان، وحذر من بعض ذلك، مما لا يلائم مع جسم الإنسان، ويغير طبعه ومزاجه، ويؤدي إلى تسخين الدم والزيادة في كميته.

المسألة الرابعة: في النوم واليقظة، ونبه على أن النافع من ذلك؛ ما كان ليلاً من غير زيادة أو نقصان على حده الطبيعي.

المسألة الخامسة: في الاستفراغ والاحتقان، وأرجعها إلى أمور خمسة:

(1): تسهيل الطبع؛

(2): تنظيف المعدة؛

(3): تخفيف الدم وأنه يكون بشق العروق والحجامة؛

(4): الجماع؛

(5): الاستحمام.

• **الفصل الثالث:** فيما هو مذكور أنه من الخواص بهذا المعنى، مما نقل عن العلماء والأطباء ممن كان بهذا الشأن يُعنى، كالتختم بشيء يدفع الوباء النازل مما جرب عن الخاصة، وكتعليق شيء في بيت وغير ذلك مما هو مجرب عن الخاصة.

• **الخاتمة:** وفيها حث على الالتزام بهذه الوصايا المبنوثة في ثنايا هذا المؤلف، وألا يفرط الناظر في شيء منها، وأن يعمل جهده على تحصيل العلم والعمل بذلك، حتى يتحقق النفع بذلك بإذن الله تعالى.

◀ رابعا: مصادر المؤلف في التأليف:

ومما تجدر الإشارة إليه من خلال قراءتنا لهذا المخطوط، أن صاحبها اعتمد في تأليفها على مصادر متخصصة في المجال الطبي، حيث نجده قام بالنقل عن المصادر التالية:

- كتاب: "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" للطبيب أبي جعفر ابن خاتمة (ت: 768هـ).
- كتاب: "تحقيق النبأ في أمر الوباء" لمحمد بن علي الشقوري (ت: 749 هـ).
- كتاب "الخواص والأشياء المقاومة للأمراض" لأبي بكر الرازي (251هـ).

المحور الرابع: خلاصة حول الأطعمة والأشربة اللائقة بالأبدان، والأعشاب والنباتات التي تقي جسم الإنسان:

ذكر المؤلف أثناء حديثه عن سبل الوقاية من الأمراض الوبائية، جملة من الأطعمة والأشربة، وبعض النباتات الواقية من هذه الأمراض، وكيفية استعمالها، كما نبه على أن بعضها ضار بالجسم فحذر منها، وأرشد إلى الابتعاد عنها، مركزاً على ما يفيد الأجسام والأبدان ففي نظره أن صحة الأبدان هي التي تنفع الإنسان.

و سأعرض إلى البعض من هذه الأطعمة والنباتات، وهي تختلف ما بين حبوب، وبقوليات، وفواكه وخضر، وبعض التوابل، على أن أختم المحور ببعض الأطعمة التي تحدث عنها المؤلف وكانت منتشرة في وقته وبيئته وهي:

◀ أولاً الحبوب ومنافعها:

نجد المؤلف قد فصل القول في طبائع الحبوب بحسب الشهرة والتجريب: ونبه على أفضل الحبوب في المأكّل، وذكرها بمنافعها والتي تعود على الصحة والأبدان بالمنفعة، وأهم هذه الحبوب التي ذكر:

القمح والشعير: والتي يصنع منهما الأغبار بجميع أنواعهما الأبيض منها والأحمر، ونبه أن من تربي على أكل الذرة فالأصلح له الانتقال إلى الشعير بتدريج شيئاً فشيئاً أولى له.

ومن الحبوب التي ذكرها وأشار إلى منافعها: **العدس:** وهو غذاء جيد وسهل الهضم، وهو سريع الامتصاص في الأمعاء، من

الوجبات الشهية البسيطة المحببة إلى كثير من الناس والشعوب.²⁵

الزنجبيل أو السكتنجير: كما ذكر المؤلف وهو كثير المنافع، وقد أشار المؤلف إلى الكيفية التي يمكن الاستفادة منه حتى يكون صالحا لتكسير سورة الدم وتخميده، ولأجل أن يطفى الصفراء.

◀ ثانيا: البقوليات:

فصل القول على أهم البقوليات التي لديها نفع وفائدة على الإنسان ومن أهمها:

الخنس: وهو بارد جالب للنوم مسكن للعطش، يوافق المحرورين وأصحاب المعدة الحارة والأكباد الحارة، وبين الطريقة التي يمكن للمرء يستفيد منها، وأنه يكون ناعما إذا طبخ مع بعض اللحوم.

البذنجان: حذر المؤلف منه لما يمكن أن يحدث من الأضرار على جسم الإنسان. لكثرة المضار التي يحدثها في الجسم. قال ابن القيم رحمه الله: والصحيح: أنه حار، وهو مؤلّد للسوداء والبواسير، والسرطان والجذام، ويُفسد اللّون ويُسوّده، ويُضر بنتن الفم، والأبيض منه المستطيل عارٍ من ذلك²⁶.

الكرنب: مما حذر منه المؤلف وأمر بالابتعاد عنه وغيره مما لم يكن يذكر من الفواكه: رطبها وبابسها.

البصل: هو في الأصل غير نافع لبعض الأمراض إلا أن المؤلف ذكر أن القليل منه لا يضر، وقد ينفع بعض النفع²⁷، ومثله الثوم.

◀ ثالثا: الفواكه:

فصل القول حول أهم الفواكه النافعة والضارة بالمرء وذكرها على النحو التالي:

الحصرم: وهو الأخضر من العنب، وأجوده الخالي عن الحلاوة، وأفضله كما أشار المؤلف أن يستعمل شرابا، فهو يكسر سورة الدم ويخمد، وهو نافع من الأمراض الوبائية النازلة بالإنسان²⁸.

حب الرمان: وهو أصلح الفواكه، قال المؤلف خصوصا إذا أكل حامضا²⁹.

التفاح: وأجوده كذلك الحامض، إذا سلم من العفن ويستعمل شرابا، وذكر أن فائدته في مع غيره أفيد وذلك إذا استعمل مع لحوم الدجاج والحجل، كما نبه أنه إذا لعق منه بالغدوات كل يوم فيكون ناعم الدواء.

الإجاص: إذا سلم من العفن كذلك، ينفع الجسم إذا كان على خلاء المعدة، وذكر المؤلف أنها تلين الطبع³⁰.

25 وبخاصة بني إسرائيل، حيث أخبرنا الباري تعالى عنهم فقال: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصِيبَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهَا وَثَقَانَهَا وَقُومَهَا وَعَدْسِيهَا وَضِلْفَهَا) (سورة البقرة الآية 61)، ومنها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان قال: سئل ابن المبارك عن الحديث الذي حدث في أكل العدس أنه قُدسَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا فَقَالَ وَلَا عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ وَاحِدٍ وَإِنَّهُ لِمُؤَيَّدٌ مُنْفَعٌ مَنْ خَذَلَكُمْ بِهِ ؟ قَالُوا: سَلَّمَ بُنُ سَالِمٍ فَقَالَ عَمْرُو؟ قَالُوا: عَنكَ. قَالَ وَعَنِّي أَنِيسًا؟ رواه البيهقي في شعب الإيمان باب أكل اللحم رقم الحديث: 5549.

26 انظر: الطب النووي، ابن الجوزي (ص: 223)

27 ينفع من تغير المياه، ويدفع ریح السموم، ويفتق الشهوة، ويقوى المعدة، ويهيج الباه، ويزيد في المني، ويحسن اللون، ويقطع البلغم، ويجلو المعدة، ويزره يذهب التهيق، ويدلك به حول داء الثعلب، فينفع جدا.

انظر: الطب النووي، ابن الجوزي (ص: 222).

28 ذكر ابن سينا أن هذا الشراب يحتاج أن يُعَقَّى سنين كثيرة، القانون في الطب، ابن سينا، (474/3).

29 وقد وردت فيه آثار منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: "كُلُوا الرُّمَانَ بِشَحْفِهِ، فَإِنَّهُ دِبَاغُ الْمَعِدَةِ" انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، حديث امرأة رقم الحديث: 23237.

30 الإجاص تختلف بحسب النوع، والذوق، فمنها الأخضر والأصفر والأحمر، ومنها الحلو والحامض، وهي تبرد وتطفئ، وتطلق الطبيعة، وتلين البطن، وتسكن الصداع، إلا أنها غير صالحة للمعدة، وأقواها بردا وأقلها إسهالا أحمرها وأغلظها. - انظر: منافع الأغذية ودفع مضارها، الرازي، (ص: 44).

الكثمري: وهي من أصلح الفواكه التي تفيد الجسم وتقي من الأمراض الوبائية المعدية، والمؤلف قيد النفع بهذه الفاكهة بأن تكون حامضة.

◀ رابعا: التوابل:

فصل القول في أهم التوابل التي ينبغي أن تستعمل في الطبخ والتي تعود بالمنفعة على صاحبها ومن بين التوابل المذكورة نجد:

الخل: وذكر المؤلف أن استعماله يصلح للحوم والدجاج والحجل، ويكون مفيدا إذا عصر عليها، كما نجد المؤلف قد ذكر جملة من أنواع الخل التي تنفع الجسم وتكون نافعة منها؛ خل الحصر، وخل التفاح.

◀ خامسا: مأكولات في زمن المؤلف:

فصل القول في أشهر المأكولات التي انتشرت في زمانه والفائدة منها للأبدان ومن أهم هذه الأطباق:

الخبز القمح: الطب النقي معتدلا في الملح والخمر، ويعجن بقليل خل طيب مع الماء.

الخبز الذرة: وهو من الأخباز الضارة للإنسان، وقد أرشد المؤلف إلى هجرانه ويجهر كذلك كل ما يصنع من الذرة، ومثله في النفع خبز الشعير.

الثريد، والعصائد، والكعك، والإسفنج، والرفيس: وقد حذر المؤلف من جميعها لأنها من الأطعمة الغليظة، التي تضر بالجسم، وتأثر على الجهاز الهضمي للمرء.

فهذه أهم الأغذية التي تحدث عنها المؤلف في رسالته، وقد فصل الكلام عليها، وبين فوائدها، والطرق الصحية التي ينبغي للمرء أن يستعملها من أجل أن يستفيد منها جسمه وبدنه، حتى تقيه من الأمراض الوبائية المنتشرة في محيطه، وتزيده في قوته، وتكسبه المناعة الكافية التي تؤهل جسمه لأن يتغلب عليها.

من خلال تتبعنا لهذه الأطعمة المذكورة نقول: أن المؤلف عمل على تبيان أهمية التغذية السليمة، في القضاء على الأمراض الوبائية، وتبقى صالحة لكل زمان ومكان خاصة في عصرنا المعاصر الذي يعرف أنواعا من الأوبئة المنتشرة هنا وهناك، فكم نحن بحاجة إلى الالتزام بهذه الوصايا الموثوقة في ثنايا هذا الكتاب، والأخذ بها بغية القضاء على هذه الأمراض.

خاتمة:

خلاصة القول أننا حاولنا من خلال قراءتنا لمخطوط: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" نفض غبار السنن عنها، لما تحملها في ثناياها من ذخائر وكنوز علمية لا تقدر بثمن، خدمة للبحث العلمي لا غير، واهتماما منا بالموروث الثقافي الإسلامي، وإسهامنا منا في التعريف بالطرق والوسائل الممكنة التي قد تساعد على التخفيف من آثار انتشار الأوبئة التي قد تعصف بال عالم في وقتنا الحاضر، والله سبحانه من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المصادر والمراجع:

1. نيل الإبهاج أحمد بابا النبنكتي، تقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.
2. السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقرئ، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418 هـ- 1997 م.

3. القانون في الطب، ابن سينا أبي علي الحسين، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الكعبة الأولى: 1420هـ - 1999م.
4. الكوارث الطبيعية وأثرها في الأندلس مقالة للأستاذ: عباس فضل حسين المسعودي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثالث عشر السنة السادسة: 2014م.
5. ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: د. جمعة شيخة، د. محمد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، تونس، 1988م.
6. فتاوى قاضي الجماعة ابن سراج تحقيق: د: محمد أبو الأجفان دار ابن حزم بيروت - لبنان: 2006م.
7. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تأليف أحمد بابا التنبكتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421هـ - 2000م.
8. مقدمة اعيد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة - مصر: الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
9. ثَبَّتَ أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.
10. منافع الأغذية ودفع مضارها، الرازي، أبو بكر محمد بن زكرياء، المطبعة الخيرية مصر، الطبعة الأولى: 1305هـ.

المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي



المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي

أهمية تحقيق مخطوط "الكليات في الطب" لابن رشد من خلال دراسة محمد عابد الجابري

د. فائزة البوكيلي
كلية الآداب - المحمدية

عرفت بلاد الأندلس مع أوائل الأطباء قبل القرن العاشر الميلادي ازدهاراً للعلوم الطبية بشكل لم يسبق له نظير⁽¹⁾. وإذا كان هذا القرن وما سبقه بمثابة المشتل الذي استنبتت فيه علوم الطب⁽²⁾، فإن القرن الحادي عشر والثاني عشر (الخامس والسادس الهجريين)، كانا بحق مرحلة فارقة في تفوق أطباء الأندلس وفي نبوغهم بفضل إبداعاتهم وإسهاماتهم. وقد ساعدت الظروف السياسية مع تدخل المرابطين والموحدين في إدارة شؤون بلاد الأندلس على إنضاج الرقي بالطب والصناعة الطبية وذلك بفعل العناية التي أولاهها الأمراء والخلفاء للعلم والعلماء⁽³⁾، حيث تحرر الفكر بشكل لم يسبق له مثيل، فبرزت أسماء وعائلات سطع نجمها في كل أنحاء الأندلس والمغرب والمشرق كابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد، وبنو زهر، وخاصة منهم أبو مروان عبد الملك، والغافقي، وأبو الصلت أمة ابن عبد العزيز الداني وغيرهم ممن يعتبرون ورثة الأطباء الأوائل كمسلمة المجريطي، وابن جليل الذي عرب مفردات ديسقوريدس⁽⁴⁾، وأضاف عليها الأدوية التي كانت معروفة عند العرب وكان يجهلها ديسقوريدس، والوليد المذحجي، وأبو القاسم الزهراوي.

ساهمت ظروف عديدة في انبعاث علمي عربي بالأندلس، خاصة في المجالات التي كان المسيحيون في أوروبا في أمس الحاجة إليها كالعلوم الطبية حيث سارعوا إلى التوافد على طليطلة، وقرطبة، وإشبيلية للارتشاف من علومها⁽⁵⁾. ولعل أهم هذه الظروف ما كان مرتبطاً بالحياة السياسية عندما كانت بلاد الأندلس خاضعة لسلطان المغرب الأقصى، حيث شكل الأطباء نخبة التفت حول الأمراء والملوك كان همها العلاج وتدريس الطب والتأليف في تخصصاته. بل حتى أنه في زمن محنة الفلسفة والفلاسفة، قد تمّ استثناء الطب والأطباء، حيث سهر الخلفاء على صيانة حظوة الأطباء وصون مصالحهم ومصالح طلبتهم حرصاً منهم على تنظيم

1 محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص. 14.

2 Leclerc (L.), Histoire de la médecine arabe, Rabat, 1981, T. 1, p. 350.

3 Leclerc (L.), Histoire de la médecine arabe, T. 2, p. 42.

4 وصل كتاب ديسقوريدس في الطب إلى الأندلس حين وجه الأمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع، بهدايا إلى عبد الرحمن الناصر الأموي وكان من بينها نسخة من كتاب ديسقوريدس باللغة اليونانية، دفع بالناصر الأموي إلى طلب العون من الأمبراطور الروماني الذي بعث له برابه يدي نيكولا سنة 651 م كان يتقن اليونانية واللاتينية. وبعد ترجمته انكب على دراسته مجموعة من أطباء قرطبة كحسداي، وأبو عثمان الجرار، ومحمد بن سعيد، وأبو عبد الله الصقلي الذي كان يتقن الإغريقية، وعبد الرحمن بن هيثم، حيث اهتموا إلى معرفة كل الأدوية المفردة عند ديسقوريدس باستثناء عشرة منها التي توصل إلى شرحها ابن جليل بعد إتمام كتاب ديسقوريدس ويعون من الراهب نيكولا. بنعبد الله (عبد العزيز)، الطب والأطباء بالمغرب، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1960، ص. 12.

5 البشري (سعد بن عبد الله)، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، 316-422 هـ / 928-1030 م)، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1997، ص. 322-323.

مهنة الطب⁽⁶⁾. وقد أشارت أغلب تراجم ممن كتبوا عن الطب والأطباء في الأندلس إلى وجود علاقات خاصة بين خلفاء الموحدين وأطباء الأندلس الذين كانوا يترددون كثيراً على بلاط الموحدين، وابن قاسم وابن زهر⁽⁷⁾، وابن رشد⁽⁸⁾.

1 - البيئة العلمية والطبية الحاضرة لابن رشد

لم تكن لأهل الأندلس دراية واسعة بمجال الطب قبل الخلافة الإسلامية. وكان جل أطباء هذه الفترة من أهل الذمة من النصارى واليهود⁽⁹⁾. كما أن التراث الطبي الأندلسي في البداية كان متأثراً بطب الإغريق، والسيان، والهند. لكن اعتماد الأندلسيين على منهج الاستقراء والتجربة والملاحظة في قراءة تراث الأوائل سيكون عاملاً حاسماً في الرقي بالطب الأندلسي إلى مراتب مشرقة⁽¹⁰⁾، وإن ظل لصيق الصلة بالشرق الإسلامي⁽¹¹⁾.

دون شك، يعتبر كتاب الإبريشم (أي الجامع)⁽¹²⁾، وكتاب ديسقوريدس في النباتات الطبية⁽¹³⁾ المرجعية الأساسية عند الأطباء والصيادلة الأندلسيين⁽¹⁴⁾. فعلى أساسهما ظهر اهتمام بالغ بدراسة النبات والأدوية المفردة بالأندلس⁽¹⁵⁾. وهكذا برز عدد من الأطباء الذين همزوا بتجارب ودراسات غيرت وجه الطب والصناعة الطبية بالأندلس⁽¹⁶⁾. وإذا كانت إرغاصات هذه النهضة الطبية قد لاحت في أفق القرن الرابع الهجري، فإنها استمرت دون توقف لتعرف أوجها في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)⁽¹⁷⁾. في سياق هذه النهضة برزت أسماء كثيرة أصَلَّتْ لعلوم الطب والفكر الطبي مع الوافدين الأوائل من المشرق في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) كالطبيب يونس بن أحمد الحراني⁽¹⁸⁾، ومحمد بن عبدون الجيلي، والكرماني، وحمدين بن أبان، وجواد النصراني، وخالد بن يزيد بن رومان الذين برعوا في الطب ونهضوا بدراسته مبلغاً عظيماً. فقد كانوا أطباء حاذقين ومجربين⁽¹⁹⁾. كما تذكر أبو القاسم الزهراوي، وابن وافد الذين اعتبروا من أعظم أطباء الأندلس، وكذلك الطبيب ابن الكتاني، وابن سمجون الذي ألف في العقاقير، وأبو الوليد مروان بن جناح القرطبي من يهود الأندلس، بالإضافة إلى أطباء القرن الثاني عشر الميلادي الذين جمعوا بين الفلسفة والطب كأبي الصلت أمية الداني، وابن باجة صاحب "كتاب التجريبتين على أدوية ابن وافد"، وبنو زهر، وأخيراً أبو الوليد بن رشد صاحب كتاب "الكليات" الذي يعتبر بحق موسوعة في التشرية، ووظائف الأعضاء، والأمراض وأعراضها، والأدوية، والأغذية، وحفظ الصحة والعلاج. ونظراً لأهمية هذا الكتاب، الذي ترجم في حينه إلى اللاتينية، ونظراً لعلو كعب هذا الفيلسوف الطبيب القرطبي فإنه كان مُحَفِّزاً لابن زهر للتأليف في الجزئيات، ومن تَمَّ شَكْلُ كتابيهما مشروعاً متكاملًا في صناعة الطب⁽²⁰⁾. فمن هو ابن رشد؟ وما قيمة هذا الكتاب أي "الكليات في الطب" الذي نوه به الدكتور محمد عابد الجابري ودافع عنه دفاعاً مستميتاً؟

6. بنعبد الله (عبد العزيز)، الطب الأطباء، مرجع سابق، ص. 22.
7. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، 1967، ص. 75.
8. ابن أبي زرع، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ج 2، ص. 167.
9. البشري (سعد بن عبد الله)، الحياة العلمية...، مرجع سابق، ص. 322.
10. بوكيلي (فايزة)، "الطب والصيدلة عند علماء الأندلس (ق 6 هـ / 12 م)، إشراقات نهضة وانبعاث حضارة"، مجلة المناهل، العدد 102، 2021، ص. 417.
11. الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، بيروت، ج 1، 1988، ص. 33.
12. ابن جلجل الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، 1955، ص. 92.
13. القفطي جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بغداد، 1903، ص. 126؛ هاشم (مختار)، «ديسقوريدس وكتابه»، مجلة التراث العربي، العدد 13-14، 1984، صص. 150-163.
14. فرنبة (خوان)، «العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس»، ترجمة أكرم ذانون، ضمن الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، بيروت، 1998، ج 2، ص. 1300.
15. الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء...، مرجع سابق، ج 1، ص. 19.
16. عجيل (حسين)، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، 494-92 هـ / 1102-711، بيروت، 1978، ص. 476.
17. حبيب مصطفى (عز الدين)، جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الرباط، ج 1، 1999، ص. 4.
18. ابن أبي الصبغة، عيون الأنباء، ج 2، ص. 37.
19. بالنشأ (أنخيل جنتال)، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، 1955، ص. 461-462.
20. بنعبد الله (عبد العزيز)، الطب والأطباء، ص. 32-33.

II - ابن رشد وكتاب "الكليات في الطب"

1 - ابن رشد الفيلسوف الطبيب

ليس هناك أفضل، لمن يريد معرفة قيمة هذا الفقيه، الفيلسوف، الطبيب، ممّا كتبه معاصره ابن الأبار في كتابه "التكملة"⁽²¹⁾. وُلد هذا العالم المعروف بأبي الوليد، وابن رشد الحفيد في قرطبة سنة 1126 م / 520 هـ⁽²²⁾. أخذ العلم عن أبيه أولاً ثم على يد ثلثة من أفضل علماء عصره كابن بشكوال، وابن مسرة، وابن سمجون، والمازري. وتلقى العلوم الطبية على يد أبي مروان ابن جُرّول البنسني، وابن هارون التّرجّلي. وقد اقترن الطب عند هؤلاء بالفلسفة وخاصة بالعلم الطبيعي. ظل قيد حياته ينتقل بين إشبيلية، وقرطبة، ومراكش عاصمة الموحدين. أسندت له مهمة القضاء بإشبيلية وبعدها قرطبة، ثم عين رئيساً لأطباء البلاط في مراكش خلفاً لابن طفيل ليحظى بمكانة عظيمة ورعاية مثالية استغلها في البحث والدرس والشرح في مختلف العلوم وخاصة علوم الطب، حيث أن كتاب "الكليات" لا يحدّ سوى ثمرة هذا المجهود الجبار الذي جرّ عليه نقمة الحاسدين والتي عرفت بنكبة 1198 م التي عرضته للنفي وإتلاف كتبه الفلسفية. وبذلك انتهت مسيرة هذا الطبيب الجليل الذي قال عنه ابن الأبار القضاعي أن الأندلس لم تعرف مثله علماً وكمالاً، وأنه كان صاحب دراية وليس رواية أي أنه من الذين يرجحون العقل عن النقل⁽²³⁾. لقد كان لهذا المسار العلمي الذي يُقرن الفلسفة بالطب الأثر البالغ في توجيه ابن رشد إلى الكتابة والتنظير في كليات هذا العلم أي الطب تاركاً الاهتمام بجزيئاته لغيره. ومن ثمّ، فإن كتاب "الكليات" يشكل محطة فارقة في تاريخ الطب العربي الأندلسي كما هو بيّن من دراسة الدكتور محمد عابد الجابري.

2 - كتاب "الكليات" أو المنهج العلمي في قراءة المبادئ

لا شك أن الأفق الفكري والعلمي الواسع الذي ميّز ابن رشد عن غيره هو الذي ساعد هذا العَلم من أعلام الطب والحكمة في اكتساب القدرة على كتابة "الكليات في الطب". فهو محاولة (un essai) لمراجعة التراث الطبي القديم (يوناني وعربي) انطلاقاً من منظور نقدي يتماشى مع المنهج العلمي الذي ألزم به ابن رشد نفسه. فالكتاب في مجمله يروم التخلي عن الصور النمطية القديمة للطب والصناعة الطبية⁽²⁴⁾. اعتمد ابن رشد في كتابه هذا مساراً يعيد النظر في مسلمات القدماء وخاصة جالينوس خاصة فيما يتعلق بالتشريح ووظائف الأعضاء.

فكتاب "الكليات" هو إذاً دراسة تركيبية لأصول ومبادئ علم الطب. وقد قصد به التقصي والنظر في هذه الصناعة على حد تعبيره، أو بمعنى أدق ضبط النظريات العامة في الفكر الطبي بهدف إحقاق الحق المطابق للواقع وإن كان ذلك لا يروق لأهل الصناعة أي لأطباء عصره. فالمنهج العلمي لا يقتضي بالضرورة أن يحصل توافق وتطابق للرؤى في كل شيء. فقد يكون الوصول لليقين اليوم متعذراً لكنه قد يصبح ممكناً في زمان آخر. وكأننا بابن رشد يبحث على الاجتهاد ولو في غياب المقدمات المُيسّرة لذلك⁽²⁵⁾.

ينقسم كتاب "الكليات" إلى سبعة أبواب تناولها ابن رشد بالتحليل والتفصيل وهي على التوالي: تشريح الأعضاء، الصحة (الأعضاء: منافعها وھیأتها)، المرض، العلامات، الأدوية والأغذية، حفظ الصحة وشفاء الأمراض⁽²⁶⁾. وبما أن الطب هو "صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة" فإن الغاية منها ليست بالضرورة شفاء الأبدان في الحال، ولكنها يجب أن تفعل ما يلزم وانتظار حصول الغايات بعد حين. وعليه، فإن ابن رشد يضع شرطاً أساسياً لممارسة الصناعة الطبية وهي اقتران الاجتهاد بالسببية والنسبية. وبالتالي، فإن الطب يجب أن يرقى إلى فكر علمي عملي يروم تفسير الأمور الكلية ولا ينحصر عند استجلاء الجزئيات. وبما أن

21 ابن الأبار، التكملة..، القاهرة، 1956، ج 2، ص. 553-555.

22 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب، دار الكتاب، 1978، ص. 242-243 و. 305-307: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 3، 1979، ص. 122-127.

23 ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مرجع سابق، ص. 554.

24 Molero (Rochiguez), «Originalidad y estudio de la Anatomia de Averroes », Al-Andalus, n° 15, 1950, p. 7.

25 الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء...، ص. 324.

26 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب، مع معجم المصطلحات الطبية العربية، بيروت، 1999، ص. 6، 7، 8.

خلاصات البحث في أمور الطب لا تصنف في خانة المسلمات، فإن ابن رشد كان دائم - كما هو الحال في كتاب "الكليات" - المراجعة والإضافة والتعديل⁽²⁷⁾. فقد راجع هذا الكتاب حوالي خمسة عشر مرة دون الخوض في الطب العملي⁽²⁸⁾.

تناول ابن رشد في كتاب "الكليات" موضوعات الطب انطلاقاً من توجه منهجي يعنى بالأساس بالأصول النظرية الكلية لعلم الطب. وهو بالأساس مراجعة نقدية لكتب جالينوس، طبيب الإسكندرية، وغيره من الأوائل. ووفقاً لهذا المنطق، فإن ابن رشد عمد إلى مراجعة جالينوس في الكتب السبعة التي يحتويها كتاب "الكليات"، فهو تارة يعارضه، وتارة أخرى يُعَدِّله ويُصَوِّبه. وما أن الصنائع الفكرية هي نوعان: فمنها نظرية كالعلم الطبيعي، والأخرى عملية كالطب التجريبي، والتشريح، فإن الأساس عند ابن رشد هو العلم الطبيعي، لأنه المتحكم في أسباب الصحة والمرض⁽²⁹⁾. وهنا نقف عند الشرط الثاني الذي يحدده ابن رشد لكل راغب في ممارسة الطب، وهو الإحاطة بالعلم الطبيعي كما هو معمول به اليوم في السنوات الأولى بكليات الطب (الكيمياء، الكيمياء الحيوية، الفيزياء الحيوية، الفيزياء، التشريح، الفيزيولوجيا، وعلوم الخلايا والأنسجة...) ⁽³⁰⁾. وإذا كان ابن رشد غير واعي بالحدود الفاصلة بين العلم الطبيعي وممارسة الطب، فإنه فطن إلى ذلك، حيث نراه يوافق رأي أرسطو بأن الصحة والمرض ليسا من اختصاص الطبيب وحده، بل هناك تكامل إذ يقول: «أن صاحب العلم الطبيعي يشارك الطبيب (في موضوع صناعته)» لكن يبقى الاختلاف في الغايات، فإذا كان الأول يهتم بالصحة والمرض باعتبارهما موجودات طبيعية، فإن الثاني أي الطبيب يعمل على حفظ الصحة وإزالة المرض⁽³¹⁾. ولتحقيق هذه الغاية، فإنه لا بد للطبيب من أن يكون على دراية بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء. ويلاحظ أن ابن رشد كان متمسكاً بهذه القاعدة في كل أطوار أو أقسام كتابه "الكليات"⁽³²⁾. وانطلاقاً من تعريفه بالصحة على أنها «حالة العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع أو يتفعل الانفعال الذي له...»، عمد ابن رشد إلى تعقب آراء جالينوس والاعتراض على أفكاره ونقد مذهبه في أمور كثيرة كجهاز الدورة الدموية، ووظيفة القلب، والكبد، والشرابين والأوردة. كما دحض آراءه في التشريح ووظائف الأعضاء والقوى الطبيعية والحيوانية والروحية، وذلك دحضاً للغلط وانتصاراً لليقين ولو كان ذلك مخالفاً لأهل الصناعة أي الأطباء.

لكن بعودتنا إلى دراسة الدكتور محمد عابد الجابري فإننا نتساءل لماذا أبدى هذا الباحث كل هذا الشغف بكتاب "الكليات" وأشاد به هذه الإشادة التي جرت عليه الكثير من الانتقادات.

III - ابن رشد والجابري. "الكليات في الطب" النقطة المضيئة زمن الانهيار وبداية أفول الحضارة العربية شرقاً وغرباً.

توالت قوائم وطبعات هذا الكتاب وترجماته إلى لغات عديدة منذ أن ظهر إلى الوجود. وقد كان موضوع تحقيقات عديدة وكثيرة⁽³³⁾. لكن المجهود الذي بذله الدكتور محمد عابد الجابري في استقصاء وتحري مزايا هذا الكتاب تبقى استثنائية. لا شك، إذ، أن دراسة الجابري هي من أفضل وأهم الدراسات لهذا الكتاب. لكن لماذا هذا الغلو عند هذا الأخير في الإشادة بكتاب الفيلسوف والطبيب ابن رشد؟ من المؤكد أن الجابري قنَّ همضان هذا الكتاب ولذلك ما يبرره. ذلك أن الكتاب أنصف صاحبه أولاً وذلك بأن غير نظرة معاصريه من مجرد فيلسوف، وفقه، وشارح لأرسطو إلى الطبيب الذي قوض وأزم كل شيء في الكتابات الطبية السائدة آنذاك. كما أن هذا الكتاب، الذي ظل يُدرَّس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي، يعتبر كتاباً جامعاً يهتم بالمسائل العامة دون الجزئيات التي اختص بها ابن زهر. كذلك من أهم المحاولات المُبَكِّرة للدراسة المُقَارَنة بين

27 العلوي (ج. د)، مقالات في المنطق والعلم الطبيعي لأبي الوليد بن رشد، الدار البيضاء، 1983، ص. 73.

28 سرو (محمد)، النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر (دراسة إستيمولوجية تحليلية)، الرباط، 2015، ص. 105.

29 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب...، مرجع سابق، ص. 129.

30 سرو (محمد)، النظر والتجريب...، مرجع سابق، ص. 105.

31 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب...، مرجع سابق، ص. 130.

32 الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء، مرجع سابق، ص. 325.

33 نذكر منها على سبيل المثال، ابن رشد، الكليات في الطب، تحقيق أحمد محفوظ، بيروت، 1999؛ ابن رشد، الكليات في الطب، تحقيق محمد بن عبد الجليل بلقرز، الدار البيضاء، 2000؛ يفوت (سام)، مدخل لقراءة كتاب الكليات في الطب لابن رشد، 2001، ص. 148 (تقديم لثلاث تحقيقات ما بين 1947 و1989).

مدرسة أبقرات ومدرسة جالينوس، فلا يمكن أن يكون دراسة تقنية بل ممارسة فكرية تجمع بين العلم والفلسفة. أشاد محمد عابد الجابري بهذا الكتاب أيضاً لأنه أول دراسة عربية إسلامية للأصول النظرية الكلية لعلم الطب أي أنه يتناول الجانب النظري من الطب علاوة على الجوانب العلمية العلاجية. ومن جانب آخر، ربما يبدو أن هناك تطابقاً في الكتابة عند جالينوس وعند ابن رشد، ففي الوقت الذي نحا فيه جالينوس منحى البسط والتفسير لمفهوم الطب وصناعته، نجد أن ابن رشد يقدم هذه الصناعة على جهة الإيجاز والاختصار وذلك رغبة منه في وضع مدخل نظري للطب⁽³⁴⁾. من مزايا كتاب "الكليات" التي نبه إليها الجابري قدرة ابن رشد على الفصل بين المقاربة النظرية المتعلقة بأسباب الصحة والمرض، والمقاربة التجريبية أي التطبيقية التي تفتقد للصفة العلمية لارتباطها بالجزئيات وليس بالكليات، وبذلك يكون هذا الكتاب قد وضع حداً للتعريف السابق الذي يقسم الطب إلى نظري وتطبيقي⁽³⁵⁾. إن هذه المواقف الجريئة والجديدة هي التي استغفرت المعاصرين من الأطباء اللاتينيين الذين وصفوها بالعقيمة والمبهمه، ومن تمّ هاجموا الكتاب واعتبروه مزعجاً⁽³⁶⁾. وربما تأتي قيمة الكتاب، كما أشار إليه الجابري، من قوة هذا الانزعاج الذي ساد الأوساط اللاتينية مما يبرهن على سطوته وريادته. هناك أيضاً الخلفية البيداغوجية التي استحضرتها ابن رشد في تقسيم كتابه. فهو تقسيم يتماشى مع موضوع الطب الذي هو بدن الإنسان (العلة المادية)، والغاية هي حفظ الصحة وإزالة المرض (العلة الغائية)، والآلة المحتكمة في تلك الغاية وهي الأغذية والأدوية. فتبويب الكتاب إلى سبعة أقسام يتماشى ومضمون الصناعة الطبية. ولهذا حرص ابن رشد على تنظيم أفكاره وآراءه وفقاً لتراتب منطقي يبدأ بكتاب التشريح وينتهي بكتاب الحيلة في إزالة المرض⁽³⁷⁾.

من المؤكد أن الدراسة التي قام الجابري لكتاب "الكليات في الطب" تعتبر الأفضل والأيسر لمناقشة موضوع التفكير العلمي في الطب عند العرب عامة وعند الأندلسيين خاصة. إنها محاولة تركيبية لمجمل الخلاصات والاستنتاجات التي وقف عليها الجابري من خلال تقديمه وشرحه لكتاب فيلسوف قرطبة. فالدراسة والتحليل لمضامين الأقسام السبعة لهذا الكتاب تضمنت أمام استيعاب رائع وقدرة على فهم هذا الفيلسوف العربي للممارسة الطبية والتفكير الطبي ومناهجه. وبحماس منقطع النظر يشدد الجابري على أهمية هذا الكتاب وذلك في إطار الاجتهاد وإحياء التراث في إطار مشروع كان يديره لدى "مركز دراسات الوحدة العربية". فبوعي وإحاح يؤكد، بالدليل والبرهان، بأن ابن رشد حقق السبق في هذا المضمار. وبالتالي، فإن الكتاب يعتبر إنجازاً علمياً غير مسبوق ومحطة فاصلة في تاريخ الفكر الطبي عند العرب وعند الأوروبيين على حد سواء⁽³⁸⁾، حتى أنه وصف، أي المخطوط، في أوروبا بـ"العصا القاتلة" والكتاب الذي "أفسد جميع الأطباء". إننا بصدد محاولة جريئة وأصلية لشرح المنهج النقدي في التعامل مع الفكر الطبي والصناعة الطبية شاملة. فالجابري يقف عند استنتاج غاية في الأهمية مفاده أن هدف ابن رشد المُبْكَر في مراجعة آراء وتصورات القدماء من الإغريق (أبقرات، جالينوس)، والسابقين والمعاصرين من العرب والمسلمين (حنين ابن إسحق، المجوسي، الرازي، ابن سينا والزهرائي) كان محاولة الرقي بالطب كفكر وصناعة مبنية على اليقين والتجربة الصادقة. وهذا المنهج يقتضي بالضرورة إعادة النظر في المواضيع، والوسائل، والغايات، ومصادر المعرفة الطبية، والمناهج التطبيقية، وأخيراً النظريات، بمعنى آخر إخضاع الفكر والممارسة الطبية برمتها لمناهج النقد. ومن هذا المنظور يكون، حسب الجابري، ثمة قراءة إستيمولوجية أي نقدية للعلوم الطبية كفكر وممارسة. ومن تمّ، فإن كتاب "الكليات" لابن رشد هو مشروع سابق لأوانه للرقي بالطب إلى مضاف العلوم بعيداً عن الخرافات والأساطير. إن المنطلقات الفكرية والمنهجية التي عالج بها ابن رشد التراث الطبي عند من سبقوه ومن عاصروه كانت سبباً في إحداث أزمة ومصدر تشويش وإرباك عند الأوروبيين وعند العرب. وهذا ما حدا بالجابري إلى القول: «من هذه الزاوية، يمكن القول أن هذا الكتاب غير مسبوق ولم يظهر ما يماثله في موضوعه إلا في القرن التاسع عشر». لقد حوّل هذا الكتاب اليقينيّات إلى مصادر انزعاج. ففي كل قسم من الأقسام السبعة التي يتضمنها المخطوط، لم يتردد ابن رشد في إظهار الخلل والإشارة إلى الصواب مؤسساً بذلك لمنهج علمي في النقد والدراسة، فكان بذلك، حسب رأي محمد عابد الجابري، منطلقاً لمرحلة جديدة في تاريخ الفكر العلمي الطبي في الحضارة العربية الإسلامية، وهنا تكمن بالضبط أهميته القصوى. فباستعراضه لموضوع الطب والممارسة الطبية في مجالاتها التطبيقية كان فيلسوف قرطبة يرمي إلى نسف الأسس التي

34 يفوت (سام)، مدخل لقراءة كتاب الكليات في الطب لابن رشد، مرجع سابق، ص. 1501-151.

35 Jacquot (D.), Micheau (E.), La médecine arabe et l'Occident médiéval, Paris, 1990, p. 184.

36 سرو (محمد)، النظر والتجريب...، مرجع سابق، ص. 112.

37 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب...، مرجع سابق، صص. 6-8.

38 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب...، مرجع سابق، ص. 11.

يقوم عليها الفكر الطبي في عصره. ومن ثمّ فهو يطرح بدائل للرؤية والمفاهيم، والمنهج، ولذلك وجب الإقرار، حسب الجابري، بأن الكتاب هو تجربة تأسيسية للبحث والنقاش في موضوع الفكر الطبي والصناعة الطبية. وانطلاقاً من هذه الملاحظة، فإن ابن رشد يعتبر من المُتَظَرِّين الأوائل لما يجب أن يكون عليه الطب، فكراً وممارسة. فالكتاب ليس مجرد تراكم للمعرفة والخبرة في ميدان الطب بل هو محاولة للرقى بالطب إلى علم تؤسسه "كليات" أي مبادئ ومناهج. وعليه، فإن المخطوط ليس استعراضاً للمعرفة بقدر ما هو قراءة في فلسفة العلم. إنه مقارنة تجديدية للتصورات، والنظريات والمبادئ التي تؤسس العلوم الطبية⁽³⁹⁾.

خلاصة القول، لقد أدرك الجابري أن صيت ومكانة ابن رشد في عصره كان بفضل ما أحدثه كتاب "الكليات" من رجة وتأثير في فكر معاصريه. وبناءً عليه، فإن المكانة التي تبوأها ابن رشد بفضل كتابه في الطب لا يمكن التغاضي عن قيمتها بدافع المكابرة أو التعصب. لقد مهد هذا الكتاب السبيل لفهم نظريات السابقين والمعاصرين من منظور نقدي يعتمد التصويب والتصحيح وإبداء الرأي المخالف⁽⁴⁰⁾.

39 الجابري (محمد عابد)، الكليات في الطب...، مرجع سابق، ص. 12-13.

40 الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء...، ص. 329.

المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي

جهود مركز تحقيق التراث العربي بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا في تحقيق النصوص الطبية من التراث العربي

أ.د أنس عطية الفقي

مدير مركز تحقيق التراث العربي بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

التعريف بالمركز ودوره في خدمة التراث العربي بصفة عامة:

تعد جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا من أوائل الجامعات العربية التي اهتمت بالتراث العربي، وقد جاء ذلك انطلاقاً من الحرص على أداء رسالتها في خدمة المجتمع المصري والعربي؛ حيث قامت بإنشاء مركز تحقيق التراث العربي بقرار السيد/ رئيس مجلس أمناء الجامعة رقم (48) بتاريخ 2010/5/17م وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

- العمل على إحياء هذا التراث بتحقيق نصوصه تحقيقاً علمياً منهجياً ونشره لتعبيد طريق البحث العلمي أمام الدارسين ومؤرخي العلوم.
- الكشف عن إنجازات علمائنا في مجالات العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والفلك والكيمياء والميكانيكا والفيزياء وغيرها وتوثيق صلتهم بها وسبقهم إليها.
- ترجمة ما ألفه المستشرقون عن تراثنا المخطوط وإتاحته للباحثين.
- نشر البحوث العربية التراثية.
- إبراز روح التسامح التي تحلى بها علماء المسلمين الذين شاركوا علماء الديانات الأخرى دروسهم وعلمهم وأفكارهم العلمية، تأثيراً وتأثراً.
- المحافظة على الهوية الوطنية وتحصينها من التشويه والاضمحلال.
- بث روح الوعي بالتراث العربي المخطوط لدى الأجيال الناشئة.

وللنهوض بهذا العمل؛ تم اختيار مجموعة متميزة من الباحثين للقيام بأعمال التحقيق بإشراف عدد من كبار العلماء الخبراء في مجال تحقيق النصوص التراثية.

وتعدّ هذه الخطوة من قبيل جامعة مصرية خاصّة الأولى من نوعها؛ حيث تسجل لجامعة مصر شرف الريادة في إنشاء مركز متخصص في تحقيق المخطوطات العربية.

مجلس خبراء المركز:

تم تشكيل مجلس خبراء المركز من بعض كبار العلماء والخبراء العاملين في مجال التراث العربي برئاسة الأستاذ الدكتور أنس عطية الفقي أستاذ الدراسات العربية والإسلامية والخبر في التراث العربي- مدير المركز، وعضوية السادة العلماء والخبراء:

- الأستاذ الدكتور/ حسين نصار أستاذ الأدب العربي والعميد الأسبق لكلية الآداب بجامعة القاهرة.
- الأستاذ الدكتور/ محمد زغلول سلام أستاذ الأدب العربي والعميد الأسبق لكلية آداب بنها
- الأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا أستاذ الفيزياء، وأحد رواد تاريخ العلوم في الوطن العربي، ونائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق، وعضو مجمع اللغة العربية.
- الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد مدكور، أستاذ الفلسفة الإسلامية، والأمين العام للمجامع اللغوية العربية.
- الأستاذ الدكتور/ أيمن فؤاد السيد أستاذ التاريخ الإسلامي والخبر التراثي بجامعة الأزهر.
- الأستاذ الدكتور/ فوزي محمد جاب الله، أستاذ التشريح بكلية الطب، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا. وصاحب القاموس الطبي الشامل.
- الأستاذ الدكتور/ محمد إسماعيل حامد، الأستاذ المتميز في الصيدلة الإكلينيكية ومدير مركز النشر بالجامعة
- الأستاذ الدكتور/ عامر النجار أستاذ الفلسفة الإسلامية والخبر التراثي.
- السيد الدكتور/ محمود مهدي بدوي الخير التراثي ونائب مدير المركز.
- ثم تلا ذلك انضمام مجموعة من السادة العلماء في التخصصات المختلفة وهم:
- الأستاذة الدكتورة/ آمال الروبي وكلية كلية الآثار، جامعة مصر.
- الأستاذ الدكتور/ حسيني الجندي، رئيس قسم العقاقير بكلية الصيدلة، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.
- الأستاذ الدكتور/ عادل السيد أستاذ الطب البيطري، جامعة جنوب الوادي.
- الأستاذ الدكتور / خالد فهمي أستاذ اللغويات العربية والخبر بمجمع اللغة العربية.
- النتائج العام للجهود التي بذلها المركز في خدمة التراث العربي بفروعه المتنوعة:

في غضون بضع سنوات خطا المركز خطوات جادة نحو إنجاز أهدافه، وقد جاءت ثمار تحقيق التراث العربي متنوعة لتسد أكثر من ثغرة في المكتبة التراثية، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

- بلغ عدد ما تم طباعته ونشره محققاً أو مؤلفاً أو مترجماً أكثر من (63) ثلاثة وستين إصداراً يصل عدد أجزاءها إلى أكثر من (110) مئة وعشرة مجلدات.
- اهتم المركز بتحقيق نصوص التراث العلمي والتي تعترف أكثر مراكز التحقيق ومؤسسته عن اقتحام ميدانه لما فيه من صعوبات عديدة ونفقات كثيرة وعائد قليل تتم بفضل الله تحقيق مجموعة من أمهات كتب الطب والصيدلة والتي لم يسبقه أحد في مجال تحقيقها تحقيقاً منهجياً، ومن هذه الكتب: القانون في الطب لابن سينا، والمختار في الطب لابن هبل، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، والشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، وغيرها.
- كان للمكتبة القرآنية نصيب من عناية المركز فأقدم على تحقيق أحد أهم كتب التفسير، وهو كتاب (التهذيب في تفسير القرآن الكريم) للحاكم الجشمي، وقد أنجز المركز من تحقيقه خمسة أجزاء.
- وفي مجال الدواوين الشعرية قام المركز بتحقيق ديواني عفيف التلمساني، وسيدي علي وفا السكندري.
- وأضاف المركز للمكتبة التاريخية ثلاثة كتب يُعد أحدهما أحد المصادر الأربعة التي يعتمد عليها في التأريخ للعلم العربي، وهو كتاب (المنتخبات المتنقطة من كتاب القفطي إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لمحمد بن علي الزوزني. أما الكتاب الثاني فهو: (لوائح الأنوار في طبقات الأخيار) والمعروف بالطبقات الكبرى للإمام الشعراني، والذي عُني فيه المؤلف بالترجمة لكبار رجالات هذه الأمة من الصحابة والأولياء والصالحين حتى زمانه، وأما الثالث فهو (لوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية) وهو أيضاً للإمام الشعراني ترجم فيه لمشايخ الإسلام وعلماء الأمة الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة.
- ومن التراث الفيزيائي العربي تم تحقيق كتاب المناظر لابن الهيثم؛ وهو من الأهمية بمكان. (المقالة السادسة في أغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس). كما تم تحقيق كتاب (مقالة في ضوء القمر) لابن الهيثم أيضاً وجاء ذلك تزامناً مع الاحتفاء بالعام الدولي للضوء 2015م ليكون خير تذكّار للعالم العربي العالمي الذي كرمه العالم بإطلاق اسمه على الفوهة الواقعة في الجانب الشرقي المرئي للقمر من الأرض.
- وفي مجال الكتب المؤلفة المرتبطة بالتراث نشر المركز مجموعة من الكتب منها: التراث الثقافي العربي، ومعجم

المصطلحات العلمية في التراث العربي للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا، ومفتاح الرشاد في سياسة العباد والبلاد للأستاذ الدكتور أنس عطية الفقي، وهو شرح لعهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لعامله على مصر مالك الأشتر)، كما نشر مختصرا في منهج تحقيق النصوص التراثية للدكتور/ محمود مهدي، ومختصر كتاب تاريخ الطب العربي للأستاذ الدكتور محمد فوزي جاب الله.

- وفي مجال المكتبات المختصة قام المركز بنشر مجموعة أعمال الأستاذ الدكتور/ محمد عبد السلام كفا في كاملة والتي ضمت فنونا معرفية عديدة تتعلق باللغتين العربية والفارسية وأدبيهما.

أما في مجال الترجمة:

نشر المركز مجموعة من الأعمال المترجمة هي:

- تجارة مكة وظهور الإسلام للمستشرق باتريشيا كرون، ترجمة الأستاذ الدكتور/ آمال الروبي والتي صححت فيه كثيرا من المفاهيم الخاطئة التي حاولت المستشرق تهريبها للمتلقى.
- تاريخ الطب العربي للمستشرق لوسيان لوكلي، ترجمة الدكتور/ أسامة عبد الجليل. وهي أول ترجمة من الفرنسية إلى العربية لهذا السفر العظيم الذي رصد فيه المؤلف جهود العلماء في ميادين الطب والصيدلة بصفة خاصة، وفي مجالات باقي العلوم التطبيقية وترجمتها بصفة عامة.
- تاريخ البيطرة عند العرب - ليون موليه، ترجمة الدكتور/ أسامة عبد الجليل.

ومن الأعمال التي تضارع ما أنجز قيمة ومثاله تنوعا:

- رسالة حنين بن إسحاق عن ترجمات كتب جالينوس ودراسة عنها في إطار علم البليوجرافيا والفهرسة، للأستاذ الدكتور كمال عرفات نيهان.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، إشراف ومراجعة الأستاذ الدكتور أنس الفقي، وتحقيق د. عشري الغول ود. أشرف الفحام.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب سبق تحقيقه فإن المركز يمتاز في هذا التحقيق باستكمال النص بوضع المصورات التي جاءت في بعض النسخ المخطوطة في موضعها من الكتاب.
- اكتشاف نصوص التراث العربي والأجنبي، للأستاذ الدكتور كمال عرفات نيهان.
- الجذور اليونانية والفارسية لمصطلحات البليوجرافيا والمكتبات، للأستاذ الدكتور كمال عرفات نيهان.
- الدرر الغوالي في معالجة أمراض الأطفال.
- درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب وأقوال الإمام أبي الحسن الشاذلي، للدكتور أنس عطية الفقي.
- المرشدة في عمل الترياق الفاروق.
- التواصل والصلة؛ أخلاقيات وآليات في تأليف النصوص العربية، لدكتور كمال عرفات نيهان.
- قراءة في كتاب الموق، تشبيه أعضاء المتوفى بالمعبودات المصرية، للدكتور سمير أديب.
- موسوعة مصر القديمة، 8 مجلدات، للدكتور سمير أديب.

وكما غني المركز بتراثنا العلمي القديم وجه اهتمامه صوب مدرسة محمد علي الطبية التي أشرقت منها شمس العلوم التجريبية الحديثة فحقق عدة كتب تساهم في الكشف عن الجهود التي بذلت في هذه المدرسة تدريسا وتأليفا وابتعاثا ومن هذه الكتب: الدرر الغوالي في معالجة أمراض الأطفال، والرحلة الوفائية في المدرسة الطبية.

الأعمال الإلكترونية:

مع وجود موقع إلكتروني يحمل اسم المركز، نسعى لتقديم خدمات مجانية لم يسبق إليها من خلال تصميم محرك للبحث: يحمل الأول اسم: معجم المخطوطات العربية الم فهرسة في مكتبات العالم، والثاني بعنوان: معجم المصطلحات العلمية في التراث العربي، ويجري العمل فيها حاليا، ونأمل أن نصل من خلاله إلى أن يستطيع الباحث التعرف على ما يريد من دلالات مصطلحات

الطب والصيدلة والكيمياء والنبات والغذاء والمعادن والفلك والرياضيات والميكانيكا، والأوزان والمكاييل وغيرها.

الأنشطة والمشاركات الثقافية:

يشارك المركز وبصفة دائمة في شهر إبريل من كل عام في الاحتفالية التي ترعاها جامعة الدول العربية بمناسبة (يوم المخطوط العربي)، وقد استضاف المركز بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية ومنظمة التربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية احتفالية يوم المخطوط العربي لعام 2022م بدار أوبرا جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

وتهتم المشاركات المركز بتنوع مادتها، وثراء أفكارها، وتعدد مستويات متابعتها، بين معارض لكتب التراث، معارض لصور المخطوطات، معارض لأدوات صناعة المخطوط العربي، أفلام تسجيلية مرتبطة بشعار الاحتفالية، ثم المحاضرات المتخصصة والثقافية، والفقرات الفنية والموسيقية، وإلقاء الشعر، ويرتاد الاحتفاليات التي تخصص لها الجامعة قاعة المؤتمرات الكبرى كبار العلماء من داخل الجامعة وخارجها فضلا عن جموع الطلبة الذين يحضرون على الحضور والمشاركة في التنظيم والتفاعل مع المحاضرين بالمداخلات والاستفسارات.

كما يحتفي المركز بالتعاون مع قسم اللغة العربية بكلية اللغات والترجمة وكلية الإعلام باليوم العالمي للغة العربية، ويقدم الندوات بصورة دورية في المناسبات المحلية والدولية والدينية.

المشاركة في معارض الكتب المحلية والدولية:

يشارك المركز بإصداراته في المعارض المحلية والإقليمية والدولية وفي مقدمتها معرض القاهرة الدولي للكتاب، ومعرض الشارقة وغيرها؛ حيث إن الجامعة عضو في اتحاد الناشرين المصريين، وعضو في اتحاد الناشرين العرب. ويقدم المركز خصومات كبيرة على إصداراته تشجعا وتيسيرا لمن يريد اقتنائها.

الشراكات مع المؤسسات النظير

للمركز علاقات ومشاركات مع العديد من المؤسسات المعنية بالتراث كمعهد المخطوطات العربية، ومركز تحقيق التراث بمكتبة الإسكندرية، ودار الكتب والوثائق القومية، ومركز التراث العلمي بجامعة القاهرة، ومركز الفلك الشرعي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ومؤسسة "علم" لإحياء التراث وغيرها، ويتم تبادل الزيارات والاتفاقات بشأن المشاركة في المناسبات الثقافية.

أعمال خدمية يقوم المركز بتنفيذها:

- محاضرات وندوات متخصصة وثقافية، يدعى للحديث فيها أحد كبار العلماء المتخصصين في مجال التراث العربي وقضاياها، ويقدم بها المتخصصون والدارسون وطلبة الجامعة.
- دورات تأسيسية مجانية تهدف إلى التعريف بالتراث وأهميته والمخطوط وصناعته وحفظه وفهرسته وتحقيقه وتنمية مهارات الخط العربي.
- مسابقات تراثية مبسطة لطلبة الجامعة مساهمة في نشر وتعميم الثقافة العربية وإنجازات العلماء المسلمين.

رعاية السيد رئيس مجلس الأمناء للمركز أهم عوامل نجاحه

قيض الله - عز وجل- للمركز فرصة قلما تتوافر لأي مؤسسة تراثية أخرى، فقد تضمن قرار إنشاء المركز تبعية المباشرة للسيد رئيس مجلس الأمناء ليحبه العقبان الروتينية التي قد تعوق حركة نشاطه، ووفر له الاعتمادات المادية اللازمة، ومنح المركز حرية طبع الكتب ونشرها على نفقة الجامعة، ووافق على إهداء منشورات المركز للمؤسسات العلمية، والمكتبات العامة والجامعية، والشخصيات العامة، وضيوف الجامعة والمركز بدون قيود أو نسب عديدة.

ثانياً: خطة تحقيق النصوص العلمية والطبية: التنوع وتحري الاختيار الأنسب .

كان القرار الأول للمجلس هو التركيز على أمهات النصوص التراثية في جميع الفنون، وبخاصة النصوص التراثية العلمية؛ لتحقيق التوازن بين التراثين النقلي والعقلي، ولأن التراث العلمي يعاني من مشاكل شتى، منها:

* أنه كثير الجهد والمشقة قليل العائد على المحققين ودور النشر، مما دفع الأخيرين إلى عدم المجازفة بخوض غمار تحقيقه ونشره درءاً للخسارة المادية، والاكتفاء بالعناية بتراث العلوم الشرعية واللغوية الذي يلقي تحقيقها ونشرها رواجاً ويفيض ربحاً.

* كما أن من أبرز ما يعانيه التراث العلمي تلك المعاول التي تنهال على صرحه، وتجدُّ لنقض أساسه، وهدم أركانه، وتقويض بنيانه، والتقليل من شأنه وإقصائه، حيث عدَّه أصحاب هذا التوجه من المخلّفات التي لا تصلح اليوم، واعتبروا التمسك به ضياعاً للحاضر، وأن قوانينه وأفكاره وأساليبه - من وجهة نظرهم - لا تواكب تطورات الحياة، وأن إنفاق الجهد والوقت والمال في فهرسته وتحقيقه ونشره أولى به الدراسات الحديثة، والقائلون بذلك لا يخلون من غرض مشبوه، ولا يتزَّهون عن حقد دفن أو جهل أو تغرير.

كما رأى المجلس ضرورة إبراز مظاهر التنوع التي تجسد عبقرية التأليف الطبي؛ ليدرك المتلقي أن علماءنا عنوانا بالمؤلفات الطبية تلبية لمقتضيات الأحوال، كالتيودين العلمي المطوّل الذي يتضمن أصول العلم وفروعه وشرحها ونقدّها، وأن هذه المؤلفات كانت تقدم للمختصين وكبار الأطباء. وأن هناك مؤلفاتٍ موجزةً قصد بها التعليم والتثقيف الطبي، وأخرى قصد بها تدريب الصيادلة ومساعدتهم على سلامة الأدوية التي يركبونها من الأخطاء حرصاً على سلامة المرضى.

وقد جاءت هذه المؤلفات في أعماق تأليفية عديدة، فمنها: المنثورة، والمنظومة، والمُجذّولة، مما لم يوجد له مثيل في مؤلفات الحضارات السابقة، وأن نشرها سيساهم في الكشف عن وجه آخر تميز به التراث العربي.

التراث الطبي: مفهومة ومميزاته

التراث الطبي العربي مصطلح يطلق على ما ألفه العلماء في مجال العلوم الطبية، سواء ما يتعلق بالطب الإنساني أو الطب البيطري، والصيدلة ومصادرها وتركيب الأدوية، وطب الفم والأسنان وغيرها.

ويمتاز التراث الطبي بما امتاز به التراث العربي عموماً كونه جزءاً غير منفصل عنه، ومما امتاز به أيضاً:

* البُعد الزمني، فهو نتاج قرون طويلة تصل إلى ما يزيد عن اثني عشر قرناً متصلة من العطاء والنماء الفكري والتطور المعرفي والإنجازات العلمية التي خلفت لنا الآلاف من العناوين الطبية.

* كما يمتاز ببُعده المكاني، فقد فاقت الرقعة المكانية التي خلفت لنا هذا التراث أي بقعة مكانية لأي تراث سابق أو لاحق، فالحضارة الإسلامية تشعبت روافدها لتصل إلى وسط أوروبا شمالاً ووسط أفريقيا جنوباً، وإلى الهند شرقاً والأندلس غرباً، مما خلق جواً من التنافس العلمي، والتواصل الفكري والإبداع بين الأطباء في شتى البقاع.

* ويمتاز أيضاً ببُعده الحضاري المتمثل في نهضة هذه الأمة، وحملها مشاغل التنوير، والخروج بالعلم إلى آفاق رحبة، اتسم فيها بالأصالة والتطوير والابتكار، والحيوية والتكامل والتفاعل، كما اتسم في كثير من مجالاته بالقيام على أسس البحث العلمي الصحيحة، والاعتماد على المنهج التجريبي، والنقدي.

* ولعل أهم ما امتاز به هو البُعد الأخلاقي الذي أملاه الشرع الحنيف على العلماء فأشربوا في قلوبهم حب تطبيق تعاليمه والامتثال لأوامره ونواهيه، فأحلّوا في وصفاتهم الدوائية ومعالجتهم ما أحله الله، وحرّموا ما حرّمه الله من قتل النفس المريضة الميؤوس من شفائها، وإجهاض الحوامل، وإشاعة أسرار المرضى، والإطلاع على العورات، وتقديم الرعاية الطبية للأغنياء وإهمال الفقراء، بل والرقى بالحيوان والسعي نحو تخفيف آلامه.

قواعد تحقيق النصوص الطبية والعقبات التي تحول دون تمام الفائدة منها:

لزم المركز أن يدرس حالة تحقيق التراث العلمي للوقوف على ما يحول دون إقدام المؤسسات التراثية على تحقيقه ودرسه ونشره، وخلصت الدراسة إلى أن تحقيق النصوص العلمية عموماً والطبية خصوصاً تتفق مع باقي العلوم في الكثير من قواعد التحقيق والبناء الهيكلي للنص المحقق ومكملاته، سواء في مرحلة الإعداد والتمهيد أو في مرحلة العمل والتنفيذ، ومن هذه الضوابط والقواعد المتفق عليها:

ما يشترط في المحقق من صفات، والبحث عن النص المراد تحقيقه، والتأكد من عدم تحقيقه أو نشره نشرة علمية دقيقة، وجمع النسخ ودراساتها وترتيبها، ومقابلة النسخ، وإثبات الفروق، والتخريج، والمكملات القبليّة (الدراسة)، والمكملات البعديّة (الكشافات والملاحق) ... الخ.

ولكن تظل للنصوص الطبية خصوصية تبقى عائقاً وعقبة أمام المحقق مثل:

- ندرة نُسخ بعض الكتب الطبية، وتوزع أجزاء الكتاب الواحد أحياناً على أكثر من مكتبة في أكثر من دولة.
- شيوخ التصحيح والتحريف في كثير من النصوص الطبية المخطوطة نتيجة عدم فهم النسخ للنص، وبخاصة في أسماء الأدوية المنقولة عن اللغات الأخرى.
- ندرة المصادر المختصة بالتراث الطبي (كتب التراجم، المعاجم المختصة، الدراسات التحليلية والنقدية، عدم اكتمال كتابة تاريخ الطب العربي...) مما يجعل كثيراً من الأعمال تصدر منقوصة المكملات الفنية.
- كثير من أسماء الأدوية من أصول لغوية غير عربية، كال يونانية واللاتينية والفارسية والهندية وسواها من اللغات السائدة في العصور الماضية، وهذه الأسماء يصعب ضبطها لعدم وجود مصادر تعين المحقق على ذلك بصورة صحيحة، مما يجعل الكتب تصدر بعد تحقيقها وهي تعج بالتصحيح والتحريف، فيؤثر المحقق السلامة باختياره نصاً غير طبي.
- عدم تعامل المحقق مع الصور التوضيحية (نباتات، حيوانات، أدوات، أعضاء آدمية) المدرجة بالنص تعاملًا صحيحًا، فالبعض يهملها أحياناً، والبعض يأتي بصور حديثة يضعها موضع صور الكتاب، مما يوجه له سهام النقد واتهامه بالتقصير المعتمد أحياناً وبالإهمال أحياناً.
- عدم تخصص المحقق أو عدم إلمامه بقدر كاف من الثقافة المتعلقة بالنص المراد تحقيقه، فيفقد المحقق القدرة على الكشف عن الإضافات العلمية التي يقدمها النص الذي بين يديه إلى علم الطب، ودوره في ارتقائه وراثته، كما يساهم ذلك في صعوبة فهم مراد المؤلف، ومن ثمّ تفسيره تفسيراً خاطئاً يضر بالعمل، كما يعجز المحقق معه غالباً عن وصف منهج المؤلف وصفاً دقيقاً ودراسة هذا المنهج وإبراز ما يتسم به من إيجابيات وسلبيات.
- ونتيجة لعدم فهم المحقق للنص، فكثيراً ما يصدر الكتاب بدون مكملات، بل ويكون خالياً من ذكر النسخ التي عوّل عليها في تحقيقه، وإهماله ذكر منهج تحقيقه.

رؤية المركز في معالجة ما سبق:

رأى المركز أن من أهم الأسس التي تكفل للنص الطبي تحقيقاً ناجحاً هي التزام المحقق منهجاً واضحاً سهلاً خالياً من التعقيد، به يستطيع معالجة ما يقابله بالنص من زيادة أو نقص، وتصحيح أو تحريف، وتغيير وتبديل، وتقديم وتأخير، وأخطاء لغوية وإملائية. لذا فقد تم تكليف د. محمود مهدي الخبير بالمركز بوضع منهج مختصر يهتدي به محققو المركز في تعاملهم مع ما يكفلون به من تحقیقات.

ولما كان جُل المحققين ليسوا أطباء ولا صيادلة فقد استعان المركز بلفيف من السادة العلماء من أساتذة كليات الطب والصيدلة والعلوم للإشراف على تحقيق هذه النصوص والكشف عن أسرارها العلمية التي تستحق إلقاء الضوء عليها، وتوجيه المحققين نحو النقاط ذات الأهمية في عرض النص ودرسه ونقده.

منجزات المركز في مجال التراث الطبي العربي:

القانون في الطب (5 أجزاء)

تأليف: أبو علي الحسين بن سينا (ت428 هـ)

تحقيق: لجنة التراث العلمي بالمركز

(ط/ 2012م)

من أمهات كتب التراث العلمي العربي التي ذاع صيتها شرقاً وغرباً كتاب القانون في الطب لابن سينا، والذي لا يجهل أحد من المهتمين بالتراث العلمي أهميته في فنه وتخصصه، لاشتماله على قوانين الطب الكلية والجزيئية، وتناوله الجانبين النظري والعملي، كما تحدث فيه ابن سينا عن أحكام قوى الأدوية المفردة، وخَصَّ كُلاً من الأدوية المفردة والمركبة بحديث مستقل، معتمداً في ذلك على ما باشره بنفسه من تشخيص الأدوية، ووصف الدواء، وما قام به من تجارب، وما نقله عن ثقات الأطباء القدامى.

وقد وُصف الكتاب بأنه أجمع الكتب وأبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً، واشتغل كثير من العلماء بعد ابن سينا على هذه الموسوعة الطبية اقتباساً واختصاراً وشرحاً.

هذا الكتاب الذي يمتاز بما سبق، وجعل أوروبا تعتمد كمصدر وحيد لدراسة الطب قروناً عديدة، وُترجم خلالها إلى أكثر من لغة لقي فيها تقديراً وتبجيلاً واستحساناً، لم يزل بين أبناء لغته بعضاً مما لقيه هناك، وأن نشراته التي تصدر في أماكن عديدة في العالم العربي موسومة بأنها "تحقيق" تخلو من أبسط قواعد التحقيق؛ فكان لابد أن تكون بداية عهد المركز بالتحقيق بداية قوية، وكان أنسب ما يوافق هذا التوجه هو كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا تقديراً لهذا العالم العربي الكبير، وإعلاناً عن توجه المركز وسياسته في تحقيق أمهات النصوص.

وقد وزعت أجزاء الكتاب على العديد من مدرسي قسم اللغة العربية بكلية اللغات والترجمة، وشرف على كل منهم أستاذ مختص، واستمر العمل في تحقيق هذه الموسوعة بضع سنوات لتصدر بعدها محققة في خمسة أجزاء موزعة على ستة مجلدات، ولتؤكد التجربة الأولى للمركز أن نجاح مثل هذا العمل يحتاج لتوفر عدة مقومات، وهي: العمل المؤسسي، الإشراف العلمي المتميز، الدعم المادي الذي ينفق حسبة لله لا يبتغي من ورائه ربحاً مالياً ولا جزءاً ولا شكوراً.

الخلاصة: موسوعة القانون في الطب تمثل نموذجاً للمؤلفات الطبية الموسوعية التي لم يستغن عنها الأطباء وعامتهم بعده، فأفادوا منها، ولا تزال بحاجة لمزيد من الدرس المختص المتأنّي الذي يبرز سمات تلك العبقرية الطبية.

"المرشدة" في عمل الترياق الفاروق

تأليف: الطبيب صدقة بن موسى بن فيروز (توفي بعد 862 هـ)

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي

مراجعة: أ.د. محمد إسماعيل حامد

(ط1/ 2012م، ط2/ 2022م)

هو أحد المؤلفات الصيدلانية الموجزة، تحدث فيه مؤلفه الطبيب صدقة بن موسى بن فيروز عن أحد الترياقات التي نالت شهرة واسعة في مقاومة السموم، والتي كانت لا تخلو منها البيمارستانات آنذاك.

وترياق الفاروق يعد أشهر هذه الترياقات لكونه دواءً نافعاً في علاج العديد من الأمراض في حينه، وعلى رأسها مقاومة السموم، لذا فقد كان بعض الحكام يحضر تركيب هذا الدواء، وتحفظ به صيدليات قصورهم، وقد تضمنت المقالة إلى جانب المعلومات الصيدلانية معلومات تاريخية، حيث عرّفت بالعديد من الأطباء الذين كان لهم مساهمات في تطوير هذا الترياق،

وماذا أضاف كل منهم للترياق، وفائدة الإضافة.

وقد قصد المؤلف بكتابه أمرين:

الأول: تعليم الصيادلة حديثي العهد بالعمل كيفية تركيب هذا الترياق، ومقادير كل مفردة من مفرداته.

الثاني: ليكون دستوراً بين يدي مُركّبي الترياق بالبيمارستان المنصوري وخارجة يستعينون به على التركيب الصعب للترياق؛ وذلك لكثرة مفرداته وتعقيد طرق تركيبه، حتى لا يقعوا في خطأ يفسد الترياق، ويخل بأثره الدوائي المتوقع.

كما ضمّن المؤلف كتابه معلومات حول منافع الترياق، وطرق إعداد الأقراص الدوائية الدخلة في الترياق، ودور العلماء في تطويره، وطريقة عمل أقراص الأعاعي الداخلة في تركيبه، وطرق التأكد من فاعليته، ومدة صلاحيته، والأدوات المستخدمة في تركيبه.

الخلاصة: الكتاب يمثل نموذجاً للمؤلفات الصيدلانية التعليمية .

شجرة الطب

تأليف: أحمد الحياقي بن محمد القرشي

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي

تقديم وشرح: أ.د. محمد فوزي جاب الله

(ط/2013م)

يُجسد هذا الكتاب نموذجاً من أمشاط التأليف العربي، وهو التأليف المشجّر، وهذا اللون من التأليف هو -في الغالب- لون تعليمي يقصد به المؤلفون سرعة الحفظ والاختصار والاستظهار.

والمشجّرات مؤلفات تعتمد على تقسيم المادة العلمية إلى أصول وفروع بينها علاقات خطية، وقد تكون العلاقة الخطية بسيطة أو مركّبة كما يتضح من المشجّرة. وتمتاز هذه النشرة الطبية -كما يلاحظ القارئ- بأنها مصورة للمخطوط الأصلي مع إضافة التعليقات في الحاشية، والباعث على ذلك أن المخطوط خزائني فريد، ويمتاز بحسن الخط وجودة الصورة، وهما نصه، وأنه بخط مؤلفه؛ لذا لم يشأ محققه الدكتور محمود مهدي بدوي نسخه فيفقد بهاءه وجماله، كما قدم له بدراسة تناولت صور التأليف ومنزلة المشجّرات منها.

الخلاصة: قصد بهذا العمل تعريف المتلقي بنموذج من التراث العربي بغية إبراز السمات التالية: التعريف بنسخة المؤلف، التعريف بسمات النسخة الخزائنية، لفت النظر إلى تنوع أشكال أوعية التأليف الطبي، المؤلفات التعليمية المبسّطة.

المختار في الطب (4 أجزاء)

تأليف: مهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغادي (ت 610 هـ)

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي (3 أجزاء)

د. عبد العزيز عبد اللطيف (جزء واحد)

مراجعة: أ.د. عامر النجار - أ.د. محمد إسماعيل حامد

(ط/2013م)

يُعد المختار في الطب أحد أهمّ الكتب في علم الطب العربي القديم، والتي أُلِّفت إبان فترة ازدهار الحضارة الإسلامية.

والمتلقي المختص يلحظ شيئاً كبيراً في هذا الكتاب وبين كتاب القانون لابن سينا، ومرجع ذلك إلى أن أبا الحسن علي بن هبَل قد اعتمد على القانون اعتماداً كبيراً في تأليف المختار في الطب.

وقد نهج ابنُ هبَل في مؤلفه إلى التبسيط والتوضيح، وأيضاً سهّل الطريق أمام المشتغلين بالطب دراسة وعملًا.

فحدث في كتابه عن كليات الطب، وتشريح جسد الإنسان، وبيان تركيبه، والحكمة من خلق كل عضو من أعضائه على الصورة التي أبدعتها القدرة الإلهية.

وخص ابن هبَل الأدوية المفردة والمركبة بجزء من كتابه، وامتاز المؤلف بمنهجه النقدي الذي جعله يرفض كثيراً من آراء السابقين، غير معتد بما لم تثبت التجربة صحته.

وتم توزيع الكتاب على الدكتور/ محمود مهدي الذي حقق ثلاثة أجزاء، والدكتور عبد العزيز عبد اللطيف الذي حقق جزءاً واحداً.

الخلاصة: فُصد بتحقيق هذا الكتاب بيان العلاقة بين موسوعة القانون للشيخ الرئيس ابن سينا، والمختار لابن هبَل، وأهم الإضافات التي قدمها ابن هبَل، وبخاصة في الأبواب التي تحدث فيها بمزيد تفصيل عن الحكمة الإلهية من خلق أعضاء الإنسان، وحديثه فيها وإن كان مسبوفاً بكلام لابن سينا إلا أنه يشبه حديث الأطباء المعاصرين حين يتحدثون عن الإعجاز الإلهي في خلق أعضاء الإنسان، كما أن ابن هبَل خالف ابن سينا بجمعه بين الأدوية المفردة والأدوية المركبة في جزء واحد من الكتاب، عكس ابن سينا الذي تحدث عن المفردات في الجزء الأول، والمركبات في الجزء الأخير من القانون.

الجامع

"لمفردات الأدوية والأغذية" (4 أجزاء)

تأليف: أبو محمد عبد الله بن البيطار (ت646هـ)

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي

مراجعة: أ.د/ حسيني الجندي - أ.د/ عامر النجار - أ.د/ أنس عطية الفقي

(ط/ 2015م)

إن شهرة كتاب الجامع في الأدوية المفردة تشبه شهرة القانون في الطب؛ لأن الجامع يمثل الاستقلال التام للصيدلة عن الطب، ولأن مؤلفه فصل الأدوية المفردة عن الأدوية المركبة، واختص بالمفردات الدوائية والغذائية المأخوذة من المواليث الثلاثة: النباتية، والحيوانية، والجمادية (المعدنية)، ولأن مؤلفه كان ذا منهج علمي فريد يعتمد على الملاحظة والمشاهدة والتجربة والاستنتاج والتدوين، كما أنه لم يكن مجرد ناقل عن السابقين من عجم وعرب، بل كانت له اكتشافاته النباتية والعلاجية، كما عول كثيراً على لقاء النباتيين والعشابين ومناقشتهم وأخذ عنهم ما يراه صحيحاً يطابق منهجه، لذا فقد جاء الجامع كتاباً صيدلانياً نباتياً، تناول فيه مؤلفه ابن البيطار ذِكرَ الأدوية والأغذية المفردة التي اشتهر ذكرها وصحّ لديه فعلها.

وقد اهتم المؤلف بذكر أسماء جُل المفردات بلغاتها الأصلية، ويّين قواها ومنافعها، والصحيح منها وما وقع فيها الاشتباه، سواء حرره السابقون أو اكتشفه ابن البيطار بنفسه من خلال تشبيهه، ونقد آراء السابقين التي ثبت له مخالفتها للمنهج العلمي، أو التي نسبت لدواء منفعته ثبت خلوه منها نقداً علمياً منهجياً مهذباً، ملتصقاً للمخطئ الأعذار، ناسباً الخطأ للسهو أو النسيان أو تصحيف النساخ.

قسّم ابن البيطار الكتاب على ثمانية وعشرين حرفاً، ملتزماً بالترتيب الهجائي، وبلغ إجمالي مواد الكتاب الرئيسة أكثر من 2300 مصطلحاً. يصل عدد ما اكتشفه ابن البيطار منها حوالي 300 مفردة، منها 200 مفردة نباتية، ويبلغ عدد المصطلحات الأعجمية في الجامع حوالي 1802 مصطلحاً تنتمي لإحدى عشرة لغة.

كما عني المؤلف بضبط كثير من المصطلحات الغريبة وما يمكن أن يقع فيه الوهم، واعتمد ابن البيطار في منهجه لتفسير

المصطلحات على تعريف المصطلح، وذكر موضع نباته إن عَلِمَهُ، وخصائصه الصيدلانية، واستعمالاته، وأشكاله الصيدلانية، ومقدار الجرعة، والتحذير من غش الدواء، وبيان بِمَ يَعُشْ، وطرق التمييز بين السليم والمغشوش، والآثار الجانبية لبعض الأدوية.

الخلاصة: هذا هو التحقيق الوحيد للجامع، مما أهله ليكون النسخة المعتمدة التي يجب أن يعول عليها المحققون والدارسون ومؤرخو علم الصيدلة في أعمالهم، وقد رشح هذا الكتاب لجائزة أفضل كتاب تراثي بمعهد المخطوطات العربية عام 2016م إلا أن ظروفًا خاصة بالمعهد حالت دون إتمام المسابقة.

الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال

تأليف: كلوت بك (ت 1868م)، وترجمة الطبيب محمد الشافعي

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي

مراجعة: أ.د. محمد فوزي جاب الله

(ط / 2017م)

هو أحد المؤلفات الطبية الشعبية التي ألّفها الطبيب الفرنسي "كلوت بك" (ت 1868م) بأمر من والي مصر محمد علي (ت 1849م) بغرض نشر الثقافة الطبية بين عموم الشعب والعمل على الحد من انتشار الوفيات بين الأطفال آنذاك. وقد ركز "كلوت بك" في الكتاب على ما ينبغي فعله للحفاظ على صحة الأطفال، ثم ذكر الأمراض التي كان الأطفال يصابون بها آنذاك كسوء التغذية أو عدها، أو زيادتها عند البعض، وعلاجها، ثم ذكر دستور الأدوية التي تخص الأطفال مبيّنًا فيه مفردات الأدوية المركبة ومقاديرها، وطرق التدوي بها، كما عني بعمل قاعدة بيانات تتضمن نسبة وفيات الأطفال في كل مرحلة عمرية، كما تحدث عن الرضاعة الطبيعية وأهميتها، ومتى تمتنع الأم عن إرضاع ولدها، والألبان البديلة عند جفاف لبن الأم، وكيفية الرضاعة، وموعد الفطام، والعناية بنظافة الأطفال وتنويعهم وملابسهم وأغطيتهم. ولا يزال الكتاب يمثل مصدرًا من مصادر المعلومات الصحيحة في تربية الأطفال والعناية بهم.

الخلاصة: الكتاب على صغر حجمه يمثل قيمة كبيرة في تاريخ الطب، وبخاصة تاريخ المرحلة الانتقالية التي عاشتها مدرسة محمد علي الطبية لتنتقل الطب العربي من مرحلة التقليد إلى الحداثة التي اعتمدت على مبتكرات جديدة في التشخيص والعلاج بصورة فيها مزيج بين الصالح من القديم والمكتشف الحديث.

المغني في الأدوية المفردة النافعة من الأمراض (4 أجزاء)

الحائز على جائزة أفضل كتاب محقق لعام 2020م

تأليف: أبو محمد عبد الله بن البيطار (ت 664 هـ)

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي - مراجعة: أ.د. حسيني الجندى

(ط / 2019م)

يركز ابن البيطار في هذا الكتاب على الأمراض التي تصيب بدن الإنسان، وما يمكن أن يتدأى به من المواليد الثلاثة (النبات، الحيوان، الجماد) وما يفيد البدن من الأغذية حالة المرض.

وقد قسم ابن البيطار كتابه على عشرين بابًا وزّع عليها أمراض الجسد بادئا بالرأس وما به من أعضاء والأمراض التي تصيب كل عضو منها وعلاجها.

وكان آخر أبواب الكتاب ما تحدث فيه عن العديد من المنافع العامة كالمسكنات وما يحفظ الصحة وبعض الخواص الخاصة بالمرأة.

وفي حديثه عن معالجة الأمراض يُعنى بالأدوية المفردة النافعة من الأمراض، ثم يذكر ما يسبب المرض من المواليد الثلاثة،

وما ينفعه من الغذاء معرّجًا على ذكر تعريف المفردة الدوائية أو الغذائية ومضرّتها وشكلها الصيدلاني وطريقة استعمالها ومقدار جرعتها.

وبالكتاب معلومات مهمة لا يستغني عنها الباحثون والدارسون والمتخصصون في الطب والأدوية.

الخلاصة: هذا الكتاب ذو علاقة وثيقة بالجامع، وكما يقال: المغني مقلوب عن الجامع، فالأول تحدث عن الأدوية والأمراض التي تداوى بها، والثاني تحدث عن الأمراض والأدوية التي تداوى بها، والجامع يقصده الصيدلاني والنباتي ثم الطبيب، أما الثاني فيقصده الطبيب أو من به علة ولم يجد طبيباً.

التنوير" في الاصطلاحات الطبية" للقمرى

تحقيق: د. عبد العزيز عبد اللطيف

(ط/ 2023م)

تبرز أهمية هذه النشرة لكتاب التنوير "في الاصطلاحات الطبية" لأبي نوح القمرى الذي قيل إن الشيخ الرئيس ابن سينا قد لقيه وأخذ عنه، وأنه من أوائل الكتب التي عنيت بجمع وتفسير المصطلح الطبي في التراث الطبي العربي، ويحتوي الكتاب على عدد كبير من المصطلحات الطبية التراثية الخاصة بالأدواء والعلاجات والأطعمة والأشربة والأوزان والمكاييل الطبية، وما لا بد منه كل يوم، كما تستمد هذه النشرة أهميتها أيضاً من عنايتها بكل قواعد التحقيق الواجب توافرها في النص المحقق، والتي لم تستوف في النشرات السابقة، فعُني المحقق بالتنقيب عن نُسَخ الكتاب، وجمعها، وعمل على إخراج النص صحيحاً خالياً من التصحيفات والتحريفات، مخرباً ما يستحق التخريج من المصطلحات والأعلام، ليتلقاه المشتغل عليه بطمأنينة وثقة في سلامة وصحة معلوماته.

الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية (5 أجزاء)

تأليف: محمد بن عمر التونسي (ت1274هـ)

تحقيق: د. محمود مهدي بدوي

(الكتاب الفائز بجائزة أحسن كتاب تراثي لعام 2023م)

(ط/ 2022م)

الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية معجم فريد في فنه، لم يسبق مثله، ولم يلحق بشبيه له، لا غنى لمحققى التراث والمترجمين وواضعي المصطلحات العلمية عنه؛ إذ إنه من أهم وأشمل المعاجم الطبية التراثية المختصة التي جمعت بين المصطلحات العلمية التراثية والحديثة في قالب واحد، وبذا يمثل حلقة الوصل بين الطب العربي التقليدي القديم والطب الحديث، فقد كتب في مرحلة مفصلية من تاريخ الحضارة الإنسانية، مرحلة التداول الحضاري بين الشرق والغرب، ونقص مرحلة "التداول الحضاري" تلك المرحلة التي تسلم الغرب فيها مقاليد الريادة من الحضارة العربية، ويزيد عدد مصطلحاته المفسرة تفسيراً علمياً دقيقاً على خمسة آلاف مصطلح في علوم الطب البشري، والبيطري، والصيدلة، والكيمياء، والطبيعة، والهندسة، والفلك، وما له من العلوم علاقة بالطب كالمواليد الثلاثة: النبات والحيوان، والمعدن، والآلات والأدوات المستخدمة في تشخيص الأمراض وعلاجها، والجراحة، وإجراء التجارب الكيميائية، وأجهزة القياس المختلفة المتعلقة بعلم الطبيعة، وغير ذلك.

ولأهمية هذا العمل وحرصاً من المركز على أن يخرج في صورة تليق بالمعجم ذاته وبالمركز، عُهد إلى الأستاذ الدكتور: فوزي محمد جاب الله، أستاذ التشريح بكلية الطب بالجامعة، والأستاذ الدكتور: حسيني الجندي أستاذ النبات بكلية الصيدلة بالجامعة مراجعة المادة العلمية، فبذلاً جهداً طيباً، ولم يكتفِ الدكتور جاب الله بالمراجعة، بل قام بترجمة جُلِّ المصطلحات العلمية الواردة بالمعجم.

والشُّدور: جمع شَدْر، ومن معاني الشُّدْر: أنه الصغيرُ من اللؤلؤ، أو هو عِرْقُ الذهبِ الفاصلُ في المعدن. وبذا فإنَّ التونسي اختار لكتابه هذا العنوان قاصداً أن يبين للمتلقي أن محتواه من الألفاظ الطبية وغيرها كالفرائد والآلئ وقِطَع الذهب التي لا تصدأ مع الزمن، ولا يفتقر مقتنيها.

وفي العنوان ملاحظتان:

أولهما: أنه قال: "الألفاظ" ولم يقل "المصطلحات، أو الاصطلاحات" والألفاظ أعم، فهي تشمل المصطلحات وغيرها من الأفعال والظروف وشبه الجملة، وهذه المداخل اللغوية لا تصلح أن تكون مصطلحات لأنها لا ترتبط بمفهوم، ولا يستطيع الفعل أن يؤدي دور المصطلح من التسمية والتعيين.

ثانيهما: أنه وصف الألفاظ "بالطبية"، وظاهر كلامه يوحي بأنه لم يذكر سوى ما له علاقة بالطب، والحقيقة أنه تجاوز وتوسّع، فذكر ما له علاقة بالطب وما لا علاقة له بالطب إلا بطريق التقدير والتغليب والتجوز.

سبب تأليف المعجم: تلبية لحاجة طلاب مدرسة الطب بعد ازدياد نشاط حركة التدريس بالمدرسة مصحوبة بترجمة الكثير من الكتب الطبية، الأمر الذي تطلب وجود قاموس طبي يعين الطلاب على فهم دروسهم.

مراحل تأليف المعجم، ومنهج التونسي في جمعه وترتيبه: لم ينفرد عالم واحد بتأليف هذا المعجم، لكن العمل في تأليفه وجمع مادته تم على عدة مراحل:

المرحلة الأولى: قيام معلمي مدرسة الطب بجمع ما وقع تحت أيديهم من مصطلحات علمية من الكتب التي ترجموها من الفرنسية أو ألفت اعتماداً على مصادر فرنسية.

المرحلة الثانية: قام المعلم "بيرون" بتوزيع القاموس المحيط على تلك المجموعة، وأشرك معهم مصححي المدرسة، وأمرهم باستخراج الألفاظ الدالة على الأمراض والأعراض وأسماء النبات والمعادن والحيوان.

المرحلة الثالثة: خص "بيرون" الشيخ محمد بن عمر التونسي باستخراج ما في كتاب القانون لابن سينا، والتذكيرة لداوود من التعريفات العلمية.

المرحلة الرابعة: زاد التونسي بدافع شخصي ما في بحر الجواهر للهروي، والصَّحاح، وضم لذلك أسماء الأطباء المشهورين، وأسماء العقاقير التي رآها في السودان.

وفي النهاية نُسب المعجم للتونسي لأنه الأكثر جمعاً لمواده، وصاحب الجهد الأكبر فيه ترتيباً وتصحيحاً وتحريراً ونسخاً ومقابلةً.

منهج التونسي في التونسي في الشُّدور:

قسَّم التونسي المعجم أبواباً، والأبواب فصولاً، فالباب للحرف الأول، والفصل للحرف الثاني، ورتب الأبواب على حروف المعجم، مبتدئاً بباب الهمزة ومنتهياً بباب الباء، إلا أنه اتبع في ترتيب الحروف العربية الترتيب التركي المعاصر له، والذي يجيء فيه ترتيب الأحرف الأربعة الأخيرة كالتالي: "ن، ه، و، ي" بدلا من: "ن، ه، و، ي" المتبعة في المشرق العربي.

مصادر المعجم:

1. النقل من الكتب:

2. مشاهدات التونسي:

3. السماع:

موضوع المعجم:

الشذور معجم علمي مختص، يُعنى بالمصطلحات العلمية التي يتعلق أكثرها بعلوم تجريبية حديثة مترجمة من الفرنسية، كالطب البشري، والبيطري، والصيدلة، والكيمياء، والطبيعة، والهندسة، والفلك، وما له من العلوم علاقة بالطب كالمواليد الثلاثة: النبات والحيوان، والمعدن، والآلات والأدوات المستخدمة في تشخيص الأمراض وعلاجها، والجراحة، وإجراء التجارب الكيميائية، وأجهزة القياس المختلفة، كما حوى الكثير من المداخل والمفردات اللغوية ذات العلاقة بالطب أو العلاج أو أعضاء البدن، وتضمن أسماء بعض البلدان الأوروبية التي بها مواد طبيعية علاجية، وبعض الأعلام المشاهير من الأطباء القدامى، وغير ذلك، وقد فسرت هذه المداخل بما وفرته المصادر التي اعتمد عليها في الترجمة من الفرنسية، أو مما حوته كتب التراث العلمية والمعاجم العربية اللغوية.

ضبط المداخل:

- عُني التونسي بضبط كثير من المداخل والمفردات المشكّلة بعدة صور، منها:
1. التمثيل بكلمة مشهورة الدلالة على وزن كلمة غير مشهورة، كقوله: "ابن قَرَّة، كَسَرَّة⁽¹⁾".
 2. الضبط بالحرف، كقوله: "الأب، بفتح الهمزة، وتشديد الموحدة"⁽²⁾.
 3. الضبط بالصيغ الصرفية: كقوله: مَشْرَحٌ، عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ: هُوَ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالتَّشْرِيحِ، وَعَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ⁽³⁾: اسْمٌ لِلْحِمِّ، أَوْ التَّنِّ الَّذِي شُرْحٌ.

تفسير المداخل:

تنوعت تفسيرات المداخل كالتالي:

- تفسيرات تراثية محضة: وهي المنقولة عن مصادر تراثية، كالقانون، والتذكرة، وغيرهما، ومنها:
 - الرِّسَامُ: هُوَ الْيَهَابُ الْبَلُورِ الْمَضْحُوبُ بِأَلَمٍ فِي جُذْرَانِ الصَّدْرِ، يَزِيدُ عِنْدَ اخْذِ النَّفْسِ وَمَعَ السُّعَالِ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ حَرَارَةُ الْجِلْدِ، وَتَوَثُّرُ النَّبْضِ وَأُمُتِلَاؤُهُ. ا ه ابنُ سِينَا.
 - تفسيرات حديثة محضة: وهي المنقولة عن مصادر فرنسية حديثة ترجمت للعربية، مثل:
 - اتِّخَاذُ: هُوَ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ قُوَّةُ الْجَذْبِ الْخَاصِلَةُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ الْغَيْرِ الْمُتَمَاثِلَةِ، الْغَيْرِ الْمَكُونَةِ لِلْأَجْسَامِ الْبَسِيطَةِ⁽⁴⁾.
 - تفسيرات تجمع بين التراثي والحديث: وفيها يذكر التونسي تفسير المصطلح من مصدر أو عدة مصادر تراثية، يُتبعها بما قاله الأوروبيون، مثل:.
 - حُنَّاقٌ، بالضم والتشديد: هو الذي كان القدماء من الأطباء يسمونه الخانوق، وهو ورم في عضلات الحنجرة والتغبنغ، وأردؤه الكلبى الذي يوحج صاحبه إلى فتح فمه وادلاعه لسانه. ا ه بحر الجواهر.
- وقال الأوروبيون: هو داء أعراضه لا يعرف منشؤها إلى الآن، لكن يظن أنها تهيج عصبى⁽⁵⁾.

التوليد المصطلحي في الشذور الذهبية⁽⁶⁾:

يلجأ واضعو المصطلحات والمترجمون عموماً، ومترجمو النصوص العلمية خصوصاً إلى عدة طرق عند وضع المصطلحات، وقد سلك مترجمو الشذور هذه الطرق في توليد المصطلحات، والتي منها:

- 1 الشذور: 1/160.
- 2 السابق: 1/146.
- 3 أي "مَشْرَحٌ".
- 4 الشذور: 1/175.
- 5 السابق: 2/1029.
- 6 أفدت كثيراً في حديثي عن التوليد المصطلحي من قضايا المصطلح الطبي للدكتور إبراهيم بن مراد.

1. الاشتقاق: هو صياغة لفظة من لفظة أخرى بينهما تناسب في اللفظ والمعنى، مثل:
 - مُسَنَّ (اسم فاعل من الفعل الرباعي (سَنَنَ)): اسم لمن يعمل الأسنان الصناعية⁽⁷⁾.
 - مِسْمَاعٌ (اسم آلة على وزن مِفْعَال): هو آلة اخترعها بعض الأطباء ليبحت بها على الظواهر التي تحدث في داخل الصدر...⁽⁸⁾.
2. التركيب: والمراد تكون الوحدة المعجمية (المصطلح) من عنصرين منفصلين أو أكثر، والأول هو "التركيب الشائي"، والثاني يسمى "التركيب المعقد"، وفي كليهما مركبات عربية أصيلة، ومركبات أجنبية دخيلة، ومركبات خليطة، وهي المؤلفة من كلمات عربية وأجنبية دخيلة،
 - ومن صور المركب الشائي: "مُدْرُ الطَّمْثِ"⁽⁹⁾.
 - ومن صور المركب الثلاثي ما تركب من ثلاثة أسماء مثل "خَافِضَةُ زَاوِيَةِ الْقَمِّ"⁽¹⁰⁾.
 - ومن صور المعقد المركب من أربع وحدات: ما تركب من اسم فثلاث صفات مثل "الْعَصَلَةُ الْقَابِضَةُ الصَّغِيرَةُ الرَّئِيسَةُ"⁽¹¹⁾.
 - ومن صور المعقد المركب من خمس وحدات: ما تركب من ثلاثة أسماء فصفتين مثل "عدم انثقاب القناة السمعية الظاهرة"⁽¹²⁾.
 - ومن صور المعقد المركب من ست وحدات: ما تركب من ظرف فاسمين فصفة فأداة فاسم مثل "تحت إيدروكلورات الأوكسيد الأول للأنتيمون"⁽¹³⁾.
 - ومن صور المعقد المركب من سبع وحدات: ما تركب من اسم فثلاث صفات فأداة فاسمين مثل "العضلة القابضة المشتركة الطويلة لأصابع الرجل"⁽¹⁴⁾.
3. النحت: وهو عبارة عن بناء كلمة تتركب حروفها من حروف كلمتين متتاليتين أو أكثر للدلالة على معنى هو مزيج من دلالات الكلمات المبنى منها، وهذا النوع نادر في الشذور، ومنه:

حَدَقْلَة: إدارة العين في النظر (15) "ويبدو أنه منحوت من الاسمين: "حدقة و مقلة" 16.
4. المجاز: وهو استعمال الكلمة في غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة لعلاقة بين المعنيين اللغوي والمجازي، ومنه في الشذور:

أ- الكناية: وهي عند البلاغيين لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. ومنها مصطلح: بَوَابُ اسْمٍ لِلْفَتْحَةِ السُّفْلَى مِنَ الْمَعِدَةِ ... (17) "فهذا المصطلح أطلق على الفتحة السفلى من المعدة، والذي تنضم عند امتلاء المعدة بالطعام حتى تتم عملية الهضم، ثم تنفتح لينتقل المهضوم إلى الأمعاء، وبسبب هاتين العمليتين (الانغلاق والانفتاح) سمي بَوَابًا. وهذا قريب من المجاز المرسل.

7	الشذور: 4/2669.
8	السابق: 4/2668.
9	السابق: 4/2611.
10	السابق: 2/953.
11	السابق: 3/1912.
12	السابق: 3/1861.
13	السابق: 1/565.
14	السابق: 3/1913.
15	الشذور: 2/820.
16	من قضايا المصطلح الطبي: 38.
17	الشذور: 1/518.

ب- المجاز المرسل: وهو المجاز الذي تكون العلاقة فيه غير المشابهة، ومنه: البطاطس: اسم نبات من الفصيلة الباذنجانية(18)، والتسمية في الحقيقة تشمل جميع أجزاء النبات، لكنه هنا أطلق على الجذر فقط على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة بينهما الجزئية.

5. الترجمة: والمقصود بالترجمة نقل المصطلح الأعجمي بمعناه الحرفي الذي يفيد في اللغة المصدر التي ينتمي إليها إلى اللغة العربية، وكان مترجمو هذه الفترة إذا لم يجدوا للمصطلح الأعجمي مقابلاً معروفاً في العربية لجأوا إلى ترجمة المعنى اللغوي المعروف للمصطلح في أصل استعماله، كما كانوا يكتبون الألفاظ المعربة بأحرف عربية كما تنطق في اللغة الأصلية، أو قريباً من ذلك بما يتجه الحرف أو الصوت العربي.

6. الاقتراض: المراد به اقتراض ألفاظ من لغة إلى أخرى لتستخدم في اللغة المنقول إليها، ويسمى (التعريب)، ويصاحب الاقتراض أحياناً تعديل صرفي أو إملائي أو صوتي في اللفظ المقترض ليستقيم مع طبيعة اللغة المقترضة، والاقتراض وسيلة لا غنى عنها عند وضع المصطلحات إذا لم تَفِ الطرق السابقة بالغرض، وقد أفاد القاهنوني على القسم المترجم من الشذور الذهبية من الاقتراض في عدة أنواع من مصطلحاته، وهي:

أ- أسماء العناصر الكيميائية الحديثة: أترويين: أي لفاحين، لفظ لطيني أطلق اسماً على جوهر قلوي بلوراته إبرية خفيفة حورية المنظر، شفاقة بيضاء لا رائحة لها(20).

ب- أسماء الأمراض: أستياتوم: ورم متكيس مملوء بمادة كالدهن(21).

ج- الآلات والأدوات الكيميائية والطبية: ألتروميتر: هو مقياس السيل الكهرطائي، وهو آلة معدة لبيان وجود الكهربية في الأجسام، وبيان كميتها ووقتها ونوعها وهو على أنواع(22).

أهمية الكتاب:

للمعجم أهمية كبرى في مجالات عديدة:

- يعتبر المعجم أساساً صالحاً يمكن لواقعي المصطلحات اليوم اقتباس ما يصلح منه لعصرنا، وإضافة ما استجد اليوم إليه، وتتبع ما لم يجد له القدامى ألفاظاً عربية لتعريبه.
- يعد أول معجم علمي يجمع بين المصطلحات التراثية القديمة والمصطلحات العلمية الحديثة في الطب والصيدلة والنبات والحيوان والكيمياء والطبيعة وما له صلة بعلم الطب، فمن الواضح الجلي أن التراث اللغوي والعلمي كان لهما أثر واضح في مصطلحات الشذور، كما أن منهج إعدادها يكشف عن وعي القائمين عليه بضرورة ربط حاضر اللغة العربية العلمية بالمعاني الاصطلاحية العلمية والتقنية آنذاك.
- يمكن لمؤرخي علم النبات والباحثين فيه الاستفادة منه في مجال تتبع تاريخ بعض النباتات الأجنبية المنبت، والتي تم استنباتها بمصر، ومعرفة أول مكان استنبت فيه، ومعرفة الغرض من نقلها وزمن نقلها.
- التأريخ لبعض المصطلحات ببيان بداية اصطلاحها، ومن اصطلاحها، وذكر الأسماء القديمة لبعض المصطلحات والأسماء الحديثة لها.
- يؤرخ لمجموعة من العلاجات التي عرفت في عصر جمع المعجم، مثل (لصقة الراهب).

18 السابق:1/476.

19 من قضايا المصطلح الطبي:46.

20 الشذور:1/177.

21 السابق:1/249.

22 السابق:1/330.

- يتعرف من تفسيرات المعجم على أسماء عدد من مكتشفي الأدوية وأوائل مركبيها .
- مثل المعجم بمصطلحاته المقتبسة والموضوعة نواة لمن تصدوا بعده لتأليف الكتب العلمية.

ثانياً: المترجمات

1. تاريخ الطب الطب العربي

لوسيان لوكير (ت 1893م)

ترجمة د. أسامة عبد الجليل

مراجعة: ١. د / عبد الحميد مذكور، د . محمود مهدي

(ط/ 2017م)

قام المستشرق الفرنسي لوسيان ليكليرك بتأليف كتابه الجامع "تاريخ الطب العربي" باللغة الفرنسية، وظل هذا السفر العظيم حبيس لغته، وقد أسند المركز ترجمة هذا العمل للدكتور/ أسامة عبد الجليل أستاذ اللغة الفرنسية بكلية اللغات والترجمة، جامعة مصر، وبإشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد مذكور أمين مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومراجعة د. محمود مهدي، وترجمته إلى العربية فتح الباب أمام الباحثين والدارسين الذين لا يجيدون اللغة الفرنسية للاطلاع على عمل من أوفى الكتب بتاريخ الطب العربي، وقد جاء الكتاب في مجلدين كبيرين؛ حيث عني فيهما المؤلف بتناول كل واردة أو شاردة في مصدر من مصادر التأريخ للطب العربي مفصلاً حديثه معتنياً بالسوابق التاريخية التي سبقت الدولة العربية الإسلامية لدى العرب ولدى الأمم السابقة عليهم كال يونان والهند والفرس والبريان، وتتبع الترجمات التي وفدت على العرب من هذه الحضارات، كما أنصف المؤلف العرب في مواطن عديدة من الكتاب، وبين فضلهم ودورهم في مسيرة الحضارة الإنسانية.

2. تاريخ البيطرة عند العرب

تاريخ البيطرة عند العرب

المؤلف: ليون موليه (1849: 1923م)

مراجعة: الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد مذكور

مراجعة وتكشيف: د . محمود مهدي بدوي

(ط/ 2021م)

يعد هذا الكتاب شهادة صدق وقولة حق من مستشرق أنصف بها علماءنا، وأبرز دورهم في بناء صرح الحضارة الإنسانية، ونفى أنهم كانوا عالة على غيرهم، أو أنهم لم يضيفوا جديداً، فبين رسوخ قدم الأطباء البيطريين العرب، وأبرز سمات نبوغهم في هذا المجال تأليفاً وممارسة، وقد جاءت هذه الترجمة ملتزمة السمات التراثي في ألفاظها وجملها وأساليبها، فأسفر الكتاب عن وجه دور العرب الفريد في مجال الطب البيطري، وكشف عن نقطة قوية متألفة في تاريخ العلوم العربية، وشهد بأن الحضارة العربية الإسلامية حضارة مرموقة قدمت الكثير للحضارة الإنسانية، فأنصف البيطرة العربية بشكل موضوعي مبني على التحليل العلمي الرصين والأسباب المنطقية والواقعية، ويضم الكتاب كماً هائلاً من المعلومات حول المؤلفات البيطرية، ومؤلفيها، وأشهر الأطباء، والأمراض البيطرية وطرق علاجها موزعة حسب العصور التاريخية، بادئاً بالعصر السادس الميلادي حتى السابع عشر، وهذه الترجمة تختص بالجزء الثاني من كتاب "ليون موليه" المؤلف من خمسة أجزاء، وقد تناول لمؤلف في جزئه الأول البيطرة في العصور الوسطى ومقارنتها بالبيطرة في الحضارة اليونانية وممارستها في بلاد الشرق، والفصل الثالث قصره على علم أمراض الحيوان، وأفرد الجزء الرابع لجراحة الحيوان، وأما الفصل الخامس فجعله لمداواة الحيوان.

ثالثاً: الملخصات

مختصر تاريخ الطب

اختصار: ا. د / فوزي جاب الله

نظراً لأن كتاب تاريخ الطب في صورته المترجمة يكاد لا يقبل عليها إلا المختصون في تاريخ التراث الطبي والدراسات المتعلقة به أكثر من غيرهم، ونظراً لأهمية مادة الكتاب فقد رأى مركز تحقيق التراث العربي أن يقدم للمثقف العادي وطالب الجامعة مختصراً غير مخل بمقاصد الكتاب وأهدافه التي أُلِّفَ من أجلها.

وقد أسند هذا العمل للأستاذ الدكتور / فوزي محمد جاب الله أستاذ التشريح بكلية الطب، فقام -رحمه الله- بتلخيص الكتاب ملتزماً بأسلوب المؤلف التراثي، وتسلسل مادة الكتاب الزمنية، والتعريف بأعلام قرونه، وإبراز جهودهم وآثارهم، فجاء الكتاب كما أريد له أن يكون.

المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي

مخطوط عمدة الطبيب لمؤلفه المصطفى بن أبي بكر الملقب أوفى (1237 هـ/ 1817 م) ومقاربتة في التكفل بالأمراض المشتركة (السعار مثلا).

أحمد البراء

أستاذ الفيروسات بكلية الطب بجامعة انواكشوط العصرية. موريتانيا
باحث رئيس بمختبر الفيروسات بالمعهد الوطني للبحوث في مجال الصحة العمومية بانواكشوط
مهتم بالممارسة الطبية وبالمخطوط الطبي

الملخص:

اعتنى المجتمع البيطاني بعلم الطب رغم البعد عن الحواضر، وندرة الوسائل، وطغيان طابع البداوة والترحال. وقد وثق المعهد الموريتاني للبحث العلمي في قاعدة بياناته جملة من المخطوطات التي اعتنت بالطب والصيدلة، وقد قمنا بتحقيق احدى اهم هذه المخطوطات الطبية المعنونة بعمدة الطبيب لمؤلفها المصطفى بن أبي بكر الملقب أوفى (1237 هـ/ 1817 م). يختص هذا المقال الذي سنقتطفه من الباب السادس من هذا المخطوط الذي خصه المؤلف للكلام عن مرض السعار مستعرضا الفزيولوجيا المرضية، الاعراض السريرية والمقاربة العلاجية. رغم أن النص يصنف اليوم فيما يعرف بالتراث الطبي العربي، إلا أن جل ما ورد فيه من معلومات سريرية ودلائل وعلامات وأعراض، دقيق نسبيا يوافق ما هو معروف في الطب الحديث، ناهيك عما أثبتته من معرفة أطوار المرض وعلاماته لدى الحيوان والانسان مع ذكر أوجه الاستدلال في ذلك، مما ينبأ عن ممارسة ميدانية جيدة وعن معرفة نظرية وافية.

خلصنا من خلال هذا البحث أن أوفى وإن لم يعرف صراحة العامل المسبب (الفيروس)، إلا انه وبكل موضوعية أشار ضمنا إلى عدوي تسري في اللعاب يحويها وينقلها يفهم منها ببداية عنصر العامل المسبب.

الكلمات المفتاحية: السعار - عمدة الطبيب- التكفل- التراث الطبي -المجتمع البيطاني- موريتانيا

Le manuscrit de Oumda al-Tabib par El-Mustafa ibn AbiBakr dit "Awfa" (1237H/1817) et son approche pour la prise en charge des zoonoses (exemple de la rage).

Résumé :

La communauté bedhani s'occupait de la médecine malgré le nomadisme, l'enclavement et la rareté des moyens. La base de données de L'Institut mauritanien de la recherche scientifique a documenté un certain nombre de manuscrits traitant de médecine et de pharmacie, et nous avons étudié l'un des plus importants de ces manuscrits médicaux intitulé Omda al-Tabib par son auteur Al-Mustafa bin Abi Bakr, dit Awfa (1237H/1817). Cet article, que nous extrairons du sixième chapitre de ce manuscrit, que l'auteur consacre à parler de la rage, sa physiopathologie, ses signes cliniques et la démarche thérapeutique. Bien que le texte soit classé aujourd'hui dans ce que l'on appelle le patrimoine médical arabe, la plupart des informations situées sont relativement précises conformément à ce que l'on sait de la rage à nos jours, ce qui indique une grande expérience pratique sur le terrain et des connaissances théoriques solides.

Nous avons conclu à travers cette recherche que Awfa malgré qu'il n'ait pas connu explicitement l'agent causal (virus), mais il a implicitement référé à une matière contagieuse contenue et transmise par la salive, comprenait a priori l'élément de l'agent causal.

Mots-clés : Rage – Oumda-Al tabib – Prise en charge - Patrimoine médical - Société Bedhani - Mauritanie

السياق

عمدة الطبيب عبارة عن أرجوزة طبية من 1224 بيتا غطت مختلف جوانب الطب والصيدة المتداولة في عصر المؤلف رتبها أوفي في مقدمة وستة أبواب أولها في الطبيعيات والثاني في الأغذية والأدوية والثالث في الضروري للأبدان والرابع في الأمراض والأعراض والخامس في الأعضاء والسادس في الأمراض العامة ثم خاتمة ذكر فيها ما يجب على الطبيب (1). وقد وجدت من المفيد، مناسبة الكلام عن أوفي كأشهر طبيب عرفته شققيط وذلك من خلال قراءة تدقيقية للمقاربة التي عرض فيها الفيزيولوجيا المرضية والتكفل بمرض السعار كأحد أهم الأمراض الفيروسية المشتركة المنتشرة آنذاك في محيطه (2).

وهكذا، فقد اشارت قرائن متعددة الى ان مرض الكلب (Rage)، أو السعار (Rabies)، أو رهاب الماء (Hydrophobie) من أهم الأمراض المشتركة (zoonose) التي تعاني منها البادية الموريتانية، والتي كانت ولا تزال تؤمن بيئة خصبة لاستيطان هذا المرض بسبب ترامي أطرافها، واختلاف مناخاتها ناهيك عن ما تتيحه من إمكانيات واسعة للاحتكاك بين مختلف أصناف الحيوانات الداجنة كقطعان البقر والإبل والغنم والخيول والحمر، والمتوحشة كالكلاب والثعالب والذئاب وبنات آوى فضلا عن القطط البرية والخفافيش. (3)

وبسبب نسبة الإماتة (mortalité) المرتفعة لهذا المرض بين البشر وما يثيره من قلق ورعب، فضلا عن ما يخلفه من خسائر مادية وخسائر في الأرواح، لذا ليس من المستغرب أن يبرز هذا الداء كمشكلة من مشاكل الصحة العامة تشغل بال الأطباء وتبرز آثارها في أدويتهم ومصفاتهم. (3)

من هذه الآثار ما نجده في مخطوط طبي اشتهر وتداول بين الناس باسم العمدة لمؤلفه المصطفى بن أبي بكر الملقب بأوفي،

والنص موضوع البحث سنقتطفه من الباب السادس وتحديدًا من الفصل الأول من هذا المخطوط، حيث خصص المؤلف وعلى مدى عشرة أبيات حديثه للكلام عن هذا المرض معرّفًا له بأنه آفة عصبية دماغية عبر عنها هو بالبرد واليبس الذي يصيب رأس الحيوان المسعور، واصفا الأعراض النوعية الملاحظة لدى الحيوان المسعور والمتمثلة أساسًا في تدلي اللسان، وامتداد العنق، وحذب الظهر، وتهدل الذنب، والخوف من رؤية الماء أو من سماع صوت جريانه، مركزًا على فائدة المساعدة بالمعالجة الموضوعية لمكان العضة، معللًا السر في سارية هذا المرض وعدواه بالسقم الذي يسري في اللعاب.(4)

ومع أن النص يصنف اليوم فيما يعرف بالتراث الطبي العربي، إلا أن جل ما ورد فيه من معلومات وملاحظات سريرية دقيقة نسبياً تنبأ عن ممارسة ميدانية جيدة وعن معرفة نظرية وافية، إن أوفى وإن لم يعرف صراحة العامل المسبب (الفيروس)، إلا أنه وبكل موضوعية أشار ضمناً إلى عدوي متضمنة في اللعاب يحويها وينقلها يفهم منها ببداية عنصر العامل المسبب.

تأسيساً على هذه المقدمات سنحاول في هذا البحث الترجمة والتعريف بالمدرسة الطبية الموريتانية من خلال مخطوط طبي لأحد أبرز أطباء المجتمع البيطري في القرن الثالث عشر الهجري انتهج مؤلفه مقاربة علمية أصيلة نابعة من منهج المدرسة الطبية العربية عموماً ومن ناحية اخـص سنقوم بمقارنة بروتوكولات التكفل بأحد الأمراض المشتركة في الطب العربي ومنظومة العلاج الحالية المتبعة في تدبير مرضي الكلب، و بمقارنة النظرة العلمية الحديثة لمرض الكلب كأحد الأمراض الإنتانية، مع التركيز على ذكر العامل المسبب وخواصه وطرق الوقاية منه، مع نظرة الطب العربي.

الأدوات والطرائق

اعتمدنا في هذا البحث منهج الدراسة المكتبائية (Étude bibliométrique) لمخطوط عمدة الطبيب. والنص موضوع البحث سنقتطفه وتحديدًا من الفصل الأول من الباب السادس من هذا المخطوط، حيث خصص المؤلف وعلى مدى عشرة أبيات حديثه للكلام عن مرض السعار ودورة سرايته ووسائل العلاج والوقاية. وقد دون لنا زبدة تجربته بطريقة تربوية تناسب المناخ العلمي السائد في محيطه آنذاك الذي يعتمد على الحفظ وذلك من خلال أرجوزة سهلة الألفاظ قريبة المعاني كما اثبت في المقدمة.

وقد قمنا أولاً بتحقيق وتصحيح نص المخطوط وضبطه من خلال مقارنة ثلاث مخطوطات مختلفة (الجهات 5)، ثم قمنا باستخلاص الفصل الأول من الباب السادس وتحديدًا الفقرة المخططة لهذا المرض على مدى 10 أبيات من هذا المخطوط مع ضبط الاعراض والعلامات والعلاجات المذكورة وتبويبها

ثانياً: قمنا باتباع نفس منهجية المؤلف الأصلية والتي تبدأ بذكر المرض، مع ذكر أسبابه، وطرق انتقاله، وإنذاره، وعلاجه، من خلال نقاش ما أثبتته المؤلف في مختلف فقرات هذا النص.

ثالثاً: قمنا بعقد مقارنة بين بروتوكولات التكفل المتبعة في تدبير مرضي السعار المذكورة في هذا المخطوط الطبي ومنظومة العلاج الحالية.

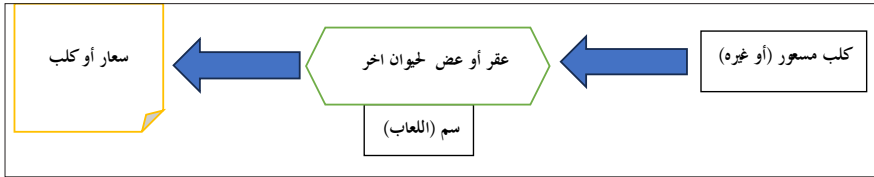
رابعاً: قمنا بعقد مقارنة بين النظرة العلمية الحديثة لمرض السعار كأحد الأمراض الفيروسية المشتركة بين الإنسان والحيوان، مع نظرة التي أثبتتها المؤلف في هذا المخطوط..

النتائج

1. توزيع إبيات المخطوط حسب المرض، اعراضه، وطرق انتقاله، وإنذاره، وعلاجه:

فقرات للنص	حجم النص المخصص للفقرة مقدرا بعدد إبيات الرجز
مدخل المرض	1
طرق الانتقال	1
حلقة العدوى	1
الفزيولوجيا المرضية	3
التشخيص السريري	1
المعالجة والوقاية	2
المجموع	9

2. مخطط حلقة العدوى حسب تصور مؤلف المخطوط:



3. مقارنة بين بروتوكولات التكفل المتبعة في تدبير مرضى السعار المذكورة في هذا المخطوط الطبي ومنظومة العلاج الحالية.

المقارنة	بروتوكول العلاج المتبع في الطب الحديث	بروتوكول العلاج المذكور في المخطوط
اختلاف في وسائل العلاج وإن كان الهدف في الحاتين هو التكفل بالمرضى	العلاج الموضعي: يكون فوريا وشاملا بالماء والصابون، تغسل، ثم يطبق محلول البوفيدون -ايودين 1% المعالجة المصلية: التمنيع المنفعل بالغلوبيولين البشري المضاد للكلب بجرعة 20 وحدة دولية للكلف نصفها في مكان اللدغ والنصف الاخر في العضل. التمنيع الفعال : للقاح المحضر على الخلايا البشرية مضاعفة الصيغة H.D.C.V (Human Diploid Cell Vaccine) في خمس جرعات على مدى الايام 0, 3, 7, 14, 28 وهو اللقاح الأكثر استخداما وأمانا.	ينصح المؤلف ب: - معالجة مكان العضة برماد الكتان والعسل والسمن . - اخضاع الشخص المصاب الى شراب مؤلف من: العسل والسمن والثوم. - اخضاع الشخص المصاب الى غذاء مكون من: حساء الخنطة مع السمن والعسل ورسل البقر.

4. مقارنة بين النظرة العلمية الحديثة لمرض السعار كأحد الأمراض الفيروسية المشتركة بين الإنسان والحيوان، مع نظرة التي أثبتتها المؤلف في هذا المخطوط.

المقارنة بين المقاربتين	النظرة العلمية الحديثة لمرض السعار	النظرة التي يعتمدها المؤلف في المخطوط
تطابق نسبي بين المقاربتين	الكلب مرض فيروسي معد مميت يصيب كافة الحيوانات ذات الدم الحار والإنسان، يتجلى في اذية عصبية ينجم عنها حدوث شلل وموت الحيوان	مرض معد ينتقل عن طريق اللعاب من حيوان مصاب سواء كان كلباً أو غيره بواسطة العض
اختلاف بين المقاربتين	لعامل المسبب: فيروس على شكل الرصاصة يحتوي على RNA، تتبع لجنس الحمات الكلبية LYSSAVIRUS التابعة لعائلة Rhabdoviridae	سبب السعار في السباع هو البرودة واليبوسة التي تصيب دماغ الحيوان السعور. منطلق هذا التعليل هو طب التوازن الرباعي المعتمد على نظرية التربيع الخلطية والتي تعتمد على فزيولوجيا الأخلط لتفسير المرض فالذي يمرض حسب هذه النظرية ليس العضو وإنما هو الخلط الذي هو أصل العضو (الأعضاء ناشئة عن الأخلط)
تطابق نسبي بين المقاربتين	هذه العلامات ناجمة عن تغيرات فزيولوجية عضوية تنجم عن تغيرات كيميائية حيوية، فبسبب تكاثر الفيروس في الجملة العصبية تتضرر المراكز العصبية لذا تزداد حدة الانفعالية لدى الحيوان فيحاول الهرب أو يهاجم كل ما يقع عليه بصره، كما تتناوب نوبات من الهيجان، تتميز بنباح الحيوان، سيلان اللعاب مع نوبات من الاختناق، ارتخاء الفك السفلي مترافق مع تدلي اللسان وشلل في القوائم الخلفية مما يؤدي في النهاية إلى رقود الحيوان فاقدًا للقدرة على الوقوف ثم الموت.	الاعراض الوصفية لدى الكلب من دلع اللسان، وحذب الظهر، وامتداد العنق وانحناء الذنب والخوف من رؤية الماء أو من سماع صوت جريانه
تكاثر نسبي، انتفرد المؤلف بعرض إضافي أن وجه المسعور يشبه وجه الكلب	الاعراض لدى الإنسان تتميز بظهور بالحمى، والصداع، والأقياء ، والالام والحكة والخدر و القلق والتهيج، يدخل بعدها المريض في طور العصبي الحاد أو الشللي . رهاب الماء (Hydrophobie)، وعسرة البلع Dysphagia	الاعراض لدى الإنسان تتجلى في رهاب الماء (Hydrophobie)، و في عدم القدرة على البلع اذ المضع

المناقشة

1. مدخل المرض

رماد كتان يسمن وعسل

وعضة الكلب يبرئها استقل

السبب الأول للإصابة بالسعار حدده أوفي هنا بعضة الكلب، وهو ما يعرف ببوابة دخول المرض للجسم أو ما يشير إليه أوفي في باب الأمراض بقوله " تفرق اتصال الجسم"، لذا نجد أنه يذكر في البداية علاجاً إسعافياً يلزم فعله حالاً وبغض النظر عن معرفتنا لحال الحيوان العاض هل هو مصاب بالكلب أم لا، ألا وهو الضماد الثلاثي المكون من ضم رماد الكتان والعسل في أساس مرهمي من السمن لتحضير مرهم حاجزي يمنع نفوذ وتكاثر الفيروس وذلك بحيلولتها دون الشروط المناسبة لتكاثر الفيروس في

الجرح، حيث يتأثر الفيروس بالدهون والعسل المطهر والشوارد المتضمنة في محروق الكتان، الرائع هنا هو تركيزها على الاستقلال بهذا العمل دون تغطية الجرح أو خياطته وهو ما يتقاطع فيه مع المعالجة الحديثة حرفيا، أضيف إلى ذلك اقتضاره هنا على هذا دون التطرق إلى الكلب، لأن أغلب العضات لا تنقل المرض وتتضاءل فعالية النقل عند المبادرة إلى المعالجة الموضوعية، أو أنه أراد بهذا الاقتصار ترك مفهوم فترة الحضانة التي لم يستطع تحديدها وذلك بسبب اختلافها بين الإنسان والحيوان والتي يحددها الطب الحديث بأنها من عدة أيام إلى عدة أشهر تبعاً لمكان العضة وعمقها، وحجم الحماة الداخلة(6).

2. طرق الانتقال

إن أهم طريق لانتقال هذا المرض كانت ولا تزال عض الحيوانات المسعورة، وهو ما سنلاحظ ذكره ضمناً في النص بتعبير السراية أو العدوى، والتي يفهم منها:

الكلب أو سواه إن يكلب سري كلبه بالسم فيما عقرا

أنه مرض معد ينتقل من حيوان مصاب سواء كان كلباً أو غيره بواسطة العض عن طريق اللعاب، وترك الاحتمال مفتوحاً بقوله "وأغیره"، هام لأن الحيوانات الأخرى تصاب بالكلب، والمصطلح المستخدم السراية بدل العدوى موفق جداً ودقيق يدل على أن العلم الطبي آنذاك قد وصل إلى حقيقة أن الكلب أو السعار يسري بالسم المحمول بلعاب الحيوان العاض والمسعور إلى الحيوان المعضوض (المعقور)، وحلقة العدوى هنا تم تفصيلها باختصار مفيد وذلك على النحو التالي:

كلب مسعور (أو غيره) = < عقرا أو عض = سم (اللعاب) < سعار أو كلب

ولاتزال حلقة العدوى هذه حتى اليوم على حالها. (7)

وسبب الكلب في السباع برد ويس رأس الحياح

3. الفزيولوجيا المرضية:

قطعاً ستختلف الفزيولوجيا المرضية في الظاهر على الأقل عندما نقارنها بالعلم اليوم، والسبب لا يخفى إذ أن أوفى ينطلق من طب التوازن الرباعي المعتمد على نظرية التربيع الخلطية والتي تعتمد على فزيولوجيا الأخلاط لتفسير المرض فالذي يمرض ليس العضو الذي هو فرع من الخلط (الأعضاء ناشئة عن الأخلاط) وإنما هو الخلط الذي هو أصل العضو، وهذا ما يعلله أوفى في معرض حديثه عن المرض بقوله "وكل عضو ناقل عن الأصل" أي أن الاختلال في الخلط ينتقل إلى العضو الذي هو صورة عن الخلط فيكسبه الفساد وبالتالي فكل الأمراض التي تصيب الأعضاء هي عبارة عن اضطرابات ثانوية، وقاعدة العلاج مطلقة ببداية "شرط النهايات تصحيح البدايات"، ولهذا يتكلم أوفى بانسجام مع مبادئ مدرسته العربية عن سبب هذا المرض مقررًا أنه آفة عصبية، تصيب الرأس وتظهر باضطرابات في السلوك وعلامات أخرى عضوية تؤدي بحياة المكلوب (7). وهذا نفسه ما تم التوصل إليه في الطب الحديث وإن كانت المنطقيات مخالفة فالفزيولوجيا المرضية الحديثة تحدد المرض بأن سببه فيروس يحتوي على RNA، يتسبب في التهاب دماغ بدئي، ينتشر منه الفيروس عبر الأعصاب المحيطية ويتكاثر في غالبية الأعضاء والغدد بما فيها الغدد اللعابية التي يتركز فيها الفيروس، لذا من المنطقي جداً أن ينتقل أساساً بلعاب الحيوانات المصابة(8).

4. الأعراض السريرية:

فدلع اللسان والظهر حدب مع امتداد العنق والمخني الذنب

حكماً كل العلامات التي ذكرها أوفى هنا وباختصار هي نفسها العلامات والأعراض التي نعرفها اليوم بدون تغيير من دلع اللسان، وحدب الظهر، وامتداد العنق وانحناء الذنب وكل هذه العلامات ناجمة عن تغيرات فزيولوجية عضوية تنجم عن

تغيرات كيميائية حيوية، فبسبب تكاثر الفيروس في الجملة العصبية تتضرر المراكز العصبية لذا تزداد حدة الانفعالية لدى الحيوان فيحاول الهرب أو يهاجم كل ما يقع عليه بصره، كما تنتابه نوبات من الهيجان، هذا في مرحلة أولى وفي المرحلة الوصفية من المرض تتميز الأعراض بنباح الحيوان، سيلان اللعاب مع نوبات من الاختناق، ارتخاء الفك السفلي مترافق مع تدلى اللسان وشلل في القوائم الخلفية مما يؤدي في النهاية إلى رقاد الحيوان فاقدًا للقدرة على الوقوف ثم الموت، وهذه المرحلة من المرض تقابل حاليًا طور الهياج، و الذي يبدأ بتهيج يليه شلل، ويتميز لدى الحيوان بتغير سلوك الحيوان حيث يصبح ودودًا جدًا أو ينطوي على نفسه وينزوي، يستعصي على المنبهات، قد يعاني الحيوان من حكاك جلدي، أما لدى الإنسان فيتميز هذا الطور بالحمى، والصداع، والأقياء، ولام والحكة والخدر و القلق والتهيج، يدخل بعدها المريض في طور العصبي الحاد أو شللي (9).

وينكر الماء إذا ما قربا أجله وياأس إذا من كلبا

إنكار الماء وهو التسمية القديمة للمرض (Hydrophobie)، وهو المرحلة الأخيرة من المرض والتقسيم هنا دقيق جدا حيث ذكر المؤلف مراحل المرض مركزا على المرحلة الأخيرة والتي هي رهاب الماء وهو إنذار سيئ بقرب أجل الشخص.

ويقابل هذا الطور، الطور الشللي في الطب الحديث حيث يظهر بعد عدة أيام من الإصابة شلل عضلات الأطراف الخلفية والعضلات العاصرة للشرج والمثانة، مع إفراغ تلقائي للمفرزات ثم تنشئ الأطراف الأمامية ويدخل الحيوان في غيبوبة ويصاب بالاختناق بعد 6-8 أيام، أما لدى الإنسان فيعتبر رهاب الماء من أهم علامات الإصابة، مع زيادة النشاط واضطراب السلوك والعدوانية، مع ألم بلعومي وبحة والاختلاجات تنتهي هذه المرحلة غالبًا بسبب أو بتوقف القلب والموت بوهط التنفس (9)

والكلب لا يقبل مما جعلنا في فيه شيئا فاستعذ من البالا

هنا يخلص أوفي إلى العلامات الوصفية فالكلب المريض بالكلب يصاب أيضا بشلل في مقويات المضغ والبلع وهكذا يحدث اضطراب الشهية الذي يبدأ بانحراف الشهية حيث يحاول تناول الأشياء الصلبة حيث تلتهم الحيوانات المسعورة الحجارة والأخشاب ثم تفقد شهيتها للطعام، بسبب صعوبة البلع ويخرج اللسان ويسيل اللعاب من الفم ويخفت الصوت ليغدو أجشًا بشكل أنينا (10).

5. التشخيص السريري

وقيل إن نظر في مرآة فوجهه كوجه كلب آت

هذه العلامة بتغير السحنة وتحولها إلى صورة الكلب غير مذكورة في الأدب الطبي الحديث، وإن كانت الودمات الطرفية والإعتلالات الفزيولوجية والعضوية كالاختناق الشديد في لأوعية الدموية قد تؤدي إلى تشوهات كبرى خاصة على مستوى القحف والوجه قد تكون هي المعنية بصورة وجه المريض في المرآة، وإن كانت صورة الكلب تعني فيما تعني كافة الاعراض السريرية المذكورة في الطب الحديث مثل: الضعف، الهزال، وآثار العض والجروح والحك سقوط الشعر، وتلون الأغشية المخاطية باللون القاتم، واحتقان العدد العالابية، وحتى خروج السوائل المصلية بشكل خيطي من الفم والعينين، والدماغ الغزير، إضافة إلى أعراض أخرى لم يذكرها المؤلف مثل تلون الدم بلون قاتم مع اعتلالات شديدة في الارقاء، وتظهر في المعدة الأشياء الغير مألوقة مثل الحجارة والخشب، أما أهم تغير مجهري لتشخيص الكلب هي أجسام نغري (11 corps de negrii)

المعالجة والوقاية

العلاج الموضوعي: يكون فورًا وشاملاً ويتم بإزالة ميمانيكية للفيروس بالماء والصابون للفيروس، تغسل الجروح العميقة

بقترة ، ثم يطبق محلول البوفيدون -ايودين 1% او الكحول 70% وحتى 86% (12).

المعالجة المصلية :

التمنيع المنفعل بالغلوبولين البشري المضاد للكلب ريثما يتم انتاج الاضداد بجرعة 20 وحدة دولية للكلغ نصفها في مكان الدلغ والنصف الاخر في العضل.(12)

التمنيع الفعال :

للقاح المحضر على الخلايا البشرية مضاعفة الصيغة الصبغية (H.D.C.V Human Diploid Cell Vaccine) في خمس جرعات على مدى الايام 0, 3, 7, 14, 28 وهو اللقاح الاكثر استخداما وأمانا.

اللقاح الآخر: هو (Rhesus Monkey Fibroblast Cultures) (12) RAV

بعسل مع ثومه وملحه

علاجه الكي وضمده جرحه

العلاج: الوصفة التي ينصح بها أوفي هنا هي في حالة التأكد من إصابة الحيوان بالأعراض الوصفية للإصابة بالكلب، وهذا مالا يتم إلا بعد ربط الحيوان ومراقبته، وهو نفس الإجراء الذي مازال متبعاً حتى الآن، بعد التأكد من إصابة الحيوان العاض بالسعار بنادر أولاً إلى مكان العض وهو كما لا يخفى اجراء وقائي هدفه اتلانف المادة السمية التي لوثت الجرح و التي تسبب السعار، ثم يجرى تنظيف الجرح وضمده مرمهم أساسه العسل مع مسحوق مزيج من الثوم وملح الطعام وزنا لوزن وهو كما لا يخفى ذو تأثير مطهر خارجي مبيد للفيروس ولكافة الاحياء الدقيقة الأخرى الانتهازية التي يمكن أن تتسبب في الانتانات الثانوية (9).

سمن منقوص وثوم قد على

وليشرب العسل منزوعا على

الوصفة الجهازية التي ينصح بها أوفي هنا هي: معلق يتألف من مطبوخ العسل المنزوع الماء ومغلي السمن المنقوص الماء مع مغلي الثوم، وهذه التركيبة أساس الترياق (antidote) وهو أول محاولة عرفتها البشرية في سبيل إنتاج اللقاحات، وهو منقول عن بقراط الحكيم كما صرح بذلك أوفي نفسه في معرض حديثه عن الأدوية المركبة، ويتم تناول هذه الوصفة المضادة لبيس المزاج وبرده على شكل شراب. (13) sirop

بالسمن والعسل مع رسل البقر

غذاءه حساء حنطة ظهر

أما التغذية فهي أيضاً مما يجب الالتزام به لأنه مما يعين به الطبيب الطبيعة على المرض ليصبحا اثنان الغذاء والطبيعة مقابل واحد هو المرض وهذا من أهم المنطلقات الفلسفية لمدرسة الطب العربي فالمقابلة بالذد لابد لها من مقابلة بالعد وهذا منطقي فالاثان يقهران الواحد وهو ما يتبع اليوم في مجال الراتب الغذائي الخاص (régime diététique) والذي يجب أن تحترم فيه التناقضات (antagonisme) الغذائية الدوائية وتحذب فيه التآزر (synergisme) الغذائية الدوائية ، وهكذا يحضر أساس الغذاء من حساء الحنطة مع اضافة السمن والعسل ولبن البقر حديث الحلاية (9).

الخلاصة

داء الكلب هو نموذج أميل للأمراض الحيوانية المنشأ، يتسبب في آلاف الوفيات سنوياً ، وعلى الرغم من المعرفة التامة بدورات انتقال العدوى وسبل التحكم فيها على مختلف المستويات، فمن المفارقات أنه لا يزال مرضاً معدياً مميتاً، ولكن

الاحصائيات المتعلقة بتقييم معدلات حدوثه وتقدير فداحته ناقصة خاصة في البلدان النامية، وتعترف منظمة الصحة العالمية بأنه مرض حيواني المنشأ مهم، ينطبق عليه مفهوم "صحة واحدة" (One Health) (13).

المراجع:

1. BAH, Sidya Ould, CHAMOISEAU, Georges, BIHA, Mohamed Lemine Ould, et al. Un foyer de rage cameline en Mauritanie. 1981.
2. المختار ولد حامدن - موسوعة حياة موريتانيا - الدار العربية للكتاب-تونس 1990
3. TALL, Amadou Mamadou. Methodes traditionnelles de lutte contre les maladies infectieuses du bétail. Techniques utilisées par les pasteurs Peulh en Mauritanie. 1984. Thèse de doctorat. Thèse de Doctorat Vétérinaire EISMV Université de Dakar Sénégal.
4. DUBIEF, P. 1937 : Médecine maure. Bulletin d'étude historique et scientifique de l'AOF, n° 20
أوفي : احمد ولد البراء - مرقون (أوفي وهو المصطفى بن أبي بكر طبيب وعالم موريتاني ذائع الصيت كان حيا حوالي سنة 1237هجرية الموافق سنة 1817م من أسرة عريقة معروفة بالعلم والصلاح حيث كان والده أبي بكر، عالما، تنقل أوفي بين العلماء حتى تضلع من العلم وخاصة علم الطب، عمل كطبيب ملازم وصنف في الطب وفي العلوم الأخرى، وقد توفي أوفي على أغلب التقدير سنة 1300 هجرية الموافق سنة 1880 م عن عمر يناهز 63 سنة، للمزيد ينظر ترجمة المؤلف في مقدمة تحقيقنا لكتابه الأشهر عمدة الطبيب الذي بعد من أهم مؤلفاته أوفي على الإطلاق هذا الكتاب الذي نقتبس منه قراءتنا هذه وقد ساه عمدة الطبيب والكتاب عبارة عن أرجوزة مؤلفة من 1224 بيتا من الشعر غطت مختلف جوانب الطب والصيدلة المتداولة في عصر المؤلف رتبها أوفي في مقدمة وستة أبواب أولها في الطبيعيات والثاني في الأغذية والأدوية والثالث في الضروري للأبدان والرابع في الأمراض والأعراض والخامس في الأعضاء والسادس في الأمراض العامة ثم خاتمة ذكر فيها ما يجب على الطبيب. وقد ظلت مرجعا هاما في الطب حتى وقت قريب، من أهم ما قيم به حولها ترجمتها الى اللغة الفرنسية من قبل محمد ولد أبنو ولد أبنو عبيد بأمر من الحاكم الفرنسي آنذاك الكابتن ديي بأبي تلميت 1945 ، للمزيد ينظر عملنا تحقيق عمدة الطبيب لأوفي).
5. تحقيق عمدة أوفي : احمد ولد البراء - مرقون: اعتمدنا في التحقيق على ثلاث نسخ من هذا المخطوط: نسخة أولى تعود كما يبدو لاحد احفاد المؤلف وهي غير واضحة ويغيب فيها أحيانا النص بيتا وهي مؤلفة من 95 بيتا وهي غير كاملة، تحتوي على بعض التعليقات والاضافات، وهي غير مؤرخة وتتألف من 94 بيتا، نسخة ثانية غير موقعة وهي غير واضحة وغير كاملة أيضا بخط مغربي جميل وإن كانت يغلب عليها الضبط بالشكل إلا أن هناك اختلافات شكلية بينها وبين سابقتها حيث يلاحظ في بعض الإبيات حلول بعض الكلمات محل الأخرى وهي غير مؤرخة و نسخة ثالثة: مرقونة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، وهي مؤلفة من حوالي 1224 بيتا ولكن بعض الأشرطة مفقودة، والنسخة بحالة جيدة، وتحتوي على بعض التعليقات والحواشي، وهي أكمل نسخة وقعت عليها، بعد المقارنة مع النسختين الأخرين، وتعود لحوالي 10 شوال 1286 هـ. حيث اعتمدتها كأصل للتحقيق.
6. Ould Mohamed vall HMEYADA, Abdallahi : CONTRIBUTION A L'ETUDE DES PLANTES MEDICINALES DE MAURITANIE- Ann. Univ. Lomé (Togo), 2009, série Sciences, Tome XVII : 9-27
7. SAVADOGO, M., KYELEM, N., BOUSHAB, M. B., et al. Rage furieuse transmise par un chien errant. Médecine D'Afrique Noire, 2017, vol. 4, p. 243-246
8. OMS, 2016. Rage, Aide-Mémoire n 99,2016
9. Plan Directeur de Prévention et de Contrôle de la Rage Canine version 3 mai 2015
10. Source rapport de l'étude rage SANOFI, 2015
11. Dacheux, L. et Bourhy, H. 2011. Le diagnostic de la rage. Elsevier Masson SAS, 33- 39
12. RIBADEAU-DUMAS, Florence, DACHEUX, Laurent, et BOURHY, Hervé. La rage. médecine/sciences, 2013, vol. 29, no 1, p. 47-55

المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي



جهود المستشرق الألماني (ألبرت ديتريش ، Albert Dietrich) في تحقيق المخطوطات الطبية، مخطوط (ديسقوريدوس في هيولى الطب⁽¹⁾).

د. سماح سعيد عبد القادر باحويرث
أستاذة مساعد بقسم الاستشراق.
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة، المدينة المنورة.

ستتطرق الدراسة الحالية إلى دور المدرسة الاستشرافية الألمانية في الحفاظ على التراث الإسلامي، خاصة المخطوطات، التي كانت تشغل اهتمام الغرب الأوربي عمومًا، والكنيسة على وجه الخصوص، ولا أرغب في الحديث عن تعريف الاستشراق و بداياته، وأهداف المستشرقين ودوافعهم المختلفة، وإنما سأقتصر في هذه الورقة على الاستشراق الألماني وبداياته، وأهداف المستشرقين الألمان، ثم أتناول المستشرق الألماني ألبرت ديتريش، وإنتاجه العلمي، ومن ثمّ انتقل إلى التعريف بصاحب المخطوط ديسقوريدوس، وأهمية كتابه (هيولى الطب في العالم الإسلامي)، ثم عرّجت إلى الطريقة التي اتبعها ألبرت ديتريش في تحقيق المخطوط، وفي الختام رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أهداف المستشرقين الألمان:

قبل التطرق إلى أهداف المستشرقين الألمان، وجب التعرّيج على ذكر بداية تعرّفهم إلى علوم الشرق، وكيف انخرطوا في ركاب هذه الموجة الجديدة التي شغلت أوروبا عمومًا، حيث تذكر المراجع أن البدايات الألمانية كانت خجولة ومتفرقة مع الجهود الأوروبية، والمتعارف عليه أن الدراسات الاستشرافية لا يوجد لها بداية فعلية ودقيقة؛ لكن كانت إرهابات فردية تتبعتها محاولات جادة من قبل الكنيسة، ثم ما لبثت أن خرجت هذه الجهود بخلة واضحة قبيل الاستعمار، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، ولن أخوض غمار هذه الفترة؛ لأن الحديث عنها يطول ويتشعب⁽²⁾. وإذا عاودنا الحديث عن بداية تعرّف الألمان بالمسلمين، يرى الباحثون أنها كانت مواكبة للحملات الصليبية (542-544هـ / 1147-1149م)، وفي ركاها⁽³⁾. ولا يخفى دور هذه الحروب في نقل الثقافة والحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وكانت البدايات مبكرة لدخول المستشرقين الألمان غمار هذا المجال: أي منذ القرن الخامس الهجري، الموافق للسداس عشر الميلادي، وكانت هذه البدايات - كما كانت بداية الاستشراق عمومًا - أنه خرج من أروقة الكنيسة، وتحت عين البابوية ورعايتها. وقد تتابعت جهود الألمان في هذا المجال، ومن أبرز أعمالهم ما قام به المستشرق يعقوب كريستمان (J.Christmann) بإعداد فهرس للمخطوطات الشرقية؛ وهنا بدأت تدخل اللغات الشرقية إلى

1 هيولى الطب: تعني المادة الطبية العلاجية، حبي: كتب الحشائش، ص533.

2 للوقوف على نشأة الاستشراق وتطوره، انظر على سبيل المثال لا الحصر: محمد فتح الله الزبادي: الاستشراق أهدافه ووسائله: دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، مؤسسة المعاصرة ومستقبل الثقافة، سوريا، 1379هـ/2011م، ص23-31. ومن وجهة نظر الباحثة تعدّ وجهة نظر المؤلف أفضل والأقرب إلى الصحة فيما قبل عن بداية الاستشراق.

3 نجيب العقيقي: المستشرقون، ج2، ص340.

الجامعات الألمانية شيئاً فشيئاً، حيث دخلت العربية والكلدانية، والسريانية، والعربية⁽⁴⁾. وبعد قيام حركة مارتون لوثر الإصلاحية (928هـ/ 1521م)، وعصر التنوير⁽⁵⁾ احتاجت أوروبا إلى ترجمة الكتاب المقدس مرة أخرى من الأصول العربية؛ لمعرفة التبديل والتحرير الذي وقع في الترجمة الموجودة، وقد بنيت على أساسها كثيراً من العقائد المسيحية⁽⁶⁾. وأدى هذا إلى الحاجة لافتناء المخطوطات العربية والعربية، وإنشاء مراكز لتعلم اللغة العربية في ألمانيا وأوروبا على وجه العموم، واحتضنت الكليات اللاهوتية هذا التعليم، حيث علّمت طلابها تفسير الكتاب المقدس، وتدرّس اللغة العربية والعربية والسريانية، وقد اعتمد المستشرقون الألمان على مكتبة بوسنل في دراسة اللغة العربية، وتمحورت جهودهم حول جمع المخطوطات العربية، وافتتاح كراسي لتدريس اللغات السامية بألمانيا⁽⁷⁾. ثم انطلقت جهود فردية جادة تمثلت فيما قام به المستشرق الألماني يعقوب كريستمان في محاولة تعليم اللغة العربية في ألمانيا، حيث ألّف كتاباً لتعلم اللغة العربية، ثم قام بنفسه بصناعة حروف خشبية عربية؛ لتتمكن المطبعة من طباعة هذا الكتاب، وواصل جهوده في نشر اللغة العربية وعلومها؛ حتى استطاع إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة هايدلبرج⁽⁸⁾. وتوالى الجهود حتى جاء القرن السادس الهجري، الموافق السابع عشر الميلادي، وبدأ يبرز فيه الاستشراق الألماني، وكان معظمهم رجال دين ورهباناً، منهم على سبيل المثال: الراهب الألماني جرمانوس (997 P.D.Germanus-1081هـ/ 1588-1670م)، الذي وضع معجماً عربياً-لاتينياً-إيطالياً حمل عنوان (Fabrica Llinguae arabicae, roma)، إضافة إلى ترجمته للقرآن الكريم باللغة اللاتينية، وأسهم في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية⁽⁹⁾. وعمل المستشرقون الألمان على المخطوطات الإسلامية، حيث أعد لمستشرق ألماني جوهان هوتنجر (1030-Johann Hottinger-1078هـ/ 1667-1620م) فهرساً للمخطوطات الشرقية، ونُشر هذا الفهرس عام 1069هـ/ 1658م)، كما له أعمال أخرى. وتوالى جهود المستشرقين الألمان، حيث ظهرت في عام 1106هـ/ 1694م) أول طبعة للقرآن الكريم بحروف عربية بجهود ألمانية، وتولى هذا العمل المستشرق الألماني إبراهيم هنكلمان (Abraham, Hinckelman)⁽¹⁰⁾. وشهد القرن السابع الهجري/ الثامن عشر الميلادي تغييراً في شكل دراسة اللغة العربية ومضمونها في ألمانيا، فبعد عودة عدد كبير من الألمان الذين درسوا اللغة العربية في هولندا؛ فإنهم أخرجوا دراسة اللغة العربية من بوتقة التوراة والدراسات اللاهوتية - التي كانت مهيمنة عليها لعدة سنوات - إلى الثقافة العامة⁽¹¹⁾.

ولا يمكن إغفال دور الدولة العثمانية في تعرّف الألمان على الإسلام، حيث أنشأت مدرسة للغات الشرقية في برلين عام 1305هـ/ 1887م)⁽¹²⁾. ويعدّ ريسكه (johann Jakob Reiske) من أبرز مستشقي هذا القرن، الذي درس الطب واشتغل بالعلوم العربية والأدب، وله جهود كبيرة في اللغة العربية وترجمة الأدب العربي و الحضارة العربية، وجمع وأحصى جميع النصوص العربية المطبوعة في أوروبا، وفهرس مخطوطات مكتبة ليدن، إلى غير ذلك من الجهود العلمية في مجال الشعر العربي على وجه الخصوص⁽¹³⁾.

والحقيقة أن جهود المستشرقين الألمان انصبّت على اللغة العربية والأدب والتراث الإسلامي؛ ومن ثمّ توالى أعمالهم وجهودهم العظيمة في القرن التاسع عشر الميلادي، ومن أبرز رواد هذا القرن، أستاذ اللغات الشرقية المستشرق فرايتاج (1202-1277هـ/ 1861-1788م) (Freytag, Georg Wilhelm)؛ إذ يعدّ المعجم الذي صنّفه (عربي/لاتيني) من أهم أعماله، حيث اعتمد على هذا المعجم لسنوات طويلة في أوروبا. ومنهم كذلك المستشرق فريدريش ريكتر (1202-1283هـ/ 1866-1788م)،

- 4 العقيقي: المستشرقون، ج2، ص341.
- 5 هو عصر التفكير العقلاني، حيث ظهرت هذه الحركة في القرن الثامن عشر الميلادي، وهي حركة فكرية ثقافية فلسفية سيطرت على أوروبا، كان هدفها الرئيس محاربة تسلّط الكنيسة. زينب عبدالعزيز: الفاتيكان وعصر التنوير، مقال منشور في موقع صيد الفوائد، said.net. تاريخ الدخول: 1444/2/10هـ.
- 6 زينب عبدالعزيز: الفاتيكان وعصر التنوير.
- 7 مونة سعيدي، وغفاف جعلاّب: جهود المستشرقين الألمان في تحقيق ونشر التراث الإسلامي (الجغرافيا أمّودج)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة محمد بوضياف المسيلة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2016-2017م، ص18.
- 8 نجيب العقيقي: المستشرقون، ج2، ص340؛ صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، ص7.
- 9 بدوي: موسوعة المستشرقين، ص180.
- 10 بدوي: موسوعة المستشرقين، ص438.
- 11 محمد سعدون المطوري: الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، بحث منشور في مجلة الدراسات الاستشرافية، ع3، 2015م، ص196.
- 12 العقيقي: المستشرقون، ج2، ص341.
- 13 العقيقي: المستشرقون، ج2، ص354-355؛ محمد عوني عبد الرؤوف وإيمان السعيد جلال: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2015م، ج3، ص256.

(Ruckert, Friedrich)، الذي له أعمال كثيرة وجليلية في الترجمة، من أهمها: ترجمة أجزاء من القرآن الكريم. أما المستشرق جوستاف فليجل (1217-1287هـ/ 1802-1870م) (Flugeh)، الذي وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وأصدر طبعة للقرآن الكريم، ويعود إليه الفضل في وضع سجلات المخطوطات العربية والتركية والفارسية بمعظم مكاتب ألمانيا. ولا يفوتنا ذكر عميد المستشرقين الألمان فلايشر (1216-1305هـ/ 1801-1888م) (Fleischer, Heinrich Leberrecht)، الذي أسهم بجهود عظيمة ساعدت على تحقيق مخطوطات الكتب الإسلامية، ولم يكتفِ بذلك؛ بل نقدها ووضع تصويهاً لبعضها⁽¹⁴⁾. وبعد مطلع القرن العشرين الميلادي مرحلة ازدهار الاستشراق الألماني وتنوعه، حيث خرج الاستشراق الألماني من بوتقة اللغة العربية والأدب؛ إلى الشمول والتنوع بصورة جلية أسهمت في خدمة العلم، فمن علوم اللغة العربية، وتحقيق المخطوطات، إلى جغرافيا البلدان الشرقية وتاريخها، ودور الأديان فيها، مع التركيز على التراث الإسلامي، إضافة إلى إنشاء عدد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية، مثل: فرانكفورت وبون وبرلين⁽¹⁵⁾. كما ظهرت العديد من المكتبات التي حوت كنوز التراث الإسلامي من المخطوطات الإسلامية النادرة، إضافة إلى الكتب الإسلامية والعربية، وأخذت تظهر في مختلف أنحاء ألمانيا دور متخصصة لطباعة الكتب العربية؛ ونتيجة لكل هذه الجهود ظهرت الجمعيات الشرقية مثل: الجمعية الشرقية الألمانية (1261هـ/ 1845م)، وصدرت مجلات مختصة بالشرق وعلومه مثل: المجلة الشرقية الألمانية⁽¹⁶⁾.

جهود المستشرقين الألمان في حفظ المخطوطات وتطويرها:

لا يخفي على أي منصف عظمة الإسلام وتراثه الإسلامي الذي خلف لنا علماء المسلمين، ودور هذا التراث في نهضة أوروبا، ولكن توالى على العلوم الإسلامية أحقاب جهل فيها أهمية هذا التراث وأهم، وتعرض لكثير من التلف والضياع، وفي تلك الفترة قُيِّضَ الله لهذا التراث الإسلامي من يحفظه، وكان للمستشرقين دور عظيم في حفظ عيون التراث الإسلامي، والقيام بهذه المهمة الصعبة، فـ"قد أدى الاستشراق دوراً مؤثراً لا يمكن إغفاله أو إنكاره؛ إذ وضع علماءه القواعد الأساسية للسير عليه في نشر المخطوطات وتحقيقها، معتمدين على المبادئ التي توصل إليها علماء الآداب الكلاسيكية في أواسط القرن التاسع عشر، وقد استخدم المستشرقون هذه المبادئ في إحياء الكتب العربية، وإن لم يُؤلف فيها تأليفاً خاصاً"⁽¹⁷⁾؛ حتى ألف برجستاسير كتاب (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)⁽¹⁸⁾، وهو كتاب مخصص في قواعد تحقيق المخطوطات.

وتوالى جهود المستشرقين الألمان في حفظ المخطوطات الإسلامية وفهرستها، وساعد على ذلك انتشار المكتبات في أرجاء ألمانيا، وعلى سبيل المثال: مكتبة برلين الوطنية، ومكتبات جامعات: جوتينجن، وهايدلبرغ، ومانيس، وقد بلغ عدد المكتبات التي ألحقت بالكنيسة إحدى عشرة ألف مكتبة، خلاف المكتبات التي ألحقت بالبلديات وقُدرت بسبعة آلاف مكتبة، وحوّت هذه المكتبات نفائس المخطوطات الإسلامية والكتب العربية المختلفة⁽¹⁹⁾. ومن هذه الجهود ما قام به المستشرق بيرتش (W. pertsch) من فهرسة لمخطوطات مكتبة جوتينجن سنة (1295هـ/ 1878م)، حيث صُنِّفَ فيها (2891) مخطوطاً، كما وضع كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) فهراس مخطوطات مكتبة مدينة برسلو العربية، والتركية، والعربية، والفارسية، سنة (1318هـ/ 1900م)، أما فهراس مخطوطات جامعة بون، فقد وضعها المستشرق جيلدمايستر (Gildemeister) سنة (1281هـ/ 1864م)، وتولى وضع فهراس مخطوطات مكتبة برلين المستشرق فلهلم ألفرد في عشرة أجزاء⁽²⁰⁾.

ومن ذلك يتضح جهود المستشرقين الألمان في حفظ التراث الإسلامي، والعناية باللغة العربية والأدب العربي؛ مما أسهم في إخراج نفائس الكنوز العربية والإسلامية إلى العالم، والحفاظ على اللغة العربية.

- 14 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج3، ص256-258.
- 15 المطوري: الاستشراق الألماني، ص197؛ لمزيد من المعلومات انظر: فايكية فالتز: نشر التراث العربي ودراسته في ألمانيا، محاضرة أقيمت في قاعة الإريسي في كلية الآداب، جامعة بغداد، -1977 1978م، ص353-354.
- 16 سعيدي: جهود المستشرقين الألمان، ص7.
- 17 أحمد سبيلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ص549-550.
- 18 ترجم هذا الكتاب محمد حمدي البركي عام 1969م، وطبع بدار الكتب، القاهرة.
- 19 العقيلي: المستشرقون، ج2، ص396.
- 20 المطوري: الاستشراق الألماني، 201.

المستشرق الألماني ألبرت ديتريش:

في عام (1330هـ/ 1912م) وُلد المستشرق الألماني ألبرت ديتريش بمدينة هامبورج، ولا نعرف الكثير عن حياته، غير أنه درس في جامعة هامبورج وتوبنجن، وتأثر بأساتذتها، حيث تخصص في الدراسات الاستشرافية، وحصل على شهادة الدكتوراه عام (1356هـ/ 1937م)، ودرس في عدد من الجامعات الألمانية، منها: جامعة هايدلبرج عام (1368هـ/ 1949م)، وجامعة جوتنجن عام (1379هـ/ 1959م)، حيث أصبح أستاذًا للدراسات الإسلامية والعربية⁽²¹⁾. وهذا غير مستغرب، فهذه الجامعة اهتمت بالدراسات الإسلامية، وكان لها قصب السبق في هذا المجال. وكان لهذا المستشرق جهود عظيمة في تحقيق المخطوطات، وتأليف الكتب، وترجمة التراث الإسلامي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- تحقيق (كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي)، لأبي زكرياء المعافا النهرواني.
- البرديات في مكتبة هامبورج، عام (1356هـ/ 1937م).
- الكتابات العربية في مصر.
- وصية المنصور.
- مجموعة محاضرات جمعها في كتاب حمل عنوان (الدراسات العربية في ألمانيا: تطورها التاريخي ووضعها الحالي).
- دراسات لمخطوطات عربية طبية محفوظة بمختلف دور الكتب في تركيا وسوريا، جوتنجن.
- مقالة علمية حول (تجارة الدواء في مصر المسلمة) هايدلبرج (1373هـ/ 1954م).
- دراسة عن كتاب الجليس والأنيس للمعافا النهرواني، ومجلة المجمع العلمي العربي.
- تحقيق مقالة عليّ بن رضوان عن التطرق بالطب إلى السعادة
- Ali Ibn Ridwan, Über den Weg zur Gluckseligkeit durch den arztlichen Beruf
- والمقال مقسم إلى أبواب ثلاثة:
- الباب الأول عن مؤلفات أبقراط.
- الباب الثاني: معلومات عن أبقراط.
- الباب الثالث: عن طرق السعادة في مهنة الطب.
- وقد صدر الكتاب تحقيقًا وترجمة وتعليقًا على ما ورد لدى عليّ بن رضوان بمدينة جوتنجن سنة (1402هـ/ 1982م).
- تحقيق شرح لكتاب "دياسقوريدوس في هيولى الطب Dioscurides Triumphans".
- تفسير "كتاب دياسقوريدوس لابن البيطارar al-BitarDie Dioskurides Erklarung des Ibn"، حققه و ترجمه إلى الألمانية وعلّق عليه، ويشمل: تفسير المقالات الأربع من كتاب دياسقوريدس، ثم صنّف فهرسًا بأسماء الأدوية باللغة العربية في (29) صفحة، وشملت الفهارس فهارس أسماء أدوية العقاقير اليونانية، واللاتينية، والعربية، والعبرية⁽²²⁾.

ديسقوريدوس:

وُلد ديسقوريدوس Dioskorides⁽²³⁾ في مدينة قليقيا بتركيا بقرية عين زربي⁽²³⁾، وقال ابن جليل: "من أهل عين زربة، شامي يوناني حشاشي"⁽²⁴⁾. وورد اسم دياسقوريدس في المصادر العربية ببعض الاختلاف البسيط، فكُتب "ديسقوريدوس"، و"ديسقوريدوس"⁽²⁵⁾. ويرى الباحثون أنه من مواليد القرن الأول الميلادي، ويعدّ عصره من العصور التي امتازت بالحضارة، واتسمت بالطابع الهلنستي⁽²⁶⁾.

- 21 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، ج 1، ص 130.
- 22 العقيلي: المستشرقون، ج 2، ص 478؛ عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، ج 1، ص 131-132.
- 23 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة عماد النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ص 225، هامش 3.
- 24 ابن جليل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1405هـ/ 1985م، ص 21.
- 25 يوسف حبي: كتب الحشاش العربية، بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مج 28، ج 2، 1984م، ص 525.
- 26 حبي: كتب الحشاش، ص 530.

ذكر حنين بن إسحاق: أن ديسقوريدس كان قد اشتهر بين قومه باسم (أزدش نياديش)، ويعني الخارج عنا⁽²⁷⁾.

وقال حنين: اشتهر بهذا الاسم؛ لأنه كان قد اعتزل قومه، وانعزل في الجبال ومنابت الأعشاب، لا يشاركهم في قضاياهم؛ لذلك سماه قومه بهذا الاسم. وتعني ديسقوري باليونانية "أشجار، ودوس" باليونانية: الله، ومعناه: أي ملهمه الله للشجر والحشائش⁽²⁸⁾. وينقل ابن أبي أصيبعة عن ديسقوريدوس قوله:

"وأما نحن، فإنه كانت لنا- كما عملت- في الصغر شهوة لا تُقَدَّر في معرفة هيولي العلاج، وجولنا في ذلك بلداناً كثيرة"⁽²⁹⁾. ويؤكد هذا ما ذهب إليه المتقَدِّمون من انعزاله وتُبعده عن الناس، حيث بحث في أعالي الجبال ومنخفضات السهول عن أنواع الأعشاب والنباتات، لذلك ساح في البلاد بحثاً عن العلم والمعرفة، وقد وصفه ابن النديم بقوله: "تفديه الأنفس، صاحب النفس الزكية، النافع للناس المنفعة الجليلة، المتعوب، المنصوب، السائح في البلاد، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار، والمصور لها، المعدد لمنافعها قبل المسألة عن أفاعيلها، وله من الكتب: كتاب الحشائش، خمس مقالات، وأضاف إليها مقالاتين في الدواب والسموم"⁽³⁰⁾. وذكر ابن جليل والقفطي عن ديسقوريدوس: "أعلم من تكلم في أصول العلاج؛ بل هو العَلَم في العقاقير المفردة"⁽³¹⁾. واجتمع في هذا العالم أصالة الشرق وعلم اليونان؛ إذ لم يكن يبحث عن الأعشاب فقط، أما كان مصوراً، ودارساً ومختبراً لها، وظل أربعين سنة يجوب البلاد والوهاد والنجاد يبحث ويختبر، ويصوِّر ويكتب ويجرب؛ حتى خرج بكتابه (هولي الطب)، الذي كان من أروع وأنفع ما كُتب في الأدوية المفردة⁽³²⁾.

كتاب ديسقوريدوس هولي الطب، وترجمته إلى العربية:

تتبع الباحثة كثيراً من الأقوال حول نقل هذا الكتاب إلى العربية - سواء من كتاب ابن أبي أصيبعة، أو ابن جليل، أو ابن النديم، وغيرها من المراجع المعاصرة- وتبين أن منهم من ذهب إلى القول بتعدد الترجمات، وفي رأي أنها ترجمة واحدة، حيث عدل عليها بعض المترجمين، وترى الباحثة أن أفضل رواية تُجلى الغبار عن هذا الموضوع ما ذكره ابن جليل الأندلسي؛ إذ قال: "إن كتاب ديسقوريدوس تُرجم بمدينة السلام (بغداد) في الدولة العباسية، في أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له اصطف بن بسيل الترجمان، من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، وتصفَّح ذلك حنين بن إسحاق المترجم، فصَحَّح للترجمة وأجازها، فما علم اصطفن من تلك الأسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي؛ فسَرَّه باللسان العربي؛ إذ التسمية لا تكون إلا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما رأوا، وأن يسموا ذلك، إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطؤهم على التسمية؛ فاذن اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف أعيان الأدوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته، فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت؛ فيخرج إلى المعرفة"⁽³³⁾. ثم انتقلت هذه النسخة كما هي إلى عروس المدائن الأندلس واستفاد الناس منها، حتى كان عام (337هـ/949م) في عهد الناصر عبدالرحمن بن محمد، حيث بعث إليه إمبراطور القسطنطينية أرمانوس (Romanos) هدية، "فكان في جملة هديته كتاب ديسقوريدوس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب، وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقي الذي هو اليوناني"، وأرسل إلى الملك الناصر كتاباً كتب فيه "إن كتاب ديسقوريدوس لا تجنى فائدته، إلا برجل يُحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يُحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب"⁽³⁴⁾. ولم يكن بقرطبة من يُحسن اللغة اليونانية القديمة، فأرسل الملك الناصر يطلب من أرمانوس أن يُرسل إليه من يستطيع قراءة الكتاب، فأرسل إليه نقولا الراهب (Nicola)، الذي وصل إلى قرطبة عام (340 هـ/952م). وكان في قرطبة عدد من الأطباء المهتمين بالبحث والاستزادة من العلم، والرغبة في معرفة المجهول من كتاب ديسقوريدوس، وانكبَّ عدد منهم على تصحيح هذا الكتاب مع

27 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص226.

28 أشجار وردت في النص شجار، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص226.

29 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص226.

30 ابن النديم: الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له: يوسف علي طويل، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م، ص462.

31 ابن جليل: طبقات الأطباء، ص21.

32 حمي: كتاب الحشائش، ص532-537.

33 ابن جليل: طبقات الأطباء، المقدمة ص18.

34 ابن جليل: طبقات الأطباء، المقدمة ص18.

الراهب نقولا، ومنهم: الطبيب محمد المعروف بالشجار، ورجل آخر كان يُعرف بالبسباسي، وأبو عثمان الحزاز الملقَّب باليابسة، ومحمد بن سعيد الطبيب، وعبدالرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبدالله الصقلي، وكان يجيد اللغة اليونانية، وله علم بالأدوية. ويذكر ابن جلجل أنه رافق هؤلاء في أيام المستنصر، وصحبهم في أيام المستنصر الحكم⁽³⁵⁾. ويظهر من كلام ابن جلجل أنه شارك في تصحيح كتاب ديسقوريدوس، حيث يقول: "وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب، الذي هو أصل الأدوية المركبة، حرص شديد وبحث عظيم، حتى وهبني الله من ذلك بفضل بقدر ما أطلع عليه من نيتي، في إحياء ما خفت أن يدرس، وتذهب منفعتي لأبدان الناس"⁽³⁶⁾. وأخيراً فإن اللبس الذي وقع فيه الباحثون حول النسخ المخطوطة الموجودة في عدد من مكتبات العالم، ما هي إلا نتيجة التصحيح في الترجمة الذي حدث في الأندلس، وهي نسخة مُعدّلة على ما راجعه حنين بن إسحاق في بغداد عن ترجمة اصطفت بن باسيل.

- وقد استفاد من هذا الكتاب عدد كبير من أطباء المشرق والمغرب؛ للمكانة التي احتلها هذا الكتاب، وممن استفاد منه:
- ابن جلجل في تصنيف كتابه (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس).
- ابن وافد الأندلسي في كتابه (الأدوية المفردة)، وقد جمع فيه بين علم ديسقوريدوس وجالينوس.
- ابن سينا المتوفي سنة (428هـ/1037م)، استفاد من كتاب ديسقوريدوس في تصنيف كتاب (الأدوية المفردة) من (القانون).
- وعبد اللطيف البغدادي، المتوفي سنة (629هـ/1232م)، في تصنيف كتاب (انتزاعات من كتاب ديسقوريدوس في صفات الحشايش)⁽³⁷⁾.

واختلاف الباحثين في مترجم كتاب ديسقوريدوس (في هيولى الطب" منشأ وجود عدد من هذا المخطوط في مكتبات العلم؛ إذ يختلف بعضها في الترجمة، ونذكر منها:

- (3) نسخ من المخطوط في أيا صوفيا بالاستانة، لم يُدوّن عليها أي تاريخ؛ ولكنها نسخة قديمة رُسمت فيها النباتات بألوانها، ويوجد بدار الكتب المصرية نسخة فوتوغرافية مصوّرة من نسخة الأستانة تحت رقم (1209).
- (3) نسخ من المخطوط موجود في المكتبة الوطنية بباريس، ونسخة بمريد⁽³⁸⁾.
- مخطوط خدابخش بتنه بالهند. يعود هذا المخطوط إلى القرن السابع الهجري⁽³⁹⁾.
- مخطوط في مكتبة "كتبخانة نوري عثمانية" مجموعة رقم (3589)، وهي النسخة التي اعتمد عليها المحقق ألبرت ديتريشي .
- مخطوط موجود في كتبخانة مجلس شورى ملي في طهران، رقمها (10/1528)، (ص125-132)⁽⁴⁰⁾.
- مخطوط محفوظ في مكتبة الإمام علي بن موسى الرضا بإيران، ترجمه مهران بن منصور بن مهران⁽⁴¹⁾.

ووجد عدد آخر من النسخ، والظاهر أنها صُوّرت من المخطوطات الأصلية في مكتبات: الاسكوريال، وأكسفورد، وبولونيا، وباريس، والمتحف البريطاني بلندن، وبنكيسور، ومكتبة شيوخ في حلب، وباتافيا، وطوبقي سراي، ومكتبة الأوقاف العامة في الموصل، كما توجد نسخة من المخطوط باللغة اليونانية محفوظة في المكتبة الوطنية بفينيا، وهي أقدم نسخة من المخطوط تعود إلى القرن السادس الميلادي؛ بغزاة الإمبراطورة بوليانا أنيسيا (Kaiserin Juliana Anisia)، وأخرى في المكتبة الوطنية بباريس برقم (2179)، تعود إلى القرن التاسع الميلادي⁽⁴²⁾.

35 ابن جلجل: طبقات الأطباء، المقدمة ص19.

36 ابن جلجل: طبقات الأطباء، المقدمة ص 19.

37 صلاح الدين المنجد: مقدمة كتاب الحشايش والأدوية لديسقوريدوس بترجمة مهران بن منصور بن مهران، دمشق، مطبعة مجمع اللغة العربية، 1385هـ/ 1965م، ص 8-11.

38 المنجد: مقدمة كتاب الحشايش والأدوية، ص11؛ حبي: كتاب الحشايش، ص546.

39 المنجد: مقدمة كتاب الحشايش والأدوية، ص11.

40 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، ج 1، ص130.

41 المنجد: مقدمة كتاب الحشايش والأدوية، ص 12-17.

42 حبي: كتاب الحشايش، ص546.

أهمية كتاب ديسقوريدوس في "هيولي الطب":

احتل هذا الكتاب مكانة عظيمة في العالمين الإسلامي والغربي؛ حيث قال عنه جالينوس: "تصفحت أربعة عشر مصحفًا في الأدوية المفردة لأقوام شتى، فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدوس، الذي من أهل عين زربة" (43). ويتفق على هذا القول عدد من الأطباء المسلمين أمثال: ابن أبي أصيبعة، والقفطي، يقول ابن أبي أصيبعة: "وعليه احتذى كل من أتى بعده"، بل ويعدّه الأطباء المسلمون من أفضل من صنف في هيولي الطب (44). وذكر أحد المستشرقين "أن كتاب ديسقوريدوس يحتل المكانة الثالثة في تاريخ الطب العربي والغربي في العصور الوسطى، بعد كتاب أبقراط وجالينوس، فقد استخدمه أطباء تلك العصور أساسًا لمادتهم الطبية" (45). وقد اعتمد في تأليف كتابه على التجربة التي أجراها بنفسه على النباتات، ولم يكتفِ بالجمع والتصوير والتبويب (46).

تحقيق ألبرت ديتريش لكتاب ديسقوريدوس في "هيولي الطب":

اعتمد المحقق على نسخة للمخطوط محفوظة في إسطنبول في "كتبخانة نوري عثمانية" مجموعة رقم (3589)، وقابلها بنسختين هما:

- نسخة طهران "كتبخانة مجلس شوري ملي"، رقمها (10/1528) (ص 125-132).
- نسخة دار الكتب الوطنية في مدريد، نسخة رقم (4891)، وهي مبتورة البداية تتكوّن من عشر أوراق، فيها تفسير للنصف الثاني من المقاتلين الثالثة والرابعة (47).
- وكتاب ديسقوريدوس خمسة مقالات، تناولت في مجملها الأدوية والأعشاب، وهي كالآتي:
- "المقالة الأولى: تشمل ذكر أدوية عطرة الرائحة وأفاويه وأدهان وصمغ وأشجار كبار.
- المقالة الثانية: تشمل ذكر الحيوان، ورطوبات الحيوان، والحبوب، والقطاني، والبقول المأكولة، والبقول الحريفة، وأدوية حريفة.
- المقالة الثالثة: تشمل أصول النبات، والنبات الشوكي، والبذور، والصمغ، والحشائش الزهرية.
- المقالة الرابعة: تشتمل على ذكر أدوية أكثرها حشائش باردة، وحشائش حارة مسهلة ومقيئة، وحشائش نافعة من السموم، وهو ختام المقالة.
- المقالة الخامسة: تشمل ذكر الكرم، وأنواع الأشربة، والأدوية المعدنية، والله أعلم" (48).

وذكر المحقق أن الجزء الأول من المقالة سبق بشرح لم يُعْنون له، وقد شارك في وضع هذا الشرح ثلاثة من المؤلفين، وهم:

- سليمان بن حسان بن جلجل القرطبي، وهو الذي فسر أسماء الأدوية المفردة التي ذُكرت في كتاب الحشائش.
- عبد الله بن صالح، وهو أحد أساتذة ابن البيطار، وقام بمهمة وصف الأدوية والتعريف بها.
- تلميذ لعبدالله بن صالح مجهول الاسم، يضع بعض الملاحظات على ما كتبه أستاذه (49).

واعتمد المحقق على عدد من المصادر الإسلامية؛ للتأكد من صحة المعلومات الواردة في المخطوط الأصلي، ومنها:

- كتاب (الأدوية المفردة)، لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي. نسخة الرباط، الخزائن العامة (155).
- كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن البيطار، وقد اعتمد على طبعة بولاق (1291هـ/ 1874م).

43 ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 21.

44 عيون الأنباء، م 1، ص 225.

45 حبي: كتاب الحشائش، ص 538.

46 حبي: كتاب الحشائش، ص 535.

47 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج 1، ص 132-133.

48 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، م 1، ص 226-227.

49 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج 1، ص 133.

- كتاب (تفسير كتاب ديسقوريدس) لابن البيطار، نسخة مكة المكرمة، محفوظة بالحرم المكي الشريف، (26/3 طب) .
- كتاب (الحشائش لديسقوريدوس، والمقالات السبع من كتاب ديسقوريدس)، وهو (هيولي الطب في الحشائش والسموم)، ترجمة: إسطفان بن بسيل، وإصلاح حنين بن إسحاق، تحقيق: سيزر دوليرو إلياس تيريس، تطوان وبرشلونة (1371-1376هـ/ 1952-1957م).
- كتاب ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، تحقيق: أوجست مولر، القاهرة وكنينجبرج (1299-1301هـ/ 1882-1884م).
- كتاب (تكلمة المعاجم العربية) لدوزي، (50)R.Dozy, Supplement aux dictionnaires arabes, I/II, Leiden, paris, 1881.

ويلاحظ اعتماد المحقق على مصادر لأطباء مسلمين نقلوا واستفادوا من كتاب ديسقوريدوس (في هيولي الطب)، وحرص المحقق في تحقيق هذا الكتاب على استخدام الرموز نفسها التي استخدمها المؤلف ديسقوريدوس؛ حتى لا يقع لبس عند القارئ أو الدارس لأصل الكتاب، وحجاً في الاختصار، وقد رمز إلى المؤلف ديسقوريدوس بحرف (د)، ولجلينوس بحرف (ج)، ولسليمان بن حسان بن جلجل بحرف (س)، ولعبدالله بن صالح بحرف (ع)، ثم ألحق بهذا الجزء من التحقيق فهرس عربية لأسماء الأدوية، كتبها على شكل عمودين، جاءت في (35) صفحة، وألحق بها فهرس عامة للأماكن والبلدان، والأمم، والأعلام، وفهرس عن أسماء الكتب التي وردت في متن الكتاب المحقق. ولا يخفى على الباحثين أهمية هذه الفهارس في تيسر عمل الباحث، ويختتم الجزء بصور ولوحات مصورة لبعض صفحات المخطوط الأصلي، يظهر منها مدى الجهد والتعب الذي عاناه المحقق في تحقيق هذا الكتاب⁽⁵¹⁾.

وفي ترجمته للجزء الثاني من المخطوط أو (المقالة الثانية)، الذي يتكوّن من 752 صفحة، وينقسم إلى أحد عشر فصلاً، يفتتحها بتمهيد، يشرح فيه أسماء النباتات وفصائلها المختلفة كما ذكرت في المخطوط الأصلي، ولم يُغيّر المسميات إلى المسميات الحديثة، كما فُعل في أحد المؤتمرات (المؤتمر الدولي الثالث عشر للنبات، الذي عُقد في سيدني عام 1981م). ثم يتحدث عن مكانة ديسقوريدوس عند المسلمين، واعتمادهم الكبير على مؤلفه، وبعد عرض موجز لترجمة اصطفا بن بسيل لكتاب ديسقوريدوس، تناول أهمية الكتاب، والأسباب التي دفعته إلى تحقيقه، وهي:

1. تعذد الرؤية/ الرواية بالنص، فالشرح ثلاثة للمقال كلّ يضيف ما هو مفيد وجيد للباحث.
2. الطريقة العلمية التي استخدمها المؤلف في كتابه، وملاحظاته الدقيقة على النباتات، التي لم تقتصر على المشاهدة ونقل ما هو معروف ومشهور، وإنما اعتمد على التجربة والملاحظة، وتدوين ذلك.
3. المخطوط مؤلف شامل لكل ما تحتويه كتب ديسقوريدوس كاملة.
4. مقدمة المؤلف ترسم صورة واضحة عن ثقافة الصيدلاني المسلم في العصور الوسطى والإسلامية.
5. احتوائها على عدد كبير من المترادفات المعجمية البربرية، والعربية الإسبانية.
6. لأول مرة يُنشر تحقيق للمخطوط بشرح عربي.

ثم تناول المحقق التخصصات المختلفة التي لجأ إليها لمساعدته، وأن هذا العمل كان نتيجة جهد مشترك، ويتضح ذلك بجلاء من قائمة الأسماء الطويلة التي وجه إليهم المحقق الشكر في سطور طويلة، وأتبع ذلك بقائمة للكتب التي استخدمها، وأسماء المؤلفين أو المترجمين، والمخطوطات التي استعان بها في تحقيق المخطوط، وهي خمس عشرة مخطوط، ويتبع التمهيد بمدخل يذكر فيه بعض الملاحظات:

أولاً: ملاحظات على بعض الأسماء والمصطلحات الواردة في المخطوط.

ثانياً: يكتب ملاحظات على شراح المخطوط ومترجميه، وأسلوبهم في ذلك، حيث إن بعض الموضوعات يتحدّثون فيها بإسهاب، وبعضها باختصار، ويذكر سبب ذلك؛ إذ إن عبد الله بن صالح - أحد شارحي المخطوط - كان يفضل القول في الأدوية التي له علم

50 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج1، ص132-134.

51 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج1، ص134.

بها، وجربها بنفسه، أو تحدث أحد الأطباء عن هذا الدواء فينقل ما قيل، ويختصر القول في الأدوية التي لا علم له بها، ولم يجربها. ثم يتحدث عن المقالة الثانية ومحتوياتها، وهي:

- الترجمة العربية للمخطوط، أو كتابة اسم الدواء بالحروف العربية، بدلاً عن اليونانية، نقلاً عن ديسقوريدوس.
- شرح أسماء الأدوية الواردة في المخطوط، وترجمة العناوين من اليونانية إلى العربية، أو ذكر مرادفات أسماء الأدوية، وقام بهذا العمل سليمان بن حسن بن جلجل.
- حاول عبد الله بن صالح ذكر الأدوية، وعرض وجهات النظر المختلفة في هذا الدواء.
- شمل المقال ملحوظات كتبها مؤلف مجهول، وهو تلميذ عبد الله بن صالح، كما تقدّم.

ثالثاً: كتب ملاحظات عن مؤلف المخطوط ديسقوريدوس وشهرته، من حيث إنه أشهر صيدلاني في العصر القديم، وأنه عاصر بلينيوس (Lblos). ويعتقد المحقق ألبرت ديتريش أن ديسقوريدوس عمل طبيباً في الجيش زمن القيصرين كلاريون (Clarion)، ونيرون (Nero)⁽⁵²⁾، ولا توجد معلومات مؤكدة عن ذلك.

ثم يحاول المحقق ترتيب مادة كتاب ديسقوريدوس ترتيباً أبجدياً، أو جمع المواد المتشابهة مع بعضها بعض؛ إذ يتناول ديسقوريدوس في مقالته الأولى شرح علم الأدوية، ويدرس الزيوت والدهون، والبهارات، وأنواع الأشجار.

وفي المقالة الثانية: يتحدث عن الحيوانات، والعسل، واللبن، وأنواع الدهن، والحبوب المختلفة، والخضروات والأعشاب.

وفي المقالتين الثالثة والرابعة: يتحدث عن الأعشاب والجذور.

أما المقالة الخامسة فتناول فيها الأشربة والخمور، والمعادن المختلفة.

ورتب ديسقوريدوس الكتاب حسب مفعول الأدوية.

ويلاحظ ديتريش أن ديسقوريدوس يعتمد اعتماداً جزئياً على ملحوظاته الشخصية، وينقل معلومات كثيرة من سابقه. وترى الباحثة أن هذا خلاف ما ذكره هو عن نفسه في مقدمة كتابه، حيث قال: "وأنا أسألك، وكل من ينظر في هذا الكتاب، أن تفقدوا مقدار قوتنا في الكلام، بل عنايتنا بالأشياء في طول التجارب؛ فلني قد عرفت عامتها بالمشاهدة مع سائر ما يجب أن يُستقى معرفته من حالاتها، وبعضها مما لم نشاهده استقصينا أمره بالأخبار المتفق عليها، واستخبر أهل المواضع التي تكون فيها"⁽⁵³⁾. وينبغي أن نعلم أولاً بجمع كل واحد من الأدوية وخزنها في الأزمنة التي ينبغي"⁽⁵⁴⁾. ويضيف ابن أبي أصيبعة في وصف ديسقوريدوس: "السائح في البلاد، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري، والجزائر، والبحار، المصور لها، المُجرب المُعدّد لمنافعها قبل المسألة عن أفاعيلها، حتى إذا صحت عنده بالتجربة، فوجدها قد خرجت بالمسألة، غير مختلفة عن التجربة؛ أثبت ذلك وصوّره من مثله، وهو رأس كل دواء مفرد، وعنه أخذ جميع من جاء بعده"⁽⁵⁵⁾. ويقول في موضع آخر: إن جميع الأطباء السابقين لـديسقوريدوس أخذوا الطب من آبائهم وأجدادهم، إلا ديسقوريدوس وجالينوس⁽⁵⁶⁾. وهو ما يؤكد ما ذهب إليه الباحثة، من أن مجمل مادة كتاب ديسقوريدوس كانت من بحثه واستنتاجه وتقصيه، وذلك لا ينفي استفادته من علم من سبقه.

كما يقول: إن الأطباء المسلمين حينما يذكرون ديسقوريدوس؛ فإنهم يعنون كتابه الذي ترجمة اصططن وحنين في بغداد. ولا تعتقد الباحثة أن نسخة غير هذه النسخة كانت مشهورة ومتداولة، والدليل أن ابن جلجل نفسه يذكر أن هذه النسخة هي المتداولة حتى في بلاد الأندلس، يقول: "وورد هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة اصططن منه ما عرف له اسماً بالعربية،

52 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج1، ص135-138.

53 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص226.

54 حبي: كتب الحشائش، ص536.

55 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص225.

56 ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج1، ص226.

ومنه ما لم يُعرف له اسماً؛ فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والأندلس⁽⁵⁷⁾. وما ثبت تداول النسخة التي ترجمها اصطفن أن أكثر نسخ المخطوط التي وجدت في مكتبات العالم هي هذه النسخة.

ويذكر المحقق أن هذه النسخة لم تُترجم فيها العناوين التي كُتبت باللغة اليونانية، وقد نقل المترجم المُسمّى بالنطق نفسه إلى اللغة العربية، أو وضع مرادفاً للكلمة. ثم يتبع هذه الملاحظات بترجمة لابن جلجل المتوفى سنة (384هـ/994م)، ويذكر جهوده في تنقيح النسخة الأصلية من المخطوط، بما قدّمه من شروح عليها. ثم يتحدث عن عبد الله بن صالح، الذي يرى المحقق أنه قام بعمل جبار حينما وضع شروحاً للمخطوط، وهو أحد أساتذة ابن البيطار. وأخيراً يختم هذه المقالة بذكر الشخص المجهول، الذي كتب شروحاً مفيدة على المخطوط، وهو تلميذ عبد الله بن صالح، واستطاع المحقق معرفة الكاتب المجهول من خلال كتاباته، وهو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن مفرج بن أبي الخليل عبد الله الأموي الحزمي الظاهري النباني العشّاب، الملقب بابن الرومية، وله كتاب (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس)⁽⁵⁸⁾.

رباعاً: ينقد المصادر والمراجع التي اعتمد عليها مترجمو كتاب ديسقوريدوس، ويذكر أسماء مؤلفيها.

خامساً: يشرح طريقة المؤلف اصطفن بن بسيل في كتابة الكتاب، ويرى أنها طريقة مخالفة لعادة المسلمين في التأليف إبان القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث اعتاد المسلمون في تأليفهم على ذكر مقدمة للكتاب تشمل: سبب التأليف، والهدف منه، والصورة النهائية للكتاب، وكتابة البسملة، ثم الدخول مباشرة في موضوع الكتاب. ويقارن ذلك بالأسلوب المتبع في عصر المؤلف، ثم يشرح طريقة المؤلف في تأليف الكتاب، والتدريس، وعلاقة المؤلف بديسقوريدوس.

سادساً: يضع بعض الملاحظات على كيفية بناء مقال العقاقير، في مقارنة بين ما كتبه ابن جلجل، وشرح عبد الله بن صالح، وما أضافه المؤلف المجهول ابن الرومية.

سابعاً: يُدَوّن ملاحظات عامة على شروح ابن جلجل، وعبد الله بن صالح، وابن الرومية يوضّح فيها الآتي:

أ- الطريقة التي اتبعها عبد الله بن صالح في كتابة الشروح على كتاب ديسقوريدوس.

ب - منهجية عبد الله بن صالح في نقده لكتاب ديسقوريدوس، وترجمة ابن جلجل للكتاب نفسه.

ج - يعرض بعض الملاحظات المهمة التي وردت في المخطوط.

د- يذكر منابت النباتات والأعشاب.

هـ - يذكر أصلاً لبعض المسميات، مع ذكر سبب التسمية.

و- يوضّح الخطأ في ترتيب أوراق المخطوط.

ثامناً: يقدّم ملاحظات لغوية على المخطوط - سواء اللغة العربية، أو اليونانية، أو الإسبانية، أو البربرية - وسواء كان سبب هذه الأخطاء سوء فهم دلالة بعض الكلمة، أو الخطأ في الاشتقاق، أو الخلط بين الأسماء المتشابهة في أصواتها اللغوية، أو ترجمة الرموز بدلاً من ترجمة المعاني، أو الأخطاء التي وقع فيها المترجمون في الترجمة، أو الخطأ في ترجمة كلمات خاصة، وأن هناك خطأين لغويين وقع فيهما عبد الله بن صالح، حيث وضع ترجمتين مختلفتين لكلمتين كُتبتا مرتين بصورتين مختلفتين في المخطوط، وهو يورد ذلك بأمثلة من الترجمة العربية التي حقّقها⁽⁵⁹⁾.

عاشراً: يضع معجماً لكلمات عربية مختارة من النص المُقدّم، ويراجعها على المعاجم العربية.

حادي عشر: يترجم النص العربي المحقّق، ويقع في (627) صفحة، (-80 707).

ثاني عشر: صنّف فهرس مختلفة للمخطوط:

57 ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، المقدمة ص18.

58 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج1، ص 139-139.

59 عبد الرؤوف: جهود المستشرقين، ج1، ص 139-139.

- فهارس لأسماء الأدوية باليونانية.
- فهارس لأسماء الأدوية باللاتينية.
- فهارس لأسماء الأدوية بالألمانية.
- فهارس لأسماء الأدوية بالعربية وأسماء الأدوية المعربة.
- فهارس لأسماء الأدوية بالعربية الأندلسية.
- فهارس لأسماء أدوية بالبربرية.
- فهارس لأسماء الأماكن.
- فهارس الأعلام.
- فهارس لأسماء الكتب الوارد ذكرها.

الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد جولة ممتعة في كتب الطب والأطباء، وجهود المستشرقين في إخراج الكنوز الدفينة من المخطوطات الإسلامية؛ تتوصل الباحثة إلى عدد من النتائج، وهي:
- برع المستشرقون في وضع فهارس للكتب الإسلامية المحققة، حيث أفاد منها الباحثون غاية الإفادة، وسهّلت على طلاب العلمين والباحثين تحصيل الفائدة.
 - ذهب بعض الباحثين إلى أن الاستشراق الألماني يخلو من الأهداف الاستعمارية؛ ولكن لا يوجد استشراق معزل عن الأهداف الاستعمارية حتى إذا كانت قليلة أو غير ظاهرة.
 - تبين بجلاء جهود المستشرقين الألمان في حفظ التراث الإسلامي، والعناية باللغة العربية والأدب العربي؛ مما أسهم في إخراج نفائس الكنوز العربية والإسلامية إلى العالم، والحفاظ على اللغة العربية.
 - امتاز مستشرقو القرن العشرين بغزارة الإنتاج ووفرتة، وهذا ما نلاحظه في مؤلفات ألبرت ديتريش.
 - يعدّ مطلع القرن العشرين الميلادي مرحلة ازدهار الاستشراق الألماني وتنوعه، حيث خرج الاستشراق الألماني من بوتقة اللغة العربية والأدب، إلى الشمول والتنوع بصورة جلية أسهمت في خدمة العلم، فمن علوم اللغة العربية، وتحقيق المخطوطات، إلى جغرافيا البلدان الشرقية وتاريخها، ودور الأديان فيها، مع التركيز على التراث الإسلامي، إضافة إلى إنشاء عدد من الكراسي للغات الشرقية في الجامعات الألمانية.
 - الجهد الجبار الذي بذله المستشرق الألماني ألبرت ديتريش في تحقيق مخطوط (هيولي الطب)، وحرص الغرب على العناية بالكتب ذات الفائدة العظيمة.
 - يعدّ ديسقوريدس من أشهر الصيادلة في العصر اليوناني، واحتل كتابه (هيولي الطب) مكانة مرموقة في العالمين الإسلامي والغربي على حدّ سواء.
 - أسلوب التجربة وكتابة الملاحظات كانت معروفة منذ العصر اليوناني، واستخدمها بعض المؤلفين، وبرع فيها الأطباء المسلمون، بينما ينسبها الغرب إليهم.

قائمة المصادر المراجع

أولاً: المصادر:

- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة: عمار النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.
- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط2، 1405هـ/1985م.
- ابن النديم: الفهرست، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقَدّم له: يوسف علي طويل، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م.

ثانياً: المراجع:

- بدوي: موسوعة المستشرقين.
- حبي، يوسف: كتب الحشائش العربية، بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مج 28، ج 2، 1984م.
- الزبادي: محمد فتح الله: الاستشراق أهدافه ووسائله: دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، مؤسسة المعاصرة ومستقبل الثقافة، سوريا، 1379هـ/2011م.
- سعيدي، مونة، عفاف جعلاّب: جهود المستشرقين الألمان في تحقيق ونشر التراث الإسلامي (الجغرافيا أمودجا)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة محمد بوضياف المسيلة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، -2016 1017م.
- عبد الرؤوف، محمد عوني، وإيمان السعيد جلال: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م.
- العقيلي: المستشرقون، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
- المطوري، محمد سعدون : الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، بحث منشور في مجلة الدراسات الاستشرافية، ع3، 2015م.
- المنجد، صلاح الدين : المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1998م.
- المنجد، صلاح الدين: مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لديسقوريدس بترجمة مهران بن منصور بن مهران، مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، 1385هـ/ 1965م.

ثالثاً: مقالات ومحاضرات:

- فالتر. فايبيكة: نشر التراث العربي ودراسته في ألمانيا، محاضرة أُلقيت في قاعة الإدرسي بكلية الآداب، جامعة بغداد، -1977 1978م.
- عبد العزيز، زينب: الفاتيكان وعصر التنوير، مقال منشور في موقع صيد الفوائد، said.net. تاريخ الدخول 10/2/1444هـ.



المحور الخامس: نماذج تطبيقية لمؤسسات أو أفراد في تحقيق النص الطبي

الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية: إشكالية الكتابة وأساليب البناء المعرفي في العلوم الطبية عند المؤرخ الطبيب أحمد ابن الحاج.

د. أحمد إيشرخان

المختبر: المغرب: التاريخ والعلوم الشرعية واللغات
جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس

تمهيد

سنحاول في هذا الموضوع دراسة إشكالية الكتابة وأساليب البناء في أحد أهم المؤلفات الطبية في القرن التاسع عشر، ويتعلق الأمر بكتاب «الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية» لمؤلفه أحمد ابن الحاج السلمي، وهو مؤرخ الدولة العلوية في العهدين الحسني والعززي، وقد اشتهر هذا المؤلف بغزارة علمه ومشاركته في مختلف علوم عصره، حيث ألف في التاريخ كتابه الشهير «الدر المنتخب المستحسن» في إحدى عشر مجلدا، كما ألف في الأدب والنحو واللغة والشعر، ولقد كانت رغبة المؤلف واضحة بعد مشاركته العلمية في مختلف العلوم، بإنهاء ما تبقى من حياته في قراءة الطب، والعكوف على مؤلفاته، والتأليف فيه، فحقق جزء من طموحه بإنجاز مجموعة من المؤلفات الطبية، نذكرها كما يلي:

أ) الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية. وهو مخطوط في خمس مجلدات¹،

ب) كتاب صغير في الطب، في خزنة خاصة بالرباط،

ج) جزء في علاج الصبيان، لم نقف عليه، ذكره الكانوني والقيطوني، ويظهر أن المؤلف قد أدمجه في موسوعته الدرر الطبية²، حيث أفرد صفحات لعلاج أمراض الصبيان.

التعريف بالمؤلف:

يعتبر أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي من أشهر العلماء في القرن التاسع عشر، ولد في 16 شعبان 1235هـ/ 29 ماي 1820م بمدينة فاس، أي سنتان قبل وفاة السلطان مولاي سليمان، وهو يشكل نموذجا للعالم المشارك في مختلف العلوم، وممن لهم اليد الطولى في الفروع والأصول، مارس التدريس في فاس ومدرسة زهية بقبيلة احمر، حيث أخذ عنه أمراء من الأسرة السلطانية، وضمنهم السلطان مولاي الحسن الذي أجازه ابن الحاج إجازة عامة في علوم الرواية والدراية، ولقد شارك هذا العالم الكبير في أحداث عصره، كما ألف مؤلفات في علوم مختلفة، مثل: التاريخ والطب والتصوف والأدب والنحو، فهو

1 حققت منها ثلاث أجزاء ونحن بصدد تحقيق الجزأين المتبقين، وسينشر الكتاب كاملا بحول الله في السنة المقبلة.

2 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج.1، ص.29.

3 محمد الطالب ابن الحاج، رياض الورد، الجزء الأول، ص.79.

مؤلف مكثر، حيث بلغ مجموع عناوين كتبه سبعة عشرة عنواناً، بعضها في عدة مجلدات.

عاصر ابن الحاج مجموعة من سلاطين الدولة العلوية الشريفة، وكان من المقربين لدى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وخليفته السلطان سيدي محمد، وقد أصبح مؤرخاً رسمياً للدولة العلوية في عهد السلطان مولاي الحسن، وفي عصر خليفته السلطان مولاي عبد العزيز، ومن أشهر مؤلفاته نذكر: «الدر المنتخب المستحسن»، وهو أجمع تأليف في تاريخ الدولة العلوية، و«الدر الإبريزية في المناقب العزيزية» و«الدر الطبية المهداة للحضرة الحسنية»، وحاشيته الشهيرة على المكودي في النحو، وشرح أدبي رفيع لظهر حسني صادر برسمه، وغيرها من المؤلفات التي تدل على طول نفسه في الكتابة والتدوين، وتشير إلى ارتباطه الوثيق بالنخبة العلمية ذات الصلة بالحضرة السلطانية، وله مجموعة من الفتاوى في مجموعة من القضايا والنوازل الفقهية.

توفي أحمد ابن الحاج عام 1316هـ / 1899م، ودفن بالزاوية الوزانية بحي الشورش من عدوة فاس القرويين⁴.

تاريخ تأليف الكتاب

يبدو من خلال رسالة السلطان مولاي الحسن أن ابن الحاج شرع في تأليف كتابه «الدر الطبية» في مطلع القرن الرابع عشر الهجري الذي يوافق مطلع الثمانين من القرن التاسع عشر الميلادي، حسب ما يستفاد من الرسالة السلطانية التي أذن له فيها مولاي الحسن بالشروع في التأليف في الطب التي ختمت فقراتها بتاريخ 16 ربيع الثاني عام 1301هـ / 14 فبراير 1884م⁵.

وإن تاريخ هذه الرسالة يدلنا على انتقال ابن الحاج من التأليف في التاريخ إلى التأليف في العلوم الطبية بعد أن تجاوز الستين من عمره، معتبراً أن هذه المرحلة من العمر تستوجب العناية بهذا العلم رغم: «أن تعاطي العلم إنما يتم في عنفوان الشباب، لا بعد المشيب وذهاب الأثر»⁶.

أسباب تأليف الكتاب

ألف ابن الحاج مجموع مؤلفاته الطبية في أواخر حياته، باعتبار أن علم الأديان يقوم على صحة الأبدان، وقد علل ذلك بكبر سنه واحتياجه لهذا العلم، ومن المحفزات التي شجعت على كتابة مؤلفه هذا هو مطالعته للكتب الطبية، ومصاحبه لبعض الأطباء خصوصاً وأنه أصبح يتعرض للمرض بسبب تقدمه في السن، وقد تبث في سيرته أنه كان مصاباً ببدء الارتعاش المزمن باركينسون، وفي ذلك يقول: «وطالعت أنفُس كتب الأطباء والحكماء، الحادّين والقديماء، وصحبت بعض الأشراف الملامين لعلم الطب ومطالعة كتبه في سائر الأوقات، والخوض في المعالجات في سائر الحالات»⁷، ومعنى ذلك أنه لم يكتف بالتأليف في فن الطب بل مارس العلاج بنفسه على نفسه، وعلى غيره من المرضى الذين كانوا يقصدونه من أجل العلاج، فجمع بين العلم والممارسة، كما يتضمن كتابه مجموعة هائلة من النصائح في حفظ الصحة.

وتتضمن الرسالة السلطانية الحسنية جواباً على خطاب ابن الحاج أن هناك العديد من الأسباب التي دفعت المؤلف إلى تأليف كتاب «الدر الطبية»، ويمكن أن نختصرها في العوامل التالية:

- العامل الأول: الولع بمطالعة نفائس الكتب الطبية.
- العامل الثاني: الرغبة في تحرير قضاياها السلبية والإيجابية.
- العامل الثالث: لباعث احتياج الصحة للتدبير.

4 ابن الخطيب، الفهرسة، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 1182، ص. 23. إدريس الفضيلى، الدر البهية والجواهر النبوية، ج. 2، ص. 309.

5 ابن الحاج، الدر الطبية المهداة للحضرة الحسنية، مخطوط الخزانة العامة رقم 641، ج. 1، صص. 17-19.

6 ابن الحاج، الدر الطبية، مخ. ج. 1، ص. 7.

7 ابن الحاج، الدر الطبية، مخ. ج. 1، ص. 7.

- العامل الرابع: تشوف المؤرخ ابن الحاج لاقْتفاء أثر الحكماء في فعلهم.
- العامل الخامس: الاشتغال بتأليف يكون جامعاً لما لديهم.
- العامل السادس: الكشف عن رموزهم وترجمت إشاراتهم بالألفاظ العربية.⁸

وبناء على هذه المعطيات التمس ابن الحاج من السلطان مولاي الحسن الإذن له بالتأليف في علم الطب بعد انتهائه مباشرة من كتابة «الدر المنتخب المستحسن»، ومما جاء في جواب السلطان مولاي الحسن: «... وبعد؛ وصل كتابك بأنك لما أولعت بمطالعة نفائس الكتب الطبية، وتحرير قضاياها الإيجابية والسلبية، لباعث احتياج ضعف الصحة للتدبير... تشوفت نفسك لاقْتفاء مؤلفيها من الحكماء في فعلهم، واشتغالك بتأليف يكون جامعاً لما لديهم، يكشف عن رموزهم الأستار، ويترجم عن إشاراتهم بالعربية التي عليها المدار، وطلبت الإذن من جانبنا العالي بالله فيه، وتنفيذ المرتب للطلابيين المعدين لأجله، أما توقفك على الإذن فقد أذنّاك فلتفعل على بركة الله»⁹.

الأسباب الذاتية والموضوعية لتأليف الكتاب

يظهر من خلال المقدمة التي استهل بها الجزء الأول من الكتاب أن المؤلف كان متردداً في الإقدام على الكتابة في هذا العلم الذي اعتبره من أجل العلوم وأصعبها، بل إننا نستشف من خلال كلامه أنه كان ضمن فئة الفقهاء الذين لا يرون طائلاً من العلاج باعتبار المرض من الابتلاءات التي هي قدر مقدر بأقدار إلهية تستوجب الصبر والاحتساب، لكن غير رأيه لأسباب اعتبرها ذاتية وموضوعية وتتجلى في تقدم المؤلف في السن، وإقباله على مطالعة الكتب الطبية، وصحبته لأحد الأطباء، ونسوق هنا نماذج من العلل التي احتج بها من أجل خوض مغامرة الكتابة في العلوم الطبية:

أولاً: إقبال المشيب وضعف الصحة كما وضع ذلك في قوله: «لكن لما أقبل الهرم بجيوشه وألم، وحط الرحال بالبالب وخير بين الحرب والسلم، لعلمه أن القوة ضعفت ولم يبق إلا الانحلال، اخترت الصلح لعل القوة تبقى دون إعلال، إلى بلوغ الأجل، وانقضاء الأمل، وحطت رحلي في فناء علم الطب وبوادي، وعملت الفكرة في مبانیه، وفي ألفاظه ومعانيه، وجلوت المخدرات، على أشرف المنصّت»¹⁰.

ثانياً: مطالعة بعض كتب الأطباء والحكماء القديمة والحديثة حيث أكد ذلك بقوله: «وطالعت أنفُس كتب الأطباء والحكماء، الحادثين والقدماء، وعلمت بعض المفردات والمركبات»¹¹.

ثالثاً: صعبة الأشراف الملازمين لعلم الطب ويتضح ذلك من قوله: «وصحبت بعض الأشراف الملازمين لعلم الطب ومطالعة كتبه في سائر الأوقات، والخوض في المعالجات في سائر الحالات»¹². ولعل في ذلك إشارة إلى الشريف الطبيب عبد السلام العلمي، وهو أحد رجال البعثات العلمية الذين كانت لهم علاقة بالمؤرخ العلامة ابن الحاج.

رابعاً: تعلق نفس المؤلف بالتأليف في الطب على النسق المغربي حيث وضع ذلك بقوله: «تعلقت نفسي أن ألف في الطب تأليفاً على نسق التأليف المغربية، المرفوعة التاج والألوية، مقتصراً على الألفاظ العربية، وإن كان غيرها لابد من ذكره ليعلم ما هو في نحو اليونانية، وأعرابه على نحو ما اقتضته الصناعة الطبية، مرتباً له أنفع ما تقتضيه الصناعة في الترتيب، الذي يغطيه ذو القلب السليم من البلدي والغريب، من غير إطناب، ولا إخلال بالأرب، مشمراً ساعد الجد والاجتهاد، فيما ينفع العباد، والفوز بالأجر يوم التناد، فضلاً من الله، الذي يبلغ كل أحد مناه»¹³.

8 ابن الحاج، الدرر الطبية المهداة، ج. 1، ص. 7-9.

9 ابن الحاج، الدرر الجوهريّة في مدح الخلافة الحسنية، مخطوط الخزنة الحسنية رقم 512، ج. 2، ص. 92.

10 ابن الحاج، الدرر الطبية، مخ. خ. س. ج. 1، ص. 7.

11 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج. مخ. خ. س. ج. 1، ص. 7.

12 نفس المصدر والصفحة.

13 ابن الحاج، الدرر الطبية، مخ. خ. س. ج. 1، ص. 7.

خامسا: الاقتداء ببعض من سبقه في مجال التأليف في علم الطب، حيث يقول: «وزاد شغفي بتأليف ما ذكر، في الفن الذي قرر وسط، أن الشيخ داود الأنطاكي ألف «البهجة في تشديد الأذهان وتعديل الأمزجة»، لبعض أمراء وقته، وبعض خاصته، والعلامة سيدي محمد بن علي اللخمي ألف لبعض الأمراء تأليفا سماه: «مفتاح النجاح في حفظ الأجسام والأرواح»، والعلامة ابن رشد الحفيد فإنه شرح منظومة الحكيم ابن سينا، في الطب بإذن من بعض الأمراء، وكالإمام أبي بكر الرازي ألف كتابا في الطب للسلطان أبي منصور صالح بن ساعان، جمع فيه بين العلم والعمل، وأبلغ فيه القاصد ما أمل، وأحببت أن أتبعهم في هذا العلم، وأحببت أن أتبعهم في هذا المرام، وأقتفي أثر هؤلاء الأئمة الأعلام، وقد كنت مشغلا بالتاريخ السعيد، الحائز الفضل من الرب المجيد»¹⁴.

التأليف تم بإذن السلطان وتوجيه منه

كان من عادات المؤلفين المغاربة أن يؤلفوا مجموع كتبهم يطلب من بعض الوجهاء والشرفاء والسلطين وأولي الأمر، وهو ما يعتبر تأليفا تحت الطلب، كما نستشف من مؤلفات ابن الحاج التي ألفها في علوم مختلفة، مثل: النحو والأدب والتاريخ، لكن هنا كان التأليف برغبة من المؤلف، وقد توقف الشروع في تأليف هذه الموسوعة على إذن أمير المؤمنين السلطان مولاي الحسن، كما هو واضح في قول ابن الحاج: «وتوقف الشروع فيما رغبت فيه، وما قصدت من مبانیه، على إذن قطب العلوم وسماها، وبدر الفهوم وشمس ضحاها... أمير المؤمنين مولانا الحسن ... فشاورته أيده الله وأجاب على المطلوب بظهير شريف، عالي القدر منيف»¹⁵.

مضامين عامة وأخرى مفصلة في كتاب الدرر الطبية

خصص المؤلف الجزء الأول من كتابه للحديث عن دواعي التأليف وقضايا الطب، ثم تاريخ الطب والصيدلة، وأعلام الحكماء ومصنفاتهم، ثم تحدث عن الأغذية، وأما الجزء الثاني فيضم الباب الثاني للضروريات الست في الطب. في حين خصص الجزء الثالث للأمراض وعلاجها ووصف الأدوية، وذكر الأمراض¹⁶. وأما الجزء الرابع فهو داخل ضمن ما سماه ابن الحاج بالكتاب الثالث، وهو في ذكر بعض الأسماء والمفردات الطبية وما للأطباء فيها من الأقوال وعن الطبيعيات.

وإذا كانت الأجزاء الأثفة الذكر ألفت برغبة من المؤلف، وانتهى منها في شهر صفر 1309 هـ/ شتنبر 1891 م، فإن هذا الجزء الذي هو أهم الأجزاء قد جاء تصنيفه تلبية لطلب السلطان الذي شافه المؤلف في شأنه، وقد أكد ابن الحاج ذلك بقوله:

« كنت دفعت للحضرة العالية الجزء الأول، ويصل لمولانا الآن الجزء الثاني والثالث منه، والجزء المقصود بالذات الذي شافهني مولانا به، فأنا مشغول به وعمّا قريب إن شاء الله يصل لمولانا»¹⁷. وقد ختم موسوعته الطبية هذه بالحديث عن الأمراض وعلاجها.

منهج المؤلف في بناء موسوعته الطبية

وضع المؤلف في الجزء الأول من الكتاب تصورا منهجيا في بناء موسوعته الطبية، رغم أنه لم يلتزم بهذا التصور، كعادته في مجمل كتبه التي ألفها بسبب تدخل السلطان مولاي الحسن الذي كان يميل عليه مشافهة ويستعجله للدخول إلى صلب الموضوع والابتعاد عن الاستطرادات وذكر ما هو مفيد، ومعلوم أن جل المؤلفين في هذه الفترة يغلب عليهم منهج الاستطرادات

14 ابن الحاج، الدرر الطبية، مخ. خ.س. ج. 1، ص. 10.

15 ابن الحاج، الدرر الطبية، مخ. خ.س. ج. 1، ص. 14.

16 وقد صنفه محمد العربي الخطابي وقال إنه الخامس، والصحيح أنه الثالث اعتمادا على تصنيف المؤلف، محمد العربي الخطابي، فهارس الخزائن الملكية، الرباط، 1982، ص. 99.

17 ابن الحاج، الدرر الجوهريّة، ج. 2، ص. 473.

في الكتابة، فيخرجون عن الموضوع في أدنى مناسبة، وسنعتطي لمحة عن التصور المنهجي الذي سطره المؤلف في الصفحات الأولى من كتاب «الدرر الطبية»، فبعد المقدمة التي ذكر فيها مصادره التي يبدو جلها من العصر الوسيط، يذكر ترتيب الكتاب في أقسام وأبواب جاءت على الشكل التالي:

- الكتاب الأول: في تقسيم الطب ويتضمن ثلاثة أبواب
 - الباب الأول: في الطبيعيات السبع.
 - الباب الثاني: في الضروريات الست.
 - الباب الثالث: في المفردات.
- الكتاب الثاني: في الأمراض وعلاجها.
- الكتاب الثالث: في بعض الأسماء وما لهم فيها لكونها علاجاً ظاهراً وباطناً.

وفي فهرسة المقدمة والباب الأول فصل مضامينها على الشكل التالي:

- المقدمة في المبادئ العشر، وهي: الحد، الموضوع، الواضح، الاسم، الاستمداد، حكم الشارع، تصور المسائل، الفضيلة، النسبة، الفائدة.
- الكتاب الأول: في تقسيم الطب، وفيه ثلاثة أبواب:
 - الباب الأول: في الطبيعيات السبع.
 - أول الطبيعيات السبع الأركان الأربعة: النار والهواء والماء والتراب.
 - ثاني الطبيعيات السبع المزاج، وفيه فصول ثمانية:
 - الفصل الأول: في أصل الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والمولدات الثلاث: المعدن والنبات والحيوان.
 - الفصل الثاني: في ترتيب المولدات وأشرفها.
 - الفصل الثالث: في قوى المزاج التسع.
 - الفصل الرابع: في الأربعة أشياء التي تكون فيها الحرارة والبرودة واليبوسة.
 - الفصل الخامس: في أول ما تدخله الحرارة وأخواتها الأربعة السابقة.
 - الفصل السادس: في ثاني ما تدخله الحرارة وأخواتها الزمان الذي هو الفصول الأربعة، فصل الربيع، فصل الصيف، فصل الخريف، فصل الشتاء.
 - الفصل السابع: في ثالث ما تدخله الحرارة وأخواتها، وهو النامي الذي هو ضروب المعادن وأنواعها، وأنواع النبات وأجناس الحيوان، الذي أشرفه الإنسان ومسافاته المقررة الأربعة.
 - المسافة الأولى: للإنسان الطفولية وفيها أحد عشرة أمراً.
 - الأمر الأول: أصل تكوين الإنسان.
 - الأمر الثاني: أسباب الحمل.
 - الأمر الثالث: أسباب التكوين بمادة القدرة.
 - الأمر الرابع: أسباب منع الحمل وما فيه من العزل.
 - الأمر الخامس: الوحام وسببه وما يزيله ووقته، وما يثبت به الجنين وما يسقط به.
 - الأمر السادس: ما يسهل الولادة.
 - الأمر السابع: ما يعين على إخراج المشيمة وهي المسماة عند العامة بالخلاص.
 - الأمر الثامن: ما يفعل بالطفل بعد وضعه.
 - الأمر التاسع: في المرضع وشروطها.
 - الأمر العاشر: وقت الفطام وفضل الفط.
 - الأمر الحادي عشر: في وقت دفعه للمكتب وتأديبه وما ينبغي له إلى بلوغه.
 - المسافة الثانية: سن الشبابية.
 - المسافة الثالثة: سن الكهولة.

- المسافة الرابعة: سن الشيخوخة.
- الفصل الثامن: في رابع ما تدخله الحرارة وأخواتها، المكان وهو الأقاليم السبعة، الذي يسمى الكلام فيها بالجغرافيا.
- ذكر المسان إجمالاً: حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة.
- الزمان مع المكان أقسام ثلاثة:
- القسم الأول: أن يكون نهارة فقط.
- القسم الثاني: أن يكون ليلاً فقط.
- القسم الثالث: ما فيه الليل والنهار.
- الأقاليم:
- الأولى من الجنوب.
- الإقليم الثاني الموالي للأول.
- الإقليم الثالث الموالي الثاني
- الإقليم الرابع الوسط أعدل الأقاليم.
- الإقليم الخامس المتصل بالربع.
- الإقليم السادس المتصل بالخامس.
- الإقليم السابع وهو الأول شمالاً.
- تقسيم بعض المحدثين الأرض إلى خمسة أقسام
- أوروبا وآسيا وأفريقية وأمريكية وبلاد جزيرة البحر.
- الأول: أوروبا وحده وبعض ما اشتمل عليه.
- الثاني: آسيا وحدوده وبعض ما اشتمل عليه.
- الثالث: أفريقية وحدوده وبعض ما اشتمل عليه.
- الرابع: أمريكية وحده وبعض ما اشتمل عليه.
- الخامس: بلاد جزائر البحر المحيط وحده وبعض ما اشتمل عليه.
- ثالث الطبيعيات السبع والأخلاق الأربعة.
- الدم والبلغم والصفراء والسوداء.
- الخلط الأول الدم.
- الدم الطبيعي.
- الدم الغير الطبيعي.
- سبب غلبة الدم وبعض علله.
- علامات هيجان الدم.
- بعض علاج العلل الدموية.
- الخلط الثاني: البلغم.
- البلغم الطبيعي.
- البلغم غير الطبيعي وفيه أصناف.
- الصنف الثاني: الحامض.
- الصنف الثالث: الزجاجي.
- الصنف الرابع: المسبخ.
- الصنف الخامس: العفسي.
- الصنف السادس: الجصي.
- الصنف السابع: المائي.
- سبب العلل الناشئة عن غلبة البلغم.

- بعض العلل الحادثة بالبلغم.
- علاج الأمراض البلغمية.
- الخلط الثالث الصفراء.
- الصفراء الطبيعية
- الصفراء غير الطبيعية وبعض أصنافها، الذي منها نوع يقال له المحي.
- الصنف الثاني المرة الصفراء.
- الصنف الثالث والرابع الكزائي والزنجاري.
- الصنف الخامس الصفراء المحرقة.
- الصنف السادس الدخاني.
- سبب هيجان الصفراء.
- علامات الصفراء وهيجانها.
- بعض العلل التي تحدث من هيجان الصفراء.
- علاج العلل الصفراوية.
- الخلط الرابع السوداء.
- السوداء الطبيعية.
- السوداء غير الطبيعية.
- أسماء السوداء غير الطبيعية إلا أنها لم يجعلوا لكل صنف اسما خاصا.
- سبب غلبة السوداء وعلامات هيجانها.
- بعض العلل السوداء.
- علاج العلل السوداء.
- رابع الطبيعيات السبع: الأعضاء.
- تعريف الأعضاء في عرف الأطباء، وذكر الهضوم وحال الطعام من دخوله في الفم إلى أن صار إلى ما صار إليه مما سيذكر.
- تقسيم الأعضاء: أولا إلى خادم ومخدوم.
- تقسيم الأعضاء ثانيا إلى كونها قابلة ومعطية وجودا وعدما.
- تقسيم الأعضاء ثالثا بالنسبة إلى كونها رئيسة ومرؤوسة.
- تقسيم الأعضاء رابعا إلى بسيط ومركب.

بعض الأعضاء البسيطة: العظم، الغضروف، العصب، الوتر، الرباط، العروق الشريان، العروق الأوردة، الغشاء، اللحم، الشحم، الشعر، الظفر، بعض الأعضاء المركبة، القلب بعض ما يقويه، الدماغ وبعض ما يقويه، الكبد وبعض ما يقويه، الأنثيان وبعض ما يقويها، العينان وبعض ما يقويهما، الأذنان وبعض ما يقويهما، اللسان وبعض ما يقويه، الأنف، آلة اللمس واللمس، المعدة وبعض ما يحفظها، الأمعاء وبعض ما يحفظها، المثانة وبعض ما يحفظها، المرارة وبعض ما يحفظها، الكلا وبعض ما يحفظها، الطحال وبعض ما يحفظه، القضيب، الرحم.

- خامس الطبيعيات السبع: الروح.
- سادس الطبيعيات السبع: القوى.
- القوى الطبيعية.
- القوى الحيوانية.
- القوى النفسانية.
- سابع الطبيعيات السبع: الأمصال.

بعد التأمل في أقسام وأبواب وفصول الكتاب التي نقلناها هنا، رغم طول محتوياتها، يمكن أن نجمل مضمون هذه الموسوعة الطبية في كونها تحاول التعريف بأثر الطبيعة في الإنسان، كما تعرف أنواع الأمراض وأشكال العلل، وما ينفع فيها من الأدوية إلى

جانب الوقاية واتخاذ الاحتياطات بالبحث عما يقوي الأعضاء وما يحفظها.

ثالثا: أساليب الكتابة وإشكالية البناء في كتاب الدرر الطبية

ينعكس التكوين الذي تلقاه ابن الحاج عن شيوخ العلم في القرويين على مجموع مؤلفاته، ويظهر فيها مشاركته في مختلف العلوم، فهو فقيه في المرتبة الأولى، ومحدث في المرتبة الثانية، وأديب وشاعر في المرتبة الثالثة، ومؤرخ في المرتبة الرابعة، وطبيب في المرتبة الخامسة، وإذا كان المؤرخ الفرنسي الشهير ليفي بروفنسال يعتقد أن علماء القرويين في مجملهم يعتمدون التقليد في مؤلفاتهم، بل وفي سيرتهم ولباسهم ومأكلهم فلا نراهم يُعلمون إلا ما تعلموا من علوم العصور الوسطى، كما عبر عن ذلك عند ترجمته للعلامة ابن الحاج في كتابه «مؤرخو الشرفا»، فإن كتاب «الدرر الطبية» يبدو لي خارجا عن هذا الحكم بسبب ما أبداه المؤلف من اجتهاد في جمع وتصنيف هذا الكتاب الموسوعي في علوم الطب في القرن التاسع عشر، ويبدو لي أنه تفوق على سائر من تعاطى هذا الفن من أطباء جيله، من أمثال: الرسومي، ومحمد بن إبراهيم الروداني صاحب كتاب "كنز المحتاج في علم الطب والعلاج"،

ونكاد نجزم بتفوقه على من سبقه من المؤلفين في الطب من مثل: محمد بن قاسم بن زاكور، وأدراك، وابن عزرون الذين ديلوا أرجوزة ابن سينا، وعبد الله بن عبد العزيز القرشي المراكشي المعروف بسيدى بلة صاحب كتاب «ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب» والطبيب أحمد بن صالح بن إبراهيم الدرعي مؤلف ديوان «شفاء المريض في بساط القريض» وهما معا من رجال القرن الثامن عشر، وغيرهم.

ولا عبرة بما كتبه مجموعة ممن انتقدوا أسلوب ابن الحاج في هذه الموسوعة الطبية، من مثل ما كتبه أحد الباحثين المغاربة، في إصدار أحكام سلبية على مجموع المؤلفات الطبية المغربية في القرن التاسع عشر لكونها لا تحتوي على أي مضمون من مضامين التجديد باعتقاد المخترعات العصرية في العلوم الطبية التي انتشر استعمالها في أوروبا ما بعد الثورة الصناعية.¹⁸

فقد أدلى ابن الحاج بدلوه في حقل معرفي قلما كان المتفقهون المغاربة في عصره يجروؤن على اقتحامه، ويبدو لي أنه قد وفّق في فرز وترتيب الأدوية المستعملة في وقته، والتي ورد ذكرها ووصفها في المصنفات الطبية العربية التي أمكنه تصفحها، وهو الأمر الذي أشار إليه الدكتور رينو Raynaud حيث قال: «... فابن الحاج يعطينا للمرة الأولى في تاريخ المغرب تقسيما فنيا للأدوية».¹⁹

والظاهر أن ابن الحاج لم يكتف بتصنيف الأدوية وترجمة بعضها باللسان المغربي، بل باشر العلاج بنفسه وبصحبة أحد الأطباء القاطنين بفاس وهو ما سبق الإشارة إليه، كما حاول المؤلف أيضا أن يجمع بين العلم والعمل كما نستشف ذلك من قوله: «جامعا إن شاء الله في هذا التأليف علم الطب والعمل، إذ لا تستقيم معرفة الطب وإدراكه إلا بهما، كما أجمع عليه الأطباء والحكماء الأول، والسابق في الإسلام ممن عليه في هذا الفن المعول، ومن رام العمل دون علم فقد أخطأ الطريق، ورام السفر في الفيافي المخوفة دون استعداد ولا خير ولا رفيق، إذ العلم في الطب أصيل عريق، وبإدراكه يعلم الإنسان ما هو يصده، ويهتدي إلى علم الطب وكيفية وترتيب جنده، والعمل بلا علم كبدن بلا رأس، ورد أمس، على أني لست من أهل هذا الميدان، ولا لي فيه يد ولا يدان، مع قصور الباع، وعدم الاطلاع».²⁰

رابعا: مصادر المؤلف

- 18 أحمد الحماري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا، منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هيرندن، فريجنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطباعة مؤسس أنترناسيونال جرافيكس، 1417هـ/ 1997م، ص. 169.
- 19 ذكر ذلك عبد العزيز بنعبد الله، نقلا عن خطاب للدكتور راينو، لم تتمكن من الوقوف عليه. أنظر: الطب والأطباء بالمغرب، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1380-1960. ص. 85.
- Dr L. Raynaud. Étude sur l'hygiène et la médecine au Maroc, Alger, 1902, p.120.
- 20 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج.1، ص.8.

هل اعتمد ابن الحاج على مصادر مغربية؟ أم اعتمد فقط على ما هو متداول ومعروف من المؤلفات المشرقية في العلوم الطبية؟ سؤال وجيه يدلنا على مدى القيمة المصدرية لما كتبه ابن الحاج في الأجزاء الخمسة من كتابه «الدرر الطبية».

نستنتج من خلال قراءة الكتاب بأجزائه الخمسة أن المؤرخ الطبيب العلامة أحمد ابن الحاج حاول تنويع مادته المصدرية من خلال اعتماده على مجموعة من المصادر الطبية المشرقية، كما اعتمد على كثير من المصادر المغربية الطبية، وغير الطبية المرتبطة بالزمان وبالمكان مثل كتب التاريخ والجغرافية، بالإضافة إلى المشاهدة والعيان والتجربة وما تختزنه منظومته المرجعية من علوم لغوية وفقهية وتاريخية، وسنقتصر على الإشارة إلى نماذج من المصادر المغربية، مثل: مؤلفات سليمان الحوات، ومؤلفات جده حمدون ابن الحاج، ومنظومة التلمساني، وابن زكري، وابن زاكور، وابن عزوز، وعبد الرحمن بن محمد الفاسي صاحب تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة، وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره هنا، ويمكن للقارئ أن يطلع عليه في لائحة الفهارس التي سننشرها ضمن فهارس مجموع الكتاب المحقق من «الدرر الطبية»، كما يجب التذكير بأن المؤلف لا يفصح عن مصدره في بعض النقول، ويكتفي بقوله: «ولبعض الأطباء»، و«قال بعض أهل هذا العلم».

خامسا: نماذج من أسلوب الكتابة

يجسد أسلوب ابن الحاج في موسوعته جوانب من النبوغ المغربي في المؤلفات الطبية في القرن التاسع عشر، وذلك باعتماد مختلف الأساليب البرهانية والحجاجية والمقاصدية والفقهية والأدبية، فقد تجسدت عنده بحق أساليب الكتابة الموضوعية العلمية التي يشرع بها العلوم الطبية من أجل تقريبها إلى الأذهان، وذلك باعتماد المصطلحات العلمية المرتبطة بالبراهين العقلية والحجج الشرعية، ومحاولا اختيار العبارات والألفاظ لعرض الأفكار التي تؤدي إلى الإقناع، من خلال نقل تجربته في ممارسة هذا علم الطب «الذي هو من أجل العلوم» حسب تعبيره، فاستطاع بذلك أن يؤلف هذه الموسوعة الطبية في غاية التناسق في الأفكار والمحاور والفصول والأبواب بعبارات لغوية رصينة تعتمد أسلوبا أدبيا رفيعا، بكلمات منتقاة من معجمه اللغوي المستوفي لكل شروط قواعد النحو واللغة.

وسنعطي أمثلة من هذه الأساليب:

- الأسلوب الفقهي،
- الأسلوب الأدبي،
- الأسلوب الحجاجي،
- لأسلوب المقاصدي.

أ: الأسلوب الفقهي:

ربط العلامة ابن الحاج العلوم الطبية بالعلوم الشرعية من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقرر أن التداول من العلل واجب شرعا لأنه: «علم الأبدان» الذي هو طريق للتوصل لعلم الأديان: «إذ علم الأديان لا يقوم إلا على علم بصحة الأبدان»²¹، وبذلك فإن هذا العلم أرفع العلوم قدرا²². ويبدو أن العلامة ابن الحاج استعمل أسلوب أدب الردود في الرد على من أنكر أهمية علم الطب وعلى من امتنع من تناول الدواء.

حكم من أنكر علم الطب اعتبارا بحال الصحة والشباب

كان المؤرخ ابن الحاج ضمن فئة واسعة ممن ينكرون علم الطب وأهميته بالنسبة للحفاظ الصحة وتجنب الأمراض المهلكة، وهنا وصف في غاية الأهمية نسوقه لنفهم أولا تغير موقف المؤلف من علم الطب بعدما أصبح في مرحلة الشيخوخة التي هي مرحلة تهافت الأمراض، ثم يجسد النص الموالي موقف من يقول بحتمية المرض المرتبط بحتمية الأجل المقدر لموت الإنسان،

21 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج.1، ص.4.

22 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج.1، ص.5.

يقول ابن الحاج: «ومن أنكر علم الطب اعتبارا بحال الصحة والشباب، ولم يعتبر المرض ولا الشيخوخة كما اعتبرها أولوا الألباب، ولم يراع لعلم الطب حرمة، ولم يراقب فيه إلا ولا ذمة، فقد التبس عليه الأمر، ولم يفرق بين اليسر والعسر، ... وقد تصيب هذا المنكر أمراض كثيرة، شديدة عسيرة، فإذا قيل له ندعوا لك طبيباً بالغ في الإنكار، وعن هذا الأمر حق الإضرار، ولم يدع الطبيب إلا إذا بلغت الروح التراق، ولم يبق إلا الفراق، ولم يدرك هذا المنكر أن هذا العلم من المواهب الإلهية، والمنح الربانية، أنزله على بعض المرسلين، من خاصة أصفيائه الصديقين، وأنفق الناس فيه نفائس الأعمار، قديماً وحديثاً وفي كل الأعصار، وتنافس الملوك فيه في سائر البلاد والأصهار، وأسسوا قواعد وأخفاها الأقدمون عن الفجار، إلى أن أبداه بعض الحكماء الذين عليهم في هذا الفن المدار، وستعرف ذلك في المقدمة من غير إطناب ولا اختصار، والواجب إعمال الأسباب لرفع الداء، والاتكال على الله في الشفاء»²³.

حكم فاقد الصحة في حكم المفقود ووجوده كلا وجود

من البراهين الفقهية التي استعملها ابن الحاج للدلالة على نعم الصحة هي كون الإنسان المريض لا يستطيع أن يقيم الفرائض ولا السنن كما لا يمكنه القيام بالأعمال الصالحة التي تعود عليه وعلى محيطه بالنفع، وهو ما يؤكد بقوله: «إذ نعم الصحة لا تحصى، وفوائدها لا تعد ولا تستقصى، بها يتصرف الإنسان في جميع شونه، ومفروضه ومسئونه، وبها تتم الأعمال الصالحات، وتدرج العلوم ويطيب العيش في سائر الحالات، وفاقدها في حكم المفقود، ووجوده كلا وجود، لأنه يفوته كثير من أمور الديانات، كالحج والجهاد وما يحتاج إلى قوة من أمور العبادات، ويتنقص عيشه وتسد المسالك، ويتربح في كل حين المهالك»²⁴.

حكم الطب حكم من زرع وصار يطلب السلامة من العاهة

يضع المؤلف في اعتباره ما قد يقوله البعض في حكم اعتماد العلوم الطبية لتجنب الأمراض، فيجيب بقاعدة فقهية تعتمد أدب النوازل، يقول فيها: «فيكون حكم ذلك حكم من زرع البدر، وصار يتضرع إلى الله تعالى في السلامة من العاهات، ويطلب الغيث والقطر»²⁵.

ب. أسلوب التأصيل للعلوم

حاول العلامة ابن الحاج التأصيل لعلم الطب اعتماداً على منهج البحث عن الذين كتبوا أو تكلموا عن العلوم الطبية، ويذكر في هذا الصدد أن علم الطب تكلم فيه ما يزيد على أربع مائة من حكماء الإسلام، وأن هذا العلم كان من العلوم التي يتم إخفاؤها عن العامة، ويختص معرفتها الخاصة من الرؤساء والملوك، ويشير إلى أن أول من تكلم في موضوع التداعي هم بعض الأنبياء، مثل: النبي إدريس وإبراهيم الخليل وسليمان، ومن الحكماء الشيخ الرئيس ابن سينا والإمام الرازي وابن رضوان، وأبو حنيفة وابن حنبل وابن ماجة، وابن سميحون وابن بطال وابن جريج، وابن نوح وأبو مروان وابن ماسة وابن جزلة، وأبو الطيب وابن الجزار، وابن عبدوس والمالقي وابن الرومية وابن أبي صادق، وإبراهيم بن صدقة وأبو طالب وعبد الله بن جبريل، وابن رشد والبخمي والشرازي، والشريف التميمي، وأبو أحمد الزمان، وابن ماسوية، وابن واقد وابن الأشعث، وابن الصوري وابن البطريق، وابن عزيمة، والنجيب والأبلاقي، والمسعودي وابن أحمد والجاحظ، وابن التلميذ وصاحب ما لا يسع، وابن البيطار، وإسحاق ابن حنين وولده حنين، وأرسططاليس وأفلاطون، وأبقراط وجالينوس والإسكندر، وكسرى وهرمز وقيصر، وغيرهم.

وبهذه اللائحة من الأسماء نستنتج أنه ذكر الأنبياء والمحدثين والفلاسفة المسلمين والحكماء اليونان، وبعض ملوك الفرس والرومان، وبعض الأطباء والأدباء من المشرق والأندلس، دون التعرّيج على ذكر من سبقه من الأطباء المغاربة. وقد سبق أن ذكر أنه صرح بعض من يتعاطى فن الطب في عصره واستفاد من تجربته في التداعي.

23 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، ص.6.

24 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، ص.5.

25 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، ص.6.

لكن الأهم عند ابن الحاج وهو مدى الشرعية الدينية التي يجب التأصيل لها لبيان أهمية هذا العلم في الشريعة الإسلامية، لذلك نجده يستدل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد أقر ابن الحاج أنه جعل معتمده في النقل على كتب ابن سينا المشهورة، وجعل الاستدلال في أحكام الطب بمنهزمته التي شرحها ابن رشد، وليس معنى ذلك أنه لم يعتمد مصادر أخرى، ولكنه ينقل من غيرها، مثل: «تذكرة» داود الأنطاكي و«النزهة»، وغيرها من الكتب التي يعتمد عليها في هذا العلم.²⁶

ج. أسلوب مقاصد العلم: وهو في المقدمة في المبادئ العشرة

يعتبر ابن الحاج أن المبادئ العشر المعروفة بمقدمة العلم يجب أن تكون في المقدمة على المقصود من العلم، وذلك ليكون الإنسان على بصيرة فيما قصده من ذلك العلم، مستدلاً بأبيات لأبي العباس أحمد بن زكري التلمساني، التي يشير مضمونها إلى المبادئ العشر للعلم: والتي يمكن إجمالها فيما يلي: أولاً: الحد، ثانياً: الموضوع، ثالثاً: الواضع، رابعاً: الاسم، خامساً: الاستمداد، سادساً: حكم الشارع، سابعاً: تصور المسائل، ثامناً: النسبة، تاسعاً: الفائدة، عاشراً: الفهم.

وحول فائدة معرفة موضوع العلم يقول ابن الحاج: «وفائدة معرفة الموضوع تمييز العلوم بعضها عن بعض، لأن العلوم جنس واحد، وتمييزها وتنوعها بالموضوع، وإلا تداخلت العلوم والتبست الأمور».²⁷

وهنا نستحضر ضمن أساليبه في الاستدلال استعماله للمنظومات الشعرية بالإضافة إلى تكلف الشجع في النثر، فالكتاب كله بأسلوب عربي بليغ، إلا ما نذر في حالة استدلاله بنصوص من المصادر التي اعتمدها.

ويعمد المؤلف إلى أن حد الطب إما يشمل قسمين فقط: حفظ الصحة والبرء من المرض، وزاد بعضهم حد ثالث وهو الحالة بين الصحة والمرض. واعتماداً على ابن سينا يقرر المؤلف أن الطب هو علم بأحوال بدن الإنسان يحفظ به الصحة ويسترد زائلها.

وضمن منهجه في الكتابة في أدب الردود الذي يستعمل فيه الأسئلة المحتملة الوقوع بفصل في الجواب عن الذي يدعون القول بأن علم الطب علم ظني، فيقول: «وما يقال إن الطب أكثره ظني فكيف يقال إنه علم»، فإن الجواب يكون حسب ابن الحاج كما يلي: «يقال إن الحق أكثر يقيني لأن الكليات فيه صادقة بعضها بالعيان، وبعضها بالدليل والبرهان، وبذا قال أبو النصر رحمه الله: الطب صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة وقوانين في الحد».²⁸

د. أسلوب التعريف بالمصطلحات

من أهم أساليب الكتابة التي تميز بها ابن الحاج في منهج تأليف كتابه «الدرر الطبية» هو التعريف بالمصطلحات، فلا يخلو مؤلفه هذا من التعريف بالمصطلحات اللغوية والعلمية والقوانين الطبية، وهكذا نجد كتاب «الدرر الطبية» مبنياً بنسق معرفي يتخذ من تعريف المصطلحات منهجاً في بناء فصوله، وقد اعتمد في ذلك على المعاجم اللغوية، مثل: «لسان العرب»، و«القاموس المحيط» و«المصباح»، إضافة على كتب المفردات الطبية، وكتب الجغرافيا. وسنذكر هنا بعض التعريفات التي فصل فيها ابن الحاج على سبيل المثال لا الحصر:

1. **التعريف بالقوانين الطبية** حيث عرف المؤلف القوانين الطبية بكونها هي الأصول التي يتعرف من خلالها أحوال بدن الإنسان من جهة الصحة والمرض، بل يمكن أن تتجاوز ذلك لتشمل حسن الخلق والكرم والشجاعة والحلم، وبذلك يشمل علم الطب البدن والتصرفات الإنسانية، وكأنه يشير إلى علم السلوك النفسي الإنساني وما يعتريه من اضطرابات نفسانية، ثم يناقش مناقشة علمية حول الأصل في الخلق، هل هو الصحة أم المرض؟ واعتماداً على مجموعة من المؤلفين السابقين في علم الطب مثل:

26 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، صص. 18-19.

27 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، ص. 37.

28 ابن الحاج، الدرر الطبية، ج1، ص. 38.

أبقراط والشيخ ابن سينا، يقرر ابن الحاج أن الأصل في الإنسان هو الصحة وإما المرض عامل طارئ لكثرة التغيرات، وهذا هو الصحيح في نظره، بعد أن فند قول بعض الأطباء الذين قالوا بأن المرض هو الأصل والصحة أمر طارئ. وذهب إلى أن هذا القول باطل.

2. **التعريف بالصحة والمرض:** عرف ابن الحاج الصحة بكونها حالة بها يجري البدن وأفعاله على مجرى الطبيعة بالذات، أما المرض فإنه حالة تجري معها الأفعال على خلاف المجرى الطبيعي، وتنقسم الصحة إلى قسمين: صحة تامة وصحة ناقصة، كما ينقسم المرض إلى قسمين، مفرد ومركب.

فالصحة التامة الكاملة هي صحة سائر الأحوال والأمزجة والتركيب والاتصال والزمان. أما الصحة الناقصة فهي ما حطت عن الأولى ولو في مرتبة كمن يمرض شتاء فقط. أما المرض المفرد فهو ما تحقق فيه أن المرض عن سبب واحد عرض للأعضاء المفردة. وأما المرض المركب فهو الذي يتحقق من أنها كانت أمراض كثيرة ولكن اجتمعت في مرض واحد، ويضرب مثلاً بالورم الذي يحصل من سوء المزاج الهادي وتفرق الاتصال ومرض المقدار.

خاتمة:

يمكن أن نستنتج من خلال قراءة المجلدات التي قمنا بدراستها وتحقيقها من موسوعة «الدرر الطبية» أن العلامة المرخ الطيب أحمد ابن الحاج وفق إلى حد بعيد في إبراز المعلومات والحقائق والأفكار والمعاني الطبية للقارئ المغربي، موظفا خبراته التي راكمها من المطالعة والممارسة والمعاينة والمشاهدة، مما يدل على قدرته المعرفية في هذا المجال بعرض الأفكار والتصورات بتخطيط محكم يتضمن ترجمة المصطلحات الطبية بلغة أهل فاس ولغة أهل مراكش كما وضع ذلك في ثانيا كتابه، بالإضافة إلى ذلك فقد كان حريصا على مراجعة الكتاب المخطوط حيث صحح وعلق ووضع الطر والشروح في هوامش الصفحات.

لكن تبقى هناك مجموعة من الملاحظات التي سنعمق فيها البحث في الدراسة من خلال فهم ما قام به المؤلف حيث ربط كل العلوم بما فيها علم الطب بتحقيق العبادات التي خلق من أجلها الإنسان، فكل أنواع العلوم ترجع إلى العادات والعبادات، ومرجع الثاني للأول حيث يقول: «وجميع العلوم وإن كثرت ترجع إلى العبادات والعادات، لكن الأول مرجعه إلى الاعتقادات، والقيام بوظائف الأحكام الفرعية، وما يوصل إلى ذلك من الآلات، والثاني مرجعه إلى إقامة الأبدان بالأغذية، والمعالجة مما يقتضي دوام صحة البنية، أو مما يقضي زوال ما نشأ من التغيرات الظاهرية والباطنية». معتبرا أن علم العبادات مشيد الأركان مرتفع البنين: «محفوظا في ذهن الأئمة والتأليف وفي الطروس، مقروا في المجالس والدروس».

صفحة من المخطوط الذي اعتمدها في تحقيق كتاب الدرر الطبية



المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي



المخطوطات الطبية والدرس الجامعي بالمغرب. أي موقع؟ وأية حصيلة؟ 26-28 أكتوبر 2022 كلية الطب والصيدلة بفاس

د، محمد مزيان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
ابن طفيل القنيطرة

تقديم

تسعى هذه المداخلة إلى رصد واقع تحقيق المخطوطات وتوظيفها في الدرس الجامعي بالمغرب، من خلال الإجابة على جملة من الإشكالات المرتبطة بعملية تحقيق المخطوط وتدريبه وإعداد طلبة باحثين ومختصين في عملية التحقيق، فما موقع تحقيق ودراسة وتحليل ونقد المخطوط بشكل عام والمخطوطات الطبية بشكل خاص في الدرس الجامعي؟ ورغم تطور مناهج البحث التاريخي وتكنولوجيا المعلومات ورقمنة البحث العلمي إلا أن التنسيق يغيب بين أساتذة الشعب العلوم الإنسانية وأساتذة كلية الطب في هذا المضمار، فما دواعي ذلك؟ وما انعكاسه على حجم النصوص المحققة في الجامعات المغربية؟ لماذا تراجع الاهتمام بالتحقيق في الأطروحات الجامعية؟ بالمقابل ظهور مؤسسات أخرى تهتم بالكتاب المخطوط بشكل عام وتسعى إلى تحقيقه وإبراز أهميته التراثية والمعرفية؟

أسئلة وغيرها كثير يمكن أن نثيرها في هذه المداخلة بغرض الوقوف على موقع تحقيق ودراسة المخطوطات الطبية على وجه التحديد في الجامعات المغربية، إيماناً منا بأن المخطوطات تشكل جزءاً من التراث المادي للأمة ويمثل عقلها الجمعي يجب تمييزه وإيلاء العناية اللازمة فهو جزء من الذاكرة وجب الاهتمام به انسجاماً مع يعيشه العالم اليوم من ضرورة الاهتمام بالتراث المادي واللامادي للأمة وترسيخاً لمفهوم مجتمع المعرفة بالانفتاح على تخصصات وقضايا من شأنها المساهمة في التنمية. من هنا تأتي أهمية هذا المؤتمر للتداول في مسألة موقع ومكانة المخطوط الطبي العربي والإسلامي في الجامعات المغربية والدولية وفتح آفاق تعاون جديدة بين المهتمين بالمخطوط الطبي، فالوقوف على مكان الخلل من شأنه أن يساعد الباحثين والمهتمين على تصحيح المسار. إذ تجدر الإشارة إلى أن عملية تحقيق المخطوطات يمكن أن تقوم به جميع الشعب الجامعية وفق مقاربات منهجية متعددة وهو ما يضيف على العملية بعداً معرفياً وأكاديمياً ومنهجياً.

لتحقيق الغرض من هذه الدراسة سنقف على ثلاث عتبات مرتبطة بتطور الجامعات المغربية وارتفاع عدد شعب التاريخ بها وكذا إحداث شعبة الدراسات الإسلامية وإحداث كليات الطب، فيما تبرز العتبة الثانية على مستوى إصلاح المناهج التربوية وإحداث نظام الوحدات وفق (LMD). أما العتبة الثالثة فهي ما حققته المؤسسات أخرى كدار الحديث الحسنية أو وزارة الثقافة في هذا الباب. لنخلص في الأخير إلى مجموعة من الخلاصات.

أولاً: المخطوط و الدرس الجامعي رصد أولي للمسار

تقتضي مقارنة هذا الموضوع استحضار جملة من الملاحظات من أبرزها:

أن البحث اعتمد على الملاحظة الميدانية وعلى جمع المعطيات من قواعد البيانات الرقمية للمؤسسات الجامعية ولمراكز الدكتوراه المتوفرة على الشبكة العنكبوتية وكذا مواقع مؤسسات وهيآت مهتمة بصيانة المخطوطات وإصداراتها كالمخزنات الحسنة مثل الكشافات التي تصدرها. وللوقوف على مكانة تدريس المخطوطات وعلم التحقيق بالجامعات المغربية تم الوقوف على الملفات الوصفية لشعبي التاريخ والحضارة وشعبة الدراسات الإسلامية ودراسات اللغة العربية ولبعض تكوينات دبلوم الدراسات العليا المعمقة (سابقا) وسلك الماستر المعتمدة.

1. العتبة الأولى:

من الواجب التذكير بأن تقدم البحث العلمي رهين بمدى إسهام الباحثين في تحقيق التراث المخطوط تحقيقا علميا، حتى يتسنى الاستفادة منه وتوقعه بشكل صحيح. ولا ريب كذلك في أن تحقيق النصوص التراثية هي عملية مشروعة، وتمثل إحدى المحطات الأساس في البحث العلمي.

مكانة المخطوطات في مسار الدولة المغربية.

اهتم المغرب ولايزال بالمخطوطات تصنيفا وترتيباً ودراسة وتحقيقاً، وذلك نابع من قناعة المحققين والمهتمين بهذا بالدور الذي تؤديه المخطوطات في الحفاظ على التراث العلمي من جهة، والقيم التاريخية والحضارية والفكرية التي يقدمها المخطوط للأمة، فلا غرو أن يحظ علم المخطوط بهذا الاهتمام من طرف المغرب دولة وعلماء وباحثين.

وتغزنا المصادر التاريخية عن عناية سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب بدءاً من الأدارسة وصولاً إلى العلويين بجلب مخطوطات من مختلف التخصصات للمغرب إذ نقرأ في كتاب المسالك للبكري أن الخليفة "أحمد ابن قاسم الإدريسي" دعا الشاعر والعالم الكبير "بكر ابن حماد التاهرتي" للاستقرار بمدينة فاس وتدريس العلوم "بجامع القرويين" الحديث العهد، وهو ما يفهم منه أن هذه الحركة العلمية إلا أنها تمخضت عن رصيد من المخطوطات دخل المغرب رفقة هؤلاء العلماء الأفذاذ واستقر بمكتبات عامة وخاصة .

ويقول كتاب المعجب عن (المراكشي ص 349) عملية التبادل الثقافي بين الأندلس ومراكش خلال عهدي المرابطين والموحدين: "وكان ممن صحبه (يوسف) من العلماء المتفنين أبو بكر محمد ابن طفيل أحد فلاسفة المسلمين، ولم يزل يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار وينهيه عليهم ويحضه على إكرامهم والتنويه بهم، وهو الذي نبهه على أبي الوليد ابن رشد. وكان من الطبيعي أن تتقاطر على المغرب عدة تصانيف ومخطوطات علمية وفقهية وفلسفية لا يزال جزء منها محفوظا في الخزانات المغربية والأجنبية. أما في العهد الموحي فقد تعززت المخطوطات السابقة بمخطوطات ذات مواضيع مختلفة مثل مؤلفات القاضي عياض الفقيهية وتأليف ابن الزيات في التادلي في التصوف ومصنفات وتراجم ابن رشد الفلسفية ومؤلفات آل زهر العلمية¹ وهو ما سيؤدي بالضرورة إلى ظهور مكتبات ملكية وخاصة ومكتبات عامة.

المكتبات الخاصة: نشير مثلاً إلى خزانة ابن غلندة الأموي الطبيب الخاص ليعقوب المنصور، ورد ذكره عند ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء (ج 2 ص 79) وكذا مكتبة العالم عبدالواحد الرجرجي أستاذ العلوم العقلية والنقلية بمراكش

وقد حرص خلفاء الدولة المرابطية والموحدية من اقتناء النواذر من المخطوطات والنفائس من المؤلفات وتمكين العلماء والباحثين من قراءتها والاستفادة منها، كما كانوا يشجعون الكتاب ويطلبون العلماء والمؤلفين بوضع الكتب في العلوم والفنون التي تفتقر إليها الثقافة المغربية والعربية. وقد سار من أتى بعدهم على النهج نفسه من اهتمام بالمخطوطات العلمية والفقهية

1 أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي، ط 2 مراكش 2004، ص 191

والفكرية وتقائيد والمثال على ذلك ما رصده محمد حجي صاحب كتاب الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. لكن الملاحظ هو تراجع الإشعاع الفكري والثقافي لهذه الخزانات لعدة أسباب منها:
- الأوضاع السياسية التي عاشها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي.
- استيلاء الإسبان على هذه الخزانة التي بذل المنصور الذهبي جهدا كبيرا في إغنائها بنفائس المخطوطات قد آلت إلى "الإسكوريال" على عهد ولي عهده "زيدان" حينما تم اختطافها على يد القراصنة الإسبان في بداية القرن السابع عشر (1612 م).

وقد تفرق ما بقي منها على أيدي الإخوة والأعمام وأبنائهم، حتى قيل إن كل كتاب في المغرب الثلاثة بعد المائة والألف، فأصله من الخزانة السعدية الزيدانية، ويضيف "المختار السوسي" قائلا: "ولم يبق عندنا من تلك المكتبة سوى عشرين كتابا في هذا العصر الحاضر".²

مع استقرار الأمر للعلويين، بدأت بوادر العودة إلى التألق المغربي في صناعة الطب تظهر، إذ خلال العصر العلوي عرف التدريس الطبي بجامعة القرويين بعض الازدهار، بسبب تأثير التراث الأندلسي الطبي في علماء جامعة القرويين؛ لا سيما مؤلفات ابن رشد وابن طفيل وابن باجة وابن الخطيب والشقوري وغيرهم وهو ما يبرز نوعا من التجديد في المعرفة الطبية اعتمادا على تراث مغربي أندلسي غني وخلق.³

وهو ما جعل جامعة القرويين، راعية للتراث الأندلسي ومحافظة على إشعاعه واستمراره، كما عرفت جامعة القرويين بكثرة التأليف الطبية، وذلك من خلال تذييل العلماء لأرجوزة ابن سينا كمحمد بن قاسم بن زاكور، وأدراق، وابن عزرون، وكذلك من خلال نقد كتابي الأنطاكي: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، والنزهة المبهجة في شحذ الأذهان وتعديل الأمزجة.

إن عطاء التدريس الطبي بجامعة القرويين خلال العصر العلوي استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر، مما مكن المغرب من إسهام نظري جدير بالاعتبار وإذا كان تدريس الطب بجامعة القرويين خاصة وبالمغرب عامة قد تأثر بطرووف الرخاء والاضطراب.. وإذا كان قد تقلصت معاملته بدخول الطب الأوربي فإنه كان حريصا على التواصل مع المشرق والغرب من خلال بعض البعثات، خصوصا في عصر السلطان الحسن الأول، وهو العهد الذي برز فيه الطبيب النابغة عبد السلام العلمي⁴ صاحب "ضياء النبراس"، الذي يجمع بين تجديد المادة التراثية والنهل من مصادر ما يسميه العلمي ب"الطب الجديد".⁵

يبدو من خلال ما تقدم أن تجميع التراث المخطوط قديم في المغرب، وأن المغاربة بدأوا يهتمون بهذا التراث منذ العصر الإدريسي يجمعونه بكل الوسائل المتاحة. وفي القرن التاسع عشر حينما أصبح المغرب البلد العربي والإسلامي الوحيد تقريبا الذي لم يخضع بعد للاستعمار الغربي ظل الباحثون، غربيين ومشاركة، يعتقدون أن المغرب لما كان يعرف عنه من غنى محتويات خزائنه واهتمام علمائه وملوكه وأهله عموما بالمخطوطات هو البلد الذي يمكن أن يجدوا فيه ضالته، وأن كل مخطوط تعذر العثور عليه في الخزانات الشرقية والغربية قد يكون مصونا في المغرب.⁶

2 نفسه

3 نفسه

4 كان من أبرز الشخصيات التي تناولتها رسالة «مظاهر يقظة المغرب الحديث» شخصية عبد السلام بن محمد بن عمر العلمي الفاسي، كمغربي لمع بين طليعة القطة المغربية الحديثة، وتخصص في علمي الفلك والطب، وذكرت -إلى جانب مؤلفاته الفلكية- الجهازين اللذين اخترعهما في هذا العلم، وهما: «جعبة العالم» و«ربع الشعاع والظل» ثم تحدثت عن رحلته إلى مصر القاهرة لدراسة الطب الحديث، وأسماؤه أساتذته الشرقيين في هذا العلم، مع مؤلفاته الطبية. وهنا أود أن أذيل هذه الترجمة لمعلومات جديدة عن هذه الشخصية، يتعلق الأمر -أولا- بتقديم نص الإجازة (3) التي أحرز عليها الطبيب العلمي من «المدرسة الطبية المصرية» (4) بقصر العيني بالقاهرة وهي صادرة عن حسين بن مصطفى عودة الدمشقي (5)، أحد أساتذة هذه المدرسة ومكتوبة بخط شرقي نسخي سنة 1291هـ، وفيها يشهد بحضور الطالب المغربي على أساتذة المدرسة الطبية المصرية، ويذكر مواظبته واجتهاده، ويعترف بتفوقه بالنسبة لأقرانه. <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/1772>

5 جمال بامي، بعض جوانب النبوغ الطبي خلال العصر العلوي.. (1) 25400 p= <http://www.mithaqarrabita.ma/>

6 أحمد شوقي بنبين، المخطوطات بالمغرب مخطوطات الخزانة الحسنية - نموذجاً، على الرابط <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8814> تاريخ الاطلاع 2022-9-21

وتضم الخزانة الحسنية على سبيل المثال لا الحصر، العشرات من الكتب المخطوطات ذات الصلة بموضوع الطب وحفظ الصحة والاعشاب وتحتاج إلى التحقيق واستثمار محتوياتها عن طريق تكوين فرق البحث متعدد التخصصات تجمع بين الطبيب والمحقق والمؤرخ والصيدلاني وغيرها من التخصصات المساعدة في عملية التحقيق والدراسة. وقد وردت أسماؤها في الكشف الذي أنجزته الخزانة سنة 2007 .

من الأمثلة عن العناوين الواردة في هذا الكشف:

- الأرجوزة في الطب لعبد الرحمن بن محمد بن مسعود بن عمر بن موسى الفارسي.
- الاكتفاء في طلب الشفاء لمحمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي.
- تأليف في الطب محمد بن إبراهيم بن علي بن الرقام الأوسي
- تأليف في ماهية الاعشاب الطبية وذكر منافعها (مجهول)
- تقايد في الطب تحت رقم 13716.

2. العتبة الثانية: واقع تدريس المخطوط بالجامعات المغربية

أمام هذا الواقع المزدهر والنبوغ المغربي السابق ذكره في العنصر الأول نتساءل هل تم استثمار ذلك في الزمن المعاصر والراهن؟ سواء على مستوى التدريس في الجامعات والمراكز البحثية؟ أو على مسألة استثمار مضايمها في تطوير الممارسة العلمية وقهر الطلبة على فك شيفرات ومضامين المخطوطات؟

للإجابة على ذلك يجب أن نستحضر مسار التعليم العالي والاصلاحات التي عاشها على مستوى إحداث الجامعات وتزايد عدد الطلبة وكذا تغير في المناهج.

واعتمادا على مصادر الدراسة نستخلص:

أن ارتباط مجهودات المغاربة بالحفاظ على المخطوطات وتحقيقها ودراستها بعدة عوامل منها:

• ارتفاع عدد الجامعات المغربية ومن تم ارتفاع عدد شعب التاريخ فبعد أن كان عددها جامعتي محمد الخامس بالرباط وجامعة سيد محمد بن عبد الله بفاس إلى حدود 1975، استهلكت الدولة مشروع بناء الجامعات ومن خلالها شعب التاريخ في سنوات الثمانينات والتسعينات.

• سياسة التعريب واستخدام كفاءات وأساتذة مشاركة ساهموا في انفتاح الطلبة على الانتاج التاريخي في المشرق العربي مثل كتابات الطبيب تيزيني وحسين مروة، ومحمود إسماعيل الذي درّس تاريخ الغرب الإسلامي بكلية الآداب ظهر المهرار⁷.

• تميز برنامج التاريخ في هذه المرحلة - ولعل هذا جديد المقارنة بالمرحلة السابقة - بضرورة إنجاز بحث للتخرج. وقد أنجز بعض طلاب السنوات الأولى - منذ اعتماد هذا التقليد - بحوثا من الدرجة الرفيعة، عكست هواجس البحث التاريخي لدى الشباب. وقد كرس معظم هذه البحوث لتاريخ المغرب في مختلف مراحل التاريخ، باستثناء المرحلة القديمة، بينما كرس بعضها لتحقيق نصوص قديمة من تاريخ المغرب، أو لنشر وثائق محلية حصل عليها الطلبة، ولاسيما المنتمين إلى مجالات جغرافية نائية (الجنوب مثلا).

• التركيز على تاريخ المغرب في هذه المرحلة كان له ما يبرره أهمها الاعتزاز بالهوية الوطنية وإبراز العمق التاريخي للدولة المغربية واهتمام الباحثين بتفنيذ الأطروحات الفرنسية، زيادة على ذلك تم الاهتمام بالوثائق والمخطوطات المختلفة المواضيع بوصفها مادة أثرية ورافدا رئيسيا للتاريخ المغربي⁸.

7 عبد الرحيم بنحاده، "في تحقيق تدريس التاريخ في الجامعة المغربية"، أسطور، كانون الثاني / يناير 2017 العدد 5 ص 340

8 جاء ذلك انسجاما مع كتابات الجيل المؤسس "للمدرسة التاريخية المغربية" أمثال جرمان عياش وعبد الله العروي، وبوطالب وغيرهم.

يعتبر محمد الفاسي من رواد التحقيق خلال هذه الفترة إذ عمل على تحقيق الرحلة مثل الأكبر في فكاك الاسير لمحمد بن عثمان المكناسي (صادر سنة 1965 كلية الرباط)، والكتاب الموسوم ب الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية سنة 1860 لمحمد بن الطاهر بن عبد الرحمن الفاسي (صادر 1967)، وحقق نصوصا في موضوع المناقب مثل: أنس الفقير وعز الحقير لأبي العباس ابن قنفذ القسنطيني المركز الجامعي للبحث العلمي (1965) وحقق كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي.

- مرحلة 1980 - 2003

- تميزت هذه المرحلة بالخصائص التالية:
- عودة الطلاب غريجي الجامعات الأوروبية لا سيما من فرنسا إلى المغرب ومزاولة عملهم كأساتذة باحثين ومسلحين بعدة منهجية.
- وضع برنامج تكوين المكونين منذ 1983 وهو ما ساهم في تعزيز الجامعات المغربية بعدد مهم من أطر التدريس. كما تنوعت مواضيع الأطاريح الجامعية.
- الارتفاع الواضح في وتيرة إنتاج الطلبة-الباحثين المغربية، نظرا لكون هذه الفترة، تقدم 64 % مما أنتج منذ نشأة الجامعة المغربية، أي 6178 عنوان.
- مغربة الإنتاج الجامعي: على العكس من عقد الثمانينيات، شهد عقد التسعينيات والسنوات التي تلتها (2000-2007) ارتفاعا مهما في أعداد الطلبة الباحثين المسجلين في الجامعات المغربية، التي تعددت هي الأخرى وامتدت خارج محور الرباط-الدار البيضاء. هذا ما انعكسه أرقام الإنتاج المحلي: 5287 عنوانا، أي 86 % من مجموع الرسائل الجامعية التي أنجزت خلال هذه الفترة، مقابل 891 رسالة وأطروحة أعدها الطلاب المغربية خارج المغرب (14%)⁹.

رغم ذلك حافظ تحقيق المخطوطات على مكانته ضمن سريرة الانتاجات الأكاديمية فتم تحقيق مخطوطات مرتبطة بمواضيع الرحلة (الصحية والسفارية) وكتب التراجم والطبقات والمجموعات الوثائقية كالأعراف الوثائق المخزنية والنوازل. أما على مستوى الإطار الزمني فتم التركيز على المخطوطات المؤطرة بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر¹⁰.

ويعد عبد الهادي التازي من المحققين البارزين في هذه المرحلة بتحقيقه لكتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، ويعود الفضل لمحمد حجي في تكوين جيل من المؤرخين المحققين إلا أن أغلب أعمالهم التي أنجزت في إطار رسائل جامعية ظلت حبيسة الرفوف وبالتالي عدم الاستفادة من عملية تحقيق المخطوطات وتعميم محتوياتها على عموم القراء¹¹. مثل: غاية الأمانة وارتفاع الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية¹².

في حين عرفت رسائل أخرى طريقها إلى النشر كتاريخ الضعيف الرباطي (تحقيق أحمد العماري)، رحلة الفقيه الحيويني (تحقيق أحمد البوزيدي) تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس (تحقيق مولاي هاشم العلوي).

كما يغيب عن ذهننا مجهودات الفقيه المنوني في تحقيق المخطوطات والتعريف بذخائر التأليفات في هذا الشأن، ويشير الباحث عمر آفا إلى أن الفقيه المنوني إن العلامة محمد المنوني كان يغوص في المخطوطات والوثائق ليصل في كل مادة إلى ما هو أكثر عمقا بهدف يد الفراغات الواقعة في تراثنا التاريخي والإسلامي، ليس في الخزانات المغربية فحسب، بل في خزانات العالم العربي والإسلامي. ولقد تعددت جهود الفقيه - رحمة الله عليه- في مجال التراث المخطوط. غير أننا نكتفي في هذه العجالة بالنظر إليها إجمالا في أربع زوايا :

9 محمد الصغير جنجار، الرسائل والأطروحات الجامعية المغربية 2007-1956 : دراسة ببليومترية، المدرسة المغربية، العدد 2، 2009 ص 14
10 عبد الرحيم بنحادة، في انتاج المعرفة التاريخية، ضمن كتاب التاريخ العربي كيف كتب وكيف يكتب الاجابات الممكنة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2017 ص 426
11 نفسه:
12 انجاز خالد الصقلي الحسيني، تحت اشراف ابراهيم حركات سنة 88-89 د د ع.

- العمال المكتبي في الخزانات العامة والخاصة.
- إنجاز الفهارس والكشافات.
- الإسهام في التعريف بصناعة المخطوط.
- تكوين خزانة شخصية للكتب والمخطوطات.13

الإصلاح الجامعي من -2003 إلى اليوم

انطلقت أسس النظام البيداغوجي الجديد من نظرة شمولية للتكوين العالي، على نحو يكون فيه منسجما مع مثيله في الدول المتقدمة. وهو يتكون عمليا من مسارات بيداغوجية في شكل فصول تقضي إلى الإجازة (باكوريا + ثلاث سنوات) والماستر (باكوريا + خمس سنوات) والدكتوراه (باكوريا + ثماني سنوات). 14 وفق هذا التصور تم تعديل سنوات الإجازة في 3 سنوات كما تم تغيير على مستوى الوحدات والفصول الدراسية وفي هذا الإطار تقام الجسور بين المسالك والتخصصات لتمكين الطالب من إعادة التوجيه في المؤسسة الجامعية نفسها أو الانتقال من جامعة إلى أخرى محتفظا بمكتسباته. ويمكن للطالب أن يعود إلى الجامعة بعد تجربة مهنية إذا توافرت فيه شروط محددة.

ثانيا: واقع تدريس وتحقيق المخطوط بالجامعات المغربية من خلال نماذج من شعبة الدراسات الإسلامية و شعبة التاريخ والحضارة

أ- شعبة الدراسات الإسلامية

سنكتفي في هذه المداخلة بتفكيك الملف الوصفي لشعبتي الدراسات الإسلامية والتاريخ والحضارة مع العلم بوجود تحقيق المخطوط في شعبة دراسات اللغة العربية، إذ لم يسمح الوقت المخصص لهذه المداخلة بالتطرق لها.

جاء في الملف الوصفي للوحدات الدراسية بشعبة الدراسات الإسلامية أن الوحدة المخصصة لتدريس المخطوط والعلوم المرتبطة به في الفصل الثالث من سلك الإجازة الأساسية بشكل عام ضمن وحدة المكتبة ومناهج البحث ضمن غلاف زمني لا يتجاوز 10 محاضرات بمعدل ساعتين بيد أن الملاحظ هو أن الحصص الفعلية لدراسة المخطوط وتحقيقه لم تتجاوز 4 حصص أي بمجموع 8 ساعات في الفصل، الشيء الذي يبرز ضعف الغلاف الزمني لدراسة المخطوط وهو ما سينعكس على المحتوى وعلى تمكين الطلاب من اكتساب مهارات التحقيق والتمهيم على آليات وعدة المحقق.

أما الفصل السادس مسار الفقه والأصول فيتلقي الطالب تكوينا في وحدة مناهج تحقيق التراث وهو ما يسمح بتعزيز قدرات الطلاب ومكتسباتهم القلبية في مجال تحقيق المخطوطات خاصة المتعلقة بالتراث.

الفصل السادس	الفصل الثالث
1. فقه الأسرة 2. مناهج تحقيق التراث 3. فقه المعاملات المالية 4. التاريخ الاسلامي 5. بحث نهاية الدراسة 6. بحث نهاية الدراسة	1. القراءات القرآنية 2. الجرح والتعديل 3. أصول الفقه 4. الحركات الإصلاحية 5. البلاغة 6. المكتبة ومناهج البحث

13 عمر أقا، "محمد المنوني والتراث المخطوط" على الرابط، <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8913> تاريخ الاطلاع 2023-8-2

14 المصطفى شادلي، الجامعة المغربية وتكوين النخب، [https://www.aljabriabed.net/n65_07kasori.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n65_07kasori.(2).htm)

ب- شعبة التاريخ والحضارة

الفصل الثالث
1. تاريخ شمال إفريقيا القديم
2. العالم العربي في القرنين 19 و 20
3. الثورة الفرنسية والثورة الصناعية
4. تاريخ المغرب الحديث
5. تحليل الوثيقة
6. الجغرافيا التاريخية

لا يختلف الأمر كثيرا عن واقع الأمر عن شعبة الدراسات الإسلامية إذ تصادف أول وحدة مخصصة لتحليل الوثيقة وليس لدراسة المخطوط أو تحقيقه أو وحدة خاصة عن الكوكبولوجيا، بل نجد وحدة معنونة بتحليل الوثيقة بشكل عام وتهدف وفق الملف الوصفي المعتمد على ما يلي:

- تأطير نظري يتم فيه التعريف بالوثيقة التاريخية كمفهوم تطور عبر العصور والحقب التاريخية، وبحسب اختلاف المدارس التاريخية، كما تثار فيه بعض القضايا والإشكالات التي يطرحها تحليل الوثائق التاريخية على اختلاف أنواعها من قبيل الذاتية والموضوعية، ومن قبيل الاختلاف والتكامل.
- تكوين تطبيقي في تقنيات قراءة وتحليل الوثيقة التاريخية وكيفية توظيفها في البحث التاريخي.
- توجيهي وينجز بإجراء قراءات توجيهية في دراسات تاريخية وظفت بشكل أساسي نوعا معينا من أنواع الوثائق التاريخية.

وهو ما يبرز غياب تحقيق المخطوط في هذا المستوى وهو ما يدفع إلى طرح عدة أسئلة، عن المؤسسات التعليمية التي تهتم بتحقيق المخطوط ضمن وحداتها الدراسية؟

للإجابة على ذلك التجأنا إلى جامعة القرويين وخاصة سلك العالمية فقد ورد في الجريدة الرسمية أن التكوين يمتد على خمس سنوات وفق نظام الدورات، ومن بين مواد الفصل التاسع وفق الجدول التالي:

المسلك	الوحدة الدراسية	المواد	الغلاف الزمني الأسبوعي	عدد الأسابيع
العلوم الإنسانية والاجتماعية والمنهجية	المنطق والفلسفة والعلوم الإنسانية	مناظرات ومنهجية البحث	ساعتان	15
		مناهج تأويل النصوص وعلم الهرمينوطيقا	ساعتان	15
		تحقيق النصوص والفيلولوجيا	ساعتان	15

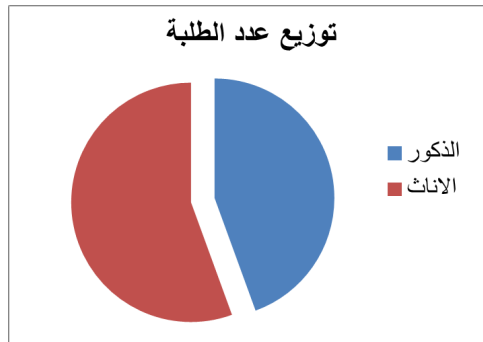
وهو ما يعني وجود وحدات دراسية تهتم بعلم المخطوط ولو في حدود معينة تسمح لطالب المنتسب لهذا المسلك بالوقوف على خصائص هذا العلم وأهم رواده ومدارسه وما يرتبط بهذه المادة من اختصاصات معرفية؛ مثل علم المخطوطات، وعلم الخطوط القديمة، ونقد النصوص، وفهرسة المخطوطات وتاريخ النصوص، وتحقيق التراث، وغيرها من العلوم.

وللوقوف على مكانة التحقيق ضمن الانتاج العلمي الجامعي نقدم نماذج من أطاريح الدكتوراه التي نوقشت بكلية العلوم

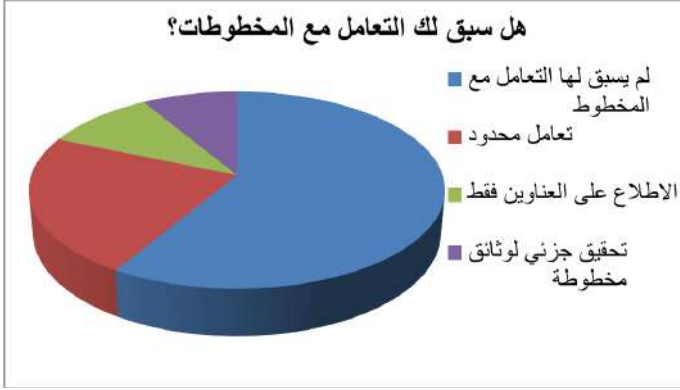
الإنسانية والاجتماعية وكان موضوعها تحقيق المخطوط بشعبي التاريخ والحضارة وشعبة الدراسات الإسلامية. لكن الملاحظ هو غياب تحقيق المخطوط الطبي أو على الأقل ذو مضمون علمي أو تقني فأغلب ما حقق له ارتباط بالعلوم التقليدية أو بالأحداث التاريخية والنوازل. وهو ما يوضحه الجدول التالي:

تاريخ المناقشة	عنوان الأطروحة	المختبر
1	2015/05/04	تحقيق مخطوط: العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع
2	2016/03/07	مخطوط: تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان. تأليف: أحمد بن موسى المرابي (ت. 1034 هـ)
3	2016/06/22	"كتاب مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري - دراسة وتحقيق.
4	2016/09/29	مخطوط المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرماح وبنودها
5	2017/03/11	الأبوس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (قسم الادارة) لابن أبي زرع - دراسة وتحقيق.
6	2018/11/12	نوازل البلغيثي للإمام أحمد بن المامون البلغيثي 1348هـ-دراسة وتحقيق
7	2018/04/23	نزهة الإبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده سيدي الحسن لمؤلفه العربي المشرفي (1895)--تحقيق ودراسة
8	2019/07/11	"السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد" تأليف: مصطفى البكري الصديقي الخلواتي دراسة و تحقيق
9	2019/05/18	غاية الأحكام في شرح تحفة الحكام لأبي حفص عمر الفاسي - من أول المخطوط الى فصل في بيع الخيار والثنيا -دراسة وتحقيق
1	2020/12/07	الشرح الصغير لبهرام "805هـ" على مختصر خليل -تحقيق ودراسة من بداية المخطوط الى نهاية كتاب الزكاة

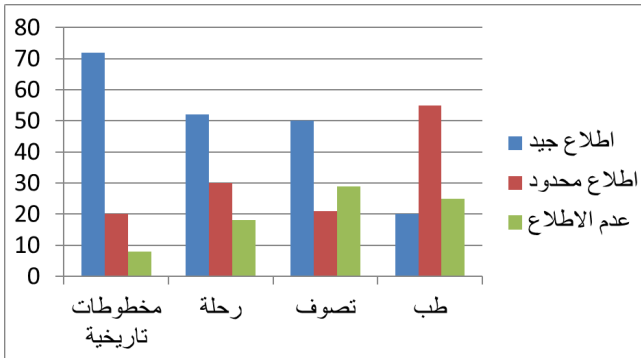
علاوة على ما سبق، اعتمدت المداخلة على مخرجات استبيان أجرته مع طلبة الماستر بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية فوج 2022-2021 تشكلت العينة من 45 طالب موزعة على الشكل التالي:



تبلغ نسبة الذكور 44% بينما تصل نسبة الاناث 56% وركزت الأسئلة الموجهة لهم على مدى معرفتهم بآليات تحقيق المخطوط وهل سبق لهم التعامل مع مخطوط مع تحديد نوعية مضمونه. إلا أن الأغلبية عبرت عن عدم تعاملها مع المخطوط خلال سنوات الدراسة الجامعية بنسبة تصل إلى 59%. أما نسبة من تعامل بشكل محدود مع المخطوط فوصلت 23%. ولم تتجاوز نسبة من اطلع فقط على عناوين المخطوطات خلال بحثهم البيبلوغرافي 10% أم ما قام فعليا بتحقيق ولو جزئيا للمخطوطات فنسبة هي 9% وتم ذلك خلال انجاز أبحاث التخرج أو خلال إكمال عروض وحددات الماستر. طبعاً تبقى هذه العينة الاختيارية رغم محدوديتها إلا أنها تسمح لنا بالقول إن الجامعة المغربية يقل فيها نسبة الطلبة الذين تعاملوا مع المخطوطات بشكل عام والطبية على وجه الخصوص.

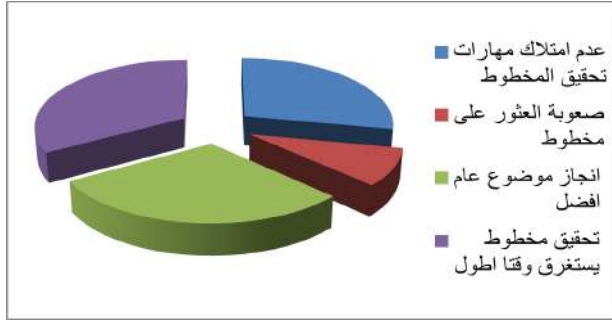


أما عن سؤال الطلبة عن موضوعات المخطوطات التي اطلعوا عليها فنجد الاهتمام بالدرجة الأولى بالمخطوطات ذات المضامين التاريخية تليها مخطوطات الرحلة الحجية والسفارية حاضرة في تعامل الطلبة المستجوبين مع المخطوطات ثم المخطوطات ذات مضامين المرتبطة بالتصوف في حين يقل اطلاعهم على المخطوطات الطبية موضوع هذا المؤتمر. وهو ما يوضحه المبيان التالي:

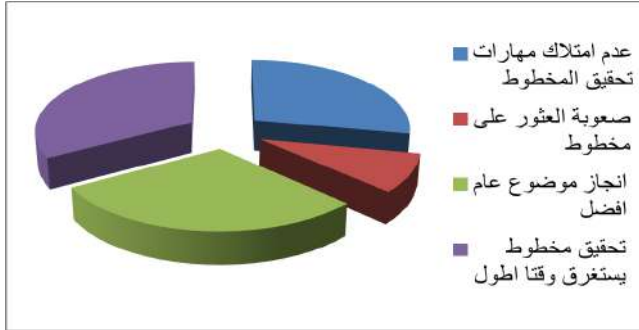


وفي سؤال لهم عن تعاملهم المستقبلي مع المخطوطات فعبّر المبيان التالي عن إجاباتهم، لكن الملاحظ هو نسبة مهمة من الطلبة عبروا عن رغبتهم في الخضوع لدورات تدريبية وعن تطوير مهاراتهم في تحقيق المخطوطات وهو مؤشر إيجابي على اهتمام الطلبة على الانفتاح وعلى اكتساب مهارات وكفايات وأدوات تمكنهم من الاطلاع على تراثنا المخطوط بشتى موضوعاتهم

ولغاتهم (العربية العبرية والأمازيغية) مما سيتمكنهم لاحقا من اقتحام سوق الشغل. (انظر المبيان الموالي)



لهذا كان السؤال الموالي عن الصعوبات التي تحول دون اقتحام الطالب موضوع التحقيق، فتعددت الاجابات بين الذاتية كعدم امتلاك مهارات وآليات تحقيق المخطوطات. أما الصعوبات الموضوعية وبين الأحكام المسبقة من أن مثلا تناول موضوع عام أسهل من تحقيق المخطوط أو التخوف من وجود تحقيق سابق للمخطوط قيد التحقيق (انظر المبيان الموالي). وتنبع هذه الإجابات في نظري في عدم معرفة مسبقة بعلم التحقيق وبالإجابات المعبر عنها في السؤال السابق. ذلك أن عدم امتلاك مهارات التحقيق وعدم وجود أساتذة متخصصين في الكوديكولوجيا وعدم تخصيص وحدات دراسية خاصة بالتحقيق على طول المسار الدراسي في الإجازة الأساسية يحول دون فك ألغاز وأسرار المخطوطات التي تحفل بها مكتباتنا المغربية سواء الخاصة أو العامة.



رغم ما قيل، من نسبة حضور تحقيق المخطوط في الدرس الجامعي إلا أن هناك مجهودات معتبرة تقوم بها مؤسسات علمية تهدف حماية وتحقيق المخطوطات، من بينها:

- إحداث جائزة الحسن الثاني للمخطوطات منذ 1979 محاولة اكتشاف الجديد النادر والنفيس من التراث الوطني المخطوط، الذي ما يزال متفرقا في مختلف مناطق البلد، بين العديد من الأسر والأفراد، ومنه ما يتميز بأهمية فكرية وعلمية بالغة، لا يدرك قيمتها سوى المتخصصين الباحثين، حيث إن الجهل بهذه القيمة يؤدي إلى عدم الاهتمام بهذا التراث وتقديره حق قدره، مما يجعله عرضة لعوامل التلف والتخريب.
- سعي بعض الأساتذة الباحثين إلى تحقيق ونشر العديد من المخطوطات مختلفة ومتنوعة المحتوى جمعت بين الأدب المغربي والأندلسي والنصوص الرحلانية والنوازل وكتب الطرق الصوفية وهي مرتبطة كما ورد في بداية هذه المداخلة بالمرحلة الأولى من الدرس الجامعي ومن سار على ذلك الدرب لهذا نذكر نماذج فقط:

- ويمكن الرجوع إلى فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م¹⁵
- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب: من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1983م
- المنوني، دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتماركوت، مطبعة فضالة، المحمدية، 1983 م.
- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1989 م
- المنوني محمد، تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة 1991م
- المنوني محمد، قيس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: 1999
- بنين، أحمد شوقي: "التراث العربي المخطوط بين المغرب والأندلس"، مجلة التاريخ العربي، العدد 58.
- بنين، أحمد شوقي: دراسة في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1993 .
- فهرس المخطوطات العربية بأجزائه المتعددة .
- الطاهري، أحمد : "المخطوطات الفلاحية بالمغرب والأندلس: إشكالية التحقيق والتوثيق"، في : المخطوطات العلمية، أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، إشراف د. عبد العزيز لعرج، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، جامعة الجزائر، ط1، 2007، ص 377-401.
- بنشريف، محمد : "حول ترميم المخطوطات في المغرب"، في : صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية (أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن : 18-19 نونبر 1995) تحرير إبراهيم شبوح، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 1998/1418، (ص 95-104).
- حميد الفاتحي، تحقيق مخطوط «مختصر كتاب الطاعون» للرهبوني: تقديم وتخرّيج، ونشر في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19 سنة 2020

علاوة على العديد من الندوات الوطنية والدولية التي تنظمها فرق البحث بجامعة ابن زهر بأكادير بتعاون مع المركز المغربي للبحث في التراث المغربي المخطوط، والتي تركز في المجمل على المخطوطات بالجنوب المغربي. دون إغفال ما تقوم به لجنة التراث بكلية الطب والصيدلة بفاس من مجهودات معتبرة في الاهتمام بهذا المخطوط الطبي وأهميته في التعريف بالتراث وصيانة الذاكرة وتحقيق تراكم معرفي في هذا المضمار.

خاتمة

- لهذا تبقى أهم خلاصات يمكن استخلاصها من هذه المداخلة هو:
- ضعف عدد الأطاريح التي اشتغلت على تحقيق مخطوطات تراثية أو علمية مقارنة بالموضوعات العامة. فمثلا بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بلغت نسبة الأطروحات التي اشتغلت بالتحقيق خلال الفترة 2015-2022 هو حوالي 15%.
 - النظرة السلبية اتجاه تحقيق المخطوطات من طرف الطلاب لأسباب متعددة وفق عينة البحث.
 - خلق وحدات دراسية تركز على علم تحقيق المخطوط، لتجاوز النقص في المواد الدراسية المرتبطة بهذا الشأن.
 - أن المسؤولية ملقاة على جميع الباحثين من تخصصات مختلفة لتكسير الجدران العازلة بين التخصصات وتحقيق تعاون معرفي ينشد الاهتمام بالتراث المخطوط وتقديمه للأجيال الحالية والقادمة وصيانة لهذا الموروث مع العلم أن مكتبات المغرب تتوفر على أكثر من 200 ألف مخطوط.
 - العمل على مواكبة التطور العلمي والتقني من أجل فهرسة ورقمنة المخطوطات لتسهيل الوصول إليها كمرحلة أولى والسعي إلى تحقيقها في مرحلة لاحقة.



المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي

مخطوطة الأجوبة الطبية لعبد القادر ابن شقرون المكناسي قراءة في المنجز الطبي بالمغرب خلال القرن 18 م

د. عبد المجيد بوكاري
الخرانة الحسنية - الرباط

يروم هذا البحث تقديم قراءة في المنجز الطبي بالمغرب في القرن 18 م من خلال مخطوطة الأجوبة الطبية للحكيم عبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي (1140 هـ / 1727 م)، طبيب الحضرة الإسماعيلية. وقد وقفنا على مستخرج من أصل هذه الأجوبة بخط الحسن بن بُنْدَاوُد الشرقاوي؛ وهي عبارة عن أجوبة عن رسائل شيخ زاوية أبي الجعد محمد الصالح الشرقي (1139 هـ، 1726 م) حيث استشاره في مسائل طبية عارضة. ويتنظم هذا البحث في ثلاثة مسلكين: المسلك الأول: التعريف بابن شقرون المكناسي؛ المسلك الثاني: الأجوبة الطبية الشقرونية.

ونجيب خلال ذلك على بعض الأسئلة المرتبطة بسياق الأجوبة وما تطويه من قيم حضارية واجتماعية واقتصادية وصحية، وأهميتها في الكشف عن بعض معالم الفكر الطبي في المغرب وآلياته خلال القرن 18 م، وما تتيحه من إمكانيات لفهم السلوك الاجتماعي إبان الأزمات والأمراض، وكيف كَيْفَ الطبيب المعالج معارفه الطبية مع مقتضى الشرع والدين.

المسلك الأول: التعريف بابن شقرون المكناسي وإسهاماته الطبية

الفرع الأول: معالم شخصية ابن شقرون

يعتبر الحكيم عبد القادر بن العربي بن محمد بن علي المنهجي المدغري، المعروف بـ ابن شقرون المكناسي من الشخصيات البارزة في تاريخ المغرب خلال القرن الثاني عشر للهجرة. وقد أجمع مترجموه على نباهته وذكائه، وتفوقه في العلوم وتفرّده، قال في الأنيس المطرب يصف مهاراته في العلوم، ومسالك أعماله ومشاركته: "شاعرٌ مُصِيبٌ، رَكَعَ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِمَزَعَى حَصِيبٍ، وَأَخَّرَ مِنَ الدَّرَاجَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ، وَدَخَلَ بَيُوتَ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ، وَطَرَزَ فِي حَدِيثِ السُّنَنِ نَحْوَ ابْنِ مَالِكٍ، بِفَقْهِ مَالِكٍ، وَخُتَارَ الْوَحْدَةِ، وَانْفَرَدَ بِالْحُمُولِ وَحْدَهُ ... وَضَمَّ إِلَى عِلْمِ الْأَذْيَانِ عِلْمَ الْأُبْدَانِ؛ فَرَكَّبَ الْأَدْوِيَةَ، وَانْتَشَرَتْ لَهُ بَيْنَ الْحُكَمَاءِ أَيُّ الْوِيَةِ، وَعَرَفَتْ الْأُمَرَاءُ، وَأُرْسِلَ سِهَامُ الرُّقَى فَأَصَابَتْ الْأَغْرَاضَ"¹.

لخص تعريف العلّمي معالم شخصية ابن شقرون المكناسي الفذة، فقد اجتمعت فيها صفات التفوق الأدبي والعلمي،

ونحصرها في التالي:

- 1 - البعد الأدبي في شخصية ابن شقرون؛ فهو شاعر مفلق، وأديب بارع، وأحرز قصب السبق في اللغة العربية؛
- 2 - البراعة في الفقه المالكي، والتمكن في السنن؛
- 3 - اختيار الوحدة كسلوك في حياته، والانعزال عن الخلق، وذلك ملمح من ملامح التوجه الروحي عند ابن شقرون؛
- 4 - المعرفة بالعلوم الطبية وما يتعلق بها من الصناعة الطبية؛ إذ تحصلت لديه خبرة كبيرة في تركيب الدواء، التي اكتسبها من ممارسة هذا العلم. وقد أورد له العلمي في الترجمة التي خصه بها جملة من المنافع الطبية لما سأله عن أشياء من الأطعمة والأشربة: "وأَيُّ شَيْءٍ أَنْفَعُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَأْكُلَهُ أَوْ يَشْرَبَهُ"².

واعتبارا للعلاقة التي جمعت الحكيم ابن شقرون المكناسي بـشيخ زاوية أبي الجعد محمد الصالح بن المعطى الشرقي فقد نقلت مصادر الزاوية كثيرا من أخباره وأنشطته فيها؛ ففي "الروض البائع الفائح" حلاه المحدثي بأوصاف دالة على نباهته وتفوقه في مجالات المعرفة والعلم، وعلاقته العميقة بسيدي صالح، قال: "كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الْكَامِلِ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالطَّبِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْوَسَائِلِ، وَكَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي الشَّيْخِ تَرَدَّدُ إِلَيْهِ مِنْ مَكْنَسَةِ الرُّيْتُونِ، وَيَتَعَرَّضُ لِاقْتِطَافِ أَزَاهِرِ رَوْضِهِ الْهَثُونِ، يَنْبَسِطُ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، نَفْعَنَا اللَّهُ بِهِ، اعْظَمَ الْأَنْبِطَاسُ، وَلَهُ فِي مُعَالَجَةِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْأَسْقَامِ تَشَاطُفٌ وَاعْتِبَاطٌ، يُجِيبُهُ عَنْ كُلِّ مَا نَزَلَ، وَيُلَاطِفُهُ عَنْ كُلِّ مَا سَأَلَ. وَقَدْ جَعَلَ لَهُ مَنَظُومَةً حَسَنَةً فِي أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَالْأَغْذِيَةِ مِنَ الطَّعَامِ، وَبَيَّنَّ لَهُ مَا فِيهِ نَفْعُ الْبَدَنِ، وَمَا يَكُونُ سَبَبًا لِحُلْبِ الْأَسْقَامِ، تَشْهَدُ بَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ عَلَى الدَّوَامِ"³.

ويمكن الخلو من مجمل الأخبار الواردة عند شرقاوة إِيَّانَ إقامة ابن شقرون الحكيم في أبي الجعد، إلى ما يلي:

أولا - ظروف اتصال الطبيب ابن شقرون بـشيخ الزاوية الشرقاوية محمد الصالح بن المعطى الشرقي، وأسباب لجوئه إلى أبي الجعد؛ قال في "نيممة العقود الوسطى" يحيى عن ابن شقرون قصة لجوئه إلى أبي الجعد: "لَمَّا كُنْتُ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ ... سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا إِسْمَاعِيلَ، أَمْلَحَ اللَّهُ وَفَدَهُ ... وَوَقَعَ لِي بَيْنَ أَهْلِهِا خُمُولٌ كَثِيرٌ، وَإِهْمَالٌ كَبِيرٌ، وَلَمْ يَسَاعِدْنِي فِيهَا وَثَقْتُ، وَلَا طَابَ لِي فِيهَا عَيْشٌ إِلَّا بِالْكَدْرِ وَالْمَقْتِ، مِنْ قِلَّةِ الْوُسْعِ وَضِيقِ الْحَالِ، فَكَدَدْتُ الْأُمْرَ إِلَى اللَّهِ، وَعَقَّدْتُ الْحِلَّةَ إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ، فَقَرَّرْتُ الْأَقْبِيَاءَ الْعُلَمَاءَ، وَعَالِمِ الْقُرْآنِ الْأَصْفِيَاءَ الرَّحَمَاءَ، الَّذِي قِيلَ فِي مِثْلِهِ: [الطويل]

وَمِنْ قَرَرِهِ أَلَّا يَدْعِيَ الْفُقَرَاءَ⁴ فَمِنْ عِلْمِهِ أَنْ لَيْسَ يَدْعَى بِعَالِمِ

الصفى الأكبر، والهَمَامِ الْأَشْهَرِ، التَّقِيِّ النَّاصِحِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ مُحَمَّدَ الصَّالِحِ. فَرَفَعْتُ شِكَايَتِي إِلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ"⁵.

أفاد الاقتطاف المتقدم سبب التجاء ابن شقرون إلى أبي الجعد؛ حيث حصل له في حضرة السلطان المولى إسماعيل "خمول" و"إهمال"، وتكدر عيشه، من "قلة الوسع وضيق الحال"؛ حسب عبارته، ويبقى كثير من الغموض عن الأسباب المباشرة لهذا الوضع المتأزم لابن شقرون وهو الطبيب الماهر، والعالم المحقق المدقق. وفي الخبر الذي نقله المحدثي إشارة قريبة مما نقله العبدوني عن حال ابن شقرون، وزاد عليه أمورا أخرى قال: "كان الفقيه الأجل السيد عبد القادر ابن شقرون، قليل ذات اليد، خاملاً الذكر بمدينة مكناسة الزيتون، وكان العراشي قائداً بالمدينة المذكورة، شديد الشكيمة عليه. وكان الفقيه المذكور يتردد للشيخ سيدنا الصالح للزيارة، ويشكو له ما له، ويقم عنده ما شاء الله ..."⁶. فيهم من رواية المحدثي:

أ - أن ابن شقرون كان "خاملاً الذكر بمدينة مكناس"؛ أي أنه لم يكن مشهوراً في بلده؛

ب - أن القائد مكناس العراشي كان يضيق عليه؛

ج - أن ابن شقرون كان يتردد لمحمد الصالح الشرقي، ويشكو له أمره، ويقم عنده في بلده أبي الجعد.

2 الأنبس المطرب، ص، 200 - 201.

3 الروض البائع، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 86 ج، ص، 162.

4 وقيل إنها قيلت في الشيخ ابن عباد. ينظر: نفع الطيب، ج، 5، ص، 345، التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أعيان القرن الحادي عشر، لجعفر

ابن السيد حسن البرزنجي المدني، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1، 2018، ص، 454.

5 اختصار يتيمة العقود الوسطى، للمكي بن المعطى الشرقي، ص، 219.

6 الروض البائع الفائح، ج، 86، ص، 240.

ثم إن المصادر الشرفاوية تحكي كذلك حيثيات التحول الكبير الذي طرأ على حياة ابن شقرون الحكيم، وحكاية دخوله إلى الدار العلية بمكناس، وصورة ذلك كما حكاها المعداني، أنه: "نَزَلَ بِعِضِ جَوَارِي السُّلْطَانِ الْجَلِيلِ ... مَوْلَانَا إِسْمَاعِيلَ مَرَضٌ، فَأَمَرَ الْقَائِدَ الْغَرَائِشِي بِإِخْصَارِ بَعْضِ أَطْيَاءِ فَاسٍ لِإِعْلَاجِهَا، فَقَالَ لَهُ الْقَائِدُ الْمَذْكُورُ: يَا سَيِّدِي، مَدِينَتُهُ سَيِّدُنَا مَعْمُورَةٌ بِالْعِلْمِ وَالطَّبِّ لَا يَحْتَاجُ سَيِّدُنَا لِمَدِينَةِ فَاسٍ، وَهُنَا عِنْدَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، فَأَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِإِخْصَارِهِ، فَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْفَقِيهَ لِمَلَاذِمَةِ أَحَدِ أَبْوَابِ دَارِهِ لِلْمُعَالَجَةِ، وَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ رِزْقًا وَاسِعًا، وَاشْتَهَرَ صِيَّتُهُ"⁷.

ليست هناك إشارة تفيد أن كبير زاوية أبي الجعد قد تشفع لصاحبه الطبيب ابن شقرون. فهل كان الفتح والشهرة التي حصلهما ابن شقرون بالدخول في خدمة السلطان مولاي إسماعيل مجرد صدفة أتت بها الزمان كما يفهم من كلام المعداني، أم أن هناك تفسيراً آخر لاختيار لابن شقرون لملازمة باب الدار العالية للمعالجة؟

وعند العبدوني: "فَمَكَّنْتُ عَنْدَهُ تِلْكَ الْمَدَّةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي لَا يَأْتِي بِهَا زَمَانٌ، وَلَا يُعَادِلُهَا وَقْتُ وَلَا أَوَانٌ، فَمَا رَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا بِتَبَيُّسِ الْأَمْرِ، وَانْتِزَاجِ الضُّدِّ، وَاتِّسَاعِ الْحَالِ، وَذَهَابِ الْأُمُورِ الْمُكَدَّرَةِ لِلْبَالِ. وَصَارَتِ الْكَلِمَةُ فِي الْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مَسْمُوعَةً، وَالْأَخْوَالُ فِي الدِّينِ وَالْذُّنْيَا مَيَّسَرَةً وَمَرْفُوعَةً"⁸.

ثانيا - أهمية وفائدة ابن شقرون الحكيم في انتعاش حلقات الدرس بزاوية أبي الجعد؛ فقد طلب منه الشيخ محمد الصالح الشرفاوي التصدر لتدريس بعض العلوم بزاويته، قال العبدوني: "فَقَالَ لِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْكُثَ عِنْدَنَا وَقَدْ تَدْرُسُ لَنَا فِيهِ بَعْضُ [...] النُّحُوبِ النَّصْرِيَّةِ، وَالْكَتَبِ النَّافِعَةِ الطَّبِيعَةِ؟"⁹.

وقد لبَّى الحكيم ابن شقرون طلب شيخ زاوية أبي الجعد، فأقام عندهم مدة لتدريس بعض العلوم، قال ابن شقرون: "فَأَخَذْتُ مِنْ تَدْرِيسِ عِلْمِ النُّحُوبِ بِلُغَةِ الْقَصْدِ، وَمِنْ التَّصْرِيفِ كِمَالِ التَّصْرِيفِ فِي الْأُمُورِ، وَمِنْ الطَّبِّ النَّافِعِ الْإِنْتِفَاعِ وَانْشِرَاحِ الصُّدُورِ"¹⁰.

فحددت مقالة ابن شقرون العلوم التي كان يدرسها في الزاوية أيام إقامته بها، وهي:

أ - علم النحو؛

ب - علم التصريف؛

ج - علم الطب.

ثالثا - حج ابن شقرون: أورد المعداني في "الروض البائع"، مقتطفا من رسالة بعثها الشيخ محمد الصالح الشرفاوي للطبيب

ابن شقرون لما قَفَلَ من المشرق، استهلها بأبيات يمدحه فيها، وهي: [الطويل]

سَلَامٌ يَفُوقُ الْوَرْدَ وَالنَّدَى عَرْفُهُ
سَلَامٌ مَشُوقٌ شَوْشُ الْبَيْتِ قَلْبُهُ
أَخْصَنَ بِهِ الْبَذَرُ الدَّمَامِيَّ إِنَّ غَدَا
وَمَنْ إِنَّ تَعَاطَى الشَّيْخَ جَاءَ بِسُخْرِهِ
وَمَنْ إِنَّ تَصَدَّى لِلْبَيْتَانِ بِنَانُهُ
خَلِيلِي وَنِعْمَ الْخُلُوفُ حَافِظُ عَصْرِهِ
فَتَى جَاءَ أَفْقُ الشَّرْقِ لَأَقَى رَجَالَهُ
مَجْلِي الْأَسَى سَامِي الْمَرَاتِبِ صَدْرَهُ

وَيُزْرِي بِأَزْهَارِ الرِّيَاضِ جَمَالُهُ
وَأَوْهَاهُ حَتَّى لَا يَبِينُ خِيَالُهُ
يُدْرُسُ فَنَ الْتَّخَوُ أَتَى مِثَالُهُ
وَفِي النَّثْرِ يَحْزَنُ لَا يُبَارَى مَقَالُهُ
أَزَالَ الصَّدَى وَانْتَبَهَ مِنْهُ زَلَالُهُ
عَنَيْتُ ابْنَ شَقْرُونَ الْبَدِيعِ جَمَالُهُ
وَجَالَ فَجَلَّتْ وَاسْتَبَارَتْ خِصَالُهُ
وَمَنْ كَابِنٍ سِينَا فِي الذِّكَايَةِ أَحَالُهُ¹¹

7. الروض البائع، الفاتح، 86 ج، ص. 240.

8. اختصار يتيمة العقود الوسطى، مصدر سابق، ص. 219 - 220.

9. اختصار يتيمة العقود الوسطى، مصدر سابق، ص. 219 - 220.

10. اختصار يتيمة العقود الوسطى، مصدر سابق، ص. 219 - 220.

11. ينظر: الروض البائع، 86 ج، ص. 330، اختصار يتيمة العقود الوسطى، ص. 223 - 224.

تبيين الأبيات المادحة جملة أمور، نذكر منها:

- أ - المكانة الرفيعة التي يتمتع بها ابن شقرون عند الشيخ الشرقاوي، حيث نَحَتَهُ بـ "الخليل".
- ب - تصدر ابن شقرون في علم النحو؛ وقد أبان عن ذلك في حلقات الدرس بالزاوية، ولما أشار إلى براعته في علوم النحو أطلق عليه "البدر الدماميني"¹²، وهذا الوصف فيه ما فيه من سيمًا التفرد والتصدر في هذا العلم؛
- ج - المكانة الأدبية لابن شقرون؛ ففي الشعر يأتي بالسحر، وفي النثر لا يبارى ولا يُمَثَّل؛ وقد أثبت له مترجموه طائفة حسنة من الأشعار¹³.
- د - التفوق في الصنعة الطبية والمعرفة بالعلاج والتداوي، حتى شُبَّهَ بابن سينا.
- هـ - النباهة في العلوم، وإتقان الصنعة الفقهية والأصولية؛ فَتَعَتَهُ بـ "حافظ العصر".

الفرع الثاني: مشيخة ابن شقرون

أخذ ابن شقرون المكناسي بفاس عن جماعة من الشيوخ؛ منهم: أبو العباس أحمد ابن الحاج، أخذ عنه الربع من مختصر الشيخ خليل، وأبو عبد الله محمد القسطيني، أخذ عنه المقدمات والكبرى للشيخ السنوسي، وأبو عبد الله محمد بن المسناوي، أخذ عنه الألفية من أولها إلى آخرها، وأبو زيد عبد الرحمن بن عمران، أخذ عنه الألفية والامية لابن مالك من أولهما إلى آخرهما، وعبد السلام بن الطيب القادري، أخذ عنه نصف الألفية، والقاضي سيدي عبد الواحد أبو عنان، أخذ عنه بعض مقامات الحريري، والطبيب أبو العباس أحمد بن الطبيب أبي عبد الله محمد أدراق، أخذ عنه مسائل كثيرة في الطب¹⁴.

كما أخذ مكناسة الزيتون على جملة من العلماء منهم القاضي أبو مدين السوسي، والقاضي سعيد العميري التادلي، وأبي العباس أحمد بن يعقوب الوائلي، وأبي محمد عبد السلام البُيُجُري، والطبيب أبو إسحاق إبراهيم بن علي الطبيب الأندلسي المراكشي¹⁵.

الفرع الثالث: تلاميذه: نذكر منهم:

- 1 - محمد بن الطيب العلمي، قال في "الأنيس المطرب": "وَلَقِيْتُهُ مَسْجِدِهِ مِنْ مَكْنَأَسَةِ الرِّثْيُونِ عِنْدَ ضَرْيَحِ وَلِيِّ اللَّهِ تَعَالَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ خَضْرَاءَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَلَقَّيْتُ بَوَجهِ وَسِيمٍ؛ وَمَرَّرَ لِي مَعَهُ حَدِيثٌ أَرَوَى مِنَ التَّنْسِيمِ، ... وحضرت يوما مجلس إقرائه ... فوجدته يتكلم في التيمم"¹⁶.
- 2 - أبو القاسم العميري، ذكره في فهرسته، وحلاه بـ "الفقيه النحوي الأديب". قال: "قرأت عليه ألفية ابن مالك والأجرومية، وعليه كانت قراءتي".
- 3 - محمد الصالح بن المعطى الشرقي¹⁷. قرأ عليه كتاب ابن سينا في الطب، واستفاد منه فوائد كثيرة.
- 4 - محمد الخياط بن إبراهيم المشنزي¹⁸. "أخذ عنه أرجوزته في الطب، وذآكره في مسائل منها، واستفاد منه كثيرا"¹⁹.
- 5 - محمد العربي بن محمد البصري المكناسي، مؤلف "منحة الجبار"¹⁹. سمع عليه نظم لامية الأفعال وأماكِن من الألفية والتوضيح²⁰.

12 هو محمد بن أبي بكر بن عمر، لقب بـ "بدر الدين"، ويعرف بـ: "الدماميني". (ت. 827 هـ / 1424 هـ). وبرز في النحو، وله منها: تحفة الغريب في الكلام على معاني اللبيب، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، وإظهار التحليل المغلق، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع، ج. 7، ص. 184، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج. 2، ص. 75، (لعبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية لبنان، صيدا (د. ت)، شذرات الذهب، ج. 27، حسن المحاضرة، ج. 1، ص. 258، الأعلام، للزركلي، ج. 6، ص. 57.

13 ينظر: الأنيس المطرب، ص. 193 - 200، الوافي بالأدب العربي، ص. 822 - 828، إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 320 - 326.

14 إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 323 - 324.

15 إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 324.

16 الأنيس المطرب، ص. 196.

17 بتيمة العقود الوسطى، لمحمد بن عبد الكريم العبدوني، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 305 ك، ص. 199.

18 إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 325.

19 عنوان الكتاب: منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار.

20 منحة الجبار ونزهة الأبرار، لمحمد العربي بصري المكناسي، مخطوط محفوظ بالخرانة الحسينية بالرباط، رقم: 11286، ص. 290، إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 325.

الفرع الرابع: آثار ابن شقرون الطبية

صنف ابن شقرون المكتاسي في علم الطب مصنفاً مهمة، ضمنها بعض تجاربه في الصناعة الطبية؛ نذكر منها:
أ - النفحة الوردية في العسبة الهندية. قال عبد الله كنون في وصف هذا الكتاب: "وتأليفه هذا يدل على طول باعه في مهنته ومعرفته بعلم النبات وخصائصه، لأنه يكاد يكون مبتكراً وناسجاً على غير منوال سابق".
ب - منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير²¹.
ج - منظومة في الأيارجات، أو الأيارج: لفظ يوناني معناه المسهل، وعندما كل مُسهل يسمى الدواء الإلهي. "وأصل الأيارجات خمس، وما زاد ففُرْع"22. وقد نظمها ابن شقرون تلبية لطلب من سألته عن الأيارجات، فعرض لتعريف الأيارجات اعتماداً على المنجز الطبي القديم. وأول هذا النظم:

قُولُ بَعْدَ حَمْدِ مُذْهِبِ الضَّرَرِ	تَمَّ صَلَاتِهِ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالصَّحْبِ	وَجَزِيهِ الْمَنْصُورِ خَيْرِ حَزْبِ
سَأَلْتَنِي عَنِ الْإَيَارِجَاتِ	لَا زِلْتُ تُهْدِي سُبُلَ النِّجَاحِ
أَصُولُهُنَّ خَمْسَةٌ وَالزَّائِدُ	فَدَعُ لَهَا لِعِلْمِهَا فَوَائِدُ
أَمَّا الْإَيَارِجُ فَبِاللِّسَانِ	الْعَجَمِيِّ الْمُنْسُوبِ لِلْيُونَانِ
مَعْنَاهُ مُسَهِّلٌ يَغُوصُ فِي الْعَرَقِ	سِرُّ لَهِيِّ صَيِّغِهِ يَرُوقُ ²³

د - المنظومة الشقرونية في الأغذية وهي عبارة عن منظومة في الأغذية، أفرد فيها القول في منافع الغذاء، وطبائع كل صنف من الأصناف، وما يوافق المزاج في الفصول الأربعة، من الجبوب ومركبات الأطعمة، وما له نفع وما له أذى، والأقوات في اصطلاح أهل المغرب في الحواضر والبادي، والخضر والبقل البري والبستاني، وغالب المأكول من اللحوم، والفواكه طيِّبها ومَدْمُومِها، وما يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ، وما يَخْصُ اللحم من التوابل، والمياه؛ فبسط القول فيما يطابق قول السائل. وقد نظمها ابن شقرون نزولاً عند طلب الشيخ محمد الصالح الشرقي (ت. 1139 هـ)، الذي صاغ أسئلته في نظم دقيق، بسط مسألة الغذاء وأهميتها، وهذا مفتتح السؤال:

أَرْجُوهُ جَيِّدَةً سَنِيَّةً	قَبِدْ لَنَا فِي الطَّبِّ مَا لِلْأَغْذِيَّةِ
فَهُوَ فِي الْعَقْدِ النَّصِيْبِ أَبْهَى	مَنْ تَنْظِمُكَ الْبَلِغُ الْأَشْهَى
مِنْهَا، وَمَا يُنَاسِبُ الضَّعِيفِ	بَيِّنْ بِهِ الثَّقِيلَ وَالْحَقِيفَ
فَعِلْمُهَا عِلْمٌ عَظِيمٌ الْمُنْفَعَةُ ²⁴	أَوْ الْحَسِيمِ فِي الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ

المسلك الثاني: الأجوبة الطبية الشقرونية قراءة أولية

الفرع الأول: مخطوطة الأجوبة الطبية

تقع هذه المخطوطة في مجموع طبي كان في أبي الجعد، والمقصود إلى النسخة التي ذكرها عبد الحي الكتاني اطلع عليها في رحلته إلى زاوية أبي الجعد عام 1334 هـ. فقال: "أَوْقَفَنِي ... الْفَقِيهُ سَيِّدِي الْحَسَنُ بْنُ بَنْدَاوَدَ عَلَى كُنَاشٍ طَبِّيّ، بَخَطَ جَدَّهُ الشَّيْخُ

21 ذكره عبد الله كنون في النبوغ المغربي، ج. 1، ص. 289. (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط. 2، 1961).

22 ينظر حول الأصول والتركيبات: تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي، ج. 1، ص. 61.

23 منظومة في الأيارجات، لابن شقرون المكتاسي، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 304، ص. 141 - 142.

24 الروض البانح الفائح، للمعداني، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 86، ج. 8، ص. 332 - 333، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 13753، الصفحات 735-737.

سَيِّدِي صَالِح؛ اسْتَنْسَخَ فِيهِ أَرْجُوزَةً 25 ابْنِ سَيْنَا الطَّبِيبَةِ، وَأَرْجُوزَةً 26 ابْنِ الْخَطِيبِ 27 وَعَبَّرَهُمَا، وَهَمَّشَهُمَا بَعْضَ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ شَيْخِهِ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ، السَّيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ ابْنِ شَقْرُونَ الْمَكْنَاسِيِّ 28.

ويضم الكناش الطبي المذكور أيضا طررا "على منظومة ابن سينا، وابن الخطيب جيدة، وفوائد وتجارِب تَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ وَاسْتَعْمَلَهَا؛ لَأَنَّ سَيِّدِي صَالِحَ كَانَ كَثِيرَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ، نَسَّالَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَكَانَ كَثِيرَ الْبَحْثِ وَالسُّؤَالِ لِطِبَّاءٍ عَصَرَهُ خُصُوصًا ابْنَ شَقْرُونَ الْمَكْنَاسِيِّ، وَهُوَ كَانَ يَبْحَثُ أَذْرَاقَ 29 وَعَبَّرَهُ مِنَ الْعَجَبِ الَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ يَحْضِرُ السُّلْطَانِ 30.

تكمن قيمة هذه المخطوطة في أمور نذكر منها:

- أنها منقولة من أصل الأجوبة التي تلقاها الشيخ محمد الصالح من ابن شقرون الحكيم، والتي كانت محفوظة في خزانته؛
- أن هذا المستخرج هو بخط أحد أبناء زاوية أبي الجعد، والقصد إلى الحسن بن بنداد بن العربي بن المعطى الشرقاوي، وهو من النساخ المشهورين؛
- أن النسخة كُتِبَ للشيخ عبد الحي الكتاني.

أجاب الحكيم ابن شقرون المكناسي في الأجوبة على أسئلة الشيخ محمد الصالح الشرقي (ت. 1139 /)، شيخ زاوية أبي الجعد. وقد اخترنا لهذه المجموعة عنوانا وصفا، هو: "الأجوبة الطبية"، وهذا ينسجم مع طبيعتها وموضوعاتها وقصديتها.

وميز في هذه الرسائل بين:

- رسائل تامة، وتستوفي شروط الرسائل من حيث البناء؛ فهي إلى جانب مضمونها الأساسي المتعلق بالوصفات الطبية والتعليمات المتعلقة بها، تضمنت أمورا لها تعلق بالجانب الاجتماعي؛ من الاطمئنان على الحال، وبعث السلام إلى من له اتصال بالمرسل إليه بسبب من الأسباب، والتخيمة وما تستلزمه في تقاليد التراسل؛
- رسائل غير تامة، ونرجح أن الناسخ إما استل منها ما له تعلق بالمسألة الطبية، وإما أن هذه البطاقات هي في الأصل مختصرة، واقتصرت على ما تدعو الحاجة إليه في الجواب على سؤال السائل؛ ويمكن أن يستنتج ذلك من العبارات التدبيرية التي يقدم بها الناسخ مضمون السؤال، من قبيل: "سأله عن كذا ... فأجاب"، أو "وكتبت للشيخ مرة وقد عرض لي من وجع برأسي ... فأجاب"، أو: "وكتب لي سيدي الحاج عبد القادر ابن شقرون"، الخ.

الفرع الثاني: المعرفة الطبية لابن شقرون

تؤكد الرسائل الطبية المعرفة الواسعة لابن شقرون الحكيم، وتمكنه في العلوم الطبية التي راكمها خلال ممارسته لمهنة الطب، وهي صورة عن المعرفة الطبية في المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

ويمكن حصر بعض معالمها في التالي:

- النصائح التي قدمها ابن شقرون لمخاطبه، وهي تظهر معرفة الرجل بالعلوم الطبية سواء في التغذية، أو بعض المحاذير

25 منشورة بعنوان: الأرجوزة في الطب، بناية الدكتور جان جايي، والشيخ عبد القادر نور الدين، باريس، 1375 / 1959.

26 لعله يقصد منظومته المسماة بـ "المعلومة"؛ حيث نظمها أيام إقامته بسلا. وذكر أنها تقع في نحو ألف وستمئة بيت، وهي في معالجة السموم، وقد صرح عن الدافع إلى تأليفها بقوله: إذ تقدم قبلي من نظم في مثل هذا الغرض، وسماها: "الأرجوزة المجهولة في العلاج من الرأس إلى القدم"، قال: "وإذا أضيفت إلى رجز الرئيس علي كملت بها الصناعة كمالا لا يشينه نقص". وله أيضا أرجوزة سماها: "المعتمد في الأغذية المفردة". ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج. 1، ص. 67، 4، ص. 462، فنجح الطبيب، ج. 7، ص. 98، أزهار الرياض، ج. 1، ص. 189.

27 ترجمه: نثر الجمان، لابن الأحمر، ص. 360 - 366، نثر فرائد الجمان، ص. 242 - 292، فنجح الطبيب، ج. 5، ص. 1 - 613، أزهار الرياض، ج. 1، ص. 186 - 336، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، محمد العربي الخطابي، ج. 2، ص. 187 - 238.

28 رحلة الكتاني إلى زاوية أبي الجعد، نسخة خاصة.

29 أذراق، عبد الوهاب بن أحمد السوسي القفاسي، (ت. 1159 هـ / 1746 م)، ترجمه في: نشر المثنائي، ج. 4، ص. 53 - 55، الإعلام للمراكشي، ج. 6، ص. 541 - 543، إتحاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 400 - 407، الحياه الأدبية بالمغرب، ص. 239 - 242، معلمة المغرب، ج. 1، ص. 256 - 257.

30 رحلة الكتاني إلى زاوية أبي الجعد، نسخة خاصة.

- التي ينبغي أن يتجنبها المريض كيلا يستفحل أمر المرض؛
- المعرفة بتركيب الدواء للأمراض، أو الأعراض المعروضة عليه، والتي تخص الشيخ محمد الصالح الشرقي، أو حالات أشخاص آخرين ينتسبون إلى الشيخ المذكور استشار فيها الطبيب ابن شقرون؛
 - المعرفة بالنبات والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها، وطرق إذابتها في الوقت الصالح والأوقات المناسبة لوصفها؛ فقد كان من شروط الطبيب: "معرفة طبائع الأدوية والنبات والحبوب والأشجار والمعادن".
- ولمقاربة بعض العناصر والأسس الطبية التي انتهت إليها المعرفة الطبية عند الأستاذ ابن شقرون، يمكن استخلاص ما يلي:

أ - مراعاة الأمزجة في وصف الدواء

وهي قاعدة من القواعد الطبية عند القدماء؛ فقد حرص ابن شقرون في الوصفات والتعليقات التي قدمها لصاحبه الشرقي على مراعاة هذه القاعدة، فما وصفه للبعض لا يصلح بالضرورة لكل المرضى، قال: "وأما معجون السكّوم الذي قدينا للقاءد قبل للقاءد المَحْجُوبِ قَلَا أَوْافُكُكْ عليه؛ إذْ هُوَ كَثِيرُ الإِذْرَارِ، بَلْ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِيَبْغِضَ الْأُمُزْجَةَ الْقَابِلَةَ لِذَلِكَ".

ب - مراعاة خاصيات الأدوية

ومن القواعد الطبية التي تراعى عند أخذ الدواء مراعاة خاصيات الأدوية المركبة والمفردة، قال: "وَأَمَّا تَخْلِيْطُ الْأَدْهَانِ فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ الدَّهْنُ ضَعِيفًا، أَمَّا الْقَوِيُّ مِنْهَا كَالْأَجْرِ³¹، وَالْخَيْرِي³²، وَالْمُبَارَكِ³³، وَدُهْنِ الثُّومِ قَلَا".

ج - مراعاة ميول النفس

ومن القواعد التي تراعى حالة التداوي طلب اتساع النظر والخروج من الأماكن الضيقة، من ذلك؛ إذ لا يخفى ما للنفس مِنْ مِثَالٍ إِلَى الانبساط وحسب الاتساع، كما لا يخفى ما في قهر النفس من تأثيرات سلبية في العلاج، من ذلك توجيهه في قوله: "وَقَدْ أَحْسَنْتُ فِي تَوْسِيعَةِ الْمَكَانِ، وَلَا تَكْرَهُ أَنْ تَتَكَلَّفَ رُكُوبَ الْفَرَسِ أَوْ الْبَغْلَةِ، وَتَخْرُجَ لِتَرَى الْقَضَاءَ لِيَسْخَ نَظْرُكَ وَيَبْعُدَ؛ لِأَنَّهُ مَقْهُورٌ بِالْجَذَرَاتِ".

الفرع الثالث: تاريخ المرض في تادلا في القرن الثامن عشر

تاريخ المرض من القضايا الرئيسية التي يمكن المؤرخ من فهم الحياة اليومية للأفراد والجماعات البشرية من خلال رصد الأساليب التي سلكوها لمواجهة المرض والتخلص من آثاره الجسدية والنفسية، التي من خلالها يمكن الكشف عن الذهنيات ومستويات السلوكات الاجتماعية في أزمنة المرض، التي تتفاوت - بلا شك - عند الأفراد والمجموعات في سائر بقاع الدنيا.

وردت إشارات كثيرة في المصادر الشراقوية عن مرض الشيخ محمد الصالح الشرقي، ومعاناته الشديدة مع المرض، غير أنها لم تذكر تفصيلا عن طبيعته، أو الأمراض التي أنهكت جسمه؛ ففي الخبر الذي ذكره العبدوني³⁴ عند ترجمته، قال: "تَوَلَّاتْ عَلَى جَسَدِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْرَاضٌ كَثِيرَةٌ وَعِلَلٌ كَثِيرَةٌ".

ثم إن المعداني أورد رسالة مهمة للممّور التلمساني³⁵، فيها إشارة إلى تكليف صاحبه باقتناء دواء مُعَيَّن: "ما كَتَبْتُ لِي عَلَى

31 عن خواصه وصنعيته، ينظر: تذكرة أولي الألباب، ج. 1، ص. 38.

32 الخيري: نبات من الفصيلة السليبية، له زهر، وغلب على أصفره؛ لأنه الذي يُسَخَّرُجُ دهنه، ويدخل في الأدوية ويقال للخُرَامَى: خيري البر؛ لأنه أَرَى نبات البادية. المعجم الوسيط (الخيري).

33 يعني الدهن المبارك.

34 يتيمة العقود الوسطى، لمحمد بن عبد الكريم العبدوني، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 283 ك، ص. 81 - 82.

35 محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني، المعروف بالمنور التلمساني (ت. 1173 هـ / 1760 م). ينظر: فهرس الفهارس، ج. 2، ص. 570 - 571، معجم المؤلفين،

ج. 10، ص. 202، معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهيض، ج. 1، ص. 79.

شأنه من ذلك العَقَار، سَأَلْتُ عَنْهُ هُنَا فَلَمْ أَحْجُذْهُ، وَهَذَا أَنَا أُبْعِثُ لَهُ بِأَيِّنِي مِنَ الْبَادِيَةِ، وَأُبْعِثُهُ لَكَ مَعَ كَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِهِ ... وَبَعْدَ كُتْبِي الْإِطَاقَةَ التَّقْيِثُ مَعَ سَيِّدِي الْحَسَنِ، وَقَالَ لِي: اكْتُبْ اسْمَهُ لَعَلَّهُ يَجِدُهُ هُنَاكَ، وَاسْمُهُ جَنَاحُ الْحَدِيدَةِ، وَهُوَ مُوجُودٌ كَثِيرٌ فِي جِبَالِ الرُّيْبِ، وَفِي الْبَادِيَةِ، وَأَنَا أَعْتَنِي بِهِ، وَمَا ذَكَرْتُكَ لَكَ إِلَّا لَعَلَّكَ تَجِدُهُ بِسُهُولَةٍ³⁶.

يستفاد من النص المتقدم أمور منها:

- اهتمام الشيخ سيدي صالح بشأن الدواء من مرضه؛
- لم تفصح البطاقة عن طبيعة مرض الشيخ؛
- معرفة المسمى "سيدي الحسن" بالعقاقير، وبجغرافية النبات، وهو ما دعا الشيخ لتكليفه بإعداد العقار المذكور؛ ونظن أن الرجل المذكور ليس من أهل المغرب.
- الاستفادة من المعارف الطبية والخبرات المتحصلة عند أصحاب الشيخ.

ويستفاد من أجوبة ابن شقرون بعض العناصر الدالة على طبيعة هذه الأمراض التي كانت شديدة الوطأة على الشيخ محمد الصالح، كما أكدته المصادر المحلية؛ فضلا على أن الأجوبة الشقرونية مصدر نفيس للتعرف على تاريخ المرض عند التاديين في القرن الثامن عشر.

فعند استقراء أجوبة ابن شقرون لمحمد الصالح أن المرض الضاغط في حياته هو النقرس، فقد تردد الحديث عنه في جل الرسائل؛ ففي قوله: "كَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي مَعَ مَقَاسَاةِ الْأَسْقَامِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَمُكَابِدَةِ الْأَلَامِ الْوَارِدَةِ، ... اللَّهُ أَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ مُصَابِلَهَا لَا سِيَّمَا أَمْرٌ مَا تَجَدَّدَ مِنَ النَّفْرَسِ³⁷، فَعَلَيْكَ سَيِّدِي بِمَا عَالَجْتَنَا بِهِ بَعْضَ رُؤْسَاءِ الْوَقْتِ؛ وَهُوَ طَلِيٌّ مَوْضِعَ الْأَلَمِ بِالْأَفْيُونِ³⁸ مَخْلُوطًا بِمَحِّ الْبَيْضِ وَالرُّغْرَانِ"³⁹. ويتبين من الوصفات الطبية أن ابن شقرون اعتمد على مصدرين أساسيين، وهما: الأنطاك في كتاب "الزهوة المبهجة"، وما جرى به العمل عند أهل فاس في تدبير هذا المرض.

إن أهمية المرض والرعاية الطبية والطب في التاريخ إجمالا، والتاريخ التادلي خاصة - وما شكله المرض والجوائح في تاريخه الممتد، الذي يؤكد ثقل عبء المرض على بعض المناطق النائية. صحيح أن هذه المناطق لم تكن معزولة تماما عما يحدث من إنجازات في المجال الطبي؛ ذلك أن الحاجة إلى الدواء والتداوي كان حافزا على البحث عن الخبرات الطبية والاستفادة من مهارات وخبرات أطباء آخرين، كما شكلت مبادرات شيوخ التصوف بالقطر التادلي لتدبير المرض اعتمادا على مواردها الذاتية. كما أكدت المصادر التادلية، والتي تمثلت في جلب الأطر الطبية، وتأسيس الدرس الطبي في حلقات الدرس بها، كما تقدم، وابن شقرون المكناسي كان أحد هذه الأطر التي ساهمت في تدبير المرض بالقطر التادلي سواء أيام إقامته بزواوية أبي الجعد، أو بعدها حيث ظل الاتصال قائما للاستشارة والتعاون والاستفادة من خبرته الطبية.

لاحظ أبو علي اليوسي في محاضراته التي ابتدأها أن مدينة داي المعروفة بالصومعة في تادلا كثيرة الأمراض والوَحَم⁴⁰.

وعند استقراء أجوبة ابن شقرون، الخاصة منها والعامة، يمكننا رسم تصور أولي عن خريطة المرض في القطر التادلي؛ الشيء الذي يمكننا أولا من فهم مجمل للمجتمع، وثانيا لتبين دور التصوف ورجاله في زمن الكوارث والحوادث الوقتية؛ فشيخ زاوية أبي الجعد محمد الصالح الشرقي كان يسهر على التأمين الصحي لأسرته لأتباعه وأهل محبته.

36 الروض البائع الفائح ... للحسن بن محمد المعداني، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 86 ج. ص. 236.

37 النقرس (Gout)، وسببه ارتفاع نسبة حمض البول بالدم. ويطلق عليه: داء الملوك. قال الأنطاك (الزهوة المبهجة، ج. 3، ص. 78) في تعريف النقرس: "احتباس المادة في إيهام الرجلين أو عظام القدم كلها بحيث يكثر الألم والنخس". وخصص ابن سلوم فصلا في أمراض المفاصل والنقرس وعرق النسا. ينظر: غاية البيان في تدبير بدن الإنسان، ص. 743 - 756.

38 عن خواصه وصنعه، ينظر: ما لا يسع الطبيب جهله، لابن الكتبي، ورقة 20 ب - 21 أ.

39 قال الأنطاك في العلاج: "ابتلاع أربعين حبة عدس محصن إلى أربعين يوما، والطلاء بصفرة البيض والأفيون". الزهوة المبهجة في تشخيص الأذهان، لداود الأنطاك، ج. 3، ص. 79، ذيل التذكرة، لبعض تلاميذ الشيخ داود الأنطاك، ج. 1، ص. 17.

40 المحاضرات، لأبي علي اليوسي، ج. 1، ص. 340. (طبعة دار الغرب الإسلامي).

ونقدم من خلال أجوبة ابن شقرون تصنيفاً أولياً لحالات المرض التي عُرضت عليه من قبل الشيخ الشرقي، وهو كالشكل التالي:

- 1 - أمراض الرأس؛
- 2 - أمراض العين وعللها الحادثة (القرنية، الجَسَّ، أمراض الجفن الخاصة كالجرب، والتجرب، والشعيرة، والبياض، وما إلى ذلك مما يصيب العين)؛
- 3 - أمراض الأذن والأنف والأسنان؛
- 4 - أمراض الرئة (الربو، أصناف السل، وأصناف النفث، علامات ذات الجنب، وذات الرئة، وذات الصدر، وغيرها).
- 5 - أمراض المريء والمعدة وعللها،
- 6 - أمراض الثدي والقلب والكبد والطحال وتوابعها؛
- 7 - أمراض الأمعاء؛
- 8 - أمراض الرحم والحمل وما يتعلق بها.
- 9 - علل البواسير والمُفْعَدَة والأعراض والأسباب والأنواع والعلاجات والأدوية المسكنة والضماضات والمراهم.
- 10 - أمراض المفاصل والقرس وعِزْق النَّسَا.

وإن الدراسة التفصيلية للأجوبة الشقرونية كفيّلة بالكشف عن بعض مناحي التفكير الطبي عند أهل تادلا، وما كان لهذه الأجوبة من أهمية في التعرف على جانب من انتقال الأفكار والتجارب الطبية، والتلاقح الذي تَمَّ بين الحاضرة والبادية المغربية؛ فمحمد الصالح الشرقي المذكور كانت له مكتبة طبية مهمة، وأغلب كتبه عليها طرر مهمة، كما أنه ألف في الطب، من ذلك منظومته التي نظم في صفة كحل لدواء العينين، منسوب لسيدي محمد بن سعيد المرغوثي السوسي.

الفرع الرابع: مصادر ابن شقرون في الأجوبة الطبية

صرح ابن شقرون ببعض المصادر التي كانت مصدر معلوماته؛ فقد كان صاحب الأجوبة يستحضر في ذهنه مخاطبةً الذي كانت له معرفة بالعلوم الطبية، وله اطلاع على المكتبة الطبية. فما هي المصادر التي وردت في الرسائل؟

إن أغلب المصادر التي حصرتها من خلال استقراء أجوبة ابن شقرون كلها متخصصة في علم الطب، وكانت معتمدة عند أهل الفن من المغاربة وغيرهم، منها:

- 1 - المقالات، للرازي، أبي بكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكْرِيَا (ت. 311 هـ / 923 م).
- 2 - القانون في الطب، للرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا (ت. 427 / 1037).
- 3 - الأروجزة في الطب، للرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا، ونقل منها في موضعين؛ وهما: الأول: في شأن اللباس وخاصياته، وهما:

وَالْبَرْدُ فِي الْمَصْفُورِ⁴¹ وَالْكَثَانُ^{**} الْحَرُّ فِي الْحَرِّ وَالْحَرُّ فِي الْأَوْثَارِ وَالْأَقْطَانِ وَالْأَصْوَابِ
لَكِنَّ فِيهَا الشَّيْءَ مِنْ جَفَافٍ⁴²

الثاني: عن الألائق بدم البواسير وعلاجها، قال: "وَكَتَبَ لِي الشَّيْخُ، رضي الله عنه: الألائق يَدَمُ الْبَوَاسِيرِ أَقْرَاضُ الْكَهْرَبَاتِ⁴³، قَالَ فِي الْأَرْجُوزَةِ:

41 مصقول الكساء: تركيب ورد في المعاجم يحمل مدلول ملحفة تحت الكساء حمراء. ينظر: تاج العروس (مادة صقل)، محيط المحيط، ص. 514، تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ج. 6، ص. 59.

42 الأرجوزة في الطب، للرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا، ص. 21 - 22. (اعتنى بنشر نصها العربي ونص ترجمتها جان جايبي، والشيخ عبد القادر نور الدين، باريس، 1375 - 1956).

43 كهريا: فارسي؛ معناه: كاه ربا؛ أي سالب التين. ينظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم، لابن الحشاء، ص. 65، الجامع لمفردات الأدوية، ج. 4، ص. 88 - 89، تذكرة أولي الألباب، ج. 1، ص. 260، غاية البيان، ص. 250. قال الأنطائي: "وهو صمغ أصفر إلى حمرة يسيرة، صاف براق، والأبيض منه رديء هو يجلب من داخل الكفا من نحو بلاد جرجس من شجر من جبالها، قيل هو الجوز، ومنه مغربي ومشرقي، وأجوده النقي الرافع للتين إذا حك، ويشاركه السندروس في ذلك".

فَلْتَسْقِهْ أَفْرِصَةً مِنْ كَهْرَبَا⁴⁴ إِنَّ سَالَ مِنْهَا زَائِدٌ مِنَ اللَّيْمَا

- 4 - الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، لابن جُمَيْع، هبة الله بن زين بن حسين بن إفرائيم (ت. 594 / 1198)، وهو كتاب نفيس في الصناعة الطبية، اعتمد عليه ابن شقرون في تركيب بعض الأدوية، مثل تركيب حب السُّورْتَجَان⁴⁵.
- 5 - ما لا يسع الطبيب جهله، لابن الكتبي، يوسف بن إسماعيل (ت. 754 / 1353).
- 6 - تذكرة أولي الأبواب، للأنطاكي، داود بن عمر (ت. 1008 / 1599). ويدل على ذلك قوله: "ذكره في التذكرة".
- 7 - النزهة المبهجة في تشييد الأذهان، للأنطاكي، داود بن عمر (ت. 1008 / 1599). يدل على ذلك قوله: "قال في النزهة".
- 8 - المصاييح السننية في طب البرية، للقيلي، أحمد بن أحمد بن سلامة (ت. 1069 هـ / 1659). يقول ابن شقرون: "وَهَا نَحْنُ رَكِبْنَا الْمُعْجُونَ الْمُنْسُوبَ لِلْقَيْلَوِيِّ"⁴⁷.
- 9 - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَدْيَنَ، وهو شيخ ابن شقرون، حيث ذكر فتواه في استعمال دهن الثعلب؛ حيث مَسَّتُ الحاجة أحيانا إلى النظر الشرعي في استعمال بعض الأدوية، وهذا أمر واضح في الرسائل، وهذا دليل على ضرورة المعرفة الفقهية للطبيب.
- 10 - بَا مَرَجَانُ الصَّغِيرِ، يفهم من كلام ابن شقرون أن الرجل عارف بالصناعة الطبية، وله تقييدات في الفوائد الطبية.
- 11 - عبد الوهاب بن أحمد أدراق الفاسي⁴⁸ (ت. 1159 / 1746). كان يستشير في بعض المشكلات الطبية، ووصفه بـ: "الشيخ الماهر". قال "فَعَمَدَاتُ إِلَى مَذَاكِرَةِ الشَّيْخِ الْمَاهِرِ، السَّيِّدِ عَبْدِ الْوَهَّابِ آدَرَأَقِي".

وقد تأكد من أجوبة ابن شقرون أنه كان ينقل آراء الأطباء في المسألة الواحدة، ولا يكتفي بالرأي الواحد فيها، ومن أمثلة ذلك؛ قال: "وَزَعَمَ فِي الْإِشْدَادِ، لِابْنِ جُمَيْعٍ، وَفِي التَّذَكِرَةِ، لِلْأَنْطَاكِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْرَاصَ تَمْسِكُ الدَّمَ مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ. وَهَذَا أَنَا قَدْ رَكِبْتُهَا لَكُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي".

خلاصات عامة

تمثل الأجوبة الطبية للحكيم ابن شقرون المكناسي مصدرا نفيسا لتاريخ الفكر الطبي في المغرب خلال القرن 18 م، ويمكن أن نلخص أهم الأفكار التي استخلصناها من خلال قراءة أولية، أهمها:

- 1 - العلاجات التي وصفها ابن شقرون - في مجملها - إنما هي خلاصة ما انتهى إليه الطب العربي المستقى من الأصول التي اعتمدها المشتغلون بالصناعة الطبية والصيدلة. وقد استطعنا أن نكشف بعض الأدوية الطبيعية التي طورها الطب العربي التقليدي، فضلا عن الطب المغربي، وهذا الانتقال الذي تَمَّ على هذا المستوى يؤكد أصالة الطب المغربي خلال هذه الفترة.
- 2 - شكلت الأجوبة الطبية مصدرا مهما لأسماء النبات في المغرب الأقصى، كفيلا بأن يقرب هذه المعرفة لمعاصريه وذلك بذكر أسماء النبات في اللسان الدارج عند المغاربة، كما ذكر أسماءها أحيانا في اللسان الأمازيغي (الخروج - الكرنك - أوريوور).
- 3 - من مستلزمات الصناعة الطبية المعرفة بتوقيت النبات وأزمته، قال ابن شقرون: "قلت: "ما هذا وَقْتُ تَمَرِ الْخَرْوَعِ"، وقال: "أَمَّا دَهْنُ الْبَابُونِجِ عَلَى مَا نَحْتَارُ مِنْ صَنْعَتِهِ، فَقَدْ تَعَدَّرَ لَقَدْ تَوَرَّهَ الْآنَ، وَلَقَدْ الشَّمْسُ الْكَافِيَةَ لِطَبَخِهِ، وَقَدْ قَرَّبَ طُلُوعُ نَوْرِهِ".

44 - الأروجة في الطب، لابن سينا، ص. 71.

45 - اسم العلمي هو: saffron - Meadow - Colchique Liliaceae - (F). Colchicum autumnale. . نرجس الخريف، سورنجان الخريف، وتطلق عليه أسماء كثيرة. وهو عشبة معمرة بصلية برية من عائلة الزنبقيات البليوس. وينظر: غاية البيان، ص. 318، تذكرة أولي الأبواب، لداود الأنطاكي، ج. 1، ص. 192.

46 - شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة (ت. 1069 هـ / 1659). ينظر: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الوريثانية)، ص. 254، خلاصة الأثر، ج. 1، ص. 175، أعلام الزركلي، ج. 1، ص. 92، معجم كحالة، ج. 1، ص. 148.

47 - المصاييح السننية في طب البرية (خ)، لشهاب الدين أحمد بن أحمد القيلي، ص. 9.

48 - أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد أدراق الفاسي (ت. 1159 هـ / 1746 م). ينظر: مؤرخو الشرفا، ص. 310 - 311، إتصاف أعلام الناس، ج. 5، ص. 400 - 407، الطب والأطباء بالمغرب، لرين، نشرة الدراسات الشرقية، 3، 1937، ص. 99 - 106، تاريخ الشعر والشعراء، للنميشي، ص. 79، تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى، للكانوني، ص. 82 - 83، الحياة الأدبية في المغرب، لمحمد الأخضر، ص. 239 - 242.

4 - تقدم لنا الأجوبة الطبية أجوبة كثيرة عن تاريخ المرض في القطر التادلي، وإن دراسة متخصصة لهذه الأجوبة من شأنها أن تسفر عن صفحة من تاريخ الطب بالمغرب في القرن 18 م.

5 - إن الكشف عن هذا الرصيد الطبي للحكيم ابن شقرون سيميط اللثام عن بعض جزئيات ما جرى به العمل في الطب بالمغرب في القرن 18 م، خاصة أن الأمر يتعلق بطبيب كان في خدمة الدار العالية في العصر الإسماعيلي.

حسب هذه القراءة السريعة للأجوبة الطبية للحكيم ابن شقرون المكتاسي أنها كشفت بعض عناصر الفكر الطبي بالمغرب في القرن 18 م التي لا شك ستكون ذات أهمية في تعريف الممارسة الطبية لابن شقرون وأهميتها في انتقال هذه المعرفة الطبية.

المصادر والمراجع

- إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن ابن زيدان العلوي، المطبعة الوطنية، الرباط، ط. 1، 1349 / 1930 - 1932 / 1933.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393 هـ.
- اختصار بيمية العقود الوسطى، للمكي بن محمد المعطى الشرقي، تقديم وتحقيق رشيد بنعجيبة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 1، 1441 / 2020.
- الأروجة في الطب، للرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا، بعناية الدكتور جان جايي، والشيخ عبد القادر نور الدين، باريس، 1375 / 1959.
- الأروجة الشقرونية في الأغذية، لعبد القادر ابن شقرون المكتاسي، تحقيق بدر التازي، الهيئة المصرية للكتاب، 1984.
- الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، لابن جُميع، هبة الله بن زين بن حسين بن إفرانيم، مخطوط خاص.
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 15، 2002.
- الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام، للعباس ابن إبراهيم السملالي المراكشي، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط. 2، 1414 / 1993.
- النقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أعيان القرن الحادي عشر، لجعفر ابن السيد حسن البرزنجي المدني، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2018.
- تاريخ الطب العربي بالمغرب، لمحمد بن أحمد الكانوني العبدلي، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 13840.
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، لعبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، المعروف بابن البيطار، مكتبة المثنى، بغداد، 1291 هـ.
- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، لأبي القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الوزير، تحقيق العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، (1075 - 1311 / 1664 - 1894)، لمحمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط. 1، 1977.
- رحلة الكتاني إلى زاوية أبي الجعد، نسخة مخطوطة (خزانة خاصة).
- الروض اليناع الفائح في مناقب سيدي محمد المدعو بالصالح، للحسن بن محمد الهداجي المعداني، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 86 ج.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350 - 1351.
- الضوء الالامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1353 / 1355.
- الطب والأطباء بالمغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل، لرينو، صحيفة معهد الدراسات الشرقية، 3 / 1937.
- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، لمحمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- غاية البيان في تدبير بدن الإنسان، لابن سلوم، دار الملايين للنشر والتوزيع، 2013.

- القانون في الطب، للرئيس الحسين بن عبد الله ابن سينا، مكتبة المثنى، بغداد، عن طبعة بولاق، مصر، 1294 هـ.
- ما لا يسع الطبيب جهله، ليوسف بن إسماعيل الخويي بن الكبير الكتبي، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 2628.
- تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1302 هـ.
- المحاضرات، لأبي علي اليوسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2، 1400 / 1980.
- مفيد العلوم ومبيد الهموم، لابن الحشاء، منشورات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، جورج، س كولان - ج. رنو، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.
- منحة الجبار ونزهة الأبرار في ذكر الأقطاب الأولياء الأشراف والعلماء الأخيار، لمحمد العربي بن محمد البصري المكناسي، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم: 11564.
- منظومة في الأيارجات، لعبد القادر ابن شقرون المكناسي، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 304.
- النبوغ المغربي، لعبد الله كنون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط. 2، 1961.
- النزهة المبهجة في تشييد الأذهان، لداود الأنطاكي، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1302 هـ.
- النفحة الوردية في العشب الهندية، لعبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي، نسخة الخزانة الحسنية رقم: 14001.
- يتيمة العقود الوسطى في مناقب سيدي محمد المعطى، لمحمد بن عبد الكريم العبدوني، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، بالرباط، مسجل تحت رقم: 305 ك.

المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي

جوانب من التراث الطبي المخطوط بالصحراء من خلال مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي

د. محمد الصافي

أستاذ التعليم العالي تخصص التاريخ المعاصر

مختبر المغرب في إفريقيا: التاريخ والذاكرة والمحيط الدولي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير

مقدمة

يعتبر التراث المخطوط أحد روافد الحضارة العربية الإسلامية، على اعتباره الأداة الأساسية لنقل معارف وأخبار الأولين، لذلك صُنّف المخطوط من بين أهم المصادر المعتمدة في العلوم الإنسانية بصفة عامة، وقد شملت مواضيع المخطوط مجالات الأدب والتاريخ والسير والحساب والطب وغيرها من العلوم والفنون. وتبدو الحاجة ماسة اليوم إلى نفّس الغبار على كنوز وذخائر التراث الطبي المخطوط، وذلك لما يشتمل عليه من علوم ومعارف، من شأنها خدمة الطلاب والباحثين في أعمالهم البحثية من جهة، وحفظ وصيانة هذا الموروث الثقافي المادي من جهة ثانية.

وقد اهتم العرب والمسلمون قديما بالعلوم والتدوين وتركوا تراثا حضاريا ثريا من المخطوطات من حيث العدد والتنوع، ورغم أهميتها العلمية والثقافية كمراجع تاريخية في مختلف العلوم، إلا أنها لم تحظى في موطنها الأصلية بالاهتمام والحفظ وهو ما جعلها اليوم موزعة في العديد من المكتبات عبر العالم. فعديدة هي المخطوطات الإسلامية العربية التي نقلت من موطنها الأصلية إلى دول أخرى لأسباب مختلفة منها السرقة والنهب للمتاجرة بها بطرق غير شرعية، أو عبر الاستيلاء عليها أثناء الحروب والاستعمار، فكان مآل بعضها أن تحفظ حفظا يليق بمكانتها الثقافية والتاريخية الهامة، والبعض الآخر أتلّف وأهمل لتضيع معه صفحات من التاريخ.

وارتباطا بذلك يكتسي الطب التقليدي مكانة هامة في المجتمعات الصحراوية قديما وحديثا، وهذا راجع إلى غياب المرافق الصحية من جهة، وطبيعة تلك المجتمعات البدوية التي كانت ترى في الأعشاب والعقاقير أحسن علاج للأسقام والأمراض من جهة أخرى، وعلى مر العصور عرفت المناطق الصحراوية أطباء لهم أقدام راسخة في التطبيق التقليدي، وانتشرت وصفاتهم الطبية في مختلف الجهات، وشملت اختصاصاتهم عددا كبيرا من الأمراض التي انتشرت بين السكان آنذاك.

وبعد مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت1096هـ/1685م) أحد أهم وأشهر كتب الطب الشعبي في الصحراء، ومصدرا أساسيا في الطب بغرب إفريقيا وخاصة بين سكان المناطق الصحراوية، حيث يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي وهو القرن الذي عاش فيه صاحب

المخطوط. ينتمي صاحبه إلى العائلة الكنتية العريقة التي اشتهرت بعلمائها ومصلحيها، كما أن الكثير من أفرادها مارسوا مهنة الطب وكانت متوارثة بينهم.

يضم المخطوط خمسمائة وستة لوحات وتوجد نسخة منه مكتبة ماما حيدرة بمالي، وهو مقسم إلى أربعة فصول، جمع فيه الشيخ أحمد الكنتي تجربته وتجربة قبيلته في علاج الكثير من الأمراض المعروفة في الصحراء، وفيه ذكر للنباتات والمعادن وفوائدها، بالإضافة إلى الكثير من الصفات الروحية لعلاج الأمراض النفسية: كالوسواس، والقلق، والجن وغيرها، وكذا حكم وأمثال في الصحة واجتناب الأمراض، وختم مخطوطه بالحديث عن العين وكيفية التعوذ منها.

تسعى هذه الدراسة البحثية إلى محاولة الوقوف عند جوانب من التراث الطبي المخطوط بالصحراء وطبيعة الأوضاع الصحية بالمنطقة خلال القرن 11هـ/17م من خلال مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي، من خلال طرح الإشكال التالي:

ما أهمية مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي بوصفه أهودجا للمخطوطات الطبية في خزائن غرب إفريقيا؟ وما قيمة المعلومات التاريخية التي تضمنها بخصوص التراث الطبي بالصحراء؟

وبالنسبة لمناهج الدراسة في اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي حاولنا من خلاله الوقوف عند جوانب من سيرة قبيلة كنتة وكذا التعريف بمؤلف المخطوط وعائلته، واعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي التحليلي انطلاقا من إجراء دراسة وصفية للمخطوط تسعى إلى إثبات عنوان المخطوط وإثبات صحة نسبه إلى صاحبه وتاريخه وأهم محتوياته، وكذا التعرف على ما يكتنزه هذا المخطوط من معارف وأهميته وقيمه العلمية من حيث المعلومات التي تضمنها.

أولا: نظرة تاريخية على خزائن التراث المخطوط بغرب إفريقيا

1- مراكز انتشار المخطوطات التراثية في غرب إفريقيا:

لا يمكن الحديث عن المخطوطات العربية في إفريقيا دون التطرق إلى المخطوطات الموجودة في مالي وخاصة في مدينة تمبوكتو التي تحتوي على مجموعة تقدر بعشرة آلاف مخطوط، أكثرها بالعربية وأخرى باللغات المحلية، وهي التي يطلق عليها اسم المخطوطات العجمية، ولا يستطيع الباحث بهذه العجالة إلقاء الضوء على جميع المخطوطات في مالي، ولا بيان عددها بشكل محدد لكثرتها، ولأنها أيضا محاطة بالأسطورة. هذا وتزخر كثير من دول غرب إفريقيا بكميات هائلة من المخطوطات التراثية المكتوبة بالحرف العربي أبرزها موريتانيا، نيجيريا، النيجر، مالي، السنغال، بوركينا فاسو وغينيا. تضم ما يقارب خمسة ملايين من المخطوطات¹، ففي مالي وحدها يبلغ عدد المكتبات الخاصة التي بها المخطوطات قرابة 120، منها 22 يبلغ ما بها مجتمعة مليون مخطوط. وفي ما يلي تعريف موجز بأهم المكتبات المتواجدة بمالي:

• **مكتبة ماما حيدرة التذكارية:** من أشهر المكتبات العائلية التي تقع في الجنوب الشرقي لمدينة تمبوكتو، افتتحت رسميا للزوار سنة 2000م، وقد تم إنشاء المكتبة على يد عبد القادر حيدرة وهو موظف سابق في مركز أحمد بابا، فبعد مغادرته المركز كرس عبد القادر جل وقته وطاقته في جمع مخطوطات عائلته والحفاظ عليها، كما نجح أيضا بإقامة مكتبة ماما حيدرة

1 غيث أحمد مطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر للميلاد، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004، ص. 54.

2 عبد الرشيد محمود مقدم، "وضع المخطوطات العربية في بعض المكتبات العامة في نيجيريا: مشكلات وحلول"، المجلة العلمية للغة والثقافة، المجلد 7، العدد 1، يونيو 2022، ص. 142.

التذكارية التي كانت الأولى من نوعها في مالي، فهي تحتضن اليوم أكثر من تسعة آلاف (9000) مادة مطبوعة، يعود أقدم مخطوطاتها إلى القرن التاسع الهجري، ظلت عائلة حيدرة تتوارث هذه المخطوطات منذ ما قبل القرن السادس عشر الميلادي.

وتشتهر عائلة حيدرة بعلمائها وقضاها، إذ لم يكن والد عبد القادر ماما حيدرة قاضيا فحسب، بل عالما يدرس العلوم الإسلامية الكلاسيكية مثل الفقه وقواعد اللغة العربية، ويعود تاريخ مكتبته الشخصية إلى القرن السادس عشر كواحدة من أكبر وأقدم المجموعات في المدينة.

جاء تأسيس مكتبة ماما حيدرة في الأصل على يد سلفه محمد المولود وتناقلتها من بعده الأجيال التي تلت، وساهم ماما حيدرة بدوره بإضافة هامة إلى المجموعة من خلال شراء المخطوطات أثناء دراسته في مصر والسودان، كما تتلمذ ماما حيدرة على يد العلماء المحليين في مراكز التعلم الموجودة في القرية مثل "أروان" و"بوجيها"، حيث قام بشراء بعض المخطوطات هناك أيضا، على أن جل محتويات مكتبته في تمبكتو تعود إلى مجموعة العائلة الموجودة في قرية بامبا.

ولم تقتصر جهود ماما حيدرة على تنسيق وحفظ المخطوطات، إذ أقام أيضا علاقات تعاونية مع مكتبات المخطوطات الأخرى الموجودة في المنطقة، الأمر الذي سهل عملية التبادل والبحث، وبوفاة ماما حيدرة عام 1981 لم يقتصر إرثه على ما خلفه لابنه عبد القادر، بل رحل تاركا ورائه شغفا بالمخطوطات وطرقا تعليمية بسبل فهرستها والحفاظ عليها.

• **مكتبة أحمد بابا:** أسست حكومة مالي مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية، أو كما يقال "سيدراب" اختصارا باللغة بالفرنسية في تمبكتو عام 1973، وتعود نشأة المركز أصلا إلى الاجتماع الذي عقدته منظمة اليونسكو عام 1967 في تمبكتو لتخطيط عدد من مجلدات اليونسكو عن تاريخ إفريقيا، وفي نهاية الاجتماع تم الخروج بقرار يدعو حكومة مالي لإنشاء مركز للحفاظ على المخطوطات العربية في تمبكتو، وتم تشييد هذا المركز في المقام الأول بتمويل من دولة الكويت، حيث بدأ المركز أعماله على الفور في جمع المخطوطات.

ويضم مركز أحمد بابا حاليا حوالي 30 ألف مخطوطة تم جمعها بفضل جهود بعض الأشخاص البارزين بما فيهم الدكتور محمود الزير أول مدير للمركز، وعبد القادر حيدرة الذي بدأ العمل بمركز أحمد بابا قبل إنشاء مكتبة عائلته الخاصة، ولازالت كمية المخطوطات الحالية قليلة مقارنة بالعدد المقدر وجوده في المنطقة، وقد نشرت بالفعل مؤسسة "الفرقان للتراث الإسلامي" دليل غير مكتمل حتى الآن يضم حوالي 9000 مخطوطة من مجموعة مركز أحمد بابا بتمبكتو.³

تمكّن مركز أحمد بابا في الفترة ما بين 1973 و1984 من الحصول على 3500 مخطوطة فقط، وعندما انضم عبد القادر للمركز عام 1984 وبفضل قدرته ونفوذ عائلته، تولى مهمة جمع المزيد من المخطوطات، حيث بدأ بحثه في تمبكتو وتمكّن رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته من الاتصال مع أفراد العائلة وشراء ما استطاع شراؤه، إذ دفع في بعض الأحيان مبلغ 200 دولار لقاء مخطوطة من صفحة واحدة ومبلغ 300 دولار في أحيان أخرى لقاء مخطوطة كاملة. وكانت قيمة المخطوطات متنوعة، إلا أن المخطوطات التاريخية منها كانت الأكثر قيمة بشكل عام تليها المخطوطات المزخرفة، والأعمال الكاملة القديمة جدا، وبعدها أعمال المفكرين والعلماء المحليين، والمراسلات التاريخية والسياسية، وأخيرا المخطوطات غير المؤرخة والمجهولة.⁴

وامتد البحث عن المخطوطات ليشمل المناطق المحيطة بتمبكتو في الفترة الممتدة بين عامي 1984 و1987، وبذل عبد القادر جهودا كبيرة للتكيف مع متطلبات أصحاب المخطوطات، حيث اضطر أحيانا لمقايضة المخطوطات بالدواجن والمواشي لأنها كانت ذات قيمة أكبر من المال بالنسبة للبعض. وعليه فقد حقق عبد القادر نجاحا هائلا في بعض القرى، حيث تمكّن في بعض الحالات من جمع ألفي مخطوط من قرية واحدة فقط. وكان مصدر المخطوطات الموجودة في مركز أحمد بابا يعود لجميع أنحاء مالي

3 مجموعة من المكتبيين، فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبكتو، تحرير عبد المحسن العباس، مؤسسة الفران للتراث الإسلامي، لندن، 1997، ص. 145.

4 يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001، ص. 190.

ليصل إلى موريتانيا وبوركينا فاسو والسنغال وغينيا والنيجر والجزائر وساحل العاج، وكانت جهود عبد القادر الهائلة عاملاً أساسياً في الحصول على 16 ألف مخطوطة للمركز بين عامي 1984 و2002.

• **مكتبة فوندو كعتي:** افتتحت مكتبة تمبكتو الأندلسية التي يشار إليها باسم "فوندو كعتي" يوم 27 شتنبر 2003 بتمويل سخي من الحكومة الإسبانية نظراً للعلاقات التي تربط آل الكعتي مؤسسي المكتبة مع إسبانيا، وتأسست المكتبة على يد إسماعيل دياي حيدرة وهو من سلالة محمود كعتي مؤرخ تمبكتو المشهور بكتابه "تاريخ الفتاش".

يُدعى إسماعيل أن عائلته من جهة الأب تنحدر من سلالة "رودريكيه القوطي" وهو حاكم إسبانيا المسيحي الذي وصل في عهده العرب بقيادة طارق بن زياد إلى البلاد، وانقسم حينها القادة المسيحيين في مواقفهم حول الترحيب أو معارضة مجيء العرب، ويشرح إسماعيل دياي أن أجداده رحبوا بالعرب وكانوا من أوائل من اعتنقوا الإسلام. وبالنسبة لرحل أجداده عن الأندلس عقب سقوط قرطبة بيد الإسبان من جديد حوالي عام 1460، واستقر جده الأكبر علي بن زياد في قرية جومبو على الحدود بين موريتانيا ومالي، وتزوج علي بن زياد خديجة شقيقة حاكم قبيلة "السنغاي" أسكيا محمد، وبهذه الطريقة اختلطت الأنساب الإسبانية والعربية والإفريقية واستقرت في تمبكتو.⁵

تضم المكتبة مجموعة المخطوطات ومكتب إسماعيل دياي حيدرة، بالإضافة إلى قاعة عرض ومرافق سكنية للزوار من الباحثين، وتم تجميع مخطوطات إسماعيل من مختلف فروع أسرة الكعتي، ويسعى كذلك لجمع المخطوطات التي تتناول جذوره الإنسانية وتركز بشكل رئيسي على الأعمال التي كتبها وعلماء عشيرته. كما تضم مجموعة إسماعيل نحو 7000 مخطوطة تتم حالياً فهرستها بالشكل الصحيح، كما أن هذه المخطوطات مرتبة زمنياً، يعود أقدمها وهي مخطوطة قرآنية إلى القرن الخامس عشر وهي من أملاك جده الأكبر علي بن زياد.

• **مكتبة وانكارى:** تم الافتتاح الرسمي لمكتبة وانكارى للمخطوطات في 26 شتنبر 2003، ويشرف عليها المختار بن يحيى مختار الوانكارى، تتكون المكتبة مما يقارب 3000 مخطوطة تعتمد على المكتبة الأصلية للشيخ محمد بغيغ، وهو شيخ وفقهيه متميز من القرن السادس عشر أصله من بلدة جن⁶.

تحتوي هذه المجموعة على أعمال عديدة لعلماء من السودان والمغرب، وتتألف أقدم وثيقة من أقسام منسوخة من القرآن تعود إلى عام 1695، وبالإضافة إلى النصوص الدينية تحتوي المكتبة على بعض الوثائق التاريخية الهامة. وقد تأسست المكتبة في وقت ما بين استقرار الشيخ بغيغ الوانكارى في تمبكتو ووفاته عام 1594، وعلى الرغم من محافظة نجل الشيخ وما تبعه من أجيال على المكتبة إلا أنها انحلت مع مرور الوقت، فتناثرت المخطوطات بين مختلف أفراد الأسرة في جن⁷ وجندام وتمبكتو.

وقمت محاولة شاملة لجمع هذه المخطوطات من خلال الجهود التي يبذلها المختار بن يحيى الوانكارى ابتداء بالبحوث التي تنطوي على الشهادات الشفوية والوثائق الخطية الأولية، وصولاً إلى عقد اجتماعات مع جميع أفراد العائلة، الأمر الذي انتهى بإعادة إحياء مكتبة الشيخ محمد بغيغ من جديد.

• **مكتبة محمد طاهر:** تعد مكتبة محمد الطاهر من أبرز المناهل العلمية منذ إنشائها في "أروان" خلال القرن الثامن عشر على يد عمه "سيدي طالين" المعروف بطالين حالياً، ثم تحولت إلى تمبكتو بإشراف من الشيخ محمد الطاهر بنفسه، وقد تجمع في هذه المكتبة أعداد ضخمة من الكتب والمخطوطات القديمة في مختلف المجالات وبمختلف أنواع الخط، كما اكتسبت شهرة عالية لانتمائها لشخصية العلامة محمد الطاهر، ولكثرة تلاميذه الذين لم نزل نرى منهم ومن أبنائهم وجوها داخل مالي وخارجها. وبهذه المكتبة أكثر من ألفين وسبعمئة (2700) مخطوط، مكدسة بعضها فوق بعض داخل صناديق وأوعية معدنية.

5 محمد البرتلي، فتح الشكوك في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد جحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص. 45.

6 عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مكتبة هوداس، باريس، 1964، ص. 221.

• مكتبة الإمام السيوطي: تم افتتاحها سنة 2004، تحتوي على مخطوطات قيمة يعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر، لكن بها نسخة نادرة جدا من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر، سطورها المضيئة مكتوبة بمادة الذهب الخالص. كما تضم المكتبة مخطوطا نادرا في علم الفلك يشرح حالة الخسوف والكسوف، وحركة دوران الأرض حول الشمس، إلى جانب مخطوطات أخرى تتناول الرياضيات والتاريخ والطب والفلسفة وغيرها⁷.

ولا تزال هذه الخزانات تلعب دورها المهم فيما يتعلق بصيانة المخطوطات الإفريقية وكذا التعريف بها، علاوة على تصنيفها وحفظها في أماكن مناسبة وحوامل ملائمة. أما فيما يخص المحتوى العلمي للمخطوطات العربية التي تضمها هذه المجموعات والخزانات فينقسم إلى⁸:

- مصاحف مخطوطة بعضها كامل وبعضها ناقص، وكتب بخط مغربي
- العلوم الشرعية: تشمل: التفسير، علوم القرآن، أصول الدين، أصول الفقه، الأذكار، السياسة الشرعية...
- اللغة العربية وآدابها: تشمل النحو والصرف والبلاغة والشعر والعروض.
- العلوم الاجتماعية: تشمل السيرة النبوية والتاريخ والتراجم والأنساب.
- مخطوطات علمية خصوصا في علم الطب وعلم الفلك.
- مخطوطات في التصوف.

ويعد مركز أحمد بابا من أهم المراكز التي تعتني بالمخطوطات هناك، وقد ساهمت منظمة اليونسكو في الحفاظ على مخطوطات مالي، وقامت جنوب إفريقيا ببناء المركز الجديد الذي يحتوي على المخطوطات في المركز، أما مكتبة ماما حيدرة التذكارية فإنها تحتوي على آلاف من المخطوطات، تم فهرسة الجزء الكبير منها بالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وقام مركز جمعة الماجد بدمبي بتزويد المكتبة بأحدث الأجهزة للترميم ورقمنة المخطوطات كما فعلت لبعض مراكز المخطوطات في العالم.

2 - أهمية التراث المخطوط بغرب إفريقيا:

لقد ازدهرت الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا وبلغت درجة عالية من الرقي والانتشار، وكان من آثار ذلك الازدهار ما ترك لنا أجدادنا من تراث مخطوط يمثل قمة الحضارة والرقي، وما يزال حبيس المكتبات ولم ينشر منه إلا اليسير رغم أنه يواجه مخاطر كبيرة. وتعتبر مدينة تمبوكتو المالية أهم مركز للمخطوطات العربية في إفريقيا غرب الصحراء، حيث يقدر أن مكتباتها تضم حوالي مائة وثمانين ألف مخطوط، أقل من عشرة في المائة منها تمت فهرستها وأكثر من خمسين في المائة مازالت مخزنة في ظروف بالغة الخطورة، ولما كانت هذه المخطوطات تمثل مظهرا من مظاهر الإشعاع الثقافي والحضاري العربي الإسلامي وكان العالم العربي الإسلامي منشغلا عنها إلا في حالات نادرة، كان السباق محموما في الغرب من أجل تحقيقها ونشرها على شبكة الأنترنت، حتى إذا التفت العرب والمسلمون إلى تراثهم المخطوط إذا بالغرب قد سبقهم فحاز الشرف وقصب السبق ونال حق الافتخار بنشر التراث الثقافي للعرب والمسلمين.

إن أهمية مخطوطات منطقة غرب إفريقيا ترجع إلى أن الدراسات والبحوث الميدانية أثبتت أن هذه المنطقة تعد من أغنى المناطق في غرب القارة بالمخطوطات العربية القيمة، وقد ذكر بعض المهتمين بهذا الحقل أنها تتجاوز عشرات بل مئات آلاف الكتب المخطوطة وعشرات الآلاف من الرسائل والوثائق والعقود والصكوك القديمة، ولا غرابة في ذلك فقد حصل تراكم هائل للكتب في المنطقة لأسباب كثيرة، حيث تمتع الكتاب في نهضة هذه المنطقة بالنصيب الأوفر من الاهتمام لدى العامة والخاصة، وأغلب هذه الثروة الضخمة من الكتب المخطوطة الموجودة بين أيدينا الآن هي نتيجة لما تركه الأجداد والأولاد والأحفاد مما تراكم

7 السيد أحمد الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1994، ص. 132.

8 أنطوان هابن، المخطوطات الإسلامية في العالم، الجزء الأول، ترجمة وتحقيق عبد السلام الحلوي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997، ص. 154.

في تلك الحقبة الزاهرة، وقد احتفظت الأسر العلمية بأغلب هذه الثروة بالإضافة إلى مؤلفات العلماء والفقهاء المحليين الذين أثروا بدورهم المكتبات المحلية والإفريقية بتأليف قيمة ومتميزة⁹.

ولا شك أن المخطوطات والوثائق الإفريقية في المنطقة أكثر المنظم منها والمتيسر للباحثين ذلك الموجود في مركز أحمد بابا التمبكتي للوثائق والمخطوطات والذي يضم الآلاف منها¹⁰، بالإضافة إلى مكتبات أهلية موجودة بمدينة تمبكتو نفسها مثل مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات، ومكتبة آل محمود كعت، ومكتبة الزاوية الكتنية، ومكتبة الشيخ محمد محمود الأرواني، ومكتبة الأئمة في مسجد جنقريبر، ومسجد سنكري، ومسجد سيدي يحيى التادلي، وبعض المكتبات الأهلية في القرى والمدن التابعة لتمبكتو.

ثانيا: التراث العلمي المخطوط للأسرة الكتنية بالغرب الصحراوي

1 - دخول الكتنيين إلى صحراء الغرب الإفريقي:

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي سطعت بغرب إفريقيا شمس الكتنيين الذين حولوا تلك الربوع القاحلة إلى مناطق جذب علمي متميز، وكان ذلك بفضل الشيخ سيدي المختار الكتني الذي تفرغت منه ذرية كانت بحق منارة هداية لكل إفريقيا، "ومع الشيخ سيدي المختار الكتني الفهري الذي اشتقت من اسمه الطريقة القادرية المختارية"¹¹.

كان لقبيلة كتنة مد علمي هائل احتوى عموم صحراء الغرب الإفريقي، إذ كانت بحق منارة فكرية وحضارية اهتدى بنورها كل من وصلها، ويجمع المؤرخون على الدور المميز الذي لعبته قبائل كتنة في صحراء مالي والنيجر وما جاورها بإرسائها دعائم الثقافة العربية الإسلامية¹²، وتأسيسها لسلطان الحرف العربي في بيئة لم تكن تعرف سوى لهجات إفريقية متباينة، يقول الباحث أبو صيف: "... على أنه كانت هناك قبيلة عربية واحدة كان لها أثر عظيم في إسلام الزنوج في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى، وتلك هي قبيلة كتنة التي هاجرت في القرن 9هـ/15م من مواطنها في توات إلى أطراف تمبكتو، ومع مرور الزمن انصهرت هذه القبيلة العربية الأصل وأصبحت قبيلة مغربية تدين لها الطريقة القادرية بانتشارها في غرب إفريقيا"¹³، وكان لها أثر كبير في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى.

ولقد كانت بداية هجرة كتنة في الصحراء الكبرى في عهد محمد الكتني عندما ذهب لبحث عن الثراء إلى جوار قبيلة إدوكال الذين كانوا ينتجعون بين تيرس والساقية الحمراء، فاستقروا في نواحي زمور وهي بئر ومركز يعد من أكثر مراعي المنطقة أهمية، وسعى محمد الكتني بهجرته لغرض آخر وهو تدعيم مركزه الديني بالمنطقة، أي تدعيم الدعوة الإسلامية وتنشيط حركة التجارة، فوصلوا شمالا حتى سوس، تافلات وتوات وجنوبا إلى تمبكتو والسودان حتى كاتسينا وقوبر في شمال التكرور¹⁴.

ومثل وصول الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى ولالة حدثا فريدا في تاريخ قبائل المنطقة التي تروي كيف حول ولالة إلى قرية آمنة من السباع بنفس الطريقة التي قام بها جده عقبة بن نافع في القيروان، وظل الكتنيون سادة للأرض بعد مقدم بني حسان، وامتلكوا أهم مصادر الثروة فيها من مناجم وواحات، ونشروا العلم والتصوف، وإليهم تعود أعلى السلاسل القادرية التي هي

9 محمد الصالح حوتية، آل كتنة: دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص. 205.

10 حسن الصادقي، مخطوطات أحمد بابا التمبكتي في الخزانة المغربية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996، ص. 15.

11 خديجة عنيشل، "التراث الكتني المخطوط: قراءة في الدور الحضاري لزاوية كتنة وأهم أعلام التراث الكتني المخطوط"، مجلة الذاكرة، العدد الخامس، 2015، ص. 104.

12 بول مارتى، القبائل البيضاء في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ودادي، دار السرح، بيروت، 2005، ص. 87.

13 مصطفى أبو صيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ص. 269.

14 بول مارتى، كتنة الشريقون، ترجمة محمد محمود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص. 34.

أقدم الطرق الصوفية في البلاد¹⁵، وقد بلغوا من الصيت والرفعة والانتشار في الأرض وكثرة العلماء مبلغا كبيرا لم يبلغه أحد سواهم، وانتشر تأثيرهم الديني جنوبا في عموم إفريقيا حتى ناهز الكاميرون.

2. قبيلة كنتة خزان ومستودع التراث المخطوط بالصحراء:

لقد قسم الله عز وجل بين أهل الصحراء حظوظهم من كل شيء، حظ القيادة والرياسة، حظ العمل، حظ التجارة، حظ الصناعة، وقسم لبعض الأسر والقبايل حظا من العلم وساعا لا تُعرف إلا به، منهم الكنتيون أو آل كنتة، ولست في هذه الصفحات أعرفُ بهم وأذكر نسبتهم وانتشارهم في بقاع الأرض بقدر ما أؤكد أن كثيرا من علمائهم لم تَرى النور كتبهم على عظم الحاجة لها مثل: الجرعة الصافية، نزار الذهب في كل فن منتخب، الروض الخصيب بشرح نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، ترجمان المقال، شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام، الشمس الطوالع في ظلام ما أحدث عند القبور من المناكر والبدايع، يضاف إليها ما تحويه خزائن المخطوطات من الرسائل والأجوبة والأنظمة.

والناظر في كتب التراجم والتاريخ وفهارس خزائن المخطوطات يرى النسبة إلى كنتة واضحة في أسماء العلماء ومنهم نذكر: أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (1096هـ)، محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامه الكنتي (1163هـ)، حبيب الله بن المختار بن محمد الكنتي الوداني (1155هـ)، عمر بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي (1157هـ)، المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (1226هـ)، محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (1242هـ)، أحمد بن البكاي بن محمد بن المختار الكنتي (1290هـ)، محمد باي بن عمر الكنتي (1348هـ)، محمد سيداتي بن محمد الكنتي بن العربي الجكني (1374هـ)، محمد بن البكاي بن سيد الأمين (1387)، محمد بن بادي الكنتي (1388هـ).

كما تميزت قبيلة كنتة بكثرة التأليف إذ كانت تجارة أبنائها هي العلم وطلب المعرفة، وكانوا معروفين بالتنافس في سبيل العلم ومحبتهم له، وشغفهم باقتناء المخطوطات، "ولعل من أبرز الأسباب التي جعلت هذه القبيلة تمتلك هذا الكم الهائل من المخطوطات حركة التأليف التي امتازت به هذه القبيلة، وما توارثوه كابر عن كابر وخلف عن سلف من ولوع وشغف بالعلم، فقد ألف الكنتيون في التاريخ والفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والصرف، كما أن جيلهم للعلم وأهله جعلهم يسرفون على أنفسهم في التنافس في نسخ المخطوطات وشرائها بأعلى الأثمان، بل كان فيهم من يطلب الناسخ ويمكث عنده لنسخ المخطوطات لفترة تزيد عن العام، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ولوع هذه القبيلة بالعلم والمخطوط"¹⁶.

هذا فضلا على أن كنتة يدركون تمام الإدراك أن ما يميزهم عن غيرهم هو العلم، لذلك تنافسوا فيه وبرعوا حتى عرف بهم وعرفوا به، وأصبح كل منهما اسما ومسمى للآخر، فهذه العوامل كلها تصب في تبرير وجود كم هائل من المخطوطات عند هذه القبيلة، يضاف إلى هذه الوصايا التي أوصى بها السلف الكنتي خلفه في أمر الاهتمام بالمخطوطات وعدم التفريط فيها. وفي ما يلي بيان لأماكن تواجد مخطوطات قبيلة كنتة بالغرب الصحراوي:

أ. الدار الكبيرة بزواية كنتة ووضع المخطوطات فيها:

يسمونها "الدار الكبيرة" وتقع في "درب كنتة" بزواية كنتة، وهي الدار التي سكن فيها سيدي أحمد الرقاد مؤسس الزاوية، أول ما نزل بهذه المنطقة المباركة في القرن التاسع الهجري، وهذه الدار عبارة عن زنقتين صغيرتين تلتف بهما إلى وسط الدار، وهو صحن قائم على أعمدة كبيرة ومتينة في شكل معماري هرمي مميز، وفي وسط الدار بإحدى الزوايا تقع الخزانة الأولى للدار التي حُولت فيما بعد إلى مكان "خلوة سيدي أحمد الرقاد"، والخلوة عبارة عن غرفة صغيرة بها خزانة تحوي مجموعة

15 خديم محمد سعيد امباكي، التصوف والطرق الصوفية في السنغال، سلسلة بحوث ودراسات رقم 14، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2002، ص. 38.

16 المديق حاج أحمد آل المغيلي، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي: حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص. 24.

مخطوطات نادرة وصندوق خشبي مرصع بالحديد يحوي كتب البخاري والشفاء للقاضي عياض¹⁷.

تقع في خزانة حديدية متوسطة الحجم مجموعة مخطوطات نادرة، كل مخطوط ملفوف بورق مقوى يلتف حوله خيط حتى لا يفتح. بهذه الطريقة البدائية تُحفظ تلك النفائس في هذا القصر القديم المعرض في أي وقت للسرقة بحكم أنه مفتوح في أعلاه، وبحكم الطابع الاجتماعي للمنطقة وخصوصاً "درب كنتة" الذي يتعايش فيه الناس آمنين على أنفسهم مطمئنين إلى بيوتهم غير متوقعين للخوف إطلاقاً، مما يجعلهم لا يتوقعون السرقة ولا يتحرزون منها، فأحياناً تجد الناس هناك ينامون قريبي العين وأبواب بيوتهم مفتوحة.

ب . خزانة المخطوطات بمقر الزاوية الكنتية الرقادية:

تضم الخزانة الكنتية عدداً مهماً من المخطوطات من أبرزها مخطوط " نوازل الشيخ باي بن عمر محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي" ومخطوط "الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد"....، كما تضم أيضاً مجموعة مخطوطات تتضمن محاضرات الشيخ محمد الكنتي من بينها:

- التعريف بالشيخ سيدي أحمد الرقادي مؤسس زاوية كنتة.
- التعريف بالشيخ سيدي أحمد بن موسى كرزاز.
- المداخلة الكنتية في المحبة النبوية.
- مناقب الشيخ سيدي المختار بن محمد بن عمر بقصر الجديد.
- التعريف بالشيخ مولاي عبدالله الرقاني.
- دروس متنوعة (فضائل القرآن....).
- بعض القصائد الشعرية التي نظمها الشيخ الكنتي ونسخها عنه بخط يده تلميذه المتميز عمر بن عثمان أنساباغر.

ثالثاً: الدراسة الوصفية لمخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام"

1 - التعريف بمؤلف المخطوط:

ورد اسم مؤلف المخطوط في اللوحة الثانية من بطاقة المخطوط بمكتبة ماما حيدرة، حيث ورد اسمه بـ "سيد أحمد الرقاد"¹⁸ وهو الاسم نفسه الذي ورد في فهراس المكتبة الرقمية العالمية، وعند البحث في فهراس العائلة الكنتية وجدت أن الشخص المعني هو الشيخ أحمد بن عمر الرقادي.

يقول الشيخ الحاج أمحمد الكنتاوي في إحدى محاضراته مترجماً لسيدي الشيخ أحمد بن الرقاد: ولد الشيخ سيدي أحمد بن الرقاد في سنة تسعمائة وثمانية وستون (968هـ)، وهذا المحقق كما وجد بخط القاضي العلامة الشيخ سيد المختار بن المصطفى الرقادي... وذكره أيضاً الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي ومولده ومسقط رأسه بواد نون بمقر أجداده وأسلافه، وبها نشأ بين أبنائه، وقد قرأ القرآن كله بروايتي ورش وقالون عن أبيه الشيخ محمد الرقاد، وأخذ عنه بعض مبادئ العلم كما ذكره الشيخ سيد المختار في كتابه (الإرشاد)، وأخذ الطريقة القادرية عن أبيه ثم جدها عن عم أبيه سيد المختار الشيخ بن عمر الشيخ¹⁹.

قال الشيخ الكبير في (الإرشاد): وأخذ عن أبيه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر البرادعي، وكتب ابن رشد، ومختصر

17 يحي ولد سيد أحمد، ديوان الصحاء الكبرى: المدرسة الكنتية والقصائد النبرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 113.

18 الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام، مخطوط رقم 16، مكتبة ماما حيدرة، مالي، اللوحة الثانية.

19 محمد بن المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماد الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة الكوثر، الرباط، 2003، ص. 140.

الشيخ خليل، وتحفة الحكام لابن عاصم، وتبصرة الحكام لابن فرحون المالكي، ومقدمة في النحو، وقرأ عنه الألفية والشافية كلاهما لابن مالكن، وقرأ عنه تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، وقد أجازته أبوه في الفقه والنحو والصرف وقرأ جمع الجوامع وموافقات الإمام الشاطبي في علم الأصول عن عمه سيدي المختار الشيخ الذي أكمل تربيته بعد أبيه، وأجازته في موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري ومسلم، كما أجازته ابن عمه سيد الأمين الأزرق من آل أبي بكر الحاج بن أحمد البكاي بن أحمد الكنتي، وأخذ الطريقة القادرية عن أبيه محمد الرقاد ثم جدها عن جده السيد المختار الشيخ، وذكر في "الكوكب الوقاد" أنه رحل إلى فاس ومكث بها نحو عشر سنين ثم عاد إلى واد نون يحمل شهادات عالية في علوم التفسير والحديث وعلوم المصطلح عن عدد من العلماء الأعيان، كما أجازته الشيخ العلامة القاضي سيدي عبد الله بن محمد عبد القادر المحجوبي الولائي بعد الامتحان وطول الاختبار، ومن أجزاه في علم التوحيد الإمام محمد الأمين بن أحمد الولائي وغيره، ثم انتصب للتدريس في واد نون مدة وانتقل منه إلى الأراضي التواتية في صحبة جده سيد المختار الشيخ²⁰.

كان الشيخ "سيدي أحمد الرقاد" عالما عاملا متفتنا في علوم شتى، فقيهها متبصرا ذا إلمام بعلم الصرف وعلوم البلاغة، متضلعا في علوم الأدب واللغة العربية، عالما بالأصول والفروع والمعقول والمنقول، محدثا ومفسرا ذا جلالة ومهابة ووقار، زاهدا في الدنيا على سعة ذات يديه، متفقا في ذات الله كما شهد له بذلك الخاص والعام، قال فيه الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي: "كان شيخ مشايخنا الشيخ سيدي أحمد بن محمد الرقاد من أكابر أولياء الله علما ودينا"²¹، وقد أظهر الله على يديه من الكرامات وخوارق العادات ما لا يكاد يحصى كثرة.

وكان كثيرا ما يقول في سجوده: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ دُونِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾²²، فأجاب الله دعوته ورزقه سبعة أولاد وقيل ثمانية، وله من الإنثا ثلاثة: عائشة وفاطمة وخديجة وعاء من أوعية العلم يضرب بهم المثل في تعليم القرآن والإفتاء والفقه والنحو والصرف، أما أسماء الذكور فأكرمهم الشيخ سيدي عمر وشقيقه الشيخ سيدي عبد الوهاب والشيخ سيدي عبد المؤمن وسيدي أحمد والشيخ سيدي علي والشيخ سيدي عبد القادر والشيخ سيدي محمد مصطفى وسيدي عبد الله.

كما ترجم له "أحمد بابير الأرواني" في كتابه "السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية" في فصل الأولياء المحيطون بمدينة تمبكتو، وذكر أنه كان عالما بعلمه، سنيا صالحا صابرا زاهدا، له كرامات، ترى الناس يزدحمون على قبره وروسته من طلوع فجر يوم الجمعة والاثنين إلى غروبهما ويتوسلون به، توفي سنة 1096هـ/1685م²³.

وقد ترك وصية من وصاياه لابنه سيدي علي بن أحمد يقول فيها: "يا بني إني خلقتك من بعدي للتعليم والتدريس والتربية والدعوة إلى الله عز وجل، فليكن ملازمة التقوى والاستقامة وحسن الجوار والمعاشرة لساداتنا الأشراف الذين حلوا بساحتنا، أرعى لهم حرمتهم ولا تنظر إلى من شرد منهم ولو أذاك، فبمحبتهم يقوى إيمانك وببغضهم والإساءة إليهم يضعف إيمانك، واعلم أنك واقف بين يدي الله ومسؤول عن ما قدمت من صالح العمل وطالعه، كما أنك مسؤول عن محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب والسنة، فاقرا إن شئت قول الجليل جل جلاله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾²⁴،" والوصية طويلة لا يتسع المقام لذكرها كاملة في هذه الدراسة.

2 - تاريخ تأليف المخطوط وإثبات عنوانه وصحة نسبته إلى صاحبه:

أ . تاريخ تأليف المخطوط:

- 20 المختار الكنتي، الكوكب الوقاد في ذكر فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، تحقيق محمد الدمناي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2019، ص. 56.
- 21 نفسه، ص. 87.
- 22 القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 38.
- 23 أحمد بابير الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001، ص. 85 - 86.
- 24 القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية 23.

من المؤكد أنه لا يوجد تاريخ مثبت في المخطوط لتأليفه، غير أنه يمكننا القول أن المخطوط يعد من مؤلفات القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وهو القرن الذي عاش فيه مؤلف المخطوط الشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي.

ب . إثبات عنوان المخطوط:

جاء في بداية المخطوط الإشارة إلى عنوانه "كتاب شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" وهو على ما يبدو من وضع الناسخ، لأننا نجد ذكر للعنوان في الصفحة الثانية بلسان المؤلف حيث يقول: "وعلى الله اعتمدت وبه استعين ومنه أستمند التوفيق في جميع الأحوال والأعمال وسميته بكتاب شفاء الأسقام العارضة والظاهرة والباطن من الأجسام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسينا ونعم الوكيل"²⁵، وهو العنوان الذي ورد في فهرس خزانة ماما حيدرة، كما ورد عنوان آخر للمخطوط في الفهارس عنوانا بديلا هو "المرض والشفاء في تمبكتو".

ج . إثبات صحة نسبة المخطوط إلى مؤلفه:

أما يخص صحة نسبة المخطوط إلى صاحبه فقد ورد اسم المؤلف واضحا في المخطوط في لوحته الثانية، والذي يبدو أنه منقول عن المخطوط الأم، كما أن جميع الفهارس التي اطلعنا عليها والتي فهرست له ثبتت أن المخطوط هو من تأليف الشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي، كما لم يرد اسم مؤلف آخر للمخطوط، وهو ما يجعلنا نؤكد أن المخطوط هو للمؤلف بنسبة كبيرة.

3 - مكان حفظ المخطوط:

يوجد المخطوط بمكتبة ماما حيدرة المتواجدة بدولة مالي، يعود التأسيس الأول لهذه المكتبة إلى أواسط القرن 9هـ/15م وذلك على يد الشيخ محمد الأمين في قرية "بامبا" في محافظة "بوريم" بإقليم "غاو" دولة مالي الحالية، أسسها محمد الأمين الجد الأعلى لأصحاب المكتبة الحاليين، وكانت في بداية الأمر مكتبة متنقلة بسبب تجوال مؤسسها بين بئر "بتندتاس" في مدينة مبابا وبين محافظة بورم، وفي منتصف القرن التاسع عشر انتقلت ملكية المكتبة إلى جد والد المفهرس محمد الصالح²⁶، وتعرضت في هذه الفترة إلى حريق أتى على قسم كبير منها.

وبعد أن تولى جد المفهرس محمد الحجازي الملقب بـ "حيدا" أمر المكتبة وأعاد تنظيمها وتزويدها بالعديد من المخطوطات، تَهدَّم للأسف سقف المكتبة وسقط على مقتنياتها، الأمر الذي أُلِف جزءا كبيرا من مخطوطاتها، وفقدت المكتبة قسما آخر من مقتنياتها أثناء تنقلها في بادية مبابا بعد وفاة جد المفهرس. ثم تولى أمر المكتبة السيد "ماما حيدرة" والد المفهرس فعمل على تنظيمها وتزويدها بمخطوطات جديدة كان ينسخها بنفسه وكذلك بالمطبوعات الحديثة، إلا أن المكتبة تعرضت في سنة 1974 - في الوقت الذي كان يمضي فيه معظم وقته في تمبكتو - إلى حادث سَطو، حيث استولى مجهول يُرجح أنه من بلاد النيجر المجاورة على خمسمائة مخطوط من رصيدها.

وبعد وفاة السيد "ماما حيدرة" في سنة 1981 تولى أمر المكتبة ولده الأستاذ "عبد القادر حيدرة" والذي كان موظفا سابقا في مركز أحمد بابا، اكتسب خلالها خبرة ودراسة كبيرتين بالمخطوطات، وبعد مغادرته مركز أحمد بابا قرر تتبع كنوز عائلته من المخطوطات، وإعادة بحث خزانه أسلافه وذلك بإقامة مكتبة ماما حيدرة التذكارية الحالية، وكانت البداية مما خلفه والده ماما حيدرة الذي حملت المكتبة اسمه، أضاف إليها عبد القادر المخطوطات التي كانت عند الكثير من أفراد العائلة في قرية بامبا²⁷.

25 الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة الثانية.

26 عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء: في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص. 121.

27 عبد القادر ماما حيدرة، فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق، الجزء الأول، تحرير أين فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000، ص. 7.

وتضم المكتبة حاليا حوالي ثلاثة آلاف مخطوط (3000) موزعة على موضوعات مختلفة (علوم القرآن، الحديث، الفقه، التصوف، الأدب، النحو، الفلك، الطب)، بالإضافة إلى ألف وثيقة هامة تتناول شؤون البيع والشراء والرسائل المتبادلة بين العلماء والتجار وفتاوى لعلماء المنطقة.

وفي إطار الدور الرائد الذي تقوم به "مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي" في لندن في تسجيل المخطوطات الإسلامية المنتشرة في بلاد العالم، وعلى الأخص تلك الأماكن التي يصعب الوصول إليها أو التي لم يُعَرَفْ بمخطوطاتها من قبل، تم إصدار سلسلة فهراس المخطوطات الإسلامية رقم 35 فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق بمالي، الذي قام بإعداد بطاقته الأستاذ عبد القادر ماما حيدرة صاحب المكتبة والمشرع عليها.

4 - عدد لوحات وأسطر المخطوط:

يضم المخطوط نسخة مكتبة ماما حيدرة خمسمائة وستة (506) لوحات، كلها مكتوبة باستثناء اللوحة الأولى التي هي فارغة أو ربما هي لوحة الغلاف، ومن خلال آخر المخطوط يتبين لنا أن المخطوط متبور، وأن هناك لوحات ناقصة منه. أما بالنسبة لأسطر المخطوط فيصعب معرفتها بدقة لأن المخطوط مصور، ولكن يبلغ عدد الأسطر في كل صفحة بين 22 و26 سطر، باستثناء اللوحة الأولى التي جاءت فارغة واللوحة الثانية فيها 20 سطرا، واللوحة الأخيرة بها 4 أسطر، متوسط عدد الكلمات في السطر بين 7 و10 كلمات. وبالنسبة لمقياس الورق فطولها 18 سم وعرضه 14 سم، أما مقياس النص فطولها 14 سم وعرضه 10 سم.

5 - نوع خط المخطوط ولون الحبر:

كتب المخطوط بالخط التيمكي أو السوداني، وهو خط تفرع عن الخط الأندلسي والمغربي، ويتميز عنهما بكبره وغلظه حيث الحروف غليظة نوعا ما وواضحة ومد حرف آخر الكلمة. وهو واضح يمكن قراءته بسهولة ويسر، كتب برسم عثماني حيث القاف نقطة واحدة والفاء نقطة في الأسفل، جاءت فقراته متسلسلة من البداية إلى النهاية، بحيث لم يفرق في نوع الخط أو في شكله بين العناوين وباقي النص، كما أنه لم يستعمل علامات الترقيم.

أما لون الحبر فهو أسود وأحمر وبني، وجاءت عناوين الفصول والعناوين الفرعية ولفظ الجلالة واسم الرسول صلى الله عليه وسلم باللون الأحمر الفاتح، كما كتب الناسخ بعض الحروف والكلمات باللون الأحمر مثل: عن، قال، روى، إذا، كان، مما، ومن قراها...، وليس هناك معيار أو منهج موحد في النسخ بالحبر الأسود أو الأحمر، غير أننا نعتقد أن الناسخ كان يستخدم الألوان كلها أراد لفت انتباه القارئ إلى أمر مهم، كبدية فائدة أو حكمة أو مقولة.

وبخصوص وعاء المخطوط فهو رقمي، ويظهر في حالة جيدة، وبالنسبة لباقي بياناته فلا توجد به زخرفة ولا تمليكات أو عواري، ولا تعليقات للعلماء، بينما توجد به تعقيبات وحواشي.

6 - بداية المخطوط ونهايته:

يبدأ المخطوط هكذا: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد والصلوة على النبي الكريم وآله وأصحابه أهل التعظيم ما شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كتاب شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام مما اعتنى تأليفه عالم العلامة الأوحد الفهامة سيد أحمد الرقاد الكنتي، حقق الله رجاءه آمين. الحمد لله حق حمده حمدا يوافي نعمه لا أحصي الشاء عليه هو كما أثنى على نفسه، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وشفاء للمؤمنين وبعد. فلما كان رجل عمل علم الأديان متوقفا على صحة الأبدان خطر لي أن أجمع شيئا من منافع الإنسان، لا فوز بالفوز بالدخول مع الذين يسعون في النفع لعباد الله، فإن الخلق عيال الله وأحبههم إلى الله أنفعهم لعباده، فأسأل الله سبحانه أن يتقبل مني فضله وأن يجعل ما جمعت نافعا وشافيا، فإن الفائدة وحسن الاعتقاد وصحة النية والله عند ظن

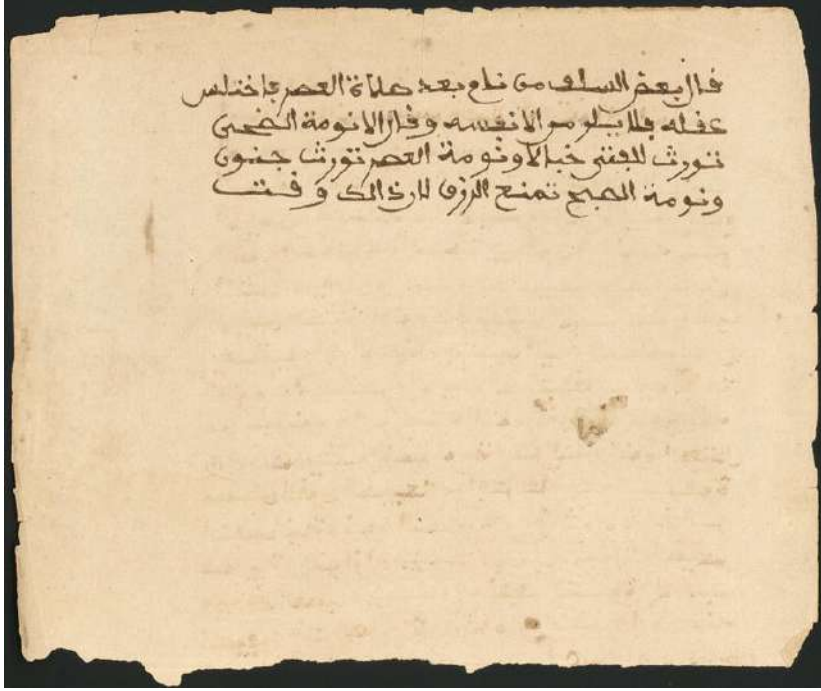
عبد به، فمن نوى قصده في أمر نفع وارتبذ إن شاء الله..."

اللوحة الثانية من المخطوط



أما نهاية المخطوط واعتبارا لما سبق ذكره بخصوص أن المخطوط ناقص غير مكتمل، فقد جاء في اللوحة الأخيرة منه: "قال بعض السلف من نام بعد صلاة العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه، وقال إلا نومة الضحى تورث للفتى خبالا ونومة العصر تورث جوننا ونومة الصبح تمنع الرزق لأن ذلك وقت..."، انتهى ما هو منسوخ في اللوحة الأخيرة من المخطوط، ومن خلال سياق الكلام والجملة التي لم تكتمل وأثر المحو الظاهر على اللوحة يمكن القول أن هذا المخطوط مبتور، وقد تكون هذه اللوحة ليست هي الأخيرة من المخطوط.

اللوحه الأخيرة من المخطوط



7 - مصادر المخطوط:

اعتمد المؤلف في مخطوطه على مصادر متعددة، أولها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكلام الصحابة والتابعين، والتراث العربي في الجاهلية والإسلام، والكتب السماوية، والتراث النصراني واليهودي والفارسي والهندي، واليوناني والإفريقي، كما استشهد بكلام الكثير من الأطباء كأبقراط الحكيم²⁸، ووصفات العام الإغريقي جالينوس²⁹، والهارث بن كلدة³⁰ طبيب العرب، وفي كثير من الأحيان كان يذكر مصادره وفي أخرى كان يخفيها. أما أسلوب المؤلف فقد تميز بالبساطة، مع تقديم الحجج عن كل وصفة طبية يقدمها في هذا المجال.

رابعاً: المضامين العامة لمحتوى المخطوط وأهميته ضمن التراث الطبي العربي

1 - موضوعات ومضامين المخطوط:

تضمن مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي حسب ما

28 خليفة بن يونس الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص. 43.

29 جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 2006، ص. 256.

30 ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982، ص. 518.

جاء في لوحته الثانية أربعة فصول نورد مضامينها كما يلي:

أ . الفصل الأول: في منافع الأسماء والآيات والدعوات

ينطلق هذا الفصل من اللوحة الثالثة إلى النصف الأول من اللوحة 244 من المخطوط، بدأه صاحبه بـ: "بسم الله الرحمن الرحيم شفاء من كل داء..."³¹، حيث تطرق فيه إلى منافع وأجر تلاوة الآيات، مستدلاً ببعض الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض الصحابة والتابعين، مقدماً بعض الوصفات للعلاج بها منها: أنها إذا قرئت خمسين مرة على ظلمة³²، ثم انتقل إلى فضل سورة الفاتحة والأمراض التي تشفى منها مقدماً وصفات علاجية في ذلك، ثم انتقل إلى آية الكرسي وفضلها، ثم سورة الإخلاص³³، ثم منافع سورة ياسين وفضلها، فسورة الملك، الواقعة، الشرح، الضحى، القدر، قريش، الكوثر، العصر، الكافرون، المعوذتين، البقرة، ثم سورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف، ثم سورة الأنفال والتوبة ويوسف والرد، ثم إبراهيم والكهف، ثم باقي السور، وكان يمر على كل سورة فيبين فضلها ومنافعها وآيات الشفاء بها، ويعطي وصفات لاستعمالها كأن تقرأ في وقت معين، ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾³⁴، يقرأها من به هم فإنه يذهب همه.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾³⁵، تقرأ لزوال الحمى.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾³⁶، يقرأها من كان في سفر ويريد العودة إلى منزله سالمًا.
- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾³⁷، من خاف من جور حاكم أو شهادة زور يتلوها سبع مرات.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾³⁸، من ذهب عنه النوم يقرأها فإن الله يدفع عنه السهر ببركة الآية.

أما سورة "العاديات" فمن كتبها وأمسكها عنده آمن من جميع المخاوف، وقراءتها تقرب الخير وتيسر الرزق، في حين أن سورة "القارعة" إذا كتبت وجعلت في موضع فيه مال كثر ومأ، ومن قرأها ليلاً ونهاراً وسمى الله كفاه الله من جميع الأسقام.

ثم انتقل إلى آيات الحفظ التي تحفظ الإنسان من كل مكروه، ثم آيات النصر، البركة، النجاة، السكينة، الفتح، قضاء الحوائج، الهيبة، الرزق، الكفاية، الفهم، الخوف، وآيات الستر، ولتنعيم الشجر، ولعمارة القرى، وللحفظ والنسيان³⁹. وانتقل بعد ذلك إلى أسماء الله الحسنى ومنافعها، وتناولها اسماً باسم، مذكراً بخاصية كل اسم وأسراره ومنفعته، مقدماً وصفات بعضها يتلى والآخر يكتب ويحى، وآخر يتعلق لمختلف الأمراض والمنافع⁴⁰.

كما انتقل إلى منافع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وانتقل بعدها إلى منافع الدعاء وأهميته، وأشهر الأدعية المتواترة من الكتاب والسنة للدنيا والآخرة⁴¹. وختم الفصل بفوائد عامة كرد الضالة، وصداع الرأس، والرمد، والصداع، ووجع القلب،

- | | |
|----|---|
| 31 | الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكتني، المخطوط السابق، اللوحة 3. |
| 32 | نفسه، اللوحة 5. |
| 33 | نفسه، اللوحة 18. |
| 34 | القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 87. |
| 35 | القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 101. |
| 36 | القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 85. |
| 37 | القرآن الكريم، سورة القصص، الآيات 68، 69، 70. |
| 38 | القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 56. |
| 39 | الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكتني، المخطوط السابق، اللوحات 57 - 87. |
| 40 | نفسه، اللوحات 87 - 115. |
| 41 | نفسه، اللوحات 137 - 138. |

ووجع الضرس، والرعاف، والصرع، والحيوانات الضارة، والوباء، والغذاء.

ب . الفصل الثاني: في منافع الحيوان

ينطلق هذا الفصل من النصف الثاني من اللوحة 244 إلى النصف الأول من اللوحة 295 من المخطوط، بدأه صاحبه بـ: "أشرف المخلوقات الإنسان وهو العالم الأصغر ونسخ فيه العالم الأكبر، وهو حامل الأمانة التي عجزت عنها السموات والأرض..."⁴²، حيث بدأه بمنافع الإنسان وما فيه من أدوية أودعها الله فيه، ومن أمثلة ذلك⁴³:

- * لبن النساء إذا شرب مع عسل فتت الحصى من المثانة
- * بول الإنسان إذا وضع على مكان عض الكلب نفعها
- * قلامة ظفر الإنسان إذا حُرقت وسقيت لإنسان آخر أحبه حبا شديدا
- * شرب بول الإنسان ينفع من لسع ذوات السموم
- * صرة الإنسان عندما تقطع ويؤخذ منها جزء توضع تحت خاتم ينفع صاحبه
- * إذا بخرت المرأة بجزء من شعر الصبي المولود نفعها من جميع أوجاع الرحم
- * بول الصبي الذي لم يبلغ عشرين سنة إذا شربه المصاب بالبرص فإنه يشفى منه

بعدها ينتقل صاحب المخطوط في هذا الفصل إلى ذكر منافع الحيوانات بمختلف أنواعها من ثدييات وطيور وحشرات على الإنسان، وكانت البداية بالأسد، ثم الإبل، الأرنب، الأروية، التمساح، الحية، الذئب، الباز، البقر، البغل، اليوم، الثعلب، التيس، الثور، الجراد، الحبار، الحجلة، الحزنون، الحمار، الحمار الوحشي، الحمام، الحوت، الخطاف، الخفاش، الخلد، الخنفساء، الدجاج، الدود، الدباب، الذباب، الغزال، الزنبور، السرطان، السنور، السمان، الضب، الصدف، الضأن، الضع، الضفدع، العقرب، العنب، المعز، العنكبوت، الخيل، الغراب، الفار، الفيل، الفهد، القرد، القنفذ، الكلب، المها، النحل، النسر، النمر، النمل، الهدد، الوز، اليربوع، وعند ذكر كل حيوان يذكر خصائصه، ومنافعه، والأدوية التي تستخرج من لحمه وشحمه وأعضائه وجلده وشعره⁴⁴. وفيما يلي نورد أمثلة مما ذكره صاحب المخطوط بخصوص هذه المنافع باعتبارها أدوية مناسبة لصحة الإنسان:

- منافع الأسد: من لطخ بشحم الأسد جميع بدنه هربت منه جميع السباع ولم ينله منها مكرها، من علق عليه قطعة من جلد الأسد بشعرها شُفي من الصرع قبل البلوغ، فإن كان الصرع قد أصابه بعده لم ينفعه، إذا وضعت قطعة من جلد الأسد في صندوق مع ثياب لم يصبه وجع الأسنان، الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسر⁴⁵.
- منافع الإبل: إذا حُرقت وبر الإبل ووضع على الدم السائل يقطعه ويوقفه، إذا شرب المخمور من بول الإبل فإنه يصحو من غفلته، مخ ساق الجمال إذا تحملت به المرأة ووصاها زوجها حملت بإذن الله وذلك بعد الطهر ثلاثة أيام، بول الإبل ينفع الكبد، حليب الإبل ينفع ويعالج أمراض الطحال⁴⁶.
- منافع الأرنب: ينفع لمن كثُر وزنه، دماغه يؤكل مشويا بالفلفل وينفع العرشة، من شرب من دماغه وزر حبتين من حليب بقر لم يشب أبدا، إذا شربت المرأة دمه لم تحمل، إذا وضع دم الأرنب فوق أماكن الجسم المصابة بالبهق أزالها، إذا حك به موضع أسنان الصبي أسرع نموها، مرارة الأرنب إذا خلطت بلبن إمرة واكتحل به أزال بيض العين⁴⁷.
- منافع البقر: شعر البقر إذا حُرقت وشُربت تنفع وجع الأسنان، فضلات البقر إذا بخرت به الحامل سهل ولادتها، شحمه إذا بخر به البيت طرد العقارب من البيت، دمه يحبس الدم السائل، إذا طلي دمه على الآثار السوداء في البدن أزالها⁴⁸.
- منافع الثعلب: نابيه تذهب الفرع والخوف عن الصبيان من النوم وتحسن أخلاقهم، مرارته إذا نفخت في أذن المصروع فلا

42 نفسه، اللوحة 244.

43 نفسه، اللوحة 245.

44 نفسه، اللوحات 244 - 295.

45 الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكتني، المخطوط السابق، اللوحة 246.

46 نفسه، اللوحة 247.

47 نفسه، اللوحة 248.

48 نفسه، اللوحة 250.

- يُصرع أبداً، أنيابه إذا عُلقت على المصاب بالصرع فإنه يتعافى، شحمه يذاب ويطلى على من به النقرس فيزول وجعه في الحال، دماغه إذا خلط ورش وطلى به على الرأس أذهب سقوط الشعر⁴⁹.
- منافع الدجاج: لحمه يحسن اللون وأدمغته تزيد في الدماغ والعقل، دماغ الدجاج إذا وضع على لسع الحية شفها، إذا دفن رأس الدجاجة السوداء تحت فراش رجل قد خاصم زوجته صالحها من وقته⁵⁰.
 - منافع الفيل: مرازته يطلى بها المصاب بالبرص ويترك ثلاثة أيام وبعدها يزول، جلده إذا شد على من به حمى تزول عنه، دخان جلده يساعد على شفاء المصاب بالبواسير، أكل لحمه يقي من الإصابة بالجذام⁵¹.
 - منافع النحل: أجود علاج لعضة الكلب، المطبوخ منه نافع للسموم، مزجه مع الملح يذهب آثار الضربات ويزيل القروح الغائرة، يجفف قروح الأذن ويمنع تواجد الماء في العين⁵².
 - منافع الهدهد: عينه إذا عُلقت على الذي يعاني من النسيان ذكر ما نسيه، قلبه المشوي يساعد على الحفظ والذكاء، من أخذ من مخالب رجله مخبلاً واحداً وعلقه على صبي أو غيره لم تلحقه عين ولا يزال في عافية ما دام عليه، من علق هدهد مذبوخاً كاملاً في بيته أمن أهله من السحر⁵³.

ج . الفصل الثالث: في منافع النباتات

ينطلق هذا الفصل من النصف الثاني من اللوحة 295 إلى اللوحة 347 من المخطوط، بدأه صاحبه بـ: "وتأتي به إن شاء الله على ترتيب الحروف المعجمة الألف في الحديث..."⁵⁴، وعلى غير العادة جاء بذكر منافع النباتات مرتبة على حروف الهجاء مع تقديم بعض الحروف وتأخير أخرى، وكانت البداية بالأرز، ثم مر على مجموعة من النباتات الأخرى أو مشتقاتها مثل: الأثل، الطلح، واللوز، وفي حرف الباء: البطيخ، البلح، البصل، الباذنجان. وفي حرف التاء: التين، الثوم، الجوز، الجرجير، الجنار، الحناء، الحبة السوداء، الحلبة، الحمص، الحنطة، الخبز، الخل، الخروع، الخردل، الذرة، الرطب، الريحان، الرمان، الزيتون، الزبيب، الزنجبيل، الزعفران، السمس، السدر، الشعير، طلع النخل، الطحلب، القرنفل، القطران، القصب، الكرم، الكمون، اللوبيا، اللوز، المشماش، نوى التمر، النشا، الورد، القطران⁵⁵.

وكان يأتي على ذكر كل نبات وخصائصه ومنافعه، وما ورد فيه من الأحاديث أو من الأثر، والأمراض التي يعالجها، ويعطي أحيانا وصفات منه مع مواد أخرى. وفيما يلي نورد أمثلة من ذلك:

• منافع الأرز: أنفع الأغذية التي تقوي المعدة، يصفى اللون ويُلبّن الطبع، يعالج الآثار في الوجه والبدن، ينفع المصابين بالسعال وقروح الرئة، يحلل الأورام الصلبة في المعدة والكبد والكلبتين، يقوي عمود الأسنان واللثة ويعالج وجع الأسنان، يُسكن الأوجاع الباطنية⁵⁶.

• منافع الطلح: يعالج الغضب وأعراضه الباردة، يحلل الرياح الغليظة من الرأس، يعالج سيلان الدم من الرحم، ينفع الأورام السفلى، يُلطّف الجراحات ويحبس عنها الدم⁵⁷.

• منافع الحلبة: تُسكن السعال المتطاوّل وعسر النفس، إذا مُزجت مع الشمع تعالج التشققات العارضة من البرد، تُصفي

49	نفسه، اللوحة 252.
50	نفسه، اللوحة 258.
51	نفسه، اللوحة 275.
52	نفسه، اللوحة 279.
53	نفسه، اللوحة 283.
54	الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة 295.
55	نفسه، اللوحات 295 - 347.
56	نفسه، اللوحة 295.
57	نفسه، اللوحة 297.

الصوت، تعالج وجع الخاصرة والبواسير.⁵⁸

• منافع الخردل: يحد من وجع الرأس وبقي من العرشة، ينفع وجع الأضراس والأذن عن طريق التقطير أو الدهن به، يزيل غشاوة البصر وخشونة الأجفان، يهضم الطعام وينفع من اختناق الرحم، يذهب النسيان، ذهنه ينفع للحمى ولعرق النساء، يجفف اللسان الذي فيه ثقل من الرطوبة، يحلل الأورام المزمعة.⁵⁹

• منافع الزيتون: بقي من السموم، يُلين البشرة ويبطن الشيب، يشد اللثة، ورقه ينفع من القروح الوسخة، يمنع من سقوط الشعر، ينفع من وجع العصب، يقوي المعدة.⁶⁰

• منافع الزبيب: يطفئ الغضب ويصفي اللون، يقوي المعدة والكبد والطحال، ينفع وجع الحلق والصدر، يخصب الكبد وينفعها، يعالج وجع البطن والأمعاء، ينفع من السعال البارد، ينفع الأورام الباردة.⁶¹

• منافع الكرم: يعالج التهاب المعدة وقروح الأمعاء، ماء قضبانها يقوي الأسنان، ينفع من الصداع، يقوي الكبد والمعدة، ينفع اللثة والقروح الخبيثة العارضة.⁶²

• منافع اللوز: ينفع ذهنه لوجع الأذن، ينفع السعال ويرطب الصدر، يُلين البطن، ينفع من حرقة البول، ينفع من عضة الكلب، ينفع من الجرب والحكة إذا أكل بالسكر، ينفع وجع الكليتين، يقوي البصر.⁶³

• منافع القطران: ينفع من الصداع البارد، ينفع الأسنان المتأكلة، يجدد البصر، يحو آثار القروح في العين، يمنع من إسهال الشيب، يسهل الولادة ويخرج الجنين، ينفع من السعال، يعقل البطن.⁶⁴

د . الفصل الرابع: في منافع المعادن والأحجار والماء

ينطلق هذا الفصل من اللوحة 348 إلى اللوحة 506 من المخطوط، بدأه صاحبه بـ "وتأتي به إن شاء الله على ترتيب الحروف حرف الألف..."⁶⁵، وفيه ذكر لمنافع المعادن والأحجار والماء، وجاء بها مرتبة هي الأخرى على حروف الهجاء، بدأها بالأفم، البورق، التوتيا، الثلج، الجص، الحديد، الذهب، الرصاص، الزئبق، الزجاج، الزرنيخ، الزمرد، الشب، الصابون، الفضة، القصدير، الكبريت، اللؤلؤ، المرجان، الودع، الياقوت. ومن أمثلة ما أشار إليه ما يلي:

- منافع الثلج: يسكن وجع الأسنان الحار، يقوي العين ويحلو البصر وينفع من بياض العين، ينفع المعدة الحارة، يسهل الهضم، ينفع الكبد ويذهب ورمها.⁶⁶
- منافع اللؤلؤ: ينفع من قروح العين ويقويها، يقوي الأسنان ويساعد على بياضها، يلطف دم القلب وينفع من أوجاعه، يقطع نفث الدم، ينفع من البرص ومن الخفقان.⁶⁷
- منافع الفضة: تقوي طبقات العين، تعالج عسر البول، تنفع من الجرب والحكة، تنفع من قروح الوجه والأنف، إذا مُزجت

58 نفسه، اللوحة 308.

59 نفسه، اللوحة 313.

60 نفسه، اللوحة 316.

61 نفسه، اللوحة 317.

62 الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة 320.

63 نفسه، اللوحة 324.

64 نفسه، اللوحة 337.

65 نفسه، اللوحة 348.

66 نفسه، اللوحة 349.

67 نفسه، اللوحة 356.

مع بعض الأدوية نفعت من كثرة الرطوبات، من الأدوية المفرجة النافعة للهم والغم والحزن وضعف القلب⁶⁸.
- منافع الياقوت: ينفع من الوسواس والخفقان وضعف القلب، يفيد الروح النورية، يساعد على تغيير نفسية الإنسان،
يمنع الاحتلام وجمود الدم⁶⁹.

بعدها انتقل إلى الماء وعرج على فوائده وخصائصه وأنواعه، وقال إن الماء يكون جيداً من عشرة طرق هي: لونه أن يكون صافياً، ولا تكون له رائحة، وطعمه عذبا، وزنه خفيفا، بعيد المنبع، مختفيا تحت الأرض، أخذ من الجنوب إلى الشمس أو من الشرق نحو الغرب، لا يتعرض للريح والشمس، سريع الحركة، كثير، كونه مطر على جبل. وعرج على أفضل أنواع الماء: وأولها زمزم، فماء النيل، ثم الفرات، كما حدثنا عن كيفية وأوقات الشرب، وما ينهى عنه أثناء الشرب، ثم عرج على أنواع المياه من مياه أمطار، وعيون، والماء الجاري، وماء البحر.

ثم انتقل بعدها إلى خاتمة مطولة تضم فوائد صحية عامة ووصفات علاجية وحكم وأمثال في الصحة واجتناب الأمراض، وعدد مضار بعض الأطعمة أو الإكثار منها أو جمع بعضها، ثم بدأ بذكر وصفات لبعض الأمراض والعلاجات كالعلل الدموية، وفائدة الحجامه، وأوقاتها وأنواعها وفائدة كل نوع منها، ثم منافع القيء.

وانتقل بعد ذلك إلى فوائد الزواج والترغيب فيه، ثم عرج على بعض الأمراض وعلاجها، كالصداع، والسهر، والنسيان، والسكته، والتشنج، والرعشة، وأمراض الدماغ، والرمد، وضعف البصر، ودمع العين، وأمراض الأذن كدخول الهواء البارد أو الماء أو حشرة، وأمراض الأنف، واسترخاء اللثة، وأمراض الأسنان⁷⁰ والفم واللسان، وبطء الكلام، وما يسهل خروج أسنان الصبي، وعلاج الصدر والسعال، والسل، وأمراض الرئة، والقلب، ثم أمراض المعدة، والكبد⁷¹، والورم الدموي، والحمى ومرض الطحال، وأمراض البطن، والمثانة، وعسر البول، وأمراض الرحم، والأدوية المسهلة للولادة، وعلاج آلام المفاصل، والبواسير، ووجع الظهر، ثم أعطى دواء للزكام، والسعال، ووجع الصدر...

فمثلا بخصوص حديثه عن أمراض الأسنان عامة والأضراس بصفة خاصة، وهي من بين أهم الأمراض التي كانت منتشرة بين سكان الصحراء، نجده يجمع كل وصفات علاج الأسنان التي عرفها مجتمع الغرب الصحراوي آنذاك، ويظهر ذلك من خلال الجمع بين العلاج المتوارث بالأدلة النقليّة والعلاج بالأدوية، ومثال ذلك في إحدى الوصفات التي يقدمها لعلاج آلام الأسنان وهي وصفة مسحوق الفلفل والثوم ولب خمير الحنطة.

وختم مخطوطه بالحديث عن العين وكيفية التعوذ منها، فأشار أن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون عمى فيوصف له الشيء فيؤثر نفسه، وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثرون العين بالوصف من غير رؤية، فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائن، فلما كان العائن أعم من الحاسد كانت الاستعادة منه أشد من الحاسد، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعيون تصيب تارة وتخطأ تارة، ولا بد إن كان حافظا نفسه بسلاح الدعاء والتعوذ لم تنفذ فيه ولم تؤثر فيه⁷².

والاستشفاء من العين يكون عن طريق الأذكار من التعويذات والآيات والدعوات والكلمات الدافعة، فمن أنفع ذلك ما جاء في القرآن وكلام النبي وأدعيته، وما يوافق الشرع مثل الفاتحة وآية الكرسي والمعوذتين، ومن التعويذات النبوية: ﴿أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ التي لا يَأْخُذُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، مِن شَرِّ ما خَلَقَ وذَرّاً وَبَرّاً، وَمِن شَرِّ ما يَنْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ ما يَعْزُّجُ فيها، وَمِن شَرِّ ما ذَرَأَ في الأَرْضِ، وَمِن شَرِّ ما يَخْرُجُ منها، وَمِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وَمِن شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ، إِلا طارِقاً يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمن﴾⁷³.

68 نفسه، اللوحة 362.

69 نفسه، اللوحة 363.

70 الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة 406.

71 نفسه، اللوحة 422.

72 نفسه، اللوحة 497.

73 نفسه، اللوحة 499.

لذلك يشير صاحب المخطوط أن هذه أمور يدفع الله بها العين بعد وصولها لمن عرفها وعظمها، وذلك بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده وثبات قلبه وقوته، فإنها سلاح والسلاح يدفع بقوة الدافع، وينبغي لمن أعجبه شيء كان عاتنا أو غيره أن يقول: "اللهم بارك فيه"، ويقول: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"⁷⁴.

2 - أهمية المخطوط ضمن التراث الطبي العربي:

تبدو أهمية المخطوط من كون مؤلفه موسوعي له دراية بمختلف العلوم، فقد مارس الطب والتداوي لمدة طويلة، وجمع بين الحكمة والطب الروحي والطب البدني، وهو نادرا ما نجده عند طبيب، فقد جمع فيه المؤلف تجربته وتجربة قبيلته في علاج الكثير من الأمراض المعروفة في الصحراء خلال تلك الفترة، وفيه ذكر للحيوانات والنباتات والمعادن وفوائدها، نتلمس من خلاله مدى اهتمام المجتمع الصحراوي بمجال الطب والتطبيب، وهذا من خلال إيجاد صفات طبية تقليدية لمختلف الأمراض والأسقام التي كانت تصيب أفراد المجتمع آنذاك، كما يعد هذا المخطوط موسوعة في الطب الشعبي مليئة بالحكم والفوائد والأمثال منها على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

- اختبر من أربع كتب أربع كلومات، من التوراة: من رضي بما أعطى الله استراح في الدنيا والآخرة، ومن الزبور: من تفرد عن الناس نجا في الدنيا والآخرة، ومن الإنجيل: من هدم الشهوات عز في الدنيا والآخرة، ومن القرآن: من حفظ لسانه سلم من آفات الدنيا والآخرة⁷⁵.
- ما أكلت وأنت تشتهي أكلته، وأما ما أكلت وأنت لا تشتهي فقد أكلك⁷⁶.
- ينبغي أن لا يأكل الإنسان إلا على جوع، ولا يشرب إلا على ظمأ⁷⁷.
- أربعة تقوي البصر: الجلوس قبل القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف المجلس⁷⁸.
- أربعة يفرح القلب بها: النظر إلى الخضرة والنبات، وإلى زرقاء السماء الصافية، والقعود على طرف الماء الجاري، وبجانب المحبوب⁷⁹.
- قال جالينوس اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربعة ولا حاجة لكم إلى طبيب: اجتنبوا الغبار، والدخان والروائح الكريهة، وعليكم بالدمس، والطيب، والحلو، والحمام⁸⁰.
- أربعة تزيد في العقل: ترك فضول الكلام والسواك، ومجالسة العلماء والصالحين⁸¹.
- أعظم الأدوية قوة القلب واعتماده على الله، والتوكل عليه والاتجاء إليه والانكسار بين يديه، والتدلل له والصدقة والصلاة والدعاء، والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإعانة الملهوف، والتفريج عن الكروب⁸².
- راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام⁸³.
- دخول الحمام مرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء⁸⁴.
- حذر الحكماء وأوصوا أن يحذر المعتني بتدبير بدنه وأن يحتمي منها، قالوا من أكل البصل أربعين يوما وأصابه الكلف لا يلومن إلا نفسه، ومن جمع في معدته البيض والسمك فأصابه فالج فلا يلومن إلا نفسه، ومن جمع في معدته اللبن والسمك فأصابه جذام أو برص لا يلومن إلا نفسه⁸⁵.

74	نفسه، اللوحة 500.
75	الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة 217.
76	نفسه، اللوحة 217.
77	نفسه، اللوحة 217.
78	نفسه، اللوحة 217.
79	نفسه، اللوحة 218.
80	نفسه، اللوحة 219.
81	نفسه، اللوحة 218.
82	نفسه، اللوحة 238.
83	نفسه، اللوحة 242.
84	نفسه، اللوحة 363.
85	الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، المخطوط السابق، اللوحة 363.

- قيل لجالينوس: ما لك لا تمرض، فقال: إني لم أجمع بين طعامين ولا أدخلت طعاما على طعام، ولا أحبس في المعدة طعاما إذا بت⁸⁶.
- نومة الضحى تورث خبالا، ونومة العصر تورث جنونا، ونومة الصبح تمنع الرزق⁸⁷.

وإلى جانب أهمية المخطوط الطبية يحظى كذلك بأهمية تاريخية، حيث أعطانا فكرة واضحة عن الأوضاع الصحية والطب في الصحراء خلال فترة القرن 11هـ/17م، حيث يظهر جليا تفتح هذه المنطقة في مجال الطب على العالم واستفادتها حضاريا من مختلف الثقافات. كما تضمن المخطوط أيضا كثيرا من العناصر الإيجابية، ومنها تنوع مصادره وراثته المعرفي، وجمعه بين العلاج النفسي والبيدي، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه الواسع. لكن هذا لا يمنع من ذكر بعض السلبيات التي جاء بها هذا المخطوط، وهي أن صاحبه استشهد بأحدث نبوية غير صحيحة، واستدل كذلك ببعض الأحاديث الضعيفة، إضافة إلى أن المخطوط تضمن كثيرا من الأشياء التي يمكن أن تدخل في باب الشعوذة والسحر، وتفتقد لأي دليل نقلي أو عقلي، وهي تعبير عن ما كان سائدا في تلك المنطقة.

خاتمة:

لقد برع الكتبيون في العديد من المجالات، فقد دعت حاجة الاستقرار إلى التعامل مع البيئة الصحراوية القاسية في أن يرعوا في الطب ويستعملوا ما أتبع لهم من أجل المحافظة على صحتهم، فهناك بعض العلماء ساهموا في تطور الطب، حيث نجد أنهم قد أشاروا إلى أمور تتعلق بالطب في كتبهم مثل: نزهة الراوي وبغية الحاوي للشيخ سيد المختار الكبير. وانتشر في الوسط الصحراوي للكتبيين الثقافة الصحية، حيث استعمل القرآن الكريم للاستقراء، واستعملوا النباتات والأعشاب للتداوي، بالإضافة إلى الطب والمعالجة بالأعشاب برع الكتبيون في علم الفلك والمواقيت والكيمياء ولم ينسوا الحساب وعلم النجوم.

كما تطلبت البيئة الصحراوية القاسية للكتبيين معرفة كبيرة أساسية ساعدت في المحافظة على صحة السكان، وكانت تقوم على التألم انطلاقا من التجربة والممارسات واعتمادا على الأدوية الضرورية والمناسبة لمعالجة الأمراض المختلفة، فطور الكتبيون هذه المعارف البسيطة بما درسه من كتب الطب واقتدوا في ذلك بالطرق التقليدية، وهم كثيرا ما يرجعون سبب المرض إلى كونه عقابا من الله وابتلاء لعباده، فكانت طرق العلاج لا تتجاوز في بعض الأحيان قراءة الآيات القرآنية على المريض وأحيانا أخرى ينهى عن شرب الماء ليلا، وهكذا فطرق العلاج ارتبطت بالتجربة وخاطبتها الخرافة، ومهما يكن فإن العديد من الأمراض وضعا لها دواء.

وعليه يعد مخطوط "شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكتبي من أهم وأشهر كتب الطب في الصحراء التي ما زالت محفوظة إلى اليوم، والتي لا زالت صالحة رغم تطور الطب الحديث، جمع فيه مؤلفه معارفه العلمية وخلاصة تجربته في الطب، فمن خلاله يعد مؤلفه إنسانا موسوعيا له دراية واسعة بالطب وبالعلوم الأخرى كالقرآن والحديث وعلم الحيوانات والنباتات.

وبالرغم من كون المخطوط يعود للقرن 11هـ/17م، إلا أنه في الحقيقة يعد مصدرا أساسيا في الطب في كامل غرب إفريقيا خاصة بين سكان المناطق الصحراوية، ولا تقتصر أهمية المخطوط على الجانب الصحي، بل يعد مصدرا مهما لتاريخ هذه المنطقة خاصة في الجانب الاجتماعي من خلال ذكره لأهم الأمراض التي كانت منتشرة، وطرق العلاج، وكيفية تحضيرها. كما جمع هذا المخطوط بين علاج الأمراض الجسمية والنفسية، وتضمن الكثير من الصفات العلاجية، وفيه ذكر لخصائص المعادن والحيوانات وفوائدها الطبية، إضافة إلى كثير من الصفات التي يمكن إدراجها في باب الدجل والسحر والشعوذة، وهي تعكس بوضوح خصوصية البيئة المحلية التي انتشرت بها هذه الأمور.

86 نفسه، اللوحة 365.

87 نفسه، اللوحة 506.

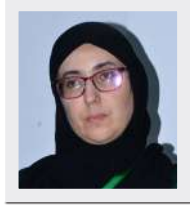
تلك هي بعض الملامح الفكرية والحضارية للمدرسة الكنتية وجهود رجالها الأفاضل في سبيل نشر العلم والدين والعربية في إفريقيا، ومآثرهم وآثارهم العلمية الممتلئة فيما تركوه من مخطوطات نفيسة قاومت كل عوامل الفناء لتبقى حية صامدة، وذلك ما كان ليكون لولا إخلاص أولئك الرجال. هو مسار علمي وفكري وتاريخي جدير بالإشادة والتبني والإعجاب، وحقيق بنا نحن الدارسين والباحثين أن نخرجه من دهاليز المخطوط والمروى إلى ساحة البحث والتحقيق لنتمكن لهذا التراث المميز ونربط أجيالنا به من أجل صناعة جيل يعي حجم أمته التاريخية، ورباطة جأش أولئك الرجال في سبيل تعريب إفريقيا ونشر قيم الإسلام فيها ومختلف العلوم بما فيها الطبية، والذين كانوا بحق منارة علمية وأخلاقية مدت جذورها في كل بقاع المجاورة.

إن التراث الطبي العربي المخطوط الذي يعتبر بجميع المقاييس أضخم وأعظم تراث في العالم، لا زال بحاجة إلى الباحثين المؤهلين ذوي الكفاءة والتجربة لخدمته وفق أساليب علم المخطوطات الحديث، ليمتد الاشتغال عليه في مدارج الجامعات وفي المراكز العليا، وليهتم به الباحثون والعلماء بعدما ظل زمنا طويلا رهين المحبس في رفوف المكتبات. كما ينبغي توجيه عناية الباحثين في الدراسات العليا إلى مثل هذه البحوث والدراسات التي تهتم بفهرسة المخطوطات وتحقيقتها وطباعتها ونشرها، لأنه لا تزال الآلاف من المخطوطات محجوبة عن النور، مغيبة في خزائن المخطوطات ومعززة للتلف والضياع، إضافة إلى ضرورة العناية بمؤلفات ومصنفات المسلمين عبر مختلف العصور، بهدف خدمة تراث علماء الأمة الإسلامية وحماية علومهم ومؤلفاتهم، وكذا الإسهام في حل مختلف المشكلات الوبائية المعاصرة.

البibliوغرافيا:

- القرآن الكريم
- الشيخ سيدي أحمد الرقاد الكنتي، شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام، مخطوط رقم 16، مكتبة ماما حيدرة، مالي.
- ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1982.
- أحمد بابير الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001.
- أنطوان هاينن، المخطوطات الإسلامية في العالم، الجزء الأول، ترجمة وتحقيق عبد السلام الحلوشي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997.
- السيد أحمد الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1994.
- الصديق حاج أحمد آل المغيلي، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي: حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- المختار الكنتي، الكوكب الوقاد في ذكر فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، تحقيق محمد الدمناتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2019.
- بول ماري، القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ودادي، دار السرح، بيروت، 2005.
- بول ماري، كتنة الشرقيون، ترجمة محمد محمود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.
- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 2006.
- حسن الصادقي، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996.
- خديجة عنيشل، "التراث الكنتي المخطوط: قراءة في الدور الحضاري لزواية كتنة وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، مجلة الذاكرة، العدد الخامس، 2015.
- خديم محمد سعيد امباكي، التصوف والطرق الصوفية في السنغال، سلسلة بحوث ودراسات رقم 14، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2002.
- خليفة بن يونس الخرزجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مكتبة هوداس، باريس، 1964.

- عبد الرشيد محمود مقدم، "وضع المخطوطات العربية في بعض المكتبات العامة في نيجيريا: مشكلات وحلول"، المجلة العلمية للغة والثقافة، المجلد 7، العدد 1، يونيو 2022.
- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء: في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- عبد القادر ماما حيدرة، فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق، الجزء الأول، تحرير أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000.
- غيث أحمد مطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر للميلاد، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004.
- مجموعة من المكتبيين، فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبكتو، تحرير عبد المحسن العباس، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997.
- محمد بن المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماد الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة الكوثر، الرباط، 2003.
- محمد البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- محمد الصالح حوتية، آل كنتة: دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008.
- مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.
- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001.
- يحي ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى: المدرسة الكتنية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009.



المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي من خلال المعيار الجديد للمهدي الوزاني

د. فاطمة الزهراء مداني بنجلون – د. للاغيثة غزالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – المحمدية

الملخص

تعتبر كتب النوازل الفقهية من أهم الموسوعات العلمية في الغرب الإسلامي التي تناولت مختلف جوانب الحياة في هذا القطر، فزخرت بذلك بالعديد من القضايا والنوازل الفقهية التي أوردتها الفقهاء وناقشوها وتدارسوها مع أهل التخصص في المجال الطبي، ومن بين هذه الموسوعات النوازلية يحظى المعيار الجديد للمهدي الوزاني بمكانة علمية كبيرة باعتباره آخر ما أُلّف في هذا الفن، وقد ضم في طياته العديد من النوازل الطبية التي لها علاقة بالمهن والأدوار الطبية والأمراض الشائعة والعلاجات والتعامل مع نوازل الوباء والتلقيح وغير ذلك، فرسم بذلك صورة عن الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي. لذلك تأتي هذه الورقة لإبراز هذه القضايا في المعيار وبيان أهميته ومدى حضور المعرفة الطبية فيه وكيفية استثمارها فيما يعرض في عصرنا من نوازل.

المقدمة

يعتبر التراث الطبي العربي الإسلامي من أهم ما خلفته الحضارة الإسلامية، وظل شاهدا على ما تبوأته الأمة الإسلامية من مكانة مرموقة، محققة بذلك مقام الاستخلاف والخيرية. وكان لهذا التراث أثر كبير في تقدم العديد من الأمم التي تبوأ مكان الصدارة بعد ما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف وتردي. وهو ما أدى إلى ظهور مجموعة من الاتجاهات في التعامل مع هذا التراث، فهناك اتجاه يرى أن هذا التراث ينتسب إلى حقبة ولت وانقضت فلا داعي للاهتمام به، وهناك من ينظر إليه بعين الإزدراء والاحتقار، وهناك من يراه بعين التعصب والتمجيد المفرط. هذه الإشكالية تدفعنا إلى طرح سؤال محوري: كيف يمكننا استثمار هذا التراث بمسلك وسط عقلائي، يكون إضافة وربما تقوينا لما بين أيدينا من معرفة علمية طبية؟ وذلك من أجل تحقيق نهضة علمية شاملة تنبني على العلم والحكمة والتزكية.

في هذا السياق تأتي هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي من خلال الموسوعة النوازلية للفقيه المهدي الوزاني (ت1342هـ)، الموسومة بالنوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى والمسماة أيضا المعيار الجديد الجامع المغربي عن فتاوى المتأخرين من أهل المغرب، باعتبار كتب النوازل مصادر لإرادية للمعرفة في شتى المجالات العلمية، ومن بينها المجال الطبي. وقد دعانا هذا إلى طرح مجموعة من الأسئلة:

ما هي الأهمية العلمية لكتب النوازل عموما ولمعيار الوزاني على وجه الخصوص؟ وما مدى حضور القضايا الطبية فيه؟ كيف كانت الممارسة الطبية في المغرب؟ وكيف يمكن استثمار المعرفة الطبية التي تضمها كتب النوازل؟

إننا من خلال هذه الدراسة نهدف إلى ما يلي:

- التعرف على الممارسة الطبية في المغرب من خلال عين الفقهاء في المعيار الجديد
- جمع القضايا المتعلقة بالممارسة الطبية في المغرب واستثمارها في النوازل الطبية المعاصرة
- لفت الانتباه إلى كتب النوازل باعتبارها مصادر غير مقصودة للمعرفة الطبية. وكذا مد جسور التواصل بين العلوم الفقهية والطبية في إطار تكامل معرفي خادماً للأمة الإسلامية، يمتد أثره النافع للإنسانية جمعاء.

ولتحقيق ذلك فقد اعتمدنا المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمنا باستقراء جميع أجزاء المعيار ورصد القضايا الطبية فيها وجمعها في جداول، ثم تصنيفها، لتأتي بعد ذلك مرحلة الدراسة والتحليل واستخلاص الخلاصات.

إن المعيار الجديد يقدم لنا صورة عذوبة عن الممارسة الطبية بالمغرب، حيث يتحدث عن المهنة الطبية ودور الطبيب والطبيب البيطري ويورد المهنة الخاصة بالنساء كطب النساء ومهن القوابل ووظائفهن في المجتمع المغربي، بل يورد تفاصيل هذه الممارسة وأوقاتها، ويفصل في كيفية تقاضي الأجرة وتقديرها، وأثر كل ذلك على العلاقات الاجتماعية، والتي تستدعي في كثير من الأحيان تدخل القاضي للفصل حال النزاع. كما يورد العلاقة بين الفاعلين الطبيين والفقهاء، حيث يستعين الفقيه بأهل التخصص الطبي لمعاينة الضرر وتقديره، ومشاورتهم لتحقيق مناهج الحكم الشرعي. وزخر المعيار بمناقشة هذه العلاقة وامتى يؤخذ بقول الطبيب وكيف.

وأخذت الأمراض والأوبئة نصيباً مهماً من أبواب المعيار، حيث يصور الأمراض التي تطرأ بالناس، بل إن الوباء وآثاره قد أخذ حيزاً مهماً في فصول أوردها المهدي الوزاني ناقش فيها ماهية الوباء وكيفية التعامل معه، وقضايا الحجر الصحي وآثاره، ومسائل التداوي والتلقيح وهل يجوز إجبار الناس عليها أم لا، وغير ذلك من المسائل.

وقد حظيت نوازل الطب البيطري أيضاً بجانب مهم من الاهتمام حيث وردت نوازل تخص أمراض الحيوانات بتصوير مفصل، وأدوار البيطرة وامتى يؤخذ برأيهم وغير ذلك من مسائل.

ومن أهم ما تحدث عنه المعيار من خلال نوازله، أخلاقيات الممارسة الطبية، وما يجب أن يكون عليه الطبيب والممرض والقابلة وغيرهم من أمانة ودقة وتحري وإخلاص وغير ذلك من القيم المفصلة.

وليسط الحديث حول هذا الموضوع، فقد اعتمدنا التصميم التالي:

المحور الأول: كتب النوازل وأهميتها في المعرفة الطبية

- التعريف بالنوازل الفقهية
- خصائص النوازل
- أهمية كتب النوازل واستثمارها في العلوم الإنسانية والطبية

المحور الثاني: المعيار الجديد وأهميته وقيمه العلمية في المعرفة الطبية

- التعريف بالفقيه المهدي الوزاني
- المعيار الجديد وقيمه العلمية
- حضور القضايا الطبية في معيار الوزاني

المحور الثالث: الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي من خلال المعيار الجديد

- المهنة الطبية
- الأمراض والأوبئة
- التداوي والوقاية

تمهيد

لقد برع علماء المسلمين في مجالات علمية مختلفة، وألفوا في مجالات متنوعة، وتميزوا بالموسوعية العلمية، فتجد العالم ينبغ في مجال الفقه والحديث والفلسفة والكيمياء والطب والحساب، ويؤلف في ذلك مراجع مهمة كانت ولا زالت منهلا لكل طالب دارس. وقد كان ذلك نتيجة تشبيهم بالخلفية القيمة الإسلامية التي تدعو إلى طلب العلم والاستزادة منه، بل تجعل أفضل طبقات الناس طبقة العلماء، وتعددهم أقرب الخلق إلى الخالق وأعرفهم به وأخشاهم له، والكون كله يسعد بهم ويستغفر لهم حتى الملائكة في السماء والحيتان في البحر. وقد عرفت البلاد العربية والإسلامية غنى في المعارف والعلوم نتيجة ما شهدته من تلاقح بين الحضارات والأمم لما توسعت رقعة هذه الأمة لتمتد من أقصى شرق آسيا إلى أقصى الغرب الإسلامي وبلاد الأندلس.

ومن أهم هذه العلوم، العلوم الطبية التي تناولها العلماء بمنظور خاص وفق كليات الشريعة ومقاصدها، وبفهم لحاجات الإنسان ورغباته باعتبار الجانب المادي فيه والنفسي والروحي دون إغفال لجانب على حساب الآخر. فخلفوا بذلك تراثا علميا ضخما لايزال بحاجة إلى الإحياء والدراسة بعدما طاله من الإهمال والنسيان نتيجة لعوامل تاريخية سننية أثرت في سيورة الأمة الإسلامية. فكل الأمم تتداعى إلى تراثها ومفاخرها لتمييز بهما بين غيرها، وتبني عليها حضارة وفق قيمها ومبادئها، بل إن بعض الدول التي ليس لها أمجاد ولا مفاخر ولا امتداد في التاريخ الإنساني قد تسطو على تراث غيرها وتستولي عليه وتنسبه إليها حتى تجد لنفسها الحظوة والمجد. وهو ما جعل العديد من الدول تقوم بتسجيل تراثها في المنظمات الخاصة بذلك حتى تحميها من النهب والسلب.

إن هذا التأليف في المجال الطبي من لدن علماء المسلمين كان تارة غرضا، فتم تأليف كتب وموسوعات متخصصة في العلوم الطبية كما هو الحال مع كتاب القانون لابن سينا، والحاوي للرازي وشجرة الطب للحياطي وغيرها، وتارة أخرى عرضا، حيث يتم تأليف مؤلفات في مجال من مجالات العلوم الإسلامية الغير الطبية أصالة كالفقه والتفسير والتزكية والسلوك مثلا، وتدرج فيها فصول ومباحث وقضايا من المجال الطبي، ككتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، ومفاتيح الغيب للرازي وغيرها. وتزخر كتب النوازل الفقهية بالقضايا والمباحث الطبية لكونها تصور تفاصيل حياة الناس وتعالجها وتدقق فيها، وحياة الناس لا تخلو من عوارض صحية ونفسية، بل هي لصيقة بها وتترتب عنها إشكالات فقهية شرعية عديدة يسعى الفقهاء في تناولها إلى بيان حكم الشرع فيها.

ومن أهم الموسوعات النوازلية المغربية انصب اهتمامنا على معيار المهدي الوزاني باعتباره آخر ما ألف في الموسوعات النوازلية، لمؤلفه المهدي الوزاني، ولكونه جمع نوازل المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء النوازلين، فكان بذلك موسوعة جامعة، عدا تصنيفه المحيط بجميع أبواب الفقه، حيث يضم نوازل العبادات والمعاملات ومسائل العقائد والسلوك وغيرها.

إن معيار المهدي الوزاني الضخم، الذي يقع في اثني عشر مجلدا، قد ألف في مجال فقه النوازل غرضا، وقد ضم في مختلف أبوابه عددا كبيرا من المسائل والقضايا الطبية المتنوعة، وقد ناقش الفقهاء هذه القضايا وتدارسوها مع أهل التخصص في المجال الطبي والصيدلي ليحققوا بذلك مبدأ التكامل المعرفي، من أجل الخلوص إلى تحقيق مراد الله عز وجل في هذه القضايا.

المحور الأول: كتب النوازل وأهميتها في المعرفة الطبية

1. التعريف بالنوازل الفقهية

النوازل جمع نازلة. جاء في لسان العرب: "النازلة الشدة من شدائد الدهر".¹ وفي المعجم الوسيط: "النازلة، المصيبة الشديدة".²

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة نزل، ج8، ص525.

2 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة نزل، ج2، ص329.

والفقه في اللغة كما جاء في لسان العرب: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرقه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا، والعود على المندل"³. وفي القاموس: "الفقه بالكسر، العلم بالشيء والفهم له والفطنة، وغلب على الدين لشرقه"⁴. أما في اصطلاح الأصوليين، فهو "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"⁵.

وما يهمنا في هذا المقام هو المعنى الاصطلاحي للمركب اللفظي النوازل الفقهية. ولتعريف النوازل الفقهية لابد من إمكان النظر في مسماها، وفهمه على الوجه الصحيح. فقد عرفها محمد حجي: "أما النوازل فهي مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم ويبريد أن يعرف حكم الله فيها"⁶ وعرفها بكر أبو زيد: "الحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي"⁷. ونجد تعريفاً آخر أكثر تفصيلاً: "النازلة أو الواقعة هي مسألة مستجدة وقعت بين الناس، وليس فيها قول خاص على أهل المذهب، فيعتمد الفقيه إلى استنباط حكمها من الأدلة الشرعية أو تخريجه على قواعد مذهبه"⁸.

وإذ نبغى تعريفاً شاملاً غايته الإفهام وبلاغ المعنى، فعلى ذلك فالنوازل الفقهية هي وقائع وأحداث مستجدة تنزل بالناس، لم يعرف لها مثيلة من قبل، تجعل الناس في حيرة من أمرهم وتؤثر على معيشتهم، فيلجأ معها الفقيه للنظر والاجتهاد لبيان حكم الشرع فيها، من أجل إخراج الناس من حيرتهم وفق مقاصد الشريعة وأحكامها.

وتطلق النوازل أيضاً في عرف الفقهاء على الكتب التي جمعت فيها هذه النوازل والمسائل، فيقال نوازل فلان، كنوازل البرزلي (ت841هـ)، ونوازل ابن هلال (ت903هـ)، ونوازل المنهجي (ت1133هـ)، ونوازل الورزاني (ت166هـ) وغيرهم. وهو ما أشر إليه جميل حمداوي في قوله: "وعليه ففقه النوازل هو ذلك التشريع أو الاجتهاد الفقهي الغني والمتنوع والمتشعب الذي كانت تضمه مجموعة من المؤلفات والكتب والمتون التي ألقت في الغرب الإسلامي، من قبل مجموعة من النوازلين، سواء أكانوا مفتين أم فقهاء أم قضاة أم مشاورين أم علماء مجتهدين من أجل الإجابة على أسئلة الوقائع والأحداث والنوازل التي استجدت في واقع الأندلس وشمال إفريقية، وفق المذهب المالكي، وأدلتها التفصيلية"⁹.

كما تطلق النازلة على النص المركب من سؤال يضم الاستفسار عن النازلة أي الواقعة الشديدة التي جاء المستفتي طلباً لحكم الشرع فيها، وجواب يليه للمستفتي، أو القاضي أو الفقيه الذي عرض عليه السؤال. وقد يكون الجواب مقتضياً في سطر أو سطرين، كما قد يكون مسهباً على شكل فصل يضم إحالات على نوازل أخرى ومناقشة لأقوال العلماء والفقهاء المتقدمين والمعاصرين للمستفتي.

2. خصائص النوازل

ومن أهم خصائص النوازل الفقهية: الشدة والجدة والواقعية والعفوية.

أما جانب الشدة فيها، فهي كما تنزل بشدتها على الناس، فتؤثر في أحوالهم الحياتية والنفسية، فهي تنزل بنفس الشدة على الفقيه الذي لم يسبق له أن تعامل مع نظائرها، مما يجعله يستنفر كل ما لديه من علم وممارسة في المجال الفقهي، وحكمة وفطنة في دراية الأحوال، وقد يستعين بمعاصره من الفقهاء والعلماء وأهل التخصص في المجال الذي تنتمي إليه النازلة من أجل

3 ابن منظور، لسان العرب، مادة فقه، ج7، ص145.

4 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الهاء، فصل الفاء، ج4، ص289.

5 السبكي، تقي الدين، الإبهاج في شرح المنهاج، ج1، ص28.

6 حجي، محمد، نظرات في النوازل الفقهية، ص11.

7 قلعي، محمد رواس وقتني، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ص471.

8 بيهي، أبو ياسر، فقه الواقع، ج1، ص163.

9 حمداوي، جميل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، ص9-10.

بيان حقيقتها وتحقيق مناطها، لمعرفة حكم الله فيها.

وتتجلى الجودة فيها في كونها تمثل "الجانب المتطور باستمرار من الفقه"¹⁰، فهي تواكب المتغيرات التي تطرأ في واقع الناس في مختلف جوانب حياتهم، وهو ما يتوافق مع خاتمة الدين الإسلامي ومواكبته لتغير الزمان والمكان والإنسان.

وتمثل الواقعية، في كونها قضايا حقيقية حدثت بالفعل، وليست أسئلة نظرية يتدارسها العلماء والطلاب في مجالس العلم، وإنما منشؤها الواقع، ومبتدؤها الناس الذين يقصدون العالم الأمر نزل بهم في حينه ولم يعرفوا كيف يتصرفون حياله. فكان الفقيه يستنكف عن الفرضيات ولا يجيب إلا عن النوازل التي حدثت بالفعل بعد معرفة حيثياتها وأين وقعت؟ وغير ذلك من التفاصيل.

ثم العفوية، حيث إن هذه النوازل كما تعكس مواكبة الفقه للواقع وتغيراته، تعكس أيضا الارتباط الدائم والمستمر للمجتمع المسلم بدينه، ورغبته في العيش في ظل الشريعة الإسلامية الوارفة وسماحته. فاللجوء إلى العالم كان دائما لجوءا عفويا رغبة في الخروج من الشدة والضيق إلى سعة الشريعة ورحمتها. فكان الناس دائما في مخيلتهم أن في الشريعة المخرج وإليها الملجأ.

وقد وعى الفقهاء النوازل عظم هذه المسؤولية وتقلدوها أحسن تقلد، وهو ما تعكسه أجوبتهم التي كان دائما ترجع الناس إلى دائرة الشريعة التي تسعى إلى رفع المشقة والحرَج.

وقد يسر كل ذلك خصائص المذهب المالكي الذي يتميز بتعدد أدلته العقلية والنقلية، والتي من شأنها أن توجد مساحة مريحة للمجتهد للنظر في القضايا، وفق كليات الشريعة ومقاصدها. فقد خبر فقهاء المذهب المالكي هذا النوع من الحوادث وهذا المسلك الفقهي، وبرعوا فيه، نظرا لتوالي الأحداث العظيمة على هذا القطر الإسلامي. فبلاد المغرب كانت دائما في حركة دائمة، سياسية واقتصادية وعلمية، كان نتاجها حضارة ملأت الدنيا، وتراثا علميا ضخما، كان ولازال مرجعا للمدارس العلمية والفكرية. وكان نواة أسست عليها العديد من الدول الغربية أركانها في شتى المجالات.

وقد عمد فقهاء المالكية إلى تدوين هذه المسائل والوقائع في كتب جمعت هذه النوازل، فخلفوا بذلك موسوعات ضخمة ظلت إلى يومنا هذا مرجعا في الفقه والقضاء والفتيا. بل إن الاهتمام بها تعدى المتخصصين في مجال الشريعة إلى غيرهم من العلوم الإنسانية والبحث. فصارت منجما لأهل التاريخ وعلم الاجتماع ثم امتد هذا الاهتمام إلى كل المجالات العلمية التقنية كالزراعة والمعمار والصيدلة وغيرها. وإن المقل على هذه الكتب ليقف مندهشا مما تحويه من تفاصيل علمية دقيقة قد لا ترد في كتب متخصصة.

3. أهمية كتب النوازل واستثمارها في العلوم الإنسانية والطبية

لقد اشتهر التأليف في فقه النوازل في الغرب الإسلامي، فلا تذكر النوازل إلا وذكر المذهب المالكي للفقهاء المغاربة. وتكتسي كتب النوازل أهمية بالغة لمجموعة من الاعتبارات:

- كونها تصور تفاصيل حياة الناس، بصفة عفوية، وتضم تفاصيل دقيقة قد لا يلتفت إليها في تدوين العديد من العلوم، كعادات الناس، وأسمائهم، ولباسهم، وتصرفاتهم مع بعضهم، ورحلاتهم، وغير ذلك.
- تعتبر نافذة على تاريخ بلاد المغرب، وما طرأ عليها وما نتج من ذلك من نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية.
- كونها مصدرا للمسكوت عنه، أو ما يسمى بلغة عصرنا الطابوهات، هذه الموضوعات التي لم يسكت عنها النوازل، بل ناقشها وحلها وأجاب عنها.
- توفر معرفة بالفئات المغمورة التي لا يلتفت إليها كفئات المجتمع الفقيرة والمضطهدة والمغضوب عليها أحيانا من قبل

السلطة الحاكمة أو المجتمع أو أهل الدين، وكذا أوضاع المرأة التي كانت مهضومة الحقوق في بعض المناطق من الغرب الإسلامي.

- كونها أرشيفا للصناعات والتقنيات الفلاحية والحرفية التي عرفها المغرب، وذاكرة لإنسان الغرب الإسلامي.
- تعتبر مدرسة منهجية في التعامل مع الحوادث واستثمار الأدوات الفقهية للاجتهاد وإعمال مقاصد الشريعة وفقه التنزيل.

وتكمن قوة هذه النوازل في عفويتها، فلا تدخل فيها لأي طرف من أجل تحريف معلومة أو تزوير حقيقة، أو حذف مقطع. ذلك أنها ألّفت من طرف نوازليين، وللعلم فإن فئة النوازليين شكلت فئة قليلة في تشكيلة وطبقات العلماء المالكية، فالفقهاء كثيرون والمشاورون والقضاة، ولكن النوازليين قليل، ذلك أن هذا الفن بالإضافة إلى التمكن من أدوات الاجتهاد يتطلب دراية واسعة وفقها بالواقع معطياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واحتكاكا بالناس ودراية بأحوالهم المادية والنفسية والاجتماعية والصحية، وعاداتهم وأعرافهم وعلاقاتهم. ولبلوغ هذه الدرجة، لا بد أن تتوفر في الفقيه النوازلي مجموعة من الشروط العلمية والأخلاقية، من أهمها الورع والتقوى وخشية الله عز وجل وحسن الخلق وحسن السيرة بين الناس، والتمكن من أدوات الاجتهاد العقلية والنقلية واستيعاب مقاصد الشريعة وفهم الواقع والتنزيل. وهي درجة لا يصل إليها إلا القليل ممن من الله عليهم وبلغهم هذه الدرجة الرفيعة.

وقد بدأ الاهتمام بفقه النوازل منذ منتصف القرن العشرين، مع مجموعة من المستشرقين الذين درسوا فقه النوازل تحقيقا وتحصيحا ودراسة بحثا وتاريخا كما حال جاك برك، وميشوبلر، وبرونشفيك، وإميل عمار، وجوزيف شاخت، وليفي برونفسال...¹¹ إضافة إلى مجموعة من الباحثين والمؤرخين العرب أمثال مصطفى الصمدي، ومحمد حجي، وعمر الجيدي، ومحمد علي مكي وغيرهم.

إننا في هذا العصر في أمس الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى فقه النوازل، لما يعرفه هذا العصر من توالي المستجدات في العديد من المجالات الطبية والاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والنفسية والاجتماعية، والتي تنزل في تسارع كبير، فلا يكاد يمر يوم بل قل ساعة، إلا وتسمع نازلة تجعل الحليم حيرانا.

أما من الناحية الطبية، فتزخر هذه الكتب بوصف الأمراض والعلل، والعقاقير، والعلاجات وعادات الناس في التداوي والتعامل مع الأزمات الصحية، وما عمت به البلوى... مثال ذلك نازلة في معيار الونشريسي بخصوص الأحباس التي وقفت على المرضى، حيث "أفتى القاضي ابن الحاج في حبس على المرضى لا يستحق سهمه منه إلا بشهادة الأطباء، فإذا كان الحبس على مرض خاص كالجذام، لا بد أن يشهد الأطباء بأنه مصاب بالجذام".¹²

وفي هذه النازلة المقتضية معرفة علمية غزيرة بخصوص الممارسة الطبية بالمغرب، تصف علاقة المجتمع بالمرضى، وإيجاد أوقاف خاصة بهم، تعكس قيمة التكافل في المجتمع المغربي، وعلاقة الأطباء بالفقهاء وتأثيرهم على إصدار الفتوى، وقوة شهادتهم، وأنواع الأمراض وغير ذلك.

المحور الثاني: المعيار الجديد وأهميته وقيّمته العلمية في المعرفة الطبية

1. المهدي الوزاني صاحب المعيار الجديد

يعتبر المهدي الوزاني العمراني نسبا الوزاني أصلا الفاسي دارا وقرارا¹³، من أعلام المغرب النوازليين، الذين كانت لهم اليد

11 حمدادي، جميل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، ص35.

12 الونشريسي، أحمد، المعيار المغرب، ج7، ص236.

13 الثعالبي، الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج4/151.

البيضاء في مجال فقه النوازل في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين. عاش في الفترة الممتدة بين سنة 1266هـ / 1849م و1342هـ / 1923م.

ولد بمدينة وزان شمال المغرب عام ستة وستين ومائتين وألف¹⁴، من سلالة الشرفاء العمرانيين التي تتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع بالمغرب، والتي يرجع نسبها إلى المولى إدريس.

درس الفقيه الوزاني، بوزان على يد والده وعلى عدد من العلماء، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ بمبادئ اللغة والعلوم الإسلامية هناك. ثم انتقل بعد ذلك لإتمام دراسته بمدينة فاس، حيث درس الفقه بجامع القرويين، وأخذ العلم على علمائها المرموقين كأبي عبد الله محمد المديني كنون، وأحمد بناني، وأبو محمد الحاج صالح وأبي عبد الله محمد القادري وغيرهم.

وصفه صاحب سل النصال بكونه "الشيخ الإمام العالم العلامة، الهام المشارك، الفقيه النوازي المطالع الكاتب المقتدر، المحرر النحرير، الذي نفع الله بعلمه وتأليفه، فقد اشتهرت أهما اشتهار، وتنافس الناس في اقتنائها والاستفادة منها، فلا تدخل مكتبة بالمغرب إلا وتجد بها تأليفا أو تأليف له"¹⁵. وكان الطلبة يحبونه غاية المحبة، ويزاحمون على مجالسه ما لا يزاحمون على غيرها من المجالس، فكان يجتمع عليه الجم الغفير من المثين من الطلبة، ونفع الله به غاية النفع"¹⁶.

وقد عاصر رحمه الله، مرحلة ما قبل الحماية إلى أواسط عهد السلطان مولاي يوسف، حيث اعتبرت هذه المرحلة حاسمة من تاريخ التدريس في القرويين¹⁷.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة الأربعاء تاسع وعشري محرم توفي المهدي بن محمد الوزاني الحسني، خاتمة الفقهاء بالديار المغربية، وآخر من أتقن هذا الفن، عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف 1342هـ، ودفن بروضة الشاميين، قرب قبة الشيخ الغياني بالقباب خارج باب الفتوح بفاس^{18,19}.

ولقد خلف المهدي الوزاني تراثا علميا غزيرا يفوق الثلاثين كتابا، قال فيه معاصره صاحب الفكر السامي: "دؤوب على نشر العلم بدروس عامرة وتواليا متكاثرة. هو أكثر من أدركنا بالمغرب تأليفا وتصنيفا... وقد ملأت المغرب فتاويه ودروسه وطروسه وانتفع به خلق كثير والله يعينه ويسدده"²⁰.

ألف تأليف عديدة جلها في الفقه المالكي وما جرى به العمل، فقد حرر ما لهم في ذلك تحريرا تاما، حتى صارت الآن تأليفه لا يفتى إلا منها، ولا يعدل عنها لغيرها إلا نادرا، لأنه اطلع على ما للمتقدمين والمتأخرين، ولخص زبدة ذلك وأودعها تأليفه، مع بسط في العبارة وقلم سيال وجمع بين النظائر. وقد أعطاه الله شهرة في التأليف في حياته، واقتنى الناس كتبه بأثمان باهظة وتداولوها²¹.

من أهم مؤلفاته: النوازل الصغرى المسماة بالمنح السامية في النوازل الفقهية، وشرح منظومة ياقوتة الحكام، الكواكب النيرة والجواهر المختارة، تحفة الحذاق بنشر ما تضمنته لامية الزقاق، إيضاح المسالك على الفتوحات القيمية وغيرها. ويعتبر المهدي الوزاني آخر الفقهاء النوازلين الموالك، ولم يأت بعده فقيه ألف موسوعة جامعة للنوازل الفقهية.

14 بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج2، ص35.

15 بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال - فهرس الشيوخ، ص29.

16 الكتاني، محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس من أقر بمدينة فاس، ج3، ص47.

17 الوزاني، المهدي، تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس، ص7.

18 بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، سل النصال، ص30.

19 بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج2، ص35.

20 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ج151/4.

21 بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال - فهرس الشيوخ، ص30.

واستشعاراً بأهمية التراث الضخم الذي خلفه المهدي الوزاني، فقد نظم المجلس العلمي المحلي لمولاي يعقوب مع كلية الشريعة بفاس ندوة دولية بمناسبة مرور 100 عام على وفاة هذا العالم الكبير تم خلالها تدارس أعمال المهدي الوزاني وأهميتها العلمية وسبل استثمارها، وذلك أيام 16 و17 ماي 2022م.

2. المعيار الجديد وأهميته العلمية

يعتبر المعيار الجديد للمهدي الوزاني اختصاراً لاسمه المعيار الجامع المغرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب والمسمى أيضاً النوازل الجديدة الكبرى فيما لأمل فاس وغيرهم من البدو والقرى، آخر ما ألف في الموسوعات الفقهية النوازلية. حيث تم تأليفه بين سنتي 1902 و1910م من قبل الفقيه المهدي أبو عيسى الوزاني.

طبع سنة 1910م طبعة حجرية بمدينة فاس في أحد عشر مجلداً، ثم طبع بعد ذلك في طبعة ورقية سنة 1996 في اثنا عشر مجداً من قبل وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية بمدينة الرباط. 22

ففيما كان المغرب يمر بأوج الأزمات في تاريخه وهي مرحلة الحماية والاستعمار، وهي فترة عرفت فوضى واضطرابات اجتماعية كبيرة، قام المهدي الوزاني بنشر مجموعة نوازلية فقهية ضخمة من 11 مجلداً سماها النوازل الجديدة الكبرى، ولعل في تسميتها ما يدل على الظروف التي ألقت فيها، فهي نوازل جديدة لم يشهد لها المغرب مثيلاً من قبل، وهي كبرى من حيث شدة وجدة موضوعاتها، وكبرى أيضاً من حيث حجم موسوعتها.

وقد تطلب منه إنجاز هذا العمل مجهوداً ضخماً امتد لما يقارب الثماني سنوات، اطلع فيها الوزاني وجمع فيها ما لا يعد ولا يحصى من المخطوطات وكتب الفقه المالكي. 23.

وقد صنف الوزاني كتابه في أبواب على عادة الفقهاء المالكية، وصرح في مقدمته أنه قسمه حسب تقسيم الشيخ خليل. وقد شملت هذه الأبواب مختلف أبواب الفقه ابتداءً من الطهارة، مروراً بالشركة والمزاعة والمياه والقضاء والنكاح والطلاق وغير ذلك من الأبواب الكثيرة وانتهاءً بالوفاة والتوكل إلى الله تعالى. وقم ضمن المهدي الوزاني هذه الأبواب نقاشاته واختياراته الفقهية. فتعتبر هذه الموسوعة بذلك تلخيصاً جامعاً للفقه المالكي. "صار معيار الوزاني في السنوات التي تلتها مرجعاً للعلماء من بعده، وصار ذا سلطة علمية لا يمكن تجاوزها في المدرسة المالكية". 24.

لم يحظ المعيار الجديد بالدراسة كما هو الشأن مع كتب النوازل التي سبقتها، كمعيار الونشريسي مثلاً، وذلك لكونه ظل إلى غاية سنة 1996 في نسخة حجرية، ثم بدأت بعد ذلك بعض الدراسات التي تحدثت عنه أو تناولت فصلاً من فصوله كما هو الشأن مع جاك بيرك في كتابه "Les Naw zil el muz ra'a du Mi'y r Al Wazz n : étude et traduction" ومقاله "Ville et université: aperçu sur l'histoire de l'école de Fès"، ثم بدأ الاهتمام به في مجموعة من الدراسات كما هو الشأن مع كتاب التطبيق المقاصدي في فقه الأموال من خلال كتاب المعيار الجديد، وهو عبارة عن أطروحة جامعية تم نشرها من طرف الرابطة المحمدية للعلماء، وتمت الإشارة إليه في كتاب أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي. ولا توجد دراسة اهتمت بالقضايا الطبية فيه، وهو ما دفعنا لسر أغوار هذا الموضوع فيه.

3. حضور القضايا الطبية في معيار الوزاني

كما سبق الذكر فمعيار الوزاني موسوعة جامعة لنوازل فقهية تهتم بمختلف مناحي الحياة العقدية والمعاملاتية، موزعة على

22. Redefining Islamic Tradition : Legal interpretation as a medium for innovation in the making of Modern Morocco, p426 ّةTerem, Etty

23. Redefining Islamic Tradition : Legal interpretation as a medium for innovation in the making of Modern Morocco, p425 ّةTerem, Etty

24. Redefining Islamic Tradition : Legal interpretation as a medium for innovation in the making of Modern Morocco, p426 ّةTerem, Etty

أبواب فقهية. ولكنها تصور تفاصيل حياة الناس، فهي لا تخلو من تصوير ما يطرأ عليهم من صحة ومرض، وحالات نفسية وعقلية، تشكل في مجموعها مرآة لما طرأ في هذا القطر من عوارض صحية وقضايا طبية. فعلنا تنسأل، كيف لهذه القضايا أن توجد في كتاب فقه؟ وما هو حجم حضور هذه القضايا في هذه الموسوعة؟ وما هي قيمتها العلمية المعرفية والمنهجية؟ وكيف يمكن الاستفادة منها؟

إن النوازل التي تعنى بهذه الجوانب الصحية والطبية في المعيار لم توجد مصنفة في باب واحد خاص بها، وإنما وجدت مبنوثة في كل أبواب المعيار، من أوله إلى آخره. وليبيان هذه الخبيصة نورد مجموعة من الأمثلة.

ففي باب الطهارة، نجد العديد من النوازل التي تهتم بالنظافة الشخصية البدنية والعناية بالجسد، وكذا نوازل خاصة بالقمل والبراغيث التي تؤثر على الجلد وسلامته، ونوازل بها توصيف لبعض الأمراض الجلدية والمعدية، كما في نازلة نصها: "وسئل أبو العباس القياب عن رجل به جرب كثير، فإذا أتى المسجد للصلاة حك فيه فتفتح قشور الجرب في المسجد، وهو لا يقدر على التحفظ من ذلك، هل يجوز دخول المسجد أو لا؟"²⁵.

ونجد ذكر بعض الأمراض النفسية كالوسواس مثلاً كما في نازلة: "وسئل الشيخ السنوسي رحمه الله عن الوسواس في الوضوء. فأجاب بأنه لا دواء له إلا الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه..."²⁶. واستفاض في شرح العلاج للسائل في تمة النازلة.

وكذا ذكر بعض المسائل الطبية الأخلاقية التي تثير جدلاً في وقتنا الحالي كالإجهاض مثلاً، والذي هو موضوع قديم عالجه الفقهاء بموضوعة وواقعية، كما في نازلة: "وسئل سيدي عبد الله العبدوسي عن امرأة أسقطت ما في بطنها في رمضان متعمدة، وهمادى بها الدم رمضان كله، هل تلزمه كفارة أم لا؟ وهل تعدد الكفارات على عدد أيام رمضان أم لا؟ وهل تلزمها الغرة أم لا؟ وهل تلزمها كفارة القتل أم لا؟"²⁷.

ومثال آخر يتناول الأخذ بشهادة الأطباء، كما في نازلة: "وسئل أيضاً عن من يصوم تطوعاً فيقول له أثناء من أهل الطب: إن الصوم يضر ببصره، أو يسهر، فيقولان له: إن السهر يضر به، فهل يحرم عليه الصوم والسهر أم لا؟"²⁸.

وغير ذلك مما لا يحصى من النوازل التي تحمل في نصوصها معلومات قيمة جداً عن قضايا كانت لا زالت مثار جدل بين أهل التخصص الطبي من الناحية العلمية والأخلاقية، وتصور تطور الممارسات في المجال الصحي بالغرب الإسلامي.

كما أنها تورد نظرة الشرع لهذه الأسئلة الشائكة، فالأجوبة عن هذه القضايا كثيراً ما كانت مطولة مفصلة فيها نقاش علمي مستفيض بين أهل التخصص الطبي والفقه، ومراسلات بين علماء مختلف أقطار العالم الإسلامي، يوردها الفقيه النوازي ويناقش أدلتها ومدى قوتها ليخلص في الأخير لأرشد الأقوال يجب بها السائل.

المحور الثالث: الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي من خلال المعيار الجديد

1. المهن الطبية

لقد تناولت النوازل العديد من الوظائف والمهن الطبية التي مارسها متخصصون في المجال الطبي.

25 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص264.

26 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص390.

27 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج2، ص163.

28 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج2، ص178.

فمن أهم هذه المهنة: مهنة الأطباء، الذين كانت لهم أدوار متعددة داخل المجتمع المغربي تتعدى الكشف وتشخيص الأمراض، إلى الخبرة الطبية والشهادة بين يدي القاضي حال النزاع لإثبات الضرر.

وتعددت مهام الطبيب، لتشمل تشخيص المرض، والعلاج وسقيا الدواء والكي والقطع أي الجراحة. وناقشوا هل هو ضامن أم لا؟ كما نقل الشيخ بناني في حاشيته عن ابن رشد: "إن الطبيب إذا عالج الرجل فسقاه فمات من سقيه، أو كواه فمات من كيه، أو قطع منه شيئا فمات من قطعه، والحجام إذا ختن أو قلع ضرر الرجل فمات من ذلك فلا ضمان على وأجد منهما الخ، والله أعلم"²⁹.

وقد ناقشت العديد من النوازل مسألة نظر الطبيب الرجل لعورة المرأة حال المرض أو لفحص العذرية أو لإثبات الضرر، كما ورد عن النوشريسي: "يجوز أن يباشر الرجل بيده إن دعت إلى ذلك ضرورة، لأن الضرورة تبيح المحظور، كالطبيب"³⁰. وفي النصيحة الكافية للشيخ زروق: "يجوز للطبيب والشاهد نظر وجه المرأة وما لا بد في ذلك منه من عورة وغيرها، بقدر الضرورة لا ما وراء ذلك"³¹.

وكان للأطباء دور كبير في إثبات الضرر والعيوب في القضاء بين المتخاصمين والخبرة الطبية مع اشتراط العدالة، كما في نازلة نصها: "وقع في هذا العهد في رجل اشترى أمة وشهد له الأطباء أن بعنقها أثرا يخشى منه حصول الجذام..."³². فكان هنا الاستعانة بقول الأطباء في مجال البيوع والعقود، وفي ذلك وجه من أوجه التكامل بين التخصصات، الطبية والمعاملاتية والقضائية.

قال ابن رشد في بعض أجوبته: "يجوز قول الطبيب فيما يختص به قول الأطباء"³³.

ويستندون لذلك بما جاء في التحفة:

ثم العيوب كلها لا تعتبر إلا بقول من له بها بصر³⁴

ولا يقبل قول غيرهم في المجال الطبي، كما قال محمد: "لا يثبت العيب إلا بعدلين من أهل العلم يعيوب تلك السلعة فيما يستوي الناس في معرفته، فإن اختصت معرفته بأهل العلم كالأمراض المختص بمعرفة الأطباء لم تقبل إلا أهل المعرفة بها، وإن كانوا عدولا فهو أتم، وإن لم يوجد فيهم عدول قبل غيرهم وإن لم يكونوا مسلمين، لأنه خبر عما ينفردون بعلمه"³⁵.

وذكرت نوازل أخرى وجود أطباء منتصين للشهادة، يعدون شهادات مكتوبة تسمى "الرسم" يحتاج إليها في النزاع والحكم في الخصام، كما في نوازل الاستحقاق: "وقع السؤال عمن طلب نسخة من شهادة الأطباء المنتصين للشهادة، هل يجاب لذلك أم لا؟ فوقع الجواب بأن الخصم إذا طلب من خصمه أن يعطيه الرسم الذي قام به عليه، كان شهوده عدولا أو لفيضا أو أطباء لينسخه، ثم يسأل العلماء عن نازلته، أو ليتأمل ما شهد به عليه، فإنه يجاب لذلك ويحكم له به..."³⁶

كما وردت نوازل حول أجره الطبيب ولزومها، كما في جواب أبي العباس سيدي أحمد العباسي السوسي: "وفي لزوم أجره

- 29 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص426 - 427.
- 30 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص325.
- 31 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص370.
- 32 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص415.
- 33 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص378.
- 34 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص417.
- 35 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص378.
- 36 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج7، ص211.

الطبيب وقيمة الدواء على الجاني³⁷. وفي نازلة أخرى: "وسئل أيضا عن رجل ادعى على آخر أنه كان طبيبا، فاستقبض له رجلا ابن أخيه على أن يداويه كان فيه خنزير في رجله بأجرة سماها له..."³⁸

ثم تأتي مهنة القوابل، كما تشير لها العديد من النوازل، كما في نازلة: " فلما خرجت الزوجة من داره ووصلت لدار أبيها قلبتها القوابل، فشهدن أن المزال من بكراتها إنما هو بعضها فقط، ومازال أثره جديدا يتعاهده الدم"³⁹.

وكانت هذه المهنة خاصة بالنساء، حيث تقوم القابلة بمهام متعددة، من أهمها إسعاف المرأة، ومعاينة الضرر بالنسبة للنساء، وفحص العذرية، ومراقبة الحمل وتشخيصه، كما في نازلة سئل عنها سيدي علي بن عثمان مفتي بجاية: "ما تقول في امرأة متوفى عنها تذكر بعد وفاة زوجها حملا منه وتشفع في ذلك، وقد ينضم إلى ذلك تصديق القوابل لها..."⁴⁰.

كما أن القابلة كانت تستدعى للشهادة من لدن القاضي، وقد يستعين بها من أجل الخبرة الطبية حال النزاع. وقد اشترط الفقهاء لممارسة هذه المهنة جملة شروط منها: "لا بد من المعرفة التامة، والأمانة المحضة، والتثبت الكثير، والدين المتين"⁴¹، كما ورد عن عبد الله بن الحاج، وهي شروط تجمع بين ما هو علمي وأخلاقي.

وتشير بعض النوازل إلى التلاعب الذي قد يظهر ممن يمارسن هذه المهنة، فيشهدن بالكذب والبهتان إذا دعين للشهادة، ويؤدي ذلك إلى الإعراض عن الأخذ بشهادتهن.

ومن المهن التي وردت في المعيار الجديد، مهنة الحجام، كما في نازلة سئل عنها المهدي الوزاني، حيث قال: "سئلت عمن اشترى أمتين، ثم بعد مدة تزيد على العام أثبت برجلين حجامين أن إحدهما بها جنون، والأخرى بعينها الأخرى العمى الأزرق، والعين الأخرى تبصر بها قليلا، وأفناه من لا خبرة له بردهما"⁴². فكان الحجام يقوم بتشخيص الأمراض بناء على الأعراض الظاهرة. وبناء على جواب الوزاني يظهر أن الحجام كان في مرتبة أقل من الطبيب في الأخذ بقوله في الشهادة فيما يخص العيوب والأمراض، حيث قال: "وبيان ذلك أن عيب الجنون إنما يثبت برؤية العدلين، ولا يثبت بأرباب البصر العارفين بالعيوب، فضلا عن الحجامين، وعلى تقدير ثبوته بهم، فيشترط فيهم ألا يكونوا كذابين، وإلا فلا يثبت بهم شيء أصلا ولو مطلق الخبر، وعلى تقدير سلامتهم من الكذب، فأين الأمارات التي استندوا إليها؟ وأين الدلائل التي استدلوها بها؟ فلعمري إنه لكذب افتروه وأعانهم غيرهم على ما ادعوه"⁴³.

وذكرت النوازل مجموعة من المهام التي يمارسها الحجام ومن أهمها الختان وقلع الأفراس، كما أنه كان يقوم أيضا بمداواة الجروح، تشير إليه نازلة في نوازل الدماء: "وسئل سيدي إبراهيم اليزناسني عن امرأة دمت على رجل بجرح فأقامت بعد ذلك تأكل وتشرب نحو من شهر، ثم إن الجرح الذي دمت به أكن في داخله قيحا قبل أن يتبين برؤه، فدعت الحجام وبقر عن الجرح المذكور وقطع من فمه قطعة من اللحم لأجل ما أكن الجرح المذكور من القيح والريح..."⁴⁴. وناقشت النوازل مسألة الضمان عليه كما بالنسبة للأطباء أعلاه.

ثم مهنة الطبيب البيطري التي وردت الإشارة إليها في نوازل عديدة، وناقش الفقهاء مجال اختصاصهم وما يؤخذ بشهادتهم فيه. "ففي نوازل المحقق السجلماسي من جواب له ما نصه: إن المرجوع فيه إلى البياطرة إنما هو عيوب الدواب، وأما عيوب

- 37 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص365.
- 38 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج6، ص375.
- 39 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص322.
- 40 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج4، ص319.
- 41 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص326.
- 42 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص384.
- 43 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص384.
- 44 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج10، ص131.

الآدمي فإنما يرجع فيها للأطباء⁴⁵.

وكان الطبيب البيطري فاعلا في المجال الصحي من حيث مراقبة سلامة الأغذية من أصل حيواني، ومراقبة ذكاة الأنعام، وتشخيص أمراض الحيوانات وعلاجها، وقد وردت في نوازل عديدة في المعيار لا يسع المقام لذكرها كلها.

وكما بالنسبة للطبيب البشري، كان الطبيب البيطري يستدعى للشهادة في القضاء حال النزاع لإثبات العيب والضرر لدى الحيوان ومن أجل الخبرة في مجال تخصصه. كما تصوره هذه النازلة التي سئل عنها المحقق السجلماسي، نصها: "وسئل أيضا عن رسم مضمنه: الحمد لله، وقف شهيداه على جيفة فرس، نعتة كذا، الخ، فبقر بطنه وأخرجت مجبته بحضرة فلان وفلان البيطارين، فنظراها نظرا شافيا، وقلباها تقليبا كافيا، فالذي أداه إليه اجتهداهما ودليل معرفتهما، أن الدود الذي بداخل المجبنة هو المسمى بالذباب الذي يقتل الدواب، وبه ماتت بهيمة هذه المجبنة، وأنه قديم أقدم من أمد التبايع الذي ذكره مشتره، وهو كذا وكذا، قالوا ذلك وتقلدها وأديا به الخ"⁴⁶.

فتمت الاستعانة بالبيطرة لمعالجة جثة الفرس بعد تشريحها، لمعرفة سبب هلاكها، والفصل بين المتنازعين حول بيع هذه الفرس وعيبتها. وتم توثيق ذلك في وثيقة رسمية، يطلق عليها "الرسم"، تستعمل في القضاء وغيره. واشترط الفقهاء للأخذ بقوله السلامة من الكذب، حيث يقول: "والسلامة من جرحة الكذب لا بد منها في المخبر، وهي كالعدالة المشترطة في الشاهد"⁴⁷.

كل هذه الأدوار التي ذكرت آنفا كان أثرها يتعدى الدور الطبي كما رأينا، إلى المساهمة في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع. وهي تلفت النظر للبعد الاجتماعي والمجتمعي لهذه الأدوار الطبية التي تتعدى تشخيص الأمراض وعلاجها، لتساهم في فض الخصومات والنزاعات، واستقرار الأسر، والمجتمع.

2. الأمراض والأوبئة

إن النوازل التي ورد فيها الحديث عن الأمراض في المعيار الجديد لا تكاد تحصى، منها الأمراض الشائعة، كنقصان البصر، والجرب والجذام، والبرص، والتسممات الغذائية.

كما يورد المعيار نماذج عديدة للأمراض الجنسية وتشوهات الجهاز التناسلي، كما تشير إليه نازلة نصها: "وسئل العلامة المحقق السجلماسي عن رجل كان معترضا عن زوجته ومكث معها مدة يعالج نفسه بأنواع العلاج، ثم ادعى ذات يوم أنه عوفي وأنه أصاب زوجته وأكذبته الزوجة، وقال إنما أصابها وأزال بكرتها بأصبعه، فلمن القول منهما؟"⁴⁸. ومرض النوار، كما في نازلة: "وسئلت عمن اشترى أمة ثم قام يدعي أنه باعها لغیره، وظهر بها عيب النوار بعد مدة تزيد على العام..."⁴⁹.

وتأخذ الأمراض العقلية أيضا حيزا من هذه النوازل، كما في نازلة: "وسئلت عن رجل باع نصف دار مائة ريال، ثم بعد مضي نحو خمسة أعوام طرأ له اختلال في عقله..."⁵⁰.

وكذلك الأمر بالنسبة للأمراض المعدية، كما في نازلة "وذكر بعض أصحاب مالك أن أناسا أصابهم بطريق مكة سعال، فكان

45 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص384.

46 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص389.

47 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص385.

48 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص329.

49 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص386.

50 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص291.

الرجل لا يسعل إلا يسيرا حتى يموت، فمات من ذلك عام...⁵¹.

وما يهم في ذكر هذه الأمراض، هو عرضها في سياقها الواقعي، وكيف أثرت على المريض وتصرفاته المالية، وعلاقاته الأسرية والمجتمعية، وكيفية علاجه منها ومن يقوم بذلك، وأوضاع المجتمع في ذلك الوقت. فتقدم بذلك صورة متكاملة عن هذه الحالة المرضية. فالمرض لا يقتصر تأثيره على البدن أو العقل فقط وإنما على المجتمع بأكمله.

أما بالنسبة للأوبئة فقد عرفت بلاد المغرب موجات متعددة منها، وكان لها تأثير مباشر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلد، وتفاعل معها كل الفاعلين في القطاع الديني والطبي والسلطة الحاكمة. وقد أورد لها الوزاني حيزاً مهماً في معياره، ناقش فيها إجراءات الحجر الصحي، ومداواة المرضى، والإجراءات الاحترازية التي يجب القيام بها من أجل إقامة المصالح الضرورية للناس كالتجارة والتنقل للضرورة وغير ذلك. فقد أورد فصلين خاصين بالأوبئة أحدهما في الجزء الثاني ضمن نوازل الحج في نازلة: "وسئل العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن المبارك عن حل ببلادهم طاعون ونزل بهم، أعاذنا الله تعالى من نقمه، وخولنا ما عودنا من سوابغ نعمه بفضلته وكرمه، هل يسوغ لهم الخروج منه فراراً أو لا؟ وهل يجوز لهم القدوم على غيرهم ممن ليس بأرضهم طاعون بقصد التجارة أو لا؟ وهل إذا أراد من ليس عندهم وباء منع القادمين عليهم من الدخول لأرضهم لأجل تجارة أو شراء كفن أو غير ذلك يمكنون من ذلك ويجوز لهم أو لا؟⁵². وفي الجزء الثاني عشر خصص له مطلباً أيضاً فيما قيل في الجمع بين حديث "لا عدوى" و "فر من المجذوم"⁵³.

كما تناولت العديد من النوازل آثار الوباء، حيث ترتب عنه أحكام خاصة، كما هو الحال مع من فقد زمن الطاعون، كما جاء في جواب نازلة: "لأن الغائب زمن الطاعون محمول على الموت"⁵⁴، وما يصاحب ذلك من كساد وآثار اقتصادية، كما في نازلة: "وسئل ابن رشد عن المتقابلين للفنادق والأرضى إذا قل الواردون لسكنى الفنادق والطعام للطحن، فهل ذلك جائحة يحط بها الكراء عنهم أم لا؟"⁵⁵.

وتصور نوازل أخرى الآثار الاجتماعية للوباء على الأسرة، كما في نازلة: "ثم توفي الصبي في الوباء قبل سن البلوغ، فطلب والد الزوجة صداقها وميراثها من زوجها، وادعى ورثة الصبي أن لا شيء لها، وأن النكاح باطل لكون الصبي مات قبل البلوغ، فلم يقبل النكاح المذكور..."⁵⁶.

إن هذه القضايا المصاحبة للوباء التي تناولتها هذه النوازل وغيرها، شاهدنا نظيراتها في وباء كوفيد19، وما يتعلق به من أحكام طبية وفقهية تتعلق بالحجر الصحي وتحركات الأشخاص والبضائع وغير ذلك من الإجراءات الاحترازية.

3. التداءي والوقاية من الأمراض

وفيما يخص التداءي، فقد زخر المعيار بنوازل التمريض والعلاج واستعمال الأدوية، فوردت نوازل تصور استعمال دواء العطارين، وسوء استعمال الدواء، كما في نازلة سئل عنها سيدي العربي بردلة "عن رجل بعث من يأتيه من العطارين بدواء سماه له يدأوي به ولده من داء الجرب، فاشتره من العطارين وتركه عنده في كاغد، وذهب لحاجة أخرى حتى يعود، فلما عاد ناوله كاغدا فيه شلمان، ظنا منه أنه هو الذي تركه عنده، فلما وصل ذلك إلى أم الطفل قالت لأبيه: هو شبيه بشلمان وليس بالدواء الذي بعثنا إليه، فكذبها وجهلها، فخلطته إذ ذاك مع بعض العقاقير وطلت به أعضاء الصبي فمات من حينه وتضررت

51 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج4، ص363.

52 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج2، ص203.

53 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج12، ص471.

54 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج4، ص364.

55 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج5، ص506.

56 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص273.

هي في أعضائها، إلا أنها سلمت، فهل الدية على العطار أم على المرأة؟⁵⁷.

وردت نوازل حول استعمال أدوية منع الحمل، كما في نازلة: "ما سئل عنه عز الدين بن عبد السلام الشافعي رحمه الله تعالى، هل يسوغ أن تستعمل أدوية لتلا تحمل أو لا؟"⁵⁸.

كما نجد العديد من النوازل التي تتحدث عن منتجات التجميل والعناية بالشعر ومداواته باستعمال الحناء والنباتات، والتجمل والعناية بالبشرة في سائر الأيام وفي أيام الأعراس والمناسبات.

وقد كانت هذه الأدوية في كثير من الأحيان مدار سؤال حول حليتها وجواز استعمالها، كما في نازلة "وسئلت عن التداوي بالحرام كالخمر، هل يجوز؟"⁵⁹.

ومن الأساليب العلاجية التي وردت في المعيار الجديد نجد الفصد والحجامة، وكانت من الممارسات الشائعة في الغرب الإسلامي وتمت الإشارة إليها في العديد من النوازل. وكانت هذه أساليب يلجأ إليها للعلاج والوقاية معا.

إضافة إلى التداوي والعلاج، أخذت الوقاية نطاقا واسعا من النقاش حول التلقيح. فقد ناقش المهدي الوزاني مسألة التلقيح ضد الجدري، وهي مسألة اختلف الفقهاء حولها بين الجواز والتحريم، ورأى الوزاني جوازها من أجل المصلحة العامة وحفظ النفس. ذلك أن مرض الجدري كان مما عمت به البلوى في بلاد الغرب الإسلامي ومصر وبلاد الروم. كما جاء في نص النازلة "سئلت عما اعتاده الناس في زماننا من تلقيح الصبيان وحجائهم لدفع ضرر الداء المعروف بالجدري، هل هو جائز شرعا؟"⁶⁰. ثم ناقش حكم حمل الناس على التلقيح من قبل السلطان في السؤال الذي عرض عليه: "وفيها أيضا، لو أمر بذلك مولانا السلطان أيده الله تعالى لأجل المصلحة العامة، هل يكون أمره مشروعاً؟"⁶¹.

إن هذه النازلة توفر معلومات كثيرة بخصوص موضوع الوقاية من الأمراض عن طريق التلقيح. وكان مناقشة القضايا التي تثيرها هذه النازلة مطولا في جوابه على هذه الأسئلة. ومن خلال هذه المناقشة نستشف العديد من معالم الممارسة العلاجية الخاصة بداء الجدري، وتعامل السلطة الحاكمة معه. حيث يرى المهدي الوزاني أن تلقيح الصبيان ضد هذا الداء جائز شرعا، وأن أمر السلطان به من أجل المصلحة العامة يكون مشروعاً، واعتبره من جملة الدواء الجائز شرعا تعاطيه بعد نزول الداء أو قبله حفظا للصحة. واستدل لرأيه بالموازنة بين جلب المصالح ودرء المفاسد، بعد تحقيق المناط في النازلة بوصف المرض والعلاج كليهما وصفا تاما. واشترط لإيقاع التلقيح أن يقدم عليه مباشرة ماهر عارف.

وأورد أنواع التلقيح والفرق بين الذي أصله بشري وبشري، وبسط الحديث حول تاريخه، حيث قال: "وسبب التلقيح من هذه المادة أن بعض الأطباء شاهد أن من كان يحلب البقر المصابة بالثور المذكورة لم يصب بالجدري الطبيعي (...) فألهم الله الأطباء المشاهدين ذلك أن يجربوا ذلك في الآدميين لطفاً منه سبحانه وتعالى بعباده، فجربوه مرارا حتى تحقق ما ظنوا، وعرف أنه واق من الجدري الحقيقي، فانتشر التلقيح بذلك في أوروبا، وفرح به الناس..."⁶².

ففي جوابه يصف المهدي الوزاني كيفية التلقيح بالتفصيل، حيث يقول: "حيث يشترط الطبيب في عضد الصبي ثلاث شرات أو أربعاً موصى حادة جداً، بحيث لا يحس الصبي بألم أو يحس بيسير بحيث لا يجد معه ألم كبير، ويدخل في تلك الشرات

57 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج10، ص14 - 15.

58 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج3، ص289.

59 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص357.

60 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص358.

61 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص358.

62 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص361.

صديد جذري يكون مأخوذاً من مريض به، فبعد نحو ثلاثة أيام من هذا الفعل يحس الصبي بحمي خفيفة لا تلزمه الفراش غالباً، ثم تعمر تلك الشرطات بالصديد، ثم تيبس ويبرأ بإذن الله، وقد شوهد نفع هذا وإنتاجه، بحيث لا يصاب الصبي بعد ذلك بالجذري المخوف⁶³. كما يصف جميع المراحل التي يمر بها الصبي والأعراض التي تطرأ عليه منذ اليوم الأول من التلقيح إلى اليوم العشرين بعده، ويورد أيضاً متى يجب القيام بالتلقيح وفي أي سن إلى غير ذلك.

وفي المقابل كان هناك رأي مخالف ورد في نوازل عليش وأورده الوزاني في جوابه، يرى عدم جواز التلقيح إذا خيف على الطفل إدخال ضرر أو تغرير بنفسه وأطرافه وإن غلبت السلامة، وإن وقع ومات الطفل فهو جناية عمد يترتب عليها القصاص في النفس بقسامة. وذلك جواباً على سؤال: "ما رأيكم فيمن فصد ولداً وأخذ قيحا من مجذور، وجعله في تلك المفصدة، فمات الولد بسبب ذلك، أو فقتت عينه، أو شلت يده أو رجله، أو طرأ عليه غير ذلك، فهل هذا الفعل جائز أو لا؟"⁶⁴. فيرى عليش عدم الجواز للأضرار الجانبية التي قد تلحق بالطفل جراء التلقيح. ويرى في الإيجاب عليها نوعاً من الظلم.

وتصور بعض هذه النوازل علاقة الأطباء بالسلطة الحاكمة في المسائل الصحية، ومثال ذلك ما ورد في هذه النازلة حيث يقول "وكان أن أمر به صاحب مصر أيضاً وحرص الأطباء على ذلك".

وفي هذا النقاش دليل على أن العامة من الناس كانوا يرجعون إلى الفقيه لتحري مشروعية ما يتلقونه من علاجات حتى وإن أمر بها السلطان وأقره أهل التخصص في الطب، تورعاً وخشية الوقوع في المحذور الشرعي، وهذه خصيصة من خصائص المجتمع المغربي الذي تشعب بقيم الشريعة الإسلامية وتربى عليها. فعملية التلقيح كانت نازلة مستجدة في عصر الوزاني شغلت القاضي والداني، خاف الناس منها وتحرزوا من عواقبها، حتى وإن أوجبها السلطان والأطباء، وهنا تنملى مكانة الفقيه الوزاني في المجتمع المغربي، فإليه المفزع في الشدائد، وهو صمام الأمان في المجمع يسد ويقارب لتحقيق الأمن النفسي والسلم الاجتماعي.

إن هذا الجدل حول جدوى التلقيح ومشروعية إرغام الناس عليه من قبل السلطة الحاكمة هو من الأمور المستمرة، والمتجددة في الأوساط العلمية وبين العامة من الناس، وقد برز هذا النقاش بشكل حاد مجدداً مع وباء كوفيد19، وقمت مناقشته من قبل جميع الزوايا الصحية والمصلحة والشرعية والاقتصادية وغيرها. فنجد أن كتب النوازل قد ناقشت هذه القضايا من قبل فيمكن الاستئناس بها والاستفادة منها من الناحية المنهجية من أجل بيان الحكم الشرعي فيما يستجد من قضايا مشابهة.

خاتمة

إننا في ختام هذا البحث نخلص إلى ما يلي:

- إن النوازل الفقهية الخاصة بالصحة والطب في معيار الوزاني، تبرز لنا تفاعل الفقه مع المستجدات الطبية لخدمة الصالح العام وإسعاد الإنسان في الحال والمآل، وتخفيف المشقة ورفع الحرج.
- إن الميدان الطبي والفقهي لم يكونا مجالين منفصلين بل كانت هناك حركة وتفاعل بينهما وأخذ ورد، وتواصل بين أهل التخصص في كلا المجالين، فاصطبغت الممارسة الطبية في الغرب الإسلامي بصبغة إسلامية، تعمل مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل.

ويمكن هذه الاستفادة من هذه النوازل على عدة مستويات:

1. الناحية التاريخية: تاريخ الممارسة الطبية وتطورها في المغرب.
2. الناحية الاجتماعية: القضايا الطبية وآثارها على العلاقات الأسرية والاجتماعية.

63 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص358.

64 الوزاني، المهدي، المعيار الجديد، ج1، ص359.

3. الناحية الأخلاقية: أخلاقيات ممارسة مهنة الطب، وما يجب أن يتحلى به الممارسون في المجال الطبي من ضوابط أخلاقية وشرعية.
4. الناحية الطبية: تدبير المستجدات الطبية كالجوائح مثلا، ومعرفة الأمراض الشائعة في المجتمع المغربي.
5. الناحية الفقهية: معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعديد من القضايا الطبية.
6. الناحية المنهجية: منهجية الاجتهاد في النوازل الطبية والصحية، وفقه التنزيل.

إن هذا المعيار يصور حركة المجتمع بصورة عفوية ودقيقة، وتفاعل كل الفاعلين فيه، وهو يعتبر بذلك من أهم المصادر المعرفية للعديد من العلوم في جميع التخصصات الإنسانية والبحثية، فيجد فيه طالب الفقه ضالته، ودارس التاريخ، والباحث عن المعرفة الطبية نصيبه، وغيرهم. وهو بحاجة إلى مزيد عناية من أجل إحياء هذا التراث العظيم واستثماره فيما ينزل بنا من نوازل مستجدة لا تكاد تنقضي مع تسارع الزمان وانفتاح الأمم بعضها على بعض في ظل العولمة.

إن المجال الطبي والممارسة فيه تصطبغ بقيم كل أمة على حدة، ونحن بحاجة إلى ممارسة طبية تصطبغ بصبغة الإسلام وقيمه، وذلك من خلال مد جسور التواصل بين أهل الطب وأهل الدين واستثمار ما بين أيدينا من تراث عربي إسلامي، يثمر سعادة الإنسان في الحال والمآل.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ابن منظور، محمد، لسان العرب، القاهرة: دار الحديث، 2003م.
- بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.
- بن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال - فهرس الشيوخ، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.
- بيهي، أبو ياسر سعيد بن محمد، فقه الواقع، الإسكندرية: الدار العالمية للنشر والتوزيع.
- الحنجوي، محمد بن الحسن الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تونس: مطبعة النهضة.
- حجي، محمد، نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1999م.
- حمداوي، جميل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي: نحو مقاربة تأصيلية، كتاب إلكتروني، شبكة الألوكة.
- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج - منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي، - بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ.
- الفروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، القاهرة: مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.
- قلنجي، محمد رواس وقنبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ.
- الكتاني، محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكراس بمن أقر بمدينة فاس. دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، طهران: المكتبة العلمية.
- الوزاني، المهدي، تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2001م.
- ألونشربسي، أحمد، المعيار المغرب والمغرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، طبعة حجر فاس، 1328هـ.

المصادر الأجنبية:

- Berque, Jacques, Les Nawāzil el muzāra'a du Mi'yār Al Wazzānī: étude et traduction, (Rabat: Felix Moncho, 1940).
- Berque, Jacques, Ville et université : aperçu sur l'histoire de l'école de Fès, Revue Historique de Droit Française et Etranger 27 (1949), 102.
- Terem, Etty, Redefining Islamic Tradition : Legal interpretation as a medium for innovation in the making of Modern Morocco, Islamic Law and Society 20-4 (2013) 425-475. BRILL.



المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي

تقديم ودراسة الكتاب المخطوط المسمى "علامة السعادة في الاغذية المعتادة للطبيب أبي الحسن علي ابن حسن المراكشي"

عبد الحميد بيطاري*، مصطفى العشوري و عبد الخالق لكسير
جامعة محمد الأول، كلية العلوم، مختبر الموارد الحيوية
والتكنولوجيا الحيوية وعلم الأدوية العرقية والصحة، وجدة، المغرب.

المخلص

المغرب غني بكتب المخطوطات العربية الموجودة بشكل أساسي في المكتبة الملكية والمكتبة الوطنية ومكتبة القرويين. تمثل هذه المخطوطات ثروة ثقافية وعلمية للحضارة المغربية والعربية والإسلامية. هاته التي تقتضي الكشف والإظهار والدراسة. وعملنا يأتي في هذا السياق لدراسة الكتاب المخطوط الموسوم بـ "علامة السعادة في الاغذية المعتادة للشيخ الفقيه الطبيب أبي الحسن علي ابن حسن المراكشي". هذا الذي يعود نسخه إلى خلال القرن الثالث عشر الميلادي.

والكتاب المخطوط قيد التقديم والدراسة هو عبارة عن منظومة من ألف بيت، تبحث في قواعد التغذية والأعشاب الطبية وفي طبائع الأغذية وأصنافها، إذ بلغ عدد أسماء الأغذية الموصوفة في تلك المنظومة إلى 202 نوع. والهدف من هذا العمل هو تقديم الكتاب المخطوط ودراسة الجانب المتعلق بالتغذية والأعشاب الطبية وتيسير الانتفاع به.

الدراسة اقتضت مقارنة المعلومات الواردة في المنظومة بخصوص قواعد التغذية والأعشاب الطبية، بمعطيات العلم الحديث المحصل، ولك عن طريق إجراء بحث ببيوغرافي في قواعد البيانات Scopus و Elsevier و PubMed و Google scholar.

لتقديم الكتاب المخطوط اعتمدنا على نسختين. إحدهما من المكتبة الملكية بالرباط، والأخرى من المكتبة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. والنسختان غير مؤرختين، بحيث اعتمدنا النسخة الأوضح نسخة رئيسية، ومقابلتها بالنسخة الثانية للوصول الى الكتاب الذي ارتضاه مؤلفه في حياته.

تم الانتهاء من تقديم الكتاب المخطوط بالخط المطبوعي، كما تم استخراج الأبيات عن التغذية وقائمة من 30 نبتة طبية منه مع استخداماتها في الطب الشعبي وآثارها الجانبية.

1. مقدمة

عرف المغرب حضارات عبر الزمن، خلفت تراثا مخطوطا غنيا، إذ جعلته أغنى دول شمال إفريقيا في مجال المخطوطات،

وملجأ العلماء الباحثين المهتمين بالكتاب المخطوط، ذلك ويصفه العلماء أكبر هذه البلدان حفاظا على نوادر المخطوطات ونفائسها، ويرجع ذلك إلى اهتمام العلماء المغاربة عامة و الملوك العلويين خاصة بالكتاب المخطوط[1].

تمثل هذه المخطوطات ثروة ثقافية وكنزا معرفيا للحضارة المغربية والعربية والإسلامية تقدر بالملايين [2] تقتضي الكشف والإظهار والدراسة.

وعملنا يأتي في هذا السياق، لدراسة الكتاب المخطوط الموسوم بـ "علامة السعادة في الاغذية المعتادة للشيخ الفقيه الطبيب أبي الحسن علي ابن حسن المراكشي". هذا الذي يعود نسخته إلى خلال القرن الثالث عشر الميلادي. والكتاب تناول موضوعين في غاية الأهمية هما التغذية والأعشاب الطبية، لأنها تتعلقان بصحة الإنسان ومن ثم بنينا دراستنا على ثلاث مراحل:

- الأولى: تقديم الكتاب المخطوط وضبط نصه
- الثانية: دراسة الجانب المتعلق بالتغذية التي تناولها المؤلف
- الثالثة: دراسة الأعشاب الطبية الواردة في الكتاب المخطوط.

2. تقديم الكتاب المخطوط بالخط المطبوعي وضبط نصه

عندما تعذر علينا العثور على النسخة الأم التي كتبها المؤلف بنفسه، وجب علينا جمع عدد من النسخ للكتاب المخطوط[3] ومقابلتها للوصول إلى النص الذي ارتضاه أو أراده مؤلفه في حياته كما وكيف[4]. فبعد البحث الببليوغرافي والميداني استطعنا العثور على أربع نسخ.

- واحدة في الخزانة الملكية موهرة في كتاب فهارس الخزانة الملكية المجلد الثاني الطب، والصيدلة، والبيطرة، والحيوان، والنبات[5]
- والثانية في المكتبة الوطنية بالرباط
- والثالثة في المكتبة الإسلامية في المملكة العربية السعودية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- والرابعة في المكتبة الوطنية للمخطوطات الطبية الإسلامية جامعة أكسفورد (OXFORD).

لتقديم الكتاب المخطوط اعتمدنا على نسختين. إحداها من المكتبة الملكية بالرباط، والأخرى من المكتبة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. والنسختان غير مؤرختين، بحيث اعتمدنا النسخة الأوضح نسخة رئيسية، ومقابلتها بالنسخة الثانية للوصول إلى النص الذي وضعه مؤلفه في حياته.

النسخة الأولى من المكتبة الإسلامية في المملكة العربية السعودية (قسم مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود) واضحة الخط مضبوطة حركات الكلمات، أما النسخة الثانية من المكتبة الملكية بالرباط، فريدة الخط، كلماتها غير مضبوطة الحركات، ولكنها مطابقة للنسخة الأولى في مطلعها وخاتمها وترتيب فصولها، إلا أن عدد أبياتها أقل، في هذه النسخة، لا ذكر لاسم الكتاب ولا لاسم المؤلف، و قيد الناسخ نهاية الأروجة منمنومة في خصائص بقلة الأنصار (الكربن) وعدد أبياتها أحد عشر.

الحمدُ لله الحكيم الخالق	الأحد الفرد الكريم الرازق
الأول القديم ذي الجلال	الملك العظيم ذي الكمال
من فلق الظلام بالإصباح	وزين الأجسام بالأرواح
وخلق الخلق على استواء	وأنعش الأجساد بالغذاء
حمداً يدوم ما انجلي ظلام	وما بدا وجه الضحي البسام
ثم صلاة الله ذات الأبد	على النبي المصطفى محمد
الصادق الصدوق في مقاله	ور الهدى مُبْلَغُ الرسالة

خَيْرِ نَبِيٍّ جَاءَ بِالْآيَاتِ	إلى جميع الخلق كآليات
فَمَهَّدَ الدِّينَ وَابْدَأَ نُصْحَهُ	ودلّنا على الطريق السمحة
وَجَعَلَ الطَّبَّ قَسِيمَ الدِّينِ	صلى عليه الله من أمين
وَأَلَّهَ وَصَحْبَهُ الْأَبْرَارِ	مُكَوِّزَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ
وَيَبْعَدُ إِنَّ صَحَّةَ الْإِبْدَانِ	بها يقومُ الحفظُ للأديانِ
وَلَا غِنَى تَعْتَاضُهُ الْجِسْمُ	عن مأكَلٍ اشباحها يقيمُ
بِالْحِفْظِ لِلصَّحَّةِ بِالْغَدَاءِ	أولى من الحاجة للدواءِ

ضبط عنوان الكتاب ونسبته إلى صاحبه

جاء العنوان ونسبته إلى مؤلفه " نظاما" بصيغة "علامة السعادة في الأغذية المعتادة" للشيخ الفقيه الطبيب أبي الحسن علي بن حسن المراكشي " في مقدمة النسخة من الكتاب المخطوط بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود، وفي مقدمة النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية للمخطوطات الطبية الإسلامية بأكسفورد (oxford).

تعريف الكتاب

هي منظومة تبحث في الأغذية من خضر وفواكه ولحوم وأشربة وتوابل وقواعد علم التغذية والأعشاب الطبية، حيث بلغ عدد الأغذية والأشربة إلى 202 نوع.

هذا الكتاب المخطوط مكتوب بخط مغربي بحجم 43 صفحة، ومعدل 15 سطرا ومن أهم مميزات الخط المغربي الفاء تكتب بنقطة أسفلها والقاف بنقطة واحدة أعلاها.

مطلع الأرجوزة	الحمد لله الحكيم الخالق
الأحد الفرد الكريم الرازي	

واخرها	ثم السلام الطيب العميم
على مقامك الزكي الأرفع	الظاهر المقدس الكريم
	ما خلت الشمس بكل مطلع

مكان تأليفه وتاريخه

لم نقف على مكان تأليفه ولا على ضبط تاريخه، غير أننا وقفنا في فهرسة الخزانة الملكية للأستاذ محمد العربي الخطابي (ص204) على أن الكتاب أهدى إلى الخليفة المكتفي بالله عبد الرحمان بن محمد بن أبي يحيى. وقد جاءت الإشارة إلى المؤلف في الصفحة الثانية والأخيرة من الكتاب المخطوط (في نسخة السعودية ونسخة اوكسفورد).

3. مجال التغذية في الكتاب المخطوط

إن نمط الحياة الذي أصبح يعيشه الانسان يتسم بقلّة الحركة مع نظام للتغذية غير سليم وغير متوازن، أدى إلى مشاكل صحية كثيرة، وعلى مستويات متعددة، حيث سجل ارتفاع عدد المصابين بأمراض القلب والشرابين والسكري والسرطان والسمنة... إن النظام الغذائي يعد أحد المحددات الرئيسية لصحة الإنسان[6] ذلك بأن جسم الانسان ليس فقط بحاجة إلى طاقة، بل بحاجة

ضرورية إلى معادن وفيتامينات وألياف وكالسيوم وماء ومواد كيميائية نباتية (secondary metabolites). فاستهلاك الإنسان غذاء متوازنا غنيا بالخضر والفواكه وبعض المشروبات مثل الشاي، يزود جسم الإنسان بحوالي 5000 حتى 10000 مادة كيميائية نباتية تختلف كما ونوعا حسب نوعية الخضر والفواكه [7] و بروتينات وسكريات ودهنيات وكالسيوم وماء، وذلك حتى تقوم خلايا جسم الإنسان بوظائفها على أحسن وجه. فالتغذية الطبيعية المتوازنة والمتنوعة تزود جسم الإنسان بما يحتاجه من هذه المواد. لقد أصبحت علوم التغذية تكتسب أهمية كبيرة ومتزايدة ومقنعة في الوقاية من الأمراض في العصر الحديث. فالنظام الغذائي السليم يعتبر وقاية لكثير من الأمراض [8-13].

من المعروف أن عملية التنفس في خلايا جسم الإنسان مصحوبة بإفراز مواد سامة، حيث إن 32% من الأوكسجين في جسم الإنسان يتحول إلى جذور حرة $\text{OH}\cdot$ (H_2O_2) $\text{NO}\cdot$ ($\text{NO}_2\cdot$). Free radicals فالإنسان ذو 70 كلغ مثلا، يفرز سنويا 1.7 كلغ من هذه السموم، كما تأتي كذلك الجذور الحرة عن طريق التدخين والتلوث والإفراط في التعرض لأشعة الشمس، والجذور الحرة هي مواد كيميائية غير مستقرة وتؤدي إلى أكسدة الجزيئات الحيوية، مثل الحامض النووي (ADN) والدهنيات، مما قد يسبب لأكثر من مائة مرض [14] نذكر منها أمراض القلب والشرابين [15] والسرطان [16] .

فالتغذية تسهم وتساعد بشكل كبير جسم الإنسان للتخلص من الجذور الحرة عن طريق مضادات الأكسدة، لاحتوائها على بعض الفيتامينات، مثل فيتامين E و C وبعض المعادن، مثل السيلينيوم selenium والزنك وبعض المواد الكيميائية النباتية، مثل: البوليفينول polyphenols والكارتينويد carotenoides.

إن التركيبة الكيميائية للبوليفينول مثالية لامتصاص أو تحويل الجذور الحرة، أكبر وأقوى من الفيتامينات. ذلك بأن تفاحة واحدة من حجم متوسط تحتوي على كمية قليلة من الفيتامين C (حوالي 10mg) لكنها تملك نشاطا مضادا للأكسدة يعادل 2250mg من الفيتامين C. كما أن الشاي يحتوي على مادة الإبيغالوكاتشين-كالت (Epigallocatechin-gallate) التي تملك خاصية مضادة للأكسدة تفوق أكثر من 200 مرة الفيتامين E [7] .

الخضر والفواكه تغذي الميكروبات المعوية (microbiota)

الميكروبات المعوية لها وظائف عديدة في الحفاظ على صحة الإنسان، منها علاقتها بجهاز المناعة، وإفراز بعض الفيتامينات [17,18]. وهذه الميكروبات تتكون من حوالي 200 نوع تعيش في توازن (Eubiosis) و تتطلب نظاما غذائيا سليما غنيا بالبريبايوتيك (prebiotic) و البروبيوتيك (probiotic).

والطب الوقائي هو ممارسة طبية للوقاية من المرض قبل وقوعه. هذا وقد ذكر المؤلف في كتابه المخطوط "علامة السعادة في الاغذية المعتادة" قواعد مهمة في علم التغذية، لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض. نذكر منها أن حفظ الصحة بالغذاء يعد وقاية أولى من الحاجة إلى الدواء. وفي ذلك يقول الناظم:

ولا غنى تعتاضه الجسم
عن مأكلي أشباحها يقيم
بالحفظ للصحة بالغذاء
أولى من الحاجة للدواء

كما نبه المؤلف على أن صحة الإنسان مرتبطة بنظام تغذيته، فقال:
إذ أردت لذة الطعام
تحصيه سلامة الأجسام
خذ الغذاء عند صدق الشهوة
وراحة النفس ووفر القوة
مقدار ما يكفي على اعتدال
من غير إكثار ولا إقلال

لقد تناول المؤلف في كتابه قواعد في علم التغذية كثيرة ذكر منها

- تقديم ما ينبغي أن يقدم من الطعام وتأخير ما ينبغي أن يؤخر
- تقديم الطعام البطيء الانهضام على مُسرّع الهضم.
- الطعام الملين قبل حابس البطون.

■ تجنب التخليط في الغذاء

- الخس مع الألبان
- الفواكه مع الأدهان

وفي ذلك يقول المؤلف

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| وقدم الغليظ من طعام | عساه أن يهون في انهضام |
| وقدم البطيء الانهضام | على مُسرّع الهضم من الطعام |
| كذاك ما يكون ذو تليين | مُقَدِّما حابس البطون |
| واعلم بأن أكد الأشياء | تجنب التخليط في الغذاء |
| لاسيما أغذية معلومه | إن جُمعت تكون كالمسمومه |
| ويُهجرُ الخس مع الألبان | كذا الفواكه مع الأدهان |
| وخذ إذا أمنت في شرب اللبن | من زنجبيل تكتفي من المحزن |

■ تناول طعام العشاء على نور النهار

وقد أتى خيرُ الغذاءِ بَوَاكِرهُ وفي العشاء خيروا سَوافرهُ

تشير الدراسات العلمية أن صحة الإنسان مرتبطة ليس فقط بالتغذية كما وكيفاً، بل كذلك إلى توقيت الوجبات. ذلك بأن تناول الطعام في وقت متأخر من الليل، يؤدي إلى ارتفاع مخاطر الإصابة بمرض سرطان الكبد[19] والسمنة [20] [21] والسكري[22] وأمراض القلب و الشرايين[23]

4. مجال الأعشاب الطبية في الكتاب المخطوط

منذ القدم استعمل الإنسان النباتات غذاء وعلاجاً [3] فحسب المنظمة العالمية للصحة فإن حوالي 11 في المائة من الأدوية مشتقة من النباتات، مثل مواد المورفين، والديجوكسين، [24] والأسبرين، وبالكيتاكيل[25] وأدوية أخرى كثيرة.

تفرز النباتات مواد ثانوية (secondary metabolites) تشمل الألكلودات (alkaloids)، الصابونين (saponins) والتربينويد (terpenoides) والفينول (phenols) والفلافونويد (flavonoids) والزيوت المتطايرة (volatile oils) وما إلى ذلك، وأثبتت الدراسات العلمية أن هذه المواد الكيميائية النباتية لها فعالية و أنشطة لعلاج العديد من الأمراض، مثل التشنج، والالام، وإدرار البول. والسرطان، والفطريات والبكتيريا والفيروسات ومضادة الأكسدة وما إلى ذلك.

لقد تناول المؤلف العديد من الأعشاب الطبية التي تمتاز بأهميتها الغذائية والطبية. نذكر منها الزعر والخلنجان [26-29] [Alpinia officinarum hance و الزنجبيل [30] Zingiber officinale Rosc و الخروب [31,32] Ceratonia Siliqua L والفجل[33-35] Ruta montana L التي تقتضي منا دراسة علمية أكاديمية جادة.

- دراستنا للأعشاب الطبية بنيناها على مرحلتين:
- الأولى: استخراج الأعشاب الطبية واستعمالاتها من الكتاب المخطوط.
 - الثانية: النظر في مدى موافقتها للمعطيات العلمية (Ethopharmacology).

ونظرا إلى كثرة الأعشاب التي جاء بها المؤلف، فسنكتفي في هذا المقال بدراسة الخروب نموذجًا.

الخروب -الخرنوب- (Ceratonia Siliqua L) في الكتاب المخطوط

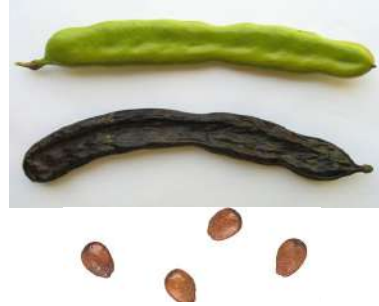
تحتوي أوراق و قرون شجرة الخروب على كميات عالية من الكربوهيدرات والألياف الغذائية والمعادن.

والبوليفينول والفلافونويد وكميات منخفضة من البروتين والدهون. يمتلك هذا النبات خصائص عديدة، مضادة للالتهابات ، و للميكروبات ، وللإسهال ، وللأكسدة ، و للقرحة ، و للإمساك [36].

أثبتت الدراسات العلمية أن فاكهة الخروب تصلح لعلاج الإمساك والإسهال. وهذا الاستعمال المزدوج هو على علاقة بدرجة نضج الخروب التي تتميز بتكوين كيميائي نباتي مختلف [37]. فأخضر الخروب مُلَيَّنٌ يسعمل لعلاج الإمساك؛ ويابس قايض البطون يعالج الإسهال. وهذا يتوافق مع ما جاء به المؤلف في شأن الخروب مع ذكر موانع استعماله للذي يعاني مشاكل في معيه الغليظ.



Photo of Ceratonia Siliqua L
by A. Bitari, Oujda-2022



قرن الخروب والبذور التي في داخله

ذكرُ الخَرْنوبِ



وأخضرُ الخَرْنوبِ للبطن مُلَيَّنٌ مُعتَدِلُ التَّسخينِ
وما له يُبْسُ شديدُ القبض فأَرْفُضُهُ في القولنجِ كُلِّ الرِّفْضِ

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة لا بد أن ننبه إلى أهمية فهرسة وتحقيق ودراسة الكتب المخطوطات، لأن الكتاب المخطوط طاله النسيان، وأصبح عرضة للضياع والإهمال. لذا أصبح من واجبننا إعادة الاعتبار لهذا التراث المنسي والكنز المغربي، والعمل في سبيل نفث غبار السنين عنه، حتى لا يبقى حبيس الخرائن والرفوف بعد أن جهد صاحبه في تأليفه، والناسخ في حفظه. دراستنا هاته أسهمت في كشف كتاب "علامة السعادة في الأغذية المعتادة للطبيب أبي الحسن علي ابن حسن المراكشي" وإظهاره

وإضافة إلى الجانب الثقافي، فالكتاب المخطوط "علامة السعادة في الأغذية المعتادة" تناول قضايا علمية مهمة في علم التغذية والأعشاب الطبية أكدتها معطيات العلم الحديث.

إن الدراسة العلمية لهذا الكتاب كشفت وأظهرت مكانة هذا الطبيب المغربي أبي الحسن علي بن حسن المراكشي الذي ذكر معلومات ومعطيات علمية في غاية الأهمية خلال القرن الثاني عشر، وهذا ما يستوجب دراسة الكتب المخطوطات لإبراز هذه الكنوز الدفينة ومدى إسهام العلماء المسلمين لنهضة وتطور العلوم، وخاصة في علوم الطب والصيدلة. ومن هنا جاء اهتمامنا بدراسة كتاب مخطوط من تراثنا وتقديمه للباحثين والمهتمين بهذا المجال.

شكر للدكتور بلخير هانم على مراجعته اللغوية لهذه المقالة.

References

- [1] م. المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، (1999) 1701.
- [2] د. صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، (1976) 80.
- [3] ص. المنجد، قواعد تحقيق النصوص، (1987) 32.
- [4] عبد السلا محمد هارون، تحقيق النصوص و نشرها، (1998) 160.
- [5] م. الخطاي، فهارس الخزانة الملكية المجلد الثاني الطب، والصيدلة، والبيطرة، والحيوان، والنبات، (1982) 256.
- [6] M.L. Wahlqvist, Introduction to human nutrition, 2020. <https://doi.org/10.43242-9781003115663/>.
- [7] R.D. Béliveau Ph Denis Gingras Ph D Les aliments, D. Gingras, R.D. BÉLIVEAU Ph DENIS GINGRAS Ph D, L. GRÂCE DES GUERRIERS RICHARD BÉLIVEAU Richard Béliveau, D. Richard Béliveau, D. DE Gingras Richard Béliveau, Richard BÉLIVEAU Prévenir le cancer Comment réduire les risques, n.d.
- [8] OMS, FAO, Consultation OMS/FAO d'experts sur le régime alimentaire, la nutrition et la prévention des maladies chroniques,

- OMS, Série Rapp. Tech. 916 (2002) 142. https://www.who.int/nutrition/publications/obesity/WHO_TRS_916/fr/.
- [9] M.L. Wahlqvist, Diversification in indigenous and ethnic food culture, 2005. <https://doi.org/10.1159000083768/>.
- [10] D.W. Gietzen, Nutrients, Stress, and Medical Disorders, 2006. <https://doi.org/10.1093/ajcn/84.4.951>.
- [11] J. LEBLOND, La prévention du cancer par l'alimentation, 2012. <http://files/41870729/html>.
- [12] S. Halimi, Nutrition préventive et thérapeutique, 2016. [https://doi.org/10.1016/s19576-30159\(16\)2557-](https://doi.org/10.1016/s19576-30159(16)2557-).
- [13] N.D. Ernst, J.M. McGinnis, Preventive Nutrition, 2005. https://doi.org/10.10071_9-880-59259-1-978/.
- [14] C.L. Chang, C.S. Lin, G.H. Lai, Phytochemical characteristics, free radical scavenging activities, and neuroprotection of five medicinal plant extracts, Evidence-Based Complement. Altern. Med. 2012 (2012). <https://doi.org/10.1155984295/2012/>.
- [15] I.M. Fearon, S.P. Faux, Oxidative stress and cardiovascular disease: Novel tools give (free) radical insight, J. Mol. Cell. Cardiol. 47 (2009) 372–381. <https://doi.org/10.1016/j.yjmcc.2009.05.013>.
- [16] V. Sosa, T. Moliné, R. Somoza, R. Paciucci, H. Kondoh, M.E. LLeonart, Oxidative stress and cancer: An overview, Ageing Res. Rev. 12 (2013) 376–390. <https://doi.org/10.1016/j.arr.2012.10.004>.
- [17] C. Landman, E. Quévrain, Le microbiote intestinal : description, rôle et implication physiopathologique, Rev. Med. Interne. 37 (2016) 418–423. <https://doi.org/10.1016/j.revmed.2015.12.012>.
- [18] K. Brown, D. DeCoffe, E. Molcan, D.L. Gibson, Diet-induced dysbiosis of the intestinal microbiota and the effects on immunity and disease, Nutrients. 4 (2012) 1095–1119. <https://doi.org/10.3390/nu4081095>.
- [19] A. Paoli, G. Tinsley, A. Bianco, T. Moro, The influence of meal frequency and timing on health in humans: The role of fasting, Nutrients. 11 (2019) 1–19. <https://doi.org/10.3390/nu11040719>.
- [20] S. Almoosawi, S. Vingeliene, L.G. Karagounis, G.K. Pot, Chrono-nutrition: A review of current evidence from observational studies on global trends in time-of-day of energy intake and its association with obesity, Proc. Nutr. Soc. 75 (2016) 487–500. <https://doi.org/10.1017/S0029665116000306>.
- [21] J. Lopez-Minguez, P. Gómez-Abellán, M. Garaulet, Timing of Breakfast, Lunch, and Dinner. Effects on Obesity and Metabolic Risk, Nutr. 2019, Vol. 11, Page 2624. 11 (2019) 2624. <https://doi.org/10.3390/NU11112624>.
- [22] M.P. Mattson, D.B. Allison, L. Fontana, M. Harvie, V.D. Longo, W.J. Malaisse, M. Mosley, L. Notterpek, E. Ravussin, F.A.J.L. Scheer, Meal frequency and timing in health and disease, Proc. Natl. Acad. Sci. 111 (2014) 16647–16653.
- [23] M.P. St-Onge, J. Ard, M.L. Baskin, S.E. Chiuve, H.M. Johnson, P. Kris-Etherton, K. Varady, Meal Timing and Frequency: Implications for Cardiovascular Disease Prevention: A Scientific Statement From the American Heart Association, Circulation. 135 (2017) e96–e121. <https://doi.org/10.1161/CIR.0000000000000476>.
- [24] M. Lahlou, The Success of Natural Products in Drug Discovery, Pharmacol. & Pharm. 2013 (2013) 17–31. <https://doi.org/10.4236/PP.2013.43A003>.
- [25] Pharmacognosy: Medicinal Plants - كتب Google, (n.d.). https://books.google.co.ma/books?hl=ar&lr=&id=Jjn8DwAAQBAJ&oi=fnd&pg=PA269&dq=Plants+have+proved+to+be+an+important+natural+source+of+drugs&ots=8jnmzdRjXq&sig=mqoIQ6Gg1gisekMoZ-ClucG8H7E&redir_esc=y#v=onepage&q=Plants+have+proved+to+be+an+important+natural (accessed October 4, 2022).
- [26] H.J. Qu, K.W. Lin, X.L. Li, H.Y. Ou, Y.F. Tan, M. Wang, N. Wei, Chemical Constituents and Anti-Gastric Ulcer Activity of Essential Oils of *Alpinia officinarum* (Zingiberaceae), *Cyperus rotundus* (Cyperaceae), and Their Herbal Pair, Chem. Biodivers. 18 (2021). <https://doi.org/10.1002/cbdv.202100214>.
- [27] Y. Sun, M. Kurokawa, M. Miura, T. Kakegawa, S. Motohashi, K. Yasukawa, Bioactivity and Synthesis of Diarylheptanoids From *Alpinia officinarum*, 2016. <https://doi.org/10.1016/B9781-0-00004-63601-444-0->.
- [28] K. Konno, R. Sawamura, Y. Sun, K. Yasukawa, T. Shimizu, W. Watanabe, M. Kato, R. Yamamoto, M. Kurokawa, Antiviral activities of diarylheptanoids isolated from *Alpinia officinarum* against respiratory syncytial virus, poliovirus, measles virus, and herpes simplex virus type 1 in vitro, Nat. Prod. Commun. 6 (2011) 1881–1884. <https://doi.org/10.11771934578/x1100601222>.
- [29] A.M. Basri, H. Taha, N. Ahmad, A Review on the Pharmacological Activities and Phytochemicals of *Alpinia officinarum* (Galangal) Extracts Derived from Bioassay-Guided Fractionation and Isolation, Pharmacogn. Rev. 11 (2017) 43. https://doi.org/10.4103/PHREV.PHREV_55_16.
- [30] W.E. Abdalla, E.M. Abdallah, Antibacterial Activity of Ginger (Zingiber Officinale Rosc.) Rhizome: A Mini Review, Int. J. Pharmacogn. Chinese Med. 2 (2018) 000142. <https://www.researchgate.net/publication/325999178>.
- [31] M.A. Temiz, A. Temur, Çelik, Antioxidant Role and Hepatoprotective Effects of Carob (*Ceratonia siliqua* L.) Seeds against Ethanol-Induced Oxidative Stress in Rats, J. Food Nutr. Res. 3 (2015) 57–61. <https://doi.org/10.12691/jfnr-310-1->.
- [32] S. Ben Ayache, E.B. Saafi, F. Emhemmed, G. Flamini, L. Achour, C.D. Muller, Biological Activities of Aqueous Extracts from Carob, Molecules. 25 (2020) 1–16.

- [33] A. Drioiche, S. Amine, S. boutahiri, S. Saidi, A. Ailli, R. Rhafouri, M. Mahjoubi, F. El Hilali, A. Mouradi, B. Eto, T. Zair, Antioxidant and Antimicrobial Activity of Essential Oils and Phenolic Extracts from the Aerial Parts of *Ruta montana* L. of the Middle Atlas Mountains-Morocco, J. Essent. Oil-Bearing Plants. 23 (2020) 902–917. <https://doi.org/10.1080097206/0X.2020.1829995>.
- [34] D. Touati, A. -Ur-Rahman, A. Ulubelen, Alkaloids from *Ruta montana*, n.d. www.elsevier.com/locate/phytochem.
- [35] H. Mohammedi, S. Mecherara-Idjeri, A. Hassani, Variability in essential oil composition, antioxidant and antimicrobial activities of *Ruta montana* L. collected from different geographical regions in Algeria, J. Essent. Oil Res. 32 (2020) 23–36. <https://doi.org/10.108010412905.2019.1660238/>.
- [36] K. Rtibi, S. Selmi, D. Grami, M. Amri, B. Eto, J. El-benna, H. Sebai, L. Marzouki, Chemical constituents and pharmacological actions of carob pods and leaves (*Ceratonia siliqua* L.) on the gastrointestinal tract: A review, Biomed. Pharmacother. 93 (2017) 522–528. <https://doi.org/10.1016/j.biopha.2017.06.088>.
- [37] I. Hamid, K.H. Janbaz, Ethnopharmacological basis for antispasmodic, antidiarrheal and antiemetic activities of *Ceratonia siliqua* pods, 12 (2017) 384–392. <http://bdpsjournal.org/index.php/bjdp/article/view/647> (accessed October 19, 2022).



الصفحة الأخيرة من الكتاب المخطوط

الصفحة الأولى من الكتاب المخطوط

المحور السادس: دراسات حول المخطوط الطبي المغربي



"مجموع المنافع في علم الطب النافع" للفيقير العلامة محمد بن أحمد البعقيلي السوسي من أهل القرن الحادي عشر الهجري

الدكتور أحمد الفلوسي

إطار بمركز التوثيق والأنشطة الثقافية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية - مكناس

تقديم

من جميل مظاهر الاعتناء بالتراث الإنساني البحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي الذي عرف بتنوعه المعرفي وازدهاره في فترات مشهودة، في انسجام تام مع ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ورفقيها، وما تزخر به المكتبات العالمية الخاصة والعامة من نفائس المخطوطات التي ألفتها الأطباء المسلمون، خير دليل على غنى هذا الإرث وأهميته...

وقد شهد المغرب على غرار سائر بلاد الإسلام تطورا ملحوظا في علم الطب والصيدلة، وبخاصة على عهد الدولة الموحدية، سواء على مستوى بناء البيمارستانات أو في ما يخص برامج الدراسة لإعداد الأطباء و تنظيم مهنة التطبيب، وتواصل تألق المهنة في عهد الدولة المرينية، ونبغ أطباء العهد السعدي لاسيما زمن السلطان أحمد المنصور الذهبي، وصولا إلى دولة الأشراف العلويين...

وكان من ثمار هذا التطور كتب ومصنفات في علم الطب لا زالت حبيسة رفوف الخزائن تنال منها الرطوبة والأرضة، تنتظر الهمم العالية للباحثين والمحققين والأطباء الدارسين، لإخراجها إلى الوجود والكشف عن قيمتها العلمية لتعم فائدتها...

ولتحقيق هذه الغاية، تسعى هذه الورقة للتعريف بكتاب "مجموع المنافع في علم الطب النافع" لمحمد بن أحمد البعقيلي السوسي، أحد أعلام القرن الحادي عشر الهجري، من خلال الحديث عن السمات التي ميزت عصره من جهة، والكشف عن محتوى الكتاب وبعض معالم منهجية المؤلف فيه من جهة ثانية، ثم تذييل هذا البحث بمجموعة من الملاحظات والاستنتاجات.

أولا: عصر المؤلف

قد يكون الإنعاش لعصر المؤلف أمرا لازما لفهم مجموع العوامل المساهمة في بناء بعض قناعاته، لكن الإيجاز في عرض ما عاصره من أوضاع سياسية واجتماعية وفكرية يزيد الأمر صعوبة، ذلك بأن الأوضاع السياسية التي عاصرها البعقيلي رحمه الله على امتداد القرن الحادي عشر الهجري اتسمت بالاضطراب إذ شهد تاريخ المغرب حينها مرحلة انتقالية من حكم الأشراف

السعديين إلى بني عمومته الشرفاء العلويين، وما رافقها من قلقاقل وفتن عاش خلالها المغاربة ظروفًا عصيبة وأيامًا حوالك بشهادة مؤرخي الفترة.¹

1. السمات البارزة للوضع السياسي في عصر المؤلف:

سادت عصر المؤلف تقلبات كبرى بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي سنة 1012هـ، وما نتج عن ذلك من صراعات بين أبنائه على الحكم، أدخلت البلاد في مرحلة فراغ سياسي بين سنتي 1040هـ و1070هـ، وانقسم المغرب على إثرها إلى إمارات متناحرة على السلطة والنفوذ، أهمها إمارة الشمال عاصمتها فاس، وإمارة الجنوب وعاصمتها مراكش... فذبت الفتن في معظم الحواضر والبوادي، وطمع الأجنبي في الاستيلاء على أجزاء من الساحل المغربي، كما فعل البرتغاليون بالجديدة والعرائش، والإسبان بطنجة وبعض مدن الشمال.² ولن تعود حالة الاستقرار إلا بعد محاصرة فاس - وهي من أكبر الحواضر وقتها - من قبل أبي محمد الحاج ابن أبي بكر الدلائي واستسلام أهلها لسلطته، فبايعوه بعد ما أخضع أهل مكناس، وظهر أمر الزاوية الدلائية وكثر أتباعها بين العلماء والعامّة.³ وكان ذلك بموازاة ظهور العلويين منتصف القرن، واجتماع كلمة أهل تافيلالت على المولى علي الشريف، فوقعت مناقشات عديدة بين الدلائيين والعلويين على مواقع كثيرة كانت الغلبة فيها بداية للفئة الأولى، إلا أن العقد السادس من القرن نفسه عرف تحولا في موازين القوى، آل بعده التدافع السياسي بين الفئتين إلى تمكن العلويين من بسط سلطانهم على جهات المغرب وبخاصة على عهد المولى الرشيد، الذي أخضع القبائل ودخل فاس على الرغم من المقاومة الشديدة التي أظهرها أتباع الزاوية الدلائية، فوجد مناطق البلاد بعد القضاء المبرم على خصومه، ليعود السلام ويعم الرخاء والطمأنينة التي تاقّت إليها النفوس في حضرة فاس وغيرها... وقد وصف أحد شهود العصر الفتن والقلق التي أقضت مضاجع المغاربة في هذه المرحلة الانتقالية العصبية بقوله: " دبت في مغربنا عقارب الفتن سنة 1060هـ، وهاجت بين الخاصة والعامّة مضمرات الإحن، فانقطعت السبل أو كادت وهاجت الأرض بأهلها ومادتها..."⁴

وبعد تولي المولى إسماعيل مقاليد الحكم إثر وفاة أخيه المولى الرشيد، قامت ثورة أبي الربيع سليمان الزرهوني بفاس سنة 1084هـ، فعادت القلاقل والاضطرابات لتطفو على السطح من جديد، وحوصرت فاس مدة أربعة عشر شهرا قبل إخضاع أهلها بوساطة من العلماء والأعيان والأشراف، يتقدمهم الشيخ الإمام عبد القادر الفاسي بعد فوضى عارمة قال عنها أبو الحسن الحريشي: "... فلقد حلت بنا حادثة، وأحاطت بأرجائنا داهية، تفتطرت منها القلوب، وتعظمت الخطوب، وكاد الفؤاد منها يذوب، وأظلمت الأرض، وانتشرت الفتنة بالطول والعرض، وذلك حين خالف أهل فاس سنة 1084هـ على مولانا إسماعيل نصره الله، ابن مولانا الشريف أصلحه الله وأيده، وأمد في عمره للمسلمين فاشتدت بينه وبينهم الحروب وعظمت المصائب والكروب..."⁵

ليعم الاستقرار بعدها أرجاء البلاد و تدين للسلطان المولى إسماعيل بالولاء حواضر المغرب وبواديها، بعد عقود من الفرقة والانقسام، "... كانت فيها أيام أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله على ما ذكرنا من الأمن والعافية، حتى لم يبق لأهل الدعارة والفساد محل يأوون إليه ويعتصمون به، ولم تقلهم أرض ولا أظلتهم سماء سائر أيامه."⁶

لكن سرعان ما دب الاقتتال بعد وفاة المولى إسماعيل بين أبنائه فيما عرف بحروب الثلاثين سنة، ليعيش سكان المغرب حالة من التمزق والتناحر بعدما نعموا بالأمن فترة من الزمن.

1 انظر زهرة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي صفحات: (188 -271) والاستقصا 3/6- 84

2 زهرة الحادي 188 وما بعدها، والاستقصاء الجزء 3/6 وما بعدها

3 الاستقصا 86/3

4 الرحلة العباشية 1/ 54 وفيها يحكي ابو سالم العياشي الموانع التي حالت دون رحلته إلى بيت الله الحرام، وانظر أيضا زهرة الحادي 302- 304 ، التاريخ الضعيف الرباطي 46- 50 ، الاستقصا 34/ 35 يتصرف

5 الفتاح الفياض شرح الشفاء للقاضي عياض مخطوط ورقة رقم 15.

6 الاستقصا 99/7.

2. الوضع الاقتصادي والاجتماعي في مغرب القرن الحادي عشر الهجري:

لا شك أن الاضطرابات السياسية التي عرفها المغرب أثناء القرن الحادي عشر الهجري، أرخت بظلالها على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي كما تشير إليه المصادر التاريخية وكتب النوازل والفتاوى التي ألقت في هذه الفترة، وعن تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ومعاناة المغاربة يحدّثنا أبو سالم العياشي في الرحلة بقوله: "... وأضرّم الجوع في سائر الأرجاء ناره، فتولد عنه من الفتك والحراة ما أعلى تفريق الكلمة مناره، وتطايّر في كل أفق شراره، وأهان خيار كل قطر شراره..."⁷

ووصف الناصري حالة الغلاء المفرط، وشظف العيش الذي عانت منه كل مناطق المغرب من أقصاه إلى أدناه، وهو ما يدل على أن الأزمة الاقتصادية وتدهور الأوضاع الاجتماعية، بدأ مع أفول نجم دولة السعديين إثر وفاة المنصور الذهبي سنة 1012هـ، وبلغ ذروته بين سنتي 1060هـ و1070هـ، وفترت حدته عند قيام الدولة العلوية واستقرارها على عهد المولى الرشيد سنة 1079هـ.⁸

وقد استتبع ذلك مظاهر من الانحراف والفساد الاجتماعي كاستباحة الدماء والقتل وهتك الأعراض،⁹ وانتشار التهمة بالزنا والحمل غير الشرعي وشرب الخمر وجهارا بين عوام بعض القبائل وقضاتها،¹⁰ وهي ظواهر غالبا ما ارتبط انتشارها وانحسارها في المجتمع الإسلامي بعوامل اقتصادية وأخرى قيمية أخلاقية.

ومما ذاع وانتشر في هذه المرحلة نتيجة ضعف السلط المركزية، ما ورد في بعض النوازل من تعامل المسلمين مع الكفار المحتلين في بعض المناطق والحصون، مخالفين بذلك فتاوى أهل العلم وهو مؤشر أبان عن ضعف الوازع الديني في نفوس أهل الزمان، وكذا ما وقع من استرقاق بسبب الفقر والمجاعة.¹¹

كان هذا بإيجاز شديد تعريفًا بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمغرب في القرن الحادي عشر الهجري، فما هي يا ترى أهم معالم الحياة العلمية والفكرية لهذا العصر بما في ذلك الصناعة الطبية.

3. الحركة العلمية والفكرية بالمغرب في القرن الحادي عشر الهجري:

في ظل الظروف السياسية الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي شهدها المغرب في القرن الحادي عشر الهجري عرفت الحركة العلمية والفكرية ثباتا واستمرارا حتى إن المطلع على ما أنتج في تلك الفترة ليظن أنه نتاج مرحلة استقرار وازدهار، وقد أسهمت الزاوية الدلائية في بعث الروح العلمية في الساكنة، كما حافظت جامعة القرويين على إشعاعها المعهود رغم الفتن والأحداث التي طبعت العصر.

- الزاوية الدلائية ودورها في إحياء الحركة العلمية والأدبية في القرن الحادي عشر الهجري

تزامنا مع اندلاع الفتن والنزاعات في المغرب بسبب الاختلاف على الحكم، برزت ظاهرة الهجرة من الحواضر إلى البوادي طلبا للأمن والأمان في الأرواح والأعراض...، فاستقطب زعماء الزاوية الدلائية العديد من الطلبة ووفروا لهم حاجاتهم من الطعام والشراب والمأوى، ليدأبوا على طلب العلم والمعرفة الشرعية، وقد انصب الاهتمام على تدريس القراءات والتفسير والتوحيد، والحديث والفقه وأصوله، والمنطق والتوقيت والتصوف، فضلا عن اللغة وعلوم البلاغة، واشتهر خريجو الزاوية بقوة اللغة

7 الرحلة العياشي 54/1

8 الاستقصا 112/6.

9 أجوبة العلمي

10 نفسه 106/1.

11 للتوسع في هذه المسألة انظر فتاوى علماء الجنوب الخاصة بنظام (إنفلاس) بالأطلس الكبير الغربي أوائل ق 17 م لصديقي علي أزايكو، ضمن كتاب التاريخ وأدب النوازل. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط الطبعة 1 / 1995 م (ص 135- 185).

والبيان والبلاغة والأدب، بالإضافة إلى براعتهم في العديد من الفنون، أما عن خزائنها فقد شملت مئات الكتب النادرة فداء صيتها في أنحاء المغرب ووفد إليها الطلبة من كل حذب وصوب، حيث يقال إن عدد مساكن طلبة الزاوية بلغ ألفاً وأربعمائة مسكن ضمن كل مسكن طالبين أو أكثر.¹²

- جامعة القرويين وأثرها العلمي والفكري في القرن الحادي عشر الهجري:

لم تتأثر جامعة القرويين بالاضطرابات التي عاشها المغرب في القرن الحادي عشر الهجري، بل أبقت على توجهها المعهود وإشعاعها المعرفي المتميز، من خلال جهود العلماء الذين دأبوا على حضور الحلقات والكراسي العلمية، لإلقاء الدروس والمحاضرات، وقد أثمرت هذه الجهود المباركة أفواجا من الخريجين العلماء الذين نبغوا في العديد من العلوم والفنون الشرعية والأدبية... ومن مظاهر تألق القرويين في تلك الحقبة أيضا اهتمام المولى الرشيد المتزايد بأساتذتها وطلبتها وتشجيعهم بالمنح والأعطيات، وحرصه الشديد على مجالسة علمائها وفقهائها، وحضور دروسهم كالعلامة اليوسفي¹³، وتعززت مكانة القرويين وكثر طلابها في العهد الإسماعيلي، كما ازدانت فاس فيه بتشييد مدرسة الشراطين.¹⁴

ومن تجليات الإشعاع العلمي لهذا العصر القضايا الفكرية والمسائل الفقهية والعقدية التي استأثرت باهتمام علماء الوقت كالعلامة عبد القادر الفاسي ت 1091هـ صاحب الأجوبة الكبرى والصغرى، ومحمد بن الحسن المجاصي ت 1103هـ صاحب النوازل... ومن ذلك أيضا تصدر المرأة للفتوى والإقراء والتعليم،¹⁵ وتصدي العلماء للمفاسد الاجتماعية والخلقية، والانحرافات الفكرية والعقدية، بحث الناس على لزوم السنة والتأصيل للممارسات العبادية، وكذا محاربة الفوضى الواقعة في الفتوى والإنكار الشديد على المتصدين للإفتاء من غير أهلية، من الأنصاف المتسورين على النسبة.

وخلاصة القول، فإن المراحل التاريخية العصبية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، لا ينبغي أن تبرر الضمور والتراجع العلمي والمعرفي والثقافي، فقد شهد عصر المؤلف انتعاشا علميا وفكريا رغم القلاقل السياسية والاضطرابات وقد تجلى ذلك من خلال مجموعته من المؤلفات سواء في العلوم الشرعية أو غيرها من الفنون الأخرى كالرياضيات والفلك والطب.

في ظل هذه الأوضاع عاش مؤلف الكتاب سيدي محمد بن أحمد وقيل ابن علي البعقلي السوسي، مؤلف كتاب "مجموع المنافع في علم الطب النافع"، وقد حاولت جهد المستطاع البحث عن ترجمة له في ما تيسر الاطلاع عيه من الكتب والمصنفات التي اعتنت بالترجمة للأعلام والمشاهير من علماء المغرب ومفكري القرن فلم أظفر بما يشفي الغليل باستثناء إشارة بتيمة أوردتها الأستاذ الباحثة المؤرخ سيدي محمد المختار السوسي في معرض حديثه عن علم الطب وصناعة الأدوية في سوس والمؤلفين في هذا الفن...، ونص كلامه رحمه الله: "لا تزخر دراسة هذا الفن بطبيعة الحال - قبل العصر الحديث - إلا في الحواضر، وفي أثناء أذيال المدينة التي تحتاج إليه غالبا، وأما البادية حيث الجو صقيل، والهواء صحيح، والأجسام مستقيمة، والأمزجة معتدلة، فأني يكثر الالتفات إليه إلا عند أفراد، وهذا هو الذي وقع في سوس، فإننا لم نعتد هذا الانتشار في التأليف أو التدريس إلا قليلا، فأول من عرفنا له فيه مؤلفا حسين الشوشاوي الراسلواوي، وهو من أهل التاسع، ثم أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي، ومحمد بن علي البعقلي صاحب (الطب البعقلي الشهير)، وكلاهما من أهل الحادي عشر، ثم لأحمد بن سليمان الرسموكي الفرضي، وهو من أهل الثاني عشر، وحوالي هذا الحين كما نظن كان تأليف كتاب طبي بيد بعض الأزاريفيين، ثم جاء الباقعة الغريب الشأن أحمد ابن الشيخ الحضيكي، حافظ التذكرة للأنطاكي وكتاب الزهراوي حفظا، حتى ليحدث عن لفظهما بلسانه عن ظهر قلب في درس الفن، فكان مما يدرسه مؤلف ابن سينا في الطب بشرح ابن رشد، وكان مولعا بهذا الفن، حتى أدرك فيه الغاية، ونرى أنه فريد من مفاخر المغرب من هذه الناحية، وقد ذكر كل هذا بعض من أخذوا عنه، ورأينا أيضا أحمد التاهالي الرحالة أقنن الطب، وامتاز به بين معاصريه كالمقدم، وهما معا أدركا أول الثالث عشر، ثم انطوى الفن، ولم نر له ذكرا في

12 انظر الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي لمحمد حجي ص 74 وما بعدها.

13 نشر المثنائي للقادري 1566/4.

14 جامع القرويين لعبد الهادي التازي 718-717/3. والحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد المولى إسماعيل لعبد الله المرابط الترغي رسالة دكتوراه.

15 جامع القرويين 718/3

التدريس أو في التأليف، إلا أن بعض أناس يذكرون بالتطبب، حتى إن منهم من يتسلسل فيهم أبا عن جد، كأبناء محمد بن سعيد الكرامي المشهور بإتقان هذا الفن، من أهل مختتم التاسع، وربما كان المذكورون أخيراً بالطب، كالحاج ياسين الوسخيني إنما يستقون مما هناك من بعض الكتب ومن التجارب، لا من الدراسة المنظمة، وقد كان للشيخ الإلغي ولوع بهذا الفن، فافتتح فيه مؤلفين أحدهما بالعربية والآخر بالشلحية، شغل عن السير فيهما كثيراً، أو كان الثاني تاماً لكننا لم نقف عليه، وكان من أكثر معاصريه استحضاراً للأدوية المفيدة في كل داء رآه، مع إكبابه على المراجعة كتب الفن، وخزائنه زاخرة بكتب الطب على أنواعها، وللحاج عبلا- عبد الله - الإلغي، والد الأستاذة، يد طولى عملية لا علمية فنية¹⁶.

ثانياً : محتوى الكتاب

مخطوط "مجموع المنافع في علم الطب النافع" لمؤلفه محمد بن أحمد البعقيلي، تأليف لطيف في بابيه ضمنه صاحبه ما تيسر جمعه من وصفات طبية لمجموعة من الأمراض والأدواء والعلل، وقد توزعت نسخة في المغرب حسب اطلاعي بين خزائن: الجامع الأعظم بوزان تحت رقم 10/1099، والخزانة الحسنية تحت رقم 10088-1941، والمكتبة الوطنية تحت رقم 1644د الرباط، ومؤسسة الملك عبد العزيز تحت رقم 244 بالدار البيضاء.

استهل به خطبة غاية في الإيجار، عرف فيه بعد حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، بموضوعه (الأدوية والرقى)، وذلك من خلال قوله: "... هذه أدوية ورقى جمعتها بعون الله في هذا الجزء، ونقلتها بعضها عن الناس بعد تجربتها بقولهم، وبعضها من كتب الطب كما أذكره حيث يذكر إن شاء الله، وبعضها جربته وشهدت صحته والحمد لله والشكر..."، ثم أتبع ذلك بالإلماع إلى عنوان الكتاب بقوله: "...وسميتها مجموع المنافع في علم الطب النافع..."، على عادة القدامى في الترجمة لكتبهم ومصنفاتهم في مقدماتها بما يناسب من العناوين¹⁷، ثم شرع في ذكر مجموعة من الوصفات الدوائية للعلل والأمراض، بدأها بوصفة تتعلق ببدء العلقلة قائلا: "...ومما جرب للعلقة ونفع بإذن الله ملح وشب يسحقان جيداً، ويخلطان بماء رمان حامض، وماء عنب الزبيب قبل طيبه، فيشرب ذلك صاحب العلقلة، فتقع في بطنه ميتة بإذن الله...".

وسار المؤلف في مجموعته النافع على هذا المنوال يذكر الداء ويصف الدواء، وهذا جرد للأوجاع والأمراض التي وردت في الكتاب مشفوعة بما رآه المؤلف مناسباً من الأعشاب والعقاقير:

فذكر من العلل، العلقلة، وبوتليس، ولدغ العقرب، ولسع الحية، والتواليل، وورم العين، والنار الفارسية، وألم الأضراس، وزكومة الحر وزكومة البرد، وبرد الكلى، الجنين الفاسد¹⁸، معرفة العقيم، شقوق الرجلين، الطحال، بوزلوم، داء الجرب وفيه وصفتان، المسمومات، البرد، الورم، بوصفار¹⁹، حب الشباب، الكلف، وجع الصدر، صمم الأذن، حرز رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء، لكل علة²⁰، الدماميل، الكبد والطحال، وبوصفار الجدام والبرص، الخنازير، اللطمة نوع من الجنون²¹ للمولود من أجل الذكاء، للحمى، للمطعوم، للجنين الراقد، للأضراس، للمسمومات²² وصفات لحصران البول، وحصران الغائط، الأحناس، وبوزلوم، والقويا²³.

وصفات للولد الفاسد في البطن، ولكل ما ينبت في بدن الإنسان، لبكاء الأطفال، لأكل التراب، للأضراس، للحمى الثلاثية، للحمى

16 سوس العالمية ص 53 مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر " بنميد " الدار البيضاء ط 2 1984م

17 مجموع المنافع في علم الطب النافع للبعقيلي ورقة 131.

18 مجموع المنافع في علم الطب النافع للبعقيلي ورقة 134

19 نفسه ورقة 135.

20 نفسه ورقة 136.

21 نفسه ورقة 137.

22 نفسه ورقة 138.

23 نفسه ورقة 139

غير الثلاثية، للمرأة التي لا تلد، للجنين الفاسد، للقرينة²⁴، للأفراس، وحصران الغائط، ثلاث وصفات، الكوكب في العين، وحكة العين²⁵ وعمش العين، والخنازير، والدماويل...، ولخروج الرصاصة من الجرح...²⁶

وصفة لعلاج السوس في الضرس أو انكسار الضرس²⁷. ولوجع الضرس، ووجع الراس، والرعاف، وللمرار في الكبد²⁸.

وصفة للمحنجر وهو عند بعض البرابر انكض، وهو على أقسام منها الكائن فوق الصرة، دواؤه زريعة الخروج...تشرّب في ماء، ومنه قسم محله فوق الصرة أيضا دواؤه وراغ...يبس ثم يسحق جيدا ثم يشرب في اللبن إن وجد أو في الماء، وكذا عروق الكندوس وهي تغضشت عند البرابر، يغسل مما علق به من التراب ثم يدق وينقع فيما يغطيها من الماء، في إناء مغلق أياما، ثم يعصد في الماء الذي نقع فيه، وتؤكل العصيدة بلبن أو سمن أو عسل أو غير ذلك فيبرأ بإذن الله، ومنه قسم يكون تحت الصرة، ودواؤه عسل يغلى جيدا ثم ينزل عن النار، ويترك حتى يقدر على شربه فيشرب، ومنه قسم إطا طرا على الإنسان يخرج منه الغائط مع دم، ومن ابتلي بهذا القسم يمنع نفسه من كثرة الأكل وكل طعام سخون، فإن ذلك يزيد في الوجع والعياذ بالله ثم يداوى بزريعة الكتان وهي عند البرابر تفسدت، وكيفية ذلك تغلى الزريعة المذكورة وتؤكل، أو تطحن وتؤكل...، وكذا قرن الوعل وهو عند البرابر "دد" يشوط بالنار، ثم يأخذ منه ما تشوط فيسحق جيدا ثم يجعل في عسل ويفطر على ذلك أياما قبيرا بعون الله تعالى وبالله الشفاء²⁹.

وذكر لعضة الكلب المبحوم وصفات منها أعواد الدفلة توضع على النار حتى تصير جمرا ويكوى بها محل العضة، والجعدة تدق جيدا ويفطر بها على الريق أربعين يوما، إن قدر عليها وحدها، وإلا فليطفر بها في عسل...، ومن أغرب الوصفات في علاج عضه الكلب، ما ذكره المؤلف من ذهاب المعضوض إلى البحر للغسل بمائه وقت العض، وغسل محل العض ويشرب منه ثلاث غرفات، ويأمر من يقبضه حتى تمر عليه ثلاث أمواج، فإذا رجع منه، فلا يقرب الماء ولا يغتسل ولا تطأ قدمه البحر مدة أربعين ليلة..فبيرأ بإذن الله، أو الشنتكورة وهي " تمرن " تدق جيدا ويفطر عليها أربعين يوما...ومنها أيضا وصفة لرد الدمالة دواؤها أيضا تداورها بالكتابة بقولة: يا أيها النبت المنبوت في جلد من يموت، مت بقدره الحي الدائم الذي لا يموت، وإنك ميت وإنهم ميتون...، ويسألونك عن الجبال إلى أمتا، أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون إلى قوله يكتبون، أم تر إلى الذين خرجوا إلى موتوا، ويكتب معها واسألهم عن القرية إلى تاتيهم ثلاثا، كما أخرجك ربك إلى يساقون إلى الموت، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، ثلاثا، ويشف صدور قوم مؤمنين...³⁰.

ومن الوصفات الخاصة بالنساء، قال فائدة جلييلة تنفع من ابتلي من النساء بدم علة وفساد وهو الدم الزائد على أمد الحيض، وذلك أن تأخذ الجعدة وهي عند البرابر " توررن نيزن "، وهي عشبة يقرش بها " الصودوكره " تدق وتجعل في عسل وتقطر على ذلك أياما وبالله الشفا.

وفي وصفة من ابتلي بالرائحة الكريهة، قال المؤلف: فائدة أخرى من ابتلي من الناس بالرائحة الكريهة رجلا كان أو امرأة في بعض أعضائه، عروق الخشوف تنقع في الماء سبعة أيام ويفطر بمائه على الريق، وإن كانت الرائحة المذكورة تحت الإبط، فإنه يفطر بالماء المذكور ويغسل تحت إبطه، وإن كانت في الفرج يفطر بالماء ويستنجي بها أيضا يفعل ذلك حتى يبرأ بإذن الله.

ومن الغرائب قوله: ومما ينفع في حل المعقود يكتب على جوانب السيف هذه الحروف بك هم هما ما لا لا لا ه ه ه،

- 24 نفسه ورقة 140.
- 25 نفسه ورقة 141.
- 26 نفسه ورقة 142.
- 27 نفسه ورقة 143.
- 28 نفسه ورقة 144.
- 29 نفسه ورقة 145.
- 30 نفسه ورقة 147.

ويقطع به بيض دجاجة سوداء نظيفة مناصفا فتأكل المرأة النصف ويأكل الرجل النصف، فإنه مجرب وهو يحل اثنين وسبعين باب، ومما ينفع لحل المعقود أيضا يكتب ويلقى في العين ففتحن السماء بماء منهر إلى كفر، ومما جرب لحل المعقود أيضا، يكتب الفتحة والإخلاص والمعوذتين ويسألونك عن الجبال إلى أمتا، أولم ير الذين كفروا إلى يومنون، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، فلما تجلى ربه للجبل إلى صغقا، مرج البحرين يلتقيان، فقلنا اضرب بعصاك البحر إلى العظيم، وهو الذي خلق من الماء بشرا إلى قدير، وعنت الوجوه للحي القيوم إلى ظلما، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إلى قدرا، ويكتب اسم الرجل والمرأة، ويقول اللهم إني أسألك أن تجمع بين فلان بن فلانة وفلانة بنت فلانة بحق هذه الأسماء والآيات إنك على كل شيء قدير يهايش اهياش اصباوة إنك سيدنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..31.

باب الانعقاد الذي يتركه المرض في بطن المريض يشبه الخبرة عند الصرة دواؤه الطحلب، وهو عند العجم أدل يسحق جيدا ويجعل في العسل ويفطر عليه ثلاثة أيام... وكذلك أوراق السلك بلغة العرب وعند البعض رق الحنش، ييبس ويدق ويجعل في العسل، ويفطر عليه ثلاثة أيام والله هو الشافي بفضل³².

وفيما يتعلق بالسعال الرطبة، ذكر الحبة السوداء أي السانوج، قال يدق جيدا ويجعل في خرقة وتشم لأيام حتى يبرأ أن شاء الله.³³

ومن الصفات التي ألمح إليها أيضا ما يداوى به ثقل السمع وذهاب النوم وتهضيم الطعام، ونفخ البطن وبياض العين والأورام...³⁴

هذه جملة من الصفات الطبية جمعها المؤلف لعلاج الأمراض التي كانت سائدة في زمنه استجابة لحاجة الناس إليها تخفيفا عن معاناتهم. والملاحظ أنها في الأغلب اعتمدت في مادتها على الأعشاب الطبيعية والعسل، وزيت الزيتون والملح والشب... غير أن عددا منها حسب رأي المتواضع لا يمت إلى علم الطب بصلة كما هو الشأن بالنسبة لحرز البيع والشراء وجلب الرزق والمحبة، ...³⁵

وعن معام منهجه وطريقته في التأليف يمكن القول أنه رحمه الله سلك نهج القدامى في عرض مادته، إذ يذكر الداء ويتبعه بالوصفة أو الوصفات أن تعددت كما هو الحال بالنسبة لمرض المحتجر...، وقد غلب على لغة الكتاب البساطة والافهام، لذا تخلل أسلوبه كلمات دارجة على ألسنة العوام، ومصطلحات باللهجة المحلية السوسية، وهو أمر يفرض على الباحث والمحقق الالمام بمعاني المعجم الذي استعمله المؤلف سواء باللهجة العامية أو السوسية.

خاتمة

هذا وتظل الخزانة المغربية زاخرة بالعديد من الذخائر في علم الطب والأدوية التي تحتاج مزيد اهتمام وعناية بغاية التعريف بمضامينها وإخراجها للباحثين لتحقيقها أو التعريف بموضوعاتها، إذ في مجموع ذلك كله أو بعضه تأكيد على أن المغاربة سواء في العهد العلوي أو قبله أسهموا بحظ وافر في الإنتاج العلمي بكل فروعها المختلفة بما في ذلك الطب والصيدلة.

31	نفسه ورقة 148.
32	نفسه ورقة 914.
33	نفسه ورقة 156.
34	نفسه ورقة 160.
35	نفسه ورقة 158-159.

نماذج مصورة من المخطوط



الورقة الأولى من المخطوط المحفوظ بخزانة الجامع الأعظم بوزان وتشتمل على خطبة الكتاب وعنوانه



ورقة من وسط المخطوط



ورقة أخرى من وسط المخطوط



الورقة الأخيرة من المخطوط

